

جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري

بتحقيق العلامة أحمد شاكر
تم نسخه من موقع الملك فهد

وهو أجل التفاسير وأشهرها ، ويعتبر الطبري أبا المفسرين كما يعتبر أبا للتاريخ الإسلامي ، وتفسيره من أقوم التفاسير وأعظمها ، وهو المرجع الأول عند المفسرين .
وللمؤلف منهج خاص بذكر الآية ، أو الآيات من القرآن الكريم ، ثم يبين تأويلها ومعناها ، ويذكر أشهر الأقوال فيها ، ويستشهد على القول بما يؤثر عن الصحابة والتابعين ، ثم يتعرض لترجيح الأقوال ، واختيار الأولى بالتقدمة ، ويتعرض لناحية الإعراب ، واستنباط الأحكام التي تؤخذ من الآية ، وترجيح ما يراه .
وهذا الكتاب هو أوثق وأقدم ما دون في التفسير بالمأثور ، أي بما ثبت بالنقل من بيان القرآن بالقرآن ، وبما ورد فيه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، كما أنه أهم مصادر التفسير بالرأي والمعقول ، أي بالإجتهد والاستنباط وإعمال اللغة والعقل ، قال النووي : " أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري "
قال عنه الإمام السيوطي : " وكتابه أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض ، والإعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين " وقال الإمام النووي : " أجمعت الأمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبري "
وقد حوى ابن جرير جميع تراث التفسير الذي تفرق قبله في كتب صغيرة منذ عصر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري .

< 2-203 >

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (قالوا) قال قوم موسى - الذين أمروا بذبح البقرة - لموسى. فترك ذكر موسى، وذكر عائد ذكره، اكتفاء بما دل عليه ظاهر الكلام. وذلك أن معنى الكلام: قالوا له: " ادع ربك ". فلم يذكر " له " لما وصفنا.

وقوله: (يبين لنا ما هي)، خبر من الله عن القوم بجهلة منهم ثالثة. وذلك أنهم لو كانوا، إذ أمروا بذبح البقرة، ذبحوا أيتها تيسرت مما يقع عليه اسم بقرة، كانت عنهم مجزئة، ولم يكن عليهم غيرها، لأنهم لم يكونوا كلفوها بصفة دون صفة. فلما سألوا بيانها بأي صفة هي، بين لهم أنها بسن من الأسنان دون سن سائر الأسنان، (1) ف قيل لهم: هي عوان بين الفارض والبكر والضرع. (2) فكانوا - إذ بينت لهم سننها- لو ذبحوا أدنى بقرة بالسن التي بينت لهم، كانت عنهم مجزئة، لأنهم لم يكونوا كلفوها بغير السن التي حدث لهم، ولا كانوا حصروا على لون منها دون لون. فلما أبوا إلا أن تكون معرفة لهم بنوعيتها، مبينة بحدودها التي تفرق بينها وبين سائر بهائم الأرض، فشددوا على أنفسهم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- شدد الله عليهم بكثرة سؤالهم نبيهم واختلافهم عليه. ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم لأمتة:-

1234 - " ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوه، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم ". (3)

< 2-204 >

قال أبو جعفر: ولكن القوم لما زادوا نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم أذى وتعتنا، زادهم الله عقوبة وتشديدا، كما:-

1235 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثام بن علي، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

1236 - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال، سمعت أيوب، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة قال: لو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم. (4)

1237 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر عن أيوب-

1238 - وحدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن هشام بن حسان جميعا، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني قال: سألوا وشددوا فشدد الله عليهم.

1239 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة قال: لو أخذ بنو إسرائيل بقرة < 2-205 > لأجزأت عنهم. ولولا قولهم: (وإنا إن شاء الله لمهتدون)، لما وجدوها.

1240 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً** ، لو أخذوا بقرة ما كانت، لأجزأت عنهم. **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ** قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا قَارِصٌ وَلَا يَكْرُ ، قال: لو أخذوا بقرة من هذا الوصف لأجزأت عنهم. **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا** قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ، قال: لو أخذوا بقرة صفراء لأجزأت عنهم. (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) ، **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا دَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرَّةَ** الآية.

1241 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه، وزاد فيه: ولكنهم شددوا فشدد عليهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1242 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح قال، مجاهد: " لو أخذوا بقرة مَّا كانت أجزاء عنهم. قال ابن جريح، قال لي عطاء: لو أخذوا أدنى بقرة كفتهم. قال ابن جريح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أمروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا علي أنفسهم شدد الله عليهم؛ وإيَّم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد ". (5)

1243 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قال: لو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة، استعرضوا > 2- 206 < بقرة فذبحوها لكانت إياها، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: (وإنا إن شاء الله لمهتدون)، لما هدوا إليها أبدا.

1244 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " إنما أمر القوم بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا علي أنفسهم شدد عليهم. والذي نفس محمد بيده، لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد ".

1245 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس قال: لو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم.

1246 - حدثنا أبو كريب قال، قال أبو بكر بن عياش، قال ابن عباس: لو أن القوم نظروا أدنى بقرة -يعني بني إسرائيل- لأجزأت عنهم، ولكن شددوا فشدد عليهم، فاشتروها بملء جلدھا دنائير. (6)

1247 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: لو أخذوا بقرة كما أمرهم الله كفاهم ذلك، ولكن البلاء في هذه المسائل، فقالوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ ، فشدد عليهم، فقال: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا قَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ، فقالوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ، قال: وشدد عليهم أشد من الأول، فقرأ حتى بلغ: مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا فابوا أيضا فقالوا: (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) فشدد عليهم، فقال: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا دَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ، > 207-2 < قال: فاضطروا إلى بقرة لا يعلم على صفتها غيرها، وهي صفراء، ليس فيها سواد ولا بياض. (7)

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه - من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم، من قولهم إن بني إسرائيل لو كانوا أخذوا أدنى

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بقرة فذبحوها أجزاء عنهم، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم - من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أن حكم الله، فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، على العموم الظاهر، دون الخصوص الباطن، (8) إلا أن يخص، بعض ما عمه ظاهر التنزيل، كتاب من الله أو رسول الله، وأن التنزيل أو الرسول، إن خص بعض ما عمه ظاهر التنزيل بحكم خلاف ما دل عليه الظاهر، فالمخصوص من ذلك خارج من حكم الآية التي عمت ذلك الجنس خاصة، وسائر حكم الآية على العموم؛ على نحو ما قد بيناه في كتابنا (كتاب الرسالة) من (لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام) - في قولنا في العموم والخصوص، وموافقة قولهم في ذلك قولنا، ومذهبهم مذهبنا، وتخطئهم قول القائلين بالخصوص في الأحكام، وشهادتهم على فساد قول من قال: حكم الآية الجائئة مجيء العموم على العموم، ما لم يختص منها بعض ما عمته الآية. فإن خص منها بعض، فحكم الآية حينئذ على الخصوص .

وذلك أن جميع من ذكرنا قوله آنفا - ممن عاب على بني إسرائيل مسألتهم نبينهم صلى الله عليه وسلم عن صفة البقرة التي أمروا بذبحها وسنها وحليتها - رأوا أنهم كانوا في مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى ذلك مخطئين، وأنهم لو كانوا استعرضوا أدنى بقرة من البقر - إذ أمروا بذبحها بقوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ، فذبحوها - كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك < 208-2 > مؤدين، وللق مطيعين، إذ لم يكن القوم حصروا على نوع من البقر دون نوع، وسن دون سن.

ورأوا مع ذلك أنهم - إذ سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها، وحصروا منها على سن دون سن، ونوع دون نوع، وخص من جميع أنواع البقر نوعا منها - كانوا في مسألتهم إياه في المسألة الثانية، بعد الذي خص لهم من أنواع البقر، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إياه المسألة الأولى.

وكذلك رأوا أنهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى والثانية، وأن اللازم كان لهم في الحالة الأولى، استعمال ظاهر الأمر، وذبح أي بهيمة شأؤوا مما وقع عليها اسم بقرة.

وكذلك رأوا أن اللازم كان لهم في الحال الثانية، استعمال ظاهر الأمر وذبح أي بهيمة شأؤوا مما وقع عليها اسم بقرة عوان لا فارض ولا بكر، ولم يروا أن حكمهم - إذ خص لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية - انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الأولى، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص. ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك - مع الرواية التي رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموافقة لقولهم - دليل واضح على صحة قولنا في العموم والخصوص، وأن أحكام الله جل ثناؤه في أي كتابه - فيما أمر ونهى - على العموم، ما لم يخص ذلك ما يجب التسليم له. وأنه إذا خص منه شيء، فالمخصوص منه خارج حكمه من حكم الآية العامة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الظاهر، وسائر حكم الآية على ظاهرها العام - ومؤيد حقيقة ما قلنا في ذلك، (9) وشاهد عدل على فساد قول من خالف قولنا فيه.

< 2-209 >

وقد زعم بعض من عظمت جهالته، واشتدت حيرته، أن القوم إنما سألوا موسى ما سألوا بعد أمر الله إياهم بذبح بقرة من البقر، لأنهم ظنوا أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها خصت بذلك، كما خصت عصا موسى في معناها، فسألوه أن يحليها لهم ليعرفوها.

ولو كان الجاهل تدبر قوله هذا، لسهل عليه ما استصعب من القول. وذلك أنه استعظم من القوم مسألتهم نبيهم ما سألوه تشددا منهم في دينهم، ثم أضاف إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكره أن يكون كان منهم. فزعم أنهم كانوا يرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضا، ويتعبد لهم بعبادة، ثم لا يبين لهم ما يفرض عليهم ويتعبد لهم به، حتى يسألوا بيان ذلك لهم! فأضاف إلى الله تعالى ذكره ما لا يجوز إضافته إليه، ونسب القوم من الجهل إلى ما لا ينسب المجانين إليه، فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض، فنعوذ بالله من الحيرة، ونسأله التوفيق والهداية.

وأما قوله: (إن البقر تشابه علينا)، فإن "البقر" جماع بقرة.

وقد قرأ بعضهم: (إن الباقر)، وذلك - وإن كان في الكلام جائزا، لمجيئه في كلام العرب وأشعارها، كما قال ميمون بن قيس: (10)

وما ذنبه أن عافت الماء باقر

وما إن تعاف الماء إلا ليضربا (11)

< 2-210 >

وكما قال أمية: (12)

ويسوقون باقر السهل للط

ود مهازيل خشية أن تبورا (13)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- فغير جائزة القراءة به لمخالفته القراءة الجائبة مجيء الحجة، بنقل من لا يجوز - عليه فيما نقلوه مجمعين عليه - الخطأ والسهو والكذب .

وأما تأويل: (تشابه علينا)، فإنه يعني به، التبس علينا. والقراءة مختلفة في تلاوته. (14) فبعضهم كانوا يتلونه: " تشابه علينا "، بتخفيف الشين ونصب الهاء على مثال " تفاعل "، ويذكر الفعل، وإن كان " البقر " جماعاً. لأن من شأن العرب تذكير كل فعل جمع كانت وحدانه بالهاء، وجمعه يطرح الهاء - وتأتيه، (15) كما قال الله تعالى في نظيره في التذكير: كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ [القمر: 20]، فذكر " المنقعر " وهو من صفة النخل، لتذكير لفظ " النخل " - وقال في موضع آخر: كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [الحاقة: 7]، فأنت " الخاوية " وهي من صفة " النخل " - بمعنى النخل. (16) لأنها وإن كانت في لفظ الواحد المذكر - على ما وصفنا قبل - فهي جماع " نخلة " .

< 2-211 >

وكان بعضهم يتلوه: (إن البقر تشابه علينا)، بتشديد الشين وضم الهاء، فيؤنث الفعل بمعنى تأنث " البقر "، كما قال: أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ، ويدخل في أول " تشابه " تاء تدل على تأنثها، ثم تدغم التاء الثانية في " شين " تشابه " لتقارب مخرجها ومخرج " الشين " فتصير " شينا " مشددة، وترفع " الهاء " بالاستقبال والسلامة من الجوازم والنواصب.

وكان بعضهم يتلوه: (إن البقر يشابه علينا)، فيخرج " يشابه " مخرج الخبر عن الذكر، لما ذكرنا من العلة في قراءة من قرأ ذلك: (تشابه) بالتخفيف ونصب " الهاء "، غير أنه كان يرفعه ب " الياء " التي يحدثها في أول " تشابه " التي تأتي بمعنى الاستقبال، وتدغم " التاء " في " الشين " كما فعله القارئ في " تشابه " ب " التاء " والتشديد.

قال ابو جعفر: والصواب في ذلك من القراءة عندنا: (إن البقر تشابه علينا)، بتخفيف " شين " تشابه " ونصب " هاء "، بمعنى " تفاعل "، لإجماع الحجة من القراء على تصويب ذلك، ودفعهم ما سواه من القراءات. (17) ولا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والغفلة والخطأ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: (وإننا إن شاء الله لمهتدون)، فإنهم عنوا: وإننا إن شاء الله لمبين لنا ما التبس علينا وتشابه من أمر البقرة التي أمرنا بذبحها. ومعنى " اهتدائهم " في هذا الموضع معنى: " تبينهم " أي ذلك الذي لزمهم ذبحه مما سواه من أجناس البقر. (18)

< 2-212 >

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ

قال أبو جعفر: وتأويل ذلك: قال موسى: إن الله يقول إن البقرة التي أمرتكم بذبحها بقرة لا ذلول.

ويعني بقوله: (لا ذلول)، أي لم يذلها العمل. فمعنى الآية: إنها بقرة لم تذلها إثارة الأرض بأظلافها، ولا سُنِّيَ عليها الماء فيُسقى عليها الزرع. (19) كما يقال للدابة التي قد ذلها الركوب أو العمل: " دابة ذلول بينة الدَّل " بكسر الذال. (20) ويقال في مثله من بني آدم: " رجل ذليل بين الدَّل والذلة ".

1248 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (إنها بقرة لا ذلول)، يقول: صعبة لم يذلها عمل، (تثير الأرض ولا تسقي الحرث).

1249 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض)، يقول: بقرة ليست بذلول يزرع عليها، وليست تسقي الحرث.

1250 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (إنها بقرة لا ذلول)، أي لم يذلها العمل. (تثير الأرض) يعني: ليست بذلول فتثير الأرض. (ولا تسقي الحرث) يقول: ولا تعمل في الحرث.

1251 - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن < 2-213 > الربيع: (إنها بقرة لا ذلول) يقول: لم يذلها العمل، (تثير الأرض) يقول: تثير الأرض بأظلافها، (21) (ولا تسقي الحرث)، يقول: لا تعمل في الحرث.

1252 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، قال الأعرج، قال مجاهد، قوله: (لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث)، يقول: ليست بذلول فتفعل ذلك.

1253 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: ليست بذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: ويعني بقوله: (تثير الأرض)، تقلب الأرض للحرث. يقال منه: " أثرت الأرض أثيرها إثارة "، إذا قلبتها للزرع. وإنما وصفها جل ثناؤه بهذه الصفة، لأنها كانت -فيما قيل- وَحْشِيَّةً.

1254 - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا جوير، عن كثير بن زياد، عن الحسن قال: كانت وحشية. (22)

القول في تأويل قوله تعالى : مُسَلَّمَةٌ

قال أبو جعفر: ومعنى " مسلمة " " مفعلة " من " السلامة ". يقال منه: " سُلمت تسلم فهي مسلمة.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي سلمت منه، فوصفها الله بالسلامة منه. فقال مجاهد بما:-

1255 - حدثنا به محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " مسلمة "، يقول: مسلمة من الشية، و لا شِيَّةَ فِيهَا ، < 214-2 > لا بياض فيها ولا سواد.

1256 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

1257 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال مجاهد: (مسلمة)، قال: مسلمة من الشية، لا شِيَّةَ فِيهَا لا بياض فيها ولا سواد.

وقال آخرون: مسلمة من العيوب.

* ذكر من قال ذلك:

1258 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (مسلمة لا شية فيها)، أي مسلمة من العيوب.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1259 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: (مسلمة)، يقول: لا عيب فيها.

1260 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (مسلمة)، يعني مسلمة من العيوب.

1261 - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بمثله.

1262 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح، قال ابن عباس قوله: (مسلمة)، لا عَوَارَ فِيهَا. (23)

قال أبو جعفر: والذي قاله ابن عباس وأبو العالية ومن قال بمثل قولهما في تأويل ذلك، أولى بتأويل الآية مما قاله مجاهد. لأن سلامتها لو كانت من سائر أنواع الألوان سوى لون جلدها، لكان في قوله: (مسلمة) مُكْتَفَى عن قوله: لا شِيَةَ فِيهَا. وفي قوله: لا شِيَةَ فِيهَا، ما يوضح عن أن معنى قوله: (مُسَلِّمَةٌ)، غير معنى قوله: لا شِيَةَ فِيهَا، وإذ كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: إنه > 2- < يقول: إنها بقرة لم تذللها إثارة الأرض وقلبها للحراثة، ولا السنو عليها للمزارع، (24) وهي مع ذلك صحيحة مسلمة من العيوب.

القول في تأويل قوله تعالى : لا شِيَةَ فِيهَا

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (لا شية فيها)، لا لون فيها يخالف لون جلدها. وأصله من "وشى الثوب"، وهو تحسين عيوبه التي تكون فيه، بضروب مختلفة من ألوان سداه ولحمته، (25) يقال منه: "وشيت الثوب فأنا أشيه شية ووشيا"، ومنه قيل للساعي بالرجل إلى السلطان أو غيره: "واش"، لكذبه عليه عنده، وتحسينه كذبه بالأباطيل. يقال منه: "وشيت به إلى السلطان وشاية". ومنه قول كعب بن زهير:

تسعى الوشاة جَنَائِبِهَا وقولُهُمْ

إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول (26)

و "الوشاة جمع واش"، يعني أنهم يتقولون بالأباطيل، ويخبرونه أنه إن لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم قتله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد زعم بعض أهل العربية أن " الوشي "، العلامة. وذلك لا معنى له، إلا أن يكون أراد بذلك تحسين الثوب بالأعلام. لأنه معلوم أن القائل: " وشيت بفلان إلى فلان " غير جائز أن يتوهم عليه أنه أراد: جعلت له عنده علامة. > 216-2 < وإنما قيل: (لا شية فيها) وهي من " وشيت "، لأن " الواو " لما أسقطت من أولها أبدلت مكانها " الهاء " في آخرها. كما قيل: " وزنته زنة " و " وسن سينة " (27) و " وعدته عدة " و " وديته دية " .

ويمثل الذي قلنا في معنى قوله: (لا شية فيها)، قال أهل التأويل:

1263 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (لا شية فيها)، أي لا بياض فيها.

1264 - حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

1265 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (لا شية فيها)، يقول: لا بياض فيها.

1266 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (لا شية فيها) أي لا بياض فيها ولا سواد.

1267 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

1268 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية: (لا شية فيها)، قال: لونها واحد، ليس فيها سوى لونها.

1269 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (لا شية فيها)، من بياض ولا سواد ولا حمرة.

1270 - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (لا شية فيها)، هي صفراء، ليس فيها بياض ولا سواد.

1271 - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (لا شية فيها)، يقول: لا بياض فيها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (قالوا الآن جئت بالحق). فقال بعضهم: معنى ذلك: الآن بينت لنا الحق فتيناه، وعرفنا أية بقرة عنيت. (28) وممن قال ذلك قتادة :

1272 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (قالوا الآن جئت بالحق)، أي الآن بينت لنا.

وقال بعضهم: ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن القوم أنهم نسبوا نبي الله موسى صلوات الله عليه، إلى أنه لم يكن يأتيهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك. وممن روي عنه هذا القول عبد الرحمن بن زيد :

1273 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: اضطروا إلى بقرة لا يعلمون على صفتها غيرها، وهي صفراء ليس فيها سواد ولا بياض، فقالوا: هذه بقرة فلان: (الآن جئت بالحق)، وقبل ذلك والله قد جاءهم بالحق. (29)

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين عندنا بقوله: (قالوا الآن جئت بالحق)، قول قتادة. وهو أن تأويله: الآن بينت لنا الحق في أمر البقر، فعرفنا أيها الواجب علينا ذبحها منها. (30) لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم قد أطاعوه فذبحوها، بعد < 218-2 > قيلهم هذا. مع غلظ مؤونة ذبحها عليهم، وثقل أمرها، فقال: فَذَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ، وإن كانوا قد قالوا - بقولهم: الآن بينت لنا الحق - هراء من القول، وأتوا خطأ وجهلا من الأمر. وذلك أن نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم كان مبينا لهم - في كل مسألة سألوها إياه، ورد رادوه في أمر البقر - (31) الحق. وإنما يقال: "الآن بينت لنا الحق" لمن لم يكن مبينا قبل ذلك، فأما من كان كل قبله - فيما أبان عن الله تعالى ذكره - حقا وبيانا، فغير جائز أن يقال له = في بعض ما أبان عن الله في أمره ونهيه، وأدى عنه إلى عباده من فرائضه التي أوجبها عليهم: (الآن جئت بالحق)، كأنه لم يكن جاءهم بالحق قبل ذلك!

وقد كان بعض من سلف يزعم أن القوم ارتدوا عن دينهم وكفروا بقولهم لموسى: (الآن جئت بالحق)، ويزعم أنهم نفوا أن يكون موسى أتاهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك، وأن ذلك من فعلهم وقيلهم كفر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وليس الذي قال من ذلك عندنا كما قال، لأنهم أذعنوا بالطاعة بذبحها، وإن كان قيلهم الذي قالوه لموسى جهلة منهم وهفوة من هفواتهم.

القول في تأويل قوله تعالى : قَدَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (فدبحوها)، فذبح قوم موسى البقرة، التي وصفها الله لهم وأمرهم بذبحها.

ويعني بقوله: (وما كادوا يفعلون)، أي: قاربوا أن يدعوا ذبحها، ويتركوا فرض الله عليهم في ذلك.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله كادوا أن يضيعوا فرض الله عليهم، في ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك. فقال بعضهم: ذلك السبب كان > 219-2 < غلاء ثمن البقرة التي أمروا بذبحها، وبينت لهم صفتها.

* ذكر من قال ذلك:

1274 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا أبو معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظي في قوله: (فدبحوها وما كادوا يفعلون) قال: لغلاء ثمنها.

1275 - حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالي قال، حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي: (فدبحوها وما كادوا يفعلون)، قال: من كثرة قيمتها. (32)

1276 - حدثنا القاسم قال، أخبرنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وحجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس - في حديث فيه طول، ذكر أن حديث بعضهم دخل في حديث بعض - قوله: (فدبحوها وما كادوا يفعلون)، لكثرة الثمن، أخذوها بملء مسكها ذهباً من مال المقتول، (33) فكان سواء لم يكن فيه فضل فدبحوها.

1277 - حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (فدبحوها وما كادوا يفعلون)، يقول: كادوا لا يفعلون، ولم يكن الذي أرادوا، لأنهم أرادوا أن لا يدبحوها؛ وكل شيء في القرآن " كاد " أو " كادوا " أو " لو "، فإنه لا يكون. وهو مثل قوله: أَكَادُ أَحْفِيهَا [طه: 15

[

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة، إن أطلع الله على > 220-2 < قاتل القتل الذي اختصموا فيه إلى موسى.

قال أبو جعفر: والصواب من التأويل عندنا، أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة، للخلتين كلتيهما: إحداهما غلاء ثمنها، مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها؛ والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم، بإظهار الله نبيه موسى صلوات الله عليه وأتباعه - على قاتله.

فأما غلاء ثمنها، فإنه قد روي لنا فيه ضروب من الروايات.

1278 - فحدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً، فباعهم صاحبها إياها وأخذ ثمنها.

1279 - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال، سمعت أيوب، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة قال: اشتروها بملء جلدتها دنانير.

1280 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كانت البقرة لرجل يبر أمه، فرزقه الله أن جعل تلك البقرة له، فباعها بملء جلدتها ذهباً.

1281 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل قال، حدثني خالد بن يزيد، عن مجاهد قال: أعطوا صاحبها ملء مسكها ذهباً فباعها منهم.

1282 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال، حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهباً يقول: اشتروها منه على أن يملئوا له جلدتها دنانير، ثم ذبحوها فعمدوا إلى جلد البقرة فملئوه دنانير، ثم دفعوها إليه.

1283 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي (34) > 2-21 < قال حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: وجدوها عند رجل يزعم أنه ليس بائعها بمال أبداً، فلم يزالوا به حتى جعلوا له أن يسلكوا له مسكها فيملئوه له دنانير، فرضي به فأعطاهم إياها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1284 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قال: لم يجدوها إلا عند عجوز، وإنما سألتهم أضعاف ثمنها، فقال لهم موسى: أعطوها رضاها وحكمها. ففعلوا، واشتروها فذبحوها.

1285 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، قال أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال: لم يجدوا هذه البقرة إلا عند رجل واحد، فباعها بوزنها ذهباً، أو ملء مسكها ذهباً - فذبحوها.

1286 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني قال: وجدوا البقرة عند رجل، فقال: إني لا أبيعها إلا بملء جلدتها ذهباً، فاشتروها بملء جلدتها ذهباً.

1287 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: جعلوا يزيدون صاحبها حتى ملئوا له مسكها - وهو جلدتها - ذهباً.

وأما صغر خطرها وقلة قيمتها، فإن الحسن بن يحيى:-

1288 - حدثنا قال، حدثنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة قال، حدثني محمد بن سوقة، عن عكرمة قال: ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير.

وأما ما قلنا من خوفهم الفضيحة على أنفسهم، فإن وهب بن منبه كان يقول: إن القوم إذ أمروا بذبح البقرة، إنما قالوا لموسى: أَتَّخِذُنَا هُرُؤًا ، لعلمهم بأنهم سيفتضحون إذا ذبحت، فحادوا عن ذبحها.

1289 - حدثت بذلك عن إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه.

وكان ابن عباس يقول: إن القوم، بعد أن أحيا الله الميت فأخبرهم بقاتله، > 222-2 < أنكرت قتلته قتله، فقالوا: والله ما قتلناه؛ بعد أن رأوا الآية والحق.

1290 - حدثني بذلك محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا قَدَّارًا تُمْ فِيهَا

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا)، واذكروا يا بني إسرائيل إذ قتلتم نفساً، و " النفس " التي قتلوها، هي النفس التي ذكرنا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قصتها في تأويل قوله: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً .

وقوله: (فادارأتم فيها)، يعني فاختلقتم وتنازعتم. وإنما هو " فتدارأتم فيها " على مثال " تفاعلتم "، من الدرء. و " الدرء ": العوج، ومنه قول أبي النجم العجلي:

خشية صَعَامِ إِذَا هُمْ جَسَرَ

يَأْكُلُ ذَا الدَّرءِ وَيَقْصِي مِنْ حَقْرِ (35)

يعني: ذا العوج والعسر. ومنه قول رؤبة بن العجاج:

أدركتها قدام كل مِدْرَه

بالدفع عني درء كل عُنْجِه (36) < 223-2 >

ومنه الخبر الذي:-

1291 - حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا مصعب بن المقدم، عن إسرائيل، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد، عن السائب قال: جاءني عثمان وزهير ابنا أمية، فاستأذنا لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أعلم به منكما، ألم تكن شريك في الجاهلية؟ قلت: نعم، بأبي أنت وأمي، فنعم الشريك كنت لا تماري ولا تداري ". (37)

< 2-224 >

يعني بقوله: لا تداري، لا تخالف رفيقك وشريكك ولا تنازعه ولا تشاؤه.

وإنما أصل (فادارأتم)، فتدارأتم، ولكن التاء قريبة من مخرج الدال - وذلك أن مخرج التاء من طرف اللسان وأصول الشفتين، ومخرج الدال من طرف اللسان وأطراف الثنيتين - فأدغمت التاء في الدال، فجعلت دالا مشددة كما قال الشاعر:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تولي الضجيع إذا ما استافها حَصِرا

عذب المذاق إذا ما اتَّابَع القَبْل (38)

يريد إذا ما تتابع القبل، فأدغم إحدى التاءين في الأخرى. فلما أدغمت التاء في الدال فجعلت دالا مثلها سكنت، فجلبوا ألفا ليصلوا إلى الكلام بها، وذلك إذا كان قبله شيء، لأن الإدغام لا يكون إلا وقبله شيء، ومنه قول الله جل ثناؤه: حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا [الأعراف: 38]، إنما هو "تداركوا"، ولكن التاء منها أدغمت في الدال، فصارت دالا مشددة، وجعلت فيها ألف - إذ وصلت بكلام قبلها ليسلم الإدغام. وإذا لم يكن قبل ذلك ما يواصله، وابتدئ به، قيل: تداركوا وتناقلوا، فأظهروا الإدغام. وقد قيل يقال: "اداركوا، واداروا".

وقد قيل إن معنى قوله: (فاداراتم فيها)، فتدافعتم فيها. من قول القائل: "درأت هذا الأمر عني"، ومن قول الله: وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ [النور: 8]، بمعنى < 225-2 > يدفع عنها العذاب. وهذا قول قريب المعنى من القول الأول. لأن القوم إنما تدافعوا قتل قتيل، فانتفى كل فريق منهم أن يكون قاتله، كما قد بينا قبل فيما مضى من كتابنا هذا. (39) وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: (فاداراتم فيها) قال أهل التأويل.

1292 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: (فاداراتم فيها)، قال: اختلفتم فيها.

1293 - حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

1294 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج: (وإذ قتلتم أنفسا فاداراتم فيها) قال بعضهم: أنتم قتلتموه. وقال الآخرون: أنتم قتلتموه.

1295 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (فاداراتم فيها)، قال: اختلفتم، وهو التنازع، تنازعوا فيه. قال: قال هؤلاء: أنتم قتلتموه. وقال هؤلاء: لا.

وكان تدارؤهم في النفس التي قتلوها كما:-

1296 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: صاحب البقرة رجل من بني إسرائيل، قتله رجل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فألقاه على باب ناس آخرين، فجاء أولياء المقتول فادعوا دمه عندهم، فانتفوا أو انتفلوا- منه. شك أبو عاصم. (40)

1297 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن > 2-226 < ابن أبي نجیح، عن مجاهد بمثله سواء - إلا أنه قال: فادعوا دمه عندهم فانتفوا - ولم يشك- منه. (41)

1298 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: قتل كان في بني إسرائيل. فخذف كل سبط منهم [سبطا به]، (42) حتى تفاقم بينهم الشر، حتى ترافعوا في ذلك إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم. فأوحى الله إلى موسى: أن اذبح بقرة فاضربه ببعضها. فذكر لنا أن وليه الذي كان يطلب بدمه هو الذي قتله، من أجل ميراث كان بينهم.

1299 - حدثني ابن سعد قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في شأن البقرة. وذلك أن شيخا من بني إسرائيل على عهد موسى كان مكثرا من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم، وكان الشيخ لا ولد له، وكان بنو أخيه ورثته. فقالوا: ليت عمنا قد مات فورثنا ماله! وإنه لما تناول عليهم أن لا يموت عمهم، أتاهم الشيطان، فقال: هل لكم إلى أن تقتلوا عمكم، فترثوا ماله، وتغرموا أهل المدينة التي لستم بها ديتة؟ - وذلك أنهما كانتا مدينتين، كانوا في إحداهما، فكان القتل إذا قتل وطرح بين المدينتين، قيس ما بين القتل وما بين المدينتين، فأيهما كانت أقرب إليه غرمت الدية - وأنهم لما سول لهم الشيطان ذلك، وتناول عليهم أن لا يموت عمهم، عمدوا إليه فقتلوه، ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة التي ليسوا فيها. فلما أصبح أهل المدينة، جاء بنو أخي الشيخ، فقالوا: عمنا قتل على باب مدينتكم، فوالله لتغرمنا لنا دية عمنا. قال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلا ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا. وأنهم عمدوا إلى موسى، فلما أتوا قال بنو أخي الشيخ: عمنا وجدناه مقتولا على باب مدينتهم. وقال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلناه، ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا. وأن جبريل جاء بأمر ربنا السميع العليم إلى موسى، > 2-227 < فقال: قل لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوه ببعضها.

1300 - حدثنا القاسم قال، حدثنا حسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد - وحجاج عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: إن سبطا من بني إسرائيل، لما رأوا كثرة شرور الناس، بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس، فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحدا منهم خارجا إلا أدخلوه، وإذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر وتشرف، (43) فإذا لم ير شيئا فتح المدينة، فكانوا مع الناس حتى يمسوا. وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير، ولم يكن له وارث غير ابن أخيه، فطال عليه حياته، فقتله ليرثه، ثم حمله فوضعه على باب المدينة، ثم كمن في مكان هو وأصحابه. قال: فتشرف رئيس المدينة على باب المدينة، فنظر فلم ير شيئا. ففتح الباب، فلما رأى القتل رد الباب: فناداه ابن أخي المقتول

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأصحابه: هيهات! قتلتموه ثم تردون الباب؟ وكان موسى لما رأى القتل كثيرا في أصحابه بني إسرائيل، (44) كان إذا رأى القتل بين ظهري القوم. أخذهم فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال، حتى لیس الفريقان السلاح، ثم كف بعضهم عن بعض. فأتوا موسى فذكروا له شأنهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هؤلاء قتلوا قتيلا ثم ردوا الباب. وقال أهل المدينة: يا رسول الله، قد عرفت اعتزالنا الشرور، وبنينا مدينة -كما رأيت- نعتزل شرور الناس، ما قتلنا ولا علمنا قاتلا. فأوحى الله تعالى ذكره إليه: أن يذبحوا بقرة، فقال لهم موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة.

1301 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم وله مال كثير، فقتله ابن أخ له، فجره فألقاه على باب ناس آخرين. > 228-2 < ثم أصبحوا، فادعاه عليهم، حتى تسليح هؤلاء وهؤلاء، فأرادوا أن يقتلوا، فقال، ذوو النهى منهم: أتقتلون وفيكم نبي الله؟ فأمسكوا حتى أتوا موسى، فقصوا عليه القصة، فأمرهم أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها، فقالوا: أَتَّخِذْنَا هُرُوءًا ؟ قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

1302 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: قتل من بني إسرائيل، طرح في سبط من الأسباط، فأتى أهل ذلك السبط إلى ذلك السبط فقالوا: أنتم والله قتلتم صاحبنا. فقالوا: لا والله. فأتوا إلى موسى فقالوا: هذا قتلنا بين أظهرهم، وهم والله قتلوه. فقالوا: لا والله يا نبي الله، طرح علينا. فقال لهم موسى صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً .

قال أبو جعفر: فكان اختلافهم وتنازعهم وخصامهم بينهم - في أمر القتل الذي ذكرنا أمره، على ما روينا من علمائنا من أهل التاويل - هو " الدرء " الذي قال الله جل ثناؤه لذريتهم وبقايا أولادهم: (فَادَارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ).

القول في تأويل قوله تعالى : وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72)

قال أبو جعفر: ويعني بقوله: (والله مخرج ما كنتم تكتُمون)، والله معلن ما كنتم تسرونه من قتل القتل الذي قتلتم، ثم ادارأتم فيه.

ومعنى " الإخراج " -في هذا الموضع- الإظهار والإعلان لمن خفي ذلك عنه، وإطلاعهم عليه، كما قال الله تعالى ذكره: أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [النمل: 25] يعني بذلك: يظهره ويطلعه من مخبئه بعد خفائه.

والذي كانوا يكتُمونه فأخرجه، هو قتل القاتل القتييل. لما كتم ذلك < 229-2 > القاتل ومن علمه ممن شايعه على ذلك، (45) حتى أظهره الله وأخرجه، فأعلن أمره لمن لا يعلم أمره.

وَعَنَى جَلْ ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: (تَكْتُمُونَ)، تَسْرُونَ وَتَغْيِبُونَ، كَمَا:

1303 - حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: (والله مخرج ما كنتم تكتمون)، قال: تغيبون.

1304 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (ما كنتم تكتمون)، ما كنتم تغيبون.

القول في تأويل قوله تعالى : فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا

قال أبو جعفر: يعني جل ذكره بقوله: فقلنا لقوم موسى الذين ادارعوا في القتييل (46) - الذي قد تقدم وصفنا أمره - : اضربوا القتييل. و "الهاء" التي في قوله: (اضربوه) من ذكر القتييل؛ (ببعضها) أي: ببعض البقرة التي أمرهم الله بذبحها فذبحوها.

ثم اختلف العلماء في البعض الذي ضرب به القتييل من البقرة، وأي عضو كان ذلك منها. فقال بعضهم: ضرب بفخذ البقرة القتييل.

* ذكر من قال ذلك:

1305 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: ضرب بفخذ البقرة فقام حيا، فقال: قتلتني فلان. ثم عاد في ميته.

< 2-230 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1306 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: ضرب بفخذ البقرة، ثم ذكر مثله.

1307 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح، عن النضر بن عريبي، عن عكرمة: (فقلنا اضربوه ببعضها)، قال: بفخذها، فلما ضرب بها عاش، وقال: قتلني فلان. ثم عاد إلى حاله. (47)

1308 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن خالد بن يزيد، عن مجاهد قال: ضرب بفخذها الرجل، فقام حيا فقال: قتلني فلان. ثم عاد في ميته.

1309 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، قال أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة: ضربوا المقتول ببعض لحمها وقال معمر، عن قتادة -: ضربوه بلحم الفخذ فعاش، فقال: قتلني فلان.

1310 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أنهم ضربوه بفخذها، فأحياه الله فأنبأ بقاتله الذي قتله، وتكلم ثم مات.

وقال آخرون: الذي ضرب به منها، هو البضعة التي بين الكتفين. (48)

* ذكر من قال ذلك:

1311 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (فقلنا اضربوه ببعضها)، فضرِبوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش، فسأله: من قتلك؟ فقال لهم: ابن أخي.

< 2-231 >

وقال آخرون: الذي أمروا أن يضربوه به منها، عظم من عظامها.

* ذكر من قال ذلك:

1312 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قال: أمرهم موسى أن يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتل. ففعلوا، فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتا كما كان. فأخذ قاتله، وهو الذي أتى موسى فشكا إليه، فقتله الله على أسوأ عمله.

وقال آخرون بما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1313 - حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: ضربوا الميت ببعض أربابها فإذا هو قاعد - (49) قالوا: من قتلك؟ قال: ابن أخي. قال: وكان قتله وطرحه على ذلك السبط، أراد أن يأخذ ديته.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل قوله عندنا: (فقلنا اضربوه ببعضها)، أن يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب. ولا دلالة في الآية، ولا [في] خبر تقوم به حجة، (50) علي أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به، وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف، وغير ذلك من أبعاضها. ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله.

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: وما كان معنى الأمر بضرب القتيل ببعضها؟ قيل: ليحيا فينبئ نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم والذين ادارعوا فيه - من قاتله.

< 2-232 >

فإن قال قائل: وأين الخبر عن أن الله جل ثناؤه أمرهم بذلك لذلك؟ قيل: ترك ذلك اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام الدال عليه - نحو الذي ذكرنا من نظائر ذلك فيما مضى. ومعنى الكلام: فقلنا: اضربوه ببعضها ليحيا، فضربوه فحيي - كما قال جل ثناؤه: **أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ [الشعراء: 63]**، والمعنى: فضرب فانفلق - دل على ذلك قوله: (51) **كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُزَيِّدُكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**.

القول في تأويل قوله تعالى : **كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى**

قال أبو جعفر: وقوله: (كذلك يحيي الله الموتى)، مخاطبة من الله عباده المؤمنين، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا. فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما احتج جل ذكره بذلك على مشركي العرب، (52) وهم قوم أميون لا كتاب لهم، لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم، وفيهم نزلت هذه الآيات، فأخبرهم جل ذكره بذلك، ليتعرفوا علم من قبلهم.

< 2-233 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَيُزَيِّدُكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)

قال أبو جعفر: يعني جل ذكره: ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من عند الله - من آياته = وآياته: أعلامه وحججه الدالة على نبوته = (53) لتعقلوا وتفهموا أنه محق صادق، فتؤمنوا به وتتبعوه.

القول في تأويل قوله تعالى : ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

قال أبو جعفر: يعني بذلك كفار بني إسرائيل، وهم - فيما ذكر - بنو أخي المقتول، فقال لهم: " ثم قست قلوبكم " : أي جفت وغلظت وعست، كما قال الراجز:

وقد قسوت وقسا لداتي (54)

يقال: " قسا " و " عسا " و " عتا " بمعنى واحد، وذلك إذا جفا وغلظ وصلب. يقال: منه: قسا قلبه يقسو قسا وقساوة وقساوة وقساء. (55)

ويعني بقوله: (من بعد ذلك)، من بعد أن أحيا المقتول لهم الذي - ادارعوا > 234-2 < في قتله، فأخبرهم بقاتله، وبالسبب الذي من أجله قتله، (56) كما قد وصفنا قبل على ما جاءت الآثار والأخبار - وفصل الله تعالى ذكره بخبره بين المحق منهم والمبطل (57). وكانت قساوة قلوبهم التي وصفهم الله بها، أنهم - فيما بلغنا- أنكروا أن يكونوا هم قتلوا القتيل الذي أحياه الله، فأخبر بني إسرائيل بأنهم كانوا قتلته، بعد إخباره إياهم بذلك، وبعد ميتته الثانية، كما:-

1314 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: لما ضرب المقتول ببعضها - يعني

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بعض البقرة - جلس حيا، فقبل له: من قتلك؟ فقال: بنو أخي قتلوني. ثم قبض فقال بنو أخيه حين قبض: والله ما قتلناه! فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه، فقال الله: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) - يعني بني أخي الشيخ- فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً .

1315 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك)، يقول: من بعد ما أراهم الله من إحياء الموتى، وبعد ما أراهم من أمر القتل - ما أراهم، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً .

القول في تأويل قوله تعالى : فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (فهي): " قلوبكم ". يقول: ثم صلبت قلوبكم - بعد إذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه - عن الخضوع له والإذعان لواجب حق الله عليكم، فقلوبكم كالحجارة صلبة ويبسا وغلظا وشدة، أو " أشد قسوة "، > 2- 235 < يعني: قلوبهم - عن الإذعان لواجب حق الله عليهم، والإقرار له باللازم من حقوقه لهم- أشد صلابة من الحجارة. (58)

فإن سأل سائل فقال: وما وجه قوله: (فهي كالحجارة أو أشد قسوة)، و " أو " عند أهل العربية، إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك، والله تعالى جل ذكره غير جائز في خبره الشك؟

قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه، ولكنه خبر منه عن قلوبهم القاسية، أنها - عند عباده الذين هم أصحابها، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله - كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة، عندهم وعند من عرف شأنهم.

وقد قال في ذلك جماعة من أهل العربية أقوالا فقال بعضهم: إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله: (فهي كالحجارة أو أشد قسوة)، وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي ب " أو "، كقوله: وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ [الصافات: 147]، وكقول الله جل ذكره: وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [سبأ: 24] [الإيهام على من خاطبه] (59) فهو عالم أي ذلك كان. قالوا: ونظير ذلك قول القائل: أكلت بسرة أو رطبة، (60) وهو عالم أي ذلك أكل، ولكنه أبهم على المخاطب، كما قال أبو الأسود الدؤلي:

أحب محمدا حبا شديدا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وعباسا وحمزة والوصيا (61)

< 2-236 > فإن يك حبهم رشدا أصبه

ولست بمخطئ إن كان غيا

قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حب من سمى - رَشَدًا، ولكنه أبهم على من خاطبه به. وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له: شيككت! فقال: كلا والله! ثم انتزع بقول الله عز وجل: وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، فقال: أو كان شاكاً - من أخبر بهذا- في الهادي من الضلال. (62)

وقال بعضهم: ذلك كقول القائل: " ما أطعمتك إلا حلوا أو حامضا "، وقد أطعمه النوعين جميعا. فقالوا: فقائل ذلك لم يكن شاكاً أنه قد أطعم صاحبه الحلو والحامض كليهما، ولكنه أراد الخبر عما أطعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين. قالوا: فكذلك قوله: (فهي كالحجارة أو أشد قسوة)، إنما معناه: فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثليين، إما أن تكون مثلاً للحجارة في القسوة، وإما أن تكون أشد منها قسوة. ومعنى ذلك على هذا التأويل: فبعضها كالحجارة قسوة، وبعضها أشد قسوة من الحجارة.

وقال بعضهم: " أو " في قوله: (أو أشد قسوة)، بمعنى، وأشد قسوة، كما قال تبارك وتعالى: وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ أَيْمًا أَوْ كَفُورًا [الإنسان: 24] بمعنى: وكفوراً، وكما قال جرير بن عطية:

نال الخلافة أو كانت له قدرا

كما أتى ربه موسى على قدر (63)

يعني: نال الخلافة، وكانت له قدرا، وكما قال النابغة:

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد (64) < 237-2 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يريد. ونصفه

وقال آخرون: " أو " في هذا الموضع بمعنى " بل " فكان تأويله عندهم: فهي كالحجارة بل أشد قسوة، كما قال جل ثناؤه: وَأَرْسَلْتَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ [الصافات: 147]، بمعنى: بل يزيدون.

وقال آخرون: معنى ذلك: فهي كالحجارة، أو أشد قسوة عندكم.

قال أبو جعفر: ولكل مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجه ومخرج في كلام العرب. غير أن أعجب الأقوال إلي في ذلك ما قلناه أولا ثم القول الذي ذكرناه عن وجه ذلك إلى أنه بمعنى: فهي أوجه في القسوة: إما أن تكون كالحجارة، أو أشد، (65) على تأويل أن منها كالحجارة، ومنها أشد قسوة. لأن " أو "، وإن استعملت في أماكن من أماكن " الواو " حتى يلتبس معناها ومعنى " الواو "، لتقارب معنيهما في بعض تلك الأماكن - (66) فإن أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين. فتوجيهها إلى أصلها - ما وجدنا إلى ذلك سبيلا (67) أعجب إلي من إخراجها عن أصلها، ومعناها المعروف لها.

قال أبو جعفر: وأما الرفع في قوله: (أو أشد قسوة) فمن وجهين: أحدهما: أن يكون عطفا على معنى " الكاف " في قوله: (كالحجارة)، لأن معناها الرفع. وذلك أن معناها معنى " مثل "، [فيكون تأويله] (68) فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة.

< 2-238 >

والوجه الآخر: أن يكون مرفوعا، على معنى تكرير " هي " عليه. فيكون تأويل ذلك: فهي كالحجارة، أو هي أشد قسوة من الحجارة.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّ مِنَ الْجِبَارَةِ لِمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ذكره: (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار): وإن من الحجارة حجارة يتفجر منها الماء الذي تكون منه الأنهار، فاستغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء. (69) وإنما ذكر فقال " منه "، للفظ " ما ". (70)

و " التفجر ": " التفعّل " من " تفجر الماء "، (71) وذلك إذا تنزل خارجاً من منبعه. وكل سائل شخص خارجاً من موضعه ومكانه، فقد " انفجر "، ماء كان ذلك أو دماً أو صديداً أو غير ذلك، ومنه قوله عمر بن لجا:

ولما أن قرنت إلى جرير

أبى ذو بطنه إلا انفجارا (72)

يعني: إلا خروجاً وسيلاناً.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: " وإن منها لما يشقق "، < 239-2 > وإن من الحجارة لحجارة يشقق. وتشققها: تصدعها. (73) وإنما هي: لما يتشقق، ولكن التاء أدغمت في الشين فصارت شينا مشددة.

وقوله: (فيخرج منه الماء) فيكون عينا نابعة وأنهاراً جارية.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: وإن من الحجارة لما يهبط - أي يتردى من رأس الجبل إلى الأرض والسفح - (74) من خوف الله وخشيته. وقد دللنا على معنى " الهبوط " فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (75)

قال أبو جعفر: وأدخلت هذه " اللامات " اللواتي في " ما "، توكيداً للخبر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما وصف الله تعالى ذكره الحجارة بما وصفها به - من أن منها المتفجر منه الأنهار، وأن منها المتشقق بالماء، وأن منها الهابط من خشية الله، بعد الذي جعل منها لقلوب الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بني إسرائيل، (76) مثلا - معذرة منه جل ثناؤه لها، (77) دون الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بني إسرائيل إذ كانوا بالصفة التي وصفهم الله بها من التكذيب لرسوله، والحدود لآياته، بعد الذي أراهم من الآيات والعر، وعاینوا من عجائب الأدلة والحجج، مع ما أعطاهم تعالى ذكره من صحة العقول، ومن به عليهم من سلامة النفوس التي لم < 240-2 > يعطها الحجر والمدر، ثم هو مع ذلك منه ما يتفجر بالأنهار، ومنه ما يتشقق بالماء، ومنه ما يهبط من خشية الله، فأخبر تعالى ذكره أن من الحجارة ما هو ألين من قلوبهم لما يدعون إليه من الحق، كما:-

1316 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1317 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله)، قال: كل حجر يتفجر منه الماء، أو يتشقق عن ماء، أو يتردى من رأس جبل، فهو من خشية الله عز وجل، نزل بذلك القرآن.

1318 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

1319 - حدثني بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ثم عذر الحجارة ولم يعذر شقي ابن آدم. فقال: (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله).

1320 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1321 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن ابن عباس قال: ثم عذر الله الحجارَةَ فقال: وَإِنَّ مِنْ الْجِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ .

1322 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن > 2- 241 < جريح أنه قال فيها: كل حجر انفجر منه ماء، أو تشقق عن ماء، أو تردى من جبل، فمن خشية الله. نزل به القرآن.

قال أبو جعفر: ثم اختلف أهل التأويل في معنى هبوط ما هبط من الحجارَة من خشية الله.

فقال بعضهم: إن هبوط ما هبط منها من خشية الله تفيؤ ظلاله. (78)

وقال آخرون: ذلك الجبل الذي صار دكا إذ تجلى له ربه. (79)

وقال بعضهم: ذلك كان منه ويكون، بأن الله جل ذكره أعطى بعض الحجارَة المعرفة والفهم، فعقل طاعة الله فأطاعه.

1324 - كالذي روي عن الجذع الذي كان يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب، فلما تحول عنه حن. (80)

1325 - وكالذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن حجرا كان يسلم علي في الجاهلية إني لأعرفه الآن ". (81)

< 2-242 >

وقال آخرون: بل قوله: (يَهَيْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) كقوله: جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ وَلَا إِرَادَةَ لَهُ. قالوا وإنما أريد بذلك أنه من عظم أمر الله، يرى كأنه هابط خاشع من ذل خشية الله، كما قال زيد الخيل:

بجمع تضل البلق في حجراته

ترى الأكم منه سجدا للحوافر (82)

وكما قال سويد بن أبي كاهل يصف عدوا له:

ساجد المنخر لا يرفعه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

خاشع الطرف أصم المستمع (83)

يريد أنه ذليل. (84)

وكما قال جرير بن عطية:

لما أتى خبر الرسول تضععت

سور المدينة والجبال الخشع (85)

وقال آخرون: معنى قوله: (يهبط من خشية الله)، أي: يوجب الخشية لغيره، بدلالته على صانعه، كما قيل: " ناقة تاجرة "، إذا كانت من نجابتها وفراحتها تدعو الناس إلى الرغبة فيها، كما قال جرير بن عطية:

< 2-243 > وأعور من نبهان، أما نهاره

فأعمى، وأما ليله فبصير (86)

فجعل الصفة لليل والنهار، وهو يريد بذلك صاحبه النبhani الذي يهجو، من أجل أنه فيهما كان ما وصفه به.

وهذه الأقوال، وإن كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل، فإن تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها، فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية إلى معنى منها. (87)

وقد دللنا فيما مضى على معنى " الخشية "، وأنها الرهبة والمخافة، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع. (88)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (وما الله بغافل عما تعملون)، وما الله بغافل -يا معشر المكذبين بأياته، والجاحدين نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والمتقولين عليه الأباطيل من بني إسرائيل وأحبار اليهود- عما تعملون من أعمالكم الخبيثة، وأفعالكم الرديئة، ولكنه محصيا عليكم، فمجازيكم بها في الآخرة، أو معاقبكم بها في الدنيا. (89)

< 2-244 >

وأصل " الغفلة " عن الشيء، تركه على وجه السهو عنه، والنسيان له.

فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة، ولا ساه عنها، بل هو لها محص، ولها حافظ.

القول في تأويل قوله تعالى : أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (أفتطمعون) يا أصحاب محمد، أي: أفترجون يا معشر المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم، والمصدقين ما جاءكم به من عند الله، أن يؤمن لكم يهود بني إسرائيل؟

ويعني بقوله: (أن يؤمنوا لكم)، أن يصدقكم بما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم محمد من عند ربكم، كما:-

1326 - حُدثت عن عمار بن الحسن، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم)، يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، " أن يؤمنوا لكم " يقول: أفتطمعون أن يؤمن لكم اليهود؟.

1327 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) الآية، قال: هم اليهود.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَدْ كَانَ قَرِيْقٌ مِنْهُمْ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: أما " الفريق " فجمع، كالتائفة، لا واحد له من لفظه. وهو " فصيل " من " التفرق " سمي به الجماع، كما سميت الجماعة بـ " الحزب "، من " التحزب "، وما أشبه ذلك. ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

< 2-245 > أَجَدُّوا فلما خفت أن يتفرقوا

فريقين، منهم مُصْعِدٌ ومُصَوِّبٌ (90)

يعني بقوله: (منهم)، من بني إسرائيل. وإنما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعدهم من بني إسرائيل، من اليهود الذين قال الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: أَقْتَطَمْعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ - لأنهم كانوا آباءهم وأسلافهم، فجعلهم منهم، إذ كانوا عشائرتهم وقَرَطَهُمْ وأسلافهم، كما يذكر الرجل اليوم الرجل، وقد مضى على منهاج الذاكر وطريقته. وكان من قومه وعشيرته، فيقول: " كان منا فلان "، (91) يعني أنه كان من أهل طريقته أو مذهبه، أو من قومه وعشيرته. فكذاك قوله: (وقد كان فريق منهم).

القول في تأويل قوله تعالى : يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون). فقال بعضهم بما:-

1328 - حدثني به محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)، < 2-246 > فالذين يحرفونه والذين يكتمونهم، هم العلماء منهم.

1329 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

1330 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه)، قال: هي التوراة، حرفوها.

1331 - حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه)، قال: التوراة التي أنزلها عليهم، يحرفونها،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، (92) فهو فيه محق. وإن جاء أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء، أمروه بالحق. فقال لهم: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [البقرة: 44].

وقال آخرون في ذلك بما:-

1332 - حُدثت عن عمار بن الحسن قال، أخبرنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)، فكانوا يسمعون من ذلك كما يسمع أهل النبوة، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

1333 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق في قوله: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) الآية، قال: ليس قوله: (يسمعون كلام الله)، يسمعون التوراة. كلهم قد سمعها، ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها.

< 2-347 >

1334 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال: بلغني عن بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى: يا موسى، قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل، فأسمعنا كلامه حين يكلمك. فطلب ذلك موسى إلى ربه فقال: نعم، فمرهم فليتطهروا، وليطهروا ثيابهم، ويصوموا. ففعلوا. ثم خرج بهم حتى أتى الطور، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام [أن يسجدوا] فوقعوا سجودا، (93) وكلمه ربه فسمعوا كلامه، يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا ما سمعوا. ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل. فلما جاءوهم حرف فريق منهم ما أمرهم به، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق الذي ذكرهم الله: إنما قال كذا وكذا - خلافا لما قال الله عز وجل لهم. فهم الذين عنى الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين اللذين ذكرت بالآية، وأشبههما بما دل عليه ظاهر التلاوة، ما قاله الربيع بن أنس، والذي حكاه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم: من أن الله تعالى ذكره إنما عنى بذلك من سمع كلامه من بني إسرائيل، سماع موسى إياه منه، ثم حرف ذلك وبدل، من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه. وذلك أن الله جل ثناؤه إنما أخبر أن التحريف كان من فريق منهم كانوا يسمعون كلام الله عز وجل، استعظاما من الله لما كانوا يأتون من البهتان، بعد توكيد الحجة عليهم والبرهان، وإيدانا منه تعالى ذكره عباده

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

المؤمنين، قطع أطماعهم من إيمان بقايا نسلهم بما أتاهم به محمد من الحق والنور والهدى، (94) فقال لهم: كيف تطمعون في تصديق هؤلاء اليهود إياكم وإنما تخبرونهم - بالذي تخبرونهم من الأنبياء عن الله عز وجل - عن غيب لم يشاهدوه ولم يعبأونوه وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهيه، ثم يبدله ويحرفه ويجحدته، فهؤلاء الذين بين < 248-2 > أظهركم من بقايا نسلهم، أخرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق، وهم لا يسمعون من الله، وإنما يسمعون منكم - (95) وأقرب إلى أن يحرفوا ما في كتبهم من صفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويبدلوه، وهم به عالمون، فيجحدوه ويكذبوا - (96) من أوائلهم الذين باشروا كلام الله من الله جل ثناؤه، ثم حرفوه من بعد ما عقلوه وعلموه متعمدين التحريف.

ولو كان تأويل الآية على ما قاله الذين زعموا أنه عني بقوله: (يسمعون كلام الله)، يسمعون التوراة، لم يكن لذكر قوله: (يسمعون كلام الله) معنى مفهوم. لأن ذلك قد سمعه المحرف منهم وغير المحرف، فخصوص المحرف منهم - بأنه كان يسمع كلام الله - إن كان التأويل على ما قاله الذين ذكرنا قولهم - دون غيرهم ممن كان يسمع ذلك سماعهم لا معنى له. (97)

فإن ظن ظان [أنه] إنما صلح أن يقال ذلك لقوله: (يحرفونه)، فقد أغفل وجه الصواب في ذلك. (98) وذلك أن ذلك لو كان كذلك لقليل: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون. ولكنه جل ثناؤه أخبر عن خاص من اليهود، كانوا أعطوا - من مباشرتهم سماعاً كلام الله - ما لم يعطه أحد غير الأنبياء والرسل، ثم بدلوا وحرفوا ما سمعوا من ذلك. فلذلك وصفهم بما وصفهم به، للخصوص الذي كان خص به هؤلاء الفريق الذي ذكرهم في كتابه تعالى ذكره.

وبعني بقوله: (ثم يحرفونه)، ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه. وأصله من " انحراف الشيء عن جهته"، وهو ميله عنها إلى غيرها. فكذلك قوله: (يحرفونه) < 249-2 > أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه، إلى غيره. فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا، وأنه بخلاف ما حرفوه إليه. فقال: (يحرفونه من بعد ما عقلوه)، يعني: من بعد ما عقلوا تأويله، (وهم يعلمون)، أي: يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون. وذلك إخبار من الله جل ثناؤه عن إقدامهم على البهت، ومناصبتهم العداوة له ولرسوله موسى صلى الله عليه وسلم، وأن بقاياهم - من مناصبتهم العداوة لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا - على مثل الذي كان عليه أوائلهم من ذلك في عصر موسى عليه الصلاة والسلام.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا

قال أبو جعفر: أما قوله: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا)، فإنه خبر من الله جل ذكره عن الذين آياس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من إيمانهم - من يهود بني إسرائيل، الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون - وهم الذين إذا لقوا الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: آمنا. يعني بذلك: أنهم إذا لقوا الذين صدقوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله، قالوا: آمنا - أي صدقنا بمحمد وبما صدقتم به، وأقررنا بذلك. أخبر الله عز وجل أنهم تخلقوا بأخلاق المنافقين، وسلخوا منهاجهم، كما:-

1335 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس قوله: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم)، وذلك أن نفرا من اليهود كانوا إذا لقوا محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا: > 250-2 < آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم.

1336 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا)، يعني المنافقين من اليهود، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: آمنا.

وقد روي عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر وهو ما:-

1337 - حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا)، أي: بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه إليكم خاصة.

1338 - حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) الآية، قال: هؤلاء ناس من اليهود، آمنوا ثم نافقوا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76)

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (وإذا خلا بعضهم إلى بعض) أي: إذا خلا بعض هؤلاء اليهود - الذين وصف الله صفتهم - إلى بعض منهم، فصاروا في خلاء من الناس

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

غيرهم, وذلك هو الموضع الذي ليس فيه غيرهم -" قالوا " يعني: قال بعضهم لبعض :- " أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ."

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (بما فتح الله عليكم). فقال بعضهم بما:-

1339 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن > 2-251 < عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم)، يعني: بما أمركم الله به. فيقول الآخرون: إنما نستهزئ بهم ونضحك.

وقال آخرون بما:-

1340 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن اسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، أَي: بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فكان منهم. (99) فأنزل الله: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاوكم به عند ربكم)، أي: تقرون بأنه نبي، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا؟ اجدوه ولا تقروا لهم به. يقول الله: أَوْلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ .

1341 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم)، أي بما أنزل الله عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم.

1342 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة: (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم)، أي: بما من الله عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم، فإنكم إذا فعلتم ذلك احتجوا به عليكم، (أفلا تعقلون).

< 2-252 >

1343 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم)، ليحتجوا به عليكم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1344 - حدثني المثنى قال، حدثني آدم قال، حدثنا أبو جعفر قال، قال قتادة: (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم)، يعني: بما أنزل الله عليكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته.

وقال آخرون في ذلك بما:-

1345 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) قال: قول يهود بني قريظة، (100) حين سبهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم إخوة القردة والخنزير، قالوا: من حدثك؟ هذا حين أرسل إليهم علياً فأذوا محمداً، فقال: يا إخوة القردة والخنزير. (101)

1346 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله - إلا أنه قال: هذا، حين أرسل إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأذوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اخسئوا يا إخوة القردة والخنزير".

1347 - حدثنا القاسم قال، حدثني الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، أخبرني القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله: (أتحدثونهم بما فتح > 253-2 < الله عليكم)، قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم فقال: "يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت". فقالوا: من أخبر هذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم! (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم)! بما حكم الله، للفتح، ليكون لهم حجة عليكم. قال ابن جريج، عن مجاهد: هذا حين أرسل إليهم علياً فأذوا محمداً صلى الله عليه وسلم. (102)

وقال آخرون بما:-

1348 - حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) - من العذاب - "ليحاجوكم به عند ربكم" هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب، ليقولوا نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم؟

وقال آخرون بما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1349 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم): قال: كانوا إذا سئلوا عن الشيء قالوا: أما تعلمون في التوراة كذا وكذا؟ قالوا: بلى! - قال: وهم يهود - فيقول لهم رؤساؤهم الذين يرجعون إليهم: ما لكم تخبرونهم بالذي أنزل الله عليكم فيحاجوكم به عند ربكم؟ أفلا تعقلون؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن (103). فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق: اذهبوا فقولوا أمنا، واكفروا إذا رجعتم. قال: فكانوا يأتون المدينة باليكر ويرجعون إليهم بعد العصر (104) وقرأ قول الله: وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [آل عمران: 72]. وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة: نحن مسلمون. ليعلموا خير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره، فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر. فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهم، قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون. وكان المؤمنون الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنون أنهم مؤمنون، فيقولون لهم: أليس قد قال الله لكم كذا وكذا؟ فيقولون: بلى! فإذا رجعوا إلى قومهم [يعني الرؤساء] - قالوا: "أتحدثونهم بما فتح الله عليكم"، الآية. (105)

وأصل "الفتح" في كلام العرب: النصر والقضاء، والحكم. يقال منه: "اللهم افتح بيني وبين فلان"، أي احكم بيني وبينه، ومنه قول الشاعر:

ألا أبلغ بني عُصْمِ رسولا

بأنني عن فتاحتكم غني (106)

قال أبو جعفر: قال: ويقال للقاضي: "الفتاح" (107) ومنه قول الله عز وجل: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [الأعراف: 89] أي احكم بيننا وبينهم.

فإذا كان معنى الفتح ما وصفنا، تبين أن معنى قوله: (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) إنما هو أتحدثونهم بما حكم الله به عليكم، وقضاه فيكم؟ ومن حكمه جل ثناؤه عليهم ما أخذ به ميثاقهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به في التوراة. ومن قضائه فيهم أن جعل منهم القردة والخنازير، وغير ذلك من أحكامه وقضائه فيهم. وكل ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به، حجة على

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

المكذبين من اليهود < 255-2 > المقربين بحكم التوراة، وغير ذلك [من أحكامه وقضائه]. (108)

فإذ كان كذلك. (109) فالذي هو أولى عندي بتأويل الآية قول من قال: معنى ذلك: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى خلقه؟ لأن الله جل ثناؤه إنما قص في أول هذه الآية الخبر عن قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه: آمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؛ فالذي هو أولى بأخرها أن يكون نظير الخبر عما ابتدئ به أولها.

وإذا كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون تلاومهم، كان فيما بينهم، فيما كانوا أظهروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه من قولهم لهم: آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به. وكان قيلهم ذلك، من أجل أنهم يجدون ذلك في كتبهم، وكانوا يخبرون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. فكان تلاومهم - فيما بينهم إذا خلوا - على ما كانوا يخبرونهم بما هو حجة للمسلمين عليهم عند ربهم. وذلك أنهم كانوا يخبرونهم عن وجود نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم، ويكفرون به، وكان فتح الله الذي فتحه للمسلمين على اليهود، وحكمه عليهم لهم في كتابهم، أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث. فلما بعث كفروا به، مع علمهم بنبوته.

قال أبو جعفر: وقوله: (أفلا تعقلون)، خبر من الله تعالى ذكره - عن اليهود اللائمين إخوانهم على ما أخبروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فتح الله لهم عليهم - أنهم قالوا لهم: أفلا تفقهون أيها القوم وتعقلون، أن إخباركم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما في كتبكم أنه نبي مبعوث، حجة لهم عليكم عند ربكم، يحتجون بها عليكم؟ أي: فلا تفعلوا ذلك، ولا تقولوا لهم مثل ما قلتم، ولا تخبروهم < 256-2 > بمثل ما أخبرتموهم به من ذلك. فقال جل ثناؤه: **أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ .**

الهوامش:

- (1) في المطبوعة: "فبين لهم أنها بسن . . ." ، والفاء لا مكان لها هنا .
- (2) الضرع: الضعيف الضاوي الجسم .
- (3) الحديث: 1234 - رواه هنا دون إسناد . وهو من حديث أبي هريرة . ووقع في آخره خطأ ، قلب معناه . واللفظ الصحيح ، بالمعنى الصحيح: "فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم" . هذا لفظ البخاري . وقد أفاض الحافظ في شرحه ، في الفتح 13 : 219 - 226 . ورواه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أيضًا أحمد : 7361 ، بنحو معناه . وأشرنا هناك إلى كثير من طرقه في المسند وغيره وكذلك رواه مسلم 2 : 221 ، بنحوه ، من طرق . وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه ، من طرق : 17 ، 18 ، 19 ، 20 (بتحقيقنا) وفي رواية ابن حبان : 17 ، "قال ابن عجلان : فحدثت به أبان بن صالح ، فقال لي : ما أجود هذه الكلمة ، قوله : فأتوا منه ما استطعتم" . وهو الحديث التاسع من الأربعين النووية ، وقد شرحه ابن رجب ، في جامع العلوم والحكم ، شرحا مسهبا . ولعل الخطأ الذي وقع هنا خطأ من الناسخين . فما أظن الطبري يخفي عليه ما في هذا اللفظ من تهافت .

(4) الخبر : 1236 - جاء شيخ الطبري هنا باسم "عمرو بن عبد الأعلى" ! وما وجدت راويا يسمى بهذا . وإنما هو "محمد بن عبد الأعلى الصنعاني" ، من شيوخ مسلم وأبي داود وغيرهما ، كما مضى مثل هذا الإسناد على الصواب : 1172 . ومحمد بن عبد الأعلى : بصري ثقة ، مات سنة 245 ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1 / 1 / 174 ، وابن أبي حاتم 16 / 1 / 4 .

(5) الخبر : 1242 - جاء في آخره حديث مرفوع ، ذكره ابن جريج . وهو مرسل لا تقوم به حجة . وسيأتي أيضًا : 1244 ، عن قتادة مرسلا . وذكر معناه ابن كثير 1 : 203 ، من تفسير أبي حاتم وابن مردويه ، بإسناديهما ، من رواية الحسن ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، مرفوعا ، بنحوه . قال ابن كثير : "وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي" .

(6) الخبر : 1246 - هذا الإسناد منقطع بين أبي بكر بن عياش وابن عباس ، كما هو ظاهر لأن أبا بكر يروي عن التابعين ، ومولده بعد موت ابن عباس بدهر . وهذا الخبر ذكره السيوطي 1 : 77 ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبي حاتم "من طرق" .

(7) الأثر : 1247 - سيأتي تمامه في رقم : 1273 .

(8) انظر ما مضى في تفسير "الظاهر ، والباطن" : 2 : 15 والمراجع .

(9) في المطبوعة : "ويؤيد حقيقة ما قلنا . . ." ، وهو خطأ ، وقوله "مؤيد حقيقة ما قلنا" معطوف على قوله أنفًا : "ففي إجماع جميعهم . . دليل واضح . . ومؤيد حقيقة ما قلنا . . وشاهد عدل . . ." .

(10) يعني الأعشى الكبير .

(11) ديوانه : 90 ، والحيوان 1 : 19 (وانظر أيضًا 1 : 301 ، 6 : 174) ، واللسان (ثور) وغيرها . من قصيدة يقولها لبني قيس بن سعد ، وما كان بينه وبينهم من قطيعة بعد مواصلة ومودة ، وقبل البيت :

وإني وما كلفتموني - وربكم

ليعلم من أمسى أعق وأحربا

لكالثور، والجثي يضرب ظهره

وما ذنبه إن عافت الماء مشربا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- قال الجاحظ : "كانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ، إما لكدر الماء أو لقلّة العطش ، ضربوا الثور ليقتم ، لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل ، وكما تتبع أتن الوحش الحمار . . وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصد الثيران عن الماء ، حتى تمسك البقر عن الشرب ، حتى تهلك . . كأنه قال : إذا كان يضرب أبدا لأنها عافت الماء ، فكأنها إنما عافت الماء ليضرب" .
- (12) يعني : أمية بن أبي الصلت .
- (13) ديوانه : 35 ، والحيوان 4 : 467 ، والأزمنة والأمكنة 2 : 124 ، وغيرها . وفي الأصل المطبوع : "باقر الطود للسهل" ، وفي الديوان والحيوان "باقرا يطرد السهل" ، وصواب الرواية ما أثبتته من الأزمنة . قال الجاحظ في ذكر نيران العرب : "ونار أخرى : وهي النار التي كانوا يستمطرون بها في الجاهلية الأولى . فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات ، وركد عليهم البلاء ، واشتد الجذب ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذناها وبين عراقبيها السلع والعشر ، ثم صعّدوا بها في جبل وعمر ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا" ، وقال ابن الكلبي : "كانوا يضرمون تفاعلا للبرق" والمهازيل جمع مهزول ، مثل هزيل وجمعه هزلي : وهي التي ضعفت ضعفا شديدا وذهب سمنها . وتبور : تهلك .
- (14) في المطبوعة : "والقراء" ، ورددتها إلى ما جرى عليه لفظ الطبري ، كما سلف مرارا .
- (15) وحدان جمع واحد : ويعني أفراده . وقوله "وتأنيته" معطوف على قوله "تذكير كل فعل" .
- (16) السياق : "فأنت (الخواوية) . . بمعنى النخل" ، يعني أنها من أجل معناه وهو جمع مؤنث ، ولم يذكره من أجل لفظه ، وهو مذكر .
- (17) في المطبوعة : "ورفعهم" ، والصواب ما أثبتته .
- (18) يعني أن ذلك من قولهم : هداه ، أي بين له ، ومنه قوله تعالى : "وأما ثمود فهديناهم" ، أي بينا لهم طريق الهدى .
- (19) سنت الناقة تسنو ، وسنا الرجل يسنو سنوا وسناية : إذا سقى الأرض . والسانية : هي الناضحة ، وهي الناقة أو غيرها مما يسقى عليها الزرع ، والجمع : السواني .
- (20) الذل : اللين ، ضد الصعوبة .
- (21) في المطبوعة : "تبين الأرض" ، وهو تصحيف .
- (22) الأثر : 1254 - سلف قريبا برقم : 1221 .
- (23) العوار (بفتح العين ، وتضم) : العيب .
- (24) انظر ما سلف في هذا الجزء : 211 تعليق : 1 .
- (25) السدى : الأسفل من الثوب ، واللحمة : الأعلى منه يداخل السدى .
- (26) ديوانه : 19 ، وسيرة ابن هشام 4 : 153 ، والروض الأنف 2 : 314 ، والفائق (فحل) ورواية الديوان "بجنيها" ورواية ابن هشام : "تسعى الغواة" . وقوله : "جنايبها" . والجنايب : الناحية ، ويريد ناحية الجنب . يقال : "جنبيه ، وجانيبه ، وجنايبه" ، والضمير في قوله : "جنايبها" لناقته التي ذكرها قبل . وقوله : "وقولهم : إنك . . " ، حال ، أي : وهم يقولون ، والمعنى يكثرون

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول عليه : إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول ، كأنهم لا يقولون غير ذلك ،
ترهيباً له وتخويفاً .
(27) في المطبوعة : " ووسيته سية" ، وهو كلام لا أصل له ، وكأنه مصحف
ما أثبت .

(28) في المطبوعة : "فتبيناه وعرفناه أنه بقرة عينت" ، تصحيف وتحريف ،
وهو فاسد جدا . مضى في ص "209 نقض الطبري لقول من زعم أنهم ظنوا
أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها . فسألوه أن يصفها لهم ليعرفوها ، وسمى قائل
ذلك : جاهلاً ، وشفى في بيان جهله ، فلو كان الله تعالى "عينها" لهم ، لبين
لهم ما عين ، إذا أمر بذبحها .

(29) الأثر : 1273 - بعض الأثر : 1247 ، وهنا زيادة عليه من تمامه .
(30) في المطبوعة : "الآن بينت لنا الحق في أمر البقرة ، فعرفنا أنها
الواجب علينا ذبحها منها" ، و"البقرة" و"أنها" تصحيف وتحريف ، يفسد معنى ما
قال الطبري بنفا ص : 209 ، وما سيأتي بعد هذه الجملة . وانظر التعليق
السالف رقم : 1 .

(31) السياق : "كان مبينا لهم . . الحق" ، ما بينهما فصل ، كعادته في الفصل

(32) الخبر : 1275 - محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل الهلالي ، شيخ
الطبري : ثقة ، روى عنه أيضاً أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم . مترجم
في التهذيب ، ولم أجد له ترجمة في غيره . عبد العزيز ابن الخطاب الكوفي
أبو الحسن : ثقة ، روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما ، مترجم في
التهذيب ، وابن أبي حاتم 381/2/2 . أبو معشر : هو نجيح - بفتح النون - بن
عبد الرحمن السندي - بكسر السين - المدني ، وهو ضعيف . البخاري في
الكبير 114/2/4 ، وقال : "منكر الحديث" وابن أبي حاتم 495/1/4 . محمد
بن كعب القرظي : تابعي ثقة معروف .

(33) المسك (بفتح فسكون) : جلد البقرة وغيرها من الحيوان .

(34) في المطبوعة : محمد بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثني يحيى" ،
وهذا خطأ ، والصواب ما أثبتته . وقد مضى الكلام على هذا الإسناد في 1 :
263 - 264 ، وهو كثير الدوران في تفسير الطبري" ، وسيأتي بعد في رقم :
1290 على الصواب .

(35) لم أجد البيت في مكان ، وكان في المطبوعة .

خشية طغام إذا هم حسر

.....

وهو كلام مختل . والضغام من الضغم : وهو أن يملأ فمه مما أهوى إليه .
وجسر جسورا وجسارة مضى ونفذ من شدة إقدامه .
(36) ديوانه : 166 من قصيدة يصف بها نفسه . والضمير في قوله : "أدركتها"
إلى ما سبق في رجزه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَحَقَّةٍ لَيْسَتْ بِقَوْلِ التَّرَةِ

وقوله : "حقه" ، يعني خصومة أو منافرة أو مفاخرة ، أو ما أشبه ذلك .
والمدره : هو المدافع الذي يقدم عند الخصومة ، بلسان أو يد . والعنجه
والعنجهي : ذو الكبر والعظمة حتى كاد يبلغ الجهل والحمق ومنه العنجهية .
(37) الحديث : 1291 - في هذا الإسناد ضعف ، وفي الحديث نفسه اضطراب
، كما سيأتي : أبو كريب : هو محمد بن العلاء بن كريب الحافظ ، ثقة كبير
، من شيوخ أصحاب الكتب الستة ، روى عنه الطبري كثيرا . مات سنة
248 . مصعب بن المقدم الخثعمي : ثقة ، وضعفه بعضهم ، وأخرج له مسلم
في صحيحه ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/4 / 354 ، وابن أبي
حاتم 1/4 / 308 . إسرائيل : هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، وهو
ثقة حافظ معروف . إبراهيم بن المهاجر بن جابر البجلي : ثقة ، تكلم فيه
بغير حجة ، وأخرج له مسلم . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/1 /
328 ، وصرح بأنه سمع مجاهدا ، وابن أبي حاتم 1/1 / 132 - 133 . السائب
: صحابي - كما هو ظاهر من هذا الحديث وغيره ، واختلف فيه كثيرا ، فقليل
: "السائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ . . ." ، وقيل : "السائب بن عبد
الله المخزومي" ، بل قيل أيضًا : "قيس بن السائب" ! والذي جزم به البخاري
في الكبير 152 / 2 / 2 واقتصر عليه : "السائب بن أبي السائب القرشي
المكي ، له صحبة" . وكذلك صنع ابن أبي حاتم 1/2 / 242 ، وقال : "منهم
من يقول : له صحبة ، ومنهم من يقول : لأبيه صحبة . روى عنه مجاهد .
يقال : "إنه مولى مجاهد من فوق" . وفي الإصابة 3 : 60 نقلا عن ابن أبي
شيبه ، أنه روى من طريق يونس بن خباب عن مجاهد : "كنت أقود السائب
، فيقول لي : يا مجاهد . . ." . ولو صح هذا لثبت اتصال الإسناد ، لكن يونس
بن خباب ضعيف .

والحديث روى أحمد في المسند : 15566 (3 : 425 حلي) نحو معناه ، بزيادة
ونقص ، عن أسود بن عامر ، عن إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن
مجاهد ، "عن السائب بن عبد الله" ، ثم روى بعده مثله ، بمعناه ، مطولا
ومختصرا ، من طرق ، وفي بعضها "عن مجاهد ، عن قائد السائب ، عن
السائب" .

وروى أبو داود : 4836 ، نحوه ، من طريق الثوري ، عن إبراهيم بن المهاجر
، عن مجاهد ، عن قائد السائب ، عن السائب وقال المنذري في تهذيب
السنن : 4669 "وأخرجه النسائي وابن ماجه . . وهذا الحديث قد اختلف في
إسناده اختلافا كثيرا . وذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري : أن هذا
الحديث مضطرب جدا . . وهذا الاضطراب لا تقوم به حجة" .

وقد وقع في متن الحديث هنا خطأ ، لا ندري : أهو من الرواية ، أم من
الناسخين . وذلك قوله "جاءني عثمان وزهير ابنا أمية" . فلا يوجد في الصحابة
من يسمى بهذا ولا بذاك . والصواب ما في رواية المسند : 15566 "جاء بي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عثمان بن عفان ، وزهير" . وزهير : هو ابن أبي أمية ، أخو أم سلمة ، أم المؤمنين ، وهي بنت أبي أمية . كما بين ذلك في الإصابة 3 : 13 - 14 ، إذ قال : "وروى ابن منده من طريق مجاهد ، عن السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذهب بي عثمان ، وزهير بن أبي أمية . . "

وانظر نسب قريش للمصعب ، ص : 333 . حيث جزم بأن "السائب بن أبي السائب صيفي" قتل يوم بدر كافراً؛ وانظر أيضًا الإشارة إلى أصل القصة في الإصابة 3 : 13 - 14 ، 60 ، و 4 : 74 ، و 5 : 253 - 254 . والموضوع لا يزال محتاجاً إلى تحقيق وبحث .

(38) لم أعرف قائله ، وسيأتي في 10 : 94 (بولاق) ، وفي المطبوعة هنا "اشتاقها" وهو خطأ والصحيح ما أثبتته من هناك . وساف الشيء يسوفه سواً واستافه : دنا منه وشمه . واستعاره للقبلة ، كما استعاروا الشتم للقبلة ، لأن دنو الأنف يسبق ما أراد المرید . قال الراعي يصف ما يصف من القبلة

يثني مُساوفها غضروف أرنبة

شماء، من رخصة في غيرها غيد

قال الزمخشري : "ساوفتها" ضاجعتها ، ولكنه في البيت : الذي يُقبَّل .

(39) انظر ما سلف رقم : 1172 ، 1180 .

(40) انتفل من الشيء : انتفى منه وتبرأ ، وأنكر أن يكون فعله أو عرفه

وفي حديث ابن عمر : "إن فلانا انتفل من ولده" أي تبرأ منه .

(41) في المطبوعة : "ولم يشك فيه" ، وهو خطأ وتصحيف . "لم يشك" فاصلة بين الفعل وحرفه .

(42) الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ليستقيم معناه ، وأخشى أن يكون في الأصول تحريف لم أعثر على صوابه .

(43) تشرف الشيء واستشرفه : وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس ، حتى يبصره ويستبينه .

(44) لعل الصواب : "كثُر في أصحابه" .

(45) "ذلك" في قوله : "لما كتم ذلك" مفعول ، هو كناية عن قوله : "هو قتل القاتل القتل" .

(46) في المطبوعة : " . . بقوله فقلنا لقوم موسى" ، والصواب زيادة لفظ الآية ، كما فعلت .

(47) الخبر : 1307 - النضر بن عربي الباهلي : ثقة من أتباع التابعين ، وثقه

ابن معين وغيره ، مات سنة 168 ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري

89/ 2 / 4 ، وابن أبي حاتم 475 / 1 / 4 .

(48) البضعة : القطعة من اللحم ، قولهم : بضع اللحم : قطعه .

(49) آراب جمع إرب (بكسر فسكون) : وهو العضو ، يقال : قطعه إرباً إرباً ، أي عضوا عضواً .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (50) الزيادة بين القوسين ، أولى من حذفها .
(51) في المطبوعة : "يدل على ذلك قوله . . ." ، وليست بشيء .
(52) في المطبوعة : "فإنما احتج . ." ، والفاء ليست بشيء هنا .
(53) انظر ما سلف 1 : 552 ، وهذا الجزء 2 : 139 .
(54) لم أعرف قائله ، وسيأتي في 6 : 99 (بولاق) ، وكان في الأصل هنا "وقسا لدنى" ، وهو خطأ . ولداتي جمع لدة ، ولدة الرجل : تربه ، ولد معه . وقسا هنا بمعنى : أسن وكبر وولي شبابه ، وجف عوده . ولم ترد بذلك المعنى في المعاجم .
(55) أنا في شك في ضبطه المصدر الأول من هذه المصادر الأربعة وهو "قسوا" ، وتبعته في ضبطه القاموس المحيط ، وإن ، كان قد ضبط بالقلم ، وأخشى أن يكون مصدرا على "فعل" مثل دنا يدنوا دنوا ، وسما يسمو سموا .
(56) في المطبوعة : "وما السبب" وليست بشيء .
(57) سياق العبارة بلا فصل "من بعد أن أحيى المقتول لهم . . . وفصل بخبره بين المحق منهم والمبطل" .
(58) كانت هذه الجملة في المطبوعة هكذا : "كالحجارة صلابة ويبسا وغلظا وشدة ، أو أشد صلابة ، يعني قلوبكم عن الإذعان لواجب حق الله عليهم ، والإقرار له باللازم من حقوقه لهم من الحجارة" . وكأنها سهو من الناسخ ، فرددته إلى أصله بحمد الله .
(59) اللسان (سكن) . غاله الشيء يغوله : ذهب به فلم تدر أين هو وأجن : ستر وأخفى .
(60) ما بين القوسين زيادة لا بد منها حتى يستقيم الكلام ، استظهرته من قوله بعد : "ولكنه أبهم على المخاطب" ، ومن تفسير ابن كثير 1 : 209 ، 210 .
(61) ديوانه : 32 (من نفائس المخطوطات) ، والأغاني 11 : 113 ، وإنباه الرواة 1 : 17 ، وسيأتي البيت الثاني وحده في 22 : 65 (بولاق) ورواية الديوان : "وفيهم أسوة إن كان غيا" .
(62) قوله "في الهادي من الضلال" يعني نبيه صلى الله عليه وسلم . وعبارة الأغاني : أفترى الله عز وجل شك في نبيه" .
(63) سلف هذا البيت وتخرجه في 1 : 337 .
(64) ديوانه : 32 ، وروايته هناك "ونصفه" . وهو من قصيدته المشهورة التي يعتذر فيها إلى النعمان . والضمير في قوله : "قالت" إلى "فتاة الحي" ، المذكورة في شعر قبله ، وهي زرقاء اليمامة . وهو خبر مشهور ، لا نطيل بذكره .
(65) في المطبوعة : "فهي أوجه في القسوة من أن تكون كالحجارة أو أشد" ، واستظهرت تصويبه مما مضى آنفاً ، ومن تأويله بعد ، فوضعت "إما" مكان "من" .
(66) انظر ما سلف في 1 : 327 - 328 .
(67) في المطبوعة : "من وجد إلى ذلك سبيلا" . وهو خطأ .
(68) زدت ما بين القوسين ، ليستقيم الكلام .
(69) في المطبوعة : "بذكر الماء عن ذكر الأنهار" ، وهو خطأ بين .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (70) في المطبوعة : "وإنما ذكر فقيل . . . " ، وهو لا شيء .
- (71) في المطبوعة : "من : فجر الماء" ، وهو خطأ يدل السياق على خلافه ، وهو ما أثبت .
- (72) طبقات فحول الشعراء : 369 ، والأغاني 8 : 72 ، وروايتهما "إلا انحدارا" ، وراوية الطبري أعرق في الشعر . وفي المطبوعة "قربت" ، وهو خطأ محض . قاله عمر بن لجأ حين أخذهما أبو بكر ابن حزم - بأمر الوليد بن عبد الملك - فقرنهما ، وأقامهما على البلس يشهر بهما ، فكان التميمي ينشد هذا البيت في هجاء جرير . وقوله : "ذو بطنه" ، كناية جيدة عما يشماز من ذكره .
- (73) أسقط ذكر الآية في المطبوعة ، كأنه استطال التكرار؛ وأقمنا الكلام على نهج أبي جعفر وفي المطبوعة : "لحجارة تشقق" ، وردتها إلى الصواب أيضًا .
- (74) تردى من الجبل ترديا : طاح وسقط .
- (75) انظر ما سلف 1 : 534 ، وهذا الجزء 2 : 132 .
- (76) سياق هذه العبارة : جعل منها مثلا لقلوب الذين .
- (77) وسياق هذه الجملة : وإنما وصف الله بما وصفها به . . معذرة منه لها" أي للحجارة ، وما بين ذلك فصل كدأب جعفر رحمه الله .
- (78) يريد قوله تعالى في سورة النحل : 48 (لَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّقِيًّا ظَلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) . وانظر تفسير الآية من تفسير الطبري 14 : 78 ، 79 (بولاق) .
- (79) يريد قوله تعالى في سورة الأعراف : 143 : (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا) .
- (80) الحديث : 1324 - قصة حنين الجذع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، متواترة صحيحة ، لا يشك في صحتها إلا من لا يريد أن يؤمن . وقد عقد الحافظ ابن كثير في التاريخ بابا لذلك 6 : 125 - 132 قال في أوله : "باب حنين الجذع شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشفقا من فراقه . وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة ، بطرق متعددة ، تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن ، وفرسان هذا الميدان، ثم ساق من الأحاديث الصحاح من دواوين السنة . وانظر منها في المسند: 2236 ، 3430 من حديث ابن عباس . و 2237 ، 3431 ، من حديث أنس . و 3432 من حديث ابن عباس وأنس . وصحيح البخاري 6 : 443 (من الفتح) .
- (81) الحديث : 1325 - روى مسلم في صحيحه 2 : 203 - 204 ، عن جابر بن سمرة قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأعرف حجرا بمكة ، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن" . وذكره ابن كثير في التاريخ 6 : 134 ، من مسند أحمد ، ثم نسبه لصحيح مسلم ، ومسند الطيالسي .
- (82) مضى هذا البيت في هذا الجزء : 2 : 104 وورد هنا "تري الأكم فيها" والصواب ما أثبتته ، كما مضى آنفاً ، وفي الأضداد لابن الأنباري "منها" مكان "فيها" .
- (83) المفضليات : 407 ، والأضداد لابن الأنباري : 257 . من قصيدته المحكمة . و"ساجد" منصوب إذ قبله ، في ذكر عدوه هذا :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم ولي وهو لا يحمى استه

طائر الإتراف عنه قد وقع

وفي الأصل المطبوع : "إذ يرفعه" ، وهو خلل في الكلام . وأثبت ما في المفضليات ، ورواية ابن الأنباري : "ما يرفعه" . . يقول أذله فطأطأ رأسه خزبا ، وألزم الأرض بصره ، وصار كأنه أصم لا يسمع ما يقال له ، فهو لا حراك به ، مات وهو حي قائم ، لا يحير جوابا . ولذلك قال بعده :

فر مني هاربا شيطانه

حيث لا يعطى، ولا شيئا منع

(84) هذه الجملة كانت قبل البيت ، فرددتها إلى حيث ينبغي أن ترد .

(85) سلف هذا البيت وتخرجه في هذا الجزء 2 : 17 ، وروايته هناك "خبر

الزبير" ، وهي أصح وأجود .

(86) سلف هذا البيت وتخرجه في 1 : 317 من طبعتنا هذه ، وأغفلت هناك

أن أردته إلى هذا الموضع من التفسير ، فقيده .

(87) ليت من تهور من أهل زماننا ، فاجترأ على جعل كتاب ربه منبعاً

يستقى منه ما يشاء لأهوائه وأهواء أصحاب السلطان - سمع ما يقول أبو

جعفر ، فيما تجيزه لغة العرب ، فكيف بما هو تهجم على كلام ربه بغير علم

ولا هدى ولا حجة؟ اللهم إنا نبرأ إليك منهم ، ونستعيذ بك أن نضل على

آثارهم .

(88) انظر ما سلف 1 : 559 - 560 ، وهو من تفسير "فارهبون" ، ولم ترد

مادة (خشبي) في القرآن قبل هذا الموضع ، فلذلك قطعت بأنه أحال على

هذه الآية .

(89) كانت في المطبوعة "يحصيها" . . فيجازيكم . . أو يعاقبكم" بالياء في أولها

جميعاً ، واستجرت أن أردتها إلى الاسمية ، لأن الطبري هكذا يقول ، وقد

سلف مثل ذلك مرارا ، ورأيت النسخا تصرفوا فيه كما بيناه في موضعه .

فاستأنست بنهجه في بيانه ، وهو أبلغ وأقوم .

(90) ديوانه : 137 ، وفي المطبوعة : "أخذوا" خطأ . أجد السير : انكمش فيه

وأسرع مصعد : مبتدئ في صعوده إلى نجد والحجاز . ومُصَوَّبٌ منحدر في

رجوعه إلى العراق والشام وأشباه ذلك وبعد البيت من تمامه .

طلبتهم، تطوى بي اليد جَسْرَة

شُوبَقَةُ الناين وجَناءِ دِغْلِب

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (91) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 38 ، 39 .
- (92) يعني : "ذلك الكتاب" المحرف ، لا "كتاب الله" الصادق .
- (93) ما بين القوسين زيادة من ابن كثير 1 : 212 .
- (94) في المطبوعة "وإيدانا منه . . وقطع أطماعهم" بالعطف بالواو ، وليس يستقيم . وأذنه الأمر وأذنه به يذانا : أعلمه . فقوله : "قطع" منصوب مفعول ثان للمصدر "إيدانا" .
- (95) قوله : "وأقرب" ، معطوف على قوله : "أحري . . " .
- (96) قوله : "من أوائلهم . . " متعلق بقوله أنفًا : "أحري أن يجحدوا . . وأقرب إلى أن يحرفوا . . " .
- (97) سياق العبارة : فخصوص المحرف بأنه . . لا معنى له " .
- (98) الزيادة بين القوسين لا بد منها .
- (99) قوله : "فكان منهم" ، أي كان منهم النبي الذي كانوا يستفتحون به على مشركي العرب ويستنصرون ، ويرجون أن يكون منهم ، فكان من العرب . وسيأتي خبر استفتاحهم بعد في تفسير الآية : 89 من سورة البقرة في هذا الجزء .
- (100) في المطبوعة : "يهود من قريظة" ، ليست يشيء .
- (101) من أول قوله : "قالوا من حدثك؟ . . " إلى آخر العبارة ، تفسير للقصة قبله . وقوله "فقال : يا إخوة القردة والخنازير" من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا كلام علي رضي الله عنه . وسيظهر ذلك في الخبرين بعده .
- (102) الأثر : 1347 - في ابن كثير 1 : 214 وفيه : "من أخبر بهذا الأمر محمدا؟ ما خرج هذا القول إلا منكم" .
- (103) قصبة القرية : وسطها وجوفها . وقصبة البلاد : مدينتها ، لأنها تكون في أوسطها .
- (104) البكر جمع بكرة (بضم فسكون) : وهي الغدوة ، أول النهار .
- (105) الأثر : 1349 في ابن كثير 1 : 213 - 214 ، والزيادة بين القوسين منه .
- (106) ينسب للأسعر الجعفي ، ومحمد بن حمران بن أبي حمران . انظر تعليق الراجكوتي في سمط اللآئ : 927 .
- (107) أمالي القالي 2 : 281 واللسان (فتح) (رسل) ، وغيرهما ، وبنو عصم ، هم رهط عمرو ابن معد يكرب الزبيدي . وقد اختلفت روايات البيت اختلافا شديدا ، وليس هذا مكان تحقيقها ، لطولها .
- (108) ما بين القوسين ، زيادة استظهرتها من سابق بيانه ، ليستقيم الكلام .
- (109) في المطبوعة : "فإن كان كذلك" ، والزيادة ماضية على نهج أبي جعفر .

القول في تأويل قوله تعالى : **أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** (77)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)، أَوْ لَا يَعْلَم - هؤلاء اللائمون من اليهود إخوانهم من أهل ملتهم،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

على كونهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وعلى إخبارهم المؤمنين بما في كتبهم من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه، القائلون لهم: **أُخَذَتْهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُخَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ** - أن الله عالم بما يسرون، فيخفونه عن المؤمنين في خلائهم = من كفرهم، وتلاومهم بينهم على إظهارهم ما أظهروا لرسول الله وللمؤمنين به من الإقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم، وعلى قيلهم لهم: آمنا، ونهي بعضهم بعضا أن يخبروا المؤمنين بما فتح الله للمؤمنين عليهم، وقضى لهم عليهم في كتبهم، من حقيقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه = وما يعلنون، فيظهرونه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابه المؤمنين به إذا لقوهم، من قيلهم لهم: آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، نفاقا وخداعا لله ولرسوله وللمؤمنين؟ كما:-

1350 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (أَوَّلًا يَعْلَمُونَ أن الله يعلم ما يسرون)، من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم إذا خلا بعضهم إلى بعض، (وما يعلنون) إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: آمنا ليرضوهم بذلك.

1351 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن < 257-2 > الربيع، عن أبي العالية: (أَوَّلًا يَعْلَمُونَ أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون)، يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتكذيبهم به، وهم يجدونه مكتوبا عندهم، (وما يعلنون)، يعني: ما أعلنوا حين قالوا للمؤمنين: آمنا.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ**

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (ومنهم أميون)، ومن هؤلاء -اليهود الذين قص الله قصصهم في هذه الآيات، وأياس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من إيمانهم فقال لهم: **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ** ، وهم إذا لقوكم قالوا: آمنا، كما:-

1352 - حدثنا المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (ومنهم أميون)، يعني: من اليهود.

1353 - وُحِّدَتْ عَنْ عَمَارٍ قَالَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ.

1354 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (ومنهم أميون)، قال: أناس من يهود.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني بـ " الأميين " ، الذين لا يكتبون ولا يقرءون.

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب " (1) يقال منه: " رجل أمي بين الأمية " . (2) كما:-

1356 - حدثني المثنى قال، حدثني سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن > 258-2
< المبارك، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: (ومنها أميون لا يعلمون
الكتاب)، قال: منهم من لا يحسن أن يكتب. (3)

1357 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله:
(ومنها أميون) قال: أميون لا يقرءون الكتاب من اليهود.

وروي عن ابن عباس قول خلاف هذا القول، وهو ما:-

1358 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن
أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (ومنها أميون)، قال: الأميون قوم لم
يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، > 259-2
< ثم قالوا لقوم سيفلة جهال: هذا من عند الله. وقال: قد أخبر أنهم يكتبون
بأيديهم، ثم سماهم أميين، لجهودهم كتب الله ورسله. (4)

قال أبو جعفر: وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب
المستفيض بينهم، وذلك أن " الأمي " عند العرب: هو الذي لا يكتب.

قال أبو جعفر: وأرى أنه قيل للأمي " أمي "؛ نسبة له بأنه لا يكتب إلى " أمه
"، لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من
الرجال -إلى أمه- في جهله بالكتابة، دون أبيه، كما ذكرنا عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قوله: " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب "، وكما قال: هُوَ
الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ [الجمعة: 2]. (5) فإذا كان معنى " الأمي " في كلام العرب ما
وصفنا، فالذي هو أولى بتأويل الآية ما قاله النخعي، من أن معنى قوله:
(ومنها أميون): ومنهم من لا يحسن أن يكتب.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (لا يعلمون الكتاب)، لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله، ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه، كهيئة البهائم، كالذي:-

1359 - حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا > 2-
< 260 معمر، عن قتادة في قوله، (ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى):
إنما هم أمثال البهائم، لا يعلمون شيئاً.

1360 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة
قوله: (لا يعلمون الكتاب)، يقول: لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه.

1361 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن
أبي العالية: (لا يعلمون الكتاب) لا يدرون ما فيه.

1362 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي
محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس: (لا يعلمون الكتاب)
قال: لا يدرون بما فيه.

1363 - حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (لا يعلمون
الكتاب)، لا يعلمون شيئاً، لا يقرءون التوراة. ليست تستظهر، إنما تقرأ هكذا.
فإذا لم يكتب أحدهم، لم يستطع أن يقرأ. (6)

1364 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن
أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس في قوله، (لا يعلمون الكتاب)، قال: لا
يعرفون الكتاب الذي أنزله الله.

قال أبو جعفر: وإنما عني بـ " الكتاب " : التوراة، ولذلك أدخلت فيه " الألف
واللام " لأنه قصد به كتاب معروف بعينه.

ومعناه: ومنهم فريق لا يكتبون، ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه الذي
هو عندهم - وهم ينتحلونه ويدعون الإقرار به - من أحكام الله وفرائضه، وما
فيه من حدوده التي بينها فيه.

[واختلف أهل التأويل في تأويل قوله] (7) (إلا أمانى) فقال بعضهم بما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-261 >

1365 - حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (إلا أمانى)، يقول: إلا قولا يقولونه بأفواههم كذبا.

1366 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (لا يعلمون الكتاب إلا أمانى): إلا كذبا.

1367 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون بما:-

1368 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (إلا أمانى)، يقول: يتمنون على الله ما ليس لهم.

1369 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: (إلا أمانى)، يقول: يتمنون على الله الباطل وما ليس لهم.

1370 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح، [عن معاوية بن صالح]، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: (لا يعلمون الكتاب إلا أمانى)، يقول: إلا أحاديث.

1371 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى)، قال: أناس من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئا، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب. أمانى يتمنونها.

1372 - حدثنا المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (إلا أمانى)، يتمنون على الله ما ليس لهم.

1373 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (إلا أمانى)، قال: تمنوا فقالوا: نحن من أهل الكتاب. وليسوا منهم.

< 2-262 >

قال أبو جعفر: وأولى ما روينا في تأويل قوله: (إلا أمانى)، بالحق، وأشبهه بالصواب، الذي قاله ابن عباس - الذي رواه عنه الضحاك - وقول مجاهد: إن "

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الأميين " الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية، أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله على موسى شيئاً، ولكنهم يتخرصون الكذب ويقولون الأباطيل كذبا وزورا. (8)

و " التمني" في هذا الموضوع، هو تخلق الكذب وتخرصه وافتعاله. يقال منه: " تمنيت كذا"، إذا افتعلته وتخرصته. ومنه الخبر الذي روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: " ما تغنيت ولا تمنيت"، (9) يعني بقوله: " ما تمنيت"، ما تخرصت الباطل، ولا اختلقت الكذب والإفك.

والذي يدل على صحة ما قلنا في ذلك - وأنه أولى بتأويل قوله: (إلا أمانى) من غيره من الأقوال - قول الله جل ثناؤه: وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَطْمُتُونَ . فأخبر عنهم جل ثناؤه أنهم يتمنون ما يتمنون من الأكاذيب، ظنا منهم لا يقينا. ولو كان معني ذلك أنهم " يتلون"، لم يكونوا ظانين، وكذلك لو كان معناه: " يشتهونه". لأن الذي يتلوه، إذا تدبره علمه. ولا يستحق - الذي يتلو كتابا قرأه، وإن لم يتدبره بتركة التدبير أن يقال: هو ظان لما يتلو، إلا أن يكون شاكاً في نفس ما يتلوه، لا يدري أحق هو أم باطل. ولم يكن القوم - الذين كانوا يتلون التوراة على عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود - فيما بلغنا - > 263-2 < شاكين في التوراة أنها من عند الله. وكذلك " المتمني" الذي هو في معنى " المشتبه" غير جائز أن يقال: هو ظان في تمنيه. لأن التمني من المتمني، إذا تمنى ما قد وجد عينه. فغير جائز أن يقال: هو شك، فيما هو به عالم. لأن العلم والشك معنيان ينفي كل واحد منهما صاحبه، لا يجوز اجتماعهما في حيز واحد. والمتمني في حال تمنيه، موجود تمنيه، فغير جائز أن يقال: هو يظن تمنيه. (10)

وإنما قيل: (لا يعلمون الكتاب إلا أمانى)، والأمانى من غير نوع " الكتاب"، كما قال ربنا جل ثناؤه: مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ [النساء: 157] و " الظن" من " العلم" بمعزل. وكما قال: وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَى * إِلَّا اتِّبَاعًا وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى [الليل: 19-20]، وكما قال الشاعر: (11)

ليس بيني وبين قيس عتاب

غير طعن الكلى وضرب الرقاب (12)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكما قال نابغة بني ذبيان:

حلفت يمينا غير ذي مَثْوِيَّة،

ولا علم إلا حسنَ ظن بصاحب (13)

< 2-264 >

في نظائر لما ذكرنا يطول بإحصائها الكتاب. (14)

ويخرجُ بـ "إلا" ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفته، وإن كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن غير نوعه، ويسمي ذلك بعض أهل العربية "استثناء منقطعاً"، لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد "إلا" عن معنى ما قبلها. وإنما يكون ذلك كذلك، في كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان "إلا" لكن "؛ فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول، ألا ترى أنك إذا قلت: (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) ثم أردت وضع "لكن" مكان "إلا" وحذف "إلا"، وجدت الكلام صحيحاً معناه، صحته وفيه "إلا"؟ وذلك إذا قلت: ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أمانى. يعني: لكنهم يتمنون. وكذلك قوله: مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ، لكن اتباع الظن، بمعنى: لكنهم يتبعون الظن. وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا.

وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ: (15) (إلا أمانى) مخففة. ومن خفف ذلك وجهه إلى نحو جمعهم "المفتاح" "مفتاح"، و "القرقور"، "قراقر"، (16) وأن < 265-2 > ياء الجمع لما حذف خففت الياء الأصلية - أعني من "الأمانى" - كما جمعوا "الأثنية" "أثافي" مخففة، كما قال زهير بن أبي سلمى:

أثافي سَفْعَا فِي مُعَرَّسٍ مِرْجَلٍ

وئُؤْيَا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَلَمَّ (17)

وأما من ثقل: (أمانى) فشدد ياءها، فإنه وجه ذلك إلى نحو جمعهم "المفتاح" مفاتيح، والقرقور قراقرير، والزنبور زنابير، فاجتمعت ياء "فعاليل" ولامها، وهما جميعاً يان، فادغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا ياء واحدة مشددة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فأما القراءة التي لا يجوز غيرها عندي لقارئ في ذلك، فتشديد ياء " الأمانى"، لإجماع القراء على أنها القراءة التي مضى على القراءة بها السلف - مستفيض ذلك بينهم، غير مدفوعة صحته - وشذوذ القارئ بتخفيفها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك. (18) وكفى دليلا على خطأ قارئ ذلك بتخفيفها، (19) إجماعها على تخطئته.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وإن هم إلا يظنون)، وما هم، كما قال جل ثناؤه: قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ تَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ [إبراهيم: 11]، يعني بذلك: ما نحن إلا بشر مثلكم.

ومعنى قوله: (إلا يظنون): إلا يشكون، ولا يعلمون حقيقته وصحته. و "الظن" - في هذا الموضع- الشك.

< 2-266 >

فمعنى الآية: ومنهم من لا يكتب ولا يخط ولا يعلم كتاب الله ولا يدري ما فيه، إلا تخرصا وتقولا على الله الباطل، ظنا منه أنه محق في تخرصه وتقوله الباطل.

وإنما وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم في تخرصهم على ظن أنهم محقون وهم مبطلون، لأنهم كانوا قد سمعوا من رؤسائهم وأخبارهم أمورا حسبوها من كتاب الله، ولم تكن من كتاب الله، فوصفهم جل ثناؤه بأنهم يتركون التصديق بالذي يوقنون به أنه من عند الله مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ويتبعون ما هم فيه شاكون، وفي حقيقته مرتابون، مما أخبرهم به كبارؤهم ورؤسائهم وأخبارهم عنادا منهم لله ولرسوله، ومخالفة منهم لأمر الله، واغترارا منهم بإمهال الله إياهم. وبنحو ما قلنا في تأويل قوله: (وإن هم إلا يظنون)، قال فيه المتأولون من السلف:

1374 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وإن هم إلا يظنون) إلا يكذبون.

1375 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- 1376 - حدثنا القاسم قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.
- 1377 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون)، أي لا يعلمون ولا يدرون ما فيه، وهم يجحدون نبوتك بالظن.
- 1378 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (وإن هم إلا يظنون)، قال: يظنون الظنون بغير الحق.
- 1379 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن < 267-2 > الربيع، عن أبي العالية قال: يظنون الظنون بغير الحق.
- 1380 - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : قَوْلُ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (فويل). فقال بعضهم بما:-

1381 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس (فويل)، يقول: فالعذاب عليهم. (20)

وقال آخرون بما:-

1382 - حدثنا به ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدي قال، حدثنا سفيان، عن زياد بن فياض قال: سمعت أبا عياض يقول: الويل: ما يسيل من صديد في أصل جهنم. (21)

1383 - حدثنا بشر بن أبان الحطاب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن زياد بن فياض، عن أبي عياض في قوله: (فويل)، قال: صهرج في أصل جهنم، يسيل فيه صديدهم. (22)

< 2-268 >

1384 - حدثنا علي بن سهل الرملي قال، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء قال، حدثنا سفيان عن زياد بن فياض، عن أبي عياض قال: الويل، واد من صديد في جهنم. (23)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1385 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهرا، عن شقيق قال: (ويل)، ما يسيل من صديد في أصل جهنم.

وقال آخرون بما:-

1386 - حدثنا به المثنى قال، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح التستري. قال، حدثنا علي بن جرير، عن حماد بن سلمة بن عبد الحميد بن جعفر، عن كنانة العدوي، عن عثمان بن عفان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الويل جبل في النار ". (24)

< 2-269 >

1387 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ويل واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ إلى قعره ". (25)

قال أبو جعفر: فمعنى الآية - على ما روي عن ذكرته قوله في تأويل (ويل):- فالعذاب = الذي هو شرب صديد أهل جهنم في أسفل الجحيم = لليهود الذين يكتبون الباطل بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله.

< 2-270 >

القول في تأويل قوله تعالى : لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤَا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا

قال أبو جعفر: يعني بذلك الذين حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل، وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم، مخالفا لما أنزل الله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها، ولا بما في التوراة، جهال بما في كتب الله - لطلب عرض من الدنيا خسيس، فقال الله لهم: قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ، كما:-

1388 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا)، قال: كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم، يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله، ليأخذوا به ثمنا قليلا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1389 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سافلة جهال: هذا من عند الله " ليشتروا به ثمنا قليلا ". قال: عرضا من عرض الدنيا.

1390 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله)، قال: هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله، يحرفونه.

1391 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: ثم يحرفونه.

< 2-271 >

1392 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن قتادة: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) الآية، وهم اليهود.

1393 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله)، قال: كان ناس من بني إسرائيل كتبوا كتابا بأيديهم، ليتأكلوا الناس، فقالوا: هذا من عند الله، وما هو من عند الله. (26)

1394 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا)، قال: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه، يبتغون بذلك عرضا من عرض الدنيا، فقال: قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ .

1395 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام قال، حدثنا علي بن جرير، عن حماد بن سلمة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن كنانة العدوي، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ، الويل: جيل في النار، وهو الذي أنزل في اليهود، لأنهم حرفوا التوراة، وزادوا فيها ما يحبون، ومحوها منها ما يكرهون، ومحووا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة. فلذلك غضب الله عليهم، فرفع بعض التوراة، فقال: قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ . (27)

1396 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني سعيد بن أبي > 2-272 < أيوب، عن محمد بن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار. قال: ويل، واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لانماعت من شدة حره. (28)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: ما وجه قوله: (29) (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم)؟ وهل تكون الكتابة بغير اليد، حتى احتاج المخاطبون بهذه المخاطبة، إلى أن يخبروا عن هؤلاء - القوم الذين قص الله قصتهم - أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم؟

قيل له: إن الكتاب من بني آدم، وإن كان منهم باليد، فإنه قد يضاف الكتاب إلى غير كاتبه وغير المتولي رسم خطه فيقال: "كتب فلان إلى فلان بكذا"، وإن كان المتولي كاتبه بيده، غير المضاف إليه الكتاب، إذا كان الكاتب كتبه بأمر المضاف إليه الكتاب. فأعلم ربنا بقوله: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) عباده المؤمنين، أن أحبار اليهود تلي كتابة الكذب والفرية على الله بأيديهم، على علم منهم وعمد للكذب على الله، ثم تنحله إلى أنه من عند الله وفي كتاب الله، (30) تَكْذِبًا على الله وافتراء عليه. فنفي جل ثناؤه بقوله: (يكتبون الكتاب بأيديهم)، أن يكون ولي كتابة ذلك بعض جهالهم بأمر علمائهم وأحبارهم. وذلك نظير قول القائل: "باعني فلان عبثه كذا وكذا، فاشترى فلان نفسه كذا"، يراد بإدخال "النفوس والعين" في ذلك، نفي اللبس عن سامعه، أن يكون المتولي بيع ذلك أو شراءه، غير الموصوف له أمره، (31)

وبوجب حقيقة الفعل للمخبر < 273-2 > عنه، فكذلك قوله: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم).

القول في تأويل قوله تعالى : فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (فويل لهم مما كتبت أيديهم)، أي فالعذاب - في الوادي السائل من صديد أهل النار في أسفل جهنم - لهم، يعني: للذين يكتبون الكتاب، الذي وصفنا أمره، من يهود بني إسرائيل محرفا، ثم قالوا: هذا من عند الله، ابتغاء عرض من الدنيا به قليل ممن يتناعه منهم.

وقوله: (مما كتبت أيديهم)، يقول: من الذي كتبت أيديهم من ذلك، وويل لهم أيضا (مما يكسبون)، يعني: مما يعملون من الخطايا، ويجترحون من الآثام، ويكسبون من الحرام، بكتابهم الذي يكتبونه بأيديهم، بخلاف ما أنزل الله، ثم يأكلون ثمنه، وقد باعوه ممن باعوه منهم على أنه من كتاب الله، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1397 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (وويل لهم مما يكسبون)، يعني: من الخطيئة.

1398 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (فويل لهم)، يقول: فالعذاب عليهم. قال: يقول: من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب، (وويل لهم مما يكسبون)، يقول: مما يأكلون به من السفلة وغيرهم.

قال أبو جعفر: وأصل "الكسب": العمل. فكل عامل عملاً بمباشرة منه لما عمل ومعاونة باحتراف، فهو كاسب لما عمل، كما قال لبيد بن ربيعة:

< 2-274 > لمعفر قهد تنازع شلوه

غبس كواسب لا يُمَنُّ طعامُها (32)

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (وقالوا)، اليهود، يقول: وقالت اليهود: (لن تمسنا النار)، يعني لن تلاقى أجسامنا النار ولن ندخلها، "إلا أياماً معدودة". وإنما قيل "معدودة" وإن لم يكن مبيناً عددها في التنزيل، لأن الله جل ثناؤه أخبر عنهم بذلك وهم عارفون عدد الأيام، التي يوقتونها لمكثهم في النار. فلذلك ترك ذكر تسمية عدد تلك الأيام، وسماها "معدودة" لما وصفنا.

ثم اختلف أهل التأويل في مبلغ الأيام المعدودة التي عينها اليهود، القائلون ما أخبر الله عنهم من ذلك .

* فقال بعضهم بما:-

1399 - حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة)، قال ذلك أعداء الله اليهود، قالوا: لن يدخلنا الله النار إلا < 2-275 > تحلة القسم، الأيام التي أصبنا فيها العجل: أربعين يوماً، فإذا انقضت عنا تلك الأيام، انقطع عنا العذاب والقسم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1400 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، قالوا: أياما معدودة بما أصبنا في العجل.

1401 - حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، قال: قالت اليهود: إن الله يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة، حتى إذا أكلت النار خطايانا واستنقتنا، (33) نادى مناد: أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل. فلذلك أمرنا أن نختن. قالوا: فلا يدعون منا في النار أحدا إلا أخرجوه.

1402 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قال: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرنا، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يخرجنا. فأكذبهم الله.

1403 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن قتادة قال: قالت اليهود: لن ندخل النار إلا تحلة القسم، عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل.

1404 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) الآية، قال ابن عباس: ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوبا، أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم - وكان ابن عباس يقول: إن الجحيم سقر، وفيه شجرة الزقوم - فزعم أعداء الله، < 276-2 > أنه إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياما معدودة - وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم - فقالوا: إذا خلا العدد انتهى الأجل. فلا عذاب، وتذهب جهنم وتهلك. (34) فذلك قوله: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، يعنون بذلك الأجل. فقال ابن عباس: لما اقتحموا من باب جهنم، ساروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة، قال لهم خزان سقر: زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياما معدودة! فقد خلا العدد وأنتم في الأبد! فأخذ بهم في الصعود في جهنم برهقون. (35)

1405 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، إلا أربعين ليلة.

1406 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة قال: خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة، وسيخلفنا فيها قوم آخرون - يعنون محمدا وأصحابه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

رءوسهم (36) " بل أنتم فيها خالدون، لا يخلفكم فيها أحد " . فأنزل الله جل ثناؤه: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة).

1407 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال، أخبرني الحكم بن أبان، عن عكرمة، قال: اجتمعت يهود يوما تخاصم النبي صلى الله عليه وسلم. فقالوا: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، > 2- 277 < - وسموا أربعين يوما - ثم يخلفنا، أو يلحقنا، فيها أناس. فأشاروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كذبتكم، بل أنتم فيها خالدون مخلدون، لا نلحقكم ولا نخلفكم فيها إن شاء الله أبدا " . (37)

1408 - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا علي بن معبد، عن أبي معاوية، عن جوير، عن الضحاك في قوله: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، قال: قالت اليهود: لا نعذب في النار يوم القيامة إلا أربعين يوما مقدار ما عبدنا العجل.

1409 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: " أنشدكم بالله وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى يوم طور سيناء، من أهل النار الذين أنزلهم الله في التوراة؟ وقالوا: إن ربهم غضب عليهم غضبة، فتمكث في النار أربعين ليلة، ثم نخرج فتخلفوننا فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبتكم والله، لا نخلفكم فيها أبدا " . فنزل القرآن تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبا لهم: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا) إلى قوله: هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . (38)

وقال آخرون في ذلك بما:-

1410 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت يهود يقولون: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا من أيام الآخرة، وإنها سبعة أيام. فأنزل الله في ذلك من > 2- 278 < قولهم: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) الآية.

1411 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ويهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا، يوما

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأحدا في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب.
فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: (لن تمسنا النار) الآية.

1412 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: (قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، قال: كانت تقول: إنما الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما.

1413 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله - إلا أنه قال: كانت اليهود تقول: إنما الدنيا، وسائر الحديث مثله.

1414 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، قال مجاهد: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة من الدهر. وسموا عدة سبعة آلاف سنة، من كل ألف سنة يوما. يهود تقوله.

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)

قال أبو جعفر: لما قالت اليهود ما قالت من قولها: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً < 279-2 > - على ما قد بينا من تأويل ذلك - قال الله لنيبه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد، لمعشر اليهود: (أتخذتم عند الله عهدا): أخذتم بما تقولون من ذلك من الله ميثاقا، فالله لا ينقض ميثاقه، ولا يبدل وعده وعقده، أم تقولون على الله الباطل جهلا وجراءة عليه؟ كما:-

1415 - حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (قل أخذتم عند الله عهدا) أي: موثقا من الله بذلك أنه كما تقولون.

1416 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

1417 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن قتادة قال: قالت اليهود: لن ندخل النار إلا تحلة القسم، عدة الأيام التي عبدنا فيها العجل، فقال الله: (أخذتم عند الله عهدا)، بهذا الذي تقولونه؟ ألكم بهذا حجة وبرهان؟ فلن يخلف الله عهده، فهاتوا حجتكم وبرهانكم، أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1418 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس قال: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ مَا قَالَتْ، قَالَ اللَّهُ جَلِ ثَنَاؤُهُ لِمُحَمَّدٍ، قُلْ: (أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا)، يَقُولُ: أُدْخِرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا؟ يَقُولُ: أَقَلْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ تَشْرِكُوا وَلَمْ تَكْفُرُوا بِهِ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ قَلْتُمُوهَا فَارْجُوا بِهَا، وَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَقُولُوهَا، فَلَمْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ يَقُولُ: لَوْ كُنْتُمْ قَلْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ مَتَمَّ عَلَى ذَلِكَ، لَكَانَ لَكُمْ ذَخْرًا عِنْدِي، وَلَمْ أَخْلَفْ وَعْدِي لَكُمْ: أَنِّي أُجَازِيكُمْ بِهَا.

1419 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط عن السدي قال: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ مَا قَالَتْ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ > 280 < عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ) - وَقَالَ فِي مَكَانٍ آخَرَ: وَعَزَّرَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . [آل عمران: 24]، ثُمَّ أَخْبَرَ الْخَبَرَ فَقَالَ: بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً .

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي رويناها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، بنحو ما قلنا في تأويل قوله: (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا). لأن مما أعطاه الله عباده من ميثاقه: أن من آمن به وأطاع أمره، نجاه من ناره يوم القيامة. ومن الإيمان به، الإقرار بأن لا إله إلا الله. وكذلك من ميثاقه الذي واثقهم به: أن من أتى الله يوم القيامة بحجة تكون له نجاه من النار، فينجيه منها. وكل ذلك، وإن اختلفت ألفاظ قائله، فمتفق المعاني، على ما قلنا فيه. والله تعالى أعلم.

القول في تأويل قوله تعالى : بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً

قال أبو جعفر: وقوله: (بلى من كسب سيئة) تكذيب من الله القائلين من اليهود: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً وإخبار منه لهم أنه معذب من أشرك ومن كفر به وبرسله، وأحاطت به ذنوبه، فمخلده في النار، (39) فإن الجنة لا يسكنها إلا أهل الإيمان به وبرسوله، وأهل الطاعة له، والقائمون بحدوده كما:-

1420 - حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس: (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته) أي: من عمل مثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط كفره بما له من حسنة، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وأما (بلى)، فإنها إقرار في كل كلام في أوله جحد، كما > 281 < " نعم " إقرار في الاستفهام الذي لا جحد فيه. وأصلها " بل " التي هي رجوع عن الجحد المحض في قولك: " ما قام عمرو بل زيد ". فزيد فيها " الياء " ليصلح عليها الوقوف، إذ كانت " بل " لا يصلح عليها الوقوف، إذ كانت عطفا ورجوعا عن الجحد. ولتكون - أعني " بلى " - رجوعا عن الجحد فقط، وإقرارا بالفعل الذي بعد الجحد، فدلّت " الياء " منها على معنى الإقرار والإنعام. (40) ودل لفظ " بل " عن الرجوع عن الجحد. (41)

قال أبو جعفر: وأما " السيئة " التي ذكر الله في هذا المكان، فإنها الشرك باللهكما:-

1421 - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان قال، حدثني عاصم، عن أبي وائل: (بلى من كسب سيئة)، قال: الشرك بالله.

1422 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (بلى من كسب سيئة) شركا.

1423 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

1424 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (بلى من كسب سيئة)، قال: أما السيئة فالشرك.

1425 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

1426 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن > 282-2 < السدي: (بلى من كسب سيئة)، أما السيئة، فهي الذنوب التي وعد عليها النار.

1427 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: (بلى من كسب سيئة)، قال: الشرك - قال ابن جريج قال، قال مجاهد: (سيئة) شركا.

1428 - حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: (بلى من كسب سيئة)، يعني: الشرك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وإنما قلنا إن " السيئة " - التي ذكر الله جل ثناؤه أن من كسبها وأحاطت به خطيئته، فهو من أهل النار المخلدين فيها - في هذا الموضوع، إنما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض، وإن كان ظاهرها في التلاوة عاما، (42) لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار. والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان. فإن الله جل ثناؤه قد قرن بقوله: (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) - قوله - وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . فكان معلوما بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات، غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان.

فإن ظن طان أن الذين لهم الخلود في الجنة من الذين آمنوا، هم الذين عملوا الصالحات، دون الذين عملوا السيئات، فإن في إخبار الله = أنه مكفر - باجتناينا كبائر ما ننهى عنه سيئاتنا، ومدخلنا المدخل الكريم = ما ينهى عن صحة ما قلنا في تأويل قوله: (بلى من كسب سيئة)، بأن ذلك على خاص من السيئات دون عامها.

فإن قال لنا قائل: فإن الله جل ثناؤه إنما ضمن لنا تكفير سيئاتنا باجتناينا > 283-2 < كبائر ما ننهى عنه، فما الدلالة على أن الكبائر غير داخلة في قوله: (بلى من كسب سيئة)؟

قيل: لما صح من أن الصغائر غير داخلة فيه، وأن المعني بالآية خاص دون عام، ثبت وصح أن القضاء والحكم بها غير جائز لأحد على أحد، إلا على من وقفه الله عليه بدلالة من خبر قاطع عذر من بلغه. وقد ثبت وصح أن الله تعالى ذكره قد عنى بذلك أهل الشرك والكفر به، بشهادة جميع الأمة. فوجب بذلك القضاء على أن أهل الشرك والكفر ممن عناه الله بالآية. فأما أهل الكبائر، فإن الأخبار القاطعة عذر من بلغته، قد تظاهرت عندنا بأنهم غير معنيين بها. فمن أنكر ذلك - ممن دافع حجة الأخبار المستفيضة والأنباء المتظاهرة - فاللزام له ترك قطع الشهادة على أهل الكبائر بالخلود في النار، بهذه الآية ونظائرها التي جاءت بعمومهم في الوعيد. إذ كان تأويل القرآن غير مدرك إلا ببيان من جعل الله إليه بيان القرآن، وكانت الآية يأتي عاما في صنف ظاهرها، وهي خاص في ذلك الصنف باطنها. (43)

ويسأل مدافعو الخبر بأن أهل الكبائر من أهل الاستثناء، سؤالنا منكر رجم الزاني المحصن، وزوال فرض الصلاة عن الحائض في حال الحيض. فإن السؤال عليهم، نظير السؤال على هؤلاء، سواء. (44)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-284 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وأحاطت به خطيئته)، اجتمعت عليه فمات عليها، قبل الإنابة والتوبة منها.

وأصل " الإحاطة بالشيء "، الإحداق به، بمنزلة " الحائط" الذي تحاط به الدار فتحقق به. ومنه قول الله جل ثناؤه: تَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا [الكهف: 29].

فتأويل الآية إِدًّا: من أشرك بالله، واقترب ذنوبا جمّة فمات عليها قبل الإنابة والتوبة، فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلدون أبدا. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال المتأولون.

* ذكر من قال ذلك:

1429 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي روق، عن الضحاك: (وأحاطت به خطيئته)، قال: مات بذنبه.

1430 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جرير بن نوح قال، حدثنا الأعمش، عن أبي رزين، عن الربيع بن خُثَيم: (وأحاطت به خطيئته)، قال: مات عليها. (45)

1431 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، أخبرني ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس: (وأحاطت به خطيئته)، قال: يحيط كفره بما له من حسنة.

1432 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثني عيسى، > 285-2 < عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وأحاطت به خطيئته)، قال: ما أوجب الله فيه النار.

1433 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (وأحاطت به خطيئته)، قال: أما الخطيئة فالكبيرة الموجبة.

1434 - حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق[قال، أخبرنا معمر]، عن قتاده: (وأحاطت به خطيئته)، قال: الخطيئة: الكبائر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1435 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا وكيع وبه يروي بن آدم، عن سلام بن مسكين قال: سألت رجل الحسن عن قوله: (وأحاطت به خطيئته)، فقال: ما ندري ما الخطيئة، يا بني اتل القرآن، فكل آية وعد الله عليها النار، فهي الخطيئة.

1436 - حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله: بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، قال: كل ذنب محيط، فهو ما وعد الله عليه النار.

1437 - حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي رزين: (وأحاطت به خطيئته)، قال: مات بخطيئته.

1438 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا الأعمش قال، حدثنا مسعود أبو رزين، عن الربيع بن خثيم في قوله: (وأحاطت به خطيئته)، قال: هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب.

1439 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، قال وكيع: سمعت الأعمش يقول في قوله: (وأحاطت به خطيئته)، مات بذنوبه.

1440 - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (وأحاطت به خطيئته)، الكبيرة الموجبة.

< 2-286 >

1441 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (أحاطت به خطيئته)، فمات ولم يتب.

1442 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حسان، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: (وأحاطت به خطيئته)، قال: الشرك، ثم تلا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ [النمل: 90]. (46)

القول في تأويل قوله تعالى : فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: " فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " فأولئك الذين كسبوا السيئات وأحاطت بهم خطيئاتهم، أصحاب النار هم فيها خالدون.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ويعني بقوله جل ثناؤه: (أصحاب النار)، أهل النار، وإنما جعلهم لها أصحابا لإيثارهم - في حياتهم الدنيا ما يوردهموها ويوردهم سعيها - على الأعمال التي توردهم الجنة فجعلهم جل ذكره = بإيثارهم أسبابها على أسباب الجنة = لها أصحابا، كصاحب الرجل الذي يصاحبه مؤثرا صحبته على صحبة غيره، حتى يعرف به.

(هم فيها)، يعني: هم في النار خالدون. ويعني بقوله: (خالدون) مقيمون كما:

1443 - حدثني محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس: (هم فيها خالدون)، أي خالدون أبدا.

1444 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، > 2- 287 < عن السدي: (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها أبدا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82)

قال أبو جعفر: ويعني بقوله: (والذين آمنوا)، أي صدقوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. ويعني بقوله: (وعملوا الصالحات)، أطاعوا الله فأقاموا حدوده، وأدوا فرائضه، واجتنبوا محارمه. ويعني بقوله: (وأولئك)، فالذين هم كذلك (أصحاب الجنة هم فيها خالدون)، يعني أهلها الذين هم أهلها هم فيها(خالدون)، مقيمون أبدا.

وإنما هذه الآية والتي قبلها إخبار من الله عباده عن بقاء النار وبقاء أهلها فيها، [وبقاء الجنة وبقاء أهلها فيها]، (47) ودوام ما أعد في كل واحدة منهما لأهلها، تكذيبا من الله جل ثناؤه القائلين من يهود بني إسرائيل: إن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى الجنة. فأخبرهم بخلود كفارهم في النار، وخلود مؤمنهم في الجنة كما:-

1445 - حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)، أي من آمن بما كفرتم به، وعمل بما تركتم من دينه، فلهم الجنة خالدين فيها. يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له أبدا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1446 - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، < 288-2 > قال ابن زيد: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات)، محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه - " أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ".

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ

قال أبو جعفر: قد دللنا - فيما مضى من كتابنا هذا- على أن " الميثاق " مفعال " من " التوثق باليمين " ونحوها من الأمور التي تؤكد القول. (48) فمعنى الكلام إِدًّا: واذكروا أيضا يا معشر بني إسرائيل، إذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون إلا الله، كما:-

1447 - حدثني به ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) - أي ميثاقكم- (لا تعبدون إلا الله).

قال أبو جعفر: والقَرَاءَة مختلفة في قراءة قوله (49) (لا تعبدون). فبعضهم يقرؤها بالتاء، وبعضهم يقرؤها بالياء، والمعنى في ذلك واحد. وإنما جازت القراءة بالياء والتاء، وأن يقال (لا تعبدون) و (لا يعبدون) وهم عَيَّب، (50) لأن أخذ الميثاق، بمعنى الاستحلاف. فكما تقول: " استحلقت أخاك ليقومن " فتخبر عنه خبرك عن الغائب لغيبته عنك. وتقول: " استحلقت ليقومن "، فتخبر عنه خبرك عن المخاطب، لأنك قد كنت خاطبته بذلك - فيكون ذلك صحيحا جائزا. < 289-2 > فكذلك قوله: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) و (لا يعبدون). من قرأ ذلك " بالتاء " فمعنى الخطاب، إذ كان الخطاب قد كان بذلك. ومن قرأ " بالياء " فلأنهم ما كانوا مخاطبين بذلك في وقت الخبر عنهم.

وأما رفع " لا تعبدون "، فبالتاء التي في " تعبدون "، ولا ينصب بـ " أن " التي كانت تصلح أن تدخل مع (لا تعبدون إلا الله). لأنها إذا صلح دخولها على فعل فحذفت ولم تدخل، كان وجه الكلام فيه الرفع، كما قال جل ثناؤه: قُلْ أَقَعَبَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ [الزمر: 64]، فرفع " أعبد " إذ لم تدخل فيها " أن " - بالألف الدالة على معنى الاستقبال، وكما قال الشاعر: (51)

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوعى

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلُودِي (52)

فرّغ " أحضر " وإن كان يصلح دخول " أن " فيها - إذ حذف، بالألف التي تأتي بمعنى الاستقبال.

وإنما صلح حذف " أن " من قوله: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون)، لدلالة ما ظهر من الكلام عليها، فاكتفى - بدلالة الظاهر عليها - منها. (53)

وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: معنى قوله: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله)، حكاية، كأنك قلت: استحلّفناهم: لا تعبدون، أي قلنا لهم: والله لا تعبدون - وقالوا: والله لا يعبدون. والذي قال من ذلك، قريب معناه من معنى القول الذي قلنا في ذلك.

< 2-290 >

وينحو الذي قلنا في قوله: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله)، تأوله أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1448 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: أخذ موثيقهم أن يخلصوا له، وأن لا يعبدوا غيره.

1449 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، أخبرنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله)، قال: أخذنا ميثاقهم أن يخلصوا لله ولا يعبدوا غيره.

1450 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريح: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله)، قال: الميثاق الذي أخذ عليهم في المائة. (54)

القول في تأويل قوله تعالى : **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**

قال أبو جعفر: وقوله جل ثناؤه: (وبالوالدين إحسانا) عطف على موضع " أن " المحذوفة في لا تَعْبُدُونَ إلا الله . فكان معنى الكلام: وإذ أخذنا ميثاق بني

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وبالوالدين إحسانا. فرفع لا تَعْبُدُونَ لما حذف " أن "، ثم عطف بالوالدين على موضعها، كما قال الشاعر: (55)

معاوي إننا بشر فأسجح

فلسنا بالجبال ولا الحديد (56)

< 2-291 >

فنصب " الحديد " على العطف به على موضع " الجبال "، لأنها لو لم تكن فيها " باء " خافضة كانت نصبا، فعطف بـ " الحديد " على معنى " الجبال "، لا على لفظها. فكذاك ما وصفت من قوله: (وبالوالدين إحسانا).

وأما " الإحسان " فمنصوب بفعل مضمّر يؤدي معناه قوله: (وبالوالدين)، إذ كان مفهوما معناه، فكان معنى الكلام - لو أظهر المحذوف - : وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل، بأن لا تعبدوا إلا الله، وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا، فاكتفى بقوله: (وبالوالدين) من أن يقال: وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا، إذ كان مفهوما أن ذلك معناه بما ظهر من الكلام.

وقد زعم بعض أهل العربية في ذلك أن معناه: وبالوالدين فأحسنوا إحسانا، فجعل " الباء " التي في " الوالدين " من صلة الإحسان، مقدمة عليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن لا تعبدوا إلا الله، وأحسنوا بالوالدين إحسانا. فزعموا أن " الباء " التي في " الوالدين " من صلة المحذوف - أعني أحسنوا - فجعلوا ذلك من كلامين. وإنما يصرف الكلام إلى ما ادعوا من ذلك، إذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام واحد وجه. فأما وللکلام وجه مفهوم على اتساقه على كلام واحد، فلا وجه لصرفه إلى كلامين. وأخرى: أن القول في ذلك لو كان على ما قالوا، ل قيل: وإلى الوالدين إحسانا، لأنه إنما يقال: " أحسن فلان > 2-292 < إلى والديه " ولا يقال: أحسن بوالديه، إلا على استكراه للكلام.

ولكن القول فيه ما قلنا، وهو: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بكذا، وبالوالدين إحسانا - على ما بينا قبل. فيكون والإحسان حينئذ مصدرا من الكلام لا من لفظه، كما بينا فيما مضى من نظائره. (57)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن قال قاتل: وما ذلك " الإحسان " الذي أخذ عليهم وبالوالدين الميثاق؟
قيل: نظير ما فرض الله على أمتنا لهما من فعل المعروف لهما، والقول
الجميل، وخفض جناح الذل رحمة بهما، والتحنن عليهما، والرفقة بهما، والدعاء
بالخير لهما، وما أشبه ذلك من الأفعال التي ندب الله عباده أن يفعلوا بهما.

القول في تأويل قوله تعالى : وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (وذي القربي)، وبذي القربي أن يصلوا قرابته منهم
ورحمه.

و " القربي " مصدر على تقدير " فعلى " ، من قولك، " قربت مني رحم فلان
قربة وقربي وقربا " ، بمعنى واحد.

وأما " اليتامى " فهم جمع " يتيم " ، مثل " أسير وأسارى " . ويدخل في
اليتامى الذكور منهم والإناث.

ومعنى ذلك: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وحده دون من
سواه من الأنداد، وبالوالدين إحسانا، وبذي القربي: أن تصلوا رحمهم، وتعرفوا
حقه، وباليتامى: أن تتعطفوا عليهم بالرحمة والرفقة، وبالمساكين: أن تؤتوهم
حقوقهم التي ألزمها الله أموالكم.

< 2-293 >

و " المسكين " ، هو المتخشع المتذلل من الفاقة والحاجة، وهو " مفعيل " من
" المسكنة " . و " المسكنة " هي ذل الحاجة والفاقة. (58)

القول في تأويل قوله تعالى : وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: إن قال قائل: كيف قيل: (وقولوا للناس حسنا)، فأخرج الكلام أمرا ولما يتقدمه أمر، بل الكلام جار من أول الآية مجرى الخبر؟ قيل: إن الكلام، وإن كان قد جرى في أول الآية مجرى الخبر، فإنه مما يحسن في موضعه الخطاب بالأمر والنهي. فلو كان مكان: لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، لا تعبدوا إلا الله - على وجه النهي من الله لهم عن عبادة غيره - كان حسنا صوابا. وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب. وإنما حسن ذلك وجاز - لو كان مقروءا به - لأن أخذ الميثاق قول.

فكان معنى الكلام - لو كان مقروءا كذلك -: وإذ قلنا لبني إسرائيل: لا تعبدوا إلا الله، كما قال جل ثناؤه في موضع آخر: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ [البقرة: 63]. فلما كان حسنا وضع الأمر والنهي في موضع: لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، عطف بقوله: (وقولوا للناس حسنا)، على موضع لا تَعْبُدُونَ ، وإن كان مخالفا كل واحد منهما معناه معنى ما فيه، (59) لما وصفنا من جواز وضع الخطاب بالأمر والنهي موضع لا تَعْبُدُونَ . فكانه قيل: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله، وقولوا للناس حسنا. وهو نظير ما قدمنا البيان عنه: من أن العرب تبتدئ الكلام أحيانا على وجه الخبر عن الغائب في موضع الحكاية لما أخبرت عنه، (60) ثم تعود إلى الخبر على < 294-2 > وجه الخطاب؛ وتبتدئ أحيانا على وجه الخطاب، ثم تعود إلى الإخبار على وجه الخبر عن الغائب، لما في الحكاية من المعنيين، (61) كما قال الشاعر: (62)

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة

لدينا ولا مقلية إن ثقلت (63)

يعني: ثقلت.

وأما " الحسن " فإن القَرَأَةَ اختلفت في قراءته. (64) فقرأته عامة قَرَأَةً الكوفة غير عاصم: (وقولوا للناس حَسَنًا) بفتح الحاء والسين. وقراءته عامة قراء المدينة: (حُسْنَا) بضم الحاء وتسكين السين. وقد روي عن بعض القَرَأَةِ أنه كان يقرأ: " وقولوا للناس حُسْنَى " على مثال " فَعَلَى " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف أهل العربية في فرق ما بين معنى قوله: "حُسْنَا" و "حَسْنَا". فقال بعض البصريين: هو على أحد وجهين: إما أن يكون براد بـ"الحَسَن" "الحُسْن" وكلاهما لغة، كما يقال: "البُخْلُ و البَخْلُ"، وإما أن يكون جعل "الحُسْن" هو "الحَسَن" في التشبيه، وذلك أن الحُسْن "مصدر" و "الحَسَن" هو الشيء الحسن. ويكون ذلك حينئذ كقولك: "إنما أنت أكل وشرب"، وكما قال الشاعر: (65)

وخيل قد دلفت لها بخيل

تحية بينهم ضرب وجيع (66)

< 2-295 >

فجعل "التحية" ضربا.

وقال آخر: بل "الحُسْن" هو الاسم العام الجامع لجميع معاني الحسن. و "الحسن" هو البعض من معاني "الحُسْن". قال: ولذلك قال جل ثناؤه إذ أوصى بالوالدين: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا [العنكبوت: 8] يعني بذلك أنه وصاه فيهما بجميع معاني الحُسْن، وأمر في سائر الناس ببعض الذي أمره به في والديه، فقال: (وقولوا للناس حسنا)، يعني بذلك بعض معاني الحُسْن.

قال أبو جعفر: والذي قاله هذا القائل في معنى "الحسن" بضم الحاء وسكون السين، غير بعيد من الصواب، وأنه اسم لنوعه الذي سمي به. وأما "الحسن" فإنه صفة وقعت لما وصف به، وذلك يقع بخاص. وإذا كان الأمر كذلك، فالصواب من القراءة في قوله: (وقولوا للناس حسنا)، لأن القوم إنما أمروا في هذا العهد الذي قيل لهم: "وقولوا للناس" باستعمال الحَسَن من القول، دون سائر معاني الحسن الذي يكون بغير القول. وذلك نعت لخاص من معاني الحُسْن، وهو القول. فلذلك اخترت قراءته بفتح الحاء والسين، على قراءته بضم الحاء وسكون السين.

وأما الذي قرأ ذلك: (وقولوا للناس حسنى)، فإنه خالف بقراءته إياه كذلك، قراءة أهل الإسلام. وكفى شاهدا على خطأ القراءة بها كذلك، خروجها من قراءة أهل الإسلام، لو لم يكن على خطئها شاهد غيره. فكيف وهي مع ذلك خارجة من المعروف من كلام العرب؟ وذلك أن العرب لا تكاد أن تتكلم بـ "فعلى" "وأفعل" إلا بالألف واللام أو بالإضافة. لا يقال: "جاءني أحسن"، حتى يقولوا: "الأحسن". ولا يقال: "أجمل"، حتى يقولوا: "الأجمل". وذلك أن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

"الأفعل والفعلى"، لا يكادان يوجدان صفة إلا لمعهود معروف، كما تقول: بل أخوك الأحسن - وبل أختك الحسنى . وغير جائز أن يقال: امرأة حسنى، ورجل أحسن.

وأما تأويل القول الحسن الذي أمر الله به الذين وصف أمرهم من بني إسرائيل < 296-2 > في هذه الآية، أن يقولوه للناس، (67) فهو ما:-

1451 - حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: (وقولوا للناس حسنا)، أمرهم أيضا بعد هذا الخلق: أن يقولوا للناس حسنا: أن يأمرؤا بـ " لا إله إلا الله " من لم يقلها ورغب عنها، حتى يقولوها كما قالوها، فإن ذلك قرينة من الله جل ثناؤه. وقال الحسن أيضا، لين القول، من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه.

1452 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (وقولوا للناس حسنا)، قال، قولوا للناس معروفا.

1453 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج: (وقولوا للناس حسنا)، قال: صدقا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم.

1454 - وحدثت عن يزيد بن هارون قال، سمعت سفيان الثوري يقول في قوله: (وقولوا للناس حسنا)، قال: مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر. (68)

1455 - حدثني هارون بن إدريس الأصم قال، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي قال، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال، سألت عطاء بن أبي رباح، عن قول الله جل ثناؤه: (وقولوا للناس حسنا)، قال: من لقيت من الناس فقل له حسنا من القول. قال: وسألت أبا جعفر، فقال مثل ذلك. (69)

1456 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا القاسم قال، أخبرنا عبد الملك، < 297-2 > عن أبي جعفر وعطاء بن أبي رباح في قوله: (وقولوا للناس حسنا)، قال: للناس كلهم.

1457 - حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (وأقيموا الصلاة)، أذوها بحقوقها الواجبة عليكم فيها * كما:-

1458 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن مسعود قال: (وأقيموا الصلاة)، هذه و " إقامة الصلاة " تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع، والإقبال عليها فيها. (70)

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَتُوا الزَّكَاةَ

قال أبو جعفر: قد بينا فيما مضى قبل، معنى " الزكاة " وما أصلها. (71)

وأما الزكاة التي كان الله أمر بها بني إسرائيل الذين ذكر أمرهم في هذه الآية، فهي ما:-

1459 - حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (وأتوا الزكاة)، قال: إيتاء الزكاة، ما كان الله فرض عليهم في أموالهم من الزكاة، وهي سنة كانت لهم غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم. كانت زكاة أموالهم قربانا تهبط إليه نار > 2 - 298 < فتحملها، فكان ذلك ثقيله. ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل، وكان الذي قرب من مكسب لا يحل: من ظلم أو غشم، أو أخذ بغير ما أمره الله به وبينه له.

1460 - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (وأتوا الزكاة)، يعني " بالزكاة " : طاعة الله والإخلاص.

القول في تأويل قوله تعالى : ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (83)

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل، أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه، بعدما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له، بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات، ويصلوا الأرحام، ويتعطفوا على الأيتام، ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته، ويقوموا الصلاة بحدودها وفرائضها، ويؤتوا زكاة أموالهم - فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولوا عنه معرضين، إلا من عصمه الله منهم، فوفى لله بعهده وميثاقه، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1461 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما فرض الله جل وعز عليهم - يعني: على هؤلاء الذين وصف الله أمرهم في كتابه من بني إسرائيل - هذا الذي ذكر أنه أخذ ميثاقهم به، أعرضوا عنه استتقالا له وكراهية، وطلبوا ما خف عليهم إلا قليلا منهم، وهم الذين استثنى الله فقال: (ثم توليتهم)، يقول: أعرضتم عن طاعتي، (إلا قليلا منكم)، قال: القليل الذين اخترتهم < 299-2 > لطاعتي، وسيحل عقابي بمن تولى وأعرض عنها يقول: تركها استخفافا بها. (72).

1462 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عن عكرمة، عن ابن عباس: (ثم توليتهم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون)، أي تركتم ذلك كله.

وقال بعضهم: عنى الله جل ثناؤه بقوله: (وأنتم معرضون)، اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنى بسائر الآية أسلافهم. كأنه ذهب إلى أن معنى الكلام: (ثم توليتهم إلا قليلا منكم): ثم تولى سلفكم إلا قليلا منهم، ولكنه جعل خطابا لبقايا نسلهم - على ما ذكرناه فيما مضى قبل - (73) ثم قال: وأنتم يا معشر بقاياهم معرضون أيضا عن الميثاق الذي أخذ عليكم بذلك، وتاركوه ترك أوائلكم.

وقال آخرون: بل قوله: (ثم توليتهم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون)، خطاب لمن كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل، وذم لهم بنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم في التوراة، وتبديلهم أمر الله، وركوبهم معاصيه.

الهوامش:

(1) الحديث : 1355 - هو حديث صحيح . ورواه البخاري 4 : 108 - 109 (من الفتوح) ، ورواه أيضًا مسلم وأبو داود والنسائي ، كما في الجامع الصغير للسيوطي ، رقم : 2521 .

(2) كان في المطبوعة : "أي بين الأمة" ، فحذفت "أي" ، فليس ذلك مما يقال .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(3) قوله "لا يحسن أن يكتب" نفى لمعرفة الكتابة، لا لجودة معرفة الكتابة، كما يسبق إلى الوهم. وقد يما قام بعض أساتذتنا يدعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يعرف الكتابة، ولكنه لا يحسنها، لخبر استدل به هو - أو اتبع فيه من استدل به من أعاجم المستشرقين - وهو ما جاء في تاريخ الطبري 3: 80 في شرح قصة الحديدية، حين جاء سهيل بن عمرو، لكتابة الصلح. روى الطبري عن البراء بن عازب قال: "فلما كتب الكتاب، كتب: "هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله"، فقالوا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، ولكن أنت محمد بن عبد الله. قال: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله. قال لعلي: امح "رسول الله". قال: لا والله لا أمحك أبدا. فأخذه رسول الله وليس يحسن يكتب: "فكتب مكان "رسول الله" "محمد"، فكتب: " هذا ما قاضى عليه محمد".

فظن أولا أن ضمير الفاعل في قوله "فكتب مكان "رسول الله" - محمد"، هو رسول الله صلى الله عليه. وليس كذلك بل هو: علي بن أبي طالب الكاتب. وفي الكلام اختصار، فإنه لما أمر عليا أن يمحو الكتاب فأبى، أخذه رسول الله، وليس يحسن يكتب، فمحاها. وتفسير ذلك قد أتى في حديث البخاري عن البراء بن عازب أيضا 3: 184: "فقال لعلي" امحه. فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه فمحا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده". وأخرى أنه أخطأ في معنى "يحسن"، فإنها هنا بمعنى "يعلم"، وهو أدب حسن في العبارة، حتى لا ينفي عنه العلم، وقد جاء في تفسير الطبري 21: 6 في تفسير قوله تعالى: "أحسن كل شيء خلقه"، ما نصه: "معنى ذلك: أعلم كل شيء خلقه. كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم كل خلقه ما يحتاجون إليه. وأنه قوله: "أحسن"، إنما هو من قول القائل: "فلا يحسن كذا"، إذا كان يعلمه". هذا، والعرب تتأدب بمثل هذا، فتضع اللفظ مكان اللفظ؛ وتبطل بعض معناه، ليكون تنزيها للسان، أو تكرمه للذي تخبر عنه. فمعنى قوله: "ليس يحسن يكتب"، أي ليس يعرف يكتب. وقد أطال السهيلي في الروض الأنف 1: 230 بكلام ليس يغني في تفسير هذا الكلمة.

(4) قال ابن كثير في تفسيره 1: 215، وساق الخبر وكلام الطبري، ثم قال: "قلت: في صحة هذا عن ابن عباس - بهذا الإسناد - نظر، والله أعلم".

(5) اقتصر في المطبوعة على قوله: "رسولا منهم"، وأتممت الآية، لأنه يستدل بها على أنه جاء يعلم الأمين "الكتاب".

(6) الأثر: 1363 - كان في المطبوعة: "حدثنا بشر قال أخبرنا ابن وهب . . ." ، وهو سهو من الناسخ، والإسناد كثير الدوران في التفسير، أقرب رقم 1357.

(7) ما بين القوسين زيادة يقتضيها الكلام. وكأن الناسخ سها فأغفلها.

(8) في المطبوعة: "وأنهم لا يفقهون" بزيادة الواو، وهو خطأ لا يستقيم، والصواب ما أثبتته من ابن كثير 1: 216.

(9) في الفائق 1: 163 عن عثمان رضي الله عنه: "قد اختبأت عند الله خصالا: إني لرابع الإسلام، وزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم ابنته، وبايعته بيدي هذه اليمنى فما مسست بها ذكرى، وما تغنيت ولا تمنيت، ولا شربت خمرا في جاهلية ولا إسلام". وروى الطبري في تاريخه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

في خبر مقتله رضي الله عنه 5 : 130 ، أن الرجل الذي انتدب لقتله دخل عليه فقال له : "اخلعها وندعك . فقال : وبحك! ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ، ولا تغنيت ولا تمنيت ، ولا وضعت يميني على عورتني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولست خالعا قميصا كسانيه الله عز وجل" .

(10) في المطبوعة : "غير جائز" ، والصواب إثبات الفاء .
(11) هو عمرو بن الأيهم التغلبي النصراني ، وقيل اسمه : عمير ، وقيل هو أعشى تغلب . روي عن الأخطل أنه قيل له وهو يموت : على من تخلف قومك؟ قال : على العميرين . يعني القطامي عمير ابن أشيم ، وعمير بن الأهثم .

(12) سيبويه 1 : 365 ، والوحشيات رقم : 55 ، ومعجم الشعراء : 242 ، وحماسة البحتري : 32 ، وانظر تحقيق الراجكوتي في سمط اللاكئ : 184 . والشعر يقوله في هجاء قيس عيلان يقول فيها :

قاتل الله قيس عيلان طرا

ما لهم دون غدرة من حجاب

ثم إن سيبويه أنشد البيت برفع "غير" ، على البدل من "عتاب" ، اتساعا ومجازا .

(13) ديوانه : 42 ، وسيبويه 1 : 365 ، وغيرهما ، وروايتهم جميعا : "بصاحب" ، وكان في الأصل المطبوع "بغائب" ، وأظن أن ما كان في الطبري خطأ من النسخ ، لأنه لا يتفق مع الشعر . فالنايعة يمدح بهذه الأبيات عمرو بن الحارث الأعرج الغساني ، فيقول قبله :

على لعمرؤ نعمة بعد نعمة

لوالده، ليست، بذات عقارب

حلفت يميننا

لئن كان للقبرين : قبر بجلق

وقبر بصيداء الذي عند حارب

وللحارث الجفني سيد قومه

ليلتمسن بالجيش دار المحارب

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- وقوله : "مثنوية" أي استثناء . فهو يقول لعمره : حلفت يمينا لئن كان من هو - من ولد هؤلاء الملوك من آبائه ، الذين عدد قبورهم ومآثرهم - ليغزون من حاربه في عقر داره وليهزمه ، ولم أقل هذا عن علم إلا ما عندي في صاحبي من حسن الظن . فرواية الطبري لا تستقيم ، إن صحت عنه .
- (14) انظر سيويه 1 : 363 - 366 "هذا باب يختار فيه النصب ، لأن الآخر ليس من نوع الأول" . ثم الباب الذي يليه : "هذا باب ما لا يكون إلا على معنى : ولكن" .
- (15) في المطبوعة : "بعض القراء" و"لإجماع القراء" ، وردته إلى ما جرى عليه الطبري أنقأ .
- (16) انظر معاني القرآن للقراء : 1 : 49 .
- (17) ديوانه : 7 المرجل : قدر يطبخ فيها ، ومعرس المرجل : حيث يقام فيه ، من التعريس : وهو النزول والإقامة ، وسفع جمع أسفع : والسفعة : سواد تخلطه حمرة ، من أثر النار ودخانها . والنؤي : ما يقام من الحجارة حول الخباء حتى لا يدخله ماء المطر . وجذم الحوض : حرفه وأصله . يعني : النؤي قد ذهب أعلاه وبقي أصله لم يتحطم ، كبقايا الحوض . يقول : عرفت الدار بهذه الآثار ، قبله : "فلاياً عرفت الدار بعد توهم" ، "ونصب" أثافي" بقوله : "توهم" .
- (18) سياق العبارة : لإجماع القراء على أنها القراءة . . وعلى شذوذ القارئ بتخفيفها" على العطف .
- (19) في المطبوعة : "وكفى خطأ على قارئ ذلك" ، وهو ليس بكلام صحيح ، والصواب ما أثبتته ، استظهار من عبارة الطبري ، فيما سلف من أشباه ذلك .
- (20) في المطبوعة : "فويل لهم" . والصواب حذف "لهم" ، ليست من الآية هنا .
- (21) الخبر : 1382 - سفيان : هو الثوري . زياد بن فياض الخزاعي : ثقة ، مات سنة 129 . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2 / 1 / 334 ، وابن أبي حاتم 1 / 2 / 542 . أبو عياض : هو عمرو بن الأسود العنسي ، تابعي ثقة ، كان من عباد أهل الشام وزهادهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3 / 1 / 220 - 221 .
- (22) الخبر : 1383 - بشر بن أبان الحطاب ، شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة ولا ذكرا فيما بين يدي من المراجع .
- (23) الخبر : 1384 - علي بن سهل الرملي ، شيخ الطبري : ثقة ، مات سنة 261 . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3 / 1 / 189 . وزيد بن أبي الزرقاء الموصلي ، نزيل الرملة : ثقة ، مات سنة 194 . مترجم في التهذيب ، والكبير 2 / 1 / 361 ، وابن أبي حاتم 1 / 2 / 575 . سفيان هو الثوري . "عن زياد بن فياض" ، كالإسنادين اللذين قبله . وفي المطبوعة : "سفيان بن زياد بن فياض" ، وهو تحريف .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(24) الحديث: 1386 - هذا الإسناد مشكل. ووقع فيه هنا خطأ. من الناسخ أو الطابع، صحناه من الرواية الآتية: 1395 فقد كان فيه "حماد بن سلمة بن عبد الحميد بن جعفر"؛ وصوابه "عن عبد الحميد بن جعفر"، كما هو بديهي.

أما ما أشكل علينا فيه: فراويان لم نجد لهما ذكرا ولا ترجمة.

أحدهما: "إبراهيم بن عبد السلام بن صالح التستري". وسيأتي في الإسناد الآخر "إبراهيم بن عبد السلام" فقط. ولم أستطع أن أعرف من هو؟ وقد نقل ابن كثير 1: 217 الحديث الآتي: 1395، وأكمل نسب هذا الشيخ، ولكنه وقع فيه هكذا "إبراهيم بن عبد السلام، حدثنا صالح القشيري"! وأنا لست على ثقة من دقة التصحيح في طبعة تفسير ابن كثير، وأرى أن ما نسخة الطبري أقرب إلى الصحة.

الراوي الآخر: "علي بن جرير". وقد أتعبني أن أعرف من هو؟ مع البحث في كل المراجع، وتقليبه على كل الاحتمالات.

أما عبد الحميد بن جعفر: فإنه الأنصاري الأوسى المدني، وهو ثقة، وثقه أحمد وابن سعد وغيرهما، مات سنة 153، مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم 3 / 10 / 1. و"كنانة العدوي": هو كنانة ابن نعيم، وهو تابعي ثقة، مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري 4 / 1 / 236، وابن أبي حاتم 3 / 2 / 169. ولكنني أخشى أن لا يكون أدرك عثمان بن عفان، فإنهم لم يذكروا له رواية إلا عن أبي برزة الأسلمي وقصيبة بن المخارق، وهما متأخران كثيرا عن عثمان.

وأيا ما كان، فهذا الحديث لا أظنه مما يقوم إسناده. وهو مختصر من الحديث الآتي: 1395. والحافظ ابن كثير حين ذكره عن الطبري، وصفه بأنه "غريب جدا". وقد ذكره السيوطي أيضًا 1: 82، ولم ينسبها لغير الطبري. فالله أعلم. (25) الحديث: 1387 - إسناده صحيح. عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري المصري: ثقة حافظ متقن، مترجم في التهذيب، وابن سعد 7 / 2 / 203 وابن أبي حاتم 3 / 1 / 225. دراج، بفتح الدال وتشديد الراء: هو ابن سمعان، أبو السمع، المصري القاص، وهو ثقة، فيه خلاف كثير. والراجح عندنا أنه ثقة، كما بينا ذلك في شرح المسند: 6634، وفي تعليقتنا على تهذيب السنن: 2388. أبو الهيثم: هو سليمان بن عمرو العتواري المصري، كان يتيما لأبي سعيد الخدري، وكان في حجره. وهو تابعي ثقة، مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري 2 / 2 / 28 - 29، وابن أبي حاتم 2 / 1 / 131 - 132.

والحديث رواه ابن أبي حاتم - كما نقل عنه ابن كثير 1: 217 - عن يونس بن عبد الأعلى، شيخ الطبري هنا، بهذا الإسناد.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورواه الحاكم في المستدرک 4 : 596 ، من طريق بحر بن نصر . عن ابن وهب ، بهذا الإسناد ، بزيادة في آخره . وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

ورواه أحمد في المسند : 11735 (ج 3 ص 75 حليبي) ، عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن دراج ، به ، بزيادة في آخره . وقال ابن كثير - عقب رواية ابن أبي حاتم : "ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن الحسن بن موسى . . وقال هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة . قلت [القائل ابن كثير] : لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى . ولكن الآفة ممن بعده! وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعا - منكر!"

أقول : وابن كثير يريد بذلك جرح دراج أبي السمع ، وجعله علة الحديث . والصحيح ما ذهبنا إليه . وقد رواه ابن حبان في صحيحه أيضًا . كما في الدر المنثور 1 : 82 .

(26) يقال فلان يستأكل الضعفاء : يأخذ أموالهم ويأكلها . أما قوله : "ليتأكلوا" ، فلم أجد في المعاجم "يتأكل" ، فإن صح نص الطبري ، وإلا فهي عربية معرقة ، صح أو لم يصح .

(27) الحديث : 1395 - مضى الكلام فيه مفصلا : 1386 .

(28) سيرت : أدخلت ودفعت لتسير . وانماع الملح في الماء : ذاب . وفي اللسان روى تفسير عطاء ، وفيه : "لماعت" ، أي ذابت وسالت .

(29) في المطبوعة : "فما وجه فويل للذين . . ." ، كأنه سقط حرف من ناسخ أو طابع .

(30) يقال : نحل فلان فلانا شعرا : نسبه إليه باطلا . وكره الطبري أن يقول ما لا يجوز لأحد في ذكر ربه سبحانه وتعالى ، فانتهج طريقا في أساليب العربية ، فقال : "فنحله إلى أنه من عند الله" أي نسبه باطلا إلى أنه من عند الله . ولم يعد الفعل إلى مفعوليه .

(31) كان في المطبوعة : "أن يكون المتولى بيع ذلك وشراءه ، غير الموصوف به بأمره" وهو كلام غير واضح ولا مفهوم ، فأثرت أن أصححه ما استطعت .

(32) من معلقاته النبيلة . واللام في قوله "لمعفر" ، ترده إلى البيت قبله :

خنساء ضيعت القَيرِيرَ، فلم يَرمِ

عُرض الشقائق طوفها وبُغامها

والخنساء : البقرة الوحشية ، والفريير : ولدها . والشقائق : أرض غليظة بين رملتين ، أودعت هناك فيه ولدها . وطوفها طوافها حائرة . بغامها : صوتها صائحة باكية . ظلت تطوف وتتادي ولدها . وقوله: "لمعفر" ، أي طوفها وبغامها من أجل "معفر" . والمعفر: الذي ألقى في العفر، وهو التراب، صادت ولدها الذئب. قهد: هو ولد البقر، لطيف الجسم أبيض اللون. والشلو: العضو من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- اللحم، أو الجسد كله. وغبس: غير، وهي الذئاب. لا يمن طعامها: تكسب طعامها بنفسها، فلا يمن عليها أحد.
- (33) نقيت الثوب (بتشديد القاف) وأنقيته نقاء فهو نقي : نظيف . و"استنقيته" ليست في المعاجم ، ولكنها صحيحة البناء والمعنى .
- (34) خلا يخلو : مضى وذهب وانقضى .
- (35) الصعود : مشقة العذاب ، ولكنه أراد هنا ما قالوا : جبل في جهنم من جمرة واحدة ، يكلف الكافر ارتقائه ، ويضرب بالمقامع ، فكلما وضع عليه رجله ذابت إلى أسفل دركة ، ثم تعود مكانها صحيحة ، والله أعلم .
- (36) قال بيده : أشار . وقد مضى مثل ذلك مرارا .
- (37) الحديثان : 1406 ، 1407 - هما حديث واحد بإسنادين . ونسبه السيوطي أيضًا 1 : 84 ، لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وهو حديث مرسل ، لا تقوم به حجة .
- (38) الحديث : 1409 - هو حديث مرسل أيضًا .
- (39) في المطبوعة : "أنه يعذب .. فمخلد في النار" ، والصواب ما أثبتته .
- (40) الإنعام : التصديق . يقال : أنعم : أجاب بقوله : نعم . وهو تصديق .
- (41) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 52 - 53 ، وقد عد الطبري الحرف الآخر من "بلى" "ياء" ، وعدها الفراء "الفا" .
- (42) انظر تفسير"الظاهر" فيما سلف : 2 : 15 والمراجع .
- (43) انظر تفسير"الظاهر والباطن" أنفًا : 2 : 15 والمراجع .
- (44) هذا رد على المعتزلة ، في إيجابهم خلود أهل الإيمان في النار . ورجم الزاني المحصن ، وزوال فرض الصلاة عن الحائض في حال الحيض ، مما جاء في الأخبار ، ولم يأت به نص قرآن .
- (45) الخبر : 1430 - الربيع بن خثيم الثوري الكوفي : من كبار التابعين وخيارهم ، ثقة لا يسأل عن مثله . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2 / 246 / 1 وابن أبي حاتم 1 / 2 / 459 . وأبوه "خثيم" بضم الخاء المعجمة مصغر ، كما ضبطه ابن دريد في الاشتقاق : 112 - 113 ، والحافظ في التقريب ، ووقع في المطبوعة"خيثم" بتقديم الياء على الثاء ، وبذلك ضبطه صاحب الخلاصة . وهو خطأ صرف .
- (46) انظر ما مضى في كلامه عن"الخطيئة" في هذا الجزء 2 : 110 .
- (47) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، لسياقة الكلام .
- (48) انظر ما سلف 1 : 414 ، وهذا الجزء 2 : 156 .
- (49) في المطبوعة : "والقراء مختلفة" ، ورددها إلى ما جرى عليه الطبري في كل ما سلف.
- (50) غيب (بفتح الغين والياء) جمع غائب ، مثل خادم وخدم .
- (51) هو طرفة بن العبد .
- (52) ديوانه : 317 (أشعار الستة الجاهليين) ، من معلقته النفيسة وسيأتي في 21 : 22 / 30 : 130 (بولاق) ، وسيبويه 1 : 452 .
- (53) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 53 - 54 .
- (54) قوله تعالى في سورة المائدة : 12 : (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) إلى آخر الآية .
- (55) عقيبة بن هبيرة الأسدي ، جاهلي إسلامي .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(56) سيويه 1 : 34 ، 375 ، 448 ، والخزانة 1 : 343 ، وسمط اللآئى : 149
وفيه تحقيق جيد . وهذا البيت مما أخطأ فيه سيويه ، وكان عقيبة وفد على
معاوية ، ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات :

معاوي إننا بشر فأسجح
فلسنا بالجبال ولا الحديد
فهبها أمة ذهبت ضياعا
يزيد أميرها وأبو يزيد
أكلتم أرضنا فجردتموها
فهل من قائم أو من حصيد ؟

ذروا حَوْنَ الخلافة واستقيموا

وتأمير الأراذل والعييد

وأعطونا السوية، لا تزرركم

جنود مردفات بالجنود

فدعاه معاوية فقال له : ما أجراك علي؟ قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك
إذ كذبوك . فقال معاوية : ما أظنك إلا صادقا .
(57) انظر ما سلف 1 : 138 .

(58) انظر ما سلف في هذا الجزء : 2 : 137 .

(59) في المطبوعة: "ومعناه" بزيادة الواو، والصواب حذفها.

(60) في المطبوعة : "في موضع الحكايات كما أخبرت عنه" ، والصواب ما
أثبتته .

(61) انظر ما سلف 1 : 153 - 154 ، وسيأتي في هذا الجزء 2 : 357 .

(62) هو كثير عزة .

(63) ديوانه 1 : 53 من قصيدته المشهورة. قلاه يقلبه قلى فهو مقلي: كرهه

وأبغضه. وتقلى تبغض، أي استعمل من الفعل أو القول ما يدعو إلى بغضه.

(64) في المطبوعة : "فإن القراء" ، ورددته إلى ما مضى عليه أبو جعفر في
عبارته ، كما سلف مرارا .

(65) يقال هو : عمرو بن معد يكرب الزبيدي . (الخزانة 4 : 56) ، وليس في

قصيدته التي على هذا الوزن في الأصمعيات : 43 ، ولكنه أتى في نوادر أبي

زيد : 149 - 150 أنه لعمرو بن معد يكرب . فكأنه له ، وكأنه سقط من

رواية الأصمعي ، وهو في رواية غيره .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(66) نوادر أبي زيد : 150 ، وسيبويه 1 : 365 ، 429 والخزانة 4 : 53 . وغيرها

(67) في المطبوعة : "لأن يقولوه للناس" بزيادة اللام ، فاسدة .

(68) الأثر : 1454 - أحشى أن يكون سقط من إسناده شيء .

(69) الخبر : 1455 - هارون بن إدريس الأصب ، شيخ الطبري : لم أجد له

ترجمة ، ولا وجدته في مكان ، إلا في رواية الطبري عنه في التاريخ أيضًا 1

: 253 ، و 2 : 126 . روى عنه ، عن المحاربي . عبد الملك بن أبي سليمان :

هو العرزمي ، أحد الأئمة الثقات الحفاظ . مترجم في التهذيب ، وابن أبي

حاتم 2 / 2 / 366 - 368 .

(70) انظر ما سلف 1 : 241 ، 573 .

(71) انظر ما سلف 1 : 573 - 574 .

(72) انظر معنى "تولى" فيما سلف من هذا الجزء 2 : 162 .

(73) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 38 ، 39 ثم 164 ، ثم 245 ، ثم

302 .

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**

قال أبو جعفر: قوله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) في المعنى

والإعراب نظير قوله: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ** .

< 2-300 >

وأما " سفك الدم "، فإنه صبه وإراقته.

فإن قال قائل: وما معنى قوله: (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من

دياركم)؟ وقال: أو كان القوم يقتلون أنفسهم ويخرجونها من ديارها، فنهوا عن

ذلك؟ قيل: ليس الأمر في ذلك على ما ظننت، ولكنهم نهوا عن أن يقتل

بعضهم بعضا. فكان في قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه، إذ كانت

ملتهما[واحدة، فهما] بمنزلة رجل واحد. كما قال عليه السلام: (1)

1463 - "إنما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد،

إذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر". (2)

وقد يجوز أن يكون معنى قوله: (لا تسفكون دماءكم)، أي: لا يقتل الرجل

منكم الرجل منكم، فيقاد به قصاصا، فيكون بذلك قاتلا نفسه، لأنه كان الذي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

سبب لنفسه ما استحققت به القتل. فأضيف بذلك إليه، قتل ولي المقتول إياه قصاصا بوليه. كما يقال للرجل يركب فعلا من الأفعال يستحق به العقوبة، فيعاقب العقوبة: " أنت جنيت هذا على نفسك ".

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1464 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم)، أي: لا يقتل بعضكم بعضا، (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم)، ونفسك يا ابن آدم أهل ملتك.

< 2-301 >

1465 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم)، يقول: لا يقتل بعضكم بعضا، (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم)، يقول: لا يخرج بعضكم بعضا من الديار.

1466 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن قتادة في قوله: (لا تسفكون دماءكم)، يقول: لا يقتل بعضكم بعضا بغير حق، (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم)، فتسفك يا ابن آدم دماء أهل ملتك ودعوتك.

القول في تأويل قوله تعالى : ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (ثم أقررتم)، بالميثاق الذي أخذنا عليكم: لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم، كما:-

1467 - حدثنا المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (ثم أقررتم)، يقول: أقررتم بهذا الميثاق.

1468 - وحدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فيمن خوطب بقوله: (وأنتم تشهدون). فقال بعضهم: ذلك خطاب من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام هجرته إليه، مؤنبا لهم على تضييع أحكام ما في أيديهم من التوراة التي كانوا يقرون بحكمها، فقال الله تعالى لهم: **ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ** ، < 302-2 > يعني بذلك، إقرار أوائلكم وسلفكم، (وأنتم تشهدون) على إقرارهم بأخذ الميثاق عليهم، بأن لا يسفكوا دماءهم، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، وتصدقون بأن ذلك حق من ميثاقي عليهم. وممن حُكي معنى هذا القول عنه، ابنُ عباس.

1469 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون) أن هذا حق من ميثاقي عليكم.

وقال آخرون: بل ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن أوائلهم، ولكنه تعالى ذكره أخرج الخبر بذلك عنهم مُخرج المخاطبة، على النحو الذي وصفنا في سائر الآيات التي هي نظائرها، التي قد بينا تأويلها فيما مضى. (3)

وتأولوا قوله: (وأنتم تشهدون)، على معنى: وأنتم شهود.

* ذكر من قال ذلك:

1470 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: (وأنتم تشهدون)، يقول: وأنتم شهود.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب عندي: أن يكون قوله: (وأنتم تشهدون) خبرا عن أسلافهم، وداخلا فيه المخاطبون منهم، الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كان قوله: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ** خبرا عن أسلافهم، وإن كان خطابا للذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. (4) لأن الله تعالى أخذ ميثاق الذين كانوا على عهد رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل - على سبيل ما قد بينه لنا في كتابه - فألزم جميع من بعدهم من ذريتهم من حكم التوراة، مثل الذي ألزم منه من كان على عهد موسى منهم. ثم أنب الذين خاطبهم بهذه الآيات على نقضهم ونقض سلفهم < 303-2 > ذلك الميثاق، وتكذيبهم ما وكدوا على أنفسهم له بالوفاء من العهود، (5) بقوله: (ثم أقررتم وأنتم تشهدون). فإذا كان خارجا على

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وجه الخطاب للذين كانوا على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم منهم، (6) فإنه معني به كل من واثق بالميثاق منهم على عهد موسى ومن بعده، وكل من شهد منهم بتصديق ما في التوراة. لأن الله جل ثناؤه لم يخص بقوله: (ثم أقررتم وأنتم تشهدون) - وما أشبه ذلك من الآي - بعضهم دون بعض، والآية محتملة أن يكون أريد بها جميعهم. فإذا كان ذلك كذلك، (7) فليس لأحد أن يدعي أنه أريد بها بعض منهم دون بعض. وكذلك حكم الآية التي بعدها، أعني قوله: **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ** الآية. لأنه قد ذكر لنا أن أوائلهم قد كانوا يفعلون من ذلك ما كان يفعله أواخرهم الذين أدركوا عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى: **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**

قال أبو جعفر: ويتجه في قوله: (ثم أنتم هؤلاء) وجهان. أحدهما أن يكون أريد به: ثم أنتم يا هؤلاء، فترك "يا" استغناءً بدلالة الكلام عليه، كما قال: **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا [يوسف: 29]**، وتأويله: يا يوسف أعرض عن هذا. فيكون معنى الكلام حينئذ: ثم أنتم يا معشر يهود بني إسرائيل - بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم: لا تسفكون دماءكم، ولا تخرجون أنفسكم < 304-2 > من دياركم، ثم أقررتم = بعد شهادتكم على أنفسكم = (8) بأن ذلك حق لي عليكم، لازم لكم الوفاء لي به - تقتلون أنفسكم، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم، متعاونين عليهم، في إخراجكم إياهم، بالإثم والعدوان. (9)

والتعاون هو "التظاهر". وإنما قيل للتعاون "التظاهر"، (10) لتقوية بعضهم ظهر بعض. فهو "تفاعل" من "الظهر"، وهو مساندة بعضهم ظهره إلى ظهر بعض.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: ثم أنتم قوم تقتلون أنفسكم. فيرجع إلى الخبر عن "أنتم". وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم "بهؤلاء"، كما تقول العرب: "أنا ذا أقوم، وأنا هذا أجلس"، (11) وإذ قيل: "أنا هذا أجلس" كان صحيحاً جائزاً كذلك: أنت ذاك تقوم".

وقد زعم بعض البصريين أن قوله "هؤلاء" في قوله: (ثم أنتم هؤلاء)، تنبيه وتوكيد لـ "أنتم". وزعم أن "أنتم" وإن كانت كناية أسماء جماع المخاطبين، فإنما جاز أن يؤكدوا بـ "هؤلاء" و "أولاء"، (12) لأنها كناية عن المخاطبين، كما قال خفاف بن ندبة:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أقول له والرمح يَاطرُ متنه :

تبين حُفَافاً إنني أنا ذلكا (13)

يريد: أنا هذا، وكما قال جل ثناؤه: حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَّيْنَ > 2-305
< بِهِمْ [يونس: 22]

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُنِيَ بهذه الآية، نحو اختلافهم فيمن عَنِيَ بقوله:
وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ .

* ذكر اختلاف المختلفين في ذلك:

1471 - حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) إلى أهل الشرك، (14) حتى تسفكوا دماءهم معهم، وتخرجوهم من ديارهم معهم. (15) قال: أنبهم الله [على ذلك] من فعلهم، (16) وقد حرم عليهم في التوراة سفك دماءهم، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم، فكانوا فريقين: طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة، يعرفون منها ما عليهم وما لهم. والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان، (17) لا يعرفون جنة ولا ناراً، ولا بعثاً ولا قيامة، ولا كتاباً، ولا حراماً ولا حلالاً فإذا وضعت الحرب أوزارها، اقتدوا أسراهم، تصديقا لما في التوراة، وأخذوا به، بعضهم من بعض. يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، > 2-306 < وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلقون ما أصابوا من الدماء، (18) وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم، (19) مظهرة لأهل الشرك عليهم. يقول الله تعالى ذكره، حين أنبهم بذلك: (20) أَقْتُومُونَ بِنِعْمِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِنِعْمِ ، أي تفادونه بحكم التوراة وتقتلونه - وفي حكم التوراة أن لا يقتل، ولا يخرج من داره، (21) ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه - ابتغاء عرض من عرض الدنيا.

ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج - فيما بلغني - نزلت هذه القصة. (22)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1472 - وحدثني موسى بن هارون قال، حدثني عمرو بن حماد قال، حدثنا إسباط، عن السدي: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ** قال: إن الله أخذ على بني إسرائيل في التوراة: أن لا يقتل بعضهم بعضا، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام ثمنه، فأعتقوه. (23) فكانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، فكانوا يقتتلون في حرب سُمير. (24) فيقاتل بنو قريظة مع حلفائها، النضير وحلفاءها. وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها، فيغلبونهم، فيخربون بيوتهم، ويخرجونهم منها. فإذا أسر الرجل من الفريقين كليهما، جمعوا له حتى $< 2-307 >$ يفدوه، فتعيرهم العرب بذلك، ويقولون: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم، وحرّم علينا قتالهم. قالوا: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن تستذل حلفاؤنا. فذلك حين عيرهم جل وعز فقال: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان).

1473 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: كانت قريظة والنضير أخوين، وكانوا بهذه المثابة، (25) وكان الكتاب بأيديهم. وكانت الأوس والخزرج أخوين فافترقا، وافترقت قريظة والنضير، فكانت النضير مع الخزرج، وكانت قريظة مع الأوس، فاقتتلوا. وكان بعضهم يقتل بعضا، فقال الله جل ثناؤه: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) الآية.

وقال آخرون بما:-

1474 - حدثني به المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قال: كان في بني إسرائيل: إذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم. وقد أخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم.

قال أبو جعفر: وأما "العدوان" فهو "الفعلان" من "التعدي"، يقال منه: "عدا فلان في كذا عدوا وعدوانا، واعتدى يعتدي اعتداء"، وذلك إذا جاوز حده ظلما وبغيا.

وقد اختلف القراء في قراءة: (تظاهرون). (26) فقرأها بعضهم: "تظاهرون" على مثال "تفاعلون" فحذف التاء الزائدة وهي التاء الآخرة. وقرأها آخرون: $< 2-308 >$ (تظاهرون)، فشدّد، بتأويل: (تتظاهرون)، غير أنهم أدغموا التاء الثانية في الظاء، لتقارب مخرجيهما، فصيروهما ظاء مشددة. وهاتان القراءتان،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإن اختلفت ألفاظهما، فإنهما متفقتا المعنى. فسواء بأي ذلك قرأ القارئ، لأنهما جميعا لغتان معروفتان، وقراءتان مستفيضةتان في أمصار الإسلام بمعنى واحد، ليس في إحداهما معنى تستحق به اختيارها على الأخرى، إلا أن يختار مختار "تظاهرون" المشددة طلبا منه تمة الكلمة.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى ثَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم) اليهود. يوبخهم بذلك، ويعرفهم به قبيح أفعالهم التي كانوا يفعلونها، فقال لهم: ثم أنتم - بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم: أن لا تسفكوا دماءكم، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم - تقتلون أنفسكم = يعني به: يقتل بعضكم بعضا = وأنتم، مع قتلكم من تقتلون منكم، إذا وجدتم الأسير منكم في أيدي غيركم من أعدائكم، تفدونه، (27) ويخرج بعضكم بعضا من دياره. وقتلكم إياهم وإخراجكموهم من ديارهم، حرام عليكم، وتركهم أسرى في أيدي عدوكم [حرام عليكم]، (28) فكيف تستجيزون قتلهم، ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم؟ أم كيف لا تستجيزون ترك فدائهم، وتستجيزون قتلهم؟ وهما جميعا في اللازم لكم من الحكم فيهم - سواء. (29) لأن الذي حرمت عليكم > 2- 309 < من قتلهم وإخراجهم من دورهم، نظير الذي حرمت عليكم من تركهم أسرى في أيدي عدوهم، أفؤمنون ببعض الكتاب - الذي فرضت عليكم فيه فرائضي، وبينت لكم فيه حدودي، وأخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي - فتصدقون به، فتفادون أسراكم من أيدي عدوكم؛ وتكفرون ببعضه، فتجدونه، فتقتلون من حرمت عليكم قتله من أهل دينكم ومن قومكم، وتخرجونهم من ديارهم؟ وقد علمتم أن الكفر منكم ببعضه نقض منكم عهدي وميثاقي؟ كما:-

1475 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)، [أفؤمنون ببعض الكتاب فادين، وتكفرون ببعض قاتلين ومخرجين]؟ (30) والله إن فدائهم لإيمان، وإن إخراجهم لكفر. فكانوا يخرجونهم من ديارهم، وإذا رأوهم أسارى في أيدي عدوهم أفتكوهم.

1476 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عن عكرمة، عن ابن عباس: (وإن يأتوكم أسارى تفدوهم)، قد علمتم أن ذلكم عليكم في دينكم، (وهو محرم عليكم) في كتابكم (إخراجهم أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)، أفادونهم مؤمنين بذلك، وتخرجونهم كفرا بذلك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1477 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وإن يأتوكم أسارى تفدوهم) يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته، وأنت تقتله بيدك؟

< 2-310 >

1478 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر قال، قال أبو جعفر: كان قتادة يقول في قوله: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)، فكان إخراجهم كفرا، وفداؤهم إيمانا.

1479 - حدثنا المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ الآية، قال: كان في بني إسرائيل: إذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم، وقد أخذ عليهم الميثاق: أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، وأخذ عليهم الميثاق: إن أسر بعضهم أن يفادوهم. فأخرجوهم من ديارهم، ثم فادوهم، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض. آمنوا بالفداء ففدوا، وكفروا بالإخراج من الديار فأخرجوا.

1480 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر قال، حدثنا الربيع بن أنس قال، أخبرني أبو العالية: أن عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادي من النساء من لم يقع عليه العرب، ولا يفادي من وقع عليه العرب، فقال له عبد الله بن سلام: أما إنه مكتوب عندك في كتابك: أن فادوهن كلهن.

1481 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريح: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)، قال: كفرهم القتل والإخراج، وإيمانهم الفداء. قال ابن جريح: يقول: إذا كانوا عندكم تقتلونهم وتخرجونهم من ديارهم، وأما إذا أسروا تفدوهم؟ (31) وبلغني أن عمر بن الخطاب قال في قصة بني إسرائيل: إن بني إسرائيل قد مضوا، وإنكم أنتم تعنون بهذا الحديث.

قال أبو جعفر: واختلف القراء (32) في قراءة قوله: (وإن يأتوكم أسارى تفدوهم). < 311-2 > فقرأه بعضهم: (أسرى تفدوهم)، وبعضهم: (أسارى تفادوهم)، وبعضهم (أسارى تفدوهم)، وبعضهم: (أسرى تفادوهم).

قال أبو جعفر: فمن قرأ ذلك: (وإن يأتوكم أسرى)، فإنه أراد جمع "الأسير"، إذ كان على "فعل" على مثال جمع أسماء ذوي العاهات التي يأتي واحدا على تقدير "فعل"، إذ كان "الأسير" شبيه المعنى - في الأذى والمكروه الداخل على الأسير - ببعض معاني العاهات، وألحق جمع المستلحق به بجمع

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ما وصفنا، فقبل: أسير وأسرى، " كما قيل: " مريض ومرضى، وكسير وكسرى، وجريح وجرحى " .

وقال أبو جعفر: وأما الذين قرءوا ذلك: (أسارى)، فإنهم أخرجوه على مخرج جمع " فَعْلان "، إذ كان جمع " فَعْلان " الذي له " فَعلى " قد يشارك جمع " فعيل " كما قالوا: " سَكَارى وسَكَرى، وكَسالى وكَسلى "، فشبهوا " أسيرا " - وجمعه مرة " أسارى "، وأخرى " أسرى " - بذلك .

وكان بعضهم يزعم أن معنى " الأسرى " مخالف معنى " الأسارى "، ويزعم أن معنى " الأسرى " استئثار القوم بغير أسر من المستأبِر لهم، وأن معنى " الأسارى " معنى مصير القوم المأسورين في أيدي الأسرين بأسرهم وأخذهم قهرا وغلبة.

قال أبو جعفر: وذلك ما لا وجه له يفهم في لغة أحد من العرب. ولكن ذلك على ما وصفت من جمع " الأسير " مرة على " فَعلى " لما بينت من العلة، ومرة على " فُعالى "، لما ذكرت: من تشبيهم جمعه بجمع " سكران وكسلان " وما أشبه ذلك.

وأولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأ (وإن يأتوكم أسرى)، لأن " فعالى " في جمع " فعيل " غير مستفيض في كلام العرب، فإذا كان ذلك غير مستفيض في كلامهم، وكان مستفيضا فاشيا فيهم جمع ما كان من الصفات - التي بمعنى < 312-2 > الألام والزمانة - وواحدة على تقدير " فعيل "، على " فعلى "، كالذي وصفنا قبل، وكان أحد ذلك " الأسير "، كان الواجب أن يلحق بنظائره وأشكاله، فيجمع جمعها دون غيرها ممن خالفها.

وأما من قرأ: (تفادوهم)، فإنه أراد: أنكم تفدونهم من أسرهم، ويفدي منكم - الذين أسروهم ففادوكم بهم - أسراكم منهم.

وأما من قرأ ذلك (تفدوهم)، فإنه أراد: إنكم يا معشر اليهود، إن أتاكم الذين أخرجتموهم منكم من ديارهم أسرى فديتموهم فاستنقذتموهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهذه القراءة أعجب إلي من الأولى - أعني: (أسرى تفادوهم) - (33) لأن الذي على اليهود في دينهم فداء أسراهم بكل حال، فدى الآسرون أسراهم منهم أم لم يفدوهم.

وأما قوله: (وهو محرم عليكم إخراجهم)، فإن في قوله: (وهو) وجهين من التأويل. أحدهما: أن يكون كناية عن الإخراج الذي تقدم ذكره. كأنه قال: وتخرجون فريقا منكم من ديارهم، وإخراجهم محرم عليكم. ثم كرر "الإخراج" الذي بعد "وهو محرم عليكم" تكريرا على "هو"، لما حال بين "الإخراج" و"هو" كلام.

والتأويل الثاني: أن يكون عمادا، لما كانت "الواو" التي مع "هو" تقتضي اسما يليها دون الفعل. (34) فلما قدم الفعل قبل الاسم - الذي تقتضيه "الواو" أن يليها - أوليت "هو"، لأنه اسم، كما تقول: "أيتك" وهو قائم أبوك"، بمعنى: "وأبوك قائم"، إذ كانت "الواو" تقتضي اسما، فعمدت بـ "هو"، إذ سبق الفعل الاسم ليصلح الكلام. (35) كما قال الشاعر:

< 2-313 > فأبلغ أبا يحيى إذا ما لقيته

على العيس في آباطها عرق يئس (36)

بأن السُّلاميَّ الذي بصَّرِيَّة

أمير الحمى، قد باع حَقِّي بني عيس (37)

بثوب ودينار وشاة ودرهم

فهل هو مرفوع بما ههنا رَأْسُ (38)

فأوليت "هل" "هو" لطلبها الاسم العماد. (39)

< 2-314 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (فما جزاء من يفعل ذلك منكم): فليس لمن قتل منكم قتيلا = فكفر بقتله إياه، بنقض عهد الله الذي حكم به عليه في التوراة - وأخرج منكم فريقا من ديارهم مظاهرا عليهم أعداءهم من أهل الشرك ظلما وعدوانا وخلافا لما أمره الله به في كتابه الذي أنزله إلى موسى = جزاء - يعني "بالجزاء": الثواب، وهو العوض مما فعل من ذلك والأجر عليه - (40) إلا خزي في الحياة الدنيا. و "الخزي": الذل والصغار، يقال منه: "خزي الرجل يخزي خزيا"، (في الحياة الدنيا)، يعني: في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

ثم اختلف في الخزي الذي أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم إياه. فقال بعضهم: ذلك هو حكم الله الذي أنزله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: من أخذ القاتل بمن قتل، والقود به قصاصا، والانتقام للمظلوم من الظالم.

وقال آخرون: بل ذلك، هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم، ذلة لهم وصغارا.

وقال آخرون: بل ذلك الخزي الذي جوزوا به في الدنيا: إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم النضير من ديارهم لأول الحشر، وقتل مقاتلة قريظة وسبي ذراريهم، فكان ذلك خزيا في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

< 2-315 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب): ويوم تقوم الساعة يرد من يفعل ذلك منكم - بعد الخزي الذي يحل به في الدنيا جزاء على معصية الله - إلى أشد العذاب الذي أعد الله لأعدائه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد قال بعضهم: معنى ذلك: ويوم القيامة يردون إلى أشد من عذاب الدنيا. (41)

ولا معنى لقول قائل ذلك. (42) ذلك بأن الله جل ثناؤه إنما أخبر أنهم يردون إلى أشد معاني العذاب، ولذلك أدخل فيه " الألف واللام "، لأنه عنى به جنس العذاب كله، دون نوع منه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)

قال أبو جعفر: اختلف القراء في قراءة ذلك. فقرأه بعضهم: (وما الله بغافل عما يعملون) بـ " الياء "، على وجه الإخبار عنهم، فكأنهم نحووا بقراءتهم معنى: (فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون)، يعني: عما يعمله الذين أخبر الله عنهم أنه ليس لهم جزاء على فعلهم إلا الخزي في الحياة الدنيا، ومرجعهم في الآخرة إلى أشد العذاب.

وقرأه آخرون: (وما الله بغافل عما تعملون) بـ " التاء " على وجه المخاطبة. > 316-2 < قال: فكأنهم نحووا بقراءتهم: أَقْتُومُونَ بِنِعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ . وما الله بغافل، يا معشر اليهود، عما تعملون أتم.

وأعجب القراءتين إلي قراءة من قرأ بـ " الياء "، اتباعاً لقوله: فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، ولقوله: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ . لأن قوله: (وما الله بغافل عما يعملون) إلى ذلك، أقرب منه إلى قوله: أَقْتُومُونَ بِنِعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ ، فاتباعه الأقرب إليه، أولى من إلحاقه بالأبعد منه. والوجه الآخر غير بعيد من الصواب.

وتأويل قوله: " وما الله بغافل عما يعملون " ، (43) وما الله بساه عن أعمالهم الخبيثة، بل هو محص لها وحافظها عليهم حتى يجازيهم بها في الآخرة، ويخزيهم في الدنيا، فيذلهم ويفضحهم. (44)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (86)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه أولئك الذين أخبر عنهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب، فيفادون أسراهم من اليهود، ويكفرون ببعض، فيقتلون من حرم الله عليهم قتله من أهل ملتهم، ويخرجون من داره من حرم الله عليهم إخراجهم من داره، نقضا لعهد الله وميثاقه في التوراة إليهم. فأخبر جل ثناؤه أن هؤلاء [هم] الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا على الضعفاء وأهل الجهل والغباء من أهل ملتهم، (45) وابتاعوا المآكل الخسيسة الرديئة فيها بالإيمان، الذي كان يكون لهم به في الآخرة - لو كانوا أتوا به مكان الكفر - الخلود في الجنان. وإنما وصفهم الله جل ثناؤه < 317-2 > بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، لأنهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله فيها، عوضا من نعيم الآخرة الذي أعده الله للمؤمنين. فجعل حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله، ثمنا لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا، (46) كما:-

1482 - حدثنا بشر، حدثنا يزيد قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة)، استحبووا قليل الدنيا على كثير الآخرة. (47)

قال أبو جعفر: ثم أخبر الله جل ثناؤه أنهم إذ باعوا حظوظهم من نعيم الآخرة - بتركهم طاعته، وإيثارهم الكفر به والخسيس من الدنيا عليه - لا حظ لهم في نعيم الآخرة، وأن الذي لهم في الآخرة العذاب، غير مخفف عنهم فيها العذاب. لأن الذي يخفف عنه فيها من العذاب، هو الذي له حظ في نعيمها، ولا حظ لهؤلاء، لاشتراءهم - بالذي كان في الدنيا - دنياهم بأخرتهم. (48)

وأما قوله: (ولا هم ينصرون) فإنه أخبر عنهم أنه لا ينصرهم في الآخرة أحد، فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله - لا بقوته ولا بشفاعته ولا غيرهما.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (آتينا موسى الكتاب): أنزلناه إليه. وقد بينا أن معنى "الإيتاء" "الإعطاء"، فيما مضى قبل. (49)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-318 >

و " الكتاب " الذي آتاه الله موسى عليه السلام، هو التوراة.

وأما قوله: (وقفينا)، فإنه يعني: وأردفنا وأتبعنا بعضهم خلف بعض، كما يقفو الرجل الرجل: إذا سار في أثره من ورائه. وأصله من " القفا "، يقال منه: " قفوت فلانا: إذا صرت خلف قفاه، كما يقال: " دبرته "؛ إذا صرت في دبره.

ويعني بقوله: (من بعده)، من بعد موسى.

ويعني بـ(الرسل): الأنبياء، وهم جمع " رسول " . يقال: " هو رسول وهم رسل " ، كما يقال: " هو صبور وهم قوم صبر، وهو رجل شكور وهم قوم شكر.

وإنما يعني جل ثناؤه بقوله: (وقفينا من بعده بالرسل)، أي أتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد وشريعة واحدة. لأن كل من بعثه الله نبيا بعد موسى صلى الله عليه وسلم إلى زمان عيسى ابن مريم، فإنما بعثه يأمر بني إسرائيل بإقامة التوراة، والعمل بما فيها، والدعاء إلى ما فيها. فلذلك قيل: (وقفينا من بعده بالرسل)، يعني على منهاجه وشريعته، والعمل بما كان يعمل به.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِنَاتِ**

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (وآتينا عيسى ابن مريم البنات)، أعطينا عيسى ابن مريم.

ويعني بـ " البنات " التي آتاه الله إياها: ما أظهر على يديه من الحجج والدلالة على نبوته: من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، ونحو ذلك من الآيات، التي أبانت منزلته من الله، ودلت على صدقه وصحة نبوته، كما:-

1483 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحاق قال، حدثنا محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن > 2-319

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< عباس: (وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِنَاتِ): أي الآيات التي وضع على يديه: من إحياء الموتى، وخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله، وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون في بيوتهم، وما رد عليهم من التوراة، مع الإنجيل الذي أحدث الله إليه.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَيَّدَاتُهُ يَرْوِحُ الْقُدُسِ**

قال أبو جعفر: أما معنى قوله: (وأيدناه)، فإنه قويناه فأعناها، كما:-

1484 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير، عن جوبير، عن الضحاك: (وأيدناه)، يقول: نصرناه. يقال منه: "أيدك الله"، أي قواك، وهو رجل ذو أيد، وذو أد، "يراد: ذو قوة. ومنه قول العجاج:

من أن تبدلت بآدي آدا (50) *

يعني: بشبابي قوة المشيب، ومنه قول الآخر: (51)

إن القداح إذا اجتمعن فرامها

بالكسر ذو جَلَدٍ وبطش أَيْدٍ < 2-320 > (52)

يعني بالأيد: القوي.

ثم اختلف في تأويل قوله: (بروح القدس). فقال بعضهم: "روح القدس" الذي أخبر الله تعالى ذكره أنه أيد عيسى به، هو جبريل عليه السلام.

* ذكر من قال ذلك:

1485 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (وأيدناه بروح القدس) قال: هو جبريل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1486 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قوله: (وأيدناه بروح القدس)، قال: هو جبريل عليه السلام.

1487 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير، عن جوير، عن الضحاك في قوله: (وأيدناه بروح القدس)، قال: روح القدس، جبريل.

1488 - حدثنا عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (وأيدناه بروح القدس)، قال: أيد عيسى بجبريل، وهو روح القدس.

1489 - وقال ابن حميد، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال، حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين المكي، عن شهر بن حوشب الأشعري: أن نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أخبرنا عن الروح. قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل؟ وهو [الذي] < 2-321 > يأتيني؟ قالوا: نعم. (53)

وقال آخرون: الروح الذي أيد الله به عيسى، هو الإنجيل.

* ذكر من قال ذلك:

1490 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (وأيدناه بروح القدس)، قال: أيد الله عيسى بالإنجيل روحا، كما جعل القرآن روحا كلاهما روح الله، كما قال الله: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا [الشورى: 52].

وقال آخرون: هو الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى.

* ذكر من قال ذلك:

1491 - حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (وأيدناه بروح القدس)، قال: هو الاسم الذي كان يحيي عيسى به الموتى.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: "الروح" في هذا الموضع جبريل. لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به، كما أخبر في قوله: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرِي نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا < 2-322 > وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ [المائدة: 110]، فلو كان الروح الذي أيد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الله به هو الإنجيل، لكان قوله: **إِذْ أَيْدُوكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ، و " إذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل "، تكرير قول لا معنى له. وذلك أنه على تأويل قول من قال: معنى **إِذْ أَيْدُوكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ، إنما هو: إذ أيدتك بالإنجيل - وإذ علمتك الإنجيل. وهو لا يكون به مؤيداً إلا وهو مُعَلِّمُهُ، فذلك تكرير كلام واحد، من غير زيادة معنى في أحدهما على الآخر. وذلك خلف من الكلام، (54) والله تعالى ذكره يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة. وإذ كان ذلك كذلك، قَبِيحٌ فساد قول من زعم أن " الروح " في هذا الموضع، الإنجيل، وإن كان جميع كتب الله التي أوحاها إلى رسله روحاً منه لأنها تحيا بها القلوب الميتة، وتنتعش بها النفوس المولية، وتهتدي بها الأحلام الضالة.

وإنما سمي الله تعالى جبريل " روحاً " وأضافه إلى " القدس "، لأنه كان بتكوين الله له روحاً من عنده، من غير ولادة والد ولده، فسماه بذلك " روحاً "، وأضافه إلى " القدس " - و " القدس "، هو الطهر - كما سمي عيسى ابن مريم " روحاً " لله من أجل تكوينه له روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده.

وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا، أن معنى " التقديس " : التطهير، و " القدس " - الطهر، من ذلك. وقد اختلف أهل التأويل في معناه في هذا الموضع نحو اختلافهم في الموضع الذي ذكرناه. (55)

1492 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: القدس، البركة.

1493 - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه قال: القدس، وهو الرب تعالى ذكره.

< 2-323 >

1494 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (وأيدناه بروح القدس)، قال: الله، القدس، وأيد عيسى بروحه، قال: نعت الله، القدس، وقرأ قول الله جل ثناؤه: **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ [الحشر: 23]**، قال: القدس والقدوس، واحد.

1495 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، [عن هلال] بن أسامة، عن عطاء بن يسار قال، قال كعب: الله، القدس. (56)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى
أنفسكم)، اليهود من بني إسرائيل.

1496 - حدثني بذلك محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا
عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

قال أبو جعفر: يقول الله جل ثناؤه لهم: يا معشر يهود بني إسرائيل، لقد أتينا
موسى التوراة، وتابنا من بعده بالرسول إليكم، وأتينا عيسى ابن مريم > 2-
324 < البيئات والحجج، إذ بعثناه إليكم، وقويناه بروح القدس، وأنتم كلما
جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم - تجبرا
وبغيا - استكبار إمامكم إبليس، فكذبتم بعضا منهم. وقتلتم بعضا. فهذا فعلكم
أبدا برسلي.

وقوله: (أفكلما)، وإن كان خرج مخرج التقرير في الخطاب، فهو بمعنى الخبر.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ

قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة ذلك. فقرأه بعضهم: (وقالوا قلوبنا
غُلْفٌ) مخففة اللام ساكنة. وهي قراءة عامة الأمصار في جميع الأقطار. وقرأه
بعضهم: " وقالوا قلوبنا غُلْفٌ " مثقلة اللام مضمومة.

فأما الذين قرأوها بسكون اللام وتخفيفها، فإنهم تأولوها، أنهم قالوا: قلوبنا في
أكنة وأغطية وغلف. و " الغلف " -على قراءة هؤلاء- جمع " أغلف "، وهو الذي
في غلاف وغطاء، كما يقال للرجل الذي لم يختتن " أغلف "، والمرأة " غلفاء
". وكما يقال للسيف إذا كان في غلافه: " سيف أغلف "، وقوس غلفاء "
وجمعها " غُلْفٌ "، وكذلك جمع ما كان من النعوت ذكره على " أفعل " وأثاءه
على " فعلاء "، يجمع على " فُعُلٌ " مضمومة الأول ساكنة الثاني، مثل: " أحمر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وحمر، وأصفر وصفير"، فيكون ذلك جماعاً للتأنيث والتذكير. ولا يجوز تثقيل عين " فعل " منه، إلا في ضرورة شعر، كما قال طرفة بن العبد: (57)

أيها الفتيان في مجلسنا

جردوا منها وِرادا وشُقُر > 325-2 < (58)

يريد: شُقُرًا، إلا أن الشعر اضطره إلى تحريك ثانيه فحركه. ومنه الخبر الذي:-

1497 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير بن سلمان قال، حدثنا عمرو بن قيس الملائي، عن عمرو بن مرة الجملي، عن أبي البختري، عن حذيفة قال: القلوب أربعة - ثم ذكرها - فقال فيما ذكر: وقلب أغلف معصوب عليه، فذلك قلب الكافر. (59)

* ذكر من قال ذلك، يعني أنها في أغطية.

1498 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق > 326-2 < قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس: (وقالوا قلوبنا غلف)، أي في أكنة.

1499 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح، عن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: (قلوبنا غلف)، أي في غطاء.

1500 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (وقالوا قلوبنا غلف)، فهي القلوب المطبوع عليها.

1501 - حدثني عباس بن محمد قال، حدثنا حجاج قال، قال ابن جريج، أخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد قوله: (وقالوا قلوبنا غلف)، عليها غشاوة.

1502 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل قال، أخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد: (وقالوا قلوبنا غلف)، عليها غشاوة.

1503 - حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا شريك عن الأعمش قوله: (قلوبنا غلف)، قال: هي في عُلف.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1504 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (وقالوا قلوبنا غلف)، أي لا تفقه.

1505 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: (وقالوا قلوبنا غلف)، قال: هو كقوله: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ [فصلت : 5].

1506 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة في قوله: (قلوبنا غلف) قال: عليها طابع، قال: هو كقوله: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ .

1507 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (قلوبنا غلف)، أي لا تفقه.

< 2-327 >

1508 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (وقالوا قلوبنا غلف)، قال: يقولون: عليها غلاف، وهو الغطاء.

1509 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (قلوبنا غلف)، قال يقول: قلبي في غلاف، فلا يخلص إليه مما تقول شيء، وقرأ: وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ [فصلت: 5]. (60)

قال أبو جعفر: وأما الذين قرأوها " غلف " بتحريك اللام وضمها، فإنهم تأولوها أنهم قالوا: قلوبنا غلف للعلم، بمعنى أنها أوعية.

قال: و " الغلف " على تأويل هؤلاء جمع " غلاف ". كما يجمع " الكتاب كتب، والحجاب حجب، والشهاب شهب، فمعنى الكلام على تأويل قراءة من قرأ " غلف " بتحريك اللام وضمها، وقالت اليهود: قلوبنا غلف للعلم، وأوعية له ولغيره.

* ذكر من قال ذلك:

1510 - حدثني عبيد بن أسباط بن محمد قال، حدثنا أبي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: (وقالوا قلوبنا غلف)، قال: أوعية للذكر.

1511 - حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال، أخبرنا فضيل، عن عطية في قوله: (قلوبنا غلف) قال: أوعية للعلم. (61)

1512 - حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا فضيل، عن عطية مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1513 - حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: (وقالوا قلوبنا غلف)، قال: مملوءة علما، لا تحتاج إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره.

والقراءة التي لا يجوز غيرها في قوله: (قلوبنا غلف)، هي قراءة من قرأ (غلف) < 2-328 > بتسكين اللام - بمعنى أنها في أغشية وأغشية، لاجتماع الحجة من القَرَاءَة وأهل التأويل على صحتها، وشذوذ من شذ عنهم بما خالفه، من قراءة ذلك بضم " اللام " .

وقد دللنا على أن ما جاءت به الحجة متفقة عليه، حجة على من بلغه. وما جاء به المنفرد، فغير جائز الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلا وقولا وعملا في غير هذا الموضوع، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا المكان. (62) .

القول في تأويل قوله تعالى : بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (بل لعنهم الله)، بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم، وجحودهم آيات الله وبيناته، وما ابتعث به رسله، وتكذيبهم أنبياءه. فأخبر تعالى ذكره أنه أبعدهم منه ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك.

وأصل " اللعن " الطرد والإبعاد والإقصاء يقال: " لعن الله فلانا يلعنه لعنا، وهو ملعون ". ثم يصرف " مفعول " : فيقال: هو " لعين ". ومنه قول الشماخ بن ضرار:

ذعرت به القطا ونفيت عنه

مكان الذئب كالرجل اللعين (63)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: في قول الله تعالى ذكره: (بل لعنهم الله بكفرهم) تكذيب منه للقائلين من اليهود: (قلوبنا غلف). لأن قوله: (بل) دلالة على جده جل > 2-
329 < ذكره وإنكاره ما ادعوا من ذلك، إذ كانت " بل " لا تدخل في الكلام إلا نقضا لمجود. فإذا كان ذلك كذلك، فبيِّن أن معنى الآية: وقالت اليهود: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه يا محمد. فقال الله تعالى ذكره: ما ذلك كما زعموا، ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته، وطردهم عنها، وأخزاهم بجحودهم له ولرسله، فقليلًا ما يؤمنون.

القول في تأويل قوله تعالى : فَقليلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (88)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (فقليلًا ما يؤمنون). فقال بعضهم، معناه قليل منهم من يؤمن، أي لا يؤمن منهم إلا قليل.

* ذكر من قال ذلك:

1514 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (بل لعنهم الله بكفرهم قليلًا ما يؤمنون)، فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب، إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير.

1515 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: (فقليلًا ما يؤمنون)، قال: لا يؤمن منهم إلا قليل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم.

* ذكر من قال ذلك:

1516 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: (فقليلًا ما يؤمنون)، قال: لا يؤمن منهم إلا قليل. قال معمر: وقال غيره: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات في قوله: (فقليلًا ما يؤمنون) بالصواب، > 2-
330 < ما نحن متفوه إن شاء الله. وهو أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لعن الذين وصف صفتهم في هذه الآية، ثم أخبر عنهم أنهم قليلو الإيمان بما أنزل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك نصب قوله: (فقليلًا)، لأنه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

نعت للمصدر المتروك ذكره. ومعناه: بل لعنهم الله بكفرهم، فإيماننا قليلا ما يؤمنون. فقد تبين إِدًّا بما بينا فساد القول الذي روي عن قتادة في ذلك. لأن معنى ذلك، لو كان على ما روي من أنه يعني به: فلا يؤمن منهم إلا قليل، أو فقليل منهم من يؤمن، لكان "القليل" مرفوعا لا منصوبا. لأنه إذا كان ذلك تأويله، كان "القليل" حينئذ مرافعا "ما". فإِذْ نصب "القليل" - و "ما" في معنى "من" أو "الذي" - [فقد] بقيت "ما" لا مرافع لها. (64) وذلك غير جائز في لغة أحد من العرب.

فأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في معنى "ما" التي في قوله: (فقليل ما يؤمنون). فقال بعضهم: هي زائدة لا معنى لها، وإنما تأويل الكلام: فقليل يؤمنون، كما قال جل ذكره: قَبِيْمًا رَحْمَةً مِّنَ اللّٰهِ لِيُنْتَّ لَهُمْ [آل عمران: 159] وما أشبه ذلك، فزعم أن "ما" في ذلك زائدة، وأن معنى الكلام: فبرحمة من الله لنت لهم، وأنشد في ذلك محتجا لقوله ذلك - بيت مهلهل:

لو بأبانيين جاء يخطبها

خضب ما أنف خاطب بدم (65)

وزعم أنه يعني: خضب أنف خاطب بدم، وأن "ما" زائدة.

وأنكر آخرون ما قاله قائل هذا القول في "ما"، في الآية وفي البيت الذي < 331-2 > أنشده، وقالوا: إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء، إذ كانت "ما" كلمة تجمع كل الأشياء، ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها.

وهذا القول عندنا أولى بالصواب. لأن زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام، غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه.

ولعل قائلًا أن يقول: هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلا ما يؤمنون - من الإيمان قليل أو كثير، فيقال فيهم: "فقليل ما يؤمنون"؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيل: إن معنى " الإيمان " هو التصديق. وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تصدق بوحداية الله، وبالبعث والثواب والعقاب، وتكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وكل ذلك كان فرضا عليهم الإيمان به، لأنه في كتبهم، ومما جاءهم به موسى، فصدقوا ببعض - وذلك هو القليل من إيمانهم - وكذبوا ببعض، فذلك هو الكثير الذي أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به.

وقد قال بعضهم: إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء، وإنما قيل: (فقليلًا ما يؤمنون)، وهم بالجميع كافرون، كما تقول العرب: " قلما رأيت مثل هذا قط". وقد روي عنها سماعًا منها: مررت ببلاد قلما تثبت إلا الكراث والبصل " يعني: ما تثبت غير الكراث والبصل، وما أشبه ذلك من الكلام الذي ينطق به بوصف الشيء بـ " القلة "، والمعنى فيه نفي جميعه. (66)

الهوامش:

- (1) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وإلا فسد الكلام .
- (2) الحديث : 1463 - هكذا رواه الطبري معلقا . والظاهر أنه رواه بالمعنى أيضًا . ولفظه في صحيح مسلم 2 : 284 ، من حديث النعمان بن بشير : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" . وكذلك رواه أحمد في المسند (4 : 270 حليبي) . ورواه البخاري بنحو معناه 10 : 367 (من الفتح) .
- (3) انظر ما سلف : 2 : 298 ، تعليق : 2 ، والمراجع .
- (4) في المطبوعة : "بأن كان خطابا .." ، وهو لا يستقيم .
- (5) سياق العبارة : "وتكذيبهم ما وكدوا من العهود على أنفسهم بالوفاء له .." ، فقدم وآخر .
- (6) في المطبوعة : "فإن كان خارجا .." وهو تصحيف لا يستقيم .
- (7) في المطبوعة : "فإن كان ذلك كذلك" ، وهو تصحيف لا يستقيم أيضًا .
- (8) في المطبوعة : "ثم أقررتم وبعد شهادتكم .." والواو لا مكان لها هنا .
- (9) في المطبوعة "متعاونين عليه في إخراجكم .." ، وهذا سهو .
- (10) في المطبوعة : "وإنما قيل التعاون التظاهر .." وهذا لا شيء .
- (11) في المطبوعة : "ولو قيل . أنا هذا أجلس" . والصواب ما أثبت .
- (12) في المطبوعة : "وأولى" ، وهو خطأ . ويعني قوله تعالى في سورة آل عمران : 119 : "ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم" ، وقوله تعالى في سورة طه : 84 : "قال هم أولاء على أثرى" .
- (13) مضى تخريجه فيما سلف 1 : 227 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (14) في تفسير ابن كثير 1 : 223 ، والدر المنثور 1 : 86 : "أي أهل الشرك" ، والصواب ما في الطبري ، وقوله : "إلى أهل الشرك" ، أي تخرجون فريقاً منكم - إلى أهل الشرك .
- (15) في المطبوعة : "فقال أنبهم" ، والأجود حذفها .
- (16) ما بين القوسين زيادة لا بد منها . وأما ابن كثير في تفسيره 1 : 223 فكتب : "أنبأهم الله بذلك من فعلهم" ، وهو تحريف .
- (17) في المطبوعة : "أهل الشرك" ، والصواب في سيرة ابن هشام 2 : 188 ، وابن كثير 1 : 224 .
- (18) طل دمه وأطله : أهدره وأبطله .
- (19) في المطبوعة : "وقتلوا من قتلوا .." ، والصواب من ابن هشام 2 : 189 .
- (20) في المطبوعة : "أنبأهم بذلك" ، والصواب ما أثبت من سيرة ابن هشام 2 : 189 ، وسترى ذلك في تفسير الآية نفسها بعد .
- (21) في المطبوعة : "من ذلك" ، وهو محض خطأ .
- (22) هذه الجملة الأخيرة من كلام ابن إسحاق ، لا من كلام ابن عباس .
- (23) في المطبوعة : "بما قدم يمينه فأعتقوه" . وهو كلام من السقم بمكان . يقال : قامت الأمة مئة دينار ، أي بلغت قيمتها مئة دينار . ويقال : كم قامت أمتك؟ أي كم بلغت؟ ووجدتها في تفسير البغوي على الصواب : "بما قام من ثمنه" 1 : 224 (بهامش تفسير ابن كثير) .
- (24) حرب سُمير . كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج . وسُمير رجل من بني عمرو بن عوف . وانظر خبر هذه الحرب في الأغاني 3 : 18 : 26 .
- (25) المثابة : يعني المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمثابة المنزل ، لأن أهله يتصرفون في أمورهم ثم يثوبون إليه ، يرجعون إليه . وقال الله تعالى : "وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً"
- (26) في المطبوعة : "وقد اختلف القراء" ، ورددتها إلى منهج الطبري .
- (27) في المطبوعة : "تفدوهم" ، خطأ .
- (28) الزيادة بين القوسين لا معدى عنها لاستقامة الكلام .
- (29) في المطبوعة : "وهم جميعاً" ، والصواب ما أثبت .
- (30) كان في المطبوعة : " . . وتكفرون ببعض فادين والله إن فداء لإيمان" ، وهو كلام مضطرب فزدت ما بين القوسين استظهاراً ، حتى يستقيم الكلام .
- (31) في المطبوعة : "تفدوهم" ، خطأ .
- (32) في المطبوعة : "واختلف القراء" ، ورددته إلى نهج أبي جعفر .
- (33) في المطبوعة : "أسرى تفدوهم" ، وهو غير الصواب ، فيما اختاره أبو جعفر من القراءة .
- (34) العماد ، هو ما اصطاح عليه البصريون بقولهم : "ضمير الفصل" ، ويسمى أيضاً : "دعامة" ، "صفة" . وأراد بقوله : "الفعل" هنا : المشتق الذي يعمل فيما بعده عمل الفعل . وسيتبين مراده في العبارات الآتية .
- (35) قد استوفى هذا كله الفراء في معاني القرآن 1 : 50 - 52 .
- (36) سيأتي الشطر الثاني من البيت الأخير في 11 : 34 ، 17 : 73 ولم أجد الشعر في غير معاني القرآن للفراء 1 : 52 ، ولم أعرف قائله . والعيس : إبل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بيض يخالطها شقرة يسيرة، وهي من كرائم الإبل. ويبس يابس. قد يبس العرق في أباطها من طول الرحلة. (37) السلامي : يعني رجلا كان - فيما أرجح - مصدقا وعاملا على الزكاة ، وأميرا على حمى ضرية ، ولست أعرف نسبه ، أهى قبيلة أم إلى بلد . وحمى ضرية : في نجد ، على طريق البصرة إلى مكة ، وهي إلى مكة أقرب ، وهي أرض طيبة مذكورة في شعرهم . وفي البيت إقواء . (38) سيأتي الشطر الثاني بعد قليل : 374 قوله : "ثوب" ، متعلق بقوله آنفًا "باع" . يقول : أخذ هذه الرشى التي عددها من بني عبس ، فأسلم إليهم حقي . وقوله : "فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس" يقوله لأبي يحيى الذي ذكره ، ويقول : فهل نجد ناصرا ينصرنا وياخذ لناحقنا ، فنرفع رؤوسنا بعد ما نزل بنا من الضيم . وهذه كلمة يقولونها في مثل ذلك . قال الراعي (طبقات فحول الشعراء : 442) :

فإن رفعت بهم رأسا تَعَشُّهُمْ

وإن لَقُوا مثلها في قابل فسدوا

وقال أعرابي :

فتى مثل ضوء الشمس، ليس باخل

بخير، ولا مهد ملاما لباخل

ولا ناطق عوراء تؤذى جليسه

ولا رافع رأسا بعوراء قائل

وجاءت هذه الكلمة في (باب فضل من علم وعلم) من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخاري 1 : 23) : "فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" . (39) في المطبوعة : "فأوليت هل لطلبها" ، وزيادة "هو" لا بد منها . (40) انظر ما سلف 2 : 27 - 28 من هذا الجزء . (41) في المطبوعة : "إلى أشد العذاب من عذاب الدنيا" ، والصواب حذف "العذاب" . (42) في المطبوعة : "ولا معنلقول ذلك بأن . . " والصواب زيادة "ذلك" . (43) في المطبوعة : "وتأويل قوله : وما الله بساه" ، لم يذكر الآية ، والصواب إثباتها . (44) مضى تفسير معنى "الغفلة" فيما سلف من هذا الجزء 2 : 244

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (45) ما بين القوسين زيادة ، لا يستقيم الكلام بطرحها .
(46) انظر ما مضى 1 : 312 : - 315 في معنى "الاشتراء" .
(47) الأثر : 1482 - كان في المطبوعة : "حدثنا يزيد . . " بإسقاط : "حدثنا بشر قال" ، وهذا إسناده إلى قتادة ، كثير الدوران ، وأقربه فيما مضى رقم : 1475 .
(48) في المطبوعة : "لاشترائهم الذي كان في الدنيا ودنياهم بأخرتهم" ، وهو كلام سقيم ، ولعل الصواب ما أثبت .
(49) انظر ما سلف 1 : 574 .
(50) زيادة ديوانه : 76 ، واللسان (آود) (أيد) ومجاز القرآن : 46 ، وأمالي الزجاجي : 39 في خبر ، ورواه :

فإن تبدلت بآدي آدا

لم يك ينآد فأمسى انآدا

فقد أراني أصل القعادا

.....

والقعاد: القواعد من النساء، جمع على جمع المذكور، كما قال القطامي:

أبصارهن إلى الشبان مائلة

وقد أراهن عني غير صداد

يعني : غير صواد .

(51) ينسب البيت - من أبيات - لعبد الملك بن مروان ، والصواب أنه لعبد

الله بن عبد الأعلى ابن أبي عمرة الشيباني . مولى بني شيبان (تاريخ

الطبري 4 : 22 / وسمط اللأئ : 963 ترجمته) .

(52) البيت من أبيات جواد رواها أبو العباس المبرد في التعازي والمراثي

ورقة : 105 ، 106 ، والمسعودي في مروج الذهب 3 : 104 ، ولباب الآداب :

31 ، وجاء بيت الشاهد في تاريخ الإسلام للذهبي 3 : 280 ، وتاريخ ابن كثير

9 : 67 ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي : 147 ، واختلفت رواية البيت الشاهد . وقد

أوصى عبد الملك بن مروان بنيه وصية جليلة ، ثم قال لهم احفظوا عني

هذه الأبيات - يعني شعر عبد الله بن عبد الأعلى - أمرهم أن يجتمعوا ولا

يتفرقوا فتذهب ريحهم . وبعد البيت :

عزت ولم تكسر، وإن هي بددت

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فالوهن والتكسير للمتبدد

- (53) الحديث : 1489 - وقع في المطبوعة "حدثنا سلمة، عن إسحاق". وهو خطأ ، صوابه "عن ابن إسحاق". عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين المكي : ثقة فقيه ، من شيوخ الليث ومالك . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 97/ 2 / 2 . شهر بن حوشب الأشعري : تابعي ثقة ، ومن تكلم فيه فلا حجة له . وقد فصلنا القول في توثيقه ، في شرح المسند : 5007 . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري . 2 / 2 / 659 - 260 ، وابن سعد 2 / 7 / 158 ، وابن أبي حاتم 1 / 2 / 382 - 383 . ولكن هذا الحديث مرسل ، فإن شهرا تابعي كما قلنا . ومعناه - في تفسير "الروح" بأنه جبريل - ثابت في أحاديث صحاح متكاثرة . ذكر منها ابن كثير 1 : 227 حديث ابن مسعود ، في صحيح ابن حبان ، مرفوعا : "إن روح القدس نقت في روعي : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب". وقد ذكرنا في شرحنا رسالة الشافعي . رقم : 306 كثيرا من هذا المعنى . وهذا الحديث جزء من حديث مطول ، سيأتي بهذا الإسناد رقم : 1606 .
- (54) الخلف : الرديء الفاسد من القول . يقال في المثل : "سكت ألفا ونطق خلفا" ، للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ والخلط .
- (55) انظر ما سلف 1 : 475 - 476 .
- (56) الخبر: 1495 - هو كلمة من كلام كعب الأحبار. أما الإسناد إليه ففيه إشكال. ولعله خطأ من الناسخين. فليس في الرواة - فيما علمنا - من يسمى "سعيد بن أبي هلال بن أسامة" كما كان في المطبوعة. وإنما صوابه ما رجحنا إثباته، بزيادة [عن هلال].

- فسعيد بن أبي هلال الليثي المدني المصري: ثقة من أتباع التابعين، يروي عنه عمرو بن الحارث (الذي سبقت ترجمته في 1387). وسعيد مترجم في التهذيب، وفي الكبير للبخاري 475/ 1 / 2، وابن أبي حاتم 71 / 1 / 2. وهلال بن أسامة: هو: "هلال بن علي بن أسامة المدني" ، وبعضهم نسبته إلى جده ، فقال: ابن أسامة" ، كما في التهذيب، وهو ثقة. مترجم أيضًا في الكبير للبخاري 204 / 2 / 4 - 205 ، وابن أبي حاتم 76 / 2 / 4. وقد فصلنا القول في ترجمته، في شرح المسند: 7346.
- (57) ديوانه (أشعار الستة الجاهليين): 331 ، من قصيدة نغيسة .
- (58) جردوا : قدموا للغارة . وتجرد الفرس : تقدم الحلبة فخرج منها . وتجرد في الأمر : جد فيه . وراذ جمع ورد (بفتح فسكون) وهو من الخيل ، بين الكميت والأشقر . والأشقر : الأحمر حمرة صافية ، يحمر منها السيب والمعرفة والناصية . والعرب تقول : أكرم الخيل وذوات الخير منها شقرها .
- (59) الخبر: 1497 - هذا موقوف على حذيفة، وإسناده جيد، إلا أنه منقطع، كما سنين، إن شاء الله. الحكم بن بشير بن سلمان النهدي الكوفي: ثقة، مترجم في التهذيب، ووقع هناك خطأ مطبعي في اسمي أبيه وجده. وله ترجمة عند البخاري في الكبير 2/1/340، وابن أبي حاتم 114/2/1. عمرو بن قيس

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الملائي": مضت ترجمته: 886. و"عمرو بن مرة الجملي" و"أبو البخترى" واسمه "سعيد بن فيروز" مضيا في: 175.

انقطاع الإسناد، هو بين أبي البخترى، المتوفى سنة 83، وبين حذيفة بن اليمان، المتوفى أوائل سنة 36 بعد مقتل عثمان بأربعين يوما. ونص في التهذيب على أن أبا البخترى لم يدرك حذيفة.

هذا الخبر ذكره الطبري مختصرا - كما ترى - وجاء به السيوطي كاملا 1: 87، ونسبه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص، وابن جرير، فذكر نحوه، موقوفا على حذيفة.

وقد ورد معناه مرفوعا: فروى أحمد في المسند: 11146 (ج 3 ص 17 حلي)، عن أبي النضر، عن أبي معاوية، وهو شيبان بن عبد الرحمن النحوي، عن ليث، وهو ابن أبي سليم، عن عمرو بن مرة، عن أبي البخترى، عن أبي سعيد الخدري. وهذا إسناد صحيح. ويظهر منه أن أبا البخترى كان عنده هذا الحديث، عن أبي سعيد مرفوعا متصلا، وعن حذيفة بن اليمان موقوفا منقطعا. ومثل هذا كثير، ولا نجعل إحدى الروايتين علة للأخرى.

وحديث أبي سعيد هذا: ذكره السيوطي 1: 87، ونسبه لأحمد "بسند جيد". وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1: 63، وقال: "رواه أحمد، والطبراني في الصغير، وفي إسناده ليث بن أبي سليم". كأنه يريد إعلاله بضعف ليث. وليث بن أبي سليم: ليس بضعيف بمرة، ولكن في حفظه شيء وحديثه عندنا صحيح، إلا ما ظهر خطؤه فيه، كما بينا في شرح المسند: 1199، وقد ترجمة البخاري في الكبير 4 / 1 / 246، فلم يذكر فيه جرحا.

(60) في المطبوعة: "شيء" ساقطة، واستدركتها من ابن كثير 1: 229.

(61) الخبر: 1511 - محمد بن عمارة الأسدي، شيخ الطبري: لم أجد له ترجمة ولا ذكرا، إلا في رواية الطبري عنه في التاريخ أيضًا مرارا.

(62) انظر ما سلف في هذا الجزء 2: 210، 211، 265، 295.

(63) ديوانه: 92، ومجاز القرآن 461، وسيأتي في 2: 33 (بولاق)، وروايته هناك وفي ديوانه، "مقام الذئب" والضمير في "به" إلى "ماء" في قوله قبله:

وماء قد وردت لوصل أروى

عليه الطير كالورق اللجين

وأراد في البيت: مقام الذئب الطريد اللعين كالرجل. والرجل اللعين المطرود لا يزال منتبذا عن الناس، شبه الذئب به، يعني في ذله وشدة مخافته وذعره. (64) في المطبوعة: "وإن نصب القليل"، وكأن الأجود ما أثبتته. والزيادة بين القوسين واجبة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(65) الكامل 2 : 68 ، ومعجم ما استعجم : 96 ، وشرح شواهد المغني : 247
وغيرها قال أبو العباس : "أبان جبل : وهما أبانان : أبان الأسود ، وأبان
الأبيض قال مهلهل ، وكان نزل في آخر حربهم - حرب البسوس - في جنب
بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك ، وهو مذحج ، وجنب حي من أحيائهم
وضيع ، وخطبت ابنته ومهرت أدما فزوجها وقال قبله :

أنكحها فقدما الأراقم في

جنب وكان الحباء من آدم

(66) انظر ما سلف 1 : 554 ، تعليق : 1 ، وانظر معاني القرآن للفراء 1 :
59 - 60 .

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَهُمْ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ولما جاءهم كتاب من عند الله > 2-
332 < مصدق لما معهم)، ولما جاء اليهود من بني إسرائيل الذين وصف جل
ثناؤه صفتهم-(كتاب من عند الله) = يعني بـ " الكتاب " القرآن الذي أنزله
الله على محمد صلى الله عليه وسلم =(مصدق لما معهم)، يعني مصدق
للذي معهم من الكتب التي أنزلها الله من قبل القرآن، كما:-

1518 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:
(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم)، وهو القرآن الذي أنزل
على محمد، مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل.

1518 - حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن
الربيع في قوله: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم)، وهو
القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، مصدق لما معهم من
التوراة والإنجيل.

القول في تأويل قوله تعالى : وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا
فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا)، أي: وكان هؤلاء اليهود - الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق
لما معهم من الكتب التي أنزلها الله قبل الفرقان، كفروا به - يستفتحون
بمحمد صلى الله عليه وسلم = ومعنى " الاستفتاح "، الاستنصار = (1)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه، أي من قبل أن يبعث، كما:-

1519 - حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق، عن > 2- 333 < عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم قالوا: فينا والله وفيهم - يعني في الأنصار، وفي اليهود = الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة = يعني: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) = قالوا: كنا قد علوناهم دهرا في الجاهلية - (2) ونحن أهل الشرك، وهم أهل الكتاب - (3) فكانوا يقولون: إن نبيا الآن مبعثه قد أظل زمانه، يقتلكم قتل عاد وإرم. (4) فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه، كفروا به. يقول الله: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به). (5)

1520 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته! فقال سلام بن مسكين أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم! فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قوله: (ولما جاءهم > 2- 334 < كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين). (6)

1521 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس مثله.

1522 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)، يقول: يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب - يعني بذلك أهل الكتاب - فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم، كفروا به وحسدوه.

1523 - وحدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن علي الأزدي في قول الله: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)، قال: اليهود، كانوا يقولون: اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس، يستفتحون - يستنصرون - به على الناس.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1524 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن علي الأزدي - وهو البارقي - في قول الله جل ثناؤه: (وكانوا من قبل يستفتحون)، فذكر مثله. (7)

1525 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)، كانت اليهود < 2-335 > تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب من قبل، وقالوا: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم! فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فرأوا أنه بعث من غيرهم، كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به).

1526 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قال: كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب، يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم! فلما بعث الله محمدا، ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال الله: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين).

1527 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به). قال: كانت العرب تمر باليهود فيؤذونهم، وكانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم في التوراة، ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلوا معه العرب. فلما جاءهم محمد كفروا به، حين لم يكن من بني إسرائيل.

1528 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: قلت لعطاء قوله: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)، قال: كانوا يستفتحون على كفار العرب بخروج النبي صلى الله عليه وسلم، وبرجون أن يكون منهم. فلما خرج ورأوه ليس منهم، كفروا وقد عرفوا أنه الحق، وأنه النبي. قال: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين).

1529 - قال حدثنا ابن جريج، وقال مجاهد: يستفتحون بمحمد صلى الله < 2-336 > عليه وسلم تقول: إنه - يخرج. (فلما جاءهم ما عرفوا) - وكان من غيرهم - كفروا به. (8)

1530 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال: قال ابن جريج - وقال ابن عباس: كانوا يستفتحون على كفار العرب.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1531 - حدثني المثنى قال، حدثني الحماني قال، حدثني شريك، عن أبي الجحاف، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير قوله: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)، قال: هم اليهود عرفوا محمداً أنه نبي وكفروا به.

1532 - حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)، قال: كانوا يستظهرون، يقولون: نحن نعين محمداً عليهم. وليسوا كذلك، يكذبون.

1533 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سألت ابن زيد عن قول الله عز وجل: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به). قال: كانت يهود يستفتحون على كفار العرب، يقولون: أما والله لو قد جاء النبي الذي بشر به موسى وعيسى، أحمد، لكان لنا عليكم! وكانوا يظنون أنه منهم، والعرب حولهم، وكانوا يستفتحون عليهم به، ويستنصرون به. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وحسدوه، وقرأ قول الله جل ثناؤه: كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ [سورة البقرة: 109]. قال: قد تبين لهم أنه رسول، فمن هنالك نفع الله الأوس والخزرج بما كانوا يسمعون منهم أن نبيا خارج.

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: فأين جواب قوله: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ؟

قيل: قد اختلف أهل العربية في جوابه. فقال بعضهم: هو مما ترك جوابه، استغناء بمعرفة المخاطبين به بمعناه، وبما قد ذكر من أمثاله في سائر القرآن. (9) < 2-337 > وقد تفعل العرب ذلك إذا طال الكلام، فتأتي بأشياء لها أجوبة، فتحذف أجوبتها، لاستغناء سامعيها - بمعرفتهم بمعناها - عن ذكر الأجوبة، كما قال جل ثناؤه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَلِ الْأَمْرُ جَمِيعًا [سورة الرعد: 31]، فترك جوابه. والمعنى: "ولو أن قرأنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن - استغناء بعلم السامعين بمعناه. قالوا: فكذلك قوله: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ .

وقال آخرون: جواب قوله: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ في "الفاء" التي في قوله: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)، وجواب الجزاءين في "كفروا به"، كقولك: "لما قمت، فلما جئنا أحسنت"، بمعنى: لما جئنا إذ قمت أحسنت. (10)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى على معنى اللعنة، وعلى معنى " الكفر "، بما فيه الكفاية. (11)

فمعنى الآية: فخزي الله وإبعاده على الجاحدين ما قد عرفوا من الحق عليهم لله ولأنبيائه، المنكرين لما قد ثبت عندهم صحته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ففي إخبار الله عز وجل عن اليهود - بما أخبر الله عنهم بقوله: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ - البيان الواضح أنهم تعمدوا الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، بعد قيام الحجة بنبوته عليهم، وقطع الله عذرهم بأنه رسوله إليهم.

< 2-338 >

القول في تأويل قوله تعالى : يَسْتَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا

قال أبو جعفر ومعنى قوله جل ثناؤه: (يئس ما اشتروا به أنفسهم): ساء ما اشتروا به أنفسهم.

وأصل " بئس " " بئس " من " البؤس "، سكنت همزتها، ثم نقلت حركتها إلى " الباء "، كما قيل في " ظللت " " ظلت "، وكما قيل " للكبد "، " كبد " - فنقلت حركة " الباء " إلى " الكاف " لما سكنت " الباء ".

وقد يحتمل أن تكون " بئس "، وإن كان أصلها " بئس "، من لغة الذين ينقلون حركة العين من " فعل " إلى الفاء، إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة، كما قالوا من " لعب " " لَعِب "، ومن " سئم " " سِئِم "، وذلك - فيما يقال - لغة فاشية في تميم.

ثم جعلت دالة على الذم والتوبيخ، ووصلت بـ " ما ".

واختلف أهل العربية في معنى " ما " التي مع " بئسما "، فقال بعض نحويي البصرة: هي وحدها اسم، و " أن يكفروا " تفسير له، (12) نحو: نعم رجلا زيد، و أن يُنزلَ اللهُ بدل من " أنزل الله ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال بعض نحوي الكوفة: معنى ذلك: بئس الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، ف " ما " اسم " بئس "، و " أن يكفروا " الاسم الثاني. وزعم أن: " أن يكفروا " إن شئت جعلت " أن " في موضع رفع، وإن شئت في موضع خفض. (13) أما الرفع: فبئس الشيء هذا أن يفعلوه. وأما الخفض: فبئس > 2-339 < الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا. قال: وقوله: لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [سورة المائدة: 80] كمثل ذلك. والعرب تجعل " ما " وحدها في هذا الباب، بمنزلة الاسم التام، كقوله: قَيْعَمًا هِيَ [سورة البقرة: 271]، و " بئسما أنت "، واستشهد لقوله ذلك برجز بعض الرجاز:

لا تعجلا في السير وادلوها

لبئسما بطء ولا نرعاها (14)

قال أبو جعفر: والعرب تقول: لبئسما تزويج ولا مهر "، فيجعلون " ما " وحدها اسما بغير صلة. وقائل هذه المقالة لا يجيز أن يكون الذي يلي " بئس " معرفة مؤقتة، وخبره معرفة موقته. وقد زعم أن " بئسما " بمنزلة: بئس الشيء اشتروا به أنفسهم، فقد صارت " ما " بصلتها اسما موقتا، لأن " اشتروا " فعل ماض من صلة " ما "، في قول قائل هذه المقالة. وإذا وصلت بماض من الفعل، كانت معرفة موقته معلومة، فيصير تأويل الكلام حينئذ: " بئس شراؤهم كفرهم ". وذلك عنده غير جائز: فقد تبين فساد هذا القول. (15)

وكان آخر منهم يزعم أن " أن " في موضع خفض إن شئت، ورفع إن شئت. فأما الخفض: فإن ترده على " الهاء " التي في، " به " على التكرير على كلامين. كأنك قلت: اشتروا أنفسهم بالكفر. وأما الرفع: فإن يكون مكرورا على موضع " ما " التي تلي " بئس ". (16) قال: ولا يجوز أن يكون رفعا على قولك: " بئس الرجل عبد الله. (17)

وقال بعضهم: " بئسما " شيء واحد يرافع ما بعده (18) كما حكى عن العرب: > 2-340 < " بئسما تزويج ولا مهر " فرافع " تزويج " " بئسما "، (19) كما يقال: " بئسما زيد، وبئس ما عمرو "، فيكون " بئسما " رفعا بما عاد عليها من " الهاء ". كأنك قلت: بئس شيء الشيء اشتروا به أنفسهم، وتكون " أن " مترجمة عن " بئسما ". (20)

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من جعل " بئسما " مرفوعا بالراجع من " الهاء " في قوله: (اشتروا به)، كما رفعا ذلك ب " عبد الله " إذ قالوا: " بئسما عبد الله "، وجعل " أن يكفروا " مترجمة عن " بئسما ". (21) فيكون معنى

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الكلام حينئذ: بئس الشيء باع اليهود به أنفسهم، كفرهم بما أنزل الله بغيا وحسدا أن ينزل الله من فضله. وتكون أن التي في قوله: أن يُنزل الله ، في موضع نصب. لأنه يعني به " أن يكفروا بما أنزل الله " : من أجل أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده. موضع أن جزاء. (22) وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أن أن في موضع خفض بنية " الباء ". وإنما اخترنا فيها النصب لتمام الخبر قبلها، ولا خافض معها يخفضها. والحرف الخافض لا يخفض مضمرا.

وأما قوله: (اشتروا به أنفسهم)، فإنه يعني به: باعوا أنفسهم كما:-

1534 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (بئسما اشتروا به أنفسهم)، يقول: باعوا أنفسهم " أن يكفروا بما أنزل الله بغيا " .

1535 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال مجاهد: (بئسما اشتروا به أنفسهم)، يهود، شروا الحق < 341-2 > بالباطل، وكتمان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبينوه. (23)

قال أبو جعفر: والعرب تقول: " شريته "، بمعنى بعته. و " اشتروا "، في هذا الموضع، " افتعلوا " من " شريت " . وكلام العرب -فيما بلغنا- أن يقولوا: " شريت " بمعنى: بعته، و " اشتريت " بمعنى: ابتعت. وقيل: إنما سمي " الشاري "، " شاريا "، لأنه باع نفسه وديناه بأخرته. (24)

ومن ذلك قول يزيد بن مفرغ الحميري:

وشريت بردا ليتني

من قبل برد كنت هامة (25)

ومنه قول المسيب بن علس:

يعطى بها ثمننا فيمنعها

ويقول صاحبها ألا تشري؟ (26)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-342 >

يعني به: بعث بردا. وربما استعمل " اشتريت " بمعنى: بعث, و " شريت " في معنى: " ابتعت ". والكلام المستفيض فيهم هو ما وصفت.

وأما معنى قوله: (بغيا)، فإنه يعني به: تعديا وحسدا، كما:-

1536 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد عن قتادة: (بغيا)، قال: أي حسدا، وهم اليهود.

1537 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (بغيا)، قال: بغوا على محمد صلى الله عليه وسلم وحسدوه، وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل؟ فحسدوه أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده.

1538 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (بغيا)، يعني: حسدا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، وهم اليهود كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

1539 - حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

قال أبو جعفر: فمعنى الآية: بئس الشيء باعوا به أنفسهم، الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى - من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والأمر بتصديقه واتباعه - من أجل أن أنزل الله من فضله = وفضله: حكمته وآياته ونبوته = على من يشاء من عباده - يعني به: على محمد صلى الله عليه وسلم - بغيا وحسدا لمحمد صلى الله عليه وسلم، من أجل أنه كان من ولد إسماعيل، ولم يكن من بني إسرائيل.

فإن قال قائل: وكيف باعت اليهود أنفسهم بالكفر، فقيل: (بئس ما اشترىوا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله)؟ وهل يشتري بالكفر شيء؟

قيل: إن معنى: " الشراء " و " البيع " عند العرب، هو إزالة مالك ملكه > 2-343 < إلى غيره، بعوض يعتاضه منه. ثم تستعمل العرب ذلك في كل معترض من عمله عوضا، شرا أو خيرا، فتقول: " نعم ما باع به فلان نفسه " و " بئس ما باع به فلان نفسه "، بمعنى: نعم الكسب أكسبها، وبئس الكسب أكسبها -

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إذا أورثها بسعيه عليها خيرا أو شرا. فكذلك معنى قوله جل ثناؤه: (بئس ما اشتروا به أنفسهم) - لما أوبقوا أنفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأهلكوها، خاطبهم الله والعرب بالذي يعرفونه في كلامهم، فقال: (بئس ما اشتروا به أنفسهم)، يعني بذلك: بئس ما أكسبوا أنفسهم بسعيهم، وبئس العوض اعتاضوا، من كفرهم بالله في تكذيبهم محمدا، إذ كانوا قد رضوا عوضا من ثواب الله وما أعد لهم - لو كانوا آمنوا بالله وما أنزل على أنبيائه - بالنار وما أعد لهم بكفرهم بذلك.

وهذه الآية - وما أخبر الله فيها عن حسد اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وقومه من العرب، من أجل أن الله جعل النبوة والحكمة فيهم دون اليهود من بني إسرائيل، حتى دعاهم ذلك إلى الكفر به، مع علمهم بصدقه، وأنه نبي لله مبعوث ورسول مرسل - (27) نظيره الآية الأخرى في سورة النساء، وذلك قوله: أَلَمْ يَتَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْإِطَاعَةِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنَ اللَّهُ فْلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْمِنُونَ النَّاسَ تَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا [سورة النساء: 51-54].

< 2-344 >

القول في تأويل قوله : أَنْ يُتَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

قال أبو جعفر: قد ذكرنا تأويل ذلك وبيننا معناه، ولكننا نذكر الرواية بتصحيح ما قلنا فيه:-

1540 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم ، قوله: (بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده)، أي أن الله تعالى جعله في غيرهم. (28).

1541 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: هم اليهود. لما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فرأوا أنه بعث من غيرهم، كفروا به - حسدا للعرب - وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة.

1542 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1543 - حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

1544 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: قالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل؟

1545 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن علي الأزدي. قال: نزلت في اليهود. (29)

< 2-345 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَيَّ غَضَبٍ

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (فبأءوا بغضب على غضب)، (30) فرجعت اليهود من بني إسرائيل - بعد الذي كانوا عليه من الاستنصار بمحمد صلى الله عليه وسلم والاستفتاح به، وبعد الذي كانوا يخبرون به الناس من قبل مبعثه أنه نبي مبعوث - مرتدين على أعقابهم حين بعث الله نبياً مرسلًا فبأءوا بغضب من الله = استحقوه منه بكفرهم بمحمد حين بعث، ووجودهم نبوته، وإنكارهم إياه أن يكون هو الذي يجدون صفته في كتابهم، عنادا منهم له وبغيا وحسدا له وللعرب = على غضب سالف، كان من الله عليهم قبل ذلك، سابق غضبه الثاني، لكفرهم الذي كان قبل عيسى ابن مريم، أو لعبادتهم العجل، أو لغير ذلك من ذنوب كانت لهم سلفت، يستحقون بها الغضب من الله، كما:-

1546 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال، حدثني ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، فيما روى عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس: (فبأءوا بغضب على غضب)، فالغضب على الغضب، غضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي أحدث الله إليهم. (31)

1547 - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن، قالا حدثنا سفيان، عن أبي بكير، عن عكرمة: (فبأءوا بغضب على غضب) قال: كفر بعيسى، وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم. (32)

1548 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يحيى بن يمان قال، حدثنا سفيان، > 2-346 < عن أبي بكير، عن عكرمة: (فبأءوا بغضب على غضب)، قال: كفرهم بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم.

1549 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري، عن أبي بكير، عن عكرمة مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1550 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي قال: الناس يوم القيامة على أربعة منازل: رجل كان مؤمنا بعتسى وأمن بمحمد صلى الله عليهما، فله أجران. ورجل كان كافرا بعتسى فأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، فله أجر. ورجل كان كافرا بعتسى فكفر بمحمد، فباء بغضب على غضب. ورجل كان كافرا بعتسى من مشركي العرب، فمات بكفره قبل محمد صلى الله عليه وسلم، فباء بغضب.

1551 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (فباءوا بغضب على غضب)، غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم.

1552 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: (فباءوا بغضب)، اليهود بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم، (على غضب)، جحودهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكفرهم بما جاء به.

1553 - حدثنا المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (فباءوا بغضب على غضب)، يقول: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، ثم غضبه عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن.

1554 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (فباءوا بغضب على غضب)، أما الغضب الأول فهو حين غضب الله عليهم في العجل؛ وأما الغضب الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

< 2-347 >

1555 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج وعطاء وعبيد بن عمير قوله: (فباءوا بغضب على غضب)، قال: غضب الله عليهم فيما كانوا فيه من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم - من تبديلهم وكفرهم -، ثم غضب عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم - إذ خرج، فكفروا به.

قال أبو جعفر: وقد بينا معنى " الغضب " من الله على من غضب عليه من خلقه - واختلاف المختلفين في صفته - فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته. (33)

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ** (90)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وللكافرين عذاب مهين)، وللجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم، عذاب من الله، إما في الآخرة، وإما في الدنيا والآخرة، (مهين) هو المذل صاحبه، المخزي، الملبسه هوانا وذلة.

فإن قال قائل: أي عذاب هو غير مهين صاحبه، فيكون للكافرين المهين منه؟

قيل: إن المهين هو الذي قد بينا أنه المورث صاحبه ذلة وهوانا، الذي يخلد فيه صاحبه، لا ينتقل من هوانه إلى عز وكرامة أبدا، وهو الذي خص الله به أهل الكفر به وبرسله. وأما الذي هو غير مهين صاحبه، فهو ما كان تمحيصا لصاحبه. وذلك هو كالسارق من أهل الإسلام، يسرق ما يجب عليه به القطع فتقطع يده، والزاني منهم يزني فيقام عليه الحد، وما أشبه ذلك من العذاب والنكال الذي جعله الله كفارات للذنوب التي عذب بها أهلها، وكأهل الكبائر من أهل < 2-348 > الإسلام الذين يعذبون في الآخرة بمقادير جرائمهم التي ارتكبوها، ليمحصوا من ذنوبهم، ثم يدخلون الجنة. فإن كل ذلك، وإن كان عذابا، فغير مهين من عذب به. إذ كان تعذيب الله إياه به ليمحصه من آثامه، ثم يورده معدن العز والكرامة، ويخلده في نعيم الجنان.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا**

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وإذا قيل لهم)، وإذا قيل لليهود من بني إسرائيل - للذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم -: (آمنوا)، أي صدقوا، (بما أنزل الله)، يعني بما أنزل الله من القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، (قالوا: نؤمن)، أي نصدق، (بما أنزل علينا)، يعني بالتوراة التي أنزلها الله على موسى.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ**

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ويكفرون بما وراءه)، ويجحدون، "بما وراءه"، يعني: بما وراء التوراة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وتأويل " وراءه " في هذا الموضع " سوى " كما يقال للرجل المتكلم بالحسن: " ما وراء هذا الكلام شيء " يراد به: ليس عند المتكلم به شيء سوى ذلك الكلام. فكذلك معنى قوله: (ويكفرون بما وراءه)، أي > 2- 349 < بما سوى التوراة، وبما بعدها من كتب الله التي أنزلها إلى رسله، (34) كما:-

1556 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (ويكفرون بما وراءه)، يقول: بما بعده.

1557 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (ويكفرون بما وراءه)، أي بما بعده - يعني: بما بعد التوراة.

1558 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (ويكفرون بما وراءه)، يقول: بما بعده.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وهو الحق مصدقا)، أي: ما وراء الكتاب - الذي أنزل عليهم من الكتب > 2- 350 < التي أنزلها الله إلى أنبيائه - الحق. وإنما يعني بذلك تعالى ذكره القرآن الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم، كما:-

1559 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ، وهو القرآن. يقول الله جل ثناؤه: (وهو الحق مصدقا لما معهم). وإنما قال جل ثناؤه: (مصدقًا لما معهم)، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا. ففي الإنجيل والقرآن من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، والإيمان به وبما جاء به، مثل الذي من ذلك في توراة موسى عليه السلام. فلذلك قال جل ثناؤه لليهود - إذ أخبرهم عما وراء كتابهم الذي أنزله على موسى صلوات الله عليه، من الكتب التي أنزلها إلى أنبيائه -: إنه الحق مصدقا للكتاب الذي معهم، يعني: أنه له موافق فيما اليهود به مكذبون.

قال: وذلك خبر من الله أنهم من التكذيب بالتوراة، على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفرقان، عنادا لله، وخلافا لأمره، وبغيا على رسله صلوات الله عليهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)

قال أبو جعفر: يعني جل ذكره بقوله: (قل فلم تقتلون أنبياء الله)، قل يا محمد، لليهود بني إسرائيل - الذين إذا قلت لهم: أمنوا بما أنزل الله قالوا: نؤمن بما أنزل علينا-: لم تقتلون = إن كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم = أنبياءه، وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم؟ وذلك من الله جل ثناؤه تكذيب لهم في قولهم: نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وتعبير لهم، كما:-

1560 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: قال الله تعالى ذكره - وهو يعيرهم - يعني اليهود: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين)؟

فإن قال قائل: وكيف قيل لهم: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل)، فابتدأ الخبر على لفظ المستقبل، ثم أخبر أنه قد مضى؟

قيل: إن أهل العربية مختلفون في تأويل ذلك. فقال بعض البصريين: معنى > 351-2 < ذلك: فلم قتلتم أنبياء الله من قبل، كما قال جل ثناؤه: وَاتَّبِعُوا مَا تَلُّو السَّيِّئَاتِيْنَ [سورة البقرة: 102]، أي: ما تلت، (35) وكما قال الشاعر: (36)

ولقد أمر على اللئيم يسبني

فمضيت عنه وقلت لا يعينني (37)

يريد بقوله: " ولقد أمر " ولقد مررت. واستدل على أن ذلك كذلك، بقوله: " فمضيت عنه "، ولم يقل: فأمضي عنه. وزعم أن " فعل " و " يفعل " قد تشترك في معنى واحد، واستشهد على ذلك بقول الشاعر: (38)

وإني لآتيكم تشكراً ما مضى

من الأمر، واستجاب ما كان في غد (39)

يعني بذلك: ما يكون في غد، ويقول الحطيئة:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه

أن الوليد أحق بالعدر (40)

< 2-352 >

يعني: يشهد. وكما قال الآخر:

فما أضحي ولا أمسيت إلا

أراني منكم في كَوَّفان (41)

فقال: أضحي، ثم قال: " ولا أمسيت " .

وقال بعض نحوي الكوفيين: إنما قيل: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل)، فخاطبهم بالمستقبل من الفعل، ومعناه الماضي، كما يعنف الرجل الرجل على ما سلف منه من فعل فيقول له: ويحك، لم تكذب؟ ولم تبغض نفسك إلى الناس؟ كما قال الشاعر:

< 2-353 > إذا ما انتسبنا، لم تلدني لئيمة

ولم تجدي من أن تُقري به بُدًّا (42)

فأجزاء للمستقبل، والولادة كلها قد مضت. وذلك أن المعنى معروف، فجاز ذلك. قال: ومثله في الكلام: " إذا نظرت في سيرة عمر، لم تجده يسيء " . (43) المعنى: لم تجده أساء. فلما كان أمر عمر لا يشك في مضيئه، لم يقع في الوهم أنه مستقبل. فلذلك صلحت " من قبل " مع قوله: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل). قال: وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا، فتولوهم على ذلك ورضوا به، فنسب القتل إليهم. (44)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والصواب فيه من القول عندنا، أن الله خاطب الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل - بما خاطبهم في سورة البقرة وغيرها من سائر السور - بما سلف من إحسانه إلى أسلافهم، وبما سلف من كفران أسلافهم نعمه، وارتكابهم معاصيه، واجترائهم عليه وعلى أنبيائه، وأضاف ذلك إلى المخاطبين به، نظير قول العرب بعضها لبعض: فعلنا بكم يوم كذا وكذا، وفعلتم بنا يوم كذا وكذا - على نحو ما قد بيناه في غير موضع من كتابنا هذا -، (45) يعنون بذلك أن أسلافنا فعلوا ذلك بأسلافكم، وأن أوائنا فعلوا ذلك بأوائلكم. فكذلك ذلك في قوله: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل)، إذ كان قد خرج على لفظ الخبر عن المخاطبين به خبراً من الله تعالى ذكره عن < 2-354 > فعل السالفين منهم - (46) على نحو الذي بينا - جاز أن يقال " من قبل "، إذ كان معناه: قل: فلم يقتل أسلافكم أنبياء الله من قبل "؟ وكان معلوماً بأن قوله: (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل)، إنما هو خبر عن فعل سلفهم.

وتأويل قوله: (من قبل)، أي: من قبل اليوم.

وأما قوله: (إن كنتم مؤمنين)، فإنه يعني: إن كنتم مؤمنين بما نزل الله عليكم كما زعمتم. وإنما عنى بذلك اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلافهم - إن كانوا وكنتم، كما تزعمون أيها اليهود، مؤمنين. وإنما غيرهم جل ثناؤه بقتل أوائلهم أنبياءه، عند قولهم حين قيل لهم: أمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا . لأنهم كانوا لأوائلهم - الذين تولوا قتل أنبياء الله، مع قيلهم: نؤمن بما أنزل علينا - متولين، وبفعلهم راضين. فقال لهم: إن كنتم كما تزعمون مؤمنين بما أنزل عليكم، فلم تتولون قتلة أنبياء الله؟ أي: ترضون أفعالهم. (47)

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ولقد جاءكم موسى بالبينات)، أي جاءكم بالبينات الدالة على صدقه وصحة نبوته، (48) كالعصا التي تحولت ثعباناً مبيناً، ويده التي < 2-355 > أخرجها بيضاء للناظرين. ولفق البحر ومصير أرضه له طريقاً يبساً، والجراد والقمل والضفادع، وسائر الآيات التي بينت صدقه وصحة نبوته. (49)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما سماها الله " بينات " لتبينها للناظرين إليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتي بها بشر، إلا بتسخير الله ذلك له. وإنما هي جمع " بينة "، مثل " طيبة وطيبات ". (50)

قال أبو جعفر: ومعنى الكلام: ولقد جاءكم - يا معشر يهود بني إسرائيل - موسى بالآيات البينات على أمره وصدقه وصحة نبوته. (51)

وقوله: " ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون " يقول جل ثناؤه لهم: ثم اتخذتم العجل من بعد موسى إلهاء. فالهاء التي في قوله: " من بعده "، من ذكر موسى. وإنما قال: من بعد موسى، لأنهم اتخذوا العجل من بعد أن فارقهم موسى ماضيا إلى ربه لموعده - على ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا. (52)

وقد يجوز أن تكون " الهاء " التي في " بعده " إلى ذكر المجيء. فيكون تأويل الكلام حينئذ: ولقد جاءكم موسى بالبينات، ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء البينات وأنتم ظالمون. كما تقول: جئتي فكرهته، يعني كرهت مجيئك.

وأما قوله: (وأنتم ظالمون)، فإنه يعني بذلك أنكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل وليس ذلك لكم، وعبدتم غير الذي كان ينبغي لكم أن تعبدوه. لأن العبادة لا تنبغي لغير الله. وهذا توبيخ من الله لليهود، وتعبير منه لهم، وإخبار منه لهم أنهم إذا كانوا فعلوا ما فعلوا - من اتخاذ العجل إلهاء وهو لا يملك لهم ضرا ولا نفعاً، بعد الذي علموا أن ربهم هو الرب الذي يفعل من الأعاجيب وبدائع الأفعال < 2-356 > ما أجراه على يدي موسى صلوات الله عليه، من الأمور التي لا يقدر عليها أحد من خلق الله، ولم يقدر عليها فرعون وجنده مع بطشه وكثرة أتباعه، وقرب عهدهم بما عاينوا من عجائب حكم الله - فهم إلى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود ما في كتبهم = التي زعموا أنهم بها مؤمنون = من صفته ووعده، مع بعد ما بينهم وبين عهد موسى من المدة - أسرع (53) وإلى التكذيب بما جاءهم به موسى من ذلك أقرب.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ)، واذكروا إذ أخذنا عهدكم، بأن خذوا ما آتيناكم من التوراة - التي أنزلتها إليكم أن تعملوا بما فيها من أمري، وتنتهوا عما نهيتكم فيها - بجد منكم في ذلك ونشاط، فأعطيتم على العمل بذلك ميثاقكم، إذ رفعنا فوقكم الجبل. (54)

وأما قوله: (واسمعوا)، فإن معناه: واسمعوا ما أمرتكم به وتقبلوه بالطاعة، كقول الرجل للرجل يأمره بالأمر: "سمعت وأطعت"، يعني بذلك: سمعت قولك، وأطعت أمرك، كما قال الراجز:

السمع والطاعة والتسليم

خير وأعفى لبي تميم (55)

< 2-357 >

يعني بقوله: "السمع"، قبول ما يسمع، و"الطاعة" لما يؤمر. فكذلك معنى قوله: (واسمعوا)، اقبلوا ما سمعتم واعملوا به.

قال أبو جعفر: فمعنى الآية: وإذ أخذنا ميثاقكم أن خذوا ما آتيناكم بقوة، واعملوا بما سمعتم، وأطيعوا الله، ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك.

وأما قوله: (قالوا سمعنا)، فإن الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب، فإن ذلك كما وصفنا، (56) من أن ابتداء الكلام، إذا كان حكاية، فالعرب تخاطب فيه ثم تعود فيه إلى الخبر عن الغائب، وتخبر عن الغائب ثم تخاطب، كما بينا ذلك فيما مضى قبل. (57) فكذلك ذلك في هذه الآية، لأن قوله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ)، بمعنى: قلنا لكم، فأجبتونا.

وأما قوله: (قالوا سمعنا)، فإنه خبر من الله - عن اليهود الذين أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، وأن يطيعوا الله فيما يسمعون منها - أنهم قالوا حين قيل لهم ذلك: سمعنا قولك، وعصينا أمرك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: وأشربوا في قلوبهم حب العجل.

* ذكر من قال ذلك:

1561 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، حدثنا معمر، عن قتادة: (وأشربوا في قلوبهم العجل)، قال: أشربوا حبه، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم.

< 2-358 >

1562 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (وأشربوا في قلوبهم العجل)، قال: أشربوا حب العجل بكفرهم.

1563 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه، عن الربيع: (وأشربوا في قلوبهم العجل)، قال: أشربوا حب العجل في قلوبهم.

وقال آخرون: معنى ذلك أنهم سقوا الماء الذي ذري فيه سحالة العجل. (58)

* ذكر من قال ذلك:

1564 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: لما رجع موسى إلى قومه، أخذ العجل الذي وجدتهم عاكفين عليه، فذبحه، ثم حرقه بالمبرد، (59) ثم ذراه في اليم، فلم يبق بحر يومئذ يجري إلا وقع فيه شيء منه. ثم قال لهم موسى: أشربوا منه، فشربوا منه، فمن كان يحبه خرج على شاربته الذهب. فذلك حين يقول الله عز وجل: (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم). (60)

1565 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج عن ابن جريج قال: لما سحل فألقي في اليم، استقبلوا جرية الماء، فشربوا حتى ملئوا بطونهم، فأورث ذلك من فعله منهم جناً.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقول الله جل ثناؤه: (وأشربوا > 2-359 < في قلوبهم العجل) تأويل من قال: وأشربوا في قلوبهم حب العجل. لأن الماء لا يقال منه: أشرب فلان في قلبه، وإنما يقال ذلك في حب الشيء، فيقال منه: "أشرب قلب فلان حب كذا"، بمعنى سقي ذلك حتى غلب عليه وخالط قلبه، كما قال زهير:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فصحوت عنها بعد حب داخل

والحب يُشْرَبُهُ فَوَاذُكَ دَاء (61)

قال أبو جعفر: ولكنه ترك ذكر " الحب " اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام. إذ كان معلوما أن العجل لا يُشْرَبُ القليب، وأن الذي يشرب القلب منه حبه، كما قال جل ثناؤه: **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ [سورة الأعراف: 163]**، **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا [يوسف: 82]**، وكما قال الشاعر: (62)

ألا إنني سُقِّيتُ أسود حالكا

ألا بَجَلِي من الشراب ألا بَجَل (63)

< 2-360 >

يعني بذلك سُمًّا أسود، فاكتفى بذكر " أسود " عن ذكر " السم " لمعرفة السامع معنى ما أراد بقوله: " سقيت أسود ". وروى:

ألا إنني سقيت أسود سالخا (64)

وقد تقول العرب: " إذا سرك أن تنظر إلى السخاء فانظر إلى هرم، أو إلى حاتم "، (65)

فتجتزئ بذكر الاسم من ذكر فعله، إذا كان معروفا بشجاعة أو سخاء أو ما أشبه ذلك من الصفات، ومنه قول الشاعر:

يقولون جاهد يا جميل بغزوة

وإن جهادا طيئ وقتالها (66)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ يُنَسِّمًا يَا مُرْكُم بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: قل يا محمد ليهود بني إسرائيل: ينس الشيء يأمركم به إيمانكم؛ إن كان يأمركم بقتل أنبياء الله ورسوله، > 2-361 < والتكذيب بكتبه، وجحود ما جاء من عنده. ومعنى "إيمانهم": تصديقهم الذي زعموا أنهم به مصدقون من كتاب الله، إذ قيل لهم: آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ . فقالوا: نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا . وقوله: (إن كنتم مؤمنين)، أي: إن كنتم مصدقين كما زعمتم بما أنزل الله عليكم، (67) وإنما كذبهم الله بذلك - لأن التوراة تنهي عن ذلك كله، وتأمّر بخلافه. فأخبرهم أن تصديقهم بالتوراة، إن كان يأمرهم بذلك، فينس الأمر تأمر به. وإنما ذلك نفي من الله تعالى ذكره عن التوراة، أن تكون تأمر بشيء مما يكرهه الله من أفعالهم، وأن يكون التصديق بها يدل على شيء من مخالفة أمر الله، وإعلام منه جل ثناؤه أن الذي يأمرهم بذلك أهواؤهم، والذي يحملهم عليه البغي والعدوان.

الهوامش:

- (1) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 524 .
- (2) في سيرة ابن هشام 2 : 190 "علو ناهم ظهرا" .
- (3) في سيرة ابن هشام 2 : 190 "ونحن أهل شرك ، وهم أهل كتاب" .
- (4) في سيرة ابن هشام 2 : 190 "نقتلكم معه . . ." ، وكذلك هو في ابن كثير 1 : 230 ، وكأنه الصواب .
- (5) الخبر : 1519 - هذا له حكم الحديث المرفوع ، لأنه حكاية عن وقائع في عهد النبوة ، كانت سببا لنزول الآية ، تشير الآية إليها . الراجح أن يكون موصولا . لأن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري الظفري المدني : تابعي ثقة ، وهو يحكي عن "أشياخ منهم" ، فهم آله من الأنصار . وعن هذا رجحنا اتصاله . وقد نقل السيوطي 1 : 87 هذا الخبر ، ونسبه لابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وأبي نعيم ، والبيهقي ، كلاهما في الدلائل .
- (6) الخبر : 1520 - فسيرة ابن هشام 2 : 196 .
- (7) الأثر: 1523، 1524 - علي الأزدي البارقبي، هو علي بن عبد الله أبو عبد الله بن أبي الوليد البارقبي، روى عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وعبيد بن عمير، وأرسل عن زيد بن حارثة. وعنه مجاهد بن جبر، وهو من أقرانه. قال ابن عدى: ليس عنده كثير حديث، وهو عندي لا بأس به (تهذيب 7: 358، 359).
- (8) الأثر : 1529 - هذا إسناد قد سقط صدره ، فما أدري ما هو . وهو مضطرب اللفظ أيضًا .
- (9) أنا في شك من هذه الجملة الأخيرة ، أن يكون فيها تحريف .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (10) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 59 .
(11) انظر ما سلف (الكفر) 1 : 255 ، 382 ، 522 ، وهذا الجزء (اللجنة) 2 : 328
(12) "التفسير" هو ما اصطلح البصريون على تسميته "التمييز" ، ويقال له التبيين أيضاً ، (همع الهوامع 1 : 250) .
(13) في المطبوعة : "وزعم أن أن ينزل من فضله إن شئت جعلت . . . " ، وهو سهو من النسخ ، وصوابه ما أثبتته من معاني القرآن للفراء 1 : 56 .
(14) لم أعرف الراجز ، والبيتان في اللسان (دلو) . دلوت الناقة دلوا : سقتها سوقا رفيقا روبدا ورعى الماشية وأرعاها : أطلقها في المرعى .
(15) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 56 - 57 ، كأنه قول الكسائي . والمعرفة الموقته : وهي المعرفة المحددة . وانظر شرح ذلك فيما سلف 1 : 181 ، تعليق : 1 .
(16) في المطبوعة : "مكررا" ، والصواب من معاني القرآن للفراء 1 : 56 .
(17) هذه الفقرة هي نص كلام الفراء في معاني القرآن 1 : 56 .
(18) في المطبوعة : "يعرف ما بعده" ، والصواب ما أثبت .
(19) في المطبوعة : "رفع" ، والصواب ما أثبت .
(20) الترجمة : هو ما يسميه البصريون : "عطف البيان" و"البدل" ، فقوله "مترجما عن بئسما" ، أي عطف بيان .
(21) الترجمة : هو ما يسميه البصريون : "عطف البيان" و"البدل" ، فقوله "مترجما عن بئسما" ، أي عطف بيان .
(22) الجزء : المفعول لأجله هنا ، وفي المطبوعة : "جر" ، وهو خطأ ، وصوابه في معاني القرآن للفراء 1 : 58 .
(23) في المطبوعة : "بأن بينوه" ، وهو خطأ ، والصواب من تفسير ابن كثير 1 : 231 . والمعنى اشتروا الكتمان بالبيان .
(24) الشاري واحد الشراة (بضم الشين) ، وهم الخوارج ، وقال قطري بن الفجاءة الخارجي في معنى ذلك ، ويذكر أم حكيم ، وذلك في يوم دولاب :

فلو شهدتنا يوم ذاك، وخيلنا

تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الإله نفوسهم

بجنات عدن عنده ونعيم

وقال الخوارج : نحن الشراة ، لقول الله عز وجل : "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله" أي يبيعها ويبدلها في الجهاد ، وثمنها الجنة ، وقيل : سموا بذلك لقولهم : "إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله حين فارقنا الأئمة الجائرة" ، أي : بعناها بالجنة .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(25) طبقات فحول الشعراء : 555 من قصيدة له ، في هجاء عباد بن زياد ، حين باع ما له في دين كان عليه ، وقضى الغرماء ، وكان فيما باع غلام لابن مفرغ ، يقال له "برد" ، وجارية يقال لها "أراكة" . وقوله : "كنت هامة" أي هالكا . يقال : فلان هامة اليوم أو غد ، أي قريب هلاكه ، فإذا هو "هامة" ، وذلك زعم أبطله الله بالإسلام كان في الجاهلية : أن عظم الميت أو روحه تصير هامة (وهو طير كالبومة) فتطير . ورواية غيره : "من بعد برد" .
(26) ديوانه: 352 (من ملحق ديوان الأعشى - والمسيب خال الأعشى، والأعشى راويته)، ورواية الديوان "ويقول صاحبه"، وهي الصواب. والبيت من أبيات آية في الجودة، يصف الغواص الفقير، قد ظفر بكرة لا شبيه لها، فضع بها على البيع، وقد أعطى فيها ما يغنى من الثمن، فأبى، وصاحبه يحضنه على بيعها، وبعده:

وترى الصراري يسجدون لها

ويضمها بيديه للنحر

والصراري : الملاحون ، من أصحاب الغواصين .
(27) قوله -" نظيره الآية . . " خبر قوله في صدر هذه الفقرة : "وهذه الآية-".
(28) الأثر : 1540 - سيرة ابن هشام 2 : 190 .
(29) الأثر : 1545 - انظر التعليق على رقم : 1523 ، 1524 .
(30) انظر تفسير . "باء" فيما سلف من هذا الجزء 2 : 138 .
(31) الأثر : 1546 - سيرة ابن هشام 2 : 190 .
(32) الأثر : 1547 - في الدر المنثور : "كفرهم" في الموضعين ، وهما سواء .
(33) انظر ما سلف 1 : 188 - 189 ، وما مضى في هذا الجزء 2 : 138 هذا وقد كان في المطبوعة بعد قوله : "عن إعادته" ما نصه : "والله تعالى أعلم" ، وليس لها مكان هنا ، وهي بلا شك زيادة بعض النساخ ، فلذلك تركتها .
(34) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 60 .
(35) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 60 - 61 .
(36) هو رجل من بني سلول .
(37) سيبويه 1 : 416 ، الخزانة 1 : 173 ، وشرح شواهد المغني : 107 وغيرها كثير . وروايتهم جميعا "ثمت قلت" . وبعده بيت آخر :

غضبان ممتلئا علي إهابه

إنني وريك سخطه يرضيني

(38) هو الطرماح بن حكيم الطائي .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(39) ديوانه : 146 ، وسيأتي في 4 : 97 (بولاق) ، وحماسة البحتري : 109 ،
واللسان (كون) وقد كان في هذا الموضوع "بشكري" ، وهو خطأ ، سيأتي من
رواية الطبري على الصواب . وروى اللسان : "واستتجاز ما كان" . وصواب
الرواية : "فإني لآتيكم" فإنه قبله :

من كان لا يأتيك إلا لحاجة

يروح بها فيما يروح ويغتدى

فإني لآتيكم

.....

(40) ديوانه : 85 ، ونسب قريش : 138 ، والاستيعاب : 604 ، وأنساب
الأشراف 5 : 32 ، وسمط اللالكئ : 674 . قالها الحطيئة في الوليد بن عقبة
بن أبي معيط ، وكان من رجال قريش هممة وسخاء . استعمله أبو بكر
وعمر وعثمان ، فلما كان زمان عثمان ، رفعوا عليه أنه شرب الخمر ،
فغزله عثمان وجلده الحد ، وكان لهذا شأن كبير ، فقال الحطيئة يعذره
ويمدحه ، ويذكر عزله :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه

أن الوليد أحق بالعدر

خلعوا عنانك إذ جريت، ولو

تركوا عنانك لم تزل تجري

ورأوا شمائل ماجد أنف

يعطي على الميسور والعسر

فنزعت، مكذوبا عليك، ولم

تردد إلى عوز ولا فقر

قال مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش : "فزادوا فيها من غير
قول الحطيئة :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

نادى وقد تمت صلاتهم

أزيدكم؟ ثملا ولا يدري

ليزيدهم خمسا، ولو فعلوا

مرت صلاتهم على العشر

وقد أكثر الناس فيما كان من خبر الوليد ، وما كان من شعر الحطيئة فيه . وهذا نص من أعلم قريش بأمر قريش ، على أن البيتين قد نحلها الحطيئة ، متكذب على الوليد ، لما كان له في الشأن في أمر عثمان رضي الله عنه . ولقد جلد الوليد بن عقبة مكذوبا عليه كما قال الحطيئة ، فاعتزل الناس . وروى أبو العباس المبرد في التعازي والمراثي (ورقة : 196) قال : " قال الوليد بن عقبة عند الموت ، وهو بالبليخ من أرض الجزيرة : "اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا على ، فلا تلق روحي منك روحا ولا ريحانا ، وإن كانوا كذبوا على فلا ترضهم بأمير ولا ترض أميرا عنهم . انتقم لي منهم ، واجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي" . فليت أهل الشر كفوا ألسنتهم عن رجل من عقلاء الرجال وأشرفهم .

(41) لم أعرف قائله ، وهو في اللسان (كوف) والصاحبي : 187 . والكوفان (بتشديد الواو) : الاختلاط والشدة والعناء . يقال : إنا منه في كوفان ، أي في عنق وشقاء ودوران واختلاط .

(42) سلف تخريجه في هذا الجزء 2 : 165 .

(43) في معاني القرآن للفراء : "لم يسيئ" ، بحذف "تجده" .

(44) في المطبوعة : "فتلوهم على ذلك ورضوا . فنسب . . " ، والصواب ما أثبتته من معاني القرآن للفراء 1 : 60 - 61 ، وهذا الذي نقله الطبري هو نص كلامه .

(45) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 302 تعليق : 1 والمراجع .

(46) في المطبوعة : "وإن كان قد خرج على لفظ الخبر . . " ، والصواب : "إذ . . " كما أثبتته .

(47) في المطبوعة : "أي وترضون . . " بزيادة واو لا خير فيها .

(48) في المطبوعة : "وحقية نبوته" ، وليست مما يقوله أبو جعفر ، وقد مضى آنفاً مثل هذا التبديل من النسخ ، وكان في المخطوطة العتيقة ، على مثل الذي أثبتته ، وانظر ما سلف 2 : 318 .

(49) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 318 ، 354 .

(50) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 318 ، 319 .

(51) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 318 ، 354 .

(52) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 60 - 69 .

(53) سياق هذه الجملة المفصلة : " وإخبار منه لهم أنهم إذا كانوا فعلوا ما فعلوا . . فهم إلى تكذيب محمد . . أسرع" ، وكل ما بين ذلك فصول متتابعة كدأبه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (54) سلف شرحه لألفاظ هذه الآية : "ميثاق" ، "الطور" ، "الإيتاء" ، "قوة" ، فاطلبه في المواضع الآتية 2 : 156 ، 157 ، 160 والمراجع .
- (55) قائلة رجل من ضبة ، من بني ضرار يدعى جبير بن الضحاك ، ومن خبره أن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي والي البصرة في سنة 55 ، خطب على منبرها فحصبه جبير هذا ، فأمر به عبد الله بن عمرو فقطعت يده . فقال الرجز . ورفعوا الأمر إلى معاوية فعزله (تاريخ الطبري 6 : 167) .
- (56) في المطبوعة : "مما وصفنا" ، ليست شيئا .
- (57) انظر ما سلف 1 : 153 - 154 ، وهذا الجزء 2 : 293 ، 294 .
- (58) السحالة : ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما إذا سحلا ، أي بردا بالمبرد .
- (59) حرّقه : برده بالمبرد ، وانظر ما سلف من هذا الجزء 2 : 74 .
- (60) الأثر : 1564 - سلف برقم : 937 .
- (61) ديوانه : 339 ، وهو هناك "تشربه" بضم التاء وسكون الشين وكسر الراء ونصب "فؤادك" ، وشرحه فيه دليل على ذلك ، فإنه قال : "تدخله" وقال : "تشربه" تلزمه ولكن استدلال الطبري ، كما ترى يدل على ضبطه مبنيا للمجهول ، ورفع "فؤادك" . وحب داخل ، وداء داخل : قد خالط الجوف فأدخل الفساد على العقل والبدن .
- (62) هو طرفة بن العبد .
- (63) ديوانه : 343 (أشعار الستة الجاهليين) ، ونوادر أبي زيد : 83 ، واللسان (سود) . واختلف فيما أراد بقوله : "أسود" . قيل : الماء ، وقيل : المنية والموت . قال أبو زيد في نوادره : "يقال ما سقاني فلان من سويد قطرة ، (سويد : بالتصغير) هو الماء ، يدعى الأسود" . واستدل بالبيت . والصواب في ذلك أن يقال كما قال الطبري ، ويعني به : سوء ما لقي من هم وشقاء حالك في حب صاحبتة الحنظلية ، التي ذكرها في شعره هذا قبل البيت :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب

إليها، فإني واصل حبل من وصل

ألا إنما أبكى ليوم لقيته

بجرثم قاس، كل ما بعده جلل

إذا جاء ما لا بد منه فمرحبا

به حين يأتي - لا كذاب ولا علل

ألا إنني

.....

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ويروى : "ألا بجلي من الحياة" ، وهي أجود . . ورواية الديوان واللسان : (ألا إنني شربت) ، والتي هنا أجود . وقوله : "بجل" ، أي حسبي ما سقيت منك ومن الحياة .

(64) السالخ من الحيات : الأسود الشديد السواد ، وهو أقتل ما يكون إذا سلخ جلده في إبانه من كل عام .

(65) هرم بن سنان ، صاحب زهير بن أبي سلمى ، وحاتم : هو الطائي الذي لا يخفى له ذكر . وأكثر هذا في معاني القرآن للفراء 1 : 61 - 62 .

(66) معاني القرآن للفراء 1 : 62 ، ومجالس ثعلب : 76 ، واللسان (غزا) ، ونسبه لجميل ، ولا أظنه إلا خطأ ، لذكر جميل في البيت ، ولمشابهته لقول جميل :

يقولون : جاهد يا جميل بغزوة!

وأي جهاد غيرهن أريد؟

ولكن البيت من شعر آخر ، لم أهتد إليه بعد البحث ، ويريد الأول : وإن الجهاد جهاد طيئ وقتالها ، فحذف واجتزأ .

(67) انظر ما سلف في معنى "الإيمان" 1 : 235 ، 2 : 143 وغيرهما .

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94)

قال أبو جعفر: وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهрани مهاجرة، وفضح بها أبحارهم وعلماءهم. وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف. كما أمره الله أن يدعو الفريق الآخر من النصارى - إذ خالفوه في عيسى صلوات الله عليه وجادلوا فيه - إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة. (1) وقال لفريق اليهود: إن كنتم محقين فتمنوا الموت، فإن ذلك غير ضاركم، إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة < 362-2 > من الله. بل إن أعطيتكم أميئتكم من الموت إذا تمنيتم، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها، والفوز بجوار الله في جنانه، إن كان الأمر كما تزعمون: من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا. وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا، وانكشف أمرنا وأمركم لهم. فامتنتع اليهود من إجابة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، لعلمها أنها تمنى الموت هلكت، فذهبت دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها. كما امتنع فريق النصارى - الذين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى ، إذ دعوا إلى المباهلة - من المباهلة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار. ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم، لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا ".

1566 - حدثنا بذلك أبو كريب قال، حدثنا زكريا بن عدي قال، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (2)

< 2-363 >

1567 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثام بن علي، عن الأعمش، عن ابن عباس في قوله: (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)، قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه. (3)

1568 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة في قوله: (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)، قال: قال ابن عباس: لو تمنى اليهود الموت لماتوا. (4)

1569 - حدثني موسى قال، أخبرنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي، عن ابن عباس مثله.

1570 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد - قال أبو جعفر: فيما أروي: أنبأنا - عن سعيد، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: لو تمنوه يوم قال ذلك لهم، ما بقي على ظهر الأرض يهودي إلا مات. (5)

قال أبو جعفر: فانكشف - لمن كان مشكلا عليه أمر اليهود يومئذ - كذبهم وبهتهم وبغيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظهرت حجة رسول الله وحجة أصحابه عليهم، ولم تزل والحمد لله ظاهرة عليهم وعلى غيرهم من سائر أهل الملل.

< 2-364 >

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: (تمنوا الموت إن كنتم صادقين)، لأنهم - فيما ذكر لنا - قالوا: نَحْنُ أَيْتَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ [المائدة: 18]، وقالوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى [البقرة: 111]. فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم إن كنتم صادقين فيما تزعمون، فتمنوا الموت. فأبان الله كذبهم بامتناعهم من تمنى ذلك، وأفلح حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو اليهود أن يتمنوا الموت، وعلى أي وجه أمروا أن يتمنوه. فقال بعضهم: أمروا أن يتمنوه على وجه الدعاء على الفريق الكاذب منهما.

* ذكر من قال ذلك:

1571 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)، أي: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب. (6)

وقال آخرون بما:-

1572 - حدثني بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس)، وذلك أنهم قالوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى [البقرة: 111]، وقالوا: تَحْنُ أَيْتَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ [المائدة: 18] ف قيل لهم: (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين).

1573 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن < 365-2 > الربيع، عن أبي العالية قال: قالت اليهود: (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى)، وقالوا: تَحْنُ أَيْتَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ فقال الله: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)، فلم يفعلوا.

1574 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثني ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة) الآية، وذلك بأنهم قالوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، وقالوا: تَحْنُ أَيْتَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ . (7)

وأما تأويل قوله: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة)، فإنه يقول: قل يا محمد: إن كان نعيم الدار الآخرة ولذاتها لكم يا معشر اليهود عند الله. فاكتفى بذكر "الدار"، من ذكر نعيمها، لمعرفة المخاطبين بالآية معناها. وقد بينا معنى "الدار الآخرة"، فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (8)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما تأويل قوله: (خالصة)، فإنه يعني به: صافية. كما يقال: "خلص لي فلان" بمعنى صار لي وحدي وصفاً لي. يقال منه: "خلص لي هذا الشيء فهو يخلص خلوصاً وخالصة، و"خالصة" مصدر مثل "العافية". ويقال للرجل: "هذا خلصاني"، يعني خالصتي من دون أصحابي.

وقد روي عن ابن عباس أنه كان يتأول قوله: (خالصة): خاصة. وذلك تأويل قريب من معنى التأويل الذي قلناه في ذلك.

1575 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس: (قل إن كانت لكم > 2- 366 < الدار الآخرة)، قال: "قل" يا محمد لهم - يعني اليهود -: إن كانت لكم الدار الآخرة " - يعني: الجنة (9) - (عند الله خالصة)، يقول: خاصة لكم.

وأما قوله: (من دون الناس)، فإن الذي يدل عليه ظاهر التنزيل أنهم قالوا: لنا الدار الآخرة عند الله خالصة من دون جميع الناس. ويبين أن ذلك كان قولهم - من غير استثناء منهم من ذلك أحداً من بني آدم - إخبار الله عنهم أنهم قالوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، إلا أنه روي عن ابن عباس قول غير ذلك:

1576 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس: (من دون الناس)، يقول: من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين استهزأتم بهم، وزعمتم أن الحق في أيديكم، وأن الدار الآخرة لكم دونهم.

وأما قوله: (فتمنوا الموت) فإن تأويله: تشهوه وأريدوه. وقد روي عن ابن عباس أنه قال في تأويله: فسلوا الموت. ولا يعرف "التمني" بمعنى "المسألة" في كلام العرب. ولكن أحسب أن ابن عباس وجه معنى "الأمنية" - إذ كانت محبة النفس وشهوتها - إلى معنى الرغبة والمسألة، إذ كانت المسألة، هي رغبة السائل إلى الله فيما سأل.

1577 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاک عن ابن عباس: (فتمنوا الموت)، فسلوا الموت، (إن كنتم صادقين).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-367 >

القول في تأويل قوله تعالى وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ (95)

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود وكراحتهم الموت،
وامتناعهم عن الإجابة إلى ما دعوا إليه من تمني الموت، لعلمهم بأنهم إن
فعلوا ذلك فالوعد بهم نازل، والموت بهم حال؛ ولمعرفتهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم أنه رسول من الله إليهم مرسل، وهم به مكذبون، وأنه لم
يخبرهم خبرا إلا كان حقا كما أخبر. فهم يحذرون أن يتمنوا الموت، خوفا أن
يحل بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب، كالذي:-

1578 - حدثني محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن
إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد فيما يروي أبو جعفر، عن سعيد بن
جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ الآية، أي:
ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب. فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم. يقول الله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: (ولن يتمنوه أبدا بما
قدمت أيديهم)، أي: لعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك. (10)

1579 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن
عمارة، عن أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس: (ولن يتمنوه أبدا)، يقول: يا
محمد، ولن يتمنوه أبدا، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون. ولو كانوا صادقين لتمنوه
ورغبوا في التعجيل إلى كرامتي، فليس يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم.

1580 - حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن < 2-368 >
< ابن جريج قوله: فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وكانت اليهود أشد فرارا
من الموت، ولم يكونوا ليمنوه أبدا.

وأما قوله: (بما قدمت أيديهم)، فإنه يعني به: بما أسلفته أيديهم. وإنما ذلك
مثل، على نحو ما تتمثل به العرب في كلامها. فتقول للرجل يؤخذ بجريرة
جرها أو جناية جناها فيعاقب عليها: " نالك هذا بما جنت يداك، وبما كسبت
يداك، وبما قدمت يداك "، فتضيف ذلك إلى " اليد ". ولعل الجناية التي جناها
فاستحق عليها العقوبة، كانت باللسان أو بالفرج أو بغير ذلك من أعضاء
جسده سوى اليد.

قال أبو جعفر: وإنما قيل ذلك بإضافته إلى " اليد "، لأن عظم جنایات الناس
بأيديهم، فجرى الكلام باستعمال إضافة الجنایات التي يجنيها الناس إلى "

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أيديهم "، حتى أضيف كل ما عوقب عليه الإنسان مما جناه بسائر أعضاء جسده، إلى أنها عقوبة على ما جنته يده.

فلذلك قاله جل ثناؤه للعرب: (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم)، يعني به: ولن يتمنى اليهود الموت بما قدموا أمامهم في حياتهم من كفرهم بالله، في مخالفتهم أمره وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة، ويعلمون أنه نبي مبعوث. فأضاف جل ثناؤه ما انطوت عليه قلوبهم، وأضمرته أنفسهم، ونطقت به ألسنتهم - من حسد محمد صلى الله عليه وسلم، والبغي عليه، وتكذيبه وجحود رسالته - إلى أيديهم، وأنه مما قدمته أيديهم، لعلم العرب معنى ذلك في منطقتها وكلامها. إذ كان جل ثناؤه إنما أنزل القرآن بلسانها وبلغتها. وروي عن ابن عباس في ذلك ما:-

1581 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (بما قدمت أيديهم)، يقول: بما أسلفت أيديهم.

< 2-369 >

1582 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج: (بما قدمت أيديهم)، قال: إنهم عرفوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي فكتموه.

وأما قوله: (والله عليم بالظالمين)، فإنه يعني جل ثناؤه: والله ذو علم بظلمة بني آدم - يهودها ونصاراها وسائر أهل الملل غيرها - وما يعملون.

وظلم اليهود: كفرهم بالله في خلافهم أمره وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، بعد أن كانوا يستفتحون به وبمبعثه، وجحودهم نبوته وهم عالمون أنه نبي الله ورسوله إليهم.

وقد دللنا على معنى " الظلم " فيما مضى بما أغنى عن إعادته. (11)

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) - اليهود -. يقول: يا محمد، لتجدن أشد الناس حرصا على الحياة في الدنيا، وأشدهم كراهة للموت، اليهود كما:-

1583 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد -فيما يروي أبو جعفر- عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة)، يعني اليهود.

1584 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، حدثنا الربيع، عن أبي العالية: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة)، يعني اليهود. (12)

1585 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق، حدثنا ابن أبي جعفر، عن > 2-370 < أبيه، عن الربيع مثله. (13)

1586 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وإنما كراحتهم الموت، لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ومن الذين أشركوا)، وأحرص من الذين أشركوا على الحياة، كما يقال: " هو أشجع الناس ومن عنترة " بمعنى: هو أشجع من الناس ومن عنترة. فكذلك قوله: (ومن الذين أشركوا). لأن معنى الكلام: ولتجدن -يا محمد- اليهود من بني إسرائيل، أحرص [من] الناس على حياة ومن الذين أشركوا. (14) فلما أضيف " أحرص " إلي " الناس " وفيه تأويل " من "، أظهرت بعد حرف العطف، ردا - على التأويل الذي ذكرنا.

وإنما وصف الله جل ثناؤه اليهود بأنهم أحرص الناس على الحياة، لعلمهم بما قد أعد لهم في الآخرة على كفرهم بما لا يقر به أهل الشرك، (15) فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث، لأنهم يؤمنون بالبعث، ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب. والمشركون لا يصدقون بالبعث ولا العقاب، (16) فاليهود أحرص > 2-371 < منهم على الحياة وأكره للموت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقيل: إن الذين أشركوا - الذين أخبر الله تعالى ذكره أن اليهود أحرض منهم في هذه الآية على الحياة - هم المجوس الذين لا يصدقون بالبعث .

* ذكر من قال هم المجوس:

1587 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)، يعني المجوس.

1588 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)، قال: المجوس.

1589 - حدثني يونس قال، أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد: (ومن الذين أشركوا)، قال: يهود، أحرض من هؤلاء على الحياة.

* ذكر من قال: هم الذين ينكرون البعث:

1590 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد - فيما يروي أبو جعفر - عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس: (ولتجدنهم أحرض الناس على حياة ومن الذين أشركوا)، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت، فهو يحب طول الحياة؛ وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي، بما ضيع مما عنده من العلم. (17)

< 2-372 >

القول في تأويل قوله تعالى : يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ

قال أبو جعفر: هذا خبر من الله جل ثناؤه بقوله عن الذين أشركوا (18) - الذين أخبر أن اليهود أحرض منهم على الحياة. يقول جل ثناؤه: يود أحد هؤلاء الذين أشركوا - الأيسى، بفناء دنياه وانقضاء أيام حياته، (19) أن يكون له بعد ذلك نشور أو محيا أو فرح أو سرور - لو يعمر ألف سنة، حتى جعل بعضهم تحية بعض: " عشرة آلاف عام " حرصا منهم على الحياة، كما:-

1591 - حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال، سمعت أبي عليا، أخبرنا أبو حمزة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)، قال: هو قول الأعاجم: " سال زه نوز مهرجان حر ". (20)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-373 >

1592 - وحدثت عن نعيم النحوي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)، قال: هو قول أهل الشرك بعضهم لبعض إذا عطس: "زه هزار سال".

1593 - حدثنا إبراهيم بن سعيد ويعقوب بن إبراهيم قالوا حدثنا إسماعيل بن علي، عن ابن أبي نجيح، عن قتادة في قوله: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)، قال: حَبَّبْتُ إِلَيْهِمُ الْخَطِيئَةَ طَوَّلَ الْعَمْرَ.

1594 - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، حدثني علي بن معبد، عن ابن علي، عن ابن أبي نجيح في قوله: (يود أحدهم)، فذكر مثله.

1595 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) حتى بلغ: (لو يعمر ألف سنة)، يهود، أحرص من هؤلاء على الحياة. وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة.

1596 - وحدثت عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن سعيد، عن ابن عباس في قوله: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)، قال: هو قول أحدهم إذا عطس: "زه هزار سال"، يقول: عشرة آلاف سنة. (21)

< 2-374 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا هُوَ بِمُرْخِزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)، وما التعمير - وهو طول البقاء - بمزحزحه من عذاب الله.

وقوله: (هو) عماد لطلب " ما " الاسم أكثر من طلبها الفعل، (22) كما قال الشاعر:

فهل هو مرفوع بما ههنا رأس * (23)

و " أن " التي في: (أن يعمر)، رفع، بـ " مزحزحه "، و " هو " الذي مع " ما " تكرير، عماد للفعل، لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد قال بعضهم: إن " هو " الذي مع " ما " كناية ذكر العمر. كأنه قال: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، وما ذلك العمر بمزحزحه من العذاب، وجعل " أن يعمر " مترجماً عن " هو "، يريد ما هو بمزحزحه التعمير. (24)

وقال بعضهم: قوله: (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)، نظير قولك: ما زيد بمزحزحه أن يعمر.

قال أبو جعفر: وأقرب هذه الأقوال عندنا إلى الصواب ما قلنا، وهو أن يكون " هو " عماداً، نظير قولك: " ما هو قائم عمرو ".

< 2-375 >

وقد قال قوم من أهل التأويل: إن " أن " التي في قوله: " أن يعمر " بمعنى: وإن عمر، وذلك قول لمعاني كلام العرب المعروف مخالف.

* ذكر من قال ذلك:

1597 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)، يقول: وإن عمر.

1598 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

1599 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " أن يعمر " - ولو عمر.

وأما تأويل قوله: (بمزحزحه)، فإنه بمبعده ومُنَحَّيه، كما قال الحطيئة:

وقالوا: تزحزح ما بنا فضل حاجة

إليك، وما منا لوهُيِّك راقع (25)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني بقوله: " تزحزح "، تباعد، يقال منه: " زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزاحا، " وهو عنك متزحزح "، أي متباعد.

فتأويل الآية - وما طول العمر بمبعده من عذاب الله، ولا مُنَحِّيه منه، لأنه لا بد للعمر من الفناء، ومصيره إلى الله، كما:-

< 2-376 >

1600 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد -فيما أروي- (26) عن سعيد بن جبير، أو عن عكرمة، عن ابن عباس: (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)، أي: ما هو بمنحيه من العذاب.

1601 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)، يقول: وإن عُمر، فما ذاك بمغيثه من العذاب ولا منحيه.

1602 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

1603 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب)، فهم الذين عادوا جبريل عليه السلام.

1604 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)، ويهود أحرص على الحياة من هؤلاء. وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة، وليس ذلك بمزحزحه من العذاب، لو عمر كما عمر إبليس لم ينفعه ذلك، إذ كان كافرا، ولم يزحزحه ذلك عن العذاب.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (والله بصير بما يعملون)، والله ذو إِبْصَارٍ بما يعملون، لا يخفي عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاك، حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-377 >

وأصل " بصير " مبصر " - من قول القائل: " أبصرت فأنا مبصر "، ولكن
صرف إلى " فعيل "، كما صرف " مسمع " إلى " سميع "، و " عذاب مؤلم " إلى " أليم "، " ومبدع السموات " إلى بديع، وما أشبه ذلك. (27)

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ
قَلِيلًا يَذِّنُ اللَّهُ

قال أبو جعفر: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أن هذه الآية نزلت جوابا
لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم.
ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك. فقال بعضهم: إنما كان سبب
قيلم ذلك، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أمر نبوته.

* ذكر من قال ذلك:

1605 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير، (28) عن عبد الحميد بن
بهرام، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس أنه قال: حضرت عصابة من اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال
نسألك عنهن، لا يعلمهن إلا نبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلوا
عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن أنا
حدثتكم شيئا فعرفتموه، لتتابعني على الإسلام. فقالوا: ذلك لك. فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: سلوني عما شئتم. فقالوا: أخبرنا عن أربع خلال
نسألك عنهن: أخبرنا، أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل
التوراة؟ وأخبرنا < 2-378 > كيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر
منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعني!
فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. فقال: " نشدتكم بالذي أنزل التوراة على
موسى، هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه، فنذر
نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه، وكان
أحب الطعام إليه لحم الإبل - قال أبو جعفر: فيما أروي: (29) وأحب الشراب
إليه ألبانها؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد
الله عليكم وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على
موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق،
فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان
الولد ذكرا بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن
الله؟ قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد! قال: وأنشدكم بالذي أنزل التوراة
على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تمام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا:
اللهم نعم! قال: اللهم اشهد! قالوا: أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة،)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(30) فعندها تتابعك أو نفارقك. قال: فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة، تابعتك وصدقناك. قال: " فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. فأنزل الله عز وجل: (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) إلى قوله كَاتِبَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، فعندها باءوا بغضب على غضب. (31)

< 2-379 >

1606 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحاق قال، حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين -يعني المكي-، عن شهر بن حوشب الأشعري: أن نفرا من اليهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن أربع نسائك عنهن، فإن فعلت اتبعناك وصدقناك وأما بك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني؟ قالوا: نعم. قال: فاسألوا عما بدا لكم. فقالوا: أخبرنا كيف يشبه الولد أمه، وإنما النطفة من الرجل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فإيتهما علت صاحبتهما كان لها الشبه؟ (32) نعم. قالوا: فأخبرنا كيف نومك؟ قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ < 2-380 > (33) قالوا: اللهم نعم. قال: اللهم اشهد! قالوا: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ قال: هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها، فحرم أحب الطعام والشراب إليه شكرا لله، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها؟ قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخبرنا عن الروح. قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل، (34) وهو الذي يأتيني؟ قالوا: نعم، ولكنه لنا عدو، وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء، فلولا ذلك اتبعناك. فأنزل الله فيهم: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك) إلى قوله كَاتِبَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . (35)

1607 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، حدثني القاسم بن أبي بزة: أن يهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم: من صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي؟ فقال: جبريل. قالوا: فإنه لنا عدو ولا يأتي إلا بالحرب والشدة والقتال! فنزل: (من كان عدوا لجبريل) الآية. قال ابن جريج: وقال مجاهد: قالت يهود: يا محمد، ما ينزل جبريل إلا بشدة وحرب! وقالوا: إنه لنا عدو! (36) فنزل: (من كان عدوا لجبريل) الآية. (37)

وقال آخرون: بل كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بين < 2-381 > عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبينهم، في أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

1608 - حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا ربعي بن علي، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: نزل عمر الروحاء، فرأى رجلاً يتدرون أحجاراً يصلون إليها، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ههنا. فكره ذلك وقال: أيما؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواد فصلى، ثم ارتحل فتركه! (38) ثم أنشأ يحدثهم فقال: كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان، ومن الفرقان كيف يصدق التوراة! فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب، ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك. قلت: ولم ذلك؟ قالوا: إنك تغشانا وتأتينا. قال: قلت إنني أتيتكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة، ومن التوراة كيف تصدق الفرقان! قال: ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا ابن الخطاب، ذاك صاحبكم فالحق به. قال: فقلت لهم عند ذلك: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه واستودعكم من كتابه، أتعلمون أنه رسول الله؟ قال: فسكتوا، قال: فقال عالمهم وكبيرهم: إنه قد عظم عليكم فأجيبوه. (39) قالوا: أنت عالمنا وسيدنا، فأجبه أنت. قال: أما إذ نشدنا به، فإننا نعلم أنه رسول الله. قال: قلت: ويحكم! إذا هلكتم! (40) قالوا: إنا لم نهلك. قال: قلت: كيف ذاك، وأنت تعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه؟ < 2-382 > قالوا: إن لدينا عدواً من الملائكة وسلمنا من الملائكة، وإنه قرن به عدونا من الملائكة. (41) قال: قلت: ومن عدوكم؟ ومن سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل، وسلمنا ميكائيل. قال: قلت: وفيما عاديتم جبريل؟ وفيما سالمتم ميكائيل؟ قالوا: إن جبريل ملك الفضاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا، وإن ميكائيل ملك الرأفة والرحمة والتخفيف ونحو هذا. قال: قلت: وما منزلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره. قال: قلت: فوالله الذي لا إله إلا هو، إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما، وسلم لمن سالمهما، ما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل، ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل! قال: ثم قمت فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم، فلحقته وهو خارج من مخرفة لبني فلان، (42) فقال لي: يا ابن الخطاب، ألا أقرئك آيات نزلن؟ فقراً على: (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه) حتى قرأ الآيات. قال: قلت: يا بني أنت وأمي يا رسول الله، (43) والذي بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك الخبر، فأسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر! (44)

< 2-383 >

1609 - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علي، عن داود، عن الشعبي قال، قال عمر: كنت رجلاً أغشى اليهود في يوم مدراسهم، ثم ذكر نحو حديث ربعي. (45)

1610 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم إلى اليهود، فلما أبصروه رحبوا به. فقال لهم عمر: أما والله ما جئت لحبكم ولا للرغبة فيكم،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولكن جئت لأسمع منكم. فسألهم وسألوه، فقالوا: من صاحب صاحبكم؟ فقال لهم: جبريل. فقالوا: ذاك عدونا من أهل السماء، يطلع محمداً على سرنا، وإذا جاء جاء بالحرب والسنة (46) ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل، وكان إذا جاء جاء بالخصب وبالسلم، فقال لهم عمر: أفترفون جبريل وتتكرون محمداً؟ ففارقهم عمر عند ذلك، وتوجه نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم، فوجده قد أنزل عليه هذه الآية: (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله).

1611 - حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن قتادة قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب أقبل على اليهود يوماً، فذكر نحوه.

1612 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (من كان عدواً لجبريل)، قال: قالت اليهود: < 2-384 > إن جبريل هو عدونا، لأنه ينزل بالشدة والحرب والسنة، وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب، فجبريل عدونا. فقال الله جل ثناؤه: (من كان عدواً لجبريل).

1613 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه)، قال: كان لعمر بن الخطاب أرض بأعلى المدينة، فكان يأتيها، وكان ممره على طريق مدراس اليهود، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم. وإنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا: يا عمر ما في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أحب إلينا منك، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا، وتمر بنا فلا تؤذينا، وإنا لنطمع فيك. فقال لهم عمر: أي يمين فيكم أعظم؟ قالوا: الرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء. فقال لهم عمر: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، أتجدون محمداً صلى الله عليه وسلم عندكم؟ فأسكتوا. (47) فقال: تكلموا، ما شأنكم؟ فوالله ما سألتكم وأنا شاك في شيء من ديني. فنظر بعضهم إلى بعض، فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل، لتخبرنه أو لأخبرنه. قالوا: نعم، إنا نجده مكتوباً عندنا، ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل، وجبريل عدونا، وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف، ولو أنه كان وليه ميكائيل، إداً لآمنا به، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث. فقال لهم عمر: فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء، أين مكان جبريل من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره. قال عمر: فأشهدكم أن الذي هو عدو للذي عن يمينه، عدو للذي هو عن يساره؛ والذي هو عدو للذي هو عن يساره؛ عدو للذي هو عن يمينه؛ وأنه من كان عدوهم، فإنه عدو لله. ثم رجع عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم، < 2-385 > فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه، فقال عمر: والذي بعثك بالحق، لقد جئتكم وما أريد إلا أن أخبركم! (48)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1614 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق بن الحجاج الرازي قال، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء أبو زهير، عن مجالد، عن الشعبي قال: انطلق عمر إلى يهود فقال: إني أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمداً في كتابكم؟ قالوا: نعم. قال: فما يمنعكم أن تتبعوه؟ قالوا: إن الله لم يبعث رسولا إلا كان له كفل من الملائكة، وإن جبريل هو الذي يتكفل لمحمد، وهو عدونا من الملائكة، وميكائيل سلمنا، فلو كان هو الذي يأتيه اتبعناه. قال: إني أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، ما منزلتهما من رب العالمين؟ قالوا: جبريل عن يمينه، وميكائيل عن جانبه الآخر. فقال: إني أشهد ما يقولان إلا بإذن الله، (49) وما كان لميكائيل أن يعادي سلم جبريل، وما كان جبريل ليسالم عدو ميكائيل. [فبينما هو عندهم]، إذ مر نبي الله صلى الله عليه وسلم، (50) فقالوا: هذا صاحبك يا ابن الخطاب. فقام إليه، فأتاه وقد أنزل عليه: (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) إلى قوله: قَائِنَ اللّٰهُ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ . (51)

< 2-386 >

1615 - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن، عن ابن أبي ليلى في قوله: (من كان عدوا لجبريل). قال: قالت اليهود للمسلمين: لو أن ميكائيل كان الذي ينزل عليكم لتبعناكم، فإنه ينزل بالرحمة والغيث، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة، وهو لنا عدو. قال: فنزلت هذه الآية: (من كان عدوا لجبريل).

1616 - حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء بنحو ذلك.

قال أبو جعفر: وأما تأويل الآية - أعني قوله: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) - فهو: أن الله يقول لنبيه: قل يا محمد - لمعاشرة اليهود من بني إسرائيل، الذين زعموا أن جبريل لهم عدو، من أجل أنه صاحب سطوات وعذاب وعقوبات، لا صاحب وحي وتنزيل ورحمة، فأبوا إتباعك، وجحدوا نبوتك، وأنكروا ما جئتهم به من آياتي وبيانات حكمي، من أجل أن جبريل وليك وصاحب وحي إليك، وزعموا أنه عدو لهم -: من يكن من الناس < 2-387 > لجبريل عدوا، ومنكرا أن يكون صاحب وحي الله إلى أنبيائه، وصاحب رحمته، إني له ولي وخلي، ومقر بأنه صاحب وحي إلى أنبيائه ورسله، وأنه هو الذي ينزل وحي الله على قلبي من عند ربي، بإذن ربي له بذلك، يربط به على قلبي، ويشد فؤادي، كما:-

1617 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: (قل من كان عدوا لجبريل)، قال: وذلك أن اليهود قالت - حين سألت محمداً صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة، فأخبرهم بها على ما هي عندهم - "إلا جبريل"، فإن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

جبريل كان عند اليهود صاحب عذاب وسطوة، ولم يكن عندهم صاحب وحي - يعني: تنزيل من الله على رسوله - ولا صاحب رحمة، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سألوه عنه: أن جبريل صاحب وحي الله، وصاحب نقيته. وصاحب رحمته، فقالوا: ليس بصاحب وحي ولا رحمة، هو لنا عدوا! فأنزل الله عز وجل إكذابا لهم: (قل) يا محمد: (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك)، يقول: فإن جبريل نزله. يقول: نزل القرآن - بأمر الله يشد به فؤادك، ويربط به على قلبك "، يعني: بوحينا الذي نزل به جبريل عليك من عند الله- وكذلك يفعل بالمرسلين والأنبياء من قبلك.

1618 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله)، يقول: أنزل الكتاب على قلبك بإذن الله.

1619 - وحدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (فإنه نزله على قلبك)، يقول: نزل الكتاب على قلبك جبريل.

قال أبو جعفر: وإنما قال جل ثناؤه: (فإنه نزله على قلبك) - وهو يعني > 2- 388 < بذلك قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمر محمدا في أول الآية أن يخبر اليهود بذلك عن نفسه - ولم يقل: فإنه نزله على قلبي = ولو قيل: " على قلبي" كان صوابا من القول = لأن من شأن العرب إذا أمرت رجلا أن يحكي ما قيل له عن نفسه، أن تخرج فعل الأمور مرة مضافا إلى كناية نفس المخبر عن نفسه، إذ كان المخبر عن نفسه؛ ومرة مضافا إلى اسمه، كهيئة كناية اسم المخاطب لأنه به مخاطب. فتقول في نظير ذلك: " قل للقوم إن الخير عندي كثير " - فتخرج كناية اسم المخبر عن نفسه، لأنه الأمور أن يخبر بذلك عن نفسه: - و " قل للقوم إن الخير عندي كثير " - فتخرج كناية اسمه كهيئة كناية اسم المخاطب، لأنه وإن كان مأمورا بقيل ذلك، فهو مخاطب مأمورا بحكاية ما قيل له. وكذلك: " لا تقل للقوم إني قائم " و " لا تقل لهم إني قائم "، و " الياء " من " إني " اسم الأمور بقول ذلك، على ما وصفنا. ومن ذلك قول الله عز وجل: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَّيْسَ لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَإِن كَانُوا مِن دُونِهِ يُعْتَبَرُونَ (تغلبون) [آل عمران: 12]، بالياء والتاء. (52)

وأما " جبريل " فإن للعرب فيه لغات. فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون " جبريل، وميكال " بغير همز، بكسر الجيم والراء من " جبريل " وبالتخفيف. وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أما تميم وقيس وبعض نجد فيقولون: " جَبْرَيْل وميكائيل " على مثال " جبرعيل وميكاعيل "، بفتح الجيم والراء، وبهمز، وزيادة ياء بعد الهمزة. وعلى القراءة بذلك عامة قَرَأة أهل الكوفة، كما قال جرير بن عطية:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد

وبَجَبْرَيْل وكذبوا ميكالاً (53)

< 2-389 >

وقد ذكر عن الحسن البصري وعبد الله بن كثير أنهما كانا يقرآن: " جبريل " بفتح الجيم. وترك الهمز.

قال أبو جعفر: وهي قراءة غير جائزة القراءة بها، لأن " فعليل " في كلام العرب غير موجود. (54) وقد اختار ذلك بعضهم، وزعم أنه اسم أعجمي، كما يقال: " سمويل "، وأنشد في ذلك: (55)

بحيث لو وزنت لخم بأجمعها

ما وازنت ريشة من ريش سمويلا (56)

وأما بنو أسد فإنها تقول " جبرين " بالنون. وقد حكى عن بعض العرب أنها تزيد في " جبريل " ألفاً " فتقول: جبرايل وميكاييل.

وقد حكى عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ: " جَبْرَيْلٌ " بفتح الجيم، والهمز، وترك المد، وتشديد اللام.

فأما " جبر " و " ميك "، فإنهما الاسمان اللذان أحدهما بمعنى: " عبد "، والآخر بمعنى: " عبيد ".

< 2-390 >

وأما " إيل " فهو الله تعالى ذكره، كما:-

1620 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جرير بن نوح الحماني، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير قال، قال ابن عباس: " جبريل " و " ميكائيل "، كقولك: عبد الله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1621 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: " جبريل " عبد الله؛ و " ميكائيل "، عبيد الله. وكل اسم " إيل " فهو: الله.

1622 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس: أن " إسرائيل، وميكائيل وجبريل، وإسرافيل " كقولك: عبد الله.

1623 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث قال: " إيل "، الله، بالعبرانية.

1624 - حدثنا الحسين بن يزيد الضحاك قال، حدثنا إسحاق بن منصور قال، حدثنا قيس، عن عاصم، عن عكرمة، قال: " جبريل " اسمه: عبد الله؛ و " ميكائيل " اسمه: عبيد الله. " إيل ": الله.

1625 - حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن علي بن حسين قال: اسم " جبريل " عبد الله، واسم " ميكائيل " عبيد الله، واسم " إسرافيل " عبد الرحمن. وكل معبد، " إيل "، فهو عبد الله. (57)

1626 - حدثنا المثنى قال، حدثنا قبيصة بن عقبة قال، حدثنا سفيان، عن > 2-391 < محمد المدني - قال المثنى: قال قبيصة: أراه محمد بن إسحاق - عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن علي بن حسين، قال: ما تعدون " جبريل " في أسمائكم؟ قال: " جبريل " عبد الله، و " ميكائيل " عبيد الله. وكل اسم فيه " إيل "، فهو مُعَبَّدٌ لله.

1627 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن علي بن حسين قال: قال لي: هل تدري ما اسم " جبريل " من أسمائكم؟ قلت: لا. قال: عبد الله. قال: فهل تدري ما اسم " ميكائيل " من أسمائكم؟ قلت: لا. (58) قال: عبيد الله. وقد سمى لي " إسرائيل " باسم نحو ذلك فنسبته، إلا أنه قد قال لي: رأيت، كل اسم يرجع إلى " إيل " فهو معبد له.

1628 - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن خفيف، عن عكرمة في قوله: (جبريل) قال: " جبر " عبد، " إيل " الله، و " ميكا " قال: عبد. " إيل ": الله. (59)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: فهذا تأويل من قرأ " جبرئيل " بالفتح، والهمز، والمد. وهو -إن شاء الله- معنى من قرأ بالكسر، وترك الهمز.

وأما تأويل من قرأ ذلك بالهمز، وترك المد، وتشديد اللام، فإنه قصد بقوله ذلك كذلك، إلى إضافة " جبر " و " ميكا " إلى اسم الله الذي يسمى به بلسان العرب دون السرياني والعبراني. وذلك أن " الإل " بلسان العرب: الله، كما قال: لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً [التوبة: 10]. فقال جماعة من أهل العلم: " الإل " هو الله. ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه - لوفد بني حنيفة، حين سألهما عما كان مسيلمة يقول، فأخبروه - فقال لهم: وبحكم " > 392-2 < أين ذهب بكم؟ والله، إن هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر. يعني " من إل " من الله وقد:-

1629 - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن عليه، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز في قوله: لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً قال: قول " جبريل " و " ميكائيل " و " إسرافيل " .

كأنه يقول: حين يضيف " جبر " و " ميكا " و " إسرا " إلى " إيل " يقول: عبد الله. (60) لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا ، كأنه يقول: لا يرقبون الله عز وجل.

القول في تأويل قوله تعالى : مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (مصدقًا لما بين يديه)، القرآن. ونصب " مصدقًا " على القطع من " الهاء " التي في قوله: تَزَلَّهُ عَلَى قَلْبِكَ . (61)

فمعنى الكلام: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك، يا محمد، مصدقًا لما بين يدي القرآن. يعني بذلك: مصدقًا لما سلف من كتب الله أمامه، ونزلت على رسله الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم. وتصديقه إياها، موافقة معانيه معانيها في الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله، وهي تصدقه. (62) كما:-

1630 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس. (مصدقًا لما بين > 393-2 < يديه)، يقول: لما قبله من الكتب التي أنزلها الله، والآيات، والرسل الذين بعثهم الله بالآيات، نحو موسى ونوح وهود وشعيب وصالح، وأشباههم من الرسل صلى الله عليهم.

1631 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (مصدقًا لما بين يديه)، من التوراة والإنجيل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1632 - حدث عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : وَهَدَىٰ وَبَشَّرِ لِلْمُؤْمِنِينَ (97)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وهدى) ودليل وبرهان. وإنما سماه الله جل ثناؤه "هدى"، لاهتداء المؤمن به. و"اهتداؤه به" اتخاذه إياه هادياً يتبعه، وقائداً ينقاد لأمره ونهيه وحلاله وحرامه. و"الهادي" من كل شيء: ما تقدم أمامه. ومن ذلك قيل لأوائل الخيل: "هواديها"، وهو ما تقدم أمامها، وكذلك قيل للعنق: "الهادي"، لتقدمها أمام سائر الجسد. (63)

وأما "البشرى" فإنها البشارة. أخير الله عباده المؤمنين جل ثناؤه، أن القرآن لهم بشرى منه، لأنه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه، وذلك هو "البشرى" التي بشر الله بها المؤمنين في كتابه. لأن البشارة في كلام العرب، هي: إعلام الرجل بما لم يكن به عالماً مما يسره من الخبر، قبل أن يسمعه من غيره، أو يعلمه من قبل غيره. (64)

وقد روي في ذلك عن قتادة قول قريب المعنى مما قلناه:

< 2-394 >

1633 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (هدى وبشرى للمؤمنين)، لأن المؤمن إذا سمع القرآن حفظه ووعاه، وانتفع به واطمأن إليه، وصدق بموعود الله الذي وعد فيه، وكان على يقين من ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله جل ثناؤه من كان عدواً لله، من عاداه، وعادى جميع ملائكته ورسله؛ (65) وإعلام منه أن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل، وعادى جميع ملائكته ورسله. لأن الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته، ومن عادى الله ووليا فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته. لأن العدو لله عدو لأوليائه، والعدو لأوليائه الله عدو له. فكذلك قال لليهود - الذين قالوا: إن جبريل عدونا من الملائكة، وميكائيل ولينا منهم -: (من كان عدواً لله وملائكته

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورسله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين)، من أجل أن عدو جبريل عدو كل ولي لله. فأخبرهم جل ثناؤه أن من كان عدوا لجبريل، فهو لكل من ذكره - من ملائكته ورسله وميكايل - عدو، وكذلك عدو بعض رسل الله، عدو لله ولكل ولي. وقد:-

1634 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا عبيد الله - يعني العتكي -، عن رجل من قريش قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم اليهود < 2-395 > فقال: أسالكم بكتابكم الذي تقرءون، هل تجدون به قد بشر بي عيسى ابن مريم أن يأتيكم رسول اسمه أحمد؟ فقالوا: اللهم وجدناك في كتابنا، ولكننا كرهناك لأنك تستحل الأموال وتهريق الدماء. فأنزل الله: (من كان عدوا لله وملائكته) الآية. (66)

1635 - حدثت عن عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: إن يهوديا لقي عمر فقال له: إن جبريل الذي يذكره صاحبك، هو عدو لنا. فقال له عمر: (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين). قال: فنزلت على لسان عمر.

وهذا الخبر يدل على أن الله أنزل هذه الآية توبيخا لليهود في كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وإخبارا منه لهم أن من كان عدوا لمحمد فالله له عدو، وأن عدو محمد من الناس كلهم، لمن الكافرين بالله، الجاحدين آياته.

فإن قال قائل: أو ليس جبريل وميكايل من الملائكة؟

قيل: بلى.

فإن قال: فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما، وقد مضى ذكرهما في الآية في جملة أسماء الملائكة؟

قيل: معنى أفراد ذكرهما بأسمائهما، أن اليهود لما قالت: " جبريل عدونا، وميكايل ولينا " - وزعمت أنها كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم، من أجل أن < 2-396 > جبريل صاحب محمد صلى الله عليه وسلم - أعلمهم الله أن من كان لجبريل عدوا، فإن الله له عدو، وأنه من الكافرين. فنص عليه باسمه وعلى ميكايل باسمه، لئلا يقول منهم قائل: إنما قال الله: من كان عدوا لله وملائكته ورسله، ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداء. لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصا، وجبريل وميكايل غير داخلين فيه. وكذلك قوله: (ورسله)، فلست يا محمد داخلا فيهم. فنص الله تعالى على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بأعيانهم، ليقطع بذلك تلبسهم على أهل الضعف منهم، ويحسم تمويههم أمورهم على المنافقين.

وأما إظهار اسم الله في قوله: (فإن الله عدو للكافرين)، وتكريره فيه - وقد ابتداء أول الخبر بذكره فقال: (من كان عدوا لله وملائكته) - فلئلا يلتبس لو ظهر ذلك بكناية، ف قيل: " فإنه عدو للكافرين "، على سامعه، من المَعْنِيَّ بِ " الهاء " التي في " فإنه " : أَلله، أم رسل الله جل ثناؤه، أم جبريل، أم ميكائيل؟ إذ لو جاء ذلك بكناية على ما وصفت، فإنه يلتبس معنى ذلك على من لم يوقف على المعنى بذلك، لاحتمال الكلام ما وصفت، وقد كان بعض أهل العربية يوجه ذلك إلى نحو قول الشاعر: (67)

ليت الغراب غداة ينعب دائما

كان الغراب مقطوع الأوداج (68)

وأنه إظهار الاسم الذي حظه الكناية عنه. والأمر في ذلك بخلاف ما قال. وذلك أن " الغراب " الثاني لو كان مكنى عنه، لما التبس على أحد يعقل كلام العرب أنه كناية اسم " الغراب " الأول، إذ كان لا شيء قبله يحتمل الكلام أن يوجه إليه < 2-397 > غير كناية اسم " الغراب " الأول - وأن قبل قوله: (فإن الله عدو للكافرين) أسماء، لو جاء اسم الله تعالى ذكره مكنيا عنه، (69) لم يعلم من المقصود إليه بكناية الاسم، إلا بتوقيف من حجة. فلذلك اختلف أمراهما.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ولقد أنزلنا إليك آيات)، أي أنزلنا إليك يا محمد علامات وأضحات دالات على نبوتك: وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم من خفايا علوم اليهود ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل، والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أخبارهم وعلماءهم - وما حرفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه، من أحكامهم التي كانت في التوراة. فأطلعها الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. (70) فكان، في ذلك من أمره، الآيات البينات لمن أنصف نفسه، ولم يدعه إلى إهلاكها الحسد والبغي. إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة، تصديق من أتى بمثل الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التي وصفت من غير تعلم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تعلمه من بشر، ولا أخذ شيء منه عن آدمي. وبنحو الذي قلنا في ذلك روي الخبر عن ابن عباس.

1636 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس: (ولقد أنزلنا إليك > 2-398 < آيات بينات) يقول: فأنت تتلوه عليهم، وتخبرهم به غدوة وعشية وبين ذلك، وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتابا، وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه. يقول الله: ففي ذلك لهم عبرة وبيان، وعليهم حجة لو كانوا يعلمون.

1637 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، وعن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: قال ابن سوريا الفطيووني لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (71) يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها! (72) فأنزل الله عز وجل: (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون!) (73)

1638 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبیر، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال ابن سوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر مثله. (74)

< 2-399 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وما يكفر بها إلا الفاسقون)، وما يجحد بها. وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى "الكفر" الجحود، بما أغنى عن إعادته هنا. (75) وكذلك بينا معنى "الفسق"، وأنه الخروج عن الشيء إلى غيره. (76)

فتأويل الآية: ولقد أنزلنا إليك، فيما أوحينا إليك من الكتاب علامات واضحات تبين لعلماء بني إسرائيل وأخبارهم - الجاحدين نبوتك، والمكذبين رسالتك - أنك لي رسول إليهم، ونبى مبعوث، وما يجحد تلك الآيات = الدالات على صدقك ونبوتك، التي أنزلتها إليك في كتابي فيكذب بها منهم = إلا الخارج منهم من دينه، التارك منهم فرائضي عليه في الكتاب الذي يدين بتصديقه. فأما المتمسك منهم بدينه، والمتبع منهم حكم كتابه، فإنه بالذي أنزلت إليك من آياتي مصدق

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهم الذين كانوا آمنوا بالله وصدقوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل.

القول في تأويل قوله تعالى : **أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا تَبَدَّهُ قَرِيْقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** (100)

قال أبو جعفر: اختلف أهل العربية في حكم " الواو " التي في قوله: (أو كلما عاهدوا عهدا). فقال بعض نحويي البصريين: هي " واو " تجعل مع حروف الاستفهام، وهي مثل " الفاء " في قوله: **أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ** [البقرة: 87]، قال: وهما زائدتان في هذا الوجه، > 2-400 < وهي مثل " الفاء " التي في قوله: **فَاللَّهُ لَتَصْنَعَنَّ كَذَا وَكَذَا** (77) وكقولك للرجل: " أفلا تقوم "؟ وإن شئت جعلت " الفاء " و " الواو " هاهنا حرف عطف.

وقال بعض نحويي الكوفيين: هي حرف عطف أدخل عليها حرف الاستفهام.

والصواب في ذلك عندي من القولة أنها " واو " عطف، أدخلت عليها " ألف " الاستفهام، كأنه قال جل ثناؤه: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا** قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، (أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا تَبَدَّهُ قَرِيْقٌ مِنْهُمْ) ثم أدخل " ألف " الاستفهام على " وكلما " فقال: (قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) (أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم)

وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له، (78) فأغنى ذلك عن إعادة البيان على فساد قول من زعم أن " الواو " و " الفاء " من قوله: (أو كلما) و (أفكلما) زائدتان لا معنى لهما.

وأما " العهد "، فإنه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم ليعملن بما في التوراة مرة بعد أخرى، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى. فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك، وغير به أبناءهم إذ سلكوا منهاجهم في بعض ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالإيمان به من أمر محمد صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق، فكفروا وجحدوا ما في التوراة من نعته وصفته، فقال تعالى ذكره: **أَوْ كَلَّمَا عَاهَدَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَبَّهُمْ عَهْدًا وَأَوْثَقُوهُ مِيثَاقًا، نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، فَتَرَكُوهُ وَنَقَضُوهُ كَمَا:**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1639 - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال مالك بن الصيف - حين بعث > 2-401 < رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد الله إليهم فيه-: والله ما عهد إلينا في محمد صلى الله عليه وسلم، وما أخذ له علينا ميثاقاً! فأنزل الله جل ثناؤه: (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون). (79)

1640 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

قال أبو جعفر: وأما " النبذ " فإن أصله -في كلام العرب- الطرح، ولذلك قيل للملقوط: " المنبوذ "، (80) لأنه مطروح مرمي به. ومنه سمي النبيذ " نبذا "، لأنه زبيب أو تمر يطرح في وعاء، ثم يعالج بالماء. وأصله " مفعول " صرف إلى " فعيل "، أعني أن " النبيذ " أصله " منبوذ " ثم صرف إلى " فعيل " فقيل: " نبذ "، كما قيل: " كف خضيب، ولحية دهين " - يعني: مخضوبة ومدهونة. (81) يقال منه: " نبذته أنبذه نبذا "، كما قال أبو الأسود الدؤلي:

نظرت إلى عنوانه فنبذته

كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا (82)

فمعنى قوله جل ذكره: (نبذه فريق منهم)، طرحه فريق منهم، فتركه ورفضه ونقضه. كما:-

> 2-402 <

1641 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (نبذه فريق منهم) يقول: نقضه فريق منهم.

1642 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله: (نبذه فريق منهم)، قال: لم يكن في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه، ويعاهدون اليوم وينقضون غداً. قال: وفي قراءة عبد الله: (نقضه فريق منهم).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

و " الهاء " التي في قوله: (نبذه)، من ذكر العهد. فمعناه أو كلما عاهدوا عهدا نبذ ذلك العهد فريق منهم.

و " الفريق " الجماعة، لا واحد له من لفظه، بمنزلة " الجيش " و " الرهط " الذي لا واحد له من لفظه. (83)

و " الهاء والميم " اللتان في قوله: (فريق منهم)، من ذكر اليهود من بني إسرائيل.

وأما قوله: (بل أكثرهم لا يؤمنون) فإنه يعني جل ثناؤه: بل أكثر هؤلاء - الذين كلما عاهدوا الله عهدا وواثقوه موثقا، نقضه فريق منهم - لا يؤمنون.

ولذلك وجهان من التأويل: أحدهما: أن يكون الكلام دلالة على الزيادة والتكثير في عدد المكذبين الناقضين عهد الله، على عدد الفريق. فيكون الكلام حينئذ معناه: أو كلما عاهدت اليهود من بني إسرائيل ربها عهدا نقض فريق منهم ذلك العهد؟ لا - ما ينقض ذلك فريق منهم، ولكن الذي ينقض ذلك فيكفر بالله، أكثرهم، لا القليل منهم. فهذا أحد وجهيه.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: أو كلما عاهدت اليهود ربها عهدا، نبذ ذلك > 2- 403 < العهد فريق منهم؟ لا - ما ينبذ ذلك العهد فريق منهم فينقضه = على الإيمان منهم بأن ذلك غير جائز لهم = ولكن أكثرهم لا يصدقون بالله ورسوله، ولا وعده وووعيده. وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى " الإيمان "، وأنه التصديق. (84)

القول في تأويل قوله تعالى: وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَبَدَّ قَرْيَةً مِنَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ الْكِتَابَ وَاللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ولما جاءهم)، أخبار اليهود وعلماءها من بني إسرائيل - (رسول)، يعني بالرسول: محمدا صلى الله عليه وسلم. كما:-

1643 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي في قوله: (ولما جاءهم رسول)، قال: لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما قوله: (مصدق لما معهم)، فإنه يعني به أن محمدا صلى الله عليه وسلم يصدق التوراة والتوراة تصدقه، في أنه لله نبي مبعوث إلى خلقه.

وأما تأويل قوله: (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم)، فإنه للذي هو مع اليهود، وهو التوراة. فأخبر الله جل ثناؤه أن اليهود لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بتصديق ما في أيديهم من التوراة، أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي لله، (نبذ فريق)، يعني بذلك: أنهم جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا به مقرين، حسدا منهم له وبغيا عليه. وقوله: (من الذين أوتوا الكتاب). وهم علماء اليهود الذين أعطاهم الله العلم بالتوراة وما فيها. ويعني بقوله: (كتاب الله)، التوراة.

< 2-404 >

وقوله: (وراء ظهورهم)، (85) جعلوه وراء ظهورهم. وهذا مثل، يقال لكل رافض أمرا كان منه على بال: "قد جعل فلان هذا الأمر منه بظهر، وجعله وراء ظهره"، يعني به: أعرض عنه وصد وانصرف، كما:-

1644 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم)، قال: لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف، وسحر هاروت وماروت. (86) فذلك قوله الله: (كأنهم لا يعلمون).

ومعنى قوله: (كأنهم لا يعلمون)، كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود - فنقضوا عهد الله بتركهم العمل بما واثقوا الله على أنفسهم العمل بما فيه - لا يعلمون ما في التوراة من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه. وهذا من الله جل ثناؤه إخبار عنهم أنهم جحدوا الحق على

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

علم منهم به ومعرفة، وأنهم عاندوا أمر الله فخالفوا على علم منهم بوجوبه عليهم، كما:-

1645 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (نبد فريق من الذين أوتوا الكتاب)، يقول: نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب " كتاب الله وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون): أي أن القوم كانوا يعلمون، ولكنهم أفسدوا علمهم، وجحدوا وكفروا وكنتموا.

الهوامش:

(1) وذلك ما جاء في سورة آل عمران : 61 ، وانظر خبره في التفسير والسير .

(2) الحديث : 1566 - إسناده صحيح . أبو كريب : هو محمد بن العلاء . زكريا بن عدي ابن زريق التيمي الكوفي : ثقة جليل ورع قال ابن سعد : " كان رجلا صالحا صدوقا" . وهو مترجم في التهذيب ، وفي الكبير للبخاري 1/2 / 387 - 388 ، والصغير : 232 ، وابن سعد 6 : 284 ، وابن أبي حاتم 1/2/600 ، ووقع هنا في المطبوعة "أبو زكريا" وزيادة "أبو" خطأ من ناسخ أو طابع ، عبيد الله بن عمرو : هو أبو وهب الجزري الرقي ، ثقة معروف أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وترجمته في التهذيب ، وابن سعد 182/2/7 ، والصغير للبخاري : 203 ، وابن أبي حاتم 2/2 / 328 - 329 . عبد الكريم : هو ابن مالك الجزري الحراني ، وهو ثقة ثبت صاحب سنة ، من شيوخ ابن جريح ومالك والثوري وأضرابهم . ترجمته في التهذيب ، والصغير للبخاري : 148 ، وابن أبي حاتم 3 / 1 / 58 - 59 .

والحديث رواه أحمد في المسند : 2226 ، عن أحمد بن عبد الملك الحراني ، عن عبيد الله ، وهو ابن عمرو ، بهذا الإسناد ، ولكن لم يذكر لفظه ، أحاله على الرواية قبله : 2225 ، من طريق فرات بن سلمان الحضرمي ، عن عبد الكريم ، به ، بزيادة في أوله . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 8 : 228 ، عن الرواية المطولة ، وقال : "في الصحيح طرف من أوله" ، ثم قال : "رواه أحمد ، أبو يعلى ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح" . أقول : ورجال أحمد في الإسناد : 2226 - رجال الصحيح أيضًا . وذكر السيوطي 1 : 89 بعضه ، ونسبه أيضًا إلى الشيخين ، والترمذي ، والنسائي ، وابن مردويه ، وأبي نعيم . (3) الخبر : 1567 - هو موقوف على ابن عباس ، في معنى الحديث قبله . ولكن إسناده هذا منقطع . الأعمش : لم يدرك ابن عباس . (4) الخبر : 1568 - هو بعض الحديث السابق : 1566 ، وإسناده صحيح . وظاهره هنا أنه موقوف على ابن عباس ، ولكنه مرفوع بالروايات الأخر . (5) الأثر : 1570 - في ابن هشام 2 : 191 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (6) الأثر : 1571 - في سيرة ابن هشام 2 : 191 ، وفيها : "أكذب عند الله" ، وانظر رقم : 1578 .
- (7) الأثر : 1574 - في المطبوعة " . حدثنا إسحاق قال حدثني أبو جعفر عن الربيع" وهذا إسناد فاسد ، وهو كثير الدوران في التفسير ، وأقرب ذلك رقم : 1563 .
- (8) انظر ما سلف 1 : 245 .
- (9) في المطبوعة : "يعني الخير" ، وهو تصحيف وتحريف ، صوابه ما أثبت .
- (10) الأثر : 1578 - مضى في رقم : 1571 ، وهنا تمامه . وفي سيرة ابن هشام 1 : 191 "أكذب عند الله" . وفي المطبوعة : "وقالوا ذلك على رسول الله . . " وهو خطأ ، صوابه ما في سيرة ابن هشام . وفي المطبوعة : "أي لعلمهم بما عندهم . . " والذي أثبتته هو نص ابن هشام .
- (11) انظر ما سلف 1 : 523 - 524 .
- (12) الأثر : 1584 - في المطبوعة : "حدثنا أبو جعفر عن أبي العالية" ، سقط منه "حدثنا الربيع"؛ وهو إسناد دائر ، وأقربه في رقم : 1573 .
- (13) الأثر : 1585 - في المطبوعة : "حدثني المثنى قال حدثنا ابن أبي جعفر" سقط منه "حدثنا إسحاق" ، وهو إسناد دائر ، وأقربه رقم : 1574 .
- (14) الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ، يدل عليها سياقه .
- (15) في المطبوعة : "مما لا يقر به" ، والصواب ما أثبتته .
- (16) في المطبوعة : "وإن المشركين لا يصدقون . . " ، و"إن" لا مكان لها هنا .
- (17) الأثر : 1590 - سيرة ابن هشام 2 : 191 .
- (18) في المطبوعة : "هذا خبر من الله جل ثناؤه بقوله عن الذين أشركوا" والصواب حذف "بقوله" ، والنسخة المطبوعة ومخطوطاتها مضطربة في هذا الموضوع من الكتاب اضطراريا شديدا .
- (19) في المطبوعة : "يود أحد هؤلاء الذين أشركوا إلا ما . . بفناء دنياه وانقضاء أيام حياته" ، بياض فيها وفي الأصل . واستظهرت قراءتها كما أثبت ، فإنه هو المعنى الذي يدور عليه تفسير أبي جعفر : أن هذا المشرك قد يؤس أن يكون له بعد فناء الدنيا وانقضاء الحياة نشور أو محيا أو فرح أو سرور ، فهو يود لو يعمر ألف سنة .
- (20) الأثر: 1591 - محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، وأبوه: ثقتان، ترجمنا لهما في شرح المسند: 7437. أبو حمزة: هو السكري، محمد بن ميمون، ثقة إمام. وهذا الإسناد صحيح متصل. وانظر الإسناد الآتي. في تفسير ابن كثير 1: 238، ونص الكلام الفارسي فيه: "هزار سال نوروز مهرجان". وقد سألت أحد أصحابنا ممن يعرف الفارسية فقال: إن هذا النص لا ينطبق على قواعد الفارسية، وأنه يظن أن صوابها: "زه در مهرجان نو وروز هزار سال" ومعنى "زه": عش، و"در" ظرف بمعنى "في"، ومهرجان هو عيد لهم. ونيروز: عيد آخر في أول السنة. و"هزار" ألف، و"سال": سنة. فكان "حر" التي في آخر الكلام في نص الطبري هي: "در" مصحفة. وباقي النصوص الفارسية صحيح، ومعناه: عش ألف سنة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وفي المستدرک للحاکم 2: 264 "هزار سال سرور مهرجان بخور"، وقال مصححه: یعنی "تمتع ألف سنة كمثل عيد مهرجان. وهو عيد لهم"، وكان هذا هو الصواب.

(21) الخبر : 1596 - ذكره الطبري هكذا مجهول الإسناد ، بقوله : "حدثت عن أبي معاوية" ، إلخ . والعلة في ذلك - فيما أرى - أن الأعمش لم يسمعه من سعيد بن جبیر ، وإن كان أدركه وروى عنه .

فقد روى الحاكم هذا الخبر ، في المستدرک 2 : 263 - 264 ، من طريق إسحاق بن إبراهيم "حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس" - بنحوه . ثم قال الحاكم : "رواه قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس" . ثم رواه بإسناده إلى محمد بن يوسف ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس . . " وهذا إسناد صحيح متصل ، دل على انقطاع الإسناد : "الأعمش عن سعيد بن جبیر" . (22) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 312 في معنى "الاسم" و"الفعل" ، و"العماد" ، تعليق رقم : 2 ، وانظر معاني الفراء 1 : 50 - 52 . (23) هذا شطر بيت مضى من أبيات ثلاثة ، في هذا الجزء 2 : 313 . (24) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 340 معنى "الترجمة" . (25) البيت ليس للحطيئة ، وإنما هو لقيس بن الحداية ، من قصيدة له نفيسة طويلة رواها أبو الفرج في أغانيه 13 : 6 . يقول قبل البيت ، يذكر مجيئه إلى صاحبتة أم مالك .

وما راعنى إلا المنادى : ألا اطعنوا

وإلا الرواغى غدوة والقعاقع

فجئت كأني مستضيف وسائل

لأخبرها كل الذي أنا صانع

فقلت : تزحزح! ما بنا كبر حاجة

إليك، ولا منا لفقرك راقع

فما زلت تحت الستر حتى كأنني

من الحر ذو طمرين في البحر كارع

(26) في المطبوعة : "فيما أرى" ، خطأ ، والصواب ما أثبت . وانظر الإسناد رقم : 1590 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (27) انظر ما سلف 1 : 283 ، وهذا الجزء 2 : 140 .
(28) في المطبوعة : "يونس عن بكير" ، وهو خطأ محض .
(29) في المطبوعة : "فيما أرى" - وانظر ما سلف قريبا : 376 .
(30) في تفسير ابن كثير 1 : 239 "أنت الآن فحدثنا . . ." ، وهي جيدة .
(31) الأثر: 1605 - إسناده صحيح. يونس بن بكير بن واصل الشيباني: ثقة، من تكلم فيه فلا حجة له، وأخرج له مسلم في صحيحه. وترجمته في التهذيب، والكبير للبخاري 4 / 2 / 411، وابن سعد 6 : 279، وابن أبي حاتم 4 / 2 / 236. ووقع في المطبوعة هنا "يونس عن بكير" وهو خطأ واضح. عبد الحميد بن بهرام - بفتح الباء وسكون الهاء - الفزاري: ثقة، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما. وتكلم فيه بعضهم من أجل روايته عن شهر بن حوشب، وهو روايته، ولكن شهر ثقة أيضًا، كما أشرنا في: 1489.

والحديث رواه أحمد في المسند، مطولا: 2514، وابن سعد في الطبقات 1/1/115 - 116، كلاهما من هاشم بن القاسم، عن عبد الحميد بن بهرام، بهذا الإسناد. ثم رواه أحمد: 2515، عن محمد بن بكر، عن عبد الحميد بن بهرام، به ولم يذكر لفظه، إحالة على ما قبله. ورواه أحمد أيضًا: 2471، مختصرا، عن حسين، هو ابن محمد المروزي عن عبد الحميد بن بهرام.

ورواه أيضًا: 2483، من وجه آخر، أطول قليلا. وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية 4 : 304 - 305 من هذا الوجه. وذكر الهيثمي الرواية: 2483، وأشار إلى ما في الرواية: 2514 من الزيادة، في مجمع الزوائد 8 : 241 - 242، وقال: "رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات". ونقل ابن كثير في التفسير 1 : 238 - 239 رواية الطبري التي هنا، ثم أشار إلى رواية المسند: 2514. ثم نقل رواية المسند: 2483 فيه 1 : 240، ونقل روايتي المسند أيضًا 2 : 186 - 187.

(32) في المطبوعة : "فأيهما غلبت صاحبتهما" ، والصواب من نص سيرة ابن هشام 2 : 191 - 192 .

(33) نص ابن إسحاق في رواية ابن هشام 2 : 192 : "هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أنني لست به ، تنام عيناه وقلبه يقظان؟ فقالوا : اللهم نعم . قال : فكذلك نومي ، تنام عيني وقلبي يقظان . قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه؟" وبعد ذلك اختلاف أيضًا في رواية ابن جرير عن ابن إسحاق .

(34) في سيرة ابن هشام : "هل تعلمونه" ، وهو أشبه بالصواب .

(35) الأثر: 1606 - هو حديث مرسل، مضى جزء منه، بهذا الإسناد: 1489. وأشار إليه ابن كثير 1: 239 - 240، عقب حديث ابن عباس الذي قبله، وصرح أيضًا بأنه رواه محمد بن إسحاق مرسلًا. وفي سيرة ابن هشام 2: 191 - 192، وفيه اختلاف في بعض اللفظ. وقد ساق ابن كثير هذين الأثرين (1605، 1606) وخرجهما، وواستوفى الكلام في هذه القصة في تفسيره 1: 238 - 245.

(36) في تفسير ابن كثير 1 : 240 : "إلا بشدة وحرث وقتال فإنه لنا عدو" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (37) الأثر : 1607 - وهذا منقطع ، وقد ذكره ابن كثير 1 : 240 ، عن هذا الموضوع و"القاسم بن أبي بزة" : سبق في : 631 ، وهو يروى عن التابعين .
- (38) في المطبوعة : "وقال : إنما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة" ، وهي عبارة ركيكة . وأثبت ما جاء في تفسير ابن كثير عن الطبري 1 : 240 . وقوله "أيما" استفهام وتعجب ، وأكثر ما تكتب : "أيما" (بفتح فسكون ففتح) ، وبحذف الألف . تقول : أيما تقول؟ أي : أي شيء تقول؟ وانظر اللسان (أيما) . يتعجب عمر من فعلهم .
- (39) في تفسير ابن كثير 1 : 242 : "قد غلظ عليكم" .
- (40) في المطبوعة : "أي هلكتم" ، والصواب في تفسير ابن كثير .
- (41) السلم : المسالم . تقول : أنا سلم لمن سالمني . رجل سلم ، وقوم سلم ، وامرأة سلم .
- (42) في المطبوعة : "خرقة" ، وفي تفسير ابن كثير "خوخة" والصواب "مخرقة" كما أثبتها . والمخرقة : البستان ، أو سكة بين صفيين من نخل . خرف النخل والتمر : اجتناه ، واجتناه الثمر هـ "الخرفة" (بضم فسكون) .
- (43) في المطبوعة : "بأبي وأمي يا رسول الله" بإسقاط "أنت" ، وأثبت ما في تفسير ابن كثير
- (44) الحديث: 1608 - وهذا مرسل أيضًا. ذكره ابن كثير 1: 241 - 243، عن هذا الموضوع، ثم عن تفسير ابن أبي حاتم، من رواية مجالد عن عامر - وهو الشعبي - وسيأتي نحوها أيضًا من رواية مجالد رقم: 1614. ثم قال ابن كثير: "وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبي حدث به عن عمر. ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر، فإنه لم يدرك زمانه". وقال السيوطي في الدر المنثور 1: 90 "صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر".
- رَبْعِي، بكسر الراء والعين المهملة، بينهما باء موحدة ساكنة، وآخره ياء تحتية مشددة: هو "ربعي بن إبراهيم بن مقسم الأسدي" عرف "بابن علية"، كأخيه "إسماعيل بن علية". وربعي: ثقة مأمون، من شيوخ أحمد وأبي خيثمة وغيرهما. وقال عبد الرحمن بن مهدي: "كنا نعد ربعي بن علية من بقايا شيوخنا". وفي المسند: 7444 أن أحمد بن حنبل قال: "كان يفضل على أخيه". وهو مترجم في التهذيب، والكبير 2/ 1/ 299، وابن أبي حاتم 509/ 2/ 1 - 510. داود بن أبي هند: ثقة، جيد الإسناد، رفع، من حفاظ البصرين. ترجمته في التهذيب، والكبير 2/ 1/ 211 - 212، والصغير: 160، وابن أبي حاتم 411/ 2/ 1 - 412.
- الشعبي: هو عامر بن شراحيل الهمداني، إمام جليل الشأن، من كبار التابعين. ولكنه لم يدرك عمر، كما قال ابن كثير. فإنه ولد سنة 19، أو سنة 20.
- (45) الأثر : 1609 - في المطبوعة : "حدثني يعقوب قال حدثنا إبراهيم قال حدثنا ابن علية" والصواب ما أثبتته ، يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، وقد سلف مرارا بهذا الإسناد ، وروايته عن ابن علية
- (46) السنة : الجذب والقحط .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(47) سكت الرجل : صمت . وأسكت الرجل (غير متعد) : انقطع كلامه فلم يتكلم ، وأطرق من فكرة انتابته وقطعته .

(48) الأثر : 1613 - في الدر المنثور 1 - 91 مع اختلاف يسير في اللفظ واختصار في روايته .

(49) في تفسير ابن كثير 1 : 243 : "ما ينزلان إلا بإذن الله" ، وكأنه هو الصواب .

(50) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، زدتها من تفسير ابن كثير 1 : 242 ، من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره .

(51) الحديث: 1614 - وهذا إسناد مرسل أيضًا، ووقع فيه في المطبوعة خطأ في موضعين أثبتنا الصواب لليقين به. وكان في المطبوعة "حدثنا عبد الرحمن بن مغراء قال حدثنا زهير عن مجاهد عن الشعبي". فلا يوجد في شيوخ ابن مغراء، ولا في الرواة عن "مجاهد" أو "مجالد" من يسمى "زهيرا". و"مجاهد عن الشعبي" خطأ أيضًا، وكلاهما من كبار التابعين، من طبقة واحدة، ومجاهد أقدم قليلا. وعبد الرحمن بن مغراء لا يدرك أن يروى عن مجاهد، ولا عن الشعبي.

ومجالد: هو ابن سعيد الهمداني، وهو ثقة، ضعفه بعض الأئمة. وروى عنه من الأئمة: شعبة والسفيانان وابن المبارك، ورجحنا تصحيح حديث القدماء عنه، في شرح المسند: 3781، لأن أعدل كلمة فيه قول عبد الرحمن بن مهدي: "حديث مجالد عند الأحداث، يحيى بن سعيد وأبي أسامة، ليس بشيء، ولكن حديث شعبة وحماد بن زيد وهشيم وهؤلاء القدماء". قال ابن حاتم: "يعني أنه تغير حفظه في آخر عمره". وذكر ابن سعد في ترجمته 6: 243 جرح يحيى القطان إياه، ثم قال: "وقد روى عنه يحيى بن سعيد القطان مع هذا، وروى عنه سفيان الثوري، وشعبة، وغيرهم". وترجمته في التهذيب، والكبير للبخاري 4 / 2/9، والصغير: 168، 169، وابن أبي حاتم 4 / 1/ 361 - 362.

إسحاق بن الحجاج الرازي: هو الطاحوني المقرئ، ترجمنا له فيما مضى: 230. وعبد الرحمن بن مغراء بن عياض الدوسي، أبو زهير: ثقة، تكلم بعضهم في روايته عن الأعمش، وهو مترجم في التهذيب وابن أبي حاتم 2 / 2 - 290 - 291.

وهذا الحديث نقله ابن كثير 1: 242 - 243، من تفسير ابن أبي حاتم. "حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن عامر..". وهو الشعبي، فذكر نحوه. ثم بين ابن كثير أنه منقطع، كما أشرنا آنفًا.

الراجح عندي أن عبد الرحمن بن مغراء ممن روى عن مجالد بعد تغيره. (52) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 63 .

(53) ديوانه : 450 ، ونقائض جرير والأخطل : 87 ، من قصيدته الدامغة في هجاء الأخطل ، والضمير إلى تغلب ، رهط الأخطل ، وقبله :

قبح الإله وجوه تغلب، كلما

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

شَبَّحَ الحجيج وكبروا إهلالا

(54) في المطبوعة : "فعيل" ، هو خطأ .
(55) هو الربيع بن زياد العبسي ، أحد الكملة من بني فاطمة بنت الخرشب الأمارية .
(56) الأغاني 14 : 92 ، 16 : 22 ، واللسان (سمل) ، من أبيات أرسلها الربيع إلى النعمان ابن المنذر في خبر طويل ، حين قال ليبد في رجزه :

مهلا، أبيت اللعن، لا تأكل معه

وزعم أنه أبرص الخبيثة ، وذكر من فعله قبيحا كريها ، فرحل الربيع عن النعمان ، وكان له نديما ، وأرسل إليه أبياته .

لئن رحلت جمالي لا إلى سعة

ما مثلها سعة عرضا ولا طولا

بحيث لو وزنت لخم بأجمعها

لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا

ترعى الروائم أحرار البقول بها

لا مثل رعيكم ملحا وغسويلا

فاثبت بأرضك بعدي، واخل متكئا

مع النطاسي طورا وابن توفिला

ولخم : هم رهط آل المنذر ملوك الحيرة .
(57) الخبر : 1625 - الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي : ضعيف قال أبو زرعة : "لا يصدق" . وهو مترجم في لسان الميزان ، وابن أبي حاتم 1/2/61 -62 ، والأنساب ، في الورقة : 401 . و"العنقزي" : بفتح العين المهلة والقاف بينهما نون ساكنة وبالزاي . ووقع في المطبوعة "العبقري" ، وهو تصحيف . وكذلك سيأتي في رقم : 1655 ، بالتصحيف ، وصحناه هناك .
(58) في المطبوعة : "قال : لا" ، والصواب ما أثبت .
(59) لعله "وميكا" . قال : "عبيد" بالتصغير ، كما سلف آنفاً .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (60) لعل الصواب أن يقول : "إسراف" ، مكان "إسرا" ، أو تكون الأولى "إسرائيل" مكان "إسرافيل" .
- (61) القطع : الحال هنا . وانظر ما سلف 1 : 230 - 232 ، 330 ، 561 .
- (62) في المطبوعة : "وهي تصديقه" والصواب ما أثبت ، يريد : وهي توافقه . كما فسر قبل .
- (63) انظر ما سلف 1 : 166 - 170 ، 230 ، 249 ثم 549 - 551 .
- (64) انظر ما سلف 1 : 383 .
- (65) هكذا في المطبوعة : "من كان عدوا لله" ، وهو لا يستقيم ، وكأن الصواب "أن من كان عدوا لله ، عاداه وعادى جميع ملائكته ورسله" بإسقاط "من" من "من عاداه" .
- (66) الحديث : 1634 - عبيد الله العتكي : هو عبيد الله بن عبد الله ، أبو المنيب العتكي ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وذكره البخاري في كتاب الضعفاء ، ص : 22 ، وقال : "عنده مناكير" . وقال ابن أبي حاتم 322/2/2 في ترجمته : "سمعت أبي يقول : هو صالح الحديث . وأنكر على البخاري إدخاله في كتاب الضعفاء . وقال : "يحول" . ولكن هذا الحديث منقطع ضعيف الإسناد ، لأن أبا المنيب إنما يروى عن التابعين .
- والخبر رواه الحاكم في المستدرک 2 : 265 ، من طريق إسحاق بن إبراهيم ، عن جرير ، به . وصحه الذهبي في مختصره . ونقله ابن كثير 1 : 248 - 249 ، عن الطبري ، ثم أشار إلى رواية الحاكم .
- (67) هو جرير .
- (68) ديوانه 89 ، وأمالى ابن الشجرى 1 : 243 ، وغيرهما . ورواية ديوانه "ينعت بالنوى" وهو الجيد ، فإن قبله :

إن الغراب, بما كرهت, لمولع

بنوى الأجابة دائم التشحاح

- والأوداج جمع ودج : وهو عرق من عروق تكتنف الحلقوم .
- (69) في المطبوعة : "وإن قيل قوله فإن الله عدو للكافرين" اسما لو جاء . . " والصواب ما أثبت . وقد رجم مصححو المطبوعة رجما لا خير فيه في تصحيح كلام الطبري .
- (70) في المطبوعة : "فأطلع الله في كتابه . . " وهو كلام لا يستقيم ، والصواب ما أثبت . يعني فأظهر الله هذه الخفايا ، وتلك الأخبار ، وما حرفوه من الأحكام في توراتهم .
- (71) في المطبوعة "القطيوني" بالقاف ، وهو خطأ ، وهو من بني ثعلبة بن الفطيون (بكسر الفاء وسكون الطاء ، وضم الياء) . قال السهيلي : "الفطيون : كلمة عبرانية تطلق على كل من ولي أمر اليهود وملكهم" . ورواية ابن جرير : "ابن صوريا" ، والذي في سيرة ابن هشام 2 : 196 "ابن صلوبا الفطيوني" . وقد ذكر ابن هشام فيما روى من سيرة ابن إسحاق 1 : 160 - 161 "الأعداء

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

من يهود" ، فعد في بني ثعلبة: ابن الفطيون : "عبد الله بن سوريا الأعور ، ولم يكن في زمانه أحد أعلم بالتوأرة منه ، وابن صلوبا ، ومخيريقي . وكان حبرهم ، أسلم" ، ولم أستطع أن أرجح أهو : ابن سوريا ، أو - ابن صلوبا - الذي كان من أمره ما كان . ولعلهما روايتان مختلفتان عن ابن إسحاق . وانظر أيضًا الأثر : 1638 .

(72) في ابن هشام : "من آية فنتبعك لها ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : "ولقد أنزلنا إليك .."

(73) الأثران : 1637 - 1638 - في سيرة ابن هشام 2 : 196 .

(74) الأثران : 1637 - 1638 - في سيرة ابن هشام 2 : 196 .

(75) انظر ما سلف 1 : 255 ، 382 ، 552 ، وهذا الجزء 2 : 140 ، 337 .

(76) انظر ما سلف 1 : 409 - 410 ، وهذا الجزء 2 : 118 .

(77) لم أعلم ماذا أراد الطبري بهذا .

(78) انظر ما سلف 1 : 439 - 441 .

(79) الأثر : 1639 - في سيرة ابن هشام 2 : 196 ، مع اختلاف يسير في اللفظ . وقد ذكر ابن هشام في 2 : 161 "مالك بن الصيف" وقال : "ويقال : ابن صيف" .

(80) في تفسير ابن كثير 1 : 247 : "وسمى اللقيط .." واللقيط أجود من الملقوط .

(81) انظر ما سلف 1 : 112 .

(82) ديوانه : 21 (في نفايس المخطوطات : 2) ، وسيأتي في 20 : 49 - 50 (بولاق) ، ومجاز القرآن : 48 ، من أبيات كتب بها إلي صديقه الحصين بن الحر ، وهو وال على ميسان ، وكان كتب إليه في أمر يهمله ، فشغل عنه؛ وقبل البيت :

وخبرني من كنت أرسلت أنما

أخذت كتابي معرضا بشمالكا

(83) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 244 ، 245 .

(84) انظر ما سلف 1 : 234 - 235 ، 271 ، 560 ، وهذا الجزء 2 : 143 ، 348 .

(85) في المطبوعة : "وقوله نبذوه وراء ظهورهم" ، فحذفت "نبذوه" ، لأن الطبري ساق الآية بتمامها ، وهذا لفظ مقحم فيها .

(86) في تفسير ابن كثير 1 : 247 زيادة ، بعد قوله : "وماروت ، فلم يوافق القرآن ، فذلك قول الله" . وأصف : كان كاتب سليمان . وكان يعلم الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان . ويدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين ، فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا (ابن كثير 1 : 248) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-405 >

القول في تأويل قوله تعالى : **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ**

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين)، الفريق من أخبار اليهود وعلمائها، الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى، وراء ظهورهم، تجاهلا منهم وكفرا بما هم به عالمون، كأنهم لا يعلمون. فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه، وذلك هو الخسار والضلال المبين.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان). فقال بعضهم: عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة، تأمر من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه، بمثل الذي يأمر به القرآن. فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتبوها من الكهنة على عهد سليمان.

* ذكر من قال ذلك:

1646 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) - على عهد سليمان - قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، (1) فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فيتحدث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا. حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم فأدخلوا فيه غيره، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة. فاكتب < 2-406 > الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب. فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب، فجعلها في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه. ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال: لا أسمع أحدا يذكر أن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه! فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف بعد ذلك خلف، تمثل الشيطان في صورة إنسان، ثم أتى نفرا من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا؟ (2) قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي. وذهب معهم فأراهم المكان. وقام ناحية. (3) فقالوا له: فادن! قال: لا ولكني ها هنا في أيديكم، فإن لم تجدوه فاقتلوني! فحفروا فوجدوا تلك الكتب. فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر. ثم طار فذهب. وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاءهم محمد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صلى الله عليه وسلم خاصموه بها، فذلك حين يقول: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ . (4)

1647 - حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان)، قالوا: إن اليهود سألو محمدا صلى الله عليه وسلم زمنا عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سأله عنه، فيخصمهم. (5) فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا! وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله جل وعز: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر < 2-407 > والكهانة وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت مجلس سليمان - (6) وكان سليمان لا يعلم الغيب. فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخذعوا به الناس، وقالوا: هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه! فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، فرجعوا من عنده وقد حزنوا، وأدحض الله حجتهم. (7)

1648 - وحدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان)، قال: لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم، تبدد فريق من الذين أوثوا الكتاب الآية، قال: اتبعوا السحر، وهم أهل الكتاب. فقرأ حتى بلغ: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ .

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان.

* ذكر من قال ذلك:

1649 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج: تلت الشياطين السحر على اليهود على ملك سليمان، فاتبعته اليهود على ملكه، يعني اتبعوا السحر على ملك سليمان.

1650 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام، فكتبوا أصناف السحر: " من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا، فليفعل كذا وكذا ". حتى إذا صنعوا أصناف السحر، (8) جعلوه في كتاب ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان، وكتبوا في عنوانه: " هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم "، ثم دفنوه تحت كرسيه. فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا: ما

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كان سليمان < 408-2 > بن داود إلا بهذا! فأفشوا السحر في الناس وتعلموه وعلموه، فليس في أحد أكثر منه في يهود. فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما نزل عليه من الله، سليمان بن داود وعده فيمن عده من المرسلين، قال من كان بالمدينة من يهود: ألا تعجبون لمحمد! (9) يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا! والله ما كان إلا ساحرا! فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا). (10)

قال: كان حين ذهب ملك سليمان، ارتد فئام من الجن والإنس واتبعوا الشهوات، (11) فلما رجع الله إلى سليمان ملكه، قام الناس على الدين كما كانوا. وأن سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه، وتوفي سليمان حدثان ذلك، (12) فظهرت الجن والإنس على الكتب بعد وفاة سليمان، وقالوا: هذا كتاب من الله نزل على سليمان أخفاه منا! فأخذوا به فجعلوه دينا، فأنزل الله: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ تَبَدَّ قَرْيَقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ** وهي المعازف واللعب، وكل شيء يصد عن ذكر الله.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل قوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان)، أن ذلك توبيخ من الله لأخبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجحدوا نبوته، وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل، وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يعلمونه < 409-2 > ويعرفون أنه كتاب الله، واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلت الشياطين في عهد سليمان. وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. (13)

وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن المتبعة ما تلت الشياطين، في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق، وأمر السحر لم يزل في اليهود. ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله: (واتبعوا) بعضا منهم دون بعض. إذ كان جائزا فصيحا في كلام العرب إضافة ما وصفنا - من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين) - إلى أخلافهم بعدهم، ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر منقول، ولا حجة تدل عليه. فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال: كل متبع ما تلت الشياطين على عهد سليمان من اليهود، داخل في معنى الآية، على النحو الذي قلنا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ما تتلوا الشياطين)، الذي تتلو. فتأويل الكلام إِدَا: واتبعوا الذي تتلو الشياطين.

واختلف في تأويل قوله: (تتلوا). فقال بعضهم: يعني بقوله: (تتلوا)، تحدث وتروي، وتتكلم به وتخبر. نحو "تلاوة" الرجل للقرآن، وهي قراءته. ووجه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك، إلى أن الشياطين هي التي علمت الناس السحر وروته لهم .

* ذكر من قال ذلك:

1651 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن عمرو، عن مجاهد في قول الله: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)، قال: كانت الشياطين تسمع الوحي، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها < 410-2 > مائتين مثلها. فأرسل سليمان إلى ما كتبوا من ذلك فجمعه. فلما توفي سليمان وجدته الشياطين، فعلمته الناس، وهو السحر. (14)

1652 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)، من الكهانة والسحر. وذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفضوه في الناس وعلموهم إياه.

1653 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال عطاء: قوله: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين)، قال: نراه ما تحدث.

1654 - حدثني سلم بن جُنادة السُّوائي قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلقت الشياطين في الأيام التي ابتلي فيها سليمان، فكتبت فيها كتبها فيها سحر وكفر، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها فقرأوها على الناس. (15)

وقال آخرون: معنى قوله: (ما تتلو)، ما تتبعه وترويه وتعمل به.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1655 - حدثنا الحسن بن عمرو العنقزي قال، حدثني أبي، عن أسباط، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس: (تتلوا)، قال: تتبع. (16)

1656 - حدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال، حدثنا يحيى بن إبراهيم، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن أبي رزين مثله. (17)

< 2-411 >

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان، باتباعهم ما تلته الشياطين.

ولقول القائل: " هو يتلو كذا " في كلام العرب معنيان. أحدهما: الاتباع، كما يقال: " تلوت فلانا " إذا مشيت خلفه وتبعت أثره، كما قال جل ثناؤه: هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ [يونس: 30]، (18) يعني بذلك تتبع.

والآخر: القراءة والدراسة، كما تقول: " فلان يتلو القرآن "، بمعنى أنه يقرؤه ويدرسه، كما قال حسان بن ثابت:

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله

ويتلو كتاب الله في كل مشهد (19)

ولم يخبرنا الله جل ثناؤه - بأي معنى " التلاوة " كانت تلاوة الشياطين الذين تلوا ما تلوه من السحر على عهد سليمان - بخبر يقطع العذر. وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملا فتكون كانت متبعتة بالعمل، ودارسته بالرواية. فاتبعت اليهود منهاجها في ذلك، وعملت به، وروته. (20)

القول في تأويل قوله تعالى : مُلْكٍ سُلَيْمَانَ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (على ملك سليمان)، في ملك سليمان. وذلك أن العرب تضع " في " موضع " على " و " علي " في موضع " في ". > 412-2 < (21) من ذلك قول الله جل ثناؤه: وَلَاصَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ [سورة طه: 71] يعني به: على جذوع النخل، وكما قالوا: " فعلت كذا في عهد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كذا، وعلى عهد كذا"، بمعنى واحد. (22) وبما قلنا من ذلك كان ابن جريج وابن إسحاق يقولان في تأويله:

1657 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج: (على ملك سليمان)، يقول: في ملك سليمان.

1658 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، قال ابن أبي إسحاق في قوله: (على ملك سليمان)، أي: في ملك سليمان.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وما هذا الكلام، من قوله: **وَإِتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ** ، (23) ولا خبر معنا قبل عن أحد أنه أضاف الكفر إلى سليمان، بل إنما ذكر اتباع من اتبع من اليهود ما تلته الشياطين؟ فما وجه نفي الكفر عن سليمان، بعقب الخبر عن اتباع من اتبعت الشياطين في العمل بالسحر وروايته من اليهود؟

قيل: وجه ذلك، أن الذين أضاف الله جل ثناؤه إليهم اتباع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى < 413-2 > الشياطين من ذلك، إلى سليمان بن داود. وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر. فحسنوا بذلك - من ركوبهم ما حرم الله عليهم من السحر - أنفسهم، (24) عند من كان جاهلاً بأمر الله ونهيه، وعند من كان لا علم له بما أنزل الله في ذلك من التوراة. وتبرأ بإضافة ذلك إلى سليمان - من سليمان، وهو نبي الله صلى الله عليه وسلم - منهم بشر، (25) وأنكروا أن يكون كان لله رسولا وقالوا: بل كان ساحرا. فبرأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسبه إلى السحر والكفر = لأسباب ادعوها عليه قد ذكرنا بعضها، وسنذكر باقي ما حضرنا ذكره منها = وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر متزينين عند أهل الجهل في عملهم ذلك، بأن سليمان كان يعمل. فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون كان ساحرا أو كافرا، وأعلمهم أنهم إنما اتبعوا - في عملهم بالسحر - ما تلته الشياطين في عهد سليمان، دون ما كان سليمان يأمرهم من طاعة الله، واتباع ما أمرهم به في كتابه الذي أنزله على موسى صلوات الله عليه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر الدلائل على صحة ما قلنا من الأخبار والآثار:

1659 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير قال: كان سليمان يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزائنه. فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنّت إلى الإنس فقالوا لهم: أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزائنه وتحت كرسيه. فاستثارته الإنس فاستخرجوه فعملوا به. فقال أهل الحجاز: كان سليمان > 414-2 < يعمل بهذا، وهذا سحر! فأنزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان. فقال: **وَاتَّبِعُوا مَا تَلَّو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ** الآية، فأنزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عليهما السلام. (26)

1660 - حدثني أبو السائب الشَّوَّاطِي قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان الذي أصاب سليمان بن داود، في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جرادة، وكانت من أكرم نسائه عليه. قال: فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا. قال: وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئا من نسائه، أعطى الجرادة خاتمه. فلما أراد الله أن يتلي سليمان بالذي ابتلاه به، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي! فأخذه فلبسه. فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس. قال: فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي! فقالت: كذبت، لست بسليمان! قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به. قال: فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبا فيها سحر وكفر، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها فقرءوها على الناس وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب! قال: فبرئ الناس من سليمان وأكفروه، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله جل ثناؤه: **وَاتَّبِعُوا مَا تَلَّو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ** - يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر - (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)، فأنزل الله جل وعز وعذره. (27)

1661 - حدثني محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال، سمعت عمران بن حدير، عن أبي مجلز قال: أخذ سليمان من كل > 2- < 415 > دابة عهدا، فإذا أصيب رجل فسئل بذلك العهد، خلي عنه. فرأى الناس السجع والسحر، وقالوا: هذا كان يعمل به سليمان! فقال الله جل ثناؤه: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). (28)

1662 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمران بن الحارث قال: بينا نحن عند ابن عباس، إذ جاءه رجل فقال له ابن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عباس: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال: من أبيه؟ قال: من الكوفة. قال: فما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن عليا خارج إليهم! ففرع فقال: ما تقول؟ لا أبا لك! لو شعرنا ما نكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه! أما إني أحدثكم؛ من ذلك: إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيأتي أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا حدث منه صدق، (29) كذب معها سبعين كذبة. قال: فتشربها قلوب الناس. فأطلع الله عليها سليمان، فدفنها تحت كرسيه، فلما توفي سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنز الممنوع الذي لا كنز مثله؟ تحت الكرسي! فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر! فتناسخها الأمم - حتى بقاياهم ما يتحدث به أهل العراق - (30) فأنزل الله عذر سليمان: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). (31).

1663 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه. (32) فلما سمع بذلك سليمان نبي الله صلى > 416-2 < الله عليه وسلم تتبع تلك الكتب، فأتى بها فدفنها تحت كرسيه، (33) كراهية أن يتعلمها الناس. فلما قبض الله نبيه سليمان، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه فعلموها الناس، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به. فعذر الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك، فقال جل ثناؤه: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا).

1664 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال: كتبت الشياطين كتبا فيها سحر وشرك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمان. فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب، فقالوا: هذا علم كتمناه سليمان! فقال الله جل وعز: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر).

1665 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريح، عن مجاهد قوله: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، قال: كانت الشياطين تستمع الوحي من السماء، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مثلها. وإن سليمان أخذ ما كتبوا من ذلك فدفنه تحت كرسيه، فلما توفي وجدته الشياطين فعلمته الناس. (34)

1666 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن أبي بكر، عن شهر بن حوشب قال: لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان. فكتبت: " من أراد أن يأتي كذا وكذا، فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا، فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا ". فكتبته وجعلت عنوانه: " هذا ما كتب أصف بن برخيا للملك سليمان > 417-2 < بن داود من ذخائر كنوز العلم "، ثم دفنته تحت كرسيه. فلما مات سليمان، قام إبليس خطيبا فقال: يا أيها الناس، إن سليمان لم يكن نبيا، وإنما كان ساحرا، فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته. ثم دلهم على المكان الذي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

دفن فيه. فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحرا! هذا سحره! بهذا تعبدنا، وبهذا قهرنا! فقال المؤمنون: بل كان نبيا مؤمنا! فلما بعث الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، جعل يذكر الأنبياء، حتى ذكر داود وسليمان، فقالت اليهود: انظروا إلى محمدا! يخلط الحق بالباطل! يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحرا يركب الريح! فأنزل الله عذر سليمان: **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ** الآية. (35)

1667 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم -فيما بلغني- لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين، قال بعض أحرار اليهود: ألا تعجبون من محمدا يزعم أن ابن داود كان نبيا! والله ما كان إلا ساحرا! فأنزل الله في ذلك من قولهم: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)، أي باتباعهم السحر وعملهم به- **وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ** . (36)

قال أبو جعفر: فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا = وتأويل قوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) ما ذكرنا = فبين أن في الكلام متروكا، (37) ترك ذكره اكتفاء بما ذكر منه، وأن معنى الكلام: واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان فتضيئه إلى سليمان، وما كفر سليمان، فيعمل بالسحر، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس < 418-2 > السحر. وقد كان قتادة يتأول قوله: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) على ما قلنا.

1668 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)، يقول: ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دونه.

وقد دللنا فيما مضى على اختلاف المختلفين في معنى **تَتْلُو** ، (38) وتوجيه من وجه ذلك إلى أن **تَتْلُو** بمعنى "تلت"، إذ كان الذي قبله خيرا ماضيا وهو قوله: **وَاتَّبَعُوا** ، وتوجيه الذين وجهوا ذلك إلى خلاف ذلك، وبيننا فيه وفي نظيره الصواب من القول، (39) فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع.

وأما معنى قوله: **مَا تَتْلُو** ، فإنه بمعنى: الذي تتلو، وهو السحر. (40)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1669 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ، أي السحر. (41)

قال أبو جعفر: ولعل قائلًا أن يقول: أو ما كان السحر إلا أيام سليمان؟

قيل له: بلى، قد كان ذلك قبل ذلك، وقد أخبر الله عن سحرة فرعون ما أخبر عنهم، وقد كانوا قبل سليمان، وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح إنه ساحر.

[فإن] قال: فكيف أخبر عن اليهود أنهم اتبعوا ما تلته الشياطين على عهد سليمان؟ < 419-2 > قيل: لأنهم أضافوا ذلك إلى سليمان، على ما قد قدمنا البيان عنه، فأراد الله تعالى ذكره تبرئة سليمان مما نحلوه وأضافوا إليه، مما كانوا وجدوه، إما في خزائنه، وإما تحت كرسيه، على ما جاءت به الآثار التي قد ذكرناها من ذلك. فحصر الخبر عما كانت اليهود اتبعته، فيما تلته الشياطين أيام سليمان دون غيره لذلك السبب، وإن كانت الشياطين قد كانت تالية للسحر والكفر قبل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ

قال أبو جعفر: اختلف أهل العلم في تأويل " ما " التي في قوله: (وما أنزل على الملكين). فقال بعضهم: معناه الجحد، وهي بمعنى " لم " .

* ذكر من قال ذلك:

1670 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: (وما أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت) فإنه يقول: لم ينزل الله السحر.

1671 - حدثنا ابن حميد قال، حدثني حكيم، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس: (وما أنزل على الملكين)، قال: ما أنزل الله عليهما السحر.

فتأويل الآية - على هذا المعنى الذي ذكرناه عن ابن عباس والربيع، من توجيههما معنى قوله: (وما أنزل على الملكين) إلى: ولم ينزل على الملكين-: واتبعوا الذي تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملكين = ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

السحر = "بابل هاروت وماروت". فيكون حينئذ قوله: "(بابل هاروت وماروت)، من المؤخر الذي معناه التقديم.

< 2-420 >

فإن قال لنا قائل: وكيف - وجه تقديم ذلك؟

قيل: وجه تقديمه أن يقال: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان [من السحر]، وما أنزل [الله السحر] على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بابل، هاروت وماروت - فيكون معنياً بـ "الملكين": جبريل وميكائيل، لأن سحرة اليهود، فيما ذكر، كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبها الله بذلك، وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرا سليمان مما نحلوه من السحر، فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تعلم الناس [ذلك] بابل، وأن اللذين يعلمانهم ذلك رجلان: (42) اسم أحدهما هاروت، واسم الآخر ماروت. فيكون "هاروت وماروت"، على هذا التأويل، ترجمة على الناس وردا عليهم. (43)

وقال آخرون: بل تأويل "ما" التي في قوله: (وما أنزل على الملكين) - "الذي".

* ذكر من قال ذلك:

1672 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، قال معمر، قال قتادة والزهري عن عبد الله: (وما أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت)، كانا ملكين من الملائكة، فأهبطا ليحكما بين الناس. وذلك أن الملائكة سخروا من أحكام بني آدم. قال: فحاكمت إليهما امرأة فحافا لها، (44) ثم ذهبا يصعدان، فحيل بينهما وبين ذلك، وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. قال معمر، قال قتادة: فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا: **إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ**.

< 2-421 >

1673 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما قوله: (وما أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت)، فهذا سحر آخر خصموه به أيضا. يقول: خصموه بما أنزل على الملكين، وأن كلام الملائكة فيما بينهم، إذا علمته الإنس فصنع وعمل به، كان سحرا. (45)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1674 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت). فالسحر سحران: سحر تعلمه الشياطين، وسحر يعلمه هاروت وماروت.

1675 - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)، قال: التفريق بين المرء وزوجه.

1676 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين)، فقرأ حتى بلغ: فَلَا تَكْفُرْ ، قال: الشياطين والملكان يعلمون الناس السحر.

قال أبو جعفر : فمعنى الآية على تأويل هذا القول الذي ذكرنا عن ذكرناه عنه: واتبعت اليهود الذي تلت الشياطين في ملك سليمان الذي أنزل على الملكين ببابل وهاروت وماروت. وهما ملكان من ملائكة الله، سنذكر ما روي من الأخبار في شأنهما إن شاء الله تعالى.

قال أبو جعفر (46) إن قال لنا قائل: وهل يجوز أن ينزل الله السحر، أم > 422-2 < هل يجوز لملائكته أن تعلمه الناس؟

قلنا له: إن الله عز وجل قد أنزل الخير والشر كله، وبين جميع ذلك لعباده، فأوحاه إلى رسله، وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحل لهم مما يحرم عليهم. وذلك كالزنا والسرقه وسائر المعاصي التي عرفهموها، ونهاهم عن ركوبها. فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها، ونهاهم عن العمل بها.

(47) وليس في العلم بالسحر إثم، كما لا إثم في العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطناير والملاعب. وإنما الإثم في عمله وتسويته . وكذلك لا إثم في العلم بالسحر، وإنما الإثم في العمل به، وأن يضر به، من لا يحل ضره به.

(48) فليس في إنزال الله إياه على الملكين، ولا في تعليم الملكين من علماه من الناس، إثم، إذ كان تعليمهما من علماه ذلك، بإذن الله لهما بتعليمه، بعد أن يخبراه بأنهما فتنة، وينهيهما عن السحر والعمل به والكفر. وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به، إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به. (49) ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك، لم يكن من تعلمه حرجا، كما لم يكونا حرجين لعلمهما > 423-2 < به. (50) إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما. (51)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: معنى " ما " معنى " الذي", وهي عطف على " ما " الأولى. غير أن الأولى في معنى السحر، والآخرة في معنى التفريق بين المرء وزوجه.

فتأويل الآية على هذا القول: واتبعوا السحر الذي تتلو الشياطين في ملك سليمان، والتفريق الذي بين المرء وزوجه الذي أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت.

* ذكر من قال ذلك:

1677 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: (وما أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت)، وهما يعلمان ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وذلك قول الله جل ثناؤه: وَمَا كَفَّرَ سُليْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا . وكان يقول: أما السحر، فإنما يعلمه الشياطين، وأما الذي يعلم الملكان، فالتفريق بين المرء وزوجه، كما قال الله تعالى.

وقال آخرون: جائز أن تكون " ما " بمعنى " الذي", وجائز أن تكون " ما " بمعنى " لم ".

* ذكر من قال ذلك:

1678 - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد - وسأله رجل عن قول الله: (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت) فقال الرجل: يعلمان الناس ما أنزل عليهما، أم يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما؟ قال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت.

*

1679 - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا أنس بن عياض، عن > 2- 424 < بعض أصحابه، أن القاسم بن محمد سئل عن قول الله تعالى ذكره: (وما أنزل على الملكين)، فقيل له: أنزل أو لم ينزل؟ فقال: لا أبالي أي ذلك كان، إلا أنني آمنت به. (52) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، قول من وجه " ما " التي في قوله: (وما أنزل على الملكين) إلى معنى " الذي"، دون معنى " ما " التي هي بمعنى الجحد. وإنما اخترت ذلك، من أجل أن " ما " إن وجهت إلى معنى الجحد، تنفي عن " الملكين " أن يكونا منزلا إليهما، (53) ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما - أعني " هاروت وماروت " - من أن يكونا بدلا منهما وترجمة عنهما (54) أو بدلا من النَّاسِ في قوله: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ، وترجمة عنهما. (55) فإن جعلا بدلا من " الملكين " وترجمة عنهما، بطل معنى قوله: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ . لأنها إذا لم يكونا عالمين بما يفرق به بين المرء وزوجه، فما الذي يتعلم منهما من يفرق بين المرء وزوجه؟ (56)

< 2-425 >

وبعد، فإن " ما " التي في قوله: (وما أنزل على الملكين)، إن كانت في معنى الجحد عطفًا على قوله: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ، فإن الله جل ثناؤه نفى بقوله: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ، عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه. فإن كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه - وهاروت وماروت هما الملكان - فمن المتعلم منه إدرا ما يفرق به بين المرء وزوجه؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ؟ إن خطأ هذا القول لواضح بين.

وإن كان قوله " هاروت وماروت " ترجمة عن " الناس " الذين في قوله: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ، فقد وجب أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر، وتكون السحرة إنما تعلمت السحر من هاروت وماروت عن تعليم الشياطين إياهما. فإن يكن ذلك كذلك، فلن يخلو " هاروت وماروت " - عند قائل هذه المقالة - من أحد أمرين:

إما أن يكونا ملكين، فإن كانا عنده ملكين، فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلمانه الناس، وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه - أعظم مما ذكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب. وفي خبر الله عز وجل عنهما - أنهما لا يعلمان أحدا ما يتعلم منهما حتى يقولوا إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ - ما يغني عن الإكثار في الدلالة على خطأ هذا القول.

أو أن يكونا رجلين من بني آدم. فإن يكن ذلك كذلك، فقد كان يجب أن يكونا بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل - من بني آدم. (57) لأنه إذا كان علم ذلك من قبلهما يؤخذ ومنهما يتعلم، فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما، عدم السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذي كان لا يوصل إليه إلا بهما. < 2-426 > وفي وجود السحر في كل زمان ووقت، أبين الدلالة على فساد هذا القول. وقد يزعم قائل ذلك أنهما رجلان من بني آدم، لم يعدما من الأرض منذ خلقت، ولا يعدمان بعد ما وجد السحر في الناس، فيدعي ما لا يخفى بطوله. (58)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإذ فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها، فبيِّن أن معنى (ما) التي في قوله: (وما أنزل على الملكين) بمعنى "الذي"، وأن "هاروت وماروت"، مترجم بهما عن الملكين، ولذلك فتحت أواخر أسمائهما، لأنهما في موضع خفض على الرد على "الملكين". ولكنهما لما كانا لا يجران، فتحت أواخر أسمائهما.

فإن التبس على ذي غباء ما قلنا فقال: وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة؟

قيل له: إن الله جل ثناؤه عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه. ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم. فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم - كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما: **إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** - ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما. ويكون الملكان في تعليمهما من علما ذلك - لله مطيعين، إذ كانا = عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علما = يعلمان. وقد عبد من دون الله جماعة من أولياء الله، فلم يكن ذلك لهم ضائرا، < 2-427 > إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به، بل عبد بعضهم والمعبود عنه ناه. (59) فكذلك الملكان، غير ضائرها سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما، بعد نهيهما إياه عنه، وعظتهما له بقولهما: **إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ، إذ كانا قد أديا ما أمر به بقليلهما ذلك، كما:-

1680 - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، عن الحسن في قوله: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) إلى قوله: **فَلَا تَكْفُرْ** ، أخذ عليهما ذلك.

ذكر بعض الأخبار التي في بيان الملكين، ومن قال إن هاروت وماروت هما الملكان اللذان ذكر الله جل ثناؤه في قوله: (ببابل):

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1681 - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثني أبي، عن قتادة قال: حدثنا أبو شعبة العدوي في جنازة يونس بن جبير أبي غلاب، عن ابن عباس قال: إن الله أفرج السماء لملائكته ينظرون إلى أعمال بني آدم، فلما أبصروهم يعملون الخطايا قالوا: يا رب، هؤلاء بنو آدم الذي خلقته بيدك، وأسجدت له ملائكتك، وعلمته أسماء كل شيء، يعملون بالخطايا! قال: أما إنكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم. قالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا! قال: فأمروا أن يختاروا من يهبط إلى الأرض، قال: فاختاروا هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض، وأحل لهما ما فيها من شيء، غير أن لا يشركا بالله شيئا ولا يسرقا، ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق. قال: فما استمرا حتى عرض لهما امرأة قد قسم لها نصف الحسن، يقال لها "بيذخت" فلما أبصراها أرادا بها زنا، فقالت: لا إلا أن تشركا بالله، وتشربا الخمر، وتقتلا النفس، وتسجدا لهذا الصنم! فقالا ما كنا لنشرك بالله شيئا! فقال أحدهما < 2-428 > للآخر: ارجع إليها. فقالت: لا إلا أن تشربا الخمر. فشربا حتى ثملا ودخل عليهما سائل فقتلاه، فلما وقعا فيما وقع من الشر، أفرج الله السماء لملائكته، فقالوا: سبحانك! كنت أعلم! قال: فأوحى الله إلى سليمان بن داود أن يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فكبلا من أعبعهما إلى أعناقهما بمثل أعناق البخت، وجعلا ببابل. (60)

1682 - حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حجاج، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا لما كثر بنو آدم وعصوا، دعت الملائكة عليهم والأرض والسماء والجبال: ربنا ألا تهلكهم! (61) فأوحى الله إلى الملائكة: إنني لو أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ونزلتم لفعلتم أيضا! (62) قال: فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا، فأوحى الله إليهم: أن اختاروا ملكين من أفضلكم. فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس، وكان أهل فارس يسمونها "بيذخت". قال: فوقعا بالخطيئة، فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا. (63) رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا . فلما وقعا بالخطيئة، استغفروا لمن في الأرض، ألا إن الله هو الغفور الرحيم. فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. (64)

< 2-429 >

1683 - حدثني المثنى قال، حدثني الحجاج قال، حدثنا حماد، عن خالد الحذاء، عن عمير بن سعيد قال، سمعت عليا يقول: كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يعلمها الكلام الذي إذا تكلم به يعرج به إلى السماء. فعلمهاها، فتكلمت به، فعرجت إلى السماء، فمسخت كوكبا. (65)

1684 - حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا حدثنا مؤمل بن إسماعيل - وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق - جميعا، عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب، ف قيل لهم: اختاروا منكم اثنين - وقال

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الحسن بن يحيى في حديثه: اختاروا ملكين - فاختاروا هاروت وماروت، فقبل لهما: إني أرسل إلى بني آدم رسلا وليس بيني وبينكم رسول، انزلا لا تشركا بي شيئا، ولا تزنيا، ولا تشربا الخمر. قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه إلى الأرض حتى استكملا جميع ما نهيا عنه - وقال الحسن بن يحيى في حديثه: فما استكملا يومهما الذي أنزلا فيه حتى عملا ما حرم الله عليهما. (66)

< 2-430 >

1685 - حدثني المثنى قال، حدثنا معلى بن أسد قال، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن موسى بن عقبة قال، حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأحبار أنه حدث: أن الملائكة أنكروا أعمال بني آدم وما يأتون في الأرض من المعاصي، فقال الله لهم: إنكم لو كنتم مكانهم أتيتم ما يأتون من الذنوب، فاختاروا منكم ملكين. فاختاروا هاروت وماروت، فقال الله لهما: إني أرسل رسلي إلى الناس، وليس بيني وبينكما رسول، انزلا إلى الأرض، ولا تشركا بي شيئا، ولا تزنيا. فقال كعب: والذي نفس كعب بيده، ما استكملا يومهما الذي نزل فيه حتى أتيا ما حرم الله عليهما. (67)

< 2-431 >

1686 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أنه كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم، فقبل لهما: إني أعطيت ابن آدم عشرا من الشهوات، فيها يعصونني. قال هاروت وماروت: ربنا، لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل. فقال لهما: انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر، فاحكما بين الناس. فنزلا ببابل دنيابند، فكانا يحكمان، حتى إذا أمسيا عرجا فإذا أصبحا هبطا. فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها، فأعجبهما حسنهما - واسمها بالعربية، "الزُّهْرَة"، وبالنبطية "بيذخت"، واسمها بالفارسية "أناهيد" - فقال أحدهما لصاحبه: إنها لتعجبني! فقال الآخر: قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك! فقال: الآخر: هل لك أن أذكرها لنفسها؟ قال: نعم، ولكن كيف لنا بعذاب الله؟ قال الآخر: إنا نرجو رحمة الله! فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرا إليها نفسها، فقالت: لا حتى تقضيا لي على زوجي. فقضيا لها على زوجها. ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها، فأتياها لذلك. فلما أراد الذي يواقعها، قالت: ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى السماء، وبأي كلام تنزلان منها؟ فأخبرها، فتكلمت فصعدت. فأنساها الله ما تنزل به فبقيت مكانها، (68) وجعلها الله كوكبا - فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال: هذه التي فتننت هاروت وماروت! - فلما كان الليل أراد أن يصعدا فلم يستطيعا، فعرفا الهلك، (69) فخيروا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا من عذاب الآخرة، فعلقا ببابل، فجعلا يكلمان الناس كلامهما، وهو السحر.

1687 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: لما وقع الناس من بعد آدم فيما وقعوا فيه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

من < 432-2 > المعاصي والكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: أي رب، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك، وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام وأكل المال الحرام. والسرقه والزنا وشرب الخمر! فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم، فقيل لهم: إنهم في غيب. (70) فلم يعذروهم، فقيل لهم: اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمري وأنهاهما عن معصيتي. فاختراروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وجعل بهما شهوات بني آدم، (71) وأمر أن يعبد الله ولا يشركا به شيئا، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقه، والزنا، وشرب الخمر. فلبثا على ذلك في الأرض زمانا يحكمان بين الناس بالحق - وذلك في زمان إدريس. وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس كحسن الزهرة في سائر الكوكب، وأنها أتت عليهما، (72) فخضعا لها بالقول، وأرادها على نفسها، وأنها أبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأنهما سألاها عن دينها التي هي عليه، فأخرجت لهما صنما وقالت: هذا أعبد. فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا! فذهبا فغبرا ما شاء الله، (73) ثم أتيا عليها فخضعا لها بالقول وأرادها على نفسها، فقالت: لا إلا أن تكونا على ما أنا عليه. فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا! فلما رأت أنهما أبيا أن يعبدوا الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدوا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا الخمر. فقالا كل هذا لا ينبغي، وأهون الثلاثة شرب الخمر. فسقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها. فمر بهما إنسان، وهما في ذلك، فخشيا أن يفشي عليهما فقتلاه. فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما وقعا فيه من الخطيئة، وأرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، < 433-2 > فحيل بينهما وبين ذلك، وكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه من الذنب، فعجبوا كل العجب، وعلموا أن من كان في غيب فهو أقل خشية (74) فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض - وأنهما لما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة، قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة! فقالا أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له. فاخترتا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل، فهما يعذبان. (75)

1688 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا فرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع انظر، طلعت الحمراء؟ قلت: لا - مرتين أو ثلاثا - (76) ثم قلت: قد طلعت! قال: لا مرحبا ولا أهلا! قلت: سبحان الله، نجم مسخر سامع مطيع! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، (77) وقال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة قالت: يا رب، كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك! قال: فاختراروا ملكين منكم! قال: فلم يألوا أن يختاروا، فاختراروا هاروت وماروت. (78)

< 2-434 >

1689 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وأما شأن هاروت وماروت، فإن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم، وقد جاءتهم الرسل والكتب والبيانات. فقال لهم ربهم: اختاروا منكم ملكين

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أنزلهما يحكمان في الأرض بين بني آدم. فاختاروا هاروت وماروت. فقال لهما حين أنزلهما: عجبتما من بني آدم ومن ظلمهم ومعصيتهم، وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء، (79) وأنتما ليس بيني وبينكما رسول، فافعلا كذا وكذا، ودعا كذا وكذا. فأمرهما بأمر ونهاهما. (80) ثم نزل على ذلك ليس أحد لله أطوع منهما. فحكما < 435-2 > فعدلا. فكانا يحكمان النهار بين بني آدم، فإذا أمسيا عرجا وكانا مع الملائكة، وينزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان، حتى أنزلت عليهما الزهرة - في أحسن صورة امرأة - تخاصم، فقضيا عليها. فلما قامت، وجد كل واحد منهما في نفسه، فقال أحدهما لصاحبه: وجدت مثل ما وجدت؟ قال: نعم. فبعثا إليها: أن اثبتنا نقض لك. فلما رجعت، قالا لها - وقضيا لها - : اثبتنا! فأتتهما، (81) فكشفا لها عن عورتها، وإنما كانت شهوتها في أنفسهما، ولم يكونا كبنى آدم في شهوة النساء ولذتها. فلما بلغا ذلك واستحلاه وافتتنا، طارت الزهرة فرجعت حيث كانت. فلما أمسيا عرجا فردا ولم يؤذن لهما، (82) ولم تحملهما أجنتهما، فاستغاثا برجل من بني آدم، فأتياه فقلا ادع لنا ربك! فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء! فوعدهما يوما، وغدا يدعو لهما، فدعا لهما فاستجيب له، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فنظر أحدهما إلى صاحبه فقلا نعلم أن أنواع عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد، ومع الدنيا سبع مرات مثلها. (83) فأمر أن ينزل بابل، فثم عذابهما. وزعم أنهما معلقان في الحديد مطويان، يصفقان بأجنتهما. (84)

قال أبو جعفر: وحكي عن بعض القراء أنه كان يقرأ: (وما أنزل على الملكين)، يعني به رجلين من بني آدم. وقد دللنا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال، (85) فاما من جهة النقل، فإجماع الحجة - على خطأ القراءة بها - من < 436-2 > الصحابة والتابعين وقراء الأمصار. وكفى بذلك شاهدا على خطئها.

وأما قوله (بابل)، فإنه اسم قرية أو موضع من مواضع الأرض. وقد اختلف أهل التأويل فيها. فقال بعضهم: إنها " بابل دُبَّأَوْد " .

1690 - حدثني بذلك موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي. (86)

وقال بعضهم: بل ذلك " بابل العراق " .

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1691 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - في قصة ذكرتها عن امرأة قدمت المدينة، فذكرت أنها صارت في العراق ببابل، فأنت بها هاروت وماروت، فتعلمت منهما السحر. (87)

قال أبو جعفر: واختلف في معنى السحر، فقال بعضهم: هو خدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر، حتى يخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء، ويرى الشيء من بعيد فيثبته. بخلاف ما هو على حقيقته. وكراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا يخيل إليه أن ما عابن من الأشجار والجبال سائر معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته: يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته، كالذي:-

< 2-437 >

1692 - حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع، قالا حدثنا يحيى بن سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سحر، كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله. (88)

1693 - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت، سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله. (89)

< 2-438 >

1694 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحدثان: أن يهود بني زريق عقدوا عَقْدَ سحر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلوها في بئر حزم، حتى كان رسول الله ينكر بصره، ودله الله على ما صنعوا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر حزم التي فيها العَقْد فانتزعها. فكان < 2-439 > رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سحرتني يهود بني زريق. (90)

وأنكر قائل هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته، واستسخر شيء من خلق الله - إلا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم - أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخدع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها التي وصفنا. وقالوا: لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب حقائق الأعيان عما هي به من الهيئات، لم يكن بين الحق والباطل فصل، (91) ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرت

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

السحرة فقلبت أعيانها. قالوا: وفي وصف الله جل وعز سحرة فرعون بقوله:
قَادًا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى [سورة طه: 66],
وفي خبر عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذ سحر
يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين
= أن الساحر ينشئ أعيان الأشياء بسحره، ويستسخر ما يتعذر استسخاره
على غيره من بني آدم، كالموات والجماد والحيوان = وصحة ما قلنا. (92)

وقال آخرون: قد يقدر الساحر بسحره أن يحول الإنسان حمارا، وأن يسحر
الإنسان والحمار، وينشئ أعيانا وأجساما، واعتلوا في ذلك بما:-

1695 - حدثنا به الربيع بن سليمان قال، حدثنا ابن وهب قال، أخبرنا ابن أبي
الزناد قال، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج < 2-440 >
النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: قدمت علي امرأة من أهل دومة
الجنديل، جاءت تتبغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك، (93)
تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به. قالت عائشة
لعروة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيشفيتها، (94) كانت تبكي حتى إني لأرحمها! وتقول: إني لأخاف أن
أكون قد هلكت! كان لي زوج فغاب عني، فدخلت علي عجوز فشكوت ذلك
إليها، فقالت: إن فعلت ما أمرك به، فأجعله يأتيك! فلما كان الليل جاءتنى
بكلبين أسودين، فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا
ببابل، (95) فإذا برجلين معلقين بأرجلهم، فقالا ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم
السحر؟ فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي. فأبيت وقلت: لا قالا فذهبي
إلى ذلك التنور فبولي فيه. (96) فذهبت ففزعت فلم أفعل، فرجعت إليهما،
فقالا أفعلت؟ قلت: نعم. فقالا فهل رأيت شيئا؟ قلت: لم أر شيئا! فقالا لي: لم
تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأربيت وأبيت، (97) فقالا اذهبي إلى ذلك
التنور فبولي فيه. فذهبت، فاقشعررت. ثم رجعت إليهما فقلت: قد فعلت. فقالا
فما رأيت؟ < 2-441 > فقلت: لم أر شيئا. فقالا كذبت لم تفعل، ارجعي إلى
بلادك ولا تكفري، فإنك على رأس أمرك! (98) فأربيت وأبيت، فقالا اذهبي إلى
ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارسا متقنعا بحديد خرج
مني حتى ذهب في السماء، وغاب عني حتى ما أراه. فجتئتهما فقلت: قد
فعلت! فقالا ما رأيت؟ فقلت: فارسا متقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى
ما أراه، (99) فقالا صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي. فقلت للمرأة: والله
ما أعلم شيئا! وما قالا لي شيئا! فقالت: بلي، لن تريدي شيئا إلا كان! خذي
هذا القمح فابذري. فبذرت، وقلت: أطلعي! فأطلعت، وقلت: أحقلي! فأحقلت، ثم
قلت: أفركي! فأفركت، ثم قلت: أبيضسي! فأبيضست، ثم قلت: أطحنني! فأطحنت، ثم
قلت: أخبزي، فأخبزت. (100) فلما رأيت أني لا أريد شيئا إلا كان، سقط في
يدي وندمت والله يا أم المؤمنين! والله ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا. (101)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-442 >

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا، واعتلوا بما ذكرنا، وقالوا: لولا أن الساحر يقدر على فعل ما ادعى أنه يقدر على فعله، ما قدر أن يفرق بين المرء وزوجه. قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وذلك لو كان على غير الحقيقة، وكان على وجه التخيل والحسبان، لم يكن تفريقا على صحة، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة.

وقال آخرون: بل " السحر " أخذ بالعين.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ

قال أبو جعفر: وتأويل ذلك: وما يعلم الملكان أحدا من الناس الذي أنزل عليهما من التفریق بين المرء وزوجه، حتى يقول له: إنما نحن بلاء وفتنة لبني آدم، فلا تكفر بربك. كما:-

1696 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن < 2-443 > السدي قال: إذا أتاهما - يعني هاروت وماروت - إنسان يريد السحر، وعظاه وقال له: لا تكفر، إنما نحن فتنة! فإن أبى، قالا له: ائت هذا الرماد فبل عليه. فإذا بال عليه خرج منه نور يسطع حتى يدخل السماء - وذلك الإيمان - وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء منه، (102) فذلك غضب الله. فإذا أخبرهما بذلك علماء السحر. فذلك قول الله: (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر) الآية .

1697 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة والحسن: (حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر)، قال: أخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر. (103)

1698 - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، قال قتادة: كانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا " إنما نحن فتنة فلا تكفر " .

1699 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان، عن معمر قال، قال غير قتادة: أخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يتقدما إليه فيقولوا " إنما نحن فتنة فلا تكفر " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1700 - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، عن الحسن قال: أخذ عليهما أن يقولوا ذلك.

1701 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: أخذ الميثاق عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا "إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ". لا يجترئ على السحر إلا كافر.

< 2-444 >

وأما الفتنة في هذا الموضوع، فإن معناها: الاختبار والابتلاء، من ذلك قول الشاعر. (104)

وقد فتن الناس في دينهم

وخلى ابن عفان شرا طويلا (105)

ومنه قوله: "فتنت الذهب في النار"، إذا امتحنته لتعرف جودته من رداءته، "أفتنه فتنة وفتونا"، كما:-

1702 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة (إنما نحن فتنة)، أي بلاء.

< 2-445 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ

قال أبو جعفر: وقوله جل ثناؤه: (فيتعلمون منهما)، خبر مبتدأ عن المتعلمين من الملكين ما أنزل عليهما، وليس بجواب لقوله: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ، بل هو خبر مستأنف، ولذلك رفع فقيل: "فيتعلمون". فمعنى الكلام إدا: وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة، فيأبون قبول ذلك منهما، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه. (106)

وقد قيل: إن قوله: (فيتعلمون)، خبر عن اليهود معطوف على قوله: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّخْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِأَيْلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه). وجعلوا ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والذي قلنا أشبه بتأويل الآية. لأن إلحاق ذلك بالذي يليه من الكلام، ما كان للتأويل وجه صحيح، (107) أولى من إلحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام.

و " الهاء " و " الميم " و " الألف " من قوله: (منهما)، من ذكر الملكين. ومعنى ذلك: فيتعلم الناس من الملكين الذي يفرقون به بين المرء وزوجه.

و " ما " التي مع " يفرقون " بمعنى " الذي ". وقيل: معنى ذلك: السحر الذي يفرقون به. وقيل: هو معنى غير السحر. وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى قبل. (108)

< 2-446 >

وأما " المرء "، فإنه بمعنى: رجل من أسماء بني آدم، والأنثى منه " المرأة ". يوحد ويشئى، ولا تجمع ثلاثته على صورته، (109) يقال منه: " هذا امرؤ صالح، وهذان امرآن صالحان ". ولا يقال: هؤلاء امرؤو صدق، ولكن يقال: " هؤلاء رجال صدق "، وقوم صدق. وكذلك المرأة توحد وتثنى ولا تجمع على صورتها. يقال: هذه امرأة، وهاتان امرأتان ". ولا يقال: هؤلاء امرأت، ولكن: " هؤلاء نسوة ".

وأما " الزوج "، فإن أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: " هي زوجة " بمنزلة الزوج الذكر، ومن ذلك قول الله تعالى ذكره: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ [سورة الأحزاب: 37]، وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون: " هي زوجته ". (110) كما قال الشاعر: (111)

وإن الذي يمشي يحرش زوجتي

كماش إلى أسد الشرى يستبيلها (112)

فإن قال قائل: وكيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه؟ قيل: قد دللنا فيما مضى على أن معنى " السحر ": تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته، بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه. (113) فإن كان < 2-447 > ذلك صحيحا بالذي استشهدنا عليه، (114) فتفريقه بين المرء وزوجه: تخييله بسحره إلى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حقيقته، من حسن وجمال، حتى يقبحه عنده، فينصرف بوجهه ويعرض عنه، حتى يحدث الزوج لامرأته فراقا. فيكون الساحر مفرقا بينهما بإحداثه السبب الذين كان منه فرقة ما بينهما. وقد دللنا، في غير موضع من كتابنا هذا، على أن العرب تضيف الشيء إلى مسبيه من أجل تسيبه، وإن لم يكن باشر فعل ما حدث عن السبب، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (115) فكذاك تفريق الساحر بسحره بين المرء وزوجه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قاله عدد من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1703 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)، وتفريقهما: أن يُؤَخِّدَ كل واحد منهما عن صاحبه، (116) ويغض كل واحد منهما إلى صاحبه.

وأما الذين أبوا أن يكون الملكان يعلمان الناس التفريق بين المرء وزوجه، فإنهم وجهوا تأويل قوله: (فيتعلمون منهما) إلى " فيتعلمون مكان ما علماهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه، كقول القائل: ليت لنا كذا من كذا "، أي مكان كذا، كما قال الشاعر:

جَمَعَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَا وَعَلْبَةٌ

وصرا لأخلاف المُرْتَمَةِ البزل (117)

< 2-448 > ومن كل أخلاق الكرام نميمة

وسعيا على الجار المجاور بالتَّجَلُّ (118)

يريد بقوله: " جمعت من الخيرات "، مكان خيرات الدنيا هذه الأخلاق الرديئة والأفعال الدنيئة، ومنه قول الآخر:

صلدت صفاتك أن تلين حيودها

وورثت من سلف الكرام عقوقا (119)

يعني: ورثت مكان سلف الكرام، عقوقا من والديك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-449 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، وما المتعلمون من الملكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه، بضارين - بالذي تعلموه منهما، من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه - من أحد من الناس إلا من قد قضى الله عليه أن ذلك يضره. فأما من دفع الله عنه ضره، وحفظه من مكروه السحر والنفث والرقي، فإن ذلك غير ضاره، ولا نائله أذاه.

وللاذن " في كلام العرب أوجه. منها: الأمر على غير وجه الإلزام. وغير جائز أن يكون منه قوله: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، لأن الله جل ثناؤه قد حرم التفريق بين المرء وحليلته بغير سحر - فكيف به على وجه السحر؟ - على لسان الأمة. (120)

ومنها: التولية بين المأذون له، والمخلى بينه وبينه.

ومنها العلم بالشيء، يقال منه: " قد أذنت بهذا الأمر " إذا علمت به "أذن به إذنا"، ومنه قول الحطيئة:

ألا يا هند إن جدت وصلا

وإلا فأذنيني بانصرام (121)

يعنى فأعلميني. ومنه قوله جل ثناؤه: فَأَذِّنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ [سورة البقرة: 279]، وهذا هو معنى الآية، كأنه قال جل ثناؤه: وما هم بضارين، < 2-450 > بالذي تعلموا من الملكين، من أحد إلا بعلم الله. يعني: بالذي سبق له في علم الله أنه يضره. كما:-

1704 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان في قوله: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، قال: بقضاء الله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: (ويتعلمون)، الناس الذين يتعلمون من الملكين ما أنزل عليهما من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه، يتعلمون منهما السحر الذي يضرهم في دينهم، ولا ينفعهم في معادهم. فأما في العاجل في الدنيا، فإنهم قد كانوا يكسبون به ويصيرون به معاشا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (122) (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، الفريق الذين لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم، نبدوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، فقال جل ثناؤه: لقد علم النابذون - من يهود بني < 451-2 > إسرائيل - كتابي وراء ظهورهم تجاهلا منهم = التاركون العمل بما فيه من اتباعك يا محمد واتباع ما جئت به، بعد إنزالي إليك كتابي مصدقا لما معهم، وبعد إرسالك إليهم بالإقرار بما معهم وما في أيديهم، المؤثرون عليه اتباع السحر الذي تلتته الشياطين على عهد سليمان، والذي أنزل على الملكين ببايل هاروت وماروت = لمن اشترى السحر بكتابي الذي أنزلته على رسولي فأثره عليه ما له في الآخرة من خلاق. كما:-

1705 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، يقول: قد علم ذلك أهل الكتاب في عهد الله إليهم: أن الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة.

1706 - حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، يعني اليهود. يقول: لقد علمت اليهود أن من تعلمه أو اختاره، ما له في الآخرة من خلاق.

1707 - وحدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، لمن اشترى ما يفرق به بين المرء وزوجه.

1708 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، قال: قد علمت يهود أن في كتاب الله في التوراة: أن من اشترى السحر وترك دين الله، ما له في الآخرة من خلاق. فالنار مثواه ومأواه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وأما قوله: (لمن اشتراه)، فإن " من " في موضع رفع، وليس < 452-2 > قوله: (ولقد علموا) بعامل فيها. لأن قوله: (ولقد علموا)، (123) بمعنى اليمين، فلذلك كانت في موضع رفع. لأن الكلام بمعنى: والله لمن اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق. ولكون قوله: (قد علموا) بمعنى اليمين، حقت بـ " لام اليمين "، فقيل: (لمن اشتراه)، كما يقال: " أقسم لمن قام خير ممن قعد ". وكما يقال: " قد علمت، لعمرؤ خير من أبيك ".

وأما " من " فهو حرف جزاء. وإنما قيل " اشتراه " ولم يقل " يشتروه "، لدخول " لام القسم " على " من ". ومن شأن العرب - إذا أحدثت على حرف الجزاء لام القسم - أن لا ينطقوا في الفعل معه إلا بـ " فعل " دون " يفعل "، إلا قليلاً كراهية أن يحدثوا على الجزاء حادثاً وهو مجزوم، كما قال الله جل ثناؤه: لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ [سورة الحشر: 12]، وقد يجوز إظهار فعله بعده على " يفعل " مجزوماً، (124)

كما قال الشاعر:

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم

ليعلم ربي أن بيتي واسع (125)

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (ما له في الآخرة من خلاق). فقال بعضهم: " الخلاق " في هذا الموضع: النصيب.

* ذكر من قال ذلك:

1709 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: (ما له في الآخرة من خلاق)، يقول: من نصيب.

< 2-453 >

1710 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (ما له في الآخرة من خلاق)، من نصيب.

1711 - حدثني المثنى قال، حدثني إسحاق قال، حدثنا وكيع، قال سفيان: سمعنا في: (وما له في الآخرة من خلاق)، أنه ما له في الآخرة من نصيب.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال بعضهم: " الخلاق " ههنا الحجة.

* ذكر من قال ذلك:

1712 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: (وما له في الآخرة من خلاق)، قال: ليس له في الآخرة حجة.

وقال آخرون: الخلاق: الدين.

* ذكر من قال ذلك:

1713 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، قال الحسن: (ما له في الآخرة من خلاق)، قال: ليس له دين.

وقال آخرون: " الخلاق " ههنا القوام.

* ذكر من قال ذلك:

1714 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح، قال ابن عباس: (ما له في الآخرة من خلاق)، قال: قوام.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى " الخلاق " في هذا الموضع: النصيب. وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب.

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم:

< 2-454 >

1715 - " ليؤبدن الله هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ". (126)

يعني لا نصيب لهم ولا حظ في الإسلام والدين. ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ فِيهَا لَا خَلَقَ لَهُمْ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إلا سراييلُ من قِطْرٍ وأغلال (127)

يعني بذلك: لا نصيب لهم ولا حظ، إلا السراييل والأغلال.

فكذلك قوله: (ما له في الآخرة من خلاق): ما له في الدار الآخرة حظ من الجنة، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين ولا عمل صالح يحازي به في الجنة ويثاب عليه، فيكون له حظ ونصيب من الجنة. وإنما قال جل ثناؤه: (ما له في الآخرة من خلاق)، فوصفه بأنه لا نصيب له في الآخرة، وهو يعني به: لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة دون نصيبه من النار، إذ كان قد دلّ دمه جل ثناؤه أفعالهم - التي نفى من أجلها أن يكون لهم في الآخرة نصيب - على مراده من الخبر، وأنه إنما يعني بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات، وأما من الشرور فإن لهم فيها نصيباً.

< 2-455 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى " شروا " : " باعوا " . (128) فمعنى الكلام إذا: ولبيئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته، كما:

1716 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي (ولبيئس ما شروا به أنفسهم)، يقول: بئس ما باعوا به أنفسهم.

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: وكيف قال جل ثناؤه: (ولبيئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)؟ وقد قال قبل: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ، فكيف يكونون عالمين بأن من تعلم السحر فلا خلاق لهم، وهم يجهلون أنهم بئس ما شروا بالسحر أنفسهم؟

قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته، من أنهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به. ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما معنى الكلام: وما هم ضارون به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولا ينفعهم، وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق. فقلوه: (ليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)، ذم من الله تعالى ذكره فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه، وخبر منه جل ثناؤه عنهم أنهم يئس ما شروا به أنفسهم، برضاهم بالسحر عوضا عن دينهم الذي به نجا أنفسهم من الهلكة، جهلا منهم بسوء عاقبة فعلهم، وخسارة صفقة بيعهم. إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله، ولا يعرف حلاله وحرامه، وأمره ونهيه. < 2-456 > ثم عاد إلى الفريق - الذين أخبر الله عنهم أنهم نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين - فأخبر عنهم أنهم قد علموا أن من اشترى السحر، ما له في الآخرة من خلاق؛ ووصفهم بأنهم يركبون معاصي الله على علم منهم بها، ويكفرون بالله ورسوله، ويؤثرون اتباع الشياطين والعمل بما أحدثته من السحر، على العمل بكتابه ووحيه وتنزيله، عنادا منهم، وبغيا على رسله، وتعديا منهم لحدوده، على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب. فذلك تأويل قوله.

وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ، يعني به الشياطين، وأن قوله: (لو كانوا يعلمون)، يعني به الناس. وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف. وذلك أنهم مجمعون على أن قوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ، معني به اليهود دون الشياطين: ثم هو - مع ذلك - خلاف ما دل عليه التنزيل. لأن الآيات قبل قوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ، وبعد قوله: (لو كانوا يعلمون)، جاءت من الله بدم اليهود وتوبيخهم على ضلالهم، وذما لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم، مع علمهم بخطأ فعلهم. فقلوه: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ، أحد تلك الأخبار عنهم.

وقال بعضهم: إن الذين وصف الله جل ثناؤه بقوله: (وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)، فنفى عنهم العلم، هم الذين وصفهم الله بقوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ . وإنما نفى عنهم جل ثناؤه العلم بقوله: (لو كانوا يعلمون) - بعد وصفه إياهم بأنهم قد علموا بقوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا - من أجل أنهم لم يعملوا بما علموا. وإنما العالم العامل بعلمه، وأما إذا خالف عمله علمه، فهو في معاني الجهال. قال: وقد يقال للفاعل الفعل بخلاف ما ينبغي أن يفعل، وإن كان بفعله عالما: " لو علمت لأقصر " كما قال كعب بن زهير المزني، وهو < 2-457 > يصف ذنبا وغرابا تبعاه لينا من طعامه وزاده:

إذ إذا حضراني قلت: لو تعلمانه!!

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ألم تعلما أي من الزاد مرمل (129)

فأخبر أنه قال لهما: " لو تعلمانه " , فنفي عنهما العلم، ثم استخبرهما فقال:
ألم تعلما؟ قالوا: فكذلك قوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ و (لو كانوا يعلمون)

وهذا تأويل وإن كان له مخرج ووَجْه فإنه خلاف الظاهر المفهوم بنفس
الخطاب، أعني بقوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا وقوله: (لو كانوا يعلمون)، وإنما هو
استخراج. وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب = دون الخفي الباطن
منه، حتى تأتي دلالة - من الوجه الذي يجب التسليم له - بمعنى خلاف دليله
الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن = أولى. (130)

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ولو أنهم آمنوا واتقوا)، لو أن الذين
يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه، "آمنوا" فصدقوا الله
ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم، و " اتقوا " ربهم فخافوه فخافوا عقابه،
فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه - لكان جزاء الله إياهم، وثوابه لهم
على إيمانهم به وتقواهم إياه، خيرا لهم من السحر وما اكتسبوا به، " لو كانوا
يعلمون " أن ثواب الله إياهم على ذلك < 458-2 > خير لهم من السحر
ومما اكتسبوا به. وإنما نفي بقوله: (لو كانوا يعلمون) العلم عنهم: أن يكونوا
عالمين بمبلغ ثواب الله، وقدر جزائه على طاعته.

و " المثوبة " في كلام العرب، مصدر من قول القائل: أثبتك إثابة ووثابا
ومثوبة. فأصل ذلك من: " تاب إليك الشيء " بمعنى: رجع. ثم يقال: " أثبتته
إليك " : أي، رجعته إليك ورددته. فكان معنى " إثابة الرجل الرجل على الهدية
وغيرها " : إرجاعه إليه منها بدلا (131) وردة عليه منها عوضا. ثم جعل كل
معوض غيره من عمله أو هديته أو يد له سلفت منه إليه: مثيبا له. ومنه "
ثواب " الله عز وجل عباده على أعمالهم، بمعنى إعطائه إياهم العوض والجزاء
عليه، حتى يرجع إليهم بدل من عملهم الذي عملوا له.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد زعم بعض نحوي البصرة أن قوله: (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) مما اكتفي - بدلالة الكلام على معناه - عن ذكر جوابه. وأن معناه: ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا، ولكنه استغنى - بدلالة الخبر عن المثوبة - عن قوله: لأثيبوا.

وكان بعض نحوي أهل البصرة ينكر ذلك، ويرى أن جواب قوله: (ولو أنهم آمنوا واتقوا)، (لمثوبة)، وأن " لو " إنما أجيبت " بالمثوبة "، وإن كانت أخير عنها بالماضي من الفعل لتقارب معناه من معنى " لئن " في أنهما جزاءان، فإنهما جوابان للإيمان. فأدخل جواب كل واحدة منهما على صاحبتهما - فأجيبت " لو " بجواب " لئن "، و " لئن " بجواب " لو "، لذلك، وإن اختلفت أجوبتهما، فكانت " لو " من حكمها وحظها أن تجاب بالماضي من الفعل، وكانت " لئن " من حكمها وحظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل - لما وصفنا من تقاربهما. فكان يتأول معنى قوله: (ولو أنهم آمنوا واتقوا): ولئن آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير.

< 2-459 >

وبما قلنا في تأويل " المثوبة " قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1717 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (لمثوبة من عند الله)، يقول: ثواب من عند الله.

1718 - حدثني يونس قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله)، أما " المثوبة "، فهو الثواب.

1719 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير)، يقول: لثواب من عند الله.

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (لا تقولوا راعنا). فقال بعضهم: تأويله: لا تقولوا خلافا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

1720 - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريح، عن عطاء في قوله: (لا تقولوا راعنا)، قال: لا تقولوا خلافاً.

1721 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (لا تقولوا راعنا)، لا تقولوا خلافاً.

1722 - وحدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

1723 - حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن رجل عن مجاهد مثله.

1724 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن مجاهد مثله.

< 2-460 >

وقال آخرون: تأويله: أُرْعِنَّا سمعك. أي: اسمع منا ونسمع منك.

* ذكر من قال ذلك:

1725 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: (راعنا)، أي: أُرْعِنَّا سمعك.

1726 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله جل وعز: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا)، لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك.

1727 - وحدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاک يقول في قوله: (راعنا)، قال: كان الرجل من المشركين يقول: أُرْعِنِي سمعك.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نهى الله المؤمنين أن يقولوا "راعنا". فقال بعضهم: هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الاستهزاء والمسبة، فهى الله تعالى ذكره المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم.

* ذكر من قال ذلك:

1728 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) قول كانت تقوله اليهود استهزاء، فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

1729 - حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: (لا تقولوا راعنا)، قال: كان أناس من اليهود يقولون أرعنا سمعك! حتى قالها أناس من المسلمين: فكره الله لهم ما قالت اليهود فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا)، كما قالت اليهود والنصارى.

< 2-461 >

1730 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)، قال: كانوا يقولون: راعنا سمعك! فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين، فقال الله: (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا).

1731 - وحدث عن المنجاب قال، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: (لا تقولوا راعنا)، قال: كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: راعنا سمعك! وإنما " راعنا " كقولك، عاطنا.

1732 - وحدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) قال: " راعنا " القول الذي قاله القوم، قالوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ عَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ [سورة النساء: 46] قال: " قال: هذا الرأعن " - والراعن: الخطاء - قال: فقال للمؤمنين: لا تقولوا خطاء، كما قال القوم، وقولوا: انظرنا واسمعوا. قال: كانوا ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويكلمونه، ويسمع منهم، ويسألونه وجيبهم. (132)

وقال آخرون: بل هي كلمة كانت الأنصار في الجاهلية تقولها، فنهاهم الله في الإسلام أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1733 - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثني هشيم قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن عطاء في قوله: (لا تقولوا راعنا)، قال: كانت لغة في الأنصار في الجاهلية، فنزلت هذه الآية: (لا تقولوا راعنا) ولكن قولوا أنظرنا) إلى آخر الآية.

< 2-462 >

1734 - حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا هشيم، عن عبد الملك، عن عطاء قال: (لا تقولوا راعنا)، قال: كانت لغة في الأنصار.

1735 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء مثله.

1736 - وحدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: (لا تقولوا راعنا)، قال: إن مشركي العرب كانوا إذا حدث بعضهم بعضا يقول أحدهم لصاحبه: أرعني سمعك! فنهاها عن ذلك.

1737 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج: "راعنا"، قول الساخر. فنهاهم أن يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: بل كان ذلك كلام يهودي من اليهود بعينه، يقال له: رفاعة بن زيد. كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم به على وجه السب له، وكان المسلمون أخذوا ذلك عنه، فنهى الله المؤمنين عن قيله للنبي صلى الله عليه وسلم.

* ذكر من قال ذلك:

1738 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)، كان رجل من اليهود - من قبيلة من اليهود يقال لهم بنو قينقاع - كان يدعى رفاعة بن زيد بن السائب - قال أبو جعفر: هذا خطأ، إنما هو ابن التابوت، ليس ابن السائب - كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لقيه فكلمه قال: (133) أرعني سمعك، واسمع غير مسمع = فكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفخم بهذا، فكان < 2-463 > ناس منهم يقولون: "اسمع غير مسمع" كقولك اسمع غير صاغر = وهي التي في النساء مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالسِّيْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ [سورة النساء: 46]، يقول: إنما يريد بقوله طعنا في الدين. ثم تقدم إلى المؤمنين فقال: "لا تقولوا راعنا". (134)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والصواب من القول في نهى الله جل ثناؤه المؤمنين أن يقولوا لنبه: "راعنا" أن يقال: إنها كلمة كرهها الله لهم أن يقولوها لنبه صلى الله عليه وسلم، نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

1739 - " لا تقولوا للعنب الكرم، ولكن قولوا: الحَبْلَة ". (135)

1740 - و " لا تقولوا: عبدي، ولكن قولوا: فتاي ". (136)

وما أشبه ذلك، من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد في كلام العرب، فتأتي الكراهة أو النهي باستعمال إحداهما، واختيار الأخرى عليها في المخاطبات.

فإن قال لنا قائل: فإننا قد علمنا معنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم في "العنب" أن يقال له "كرم"، وفي "العبد" أن يقال له "عبد"، فما المعنى الذي في قوله: (راعنا) حينئذ، الذي من أجله كان النهي من الله جل ثناؤه للمؤمنين < 464-2 > عن أن يقولوه، حتى أمرهم أن يؤثروا قوله: انظرتا؟

قيل: الذي فيه من ذلك، نظير الذي في قول القائل: "الكرم" للعنب، و "العبد" للمملوك. وذلك أن قول القائل: "عبدي" لجميع عباد الله، فكره للنبي صلى الله عليه وسلم أن يضاف بعض عباد الله - بمعنى العبودية - إلى غير الله، وأمر أن يضاف ذلك إلى غيره، بغير المعنى الذي يضاف إلى الله عز وجل، فيقال: "فتاي". وكذلك وجه نهيه في "العنب" أن يقال: "كرم" خوفاً من توهم وصفه بالكرم، وإن كانت مُسَكَّنة، فإن العرب قد تسكن بعض الحركات إذا تتابعت على نوع واحد. فكره أن يتصف بذلك العنب. فكذلك نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقولوا: "راعنا"، لما كان قول القائل: "راعنا" محتملاً أن يكون بمعنى احفظنا ونحفظك، وارقبنا ونرقيبك. من قول العرب بعضهم لبعض: "رعاك الله": بمعنى حفظك الله وكلاك - ومحتملاً أن يكون بمعنى: أرعنا سمعك، من قولهم: "أرعيت سمعي إرعاء - أو راعيته - سمعي إرعاء أو مراعاة"، بمعنى: فرغته لسماع كلامه. كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

يُرْعِي إلى قول سادات الرجال إذا

أبدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا (137)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني بقوله " يرعى "، يصغي بسمعه إليه مفرغه لذلك.

وكان الله جل ثناؤه قد أمر المؤمنين بتوقير نبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، حتى نهاهم جل ذكره فيما نهاهم عنه عن رفع أصواتهم فوق صوته، وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وخوفهم على ذلك حبوط أعمالهم. (138) < 465-2 > فتقدم إليهم بالزجر لهم عن أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء، وأمرهم أن يتخيروا لخطابه من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها. فكان من ذلك قولهم: (راعنا) لما فيه من احتمال معنى: ارعنا نرعاك، إذ كانت المفاعلة لا تكون إلا من اثنين، كما يقول القائل: " عاطنا، وحادثنا، وجالسنا "، بمعنى: افعل بنا ونفعل بك - (139) ومعنى: أرعنا سمعك، حتى نفهمك وتفهم عنا. فنهى الله تعالى ذكره أصحاب محمد أن يقولوا ذلك كذلك، وأن يفردوا مسألته بانتظارهم وإمهالهم، ليعقلوا عنه بتجيل منهم له وتعظيم، وأن لا يسألوه ما سألوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهم منهم له، ولا بالفضاظة والغلظة، تشبها منهم باليهود في خطابهم نبي الله صلى الله عليه وسلم، بقولهم له: (اسمع غير مسمع وراعنا).

يدل على صحة ما قلنا في ذلك قوله: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، (140) فدل بذلك أن الذي عاتبهم عليه، مما يسر اليهود والمشركين.

فأما التأويل الذي حكى عن مجاهد في قوله: (راعنا) أنه بمعنى: خلافا، فمما لا يعقل في كلام العرب. لأن " راعيت " في كلام العرب إنما هو على أحد وجهين: أحدهما بمعنى " فاعلت " من " الرِّعْيَةِ " وهي الرِّقْبَةُ والكَلَاءَةُ. والآخر بمعنى إفراغ السمع، بمعنى " أرعيته سمعي ". وأما " راعيت " بمعنى " خالفت "، فلا وجه له مفهوم في كلام العرب. إلا أن يكون قرأ ذلك بالتنوين، ثم وجهه إلى معنى الرعونة والجهل والخطأ، على النحو الذي قال في ذلك عبد الرحمن بن زيد، فيكون لذلك - وإن كان مخالفا قراءة القراء - معنى مفهوم حينئذ.

وأما القول الآخر الذي حكى عن عطية ومن حكى ذلك عنه: أن قوله: (راعنا) < 466-2 > كانت كلمة لليهود بمعنى السب والسخرية، فاستعملها المؤمنون أخذا منهم ذلك عنهم، فإن ذلك غير جائز في صفة المؤمنين: أن يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاما لا يعرفون معناه، ثم يستعملونه بينهم وفي خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم. ولكنه جائز أن يكون ذلك مما روي عن قتادة، أنها كانت كلمة صحيحة مفهومة من كلام العرب، وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربي، هي عند اليهود سب، وهي عند العرب: أرعني سمعك وفرغه لتفهم عني. فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود في قيلهم ذلك

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن معناها منهم خلاف معناها في كلام العرب،
فنهى الله عز وجل المؤمنين عن قيلها للنبي صلى الله عليه وسلم، لئلا
يجترأ من كان معناه في ذلك غير معنى المؤمنين فيه، أن يخاطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم به. وهذا تأويل لم يأت الخبير بأنه كذلك، من الوجه
الذي تقوم به الحجة. وإذ كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الآية ما
وصفنا، إذ كان ذلك هو الظاهر المفهوم بالآية دون غيره.

وقد حكى عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: (لا تقولوا راعنا) بالتنوين،
بمعنى: لا تقولوا قولاً "راعنا"، من "الرعونة" وهي الحمق والجهل. وهذه
قراءة لقراء المسلمين مخالفة، فغير جائز لأحد القراءة بها لشذوذها وخروجها
من قراءة المتقدمين والمتأخرين، وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين.

ومن نون "راعنا" نونه بقوله: (لا تقولوا)، لأنه حينئذ عامل فيه. ومن لم ينونه
فإنه ترك تنوينه لأنه أمر محكي. لأن القوم كأنهم كانوا يقولون للنبي صلى
الله عليه وسلم: (راعنا)، بمعنى مسألته: إما أن يرعيهم سمعه، وإما أن يرعاهم
وبرقبهم - على ما قد بينت فيما قد مضى - ف قيل لهم: لا تقولوا في مسألتكم
إياه "راعنا". فتكون الدلالة على معنى الأمر في "راعنا" حينئذ سقوط الياء
التي كانت < 467-2 > تكون في "يراعيه" ويدل عليها - أعني على "الياء"
الساقطة - كسرة "العين" من "راعنا".

وقد ذكر أن قراءة ابن مسعود: (لا تقولوا راعونا)، بمعنى حكاية أمر صالحة
لجماعة بمراعاتهم. فإن كان ذلك من قراءته صحيحاً، وجه أن يكون القوم
كأنهم نهوا عن استعمال ذلك بينهم في خطاب بعضهم بعضاً، كان خطابهم
للنبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره. ولا نعلم ذلك صحيحاً من الوجه الذي
تصح منه الأخبار.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقُولُوا انظُرْنَا

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وقولوا انظُرنا)، وقولوا يا أيها المؤمنون
لنبيكم صلى الله عليه وسلم: انظُرنا وارقبنا، نفهم وتبين ما تقول لنا، وتعلمنا،
كما:

1741 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن
ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وقولوا انظُرنا) فهمنا، بين لنا يا محمد.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1742 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: (وقولوا انظرونا) فهمنا، بين لنا يا محمد.

1743 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

يقال منه: " نظرت الرجل أنظره نظرة " بمعنى انتظرته ورقبته، ومنه قول الحطيئة:

< 2-468 > وقد تَظَرَّتْكُمْ أَغْشَاءُ صَادِرَةٍ

للخمس، طال بها حَوْزِي وَتَسَاسِي (141)

ومنه قول الله عز وجل: يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ [سورة الحديد: 13]، يعني به: انتظرونا.

وقد قرئ " أنظرنا " و " أنظرونا " بقطع " الألف " في الموضعين جميعا (142) فمن قرأ ذلك كذلك أراد: أخرنا، كما قال الله جل ثناؤه: قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [سورة ص: 79]، أي أخرني. ولا وجه لقراءة ذلك كذلك في هذا الموضع. لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمروا بالدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاستماع منه، وإلطف الخطاب له، وخفض الجناح - لا بالتأخر عنه، ولا بمسأله تأخيرهم عنه. فالصواب - إذ كان ذلك كذلك - (143) من القراءة قراءة من وصل الألف من قوله: (انظرونا)، ولم يقطعها بمعنى: انتظرونا.

وقد قيل: إن معنى (انظرونا) بقطع الألف بمعنى: أمهلنا. حكى عن بعض > 2-469 < العرب سماعا: " أنظرني أكلمك "، وذكر سامع ذلك من بعضهم أنه استثبته في معناه، فأخبره أنه أراد أمهلي. فإن يكن ذلك صحيحا عنهم " فانظرنا " و " أنظرنا " - بقطع " الألف " ووصلها - متقاربا المعنى. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن القراءة التي لا أستجيز غيرها، قراءة من قرأ: (وقولوا انظرونا)، بوصل " الألف " بمعنى: انتظرونا، لإجماع الحجة على تصويبها، ورفضهم غيرها من القراءات.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى **وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (104)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (واسمعوا)، واسمعوا ما يقال لكم ويتلى عليكم من كتاب ربكم، وعُوه وافهموه، كما:-

1744 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (واسمعوا)، اسمعوا ما يقال لكم.

فمعنى الآية إِدًّا: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لنيكم: راعنا سمعك وفرغه لنا نفهمك وتفهم عنا ما نقول. ولكن قولوا: انتظرنا وترقبنا حتى نفهم عنك ما تعلمنا وتبينه لنا. واسمعوا منه ما يقول لكم، فعوه واحفظوه وافهموه. ثم أخبرهم جل ثناؤه أن لمن جحد منهم ومن غيرهم آياته، وخالف أمره ونهيه، وكذب رسوله، العذاب الموجه في الآخرة، فقال: وللكافرين بي وبرسولي عذاب أليم. يعني بقوله: "الأليم"، الموجه. وقد ذكرنا الدلالة على ذلك فيما مضى قبل، وما فيه من الآثار. (144)

< 2-470 >

القول في تأويل قوله تعالى: **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ**

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (ما يود)، ما يحب، أي: ليس يحب كثير من أهل الكتاب. يقال منه: "ود فلان كذا يوده ودا وودا ومودة".

وأما "المشركين" (145) فإنهم في موضع خفض بالعطف على "أهل الكتاب". ومعنى الكلام: ما يحب الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم.

وأما (أن) في قوله: (أن ينزل) فنصب بقوله: (يود). وقد دللنا على وجه دخول "من" في قوله: (من خير) وما أشبه ذلك من الكلام الذي يكون في أوله جحد، فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. (146)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فتأويل الكلام: ما يجب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان، أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله فنزله عليكم. (147) فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوجاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم من حكمه وآياته، وإنما أحببت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك، حسدا وبغيا منهم على المؤمنين.

وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين، والاستماع من قولهم، وقبول شيء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد، وإن أظهروا بالسنتهم خلاف ما هم مستبطنون.

< 2-471 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (والله يختص برحمته من يشاء): والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له. و " اختصاصه " إياهم بها، أفرادهم بها دون غيرهم من خلقه. وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه، وهدايته من هدى من عباده، رحمة منه له ليصيره بها إلى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة، واستحقاقه بها ثناءه. وكل ذلك رحمة من الله له.

وأما قوله: (والله ذو الفضل العظيم). فإنه خير من الله جل ثناؤه عن أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداء وتفضلا منه عليهم، من غير استحقاق منهم ذلك عليه.

وفي قوله: (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)، تعريض من الله تعالى ذكره بأهل الكتاب: أن الذي أتى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من الهداية، تفضل منه، (148) وأن نعمه لا تدرك بالأمانى، ولكنها مواهب منه يختص بها من يشاء من خلقه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

- (1) في تفسير ابن كثير 1 : 249 : "ما يكون في الأرض . . أو غيب" .
- (2) لا تأكلونه : أي لا تنفدونه أبدا . يقال : أكل فلان عمره : إذا أفناه .
- (3) في المطبوعة : "فقام" ، والصواب ما أثبتته من تفسير ابن كثير .
- (4) الأثر : 1646 - في تفسير ابن كثير 1 : 249 .
- (5) خاصمني فخصمته أخصمه : غلبته بالحجة في خصومي .
- (6) في تفسير ابن كثير : "تحت كرسي مجلس سليمان" .
- (7) الأثر : 1647 - في تفسير ابن كثير 1 : 249 - 250 .
- (8) في تفسير ابن كثير : "صنفوا أصناف السحر" . وهي أجود .
- (9) في المطبوعة : "لمحمد صلى الله عليه وسلم" ، والذي أثبتته مقتضى سياق كلامهم .
- (10) إلى هنا انتهى ما نقله ابن كثير في تفسيره عن أبي جعفر 1 : 250 ، أما سائر الخبر ، فإنه رواه في 1 : 247 ، وصدره بقوله : "وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى : "واتبعوا ما تتلو الشياطين" الآية - وكان حين ذهب ملك سليمان . . " ، وساق الخبر بنصه هذا . فلست أدري أفي نسخ الطبري سقط ، أم هذه جزء من رواية الطبري عن ابن إسحاق من حديث ابن عباس .
- (11) الفئام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه .
- (12) حدثان الشيء (بكسر فسكون) : أوله وابتدأؤه وقرب العهد به . وهو منصوب على الظرفية .
- (13) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 38 - 39 .
- (14) الأثر : 1651 - في تفسير ابن كثير 1 : 250 .
- (15) الأثر : 1654 - كان في المطبوعة : "سالم بن جنادة" ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر رقم : 48 في الجزء الأول . وهو جزء من خبر سيأتي برقم : 1660 .
- (16) الأثر : 1655 - في المطبوعة "العبقرى" ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر رقم : 1625 .
- (17) الأثر : 1656 - في المطبوعة "نصر بن عبد الرحمن الأودي" ، وهو خطأ وانظر التعليق على الأثر : 423 في الجزء الأول .
- (18) "هنالك تتلو" إحدى القراءتين ، والأخرى "هنالك تيلو" ، وهي التي في مصاحفنا اليوم وقال أبو جعفر في تفسيره 11 : 79 "إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل منهما أئمة من القراء" .
- (19) ديوانه : 88 ، من أبيات قالها حسان في خبر أم معبد ، حين خرج رسول الله مهاجرا إلى المدينة . ورواية الديوان : "في كل مسجد" ، ورواية الطبري أمثل .
- (20) كان ينبغي أن يكون في هذا المكان تفسير قوله "ما تتلو" الذي سيأتي في : 418

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (21) انظر ما سلف 1 : 299 .
- (22) في المطبوعة : "وكما قال : فعلت كذا .. " ولا يستقيم إلا على تمرير
- (23) قوله : "وما هذا الكلام" الإشارة فيه إلى الآية التي يؤولها : "وما كفر سليمان" يقولون : ما مكان هذا الكلام - من هذا الكلام وهو قوله : "واتبعوا ما تتلو الشياطين" .
- (24) في المطبوعة "لأنفسهم" ، والصواب إسقاط هذه اللام ، كما يدل عليه السياق .
- (25) سياق العبارة : "وتبرأ .. من سليمان .. منهم بشر" . ولعل "بشر" هذه "نفر" ، أي جماعة . يقول : تبرأت جماعة أخرى من سليمان ، إذ نسب إلى السحر ، وكفروه .
- (26) الأثر : 1659 - في تفسير ابن كثير 1 : 250 .
- (27) الأثر : 1660 - انظر الأثر السالف : 1654 والتعليق عليه .
- (28) الأثر : 1661 - في تفسير ابن كثير 1 : 251 ، وفيه "فزاد الناس" .. مكان "فرأى" والصواب ما في الطبري .
- (29) في تفسير ابن كثير : "فإذا جرت منه وصدق" ، ولعلها تصحيف .
- (30) في تفسير ابن كثير : "حتى بقاياها" .
- (31) الأثر : 1662 - في تفسير ابن كثير 1 : 248 - 249 ، مع اختلاف في بعض اللفظ غير الذي أثبتته .
- (32) في المطبوعة : "وأعلموهم إياه" ، وقد مضى في رقم : 1652 ، "وعلموهم" ، وكذلك أثبتنا هنا .
- (33) في المطبوعة : "فتتبع تلك الكتب" بزيادة الفاء ، ولا موضع لها .
- (34) الأثر : 1665 - كان في المطبوعة : "حدثنا القاسم قال حدثنا حجاج" أسقط منه "قال حدثنا الحسين" ، وهو إسناد دائر في الطبري ، أقربه إلينا رقم : 1657 ، وسيأتي في الذي يلي .
- (35) الأثر : 1666 - في تفسير ابن كثير 1 : 251 .
- (36) الأثر : 1667 - سيرة ابن هشام 2 : 192 - 193 .
- (37) في المطبوعة : "فتبين" وما أثبت أشبه بعبارة الطبري .
- (38) انظر ما سلف قريبا : 411 .
- (39) قوله : "وتوجيه من وجه ذلك أن : تتلو - بمعنى : تلت" لم يأت هنا في تفسير الآية ، بل جاء في تفسير آية مضت من سورة البقرة : 91 ، ص 350 - 352 .
- (40) هذه الفقرة ، والأخرى التي قبلها ، والأثر الآتي رقم : 1669 ، كان أولى أن تكون في آخر تفسير قوله : "ما تتلو الشياطين" فيما مضى : 411 .
- (41) الأثر : 1669 - سيرة ابن هشام 2 : 192 .
- (42) في المطبوعة وابن كثير : "وأن الذين يعلمونهم" ، وما أثبت هو الصواب .
- (43) "الترجمة" عند الكوفيين هي "البدل" ، وانظر ما سلف 2 : 340 وانظر ما سيأتي : 423 . والزيادات التي بين الأقواس في هذه الفقرة ، من تفسير ابن كثير 1 : 252 ، وقد نقل كلام الطبري بنصه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(44) حاف له يحيف حيفا : مال معه فجاز وظلم غيره . وحاف عليه : ظلمه وجار عليه .

(45) الأثر : 1673 - هو من تنمة الأثر السالف : 1646 ، ويرجع الضمير في قوله : "وخاصموه به أيضًا - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اليهود ، كما تبين ذلك من مراجعة الأثر هناك .

(46) كان في المطبوعة هنا : "وقالوا : إن قال لنا قائل . . . " والضمير في "قالوا" ، لا يعود إلى المذكورين قبل . وكأن الناسخ تعاضمه أن يكون الرد الآتي من كلام أبي جعفر ، فحذف ما جرى عليه في تفسيره من قوله "قال أبو جعفر" ، وأقحم "وقالوا" مكانها ، ثم زاد فحشا هذه الفقرات الآتية بكلمته "وقالوا" ، كما سنبينه في مواضعه من التعليق . وهذا أسلوب لم يطرقه أبو جعفر قط في تفسيره كله .

والذي استبشعه بعض النساخ - فيما نرجح - سيأتي بعد قليل في ص 423 - 426 بأوضح مما قاله هنا . وقد عد ابن كثير قول أبي جعفر مسلكا غريبا ، فقال في تفسيره 1 : 253 ، وذكر ما ذكره أبو جعفر من قول من قال "ما" بمعنى "لم" فقال : "ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول ، وأن "ما" بمعنى "الذي" ، وأطال القول في ذلك ، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض ، وأذن لهما في تعليم السحر ، اختبارا لعباده وامتحانا ، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على السنة الرسل ، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك ، لأنهما امتثلا ما أمرا به . وهذا الذي سلكه غريب جدا" .

ولست أستنكر ما قاله أبو جعفر ، كما استنكره ابن كثير ، ولو أنت أنصفت وتتبع كلام أبي جعفر ، لرأيت فيه حجة بينه ساطعة على صواب مذهبه الذي ذهب إليه ، ولرأيت دقة ولطفا في تناول المعاني ، وتدبير الألفاظ ، لا تكاد تجدهما في غير هذا التفسير الجليل القدر .

(47) كان في المطبوعة هنا : "(قالوا) ليس في العلم . . ." انظر ما سلف .

(48) كان في المطبوعة هنا : "(قالوا) فليس في إنزال الله . . ." انظر ما سلف .

(49) كان في المطبوعة هنا : "(قالوا) ولو كان الله أباح . . ." انظر ما سلف .

(50) استعمل أبو جعفر : هو "حرج" - على وزن : هو "فرح" - بمعنى : آثم . وأهل اللغة ينكرون ذلك . لا يقال للآثم إلا "الحارج" على النسب . لأن "الحرج" بمعنى الإثم ، لا فعل له . ولعل الناسخ أخطأ فكتب "حرجا" . . . و"حرجين" مكان "حارجا" . و"حارجين" ، بمعنى : آثم ، وآثمين ، ولكني تركتها هنا على حالها مخافة أن تكون من كلام أبي جعفر خطأ اجتهد ، أو صوابا علمه هو لم يبلغنا .

(51) سيأتي بيان قوله هذا كله بأوفى من هذا وأتم في ص : 423 - 426 .

(52) الخبر : 1679 - يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري : إمام معروف ،

يروى عنه الطبري كثيرا ، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة . وقال ابن أبي

حاتم 4 / 2 / 243 : "كُتبت عنه ، وأقمت عليه سبعة أشهر" . وقال : "سمعت

أبي يوثق يونس بن عبد الأعلى ، ويرفع من شأنه" . ولد سنة 170 ، ومات

سنة 264 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما شيخه هنا فهو : "أنس بن عياض بن ضمرة" : وهو ثقة ، خرج له أصحاب الكتب الستة . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 34/ 2/ 1 ، وابن أبي حاتم 289/ 1/ 1 .

وكتب في المطبوعة "بشر" بدل "أنس" . وهو تحريف واضح . صوابه في ابن كثير 1 : 253 ، نقلا عن هذا الموضوع من الطبري . ولم نجد في الرواة من يسمى "بشر بن عياض" أبدا .

(53) في المطبوعة : "فتنفي . . ." بزيادة فاء لا خير فيها .

(54) انظر معنى "الترجمة" أنقًا : 420 تعليق : 2 .

(55) في المطبوعة "يعلمان الناس السحر" وهو خطأ. وانظر ما سلف: 420.

(56) في المطبوعة : "ما يفرق" ، والصواب ما أثبت .

(57) يقول في سياقه : قد ارتفع من بني آدم - السحر ، والعلم به والعمل .

(58) بطل الشيء يبطل بطلا وبطولا وبطلانا . وهذا باطل بين البطول

والبطلان .

(59) هذه حجة رجل يبصر دقيق المعاني ، ولا يغفل عن مواضع السقط في

كلام من يتكلم وهو لا يضبط ما يقتضيه كلامه . وقد استخف به ابن كثير ،

لأنه لم يضبط ما ضبطه هذا الإمام المتمكن من عقله وفهمه .

(60) الخبر : 1681 - أبو شعبة العدوي ، هذا الذي يروى هنا عن ابن عباس :

لم أعرف من هو؟ ولا وجدت له ذكرا في شيء من المراجع . والراجح عندي

أن اسمه محرف عن شيء لا أعرفه .

(61) في تفسير ابن كثير 1 : 256 ، والدر المنثور 1 : 99 : "ربنا ، لا

تمهلهم" ، وكأنها هي الصواب ، وإن كانت الأولى صحيحة المعنى .

(62) هذه العبارة صحيحة المعنى ، ولكنها جاءت في تفسير ابن كثير : "إني

أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ، وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم

، ولو نزلتم لفعلتم أيضًا" . وجاءت في الدر المنثور : "إني أزلت الشهوة

والشيطان من قلوبكم ، ولو نزلتم لفعلتم أيضًا" . مختصرا .

(63) في المطبوعة : "وكانت الملائكة" بالواو ، والصواب من ابن كثير والدر

المنثور .

(64) الخبر : 1682 - الحجاج بن المنهال الأنماطي : ثقة فاضل ، أخرج له

الجماعة . شيخه "حماد" : الراجح عندنا أنه "حماد بن سلمة" ، وإن كان في

التهذيب أنه يروى عن "الحمادين" ، يعني حماد بن زيد وحماد بن سلمة . ولكن

اقتصر البخاري في ترجمته في الكبير 376 / 2/ 1 على ذكر "حماد بن سلمة" ،

وكذلك صنع ابن أبي حاتم 167/ 2/ 1 . فصنيعهما يدل على أنه عرف بالرواية

عنه أكثر - ووقع في المطبوعة هنا "حجاج" بدل "حماد" . والتصحيح من ابن كثير

1 : 256 ، إذ نقل هذا الخبر عن الطبري .

(65) الخبر : 1683 - خالد الحذاء : هو "خالد بن مهران" ، ثقة كثير الحديث .

مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 159/ 2/ 2 ، وابن أبي حاتم 1 / 2/ 1

. 352 - 353 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عمير بن سعيد النخعي : تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 376/ 1/ 3 . ووقع في المطبوعة هنا "عمرو" بدل "عمير" . وهو خطأ ، صوابه في ابن كثير 1 : 255 عن رواية الطبري هذه .

والخبر رواه الحاكم في المستدرک 2 : 265 - 266 ، مطولا ، من طريق إسماعيل بن أبي خالد ، "عن عمير بن سعيد النخعي قال : سمعت عليا . . " ، فذكره بطوله .

(66) الخبر: 1684 - راه البخاري بإسنادين: من طريق مؤمل بن إسماعيل، ومن طريق عبد الرزاق، كلاهما عن الثوري. موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي: هو صاحب المغازي، كان ثقة ثبتا. كان مالك يقول: "عليكم بمغازي موسى بن عقبة، فإنه ثقة". وهو مترجم في الكبير للبخاري 292 / 1 / 4 وابن أبي حاتم 154/ 1 / 4 - 155.

والذي أثبتنا هو الصواب، وكان في المطبوعة "محمد بن عقبة"، بدل "موسى". و"محمد ابن عقبة": هو أخو موسى بن عقبة. وهو ثقة أيضًا، مترجم في التهذيب، والكبير 198/ 1/ 1 - 199، وابن أبي حاتم 4/1/35.

وكان من المحتمل أن يكون ما في المطبوعة صحيحا، لأن سفيان الثوري يروي عن محمد بن عقبة، كما يروي عن أخيه موسى. لولا الدلائل والقرائن، التي جزمنا معها بخطأ ذلك:

فأولا: أن محمد بن عقبة لم يذكر في ترجمته بالرواية عن سالم بن عبد الله بن عمر.

وثانيا: أن ابن كثير نقل هذا الخبر عن تفسير عبد الرزاق، عن الثوري، عن موسى بن عقبة 1: 255، ثم ذكر أن الطبري رواه من طريق عبد الرزاق. وثالثا: الخبر ثابت في تفسير عبد الرزاق، في نسخة مصورة عندي، عن مخطوطة دار الكتب المصرية، المكتوبة سنة 724. وفيها "عن موسى بن عقبة".

فاتفق على هذا الكتابان: الكتاب الذي نقل عنه الطبري، والكتاب الذي نقل عن الطبري.

ورابعا: أن ابن كثير قال أيضًا: "رواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن عصام، عن مؤمل، عن سفيان الثوري، به".

والطبري هنا رواه - كما ذكرنا - عن مؤمل بن إسماعيل، عن الثوري. فاتفقت روايته مع رواية ابن أبي حاتم.

وليس بعد هذا ثبت ويقين.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(67) الخبر: 1685 - هو تكرر للخبر قبله، من رواية عبد العزيز بن المختار، عن موسى ابن عقبة. وعبد العزيز بن المختار الدباغ: ثقة، روى له الجماعة. مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم 2/393 - 394.

(68) في ابن كثير 1 : 259 : "فثبتت مكانها".

(69) في ابن كثير 1 : 259 : "الهلكة"، وهما سواء .

(70) ما أدري ما يعني بقوله : "إنهم في غيب"، إلا أن يكون أراد الغيب : وهو ما غيبك من الأرض ، لبعده وانقطاعه ، وهبوطه عما حوله . كأنه يقول : إنهم في مكان غيبهم عما تشهدون أنتم - أيتها الملائكة - من آيات ربكم . وانظر ص : 433 .

(71) في تفسير ابن كثير 1 : 257 : "فجعل لهما . . .".

(72) في تفسير ابن كثير : "أتيا عليها".

(73) في المطبوعة : "فصبرا ما شاء الله"، وفي ابن كثير : "فعبرا". وغير : مكث وبقى .

(74) انظر ص : 432 تعليق : 1 .

(75) الأثر : 1687 - في تفسير ابن كثير 1 : 257 - 258 عن أبي حاتم قال : "أخبرنا عصام بن رواد ، أخبرنا آدم ، أخبرنا أبو جعفر ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما"، وهو غير إسناد ابن جرير ، وكلاهما من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس ، ولكن ابن جرير لم يرفعه إلى ابن عباس . ونصهما واحد إلا بعض خلاف يسير في بعض اللفظ .

(76) في المطبوعة : "قالها مرتين أو ثلاثا"، والصواب من ابن كثير في تفسيره 1 : 255 ، والدر المنثور 1 : 97 .

(77) في ابن كثير : "أو قال - قال لي رسول الله . . .".

(78) الفرج بن فضالة التنوخي القضاعي : ضعيف قال البخاري : "منكر الحديث"، وهو مترجم في التهذيب ، والكبير 4 / 1/134 ، والصغير : 192 ، 199 ، والضعفاء للبخاري : 29 ، والنسائي : 25 ، وابن أبي حاتم 3 / 2 / 85 - 86 .

وهذا الحديث هنا مختصر . وقد رواه الخطيب في ترجمة سنيد ، مطولا ، من طريق عبد الكريم بن الهيثم ، عن سنيد ، بهذا الإسناد .

وهذه الأخبار ، في قصة هاروت وماروت ، وقصة الزهرة ، وأنها كانت امرأة فمسخت كوكبا - أخبار أهل العلم بالحديث . وقد جاء هذا المعنى في حديث مرفوع ، ورواه أحمد في المسند : 6178 ، من طريق موسى بن جبير ، عن نافع ، عن ابن عمر . وقد فصلت القول في تعليقه في شرح المسند ، ونقلت قول ابن كثير في التفسير 1 : 255 "وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأخبار ، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم". واستدل بروايتي الطبري السالفتين : 1684 ، 1685 عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأخبار .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد أشار ابن كثير أيضًا في التاريخ 1 : 37 - 38 قال : "فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين ، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار ، وتلقاه عنه طائفة من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية والتحدث عن بني إسرائيل " . وقال أيضًا ، بعد الإشارة إلى أسانيد آخر : "وإذا أحسنا الظن قلنا : هذا من أخبار بني إسرائيل ، كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار . ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها" .

وقال في التفسير أيضًا 1 : 260 ، بعد ذكر كثير من الروايات التي في الطبري وغيره : "وقد روى في قصة هاروت وماروت ، عن جماعة من التابعين ، كمجاهد ، والسدي والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والزهري ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين ، من المتقدمين والمتأخرين . وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى . وظاهر سياق القرآن إجمال القصة" من غير بسط ولا إطناب فيها . فنحن نؤمن بما ورد في القرآن ، على ما أراده الله تعالى . والله أعلم بحقيقة الحال" .

وهذا هو الحق ، وفيه القول الفصل . والحمد لله .
(79) في ابن كثير 1 : 259 : "أعجبتم من بني آدم . . وإنكما ليس بيني وبينكم رسول" .

(80) في ابن كثير : "فأمرهما بأمر ونهاهما" .

(81) في ابن كثير : "قالا وقضيا لها فأتتهما" ، وليس بصواب .

(82) في ابن كثير : "فجزا ولم يؤذن لهما ، وهما سواء" .

(83) في ابن كثير : "فقالا : ألا تعلم أن أفواج عذاب الله . . وفي الدنيا تسع مرات مثلها" . وفي الدر المنثور : "فقالا : نعلم أن أفواج عذاب الله . . نعم ، ومع الدنيا سبع مرات . . " وقوله "ومع الدنيا . . " أي إذا قيس بعذاب الدنيا ، كان سبعة أمثال عذابها .

(84) الأثر : 1689 - في تفسير ابن كثير 1 : 259 - 260 ، وفي الدر المنثور 1 : 102 :

(85) انظر ما سلف ص : 425 - 426 .

(86) الأثر : 1690 - هو الأثر السابق 1686 .

(87) الأثر : 1691 الحسين : هو سنيد ، كما مضى مرارا .

حجاج : هو ابن محمد المصيبي الأعور ، وهو ثقة رفيع الشأن ، من شيوخ أحمد وابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/376 ، وابن أبي حاتم 1/2/166 ، وتاريخ بغداد 8 : 236 - 239 .

وهذا الخبر قطعة من خبر مطول ، سيأتي : 1692 ، من طريق ابن أبي الزناد أيضًا .

(88) الحديث : 1692 - أحمد بن الوليد ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو؟ وسفيان بن وكيع بن الجراح : ضعيف قال البخاري في التاريخ الصغير ، ص :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

246"يتكلمون فيه لأشياء لقنوه". وقال النسائي في الضعفاء ، ص : 16"ليس بشيء". بل اتهمه أبو زرعة بالكذب . ودفع عنه أبو حاتم هذه السبة ، وإنما جاء ذلك من وراقه ، أفسد عليه حديثه . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 2/1/231 - 232 ، والمجروحين لابن حبان (مخطوط مصور) ، رقم : 470 . وليس ضعفه بسبب لضعف هذا الحديث فقد جاء بإسناد صحاح ، سنشير إليها في الحديث التالي .

يحيى بن سعيد : هو القطان الإمام الحافظ .
(89) الحديث: 1693- هو تكرر للحديث السابق بإسناد آخر، رواه سفيان بن وكيع عن ابن نمير.

ابن نمير: هو عبد الله بن نمير الهمداني: ثقة صاحب سنة، روى عنه الأئمة، أحمد، وابن المديني. مترجم في التهذيب، وابن سعد 6: 274 - 275. وابن أبي حاتم 2/ 2/ 186.

وهذا الحديث - بطريقه - مختصر من حديث مطول: أما من رواية ابن نمير، فقد رواه أحمد في المسند 6: 57 (حلي) عن ابن نمير. ورواه مسلم في صحيحه 2: 180، عن أبي كريب. ورواه ابن ماجه: 3545، عن أبي بكر بن شيبه - كلاهما عن ابن نمير، به مطولا.

وقد رواه كثير من الثقات الأثبات عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة:

فرواه أحمد في المسند 6: 63، من طريق معمر. ورواه أحمد أيضًا 6: 63، من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، وكذلك رواه البخاري 10: 201، ومسلم 2: 180 - كلاهما من طريق أبي أسامة. ورواه أحمد أيضًا 6: 96، وابن سعد 4/ 2/ 2 - كلاهما من طريق وهيب. ورواه البخاري 10: 192 - 197، من طريق عيسى بن يونس. و 10: 199 - 201، من طريق ابن عيينة. و 10: 400، من طريق سفيان، وهو ابن عيينة. و 11: 163، من طريق أنس ابن عياض أبي ضمرة. ورواه أيضًا 6: 239، معلقا من رواية الليث بن سعد، - كل هؤلاء رووه عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وقال البخاري 10: 197، عقب رواية عيسى بن يونس: أنه سمعه قبل ذلك من ابن جريح"يقول: حدثني آل عروة عن عروة"، وأنه - أي ابن عيينة - سأل هشاما عنه، فحدثه به عن أبيه عن عائشة.

وذكر ابن كثير بعض طرقه، في تفسير سورة الفلق 9: 353 - 354. وإنما فصلنا القول في طرقه هنا، لأن الطبري لم يذكره هناك في موضعه.

وقد ثبت مثل هذه القصة من حديث زيد بن أرقم. رواه أحمد في المسند 4: 367 (حلي)، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن يزيد بن حبان، عن زيد بن أرقم، به وهذا إسناد صحيح. يزيد بن حبان أبو حيان التيمي: تابعي ثقة، مترجم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

في التهذيب، والكبير للبخاري 2/324 /4 - 325، وابن أبي حاتم 255/ 2/ 4 - 256.

ورواه أيضًا ابن سعد 2/2/6، عن موسى بن مسعود، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن ثمامة المحلمي، عن زيد بن أرقم. وهذا إسناد صحيح أيضًا. موسى بن مسعود النهدي: سبق توثيقه: 280. و"ثمامة بن عقبة المحلمي": ثقة. مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري 176/ 2/ 1، والجرح 1/1/465 - 466. و"المحلمي" بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة بعدهما ميم، نسبة إلى "محلم بن تميم".

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 6: 281، بروايتين، وقال: "رواه النسائي باختصار"، ثم قال: "رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح".

وذكره الحافظ في الفتح 10: 194 أنه "صححه الحاكم وعبد حميد".

وقصة السحر هذه عرض لها كثير من أهل عصرنا بالإنكار؛ وهم في إنكارهم مقلدون، ويزعمون أنهم بعقلهم يهتدون. وقد سبقهم إلى ذلك غيرهم، ورد عليهم العلماء:

فقال الحافظ في الفتح 10: 192 "قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ! 10: 192" قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل. وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أنه يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم ! وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء!! قال المازري: وهذا كله مردود. لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه. فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها - فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر، كالأمراض. فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، مع عصمته عن مثل ذلك من أمور الدين". ثم أفاض الحافظ في هذا البحث الدقيق، بقوته المعروفة، في جمع الروايات وتفسيرها، بما لا يدع شكًا عند من ينصف. وعقد القاضي عياض فصلا جيدا في هذا البحث، في كتاب الشفاء. انظره في شرح العلامة على القارئ 2: 190 - 193 من طبعة بولاق سنة 1257.

(90) الحديث : 1694 - هذا في معنى الحديثين قبله . ولكن هذا مرسل . وقد روى ابن سعد 2/2/5 ، نحوه مختصرا ، عن الزهري ، "عن ابن المسيب وعروة بن الزبير قالا : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سحرتني يهود بني زريق" . وقد أشار الحافظ في الفتح 10 : 193 إلى أن مرسل سعيد بن المسيب رواه عبد الرزاق ، وذكر من بعض ألفاظه ما يدل على أنه أطول مما هنا . وقوله "بئر حزم" ، لا يعرف . والذي في الروايات جميعا : "بئر ذروان" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (91) في المطبوعة : "فضل" ، وهو خطأ .
(92) سياق العبارة : "أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين . . وصحة ما قلنا" معطوفا .
(93) يقال : "كان في حدثان كذا وكذا" (بكسر فسكون) ، و"في حادثه" : أي على قرب عهد به .
(94) يشفيها : أي يجيئها بما يبلغ بها سكينه القلب فتبرأ من حيرتها . ومنه : "شفاء العي السؤال" . والجهل والحيرة مرض القلوب والنفوس .
(95) في ابن كثير 1 : 260 : "فلم يكن شيء" ، والصواب ما هنا وفي الدر المنثور 1 : 101 وقولها : "فلم يكن كشيء" عبارة جيدة ، بمعنى : لم يكن ما مضى كشيء يعد ، بل أقل من القليل . والعرب تقول : تأخرت عنك شيئاً ، أي قليلاً . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة .

وقالت لهن : اربعن شيئاً ، لعلني

وإن لامني فيما ارتأيت مليم

- أي قفن قليلاً . ويقولون في مثل ذلك أيضاً : "لم يكن إلا كلا ولا" ، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة .
(96) في المطبوعة : "فقلا ، اذهبي . . " ، وأثبت ما في الدر المنثور وابن كثير ، فهي أجود .
(97) في المطبوعة : "فأبيت" بحذف "فأربيت" . وأرب بالمكان لزمه ولم يبرحه . والزيادة من ابن كثير في الموضعين .
(98) يقال : أنت على رأس أمرك ، وعلى رئاس أمرك : أي في أوله وعلى شرف منه . وزعم الجوهري أن قولهم : "على رأس أمرك" من كلام العامة ، وهذا الخبر ينقض ما قال .
(99) في تفسير ابن كثير والدر المنثور : "قرأيت فارساً" ، وما هنا صواب جيد .

- (100) في هذه الفقرة كلمات لم تثبتها كتب اللغة ، سأذكرها في مدرج شرحها . "أطلعي فأطلعت" أي أخرجي شطأك ، من قولهم : أطلع الزرع ، إذا بدا أول نباته من الأرض . "أحقل الزرع : تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه . "أفركي فأفركت" ، أي كوني فريكا . وهو حب السنبل إذا اشتد وصلح أن يفرك . أفرك السنبل : صار فريكا ، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل . و"أبيسي فأبيست" أي كوني حبا يابسا ، أبيس البقل : يبس وجف . "أطحنني فأطحنت" . أي كوني طحينا . ولم يرد في كتب اللغة : "أطحن" ، ولكنها أتبع هذا الحرف ما مضى من أخواته ، وهي عربية سليمة ماضية على سنن اللغة في هذا الموضع . "أخبزي فأخبزت" ، أي كوني خبزا يؤكل ، وهذه أيضاً لم ترد في كتب اللغة ، ولكنها عريقة كأختها السالفة . وقد قال ابن كثير أن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة ، وأن الحاكم صححه ، فإن كان ذلك كما قالا ، فلا شك في عريبة هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضاً .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(101) الخبر : 1695 - مضت قطعة منه ، بإسناد آخر إلى ابن أبي الزناد :
1691 .

وهذا الخبر نقله ابن كثير 1 : 260 - 261 ، بطوله ، عن الطبري . وقدم له بكلمة قال "وقد ورد في ذلك أثر غريب ، وسياق عجيب في ذلك . أحببنا أن ننسبه عليه" . ثم قال بعد نقله . "فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها" . وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان ، بأطول منه .

وذكره السيوطي 1 : 101 ، ونسبه أيضًا للحاكم وصححه . والبيهقي في سننه .

وهي قصة عجيبة ، لا ندري أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة؟ أما عائشة فقد صدقت في أن المرأة أخبرتها . والإسناد إلى عائشة جيد ، بل صحيح .

الربيع بن سليمان : هو المرادي المصري المؤذن ، صاحب الشافعي وراوية كتبه ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/2/464 . ابن أبي الزناد : هو "عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان" ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة ، في روايته عن أبيه ، وفي رواية البغداديين عنه . والحق أنه ثقة ، وخاصة في حديث هشام بن عروة . فقد قال ابن معين - فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره - "أثبت الناس في هشام بن عروة : عبد الرحمن بن أبي الزناد" . وقد وثقه الترمذي وصححه عدة من أحاديثه ، بل قال في السنن 3 : 59 ، في حديث له صححه ، وفيه حرف لم يروه غيره ، فقال : "وإنما ذكره عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وهو ثقة حافظ" . (102) في المطبوعة : "وقيل شيء أسود . . . كلام بلا معنى . والتصحيح من ابن كثير 1 : 262 .

(103) في المطبوعة : أخذ عليها أن لا يعلمها" والزيادة من ابن كثير 1 : 262 . (104) نسبه الطبري في تاريخه 1 : 151 - 152 للحتات بن يزيد المجاشعي عم الفرزدق . ونسبه البلاذري في أنساب الأشراف 5 : 104 إلى : علي بن الغدير بن المضرس الغنوي ، وإلى : إهاب بن همام بن صعصة بن ناجية بن عقال المجاشعي ، وإلى : ابن الغريرة النهشلي ، وهو كثير بن عبد الله بن مالك النهشلي ، وهو مخضرم ، وإليه أيضًا في معجم الشعراء : 349 ، وفي الكامل للمبرد 2 : 34 ، وقال أبو الحسن الأخفش : "ابن الغريرة الضبي" ، وهو خطأ محض ، إنما هو النهشلي . (105) أول هذه القصيدة :

نأتك أمامة نأيا طويلا

وحملك الحب عبئا ثقيلا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم قال :

لعمر أبيك فلا تجزعي
لقد ذهب الخير إلا قليلا
لقد فتن الناس في دينهم
وخلى ابن عفان شرا طويلا
أعاذل كل امرئ هالك
فسيرى إلى الله سيرا جميلا
فإن الزمان له لذة
ولا بد لذته أن تزولا

وروى الطبري صدر البيت الذي استشهد به هنا في تاريخه :

* لقد سفه الناس في دينهم *

- (106) يعني الطبري أن في الكلام حذف اجتزأ بفهم سامعه عن ذكره ، وهو قوله : "فيأتون قبول ذلك منهما" .
(107) قوله : "ما كان للتأويل . . ." ، هي ما يقولونه في العربية الركيكة" ما دام للتأويل . . ."
(108) انظر ما سلف : 423 - 424 .
(109) في المطبوعة : "ولا يجمع ثلاثيه" خطأ محض .
(110) انظر ما سلف 1 : 514 ، ففيه زيادة عما هنا .
(111) هو الفرزدق .
(112) ديوانه : 605 ، والأغاني 9 : 326 ، و 19 : 8 (ساسى) ، في قصته مع النوار ، ويقول هذا الشعر لبني أم النسير (طبقات فحول الشعراء : 281 ، والأغاني) ، وكانت خرجت مع رجل يقال له زهير بن ثعلبة ومع بني أم النسير ، فقال هذا الشعر ، وبعد البيت :

ومن دون أبوال الأسود بسالة

وصولة أيد يمنع الضيم طولها

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورواية الديوان وغيره :

وإن امرءا يسعى يخيب زوجتي

وقوله : "يخب" ، أي يفسدها على . ويحرش : يحرض ويغري بيني وبينها .

"يستيلها" : أي يطلب أن تبول في يده .

(113) انظر ما سلف : 435 وما بعدها .

(114) في المطبوعة : "فإن كان ذلك صحيحا" ، والأجود ما أثبت .

(115) انظر ما سلف 1 : 196 .

(116) أخذه تأخيذا . والتأخيد : حبس السواحر أزواج النساء عن غيرهن من

النساء ، ويقال لهذه الحيلة : الأخذة (بضم فسكون) .

(117) لم أعرف قائلهما، ولم أجدها إلا في أمالي الشريف المرتضى 1: 421،

وكأنه نقلهما عن الطبري، لأنهما جاءا في تفسير هذه الآية، على هذا المعنى.

والوطب: سقاء اللين خاصة. والعلبة: جلدة تؤخذ من جنب البعير، فتسوى

مستديرة، ثم تملأ رملا سهلا، ثم تضم أطرافها بخلال حتى تجف وتيبس، ثم

يقطع رأسها وقد قامت قائمة لجفافها تشبه قصعة مدورة، فكأنها نحتت نحتا،

ويعلقها الراعي ويشرب بها، وله فيها رفق وخفة لأنها لا تنكسر إذا حركها

البعير أو طاحت إلى الأرض. والصر: شد ضرع النوق الحلوبات إذا أرسلوها

للمرعي سارحة، ويسمون ذلك الرباط: صرارا. والأخلاف جمع خلف (بكسر

فسكون)، وهو ضرع الناقة أو البعير إذا استكمل الثامنة وطعن في التاسعة،

ويزل نابه، أي انشق عن اللحم. وهو أقصى سنه وتمام قوته. وفي المطبوعة

هنا "المذممة"، وفي أمالي الشريف: "المزمنة"، وفي نسخة أخرى

منها "المزهمة"، وقد علق أحد أصحاب الحواشي على الأمالي فقال: "المزمنة:

التي علق عليها الزمام". واخترت أن تكون "المزمنة" فهي أشبه بهذا الشعر

. يقال: ناقة مزمنة وهي التي عليها سمة التنزيم، وهو أن يقطع طرف أذنه

ويترك له زنمة مشرفة. وإنما يفعل ذلك بالكرام من الإبل. وهذا هجاء يقول

له: إنما أنت راع خسيس، ترعى على السادة الكرام كرام إبلهم، ولا تجمع

من خيرات ما يتمتع به سادتك، إلا وطبا وعلبة وعلاجا لإبلهم التي ترعاها

عليهم.

(118) الجار : الذي قرب منزله من منزلك ، ووصفه بقوله : "المجاور" للدلالة

على شدة قربه ، وهو الجار الجنب ، فهو أشد حرمة لنزوله في جواره

ومنعته ، وركونه إلى أمان عهده . والنجل : تمزيق عرضه بالغيبة والمعابة

والسب بظهر الغيب . وفي الحديث : "من نجل الناس نجلوه" أي سبهم وقطع

أعراضهم بالشتم كما يقطع بالمنجل ، جازوه يمثل فعله .

(119) لم أعرف قائله. صلدت: صلبت وقست. والصفة: الحجر الصلد الأملس

الضخم الذي لا ينبت شيئا. والحيود جمع حيد: وهو التنوء في الجبل أو القرن

أو غيرهما. وهذا مثل: يقول له أنت غليظ جاف لا يصلحك شيء، ولا خير

فيك، كالصفة الملساء ذات التنوء، لا يصلحها شيء ولا تأتي بخير. والسلف:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- سلف الإنسان: من تقدمه من آبائه وذوي قرابته ممن هم فوقه في السن والفضل. يقول: ورثت من والديك مكان مآثر الأسلاف الكرام، عقوقا، فأنت تعقهم، كما عقوا هم آباءهم. فأنتم خلف يلعن سلفا لئما عاقا، يلعن أسلافه. فأنتم معرقون في العقوق، وهو شر أخلاق الناس.
- (120) كأنه يريد : حرم التفريق على لسان الأمة : أن تنطق به وتأمّر بفعله
- (121) لم أجد البيت في ديوان الحطيئة المطبوع . وقوله "فأذنيني" ، يدل على أن الفعل متعد : "أذنه بالشيء يأذنه إذنا" أعلمه به ، مثل "أذنه به" . ولم يرد ذلك في شيء من كتب اللغة ، والبيت شاهد عليه ، وشرح الطبري بعد دال أيضًا على مراده .
- (122) في المطبوعة : "يعني بذلك جل ثناؤه" . ويتعلمون أي الناس الذين يتعلمون . . " وهو كلام غير مستقيم ، كأنه تصرف من بعض النساخ .
- (123) في المطبوعة : "لأن قوله : علموا ، بمعنى اليمين" ، وأثرت إثبات "ولقد" ، لأن الجملة كلها بمعنى اليمين .
- (124) هذا كله في معاني الفراء 1 : 65 - 69 ، مع تصرف في اللفظ .
- (125) رواه الفراء في معاني الفراء 1 : 66 غير منسوب ، ولكن صاحب الخزانة 4 : 220 نسبه لكميت بن معروف ، ولكني لم أجده منسوبا إليه في كتاب آخر ، وأخشى أن يكون صاحب الخزانة قدوهم . هذا ، والبيت وما قبله جميعا في معاني الفراء 1 : 65 - 66 .
- (126) الحديث : 1715 - هكذا علق الطبري هذا الحديث ، بدون إسناد وقد رواه أحمد في المسند 5 : 45 (حلي) ، من حديث أبي بكرة ، بلفظ : "إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم" . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 5 : 302 ، ثم قال : "رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما ثقات" . وذكره أيضًا بعده ، من حديث أنس ، وقال : "رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وأحد أسانيد البزار ثقات الرجال" . (كذا بالأصل) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير : 1838 ، ونسبه للنسائي وابن حبان من حديث أنس ، ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكرة . ونقل بشارحه المناوي أن الحافظ العراقي قال : "إسناده جيد" . وحديث أنس رواه أيضًا أبو نعيم في الحلية 6 : 262 . ورواه قبل ذلك 3 : 13 ، من حديث الحسن مرسلا . ثم أشار إلى حديث أنس .
- (127) ديوانه : 47 بيت مفرد : . وقوله "فيها" ، أظنه يعني النار . والقطر : النحاس الذائب .
- (128) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 340 - 342 .
- (129) ديوانه : 51 ، وأمالي الشريف المرتضى 1 : 424 ، وكأنه كان ينقل كلام الطبري في تفسير هذه الآية ، مع التصرف . والمرملة : الذي نفذ زاده . أرملة الرجل فهو مرملة ، كأنه لصق بالرملة لما أنقض .
- (130) يقول : "وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب . . أولى" .
- وفصل فأطال .
- (131) في المطبوعة : "إرجاعه إليها" سهو من ناسخ .
- (132) قوله "الراعن : الخطاء" لم أجده في غيره بعد . والذي في كتب التفسير واللغة . وربما كانت "الخطأ" . وقد قالوا : "راعنا : الهجر من القول" . وقالوا اشتقوه من الرعونة : وهي الحمق والجهل والاسترخاء .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (133) في المطبوعة : "فقال" ، والفاء لا مكان لها .
(134) تقدم إليه : أمره .
(135) الحديث : 1739 - ذكره الطبري معلقا دون إسناد . وقد رواه أحمد في المسند : 7509 ، من حديث أبي هريرة ، مرفوعا : "ولا تسموا العنب الكرم" . ورواه الشيخان وغيرهما ، كما بينا هناك . ورواه أيضًا قبل ذلك إشارة موجزا : 7256 .
وروى مسلم 2 : 197 ، من حديث علقمة بن وائل ، عن أبيه ، مرفوعا : "لا تقولوا الكرم ، ولكن قولوا : الحبل ، يعني العنب" .
(136) الحديث : 1740 - وهذا معلق أيضًا . وهو جزء من حديث طويل . رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، من حديث أبي هريرة ، مرفوعا : " . . ولا يقل أحدكم عبدي ، أمتي ، وليقل : فتاى ، فتاتي ، غلامي" . انظر البخاري 5 : 128 - 131 (فتح) ، ومسلم 2 : 197 .
(137) ديوانه : 86 ، وسيأتي في هذا الجزء 2 : 540 وقد سلف تخريج أبيات من هذه القصيدة في 1 : 106 ، 2 : 94 ، وهي في هودة بن علي كما سلف . يقول قبله :

يا هود، يا خير من يمشي على قدم

بحر المواهب للوراد والشرعا

- وابتدع : أحدث ما شاء .
(138) اقرأ قول الله تعالى في صدر "سورة الحجرات" .
(139) قوله : "ومعنى" معطوف على قوله أنفًا : "لما فيه من احتمال معنى : ارعنا نرعاك . . ." .
(140) وهي الآية التي تلي الآية التي يفسرها .
(141) ديوانه : 53 ، واللسان (نظر) (حوز) (نس) (عشا) . من قصيدة يهجو بها الزبرقان ابن بدر ، ويمدح بغيض بن عامر من شماس . والأعشاء جمع عشى (بكسر فسكون) : وهو ما تتعشاه الإبل . والصادرة : الإبل التي تصدر عن الماء . والخمس : من أظماء الإبل ، وهو أن تظل في المرعى بعد يوم ورودها ثلاثة أيام ، ثم ترد في الرابع . والحوز : السوق اللين ، حاز الإبل : ساقها سوقا رويدا . والتنساس والنس ، مصدر قولك : نس الإبل بينها : ساقها سوقا شديدا لورود الماء . ويروى "إيتاء صادرة" . والإيتاء مصدر أنيت الشيء : إذ آخرته . يقول للزبرقان ، حين نزل بداره ، ثم تحول عنها إلى دار بغيض (انظر خبرهما في طبقات فحول الشعراء : 96 - 98) : انتظرت خيركم انتظار الإبل الخوامس لعشائها . وذلك أن الإبل إذا صدرت تعشت طويلا ، وفي بطونها ماء كثير ، فهي تحتاج إلى بقل كثير . يصف طول انتظاره حين لا صبر له على طول الانتظار . وقد شكاه الزبرقان إلى عمر لهذه القصيدة ، ولقوله فيها :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي

- (142) زدت قول الله تعالى : "أنظرونا" ، من أجل اختلاف " الحرفين .
(143) في المطبوعة : "إن كان ذلك .." ، ليست بشيء .
(144) انظر ما سلف 1 : 283 ، ثم هذا الجزء 2 : 140 ، 377 .
(145) في المطبوعة : "وأما المشركون" ، والصواب ما أثبت .
(146) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 126 ، 127 ، وكان ينبغي أن يذكره
في تفسير الآية : 102 أو يحيل كما أحال هنا .
(147) كان في المطبوعة : "الذي كان عند الله ينزله عليهم" ، ولا يستقيم
الكلام إلا كما أثبتنا .
(148) في المطبوعة : "تفضلا منه" ، وهو خطأ ، بل هذا خبر "أن" .

< 2-405 >

القول في تأويل قوله تعالى : **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ**

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين)، الفريق من أجبار اليهود وعلمائهم، الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى، وراء ظهورهم، تجاهلا منهم وكفرا بما هم به عالمون، كأنهم لا يعلمون. فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه، وآثروا السحر الذي تلتته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه، وذلك هو الخسار والضلال المبين.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان). فقال بعضهم: عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة، تأمر من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه، يمثل الذي يأمر به القرآن. فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان.

* ذكر من قال ذلك:

1646 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) - على عهد سليمان - قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، (1) فيأتون

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا. حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم فأدخلوا فيه غيره، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة. فاكنتب < 406-2 > الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب. فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب، فجعلها في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه. ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال: لا أسمع أحدا يذكر أن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه! فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف بعد ذلك خلف، تمثل الشيطان في صورة إنسان، ثم أتى نفرا من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا؟ (2) قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي. وذهب معهم فأراهم المكان. وقام ناحية. (3) فقالوا له: فادن! قال: لا ولكني ها هنا في أيديكم، فإن لم تجدوه فاقتلوني! فحفروا فوجدوا تلك الكتب. فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر. ثم طار فذهب. وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها، فذلك حين يقول: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ . (4)

1647 - حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان)، قالوا: إن اليهود سألو محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سأله عنه، فيخصمهم. (5) فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا! وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله جل وعز: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر < 407-2 > والكهانة وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت مجلس سليمان - (6) وكان سليمان لا يعلم الغيب. فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخذعوا به الناس، وقالوا: هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه! فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، فرجعوا من عنده وقد حزنوا، وأدحض الله حجتهم. (7)

1648 - وحدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان)، قال: لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم، تبدد فريق من الذين أوثوا الكتاب الآية، قال: اتبعوا السحر، وهم أهل الكتاب. فقرأ حتى بلغ: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ .

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

1649 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح: تلت الشياطين السحر على اليهود على ملك سليمان، فاتبعته اليهود على ملكه، يعني اتبعوا السحر على ملك سليمان.

1650 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق قال: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام، فكتبوا أصناف السحر: " من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا، فليفعل كذا وكذا ". حتى إذا صنعوا أصناف السحر، (8) جعلوه في كتاب ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان، وكتبوا في عنوانه: " هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم "، ثم دفنوه تحت كرسيه. فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا: ما كان سليمان > 2-408 < بن داود إلا بهذا! فأفشوا السحر في الناس وتعلموه وعلموه، فليس في أحد أكثر منه في يهود. فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما نزل عليه من الله، سليمان بن داود وعده فيمن عده من المرسلين، قال من كان بالمدينة من يهود: ألا تعجبون لمحمد! (9) يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا! والله ما كان إلا ساحرا! فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا). (10)

قال: كان حين ذهب ملك سليمان، ارتد فئام من الجن والإنس واتبعوا الشهوات، (11) فلما رجع الله إلى سليمان ملكه، قام الناس على الدين كما كانوا. وأن سليمان ظهر على كتبه فدفنها تحت كرسيه، وتوفي سليمان حدثان ذلك، (12) فظهرت الجن والإنس على الكتب بعد وفاة سليمان، وقالوا: هذا كتاب من الله نزل على سليمان أخفاه منا! فأخذوا به فجعلوه دينا، فأنزل الله: **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَيْسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِنَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكُتُبَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَهُ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ** وهي المعازف واللعب، وكل شيء يصد عن ذكر الله.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل قوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان)، أن ذلك توبيخ من الله لأخبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجدوا نبوته، وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل، وتأنب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يعلمونه > 2-409 < ويعرفون أنه كتاب الله، واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ما تلتته الشياطين في عهد سليمان. وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع. (13)

وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن المتبعة ما تلتته الشياطين، في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق، وأمر السحر لم يزل في اليهود. ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله: (واتبعوا) بعضا منهم دون بعض. إذ كان جائزا فصيحا في كلام العرب إضافة ما وصفنا - من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين) - إلى أخلافهم بعدهم، ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر منقول، ولا حجة تدل عليه. فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال: كل متبع ما تلتته الشياطين على عهد سليمان من اليهود، داخل في معنى الآية، على النحو الذي قلنا.

القول في تأويل قوله تعالى : مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ما تتلوا الشياطين)، الذي تتلو. فتأويل الكلام إِدَا: واتبعوا الذي تتلو الشياطين.

واختلف في تأويل قوله: (تتلوا). فقال بعضهم: يعني بقوله: (تتلوا)، تحدث وتروي، وتتكلم به وتخبر. نحو " تلاوة " الرجل للقرآن، وهي قراءته. ووجه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك، إلى أن الشياطين هي التي علمت الناس السحر وروته لهم .

* ذكر من قال ذلك:

1651 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن عمرو، عن مجاهد في قول الله: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)، قال: كانت الشياطين تسمع الوحي، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها < 410-2 > مائتين مثلها. فأرسل سليمان إلى ما كتبوا من ذلك فجمعه. فلما توفي سليمان وجدته الشياطين، فعلمته الناس، وهو السحر. (14)

1652 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)، من الكهانة والسحر. وذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفضوه في الناس وعلموهم إياه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1653 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال عطاء: قوله: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين)، قال: نراه ما تحدث.

1654 - حدثني سلّم بن جُنادة السُّوائي قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلقت الشياطين في الأيام التي ابتلي فيها سليمان، فكتبت فيها كتباً فيها سحر وكفر، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها فقرءوها على الناس. (15)

وقال آخرون: معنى قوله: (ما تتلو)، ما تتبعه وترويه وتعمل به.

* ذكر من قال ذلك:

1655 - حدثنا الحسن بن عمرو العنقزي قال، حدثني أبي، عن أسباط، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس: (تتلوا)، قال: تتبع. (16)

1656 - حدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال، حدثنا يحيى بن إبراهيم، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن أبي رزين مثله. (17)

< 2-411 >

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان، باتباعهم ما تلته الشياطين.

ولقول القائل: " هو يتلو كذا " في كلام العرب معنيان. أحدهما: الاتباع، كما يقال: " تلوت فلانا " إذا مشيت خلفه وتبعت أثره، كما قال جل ثناؤه: هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ [يونس: 30]، (18) يعني بذلك تتبع.

والآخر: القراءة والدراسة، كما تقول: " فلان يتلو القرآن "، بمعنى أنه يقرؤه ويدرسه، كما قال حسان بن ثابت:

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله

ويتلو كتاب الله في كل مشهد (19)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولم يخبرنا الله جل ثناؤه - بأي معنى " التلاوة " كانت تلاوة الشياطين الذين تلاوا ما تلاه من السحر على عهد سليمان - بخبر يقطع العذر. وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملا فتكون كانت متبعتة بالعمل، ودارسته بالرواية. فاتبعت اليهود منهاجها في ذلك، وعملت به، وروته. (20)

القول في تأويل قوله تعالى : مُلْكٍ سُلَيْمَانَ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (على ملك سليمان)، في ملك سليمان. وذلك أن العرب تضع " في " موضع " على " و " علي " في موضع " في ". > 412-2 < (21) من ذلك قول الله جل ثناؤه: **وَأَصْلَبْتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ** [سورة طه: 71] يعني به: على جذوع النخل، وكما قالوا: " فعلت كذا في عهد كذا، وعلى عهد كذا "، بمعنى واحد. (22) وبما قلنا من ذلك كان ابن جريج وابن إسحاق يقولان في تأويله:

1657 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج: (على ملك سليمان)، يقول: في ملك سليمان.

1658 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، قال ابن أبي إسحاق في قوله: (على ملك سليمان)، أي: في ملك سليمان.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وما هذا الكلام، من قوله: **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ** ، (23) ولا خبر معنا قبل عن أحد أنه أضاف الكفر إلى سليمان، بل إنما ذكر اتباع من اتبع من اليهود ما تلته الشياطين؟ فما وجه نفي الكفر عن سليمان، بعقب الخبر عن اتباع من اتبعت الشياطين في العمل بالسحر وروايته من اليهود؟

قيل: وجه ذلك، أن الذين أضاف الله جل ثناؤه إليهم اتباع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى > 413-2 < الشياطين من ذلك، إلى سليمان بن داود. وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر. فحسنوا بذلك - من ركوبهم ما

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حرم الله عليهم من السحر - أنفسهم، (24) عند من كان جاهلا بأمر الله ونهيه، وعند من كان لا علم له بما أنزل الله في ذلك من التوراة. وتبرأ بإضافة ذلك إلى سليمان - من سليمان، وهو نبي الله صلى الله عليه وسلم - منهم بشر، (25) وأنكروا أن يكون كان لله رسولا وقالوا: بل كان ساحرا. فبرأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسبه إلى السحر والكفر = لأسباب ادعوها عليه قد ذكرنا بعضها، وسنذكر باقي ما حضرنا ذكره منها = وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر متزينين عند أهل الجهل في عملهم ذلك، بأن سليمان كان يعمل. فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون كان ساحرا أو كافرا، وأعلمهم أنهم إنما اتبعوا - في عملهم بالسحر - ما تلتته الشياطين في عهد سليمان، دون ما كان سليمان يأمرهم من طاعة الله، واتباع ما أمرهم به في كتابه الذي أنزله على موسى صلوات الله عليه.

* ذكر الدلائل على صحة ما قلنا من الأخبار والآثار:

1659 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير قال: كان سليمان يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزائنه. فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتريدون العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزائنه وتحت كرسيه. فاستثارت الإنس فاستخرجوه فعملوا به. فقال أهل الحجاز: كان سليمان > 414-2 < يعمل بهذا، وهذا سحرا! فأنزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان. فقال: **وَاتَّبِعُوا مَا تَلَّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ** الآية، فأنزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عليهما السلام. (26)

1660 - حدثني أبو السائب الشُّوَّايُّ قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان الذي أصاب سليمان بن داود، في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جرادة، وكانت من أكرم نسائه عليه. قال: فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا. قال: وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئا من نسائه، أعطى الجرادة خاتمه. فلما أراد الله أن يتلي سليمان بالذي ابتلاه به، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي! فأخذه فلبسه. فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس. قال: فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي! فقالت: كذبت، لست بسليمان! قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به. قال: فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبا فيها سحر وكفر، ثم دفنوها

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها فقرءوها على الناس وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب! قال: فبرئ الناس من سليمان وأكفروه، حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فأنزل جل ثناؤه: **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ** - يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر - (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)، فأنزل الله جل وعز وعذره. (27)

1661 - حدثني محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال، سمعت عمران بن حدير، عن أبي مجلز قال: أخذ سليمان من كل > 2- 415 < دابة عهدا، فإذا أصيب رجل فسئل بذلك العهد، خلي عنه. فرأى الناس السجع والسحر، وقالوا: هذا كان يعمل به سليمان! فقال الله جل ثناؤه: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). (28)

1662 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمران بن الحارث قال: بينا نحن عند ابن عباس، إذ جاءه رجل فقال له ابن عباس: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال: من أيه؟ قال: من الكوفة. قال: فما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن عليا خارج إليهم! ففرع فقال: ما تقول؟ لا أبا لك! لو شعرنا ما نكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه! أما إني أحدثكم؛ من ذلك: إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيأتي أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا حدث منه صدق، (29) كذب معها سبعين كذبة. قال: فتشربها قلوب الناس. فأطلع الله عليها سليمان، فدفنها تحت كرسيه، فلما توفي سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنز الممنوع الذي لا كنز مثله؟ تحت الكرسي! فأخرجوه، فقالوا: هذا سحر! فتناسخها الأمم - حتى بقاياهم ما يتحدث به أهل العراق - (30) فأنزل الله عذر سليمان: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). (31).

1663 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أفشوه في الناس وعلموهم إياه. (32) فلما سمع بذلك سليمان نبي الله صلى > 2- 416 < الله عليه وسلم تتبع تلك الكتب، فأتى بها فدفنها تحت كرسيه، (33) كراهية أن يتعلمها الناس. فلما قبض الله نبيه سليمان، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه فعلموها الناس، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به. فعذر الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك، فقال جل ثناؤه: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا).

1664 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال: كتبت الشياطين كتبا فيها سحر وشرك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمان. فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب، فقالوا: هذا علم كتمناه سليمان! فقال الله جل وعز: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1665 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ**، قال: كانت الشياطين تستمع الوحي من السماء، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مثلها. وإن سليمان أخذ ما كتبوا من ذلك فدفنه تحت كرسيه، فلما توفي وجدته الشياطين فعلمته الناس. (34)

1666 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن أبي بكر، عن شهر بن حوشب قال: لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان. فكتبت: "من أراد أن يأتي كذا وكذا، فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا، فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا". فكتبته وجعلت عنوانه: "هذا ما كتب أصف بن برخيا للملك سليمان > 417-2 < بن داود من ذخائر كنوز العلم"، ثم دفته تحت كرسيه. فلما مات سليمان، قام إبليس خطيبا فقال: يا أيها الناس، إن سليمان لم يكن نبيا، وإنما كان ساحرا، فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته. ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه. فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحرا! هذا سحره! بهذا تعبدنا، وبهذا قهرنا! فقال المؤمنون: بل كان نبيا مؤمنا! فلما بعث الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، جعل يذكر الأنبياء، حتى ذكر داود وسليمان، فقالت اليهود: انظروا إلى محمدا! يخلط الحق بالباطل! يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحرا يركب الريح! فأنزل الله عذر سليمان: **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ** الآية. (35)

1667 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر). وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم -فيما بلغني- لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين، قال بعض أخبار اليهود: ألا تعجبون من محمدا يزعم أن ابن داود كان نبيا! والله ما كان إلا ساحرا! فأنزل الله في ذلك من قولهم: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)، أي باتباعهم السحر وعملهم به - **وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ يُبَايِعَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**. (36)

قال أبو جعفر: فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا = وتأويل قوله: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) ما ذكرنا = فبين أن في الكلام متروكا، (37) ترك ذكره اكتفاء بما ذكر منه، وأن معنى الكلام: واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان فتضيفه إلى سليمان، وما كفر سليمان، فيعمل بالسحر، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس > 418-2 < السحر. وقد كان قتادة يتأول قوله: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) على ما قلنا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1668 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)، يقول: ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دونه.

وقد دللنا فيما مضى على اختلاف المختلفين في معنى تَتَلَّوْا ، (38) وتوجيه من وجه ذلك إلى أن تَتَلَّوْا بمعنى " تلت " ، إذ كان الذي قبله خبرا ماضيا وهو قوله: وَاتَّبِعُوا ، وتوجيه الذين وجهوا ذلك إلى خلاف ذلك. وبيننا فيه وفي نظيره الصواب من القول، (39) فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع.

وأما معنى قوله: مَا تَتَلَّوْا ، فإنه بمعنى: الذي تتلو، وهو السحر. (40)

1669 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: وَاتَّبِعُوا مَا تَتَلَّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، أي السحر. (41)

قال أبو جعفر: ولعل قائلًا أن يقول: أو ما كان السحر إلا أيام سليمان؟

قيل له: بلى، قد كان ذلك قبل ذلك، وقد أخبر الله عن سحرة فرعون ما أخبر عنهم، وقد كانوا قبل سليمان، وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح إنه ساحر.

[فإن] قال: فكيف أخبر عن اليهود أنهم اتبعوا ما تلتته الشياطين على عهد سليمان؟ < 419-2 > قيل: لأنهم أضافوا ذلك إلى سليمان، على ما قد قدمنا البيان عنه، فأراد الله تعالى ذكره تبرئة سليمان مما نحلوه وأضافوا إليه، مما كانوا وجدوه، إما في خزائنه، وإما تحت كرسيه، على ما جاءت به الآثار التي قد ذكرناها من ذلك. فحصر الخبر عما كانت اليهود اتبعته، فيما تلتته الشياطين أيام سليمان دون غيره لذلك السبب، وإن كانت الشياطين قد كانت تالية للسحر والكفر قبل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَاوُتَ وَمَارُوتَ

قال أبو جعفر: اختلف أهل العلم في تأويل " ما " التي في قوله: (وما أنزل على الملكين). فقال بعضهم: معناه الجحد، وهي بمعنى " لم " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

1670 - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن ابن عباس قوله: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) فإنه يقول: لم ينزل الله السحر.

1671 - حدثنا ابن حميد قال، حدثني حكام، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس: (وما أنزل على الملكين)، قال: ما أنزل الله عليهما السحر.

فتأويل الآية - على هذا المعنى الذي ذكرناه عن ابن عباس والربيع، من توجيههما معنى قوله: (وما أنزل على الملكين) إلى: ولم ينزل على الملكين:-
واتبعوا الذي تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملكين = ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر = "ببابل هاروت وماروت". فيكون حينئذ قوله: "ببابل هاروت وماروت)، من المؤخر الذي معناه التقديم.

< 2-420 >

فإن قال لنا قائل: وكيف - وجه تقديم ذلك؟

قيل: وجه تقديمه أن يقال: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان [من السحر]، وما أنزل [الله السحر] على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل، هاروت وماروت - فيكون معنياً بـ "الملكين": جبريل وميكائيل، لأن سحرة اليهود، فيما ذكر، كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبها الله بذلك، وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر، فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تعلم الناس [ذلك] ببابل، وأن اللذين يعلمانهم ذلك رجلان: (42) اسم أحدهما هاروت، واسم الآخر ماروت. فيكون "هاروت وماروت"، على هذا التأويل، ترجمة على الناس وردا عليهم. (43)

وقال آخرون: بل تأويل "ما" التي في قوله: (وما أنزل على الملكين) - الذي.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1672 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، قال معمر، قال قتادة والزهري عن عبد الله: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)، كانا ملكين من الملائكة، فأهبطا ليحكما بين الناس. وذلك أن الملائكة سخروا من أحكام بني آدم. قال: فحاكمت إليهما امرأة فحافا لها، (44) ثم ذهبا يصعدان، فحيل بينهما وبين ذلك، وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. قال معمر، قال قتادة: فكانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا **إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ** .

< 2-421 >

1673 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما قوله: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)، فهذا سحر آخر خصموه به أيضا. يقول: خصموه بما أنزل على الملكين، وأن كلام الملائكة فيما بينهم، إذا علمته الإنس فصنع وعمل به، كان سحرا. (45)

1674 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت). فالسحر سحران: سحر تعلمه الشياطين، وسحر يعلمه هاروت وماروت.

1675 - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)، قال: التفريق بين المرء وزوجه.

1676 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين)، فقرأ حتى بلغ: **فَلَا تَكْفُرُ** ، قال: الشياطين والملكان يعلمون الناس السحر.

قال أبو جعفر: فمعنى الآية على تأويل هذا القول الذي ذكرنا عن ذكرناه عنه: واتبع اليهود الذي تلت الشياطين في ملك سليمان الذي أنزل على الملكين ببابل وهاروت وماروت. وهما ملكان من ملائكة الله، سنذكر ما روي من الأخبار في شأنهما إن شاء الله تعالى.

قال أبو جعفر (46) إن قال لنا قائل: وهل يجوز أن ينزل الله السحر، أم > 422-2 < هل يجوز لملائكته أن تعلمه الناس؟

قلنا له: إن الله عز وجل قد أنزل الخير والشر كله، وبين جميع ذلك لعباده، فأوحاه إلى رسله، وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحل لهم مما يحرم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عليهم. وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي التي عرفهموها، ونهاهم عن ركوبها. فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها، ونهاهم عن العمل بها.

(47) وليس في العلم بالسحر إثم، كما لا إثم في العلم بصناعة الخمر ونحت الأصنام والطنابير والملاعب. وإنما الإثم في عمله وتسويته. وكذلك لا إثم في العلم بالسحر، وإنما الإثم في العمل به، وأن يضر به، من لا يحل ضره به.

(48) فليس في إنزال الله إياه على الملكين، ولا في تعليم الملكين من علماه من الناس، إثم، إذ كان تعليمهما من علماه ذلك، بإذن الله لهما بتعليمه، بعد أن يخبراه بأنهما فتنة، وينهيه عن السحر والعمل به والكفر. وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به، إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به. (49) ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك، لم يكن من تعلمه حرجا، كما لم يكونا حرجين لعلمهما < 423-2 > به. (50) إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما. (51)

وقال آخرون: معنى " ما " معنى " الذي"، وهي عطف على " ما " الأولى. غير أن الأولى في معنى السحر، والآخرة في معنى التفريق بين المرء وزوجه.

فتأويل الآية على هذا القول: واتبعوا السحر الذي تتلو الشياطين في ملك سليمان، والتفريق الذي بين المرء وزوجه الذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت.

* ذكر من قال ذلك:

1677 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)، وهما يعلمان ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وذلك قول الله جل ثناؤه: وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا . وكان يقول: أما السحر، فإنما يعلمه الشياطين، وأما الذي يعلم الملكان، فالتفريق بين المرء وزوجه، كما قال الله تعالى.

وقال آخرون: جائز أن تكون " ما " بمعنى " الذي"، وجائز أن تكون " ما " بمعنى " لم ".

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1678 - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد - وسأله رجل عن قول الله: (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) فقال الرجل: يعلمان الناس ما أنزل عليهما، أم يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما؟ قال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت.

*

1679 - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا أنس بن عياض، عن > 2-424 < بعض أصحابه، أن القاسم بن محمد سئل عن قول الله تعالى ذكره: (وما أنزل على الملكين)، فقيل له: أنزل أو لم ينزل؟ فقال: لا أبالي أي ذلك كان، إلا أنني آمنت به. (52).

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، قول من وجه " ما " التي في قوله: (وما أنزل على الملكين) إلى معنى " الذي"، دون معنى " ما " التي هي بمعنى الجحد. وإنما اخترت ذلك، من أجل أن " ما " إن وجهت إلى معنى الجحد، تنفي عن " الملكين " أن يكونا منزلا إليهما، (53) ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما - أعني " هاروت وماروت " - من أن يكونا بدلا منهما وترجمة عنهما (54) أو بدلا من الناس في قوله: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ، وترجمة عنهما. (55) فإن جعلنا بدلا من " الملكين " وترجمة عنهما، بطل معنى قوله: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ . لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يفرق به بين المرء وزوجه، فما الذي يتعلم منهما من يفرق بين المرء وزوجه؟ (56)

> 2-425 <

وبعد، فإن " ما " التي في قوله: (وما أنزل على الملكين)، إن كانت في معنى الجحد عطفا على قوله: وَمَا كَفَّرَ سُلَيْمَانُ ، فإن الله جل ثناؤه نفى بقوله: وَمَا كَفَّرَ سُلَيْمَانُ ، عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه. فإن كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه - وهاروت وماروت هما الملكان - فمن المتعلم منه إدا ما يفرق به بين المرء وزوجه؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ؟ إن خطأ هذا القول لواضح بين.

وإن كان قوله " هاروت وماروت " ترجمة عن " الناس " الذين في قوله: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ، فقد وجب أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر، وتكون السحرة إنما تعلمت السحر من هاروت وماروت عن تعليم الشياطين إياهما. فإن يكن ذلك كذلك، فلن يخلو " هاروت وماروت " - عند قائل هذه المقالة - من أحد أمرين:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إما أن يكونا ملكين، فإن كانا عنده ملكين، فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلمانه الناس، وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه - أعظم مما ذكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب. وفي خبر الله عز وجل عنهما - أنهما لا يعلمان أحدا ما يتعلم منهما حتى يقولوا **إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ** - ما يعني عن الإكثار في الدلالة على خطأ هذا القول.

أو أن يكونا رجلين من بني آدم. فإن يكن ذلك كذلك، فقد كان يجب أن يكونا بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل - من بني آدم. (57) لأنه إذا كان علم ذلك من قبلهما يؤخذ ومنهما يتعلم، فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما، عدم السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذي كان لا يوصل إليه إلا بهما. < 2-426 > وفي وجود السحر في كل زمان ووقت، أبين الدلالة على فساد هذا القول. وقد يزعم قائل ذلك أنهما رجلان من بني آدم، لم يعدما من الأرض منذ خلقت، ولا يعدمان بعد ما وجد السحر في الناس، فيدعي ما لا يخفى بطوله. (58)

فإذ فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها، فبيّن أن معنى (ما) التي في قوله: (وما أنزل على الملكين) بمعنى "الذي"، وأن "هاروت وماروت"، مترجم بهما عن الملكين، ولذلك فتحت أواخر أسمائهما، لأنهما في موضع خفض على الرد على "الملكين". ولكنهما لما كانا لا يجران، فتحت أواخر أسمائهما.

فإن التيسر على ذي غباء ما قلنا فقال: وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة؟

قيل له: إن الله جل ثناؤه عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه. ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم. فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم - كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما: **إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ** - ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما. ويكون الملكان في تعليمهما من علما ذلك - لله مطيعين، إذ كانا = عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه = يعلمان. وقد عبد من دون الله جماعة من أولياء الله، فلم يكن ذلك لهم ضائرا، < 2-427 > إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به، بل عبد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بعضهم والمعبود عنه ناه. (59) فكذلك الملكان، غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما، بعد نهيهما إياه عنه، وعظمتها له بقولهما: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ، إذ كانا قد أديا ما أمر به بقليلهما ذلك، كما:-

1680 - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، عن الحسن في قوله: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) إلى قوله: فَلَا تَكْفُرْ ، أخذ عليهما ذلك.

ذكر بعض الأخبار التي في بيان الملكين، ومن قال إن هاروت وماروت هما الملكان اللذان ذكر الله جل ثناؤه في قوله: (ببابل):

1681 - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثني أبي، عن قتادة قال: حدثنا أبو شعبة العدوي في جنازة يونس بن جبير أبي غلاب، عن ابن عباس قال: إن الله أفرج السماء لملائكته ينظرون إلى أعمال بني آدم، فلما أبصروهم يعملون الخطايا قالوا: يا رب، هؤلاء بنو آدم الذي خلقته بيدك، وأسجدت له ملائكتك، وعلمته أسماء كل شيء، يعملون بالخطايا! قال: أما إنكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم. قالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا! قال: فأمروا أن يختاروا من يهبط إلى الأرض، قال: فاختاروا هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض، وأحل لهما ما فيها من شيء، غير أن لا يشركا بالله شيئا ولا يسرقا، ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق. قال: فما استمرا حتى عرض لهما امرأة قد قسم لها نصف الحسن، يقال لها "بيذخت" فلما أبصراها أرادا بها زنا، فقالت: لا إلا أن تشركا بالله، وتشربا الخمر، وتقتلا النفس، وتسجدا لهذا الصنم! فقالا ما كنا لنشرك بالله شيئا! فقال أحدهما < 2-428 > للآخر: ارجع إليها. فقالت: لا إلا أن تشربا الخمر، فشربا حتى ثملا ودخل عليهما سائل فقتلاه، فلما وقعا فيما وقع من الشر، أفرج الله السماء لملائكته، فقالوا: سبحانك! كنت أعلم! قال: فأوحى الله إلى سليمان بن داود أن يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فكبلا من أكعبهما إلى أعناقهما بمثل أعناق البخت، وجعلا ببابل. (60)

1682 - حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حجاج، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا لما كثر بنو آدم وعصوا، دعت الملائكة عليهم والأرض والسماء والجبال: ربنا ألا تهلكهم! (61) فأوحى الله إلى الملائكة: إني لو أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ونزلتم لفعلتم أيضا! (62) قال: فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا، فأوحى الله إليهم: أن اختاروا ملكين من أفضلكم. فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس، وكان أهل فارس يسمونها "بيذخت". قال: فوقعا بالخطيئة، فكانت الملائكة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يستغفرون للذين آمنوا. (63) رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا . فلما وقعا بالخطيئة، استغفروا لمن في الأرض، ألا إن الله هو الغفور الرحيم. فخيلا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. (64)

< 2-429 >

1683 - حدثني المثنى قال، حدثني الحجاج قال، حدثنا حماد، عن خالد الحذاء، عن عمير بن سعيد قال، سمعت عليا يقول: كانت الزُّهْرَةَ امرأة جميلة من أهل فارس، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يعلمها الكلام الذي إذا تكلم به يعرج به إلى السماء. فعلمهاها، فتكلمت به، فعرجت إلى السماء، فمسخت كوكبا. (65)

1684 - حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا حدثنا مؤمل بن إسماعيل - وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق - جميعا، عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب، فقيل لهم: اختاروا منكم اثنين - وقال الحسن بن يحيى في حديثه: اختاروا ملكين - فاختاروا هاروت وماروت، فقيل لهما: إني أرسل إلى بني آدم رسلا وليس بيني وبينكم رسول، انزلا لا تشركا بي شيئا، ولا تزنيا، ولا تشربا الخمر. قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه إلى الأرض حتى استكملا جميع ما نهيا عنه - وقال الحسن بن يحيى في حديثه: فما استكملا يومهما الذي أنزلا فيه حتى عملا ما حرم الله عليهما. (66)

< 2-430 >

1685 - حدثني المثنى قال، حدثنا معلى بن أسد قال، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن موسى بن عقبة قال، حدثني سالم أنه سيمع عبد الله يحدث عن كعب الأحبار أنه حدث: أن الملائكة أنكروا أعمال بني آدم وما يأتون في الأرض من المعاصي، فقال الله لهم: إنكم لو كنتم مكانهم أتيتم ما يأتون من الذنوب، فاختاروا منكم ملكين. فاختاروا هاروت وماروت، فقال الله لهما: إني أرسل رسلي إلى الناس، وليس بيني وبينكما رسول، انزلا إلى الأرض، ولا تشركا بي شيئا، ولا تزنيا. فقال كعب: والذي نفس كعب بيده، ما استكملا يومهما الذي نزل فيه حتى أتيا ما حرم الله عليهما. (67)

< 2-431 >

1686 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أنه كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم، فقيل لهما: إني أعطيت ابن آدم عشرا من الشهوات، فيها يعصونني. قال هاروت وماروت: ربنا، لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل. فقال لهما: انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر، فاحكما بين الناس. فنزلا ببابل دنباوند، فكانا يحكما، حتى إذا أمسيا عرجا فإذا أصبحا هبطا. فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها، فأعجبهما حسنها - واسمها بالعربية، " الزُّهْرَةَ "، وبالنبطية " بيذخت "، واسمها بالفارسية " أناهيد " - فقال

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أحدهما لصاحبه: إنها لتعجيني! فقال الآخر: قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك! فقال: الآخر: هل لك أن أذكرها لنفسها؟ قال: نعم، ولكن كيف لنا بعذاب الله؟ قال الآخر: إنا نرجو رحمة الله! فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرا إليها نفسها، فقالت: لا حتى تقضيا لي على زوجي. فقضيا لها على زوجها. ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها، فأتياها لذلك. فلما أراد الذي يواقعها، قالت: ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى السماء، وبأي كلام تنزلان منها؟ فأخبرها، فتكلمت فصعدت. فأنساها الله ما تنزل به فبقيت مكانها، (68) وجعلها الله كوكبا - فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال: هذه التي فتنت هاروت وماروت! - فلما كان الليل أراد أن يصعدا فلم يستطيعا، فعرفا الهلك، (69) فخيروا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا من عذاب الآخرة، فعلقا ببابل، فجعلا يكلمان الناس كلامهما، وهو السحر.

1687 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: لما وقع الناس من بعد آدم فيما وقعوا فيه من < 2-432 > المعاصي والكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: أي رب، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك، وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام وأكل المال الحرام. والسرقة والزنا وشرب الخمر! فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم، فقبل لهم: إنهم في غيب. (70) فلم يعذروهم، فقبل لهم: اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمري وأنهاهما عن معصيتي. فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وجعل بهما شهوات بني آدم، (71) وأمر أن يعبدا الله ولا يشركا به شيئا، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر. فلبثا على ذلك في الأرض زمانا يحكمان بين الناس بالحق - وذلك في زمان إدريس. وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس كحسن الزهرة في سائر الكوكب، وأنها أتت عليهما، (72) فخضعا لها بالقول، وأرادها على نفسها، وأنها أبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأنها سألاها عن دينها التي هي عليه، فأخرجت لهما صنما وقالت: هذا أعبد. فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا! فذهبا فغيرا ما شاء الله، (73) ثم أتيا عليها فخضعا لها بالقول وأرادها على نفسها، فقالت: لا إلا أن تكونا على ما أنا عليه. فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا! فلما رأت أنهما أبيا أن يعبدا الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا الخمر. فقالا كل هذا لا ينبغي، وأهون الثلاثة شرب الخمر. فسقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها. فمر بهما إنسان، وهما في ذلك، فخشيا أن يفشي عليهما فقتلاه. فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما وقعا فيه من الخطيئة، وأرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، < 2-433 > فحيل بينهما وبين ذلك، وكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه من الذنب، فعجبوا كل العجب، وعلموا أن من كان في غيب فهو أقل خشية (74) فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض - وأنها لما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة، قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة! فقالا أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له. فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل، فهما يعذبان. (75)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1688 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا فرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع انظر، طلعت الحمراء؟ قلت: لا -مرتين أو ثلاثا- (76) ثم قلت: قد طلعت! قال: لا مرحبا ولا أهلا! قلت: سبحان الله، نجم مسخر سامع مطيع! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، (77) وقال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة قالت: يا رب، كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك! قال: فاختاروا ملكين منكم! قال: فلم يألوا أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت. (78)

< 2-434 >

1689 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وأما شأن هاروت وماروت، فإن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم، وقد جاءتهم الرسل والكتب والبيئات. فقال لهم ربهم: اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان في الأرض بين بني آدم. فاختاروا هاروت وماروت. فقال لهما حين أنزلهما: عجبتما من بني آدم ومن ظلمهم ومعصيتهم، وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء، (79) وأنتما ليس بيني وبينكما رسول، فافعلا كذا وكذا، ودعا كذا وكذا. فأمرهما بأمر ونهاهما. (80) ثم نزل على ذلك ليس أحد لله أطوع منهما. فحكما < 2-435 > فعدلا. فكانا يحكمان النهار بين بني آدم، فإذا أمسيا عرجا وكانا مع الملائكة، وينزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان، حتى أنزلت عليهما الزهرة - في أحسن صورة امرأة - تخاصم، فقضيا عليها. فلما قامت، وجد كل واحد منهما في نفسه، فقال أحدهما لصاحبه: وجدت مثل ما وجدت؟ قال: نعم. فبعثنا إليها: أن اثنتا نقض لك. فلما رجعت، قالا لها -وقضيا لها- : اثنتا! فأتتهما، (81) فكشفا لها عن عورتها، وإنما كانت شهوتها في أنفسهما، ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذتها. فلما بلغا ذلك واستحلاه وافتتنا، طارت الزهرة فرجعت حيث كانت. فلما أمسيا عرجا فردا ولم يؤذن لهما، (82) ولم تحملهما أجنحتهما، فاستغاثا برجل من بني آدم، فأتياه فقالا ادع لنا ربك! فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا سمعنا ربك يذكر بك بخير في السماء! فوعدهما يوما، وغدا يدعو لهما، فدعا لهما فاستجيب له، فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فنظر أحدهما إلى صاحبه فقالا نعلم أن أنواع عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد، ومع الدنيا سبع مرات مثلها. (83) فأمرنا أن ينزلا ببابل، فثم عذابهما. وزعم أنهما معلقان في الحديد مطويان، يصفقان بأجنحتهما. (84)

قال أبو جعفر: وحكي عن بعض القراء أنه كان يقرأ: (وما أنزل على الملكين)، يعني به رجلين من بني آدم. وقد دللنا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال، (85) فأما من جهة النقل، فإجماع الحجة - على خطأ القراءة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بها - من < 2-436 > الصحابة والتابعين وقراء الأمصار. وكفى بذلك شاهدا على خطئها.

وأما قوله (ببابل)، فإنه اسم قرية أو موضع من مواضع الأرض. وقد اختلف أهل التأويل فيها. فقال بعضهم: إنها " بابل دُنْبَاوَد " .

1690 - حدثني بذلك موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي. (86)

وقال بعضهم: بل ذلك " بابل العراق " .

* ذكر من قال ذلك:

1691 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - في قصة ذكرتها عن امرأة قدمت المدينة، فذكرت أنها صارت في العراق ببابل، فأنت بها هاروت وماروت، فتعلمت منهما السحر. (87)

قال أبو جعفر: واختلف في معنى السحر، فقال بعضهم: هو خدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر، حتى يخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء، ويرى الشيء من بعيد فيثبته. بخلاف ما هو على حقيقته. وكراكب السفينة السائرة سيرا حيثما يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته: يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته، كالذي:-

< 2-437 >

1692 - حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع، قالا حدثنا يحيى بن سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سحر، كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله. (88)

1693 - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت، سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله. (89)

< 2-438 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1694 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحدثان: أن يهود بني زريق عقدوا عُقْدَ سحر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلوها في بئر حزم، حتى كان رسول الله ينكر بصره، ودله الله على ما صنعوا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر حزم التي فيها العُقْد فانتزعها. فكان < 439-2 > رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سحرتني يهود بني زريق. (90)

وأنكر قائل هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته، واستسخر شيء من خلق الله - إلا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم - أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخدع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها التي وصفنا. وقالوا: لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب حقائق الأعيان عما هي به من الهيئات، لم يكن بين الحق والباطل فصل، (91) ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها. قالوا: وفي وصف الله جل وعز سحرة فرعون بقوله: **فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** [سورة طه: 66]، وفي خبر عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذ سحر يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين =: أن الساحر ينشئ أعيان الأشياء بسحره، ويستسخر ما يتعذر استسخره على غيره من بني آدم، كالموات والجماد والحيوان = وصحة ما قلنا. (92)

وقال آخرون: قد يقدر الساحر بسحره أن يحول الإنسان حمارا، وأن يسحر الإنسان والحمار، وينشئ أعيانا وأجساما، واعتلوا في ذلك بما:-

1695 - حدثنا به الربيع بن سليمان قال، حدثنا ابن وهب قال، أخبرنا ابن أبي الزناد قال، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج < 440-2 > النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك، (93) تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به. قالت عائشة لعروة: يا ابن أخي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفئها، (94) كانت تبكي حتى إني لأرحمها! وتقول: إني لأخاف أن أكون قد هلكت! كان لي زوج فغاب عني، فدخلت علي عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما أمرك به، فأجعله يأتيك! فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل، (95) فإذا برجلين معلقين بأرجلهم، فقالا ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر؟ فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي. فأبيت وقلت: لا قالا فذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. (96) فذهبت ففزعت فلم أفعل، فرجعت إليهما،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقالا أفعلت؟ قلت: نعم. فقالا فهل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً! فقالا لي: لم تفعل، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأرييت وأبيت، (97) فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت، فاقشعررت. ثم رجعت إليهما فقلت: قد فعلت. فقالا فما رأيت؟ < 441-2 > فقلت: لم أر شيئاً. فقالا كذبت لم تفعل، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فإنك على رأس أمر! (98) فأرييت وأبيت، فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارساً متقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء، وغاب عني حتى ما أراه. فجتتهما فقلت: قد فعلت! فقالا ما رأيت؟ فقلت: فارساً متقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه، (99) فقالا صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً! وما قال لي شيئاً! فقالت: بلي، لن تريدي شيئاً إلا كان! خذي هذا القمح فابذري. فبذرت، وقلت: أطلعي! فأطلعت، وقلت: أحقلي! فأحقلت، ثم قلت: أفركي! فأفركت، ثم قلت: أيبسي! فأيبست، ثم قلت: أطحني! فأطحنت، ثم قلت: أخبزي، فأخبزت. (100) فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان، سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين! والله ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً. (101)

< 2-442 >

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا، واعتلوا بما ذكرنا، وقالوا: لولا أن الساحر يقدر على فعل ما ادعى أنه يقدر على فعله، ما قدر أن يفرق بين المرء وزوجه. قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وذلك لو كان على غير الحقيقة، وكان على وجه التخيل والحسبان، لم يكن تفريقاً على صحة، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة.

وقال آخرون: بل " السحر " أخذ بالعين.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ

قال أبو جعفر: وتأويل ذلك: وما يعلم الملكان أحداً من الناس الذي أنزل عليهما من التفریق بين المرء وزوجه، حتى يقولوا له: إنما نحن بلاء وفتنة لبني آدم، فلا تكفر بربك. كما:-

1696 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن < 443-2 > السدي قال: إذا أتاهما - يعني هاروت وماروت - إنسان يريد السحر، وعظاه وقال له: لا تكفر، إنما نحن فتنة! فإن أبى، قال له: أنت هذا الرماد قبل عليه. فإذا بال عليه خرج منه نور يسطع حتى يدخل السماء - وذلك الإيمان - وأقبل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء منه، (102) فذلك غضب الله. فإذا أخبرهما بذلك علماء السحر. فذلك قول الله: (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر) الآية .

1697 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة والحسن: (حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر)، قال: أخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر. (103)

1698 - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، قال قتادة: كانا يعلمان الناس السحر، فأخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا "إنما نحن فتننة فلا تكفر".

1699 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان، عن معمر قال، قال غير قتادة: أخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يتقدما إليه فيقولوا "إنما نحن فتننة فلا تكفر".

1700 - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، عن الحسن قال: أخذ عليهما أن يقولوا ذلك.

1701 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: أخذ الميثاق عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولوا "إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ". لا يجترئ على السحر إلا كافر.

< 2-444 >

وأما الفتننة في هذا الموضوع، فإن معناها: الاختبار والابتلاء، من ذلك قول الشاعر. (104)

وقد فتن الناس في دينهم

وخلى ابن عفان شرا طويلا (105)

ومنه قوله: "فتنت الذهب في النار"، إذا امتحنته لتعرف جودته من رداءته، "أفتنه فتننة وفتونا"، كما:-

1702 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة (إنما نحن فتننة)، أي بلاء.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-445 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ

قال أبو جعفر: وقوله جل ثناؤه: (فيتعلمون منهما)، خبر مبتدأ عن المتعلمين من الملكين ما أنزل عليهما، وليس بجواب لقوله: وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ، بل هو خبر مستأنف، ولذلك رفع فقيل: " فيتعلمون " . فمعنى الكلام إِدًّا: وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة، فيأبون قبول ذلك منهما، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه. (106)

وقد قيل: إن قوله: (فيتعلمون)، خبر عن اليهود معطوف على قوله: وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، " فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه). وجعلوا ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم.

والذي قلنا أشبه بتأويل الآية. لأن إلحاق ذلك بالذي يليه من الكلام، ما كان للتأويل وجه صحيح، (107) أولى من إلحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام.

و " الهاء " و " الميم " و " الألف " من قوله: (منهما)، من ذكر الملكين. ومعنى ذلك: فيتعلم الناس من الملكين الذي يفرقون به بين المرء وزوجه.

و " ما " التي مع " يفرقون " بمعنى " الذي ". وقيل: معنى ذلك: السحر الذي يفرقون به. وقيل: هو معنى غير السحر. وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى قبل. (108)

< 2-446 >

وأما " المرء " ، فإنه بمعنى: رجل من أسماء بني آدم، والأنثى منه " المرأة " . يوحد ويشئى، ولا تجمع ثلاثه على صورته، (109) يقال منه: " هذا امرؤ صالح، وهذان امرآن صالحان " . ولا يقال: هؤلاء امرؤو صدق، ولكن يقال: " هؤلاء رجال صدق " ، وقوم صدق. وكذلك المرأة توحده وتثنى ولا تجمع على صورتها. يقال: هذه امرأة، وهاتان امرأتان " . ولا يقال: هؤلاء امرأت، ولكن: " هؤلاء نسوة " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما " الزوج " , فإن أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: " هي زوجه " بمنزلة الزوج الذكر، ومن ذلك قول الله تعالى ذكره: أُمِّسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ [سورة الأحزاب: 37]، وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون: " هي زوجته " . (110) كما قال الشاعر: (111)

وإن الذي يمشي يحرش زوجتي

كماش إلى أسد الشرى يستيلها (112)

فإن قال قائل: وكيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه؟ قيل: قد دللنا فيما مضى على أن معنى " السحر " : تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته، بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه. (113) فإن كان > 2- 447 < ذلك صحيحا بالذي استشهدنا عليه، (114) فتفريقه بين المرء وزوجه: تخييله بسحره إلى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته، من حسن وجمال، حتى يقبحه عنده، فينصرف بوجهه ويعرض عنه، حتى يحدث الزوج لامرأته فراقا. فيكون الساحر مفرقا بينهما بإحداثه السبب الذين كان منه فرقة ما بينهما. وقد دللنا، في غير موضع من كتابنا هذا، على أن العرب تضيف الشيء إلى مسببه من أجل تسميه، وإن لم يكن باشر فعل ما حدث عن السبب، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (115) فكذلك تفريق الساحر بسحره بين المرء وزوجه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قاله عدد من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1703 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)، وتفريقهما: أن يُؤَخِّدَ كل واحد منهما عن صاحبه، (116) ويبغض كل واحد منهما إلى صاحبه.

وأما الذين أبوا أن يكون الملكان يعلمان الناس التفريق بين المرء وزوجه، فإنهم وجهوا تأويل قوله: (فيتعلمون منهما) إلى " فيتعلمون مكان ما علماهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه، كقول القائل: ليت لنا كذا من كذا " ، أي مكان كذا، كما قال الشاعر:

جَمَعَت من الخيرات وَطبا وعلبة

وصرا لأخلاف المُزْتَمَةِ البزل (117)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-448 > ومن كل أخلاق الكرام نميمة

وسعيا على الجار المجاور بالتَّجَلُّل (118)

يريد بقوله: " جمعت من الخيرات " , مكان خيرات الدنيا هذه الأخلاق الرديئة والأفعال الدنيئة، ومنه قول الآخر:

صلدت صفاتك أن تلين حيودها

وورثت من سلف الكرام عقوقا (119)

يعني: ورثت مكان سلف الكرام، عقوقا من والديك.

< 2-449 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، وما المتعلمون من الملكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه، بضارين - بالذي تعلموه منهما، من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه - من أحد من الناس إلا من قد قضى الله عليه أن ذلك يضره. فأما من دفع الله عنه ضره، وحفظه من مكروه السحر والنفث والرُّقى، فإن ذلك غير ضاره، ولا نائله أذاه.

وللاذن " في كلام العرب أوجه. منها: الأمر على غير وجه الإلزام. وغير جائز أن يكون منه قوله: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، لأن الله جل ثناؤه قد حرم التفريق بين المرء وحليلته بغير سحر - فكيف به على وجه السحر؟ - على لسان الأمة. (120)

ومنها: التخلية بين المأذون له، والمخلى بينه وبينه.

ومنها العلم بالشيء، يقال منه: " قد أذنت بهذا الأمر " إذا علمت به "أذن به إذنا"، ومنه قول الحطيئة:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ألا يا هند إن جدت وصلا

وإلا فأذنيني بانصرام (121)

يعنى فأعلميني. ومنه قوله جل ثناؤه: فَأُذِّنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ [سورة البقرة: 279]، وهذا هو معنى الآية، كأنه قال جل ثناؤه: وما هم بضارين، < 2-450 > بالذي تعلموا من الملكين، من أحد إلا بعلم الله. يعني: بالذي سبق له في علم الله أنه يضره. كما:-

1704 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان في قوله: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، قال: بقضاء الله.

القول في تأويل قوله تعالى وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: (ويتعلمون)، الناس الذين يتعلمون من الملكين ما أنزل عليهما من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه، يتعلمون منهما السحر الذي يضرهم في دينهم، ولا ينفعهم في معادهم. فأما في العاجل في الدنيا، فإنهم قد كانوا يكسبون به ويصيبون به معاشا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، الفريق الذين لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، فقال جل ثناؤه: لقد علم النابذون - من يهود بني < 2-451 > إسرائيل - كتابي وراء ظهورهم تجاهلا منهم = التاركون العمل بما فيه من اتباعك يا محمد واتباع ما جئت به، بعد إنزالي إليك كتابي مصدقا لما معهم، وبعد إرسالك إليهم بالإقرار بما معهم وما في أيديهم، المؤثرون عليه اتباع السحر الذي تلتته الشياطين على عهد سليمان، والذي أنزل على الملكين ببايل هاروت وماروت = لمن اشترى السحر بكتابي الذي أنزلته على رسولي فأثره عليه ما له في الآخرة من خلاق. كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1705 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، يقول: قد علم ذلك أهل الكتاب في عهد الله إليهم: أن الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة.

1706 - حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، يعني اليهود. يقول: لقد علمت اليهود أن من تعلمه أو اختاره، ما له في الآخرة من خلاق.

1707 - وحدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، لمن اشترى ما يفرق به بين المرء وزوجه.

1708 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق)، قال: قد علمت يهود أن في كتاب الله في التوراة: أن من اشترى السحر وترك دين الله، ما له في الآخرة من خلاق. فالنار مثواه وماواه.

قال أبو جعفر: وأما قوله: (لمن اشتراه)، فإن " من " في موضع رفع، وليس < 2-452 > قوله: (ولقد علموا) بعامل فيها. لأن قوله: (ولقد علموا)، (123) بمعنى اليمين، فلذلك كانت في موضع رفع. لأن الكلام بمعنى: والله لمن اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق. ولكون قوله: (قد علموا) بمعنى اليمين، حقت بـ " لام اليمين "، فقيل: (لمن اشتراه)، كما يقال: " أقسم لمن قام خير ممن قعد ". وكما يقال: " قد علمت، لعمرؤ خير من أبيك ".

وأما " من " فهو حرف جزاء. وإنما قيل " اشتراه " ولم يقل " يشتروه "، لدخول " لام القسم " على " من ". ومن شأن العرب - إذا أحدثت على حرف الجزاء لام القسم - أن لا ينطقوا في الفعل معه إلا بـ " فعل " دون " يفعل "، إلا قليلاً كراهية أن يحدثوا على الجزاء حادثاً وهو مجزوم، كما قال الله جل ثناؤه: لئن أخرجوا لا يخرجون معهم [سورة الحشر: 12]، وقد يجوز إظهار فعله بعده على " يفعل " مجزوماً، (124)

كما قال الشاعر:

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم

ليعلم ربي أن بيتي واسع (125)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (ما له في الآخرة من خلاق). فقال بعضهم: "الخلاق" في هذا الموضع: النصيب.

* ذكر من قال ذلك:

1709 - حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (ما له في الآخرة من خلاق)، يقول: من نصيب.

< 2-453 >

1710 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (ما له في الآخرة من خلاق)، من نصيب.

1711 - حدثني المثنى قال، حدثني إسحاق قال، حدثنا وكيع، قال سفيان: سمعنا في: (وما له في الآخرة من خلاق)، أنه ما له في الآخرة من نصيب.

وقال بعضهم: "الخلاق" ههنا الحجة.

* ذكر من قال ذلك:

1712 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: (وما له في الآخرة من خلاق)، قال: ليس له في الآخرة حجة.

وقال آخرون: الخلاق: الدين.

* ذكر من قال ذلك:

1713 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، قال الحسن: (ما له في الآخرة من خلاق)، قال: ليس له دين.

وقال آخرون: "الخلاق" ههنا القوام.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1714 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، قال ابن عباس: (ما له في الآخرة من خلاق)، قال: قوام.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى " الخلاق " في هذا الموضع: النصيب. وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب.

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم:

< 2-454 >

1715 - " ليؤيدن الله هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ". (126)

يعني لا نصيب لهم ولا حظ في الإسلام والدين. ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ فِيهَا لَا خَلَقَ لَهُمْ

إِلَّا سَرَابِيلٌ مِنْ قِطْرٍ وَأَغْلَالٍ (127)

يعني بذلك: لا نصيب لهم ولا حظ، إلا السرابيل والأغلال.

فكذلك قوله: (ما له في الآخرة من خلاق): ما له في الدار الآخرة حظ من الجنة، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين ولا عمل صالح يجازي به في الجنة ويثاب عليه، فيكون له حظ ونصيب من الجنة. وإنما قال جل ثناؤه: (ما له في الآخرة من خلاق)، فوصفه بأنه لا نصيب له في الآخرة، وهو يعني به: لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة دون نصيبه من النار، إذ كان قد دلّ ذمه جل ثناؤه أفعالهم - التي نفى من أجلها أن يكون لهم في الآخرة نصيب - على مراده من الخبر، وأنه إنما يعني بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات، وأما من الشرور فإن لهم فيها نصيبا.

< 2-455 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَيَسَّ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى " شروا " : " باعوا " . (128) فمعنى الكلام إذا: وليئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته، كما:

1716 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي (وليئس ما شروا به أنفسهم)، يقول: بئس ما باعوا به أنفسهم.

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: وكيف قال جل ثناؤه: (وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)؟ وقد قال قبل: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ، فكيف يكونون عالمين بأن من تعلم السحر فلا خلاق لهم، وهم يجهلون أنهم بئس ما شروا بالسحر أنفسهم؟

قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته، من أنهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به. ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما معنى الكلام: وما هم ضارون به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق. فقلوه: (ليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)، ذم من الله تعالى ذكره فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه، وخبر منه جل ثناؤه عنهم أنهم بئس ما شروا به أنفسهم، برضاهم بالسحر عوضا عن دينهم الذي به نجا أنفسهم من الهلكة، جهلا منهم بسوء عاقبة فعلهم، وخسارة صفقة بيعهم. إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله، ولا يعرف حلاله وحرامه، وأمره ونهيه. < 2-456 > ثم عاد إلى الفريق - الذين أخبر الله عنهم أنهم نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين - فأخبر عنهم أنهم قد علموا أن من اشترى السحر، ما له في الآخرة من خلاق؛ ووصفهم بأنهم يركبون معاصي الله على علم منهم بها، ويكفرون بالله ورسوله، ويؤثرون اتباع الشياطين والعمل بما أحدثته من السحر، على العمل بكتابه ووحيه وتنزيله، عنادا منهم، وبغيا على رسوله، وتعديا منهم لحدوده، على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب. فذلك تأويل قوله.

وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ، يعني به الشياطين، وأن قوله: (لو كانوا يعلمون)، يعني به الناس. وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف. وذلك أنهم مجمعون على أن قوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ، معنى به اليهود دون الشياطين: ثم هو - مع ذلك - خلاف ما دل عليه التنزيل. لأن الآيات قبل قوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ، وبعد قوله: (لو كانوا يعلمون)، جاءت من الله بدم اليهود وتوبيخهم على

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ضلالهم، وذما لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم، مع علمهم
بخطأ فعلهم. فقوله: **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ** ،
أحد تلك الأخبار عنهم.

وقال بعضهم: إن الذين وصف الله جل ثناؤه بقوله: (وليتس ما شروا به
أنفسهم لو كانوا يعلمون)، فنفى عنهم العلم، هم الذين وصفهم الله بقوله:
وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ . وإنما نفى عنهم جل
ثناؤه العلم بقوله: (لو كانوا يعلمون) - بعد وصفه إياهم بأنهم قد علموا بقوله:
وَلَقَدْ عَلِمُوا - من أجل أنهم لم يعملوا بما علموا. وإنما العالم العامل بعلمه،
وأما إذا خالف عمله علمه، فهو في معاني الجهال. قال: وقد يقال للفاعل
الفعل بخلاف ما ينبغي أن يفعل، وإن كان بفعله عالما: " لو علمت لأقصر
" كما قال كعب بن زهير المزني، وهو < 457-2 > يصف ذنبا وغبابا تبعاه
لينا من طعامه وزاده:

إذ إذا حضراتي قلت: لو تعلمانه!!

ألم تعلما أني من الزاد مرمل (129)

فأخبر أنه قال لهما: " لو تعلمانه "، فنفى عنهما العلم، ثم استخبرهما فقال:
ألم تعلما؟ قالوا: فكذلك قوله: **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ** و (لو كانوا يعلمون)

وهذا تأويل وإن كان له مخرج ووجه فإنه خلاف الظاهر المفهوم بنفس
الخطاب، أعني بقوله: **وَلَقَدْ عَلِمُوا** وقوله: (لو كانوا يعلمون)، وإنما هو
استخراج. وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب = دون الخفي الباطن
منه، حتى تأتي دلالة - من الوجه الذي يجب التسليم له - بمعنى خلاف دليله
الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن = أولى. (130)

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** (103)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ولو أنهم آمنوا واتقوا)، لو أن الذين
يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه، "آمنوا" فصدقوا الله

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم، و " اتقوا " ربهم فخافوه فخافوا عقابه، فاطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه - لكان جزاء الله إياهم، وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه، خيرا لهم من السحر وما اكتسبوا به، " لو كانوا يعلمون " أن ثواب الله إياهم على ذلك < 458-2 > خير لهم من السحر ومما اكتسبوا به. وإنما نفى بقوله: (لو كانوا يعلمون) العلم عنهم: أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله، وقدر جزائه على طاعته.

و " المثوبة " في كلام العرب، مصدر من قول القائل: أثبتك إثابة وثوابا ومثوبة ". فأصل ذلك من: " تاب إليك الشيء " بمعنى: رجع. ثم يقال: " أثبتته إليك ": أي، رجعت إليك ورددته. فكان معنى " إثابة الرجل الرجل على الهدية وغيرها ": إرجاعه إليه منها بدلا (131) ورده عليه منها عوضا. ثم جعل كل معوض غيره من عمله أو هديته أو يد له سلفت منه إليه: مثيبا له. ومنه " ثواب " الله عز وجل عباده على أعمالهم، بمعنى إعطائه إياهم العوض والجزاء عليه، حتى يرجع إليهم بدل من عملهم الذي عملوا له.

وقد زعم بعض نحوي البصرة أن قوله: (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) مما اكتفي - بدلالة الكلام على معناه - عن ذكر جوابه. وأن معناه: ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا، ولكنه استغنى - بدلالة الخبر عن المثوبة - عن قوله: لأثيبوا.

وكان بعض نحوي أهل البصرة ينكر ذلك، ويرى أن جواب قوله: (ولو أنهم آمنوا واتقوا)، (لمثوبة)، وأن " لو " إنما أجيبت " بالمثوبة "، وإن كانت أخبر عنها بالماضي من الفعل لتقارب معناه من معنى " لئن " في أنهما جزاءان، فإنهما جوابان للإيمان. فأدخل جواب كل واحدة منهما على صاحبها - فأجيبت " لو " بجواب " لئن "، و " لئن " بجواب " لو "، لذلك، وإن اختلفت أجوبتهما، فكانت " لو " من حكمها وحظها أن تجاب بالماضي من الفعل، وكانت " لئن " من حكمها وحظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل - لما وصفنا من تقاربهما. فكان يتأول معنى قوله: (ولو أنهم آمنوا واتقوا): ولئن آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير.

< 2-459 >

وبما قلنا في تأويل " المثوبة " قال أهل التأويل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

1717 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (لمثوبة من عند الله)، يقول: ثواب من عند الله.

1718 - حدثني يونس قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله)، أما "المثوبة"، فهو الثواب.

1719 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير)، يقول: لثواب من عند الله.

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (لا تقولوا راعنا). فقال بعضهم: تأويله: لا تقولوا خلافا.

* ذكر من قال ذلك:

1720 - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريح، عن عطاء في قوله: (لا تقولوا راعنا)، قال: لا تقولوا خلافا.

1721 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (لا تقولوا راعنا)، لا تقولوا خلافا.

1722 - وحدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

1723 - حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن رجل عن مجاهد مثله.

1724 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن مجاهد مثله.

< 2-460 >

وقال آخرون: تأويله: أُرْعِنَا سمعك. أي: اسمع منا ونسمع منك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

1725 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: (راعنا)، أي: أرعنا سمعك.

1726 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله جل وعز: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا)، لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك.

1727 - وحدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاک يقول في قوله: (راعنا)، قال: كان الرجل من المشركين يقول: أرعني سمعك.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نهى الله المؤمنين أن يقولوا "راعنا". فقال بعضهم: هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبة، فنهى الله تعالى ذكره المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم.

* ذكر من قال ذلك:

1728 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) قول كانت تقوله اليهود استهزاء، فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

1729 - حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: (لا تقولوا راعنا)، قال: كان أناس من اليهود يقولون أرعنا سمعك! حتى قالها أناس من المسلمين: فكره الله لهم ما قالت اليهود فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا)، كما قالت اليهود والنصارى.

< 2-461 >

1730 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرننا)، قال: كانوا يقولون: راعنا سمعك! فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين، فقال الله: (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرننا).

1731 - وحدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس في قوله: (لا تقولوا راعنا)، قال: كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: راعنا سمعك! وإنما "راعنا" كقولك، عاطنا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1732 - وحدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) قال: " راعنا " القول الذي قاله القوم، قالوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ عَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ [سورة النساء: 46] قال: " قال: هذا الراعن " - والراعن: الخطاء - قال: فقال للمؤمنين: لا تقولوا خطاء، كما قال القوم، وقولوا: انظرنا واسمعوا. قال: كانوا ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويكلمونه، ويسمع منهم، ويسألونه وجيبهم. (132)

وقال آخرون: بل هي كلمة كانت الأنصار في الجاهلية تقولها، فنهاهم الله في الإسلام أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم.

* ذكر من قال ذلك:

1733 - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثني هشيم قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن عطاء في قوله: (لا تقولوا راعنا)، قال: كانت لغة في الأنصار في الجاهلية، فنزلت هذه الآية: (لا تقولوا راعنا) ولكن قولوا انظرنا) إلى آخر الآية.

< 2-462 >

1734 - حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا هشيم، عن عبد الملك، عن عطاء قال: (لا تقولوا راعنا)، قال: كانت لغة في الأنصار.

1735 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء مثله.

1736 - وحدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: (لا تقولوا راعنا)، قال: إن مشركي العرب كانوا إذا حدث بعضهم بعضا يقول أحدهم لصاحبه: أرعني سمعك! فنهوا عن ذلك.

1737 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج: " راعنا "، قول الساخر. فنهاهم أن يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: بل كان ذلك كلام يهودي من اليهود بعينه، يقال له: رفاعة بن زيد. كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم به على وجه السب له، وكان المسلمون أخذوا ذلك عنه، فنهى الله المؤمنين عن قيله للنبي صلى الله عليه وسلم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

1738 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)، كان رجل من اليهود - من قبيلة من اليهود يقال لهم بنو قينقاع - كان يدعى رفاعة بن زيد بن السائب - قال أبو جعفر: هذا خطأ، إنما هو ابن التابوت، ليس ابن السائب - كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لقيه فكلمه قال: (133) أُرْعِنِي سَمْعَكَ، واسمع غير مسمع = فكان المسلمون يحسبون أن الأنبياء كانت تفخم بهذا، فكان < 463-2 > ناس منهم يقولون: " اسمع غير مسمع " كقولك اسمع غير صاغر = وهي التي في النساء مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ [سورة النساء: 46]، يقول: إنما يريد بقوله طعنا في الدين. ثم تقدم إلى المؤمنين فقال: " لا تقولوا راعنا ". (134)

قال أبو جعفر: والصواب من القول في نهى الله جل ثناؤه المؤمنين أن يقولوا لنبية: " راعنا " أن يقال: إنها كلمة كرهها الله لهم أن يقولوها لنبية صلى الله عليه وسلم، نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

1739 - " لا تقولوا للعنب الكرم، ولكن قولوا: الحبلة ". (135)

1740 - و " لا تقولوا: عبدي، ولكن قولوا: فتاي ". (136)

وما أشبه ذلك، من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد في كلام العرب، فتأتي الكراهة أو النهي باستعمال إحداهما، واختيار الأخرى عليها في المخاطبات.

فإن قال لنا قائل: فإننا قد علمنا معنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم في " العنب " أن يقال له " كرم "، وفي " العبد " أن يقال له " عبد "، فما المعنى الذي في قوله: (راعنا) حينئذ، الذي من أجله كان النهي من الله جل ثناؤه للمؤمنين < 464-2 > عن أن يقولوه، حتى أمرهم أن يؤثروا قوله: انظرتا ؟

قيل: الذي فيه من ذلك، نظير الذي في قول القائل: " الكرم " للعنب، و " العبد " للمملوك. وذلك أن قول القائل: " عبدي " لجميع عباد الله، فكره للنبي صلى الله عليه وسلم أن يضاف بعض عباد الله - بمعنى العبودية - إلى غير الله، وأمر أن يضاف ذلك إلى غيره، بغير المعنى الذي يضاف إلى الله عز

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وجل، فيقال: " فتاي". وكذلك وجه نهيه في " العنب " أن يقال: " كرم " خوفاً من توهم وصفه بالكرم، وإن كانت مُسَكَّنَةً، فإن العرب قد تسكن بعض الحركات إذا تتابعت على نوع واحد. فكره أن يتصف بذلك العنب. فكذلك نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقولوا: " راعنا "، لما كان قول القائل: " راعنا " محتملاً أن يكون بمعنى احفظنا ونحفظك، وارقبنا ونرقبك. من قول العرب بعضهم لبعض: " رعاك الله ": بمعنى حفظك الله وكلاك - ومحتملاً أن يكون بمعنى: أرعنا سمعك، من قولهم: " أرعيت سمعي إرعاء - أو راعيته - سمعي إرعاء أو مراعاة "، بمعنى: فرغته لسماع كلامه. كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

يُرْعِي إلى قول سادات الرجال إذا

أبدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا (137)

يعني بقوله " يرعى "، يصغي بسمعه إليه مفرغه لذلك.

وكان الله جل ثناؤه قد أمر المؤمنين بتوقير نبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، حتى نهاهم جل ذكره فيما نهاهم عنه عن رفع أصواتهم فوق صوته، وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وخوفهم على ذلك حبوط أعمالهم. (138) < 465-2 > فتقدم إليهم بالزجر لهم عن أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء، وأمرهم أن يتخيروا لخطابه من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها. فكان من ذلك قولهم: (راعنا) لما فيه من احتمال معنى: ارعنا نرعاك، إذ كانت المفاعلة لا تكون إلا من اثنين، كما يقول القائل: " عاطنا، وحادثنا، وجالسنا "، بمعنى: افعل بنا ونفعل بك - (139) ومعنى: أرعنا سمعك، حتى نفهمك وتفهم عنا. فنهى الله تعالى ذكره أصحاب محمد أن يقولوا ذلك كذلك، وأن يفردوا مسألته بانتظارهم وإمهالهم، ليعقلوا عنه بتبجيل منهم له وتعظيم، وأن لا يسألوه ما سألوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهم منهم له، ولا بالفضاظة والغلظة، تشبهاً منهم باليهود في خطابهم نبي الله صلى الله عليه وسلم، بقولهم له: (اسمع غير مسمع وراعنا).

يدل على صحة ما قلنا في ذلك قوله: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، (140) فدل بذلك أن الذي عاتبهم عليه، مما يسر اليهود والمشركين.

فأما التأويل الذي حكى عن مجاهد في قوله: (راعنا) أنه بمعنى: خلافاً، فمما لا يعقل في كلام العرب. لأن " راعيت " في كلام العرب إنما هو على أحد وجهين: أحدهما بمعنى " فاعلت " من " الرعية " وهي الرقبة والكلاءة. والآخر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بمعنى إفراغ السمع، بمعنى " أرعيته سمعي". وأما " راعيت " بمعنى " خالفت "، فلا وجه له مفهوم في كلام العرب. إلا أن يكون قرأ ذلك بالتنوين، ثم وجهه إلى معنى الرعونة والجهل والخطأ، على النحو الذي قال في ذلك عبد الرحمن بن زيد، فيكون لذلك - وإن كان مخالفا قراءة القراء - معنى مفهوم حينئذ.

وأما القول الآخر الذي حكي عن عطية ومن حكي ذلك عنه: أن قوله: (راعنا) < 2-466 > كانت كلمة لليهود بمعنى السب والسخرية، فاستعملها المؤمنون أخذاً منهم ذلك عنهم، فإن ذلك غير جائز في صفة المؤمنين: أن يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاماً لا يعرفون معناه، ثم يستعملونه بينهم وفي خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم. ولكنه جائز أن يكون ذلك مما روي عن قتادة، أنها كانت كلمة صحيحة مفهومة من كلام العرب، وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربي، هي عند اليهود سب، وهي عند العرب: أرعني سمعك وفرغه لتفهم عني. فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود في قيلهم ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن معناها منهم خلاف معناها في كلام العرب، فنهى الله عز وجل المؤمنين عن قيلها للنبي صلى الله عليه وسلم، لئلا يجترئ من كان معناه في ذلك غير معنى المؤمنين فيه، أن يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم به. وهذا تأويل لم يأت الخبر بأنه كذلك، من الوجه الذي تقوم به الحجة. وإذ كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الآية ما وصفنا، إذ كان ذلك هو الظاهر المفهوم بالآية دون غيره.

وقد حكي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: (لا تقولوا راعنا) بالتنوين، بمعنى: لا تقولوا قولا " راعنا "، من " الرعونة " وهي الحمق والجهل. وهذه قراءة لقراء المسلمين مخالفة، فغير جائز لأحد القراءة بها لشذوذها وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين، وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين.

ومن نون " راعنا " نونه بقوله: (لا تقولوا)، لأنه حينئذ عامل فيه. ومن لم ينونه فإنه ترك تنوينه لأنه أمر محكي. لأن القوم كأنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: (راعنا)، بمعنى مسألته: إما أن يرعهم سمعه، وإما أن يرعاهم ويرقبهم - على ما قد بينت فيما قد مضى - ف قيل لهم: لا تقولوا في مسألتكم إياه " راعنا ". فتكون الدلالة على معنى الأمر في " راعنا " حينئذ سقوط الياء التي كانت < 2-467 > تكون في " يراعيه " ويدل عليها - أعني على " الياء " الساقطة - كسرة " العين " من " راعنا ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد ذكر أن قراءة ابن مسعود: (لا تقولوا راعونا)، بمعنى حكاية أمر سالحة لجماعة بمراعاتهم. فإن كان ذلك من قراءته صحيحا، وجه أن يكون القوم كأنهم نهوا عن استعمال ذلك بينهم في خطاب بعضهم بعضا، كان خطابهم للنبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره. ولا نعلم ذلك صحيحا من الوجه الذي تصح منه الأخبار.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقُولُوا انظُرْنَا

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (وقولوا انظُرْنَا)، وقولوا يا أيها المؤمنون لبيكم صلى الله عليه وسلم: انظُرْنَا وارقبنا، نفهم وتبين ما تقول لنا، وتعلمنا، كما:

1741 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وقولوا انظُرْنَا) فهمنا، بين لنا يا محمد.

1742 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (وقولوا انظُرْنَا) فهمنا، بين لنا يا محمد.

1743 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

يقال منه: " نظرت الرجل أنظره نظرة " بمعنى انتظرته ورقبته، ومنه قول الحطيئة:

< 2-468 > وقد تَظَرَّتْكُمْ أَغْشَاءٌ صَادِرَةٌ

للخمس، طال بها حَوَزي وتَساسي (141)

ومنه قول الله عز وجل: يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ [سورة الحديد: 13]، يعني به: انتظرونا.

وقد قرئ " أنظرنا " و " أنظرونا " بقطع " الألف " في الموضعين جميعا (142) فمن قرأ ذلك كذلك أراد: أخرنا، كما قال الله جل ثناؤه: قَالَ رَبِّ قَانظِرْنِي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ [سورة ص: 79]، أي أخرني. ولا وجه لقراءة ذلك كذلك في هذا الموضوع. لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمروا بالذنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاستماع منه، وإلطف الخطاب له، وخفض الجناح - لا بالتأخر عنه، ولا بمسألته تأخيرهم عنه. فالصواب - إذ كان ذلك كذلك - (143) من القراءة قراءة من وصل الألف من قوله: (انظرنا)، ولم يقطعها بمعنى: انتظرنا.

وقد قيل: إن معنى (انظرنا) بقطع الألف بمعنى: أمهلنا. حكي عن بعض > 2-469 < العرب سماعاً: " أنظرني أكلمك "، وذكر سامع ذلك من بعضهم أنه استثبته في معناه، فأخبره أنه أراد أمهلني. فإن يكن ذلك صحيحاً عنهم " فانظرنا " و " أنظرنا " - بقطع " الألف " ووصلها - متقاربا المعني. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن القراءة التي لا أستجيز غيرها، قراءة من قرأ: (وقولوا انظرنا)، بوصل " الألف " بمعنى: انتظرنا، لإجماع الحجة على تصويبها، ورفضهم غيرها من القراءات.

القول في تأويل قوله تعالى **وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)**

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (واسمعوا)، واسمعوا ما يقال لكم ويتلى عليكم من كتاب ربكم، وعُوه وافهموه، كما:-

1744 - حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (واسمعوا)، اسمعوا ما يقال لكم.

فمعنى الآية إِدًّا: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لنبيكم: راعنا سمعك وفرغه لنا نفهمك وتفهم عنا ما نقول. ولكن قولوا: انتظرنا وترقبنا حتى نفهم عنك ما تعلمنا وتبينه لنا. واسمعوا منه ما يقول لكم، فعوه واحفظوه وافهموه. ثم أخبرهم جل ثناؤه أن لمن جحد منهم ومن غيرهم آياته، وخالف أمره ونهيه، وكذب رسوله، العذاب الموجه في الآخرة، فقال: وللکافرین بی وبرسولي عذاب أليم. يعني بقوله: " الأليم "، الموجه. وقد ذكرنا الدلالة على ذلك فيما مضى قبل، وما فيه من الآثار. (144)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (ما يود)، ما يحب، أي: ليس يحب كثير من أهل الكتاب. يقال منه: "ود فلان كذا يوده ودا وودا ومودة".

وأما "المشركين" (145) فإنهم في موضع خفض بالعطف على "أهل الكتاب". ومعنى الكلام: ما يحب الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم.

وأما (أن) في قوله: (أن ينزل) فنصب بقوله: (يود). وقد دللنا على وجه دخول "من" في قوله: (من خير) وما أشبه ذلك من الكلام الذي يكون في أوله جحد، فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. (146)

فتأويل الكلام: ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان، أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله فنزله عليكم. (147) فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوجاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم من حكمه وآياته، وإنما أحببت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك، حسدا وبغيا منهم على المؤمنين.

وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين، والاستماع من قولهم، وقبول شيء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد، وإن أظهروا بالسنتهم خلاف ما هم مستبطنون.

< 2-471 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: (والله يختص برحمته من يشاء): والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له. و "اختصاصه" إياهم بها، أفرادهم بها دون

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

غيرهم من خلقه. وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه،
وهدايته من هدى من عباده، رحمة منه له ليصيره بها إلى رضاه ومحبه
وفوزه بها بالجنة، واستحقاقه بها ثناءه. وكل ذلك رحمة من الله له.

وأما قوله: (والله ذو الفضل العظيم). فإنه خير من الله جل ثناؤه عن أن كل
خير ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداء وتفضلا منه عليهم،
من غير استحقاق منهم ذلك عليه.

وفي قوله: (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)، تعريض
من الله تعالى ذكره بأهل الكتاب: أن الذي أتى نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين به من الهداية، تفضل منه، (148) وأن نعمه لا تدرك
بالأمانى، ولكنها مواهب منه يختص بها من يشاء من خلقه.

الهوامش:

- (1) في تفسير ابن كثير 1 : 249 : "ما يكون في الأرض .. أو غيب".
- (2) لا تأكلونه : أي لا تنفدونه أبدا . يقال : أكل فلان عمره : إذا أفناه .
- (3) في المطبوعة : "فقام" ، والصواب ما أثبتته من تفسير ابن كثير .
- (4) الأثر : 1646 - في تفسير ابن كثير 1 : 249 .
- (5) خاصمني فخصمته أخصمه : غلبته بالحجة في خصومي .
- (6) في تفسير ابن كثير : "تحت كرسي مجلس سليمان".
- (7) الأثر : 1647 - في تفسير ابن كثير 1 : 249 - 250 .
- (8) في تفسير ابن كثير : "صنفوا أصناف السحر". وهي أجود .
- (9) في المطبوعة : "لمحمد صلى الله عليه وسلم" ، والذي أثبتته مقتضى
سياق كلامهم .
- (10) إلى هنا انتهى ما نقله ابن كثير في تفسيره عن أبي جعفر 1 : 250 ،
أما سائر الخبر ، فإنه رواه في 1 : 247 ، وصدره بقوله : "وقال العوفي في
تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى : "واتبعوا ما تتلو الشياطين" الآية -
وكان حين ذهب ملك سليمان . . " ، وساق الخبر بنصه هذا . فلست أدري
أفي نسخ الطبري سقط ، أم هذه جزء من رواية الطبري عن ابن إسحاق
من حديث ابن عباس .
- (11) الفئام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (12) حدثان الشيء (بكسر فسكون) : أوله وابتدأه وقرب العهد به . وهو منصوب على الظرفية .
- (13) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 38 - 39 .
- (14) الأثر : 1651 - في تفسير ابن كثير 1 : 250 .
- (15) الأثر : 1654 - كان في المطبوعة : "سالم بن جنادة" ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر رقم : 48 في الجزء الأول . وهو جزء من خبر سيأتي برقم : 1660 .
- (16) الأثر : 1655 - في المطبوعة "العقري" ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر رقم : 1625 .
- (17) الأثر : 1656 - في المطبوعة "نصر بن عبد الرحمن الأودي" ، وهو خطأ وانظر التعليق على الأثر : 423 في الجزء الأول .
- (18) "هنالك تتلو" إحدى القراءتين ، والأخرى "هنالك تبلو" ، وهي التي في مصاحفنا اليوم وقال أبو جعفر في تفسيره 11 : 79 "إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل منهما أئمة من القراء" .
- (19) ديوانه : 88 ، من أبيات قالها حسان في خبر أم معبد ، حين خرج رسول الله مهاجراً إلى المدينة . ورواية الديوان : "في كل مسجد" ، ورواية الطبري أمثل .
- (20) كان ينبغي أن يكون في هذا المكان تفسير قوله " ما تتلو" الذي سيأتي في : 418 .
- (21) انظر ما سلف 1 : 299 .
- (22) في المطبوعة : "وكما قال : فعلت كذا . . ولا يستقيم إلا على تمرير" .
- (23) قوله : "وما هذا الكلام" الإشارة فيه إلى الآية التي يؤولها : "وما كفر سليمان" يقولون : ما مكان هذا الكلام - من هذا الكلام وهو قوله : "واتبعوا ما تتلو الشياطين" .
- (24) في المطبوعة "لأنفسهم" ، والصواب إسقاط هذه اللام ، كما يدل عليه السياق .
- (25) سياق العبارة : "وتيراً . . من سليمان . . منهم بشر" . ولعل "بشر" هذه "نفر" ، أي جماعة . يقول : تبرأت جماعة أخرى من سليمان ، إذ نسب إلى السحر ، وكفروه .
- (26) الأثر : 1659 - في تفسير ابن كثير 1 : 250 .
- (27) الأثر : 1660 - انظر الأثر السالف : 1654 والتعليق عليه .
- (28) الأثر : 1661 - في تفسير ابن كثير 1 : 251 ، وفيه "فزاد الناس" . . مكان "فرأى" والصواب ما في الطبري .
- (29) في تفسير ابن كثير : "فإذا جرت منه وصدق" ، ولعلها تصحيف .
- (30) في تفسير ابن كثير : "حتى بقاياها" .
- (31) الأثر : 1662 - في تفسير ابن كثير 1 : 248 - 249 ، مع اختلاف في بعض اللفظ غير الذي أثبتته .
- (32) في المطبوعة : "وأعلموهم إياه" ، وقد مضى في رقم : 1652 ، "وعلموهم" ، وكذلك أثبتتها هنا .
- (33) في المطبوعة : "فتتبع تلك الكتب" بزيادة الفاء ، ولا موضع لها .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(34) الأثر : 1665 - كان في المطبوعة : "حدثنا القاسم قال حدثنا حجاج" أسقط منه "قال حدثنا الحسين" ، وهو إسناد دائر في الطبري ، أقربه إلينا رقم : 1657 ، وسيأتي في الذي يلي .

(35) الأثر : 1666 - في تفسير ابن كثير 1 : 251 .

(36) الأثر : 1667 - سيرة ابن هشام 2 : 192 - 193 .

(37) في المطبوعة : "فتبين" وما أثبت أشبهه بعبارة الطبري .

(38) انظر ما سلف قريبا : 411 .

(39) قوله : "وتوجيه من وجه ذلك أن : تتلو - بمعنى : تلت" لم يأت هنا في

تفسير الآية ، بل جاء في تفسير آية مضت من سورة البقرة : 91 ، ص

350 - 352 .

(40) هذه الفقرة ، والأخرى التي قبلها ، والأثر الآتي رقم : 1669 ، كان أولى أن تكون في آخر تفسير قوله : "ما تتلو الشياطين" فيما مضى : 411 .

(41) الأثر : 1669 - سيرة ابن هشام 2 : 192 .

(42) في المطبوعة وابن كثير : "وأن الذين يعلمونهم" ، وما أثبت هو الصواب .

(43) "الترجمة" عند الكوفيين هي "البذل" ، وانظر ما سلف 2 : 340 وانظر ما

سيأتي : 423 . والزيادات التي بين الأقواس في هذه الفقرة ، من تفسير ابن

كثير 1 : 252 ، وقد نقل كلام الطبري بنصه .

(44) حاف له يحيف حيفا : مال معه فجاز وظلم غيره . وحاف عليه : ظلمه

وجار عليه .

(45) الأثر : 1673 - هو من تنمة الأثر السالف : 1646 ، ويرجع الضمير في

قوله : "وخاصموه به أيضًا - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم

اليهود ، كما تبين ذلك من مراجعة الأثر هناك .

(46) كان في المطبوعة هنا : "وقالوا : إن قال لنا قائل . . . " والضمير

في "قالوا" ، لا يعود إلى المذكورين قبل . وكأن الناسخ تعاضمه أن يكون الرد

الآتي من كلام أبي جعفر ، فحذف ما جرى عليه في تفسيره من قوله "قال

أبو جعفر" ، وأقحم "وقالوا" مكانها ، ثم زاد فحشا هذه الفقرات الآتية

بكلمته "وقالوا" ، كما سنبينه في مواضعه من التعليق . وهذا أسلوب لم يطرقه

أبو جعفر قط في تفسيره كله .

والذي استبشعه بعض النساخ - فيما نرجح - سيأتي بعد قليل في ص 423 -

426 بأوضح مما قاله هنا . وقد عد ابن كثير قول أبي جعفر مسلكا غريبا ،

فقال في تفسيره 1 : 253 ، وذكر ما ذكره أبو جعفر من قول من قال "ما"

بمعنى "لم" فقال : "ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول ، وأن "ما"

بمعنى "الذي" ، وأطال القول في ذلك ، وادعى أن هاروت وماروت ملكان

أنزلهما الله إلى الأرض ، وأذن لهما في تعليم السحر ، اختبارا لعباده

وامتحانا ، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على السنة الرسل ،

وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك ، لأنهما امتثلا ما أمرا به

. وهذا الذي سلكه غريب جدا" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولست أستنكر ما قاله أبو جعفر ، كما استنكره ابن كثير ، ولو أنت أنصفت وتتبعت كلام أبي جعفر ، لرأيت فيه حجة بينه ساطعة على صواب مذهبه الذي ذهب إليه ، ولرأيت دقة ولطفا في تناول المعاني ، وتدبير الألفاظ ، لا تكاد تجدهما في غير هذا التفسير الجليل القدر .
(47) كان في المطبوعة هنا : "(قالوا) ليس في العلم . . ." انظر ما سلف .
(48) كان في المطبوعة هنا : "(قالوا) فليس في إنزال الله . . ." انظر ما سلف .

(49) كان في المطبوعة هنا : "(قالوا) ولو كان الله أباح . . ." انظر ما سلف .
(50) استعمل أبو جعفر : هو "حرج" - على وزن : هو "فرح" - بمعنى : أثم . وأهل اللغة ينكرون ذلك . لا يقال للآثم إلا "الحارج" على النسب . لأن "الحرج" بمعنى الإثم ، لا فعل له . ولعل النايبخ أخطأ فكتب "حرجا . . . وحرجين" مكان "حارجا . . . وحارجين" ، بمعنى : أثم ، وأثمين ، ولكني تركتها هنا على حالها مخافة أن تكون من كلام أبي جعفر خطأ اجتهد ، أو صوابا علمه هو لم يبلغنا .
(51) سيأتي بيان قوله هذا كله بأوفى من هذا وأتم في ص : 423 - 426 .
(52) الخبر : 1679 - يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري : إمام معروف ، يروى عنه الطبري كثيرا ، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة . وقال ابن أبي حاتم 2/ 4 / 243 : "كُتبت عنه ، وأقمت عليه سبعة أشهر" . وقال : "سمعت أبي يوثق يونس بن عبد الأعلى ، ويرفع من شأنه" . ولد سنة 170 ، ومات سنة 264 .

وأما شيخه هنا فهو : "أنس بن عياض بن ضمرة" : وهو ثقة ، خرج له أصحاب الكتب الستة . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/ 2/ 34 ، وابن أبي حاتم 1/ 1/ 289 .

وكتب في المطبوعة "بشر" بدل "أنس" . وهو تحريف واضح . صوابه في ابن كثير 1 : 253 ، نقلا عن هذا الموضوع من الطبري . ولم نجد في الرواة من يسمى "بشر بن عياض" أبدا .
(53) في المطبوعة : "فتنفي . . ." بزيادة فاء لا خير فيها .
(54) انظر معنى "الترجمة" أنفاً : 420 تعليق : 2 .
(55) في المطبوعة "يعلمان الناس السحر" وهو خطأ . وانظر ما سلف : 420 .
(56) في المطبوعة : "ما يفرق" ، والصواب ما أثبت .
(57) يقول في سياقه : قد ارتفع من بني آدم - السحر ، والعلم به والعمل .
(58) بطل الشيء يبطل بطلا وبطولا وبطلانا . وهذا باطل بين البطول والبطلان .

(59) هذه حجة رجل يبصر دقيق المعاني ، ولا يغفل عن مواضع السقوط في كلام من يتكلم وهو لا يضبط ما يقتضيه كلامه . وقد استخف به ابن كثير ، لأنه لم يضبط ما ضبطه هذا الإمام المتمكن من عقله وفهمه .
(60) الخبر : 1681 - أبو شعبة العدوي ، هذا الذي يروى هنا عن ابن عباس : لم أعرف من هو؟ ولا وجدت له ذكرا في شيء من المراجع . والراجح عندي أن اسمه محرف عن شيء لا أعرفه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(61) في تفسير ابن كثير 1 : 256 ، والدر المنثور 1 : 99 : "ربنا ، لا تمهلم" ، وكأنها هي الصواب ، وإن كانت الأولى صحيحة المعنى .
(62) هذه العبارة صحيحة المعنى ، ولكنها جاءت في تفسير ابن كثير : "إني أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ، وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ، ولو نزلتم لفلتم أيضاً" . وجاءت في الدر المنثور : "إني أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ، ولو نزلتم لفلتم أيضاً" . مختصراً .
(63) في المطبوعة : "وكانت الملائكة" بالواو ، والصواب من ابن كثير والدر المنثور .

(64) الخبر : 1682 - الحجاج بن المنهال الأنماطي : ثقة فاضل ، أخرج له الجماعة . شيخه "حماد" : الراجح عندنا أنه "حماد بن سلمة" ، وإن كان في التهذيب أنه يروي عن "الحمادين" ، يعني حماد بن زيد وحماد بن سلمة . ولكن اقتصر البخاري في ترجمته في الكبير 1 / 2 / 376 على ذكر "حماد بن سلمة" ، وكذلك صنع ابن أبي حاتم 1 / 2 / 167 . فصنيعهما يدل على أنه عرف بالرواية عنه أكثر - ووقع في المطبوعة هنا "حجاج" بدل "حماد" . والتصحيح من ابن كثير 1 : 256 ، إذ نقل هذا الخبر عن الطبري .
(65) الخبر : 1683 - خالد الحذاء : هو "خالد بن مهران" ، ثقة كثير الحديث . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2 / 2 / 159 ، وابن أبي حاتم 1 / 2 / 352 - 353 .

عمير بن سعيد النخعي : تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3 / 1 / 376 . ووقع في المطبوعة هنا "عمرو" بدل "عمير" . وهو خطأ ، صوابه في ابن كثير 1 : 255 عن رواية الطبري هذه .

والخير رواه الحاكم في المستدرک 2 : 265 - 266 ، مطولا ، من طريق إسماعيل بن أبي خالد ، "عن عمير بن سعيد النخعي قال : سمعت عليا . . ." ، فذكره بطوله .
(66) الخبر : 1684 - راه البخاري بإسنادين : من طريق مؤمل بن إسماعيل ، ومن طريق عبد الرزاق ، كلاهما عن الثوري . موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي : هو صاحب المغازي ، كان ثقة ثبتا . كان مالك يقول : "عليكم بمغازي موسى بن عقبة ، فإنه ثقة" . وهو مترجم في الكبير للبخاري 4 / 1 / 292 وابن أبي حاتم 4 / 1 / 154 - 155 .

والذي أثبتنا هو الصواب ، وكان في المطبوعة "محمد بن عقبة" ، بدل "موسى" .
و"محمد بن عقبة" : هو أخو موسى بن عقبة . وهو ثقة أيضاً ، مترجم في التهذيب ، والكبير 1 / 1 / 198 - 199 ، وابن أبي حاتم 4 / 1 / 35 .

وكان من المحتمل أن يكون ما في المطبوعة صحيحا ، لأن سفيان الثوري يروي عن محمد بن عقبة ، كما يروي عن أخيه موسى . لولا الدلائل والقرائن ، التي جزمنا معها بخطأ ذلك :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فأولا: أن محمد بن عقبة لم يذكر في ترجمته بالرواية عن سالم بن عبد الله بن عمر.

وثانيا: أن ابن كثير نقل هذا الخبر عن تفسير عبد الرزاق، عن الثوري، عن موسى بن عقبة 1: 255، ثم ذكر أن الطبري رواه من طريق عبد الرزاق. وثالثا: الخبر ثابت في تفسير عبد الرزاق، في نسخة مصورة عندي، عن مخطوطة دار الكتب المصرية، المكتوبة سنة 724. وفيها "عن موسى بن عقبة".

فاتفق على هذا الكتابان: الكتاب الذي نقل عنه الطبري، والكتاب الذي نقل عن الطبري.

ورابعا: أن ابن كثير قال أيضًا: "رواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن عمام، عن مؤمل، عن سفیان الثوري، به".

والطبري هنا رواه - كما ذكرنا - عن مؤمل بن إسماعيل، عن الثوري. فاتفقت روايته مع رواية ابن أبي حاتم.

وليس بعد هذا ثبت ويقين.

(67) الخبر: 1685 - هو تكرار للخبر قبله، من رواية عبد العزيز بن المختار، عن موسى ابن عقبة. وعبد العزيز بن المختار الدباغ: ثقة، روى له الجماعة. مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم 2/393 - 394.

(68) في ابن كثير 1: 259: "ثبتت مكانها".

(69) في ابن كثير 1: 259: "الهلكة"، وهما سواء.

(70) ما أدري ما يعني بقوله: "إنهم في غيب"، إلا أن يكون أراد الغيب: وهو ما غيبك من الأرض، لبعده وانقطاعه، وهبوطه عما حوله. كأنه يقول: إنهم في مكان غيبهم عما تشهدون أنتم - أيتها الملائكة - من آيات ربكم. وانظر ص: 433.

(71) في تفسير ابن كثير 1: 257: "فجعل لهما...".

(72) في تفسير ابن كثير: "أتيا عليها".

(73) في المطبوعة: "فصبرا ما شاء الله"، وفي ابن كثير: "فعبرا". وغير: مكث وبقي.

(74) انظر ص: 432 تعليق: 1.

(75) الأثر: 1687 - في تفسير ابن كثير 1: 257 - 258 عن أبي حاتم قال: "أخبرنا عمام بن رواد، أخبرنا آدم، أخبرنا أبو جعفر، حدثنا الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس رضي الله عنهما"، وهو غير إسناد ابن جرير، وكلاهما من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس، ولكن ابن جرير لم يرفعه إلى ابن عباس. ونصهما واحد إلا بعض خلاف يسير في بعض اللفظ.

(76) في المطبوعة: "قالها مرتين أو ثلاثا"، والصواب من ابن كثير في تفسيره 1: 255، والدر المنثور 1: 97.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(77) في ابن كثير : "أو قال - قال لي رسول الله . . ." .
(78) الفرج بن فضالة التنوخي القضاعي : ضعيف قال البخاري : "منكر الحديث" ، وهو مترجم في التهذيب ، والكبير 1/134/4 ، والصغير : 192 ، 199 ، والضعفاء للبخاري : 29 ، والنسائي : 25 ، وابن أبي حاتم 85/2/3 - 86 .

وهذا الحديث هنا مختصر . وقد رواه الخطيب في ترجمة سنيد ، مطولا ، من طريق عبد الكريم بن الهيثم ، عن سنيد ، بهذا الإسناد .

وهذه الأخبار ، في قصة هاروت وماروت ، وقصة الزهرة ، وأنها كانت امرأة فمسخت كوكبا - أخبار أهل العلم بالحديث . وقد جاء هذا المعنى في حديث مرفوع ، ورواه أحمد في المسند : 6178 ، من طريق موسى بن جبير ، عن نافع ، عن ابن عمر . وقد فصلت القول في تعليقه في شرح المسند ، ونقلت قول ابن كثير في التفسير 1 : 255 "وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأخبار ، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم" . واستدل بروايته الطبري السالفين : 1684 ، 1685 عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأخبار .

وقد أشار ابن كثير أيضًا في التاريخ 1 : 37 - 38 قال : "فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين ، وإن كان قد أخرجه كعب الأخبار ، وتلقاه عنه طائفة من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية والتحدث عن بني إسرائيل" . وقال أيضًا ، بعد الإشارة إلى أسانيد آخر : "وإذا أحسنا الظن قلنا : هذا من أخبار بني إسرائيل ، كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأخبار . ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها" .

وقال في التفسير أيضًا 1 : 260 ، بعد ذكر كثير من الروايات التي في الطبري وغيره : "وقد روى في قصة هاروت وماروت ، عن جماعة من التابعين ، كمجاهد ، والسدي والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والزهري ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين ، من المتقدمين والمتأخرين . وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى . وظاهر سياق القرآن إجمال القصة" من غير بسط ولا إطراب فيها . فنحن نؤمن بما ورد في القرآن ، على ما أراده الله تعالى . والله أعلم بحقيقة الحال" .

وهذا هو الحق ، وفيه القول الفصل . والحمد لله .
(79) في ابن كثير 1 : 259 : "أعجبت من بني آدم . . وإنكما ليس بيني وبينكم رسول" .

(80) في ابن كثير : "فأمرهما بأمور ونهاهما" .

(81) في ابن كثير : "قالا وقضيا لها فأتتهما" ، وليس بصواب .

(82) في ابن كثير : "فزجرا ولم يؤذن لهما ، وهما سواء" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (83) في ابن كثير : "فقالا : ألا تعلم أن أفواج عذاب الله . . وفي الدنيا تسع مرات مثلها". وفي الدر المنثور : "فقالا : نعلم أن أفواج عذاب الله . . نعم ، ومع الدنيا سبع مرات . . " وقوله "ومع الدنيا . . " أي إذا قيس بعذاب الدنيا ، كان سبعة أمثال عذابها .
- (84) الأثر : 1689 - في تفسير ابن كثير 1 : 259 - 260 ، وفي الدر المنثور 1 : 102 :
(85) انظر ما سلف ص : 425 - 426 .
(86) الأثر : 1690 - هو الأثر السابق 1686 .
(87) الأثر : 1691 الحسين : هو سنيد ، كما مضى مرارا .

حجاج : هو ابن محمد المصيبي الأعور ، وهو ثقة رفيع الشأن ، من شيوخ أحمد وابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/376 ، وابن أبي حاتم 1/2/166 ، وتاريخ بغداد 8 : 236 - 239 .

وهذا الخبر قطعة من خبر مطول ، سيأتي : 1692 ، من طريق ابن أبي الزناد أيضًا .

(88) الحديث : 1692 - أحمد بن الوليد ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو؟ وسفيان بن وكيع بن الجراح : ضعيف قال البخاري في التاريخ الصغير ، ص : 246 "يتكلمون فيه لأشياء لقنوه". وقال النسائي في الضعفاء ، ص : 16 "ليس بشيء". بل اتهمه أبو زرعة بالكذب . ودفع عنه أبو حاتم هذه السبة ، وإنما جاء ذلك من وراقه ، أفسد عليه حديثه . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 2/1/231 - 232 ، والمجروحين لابن حبان (مخطوط مصور) ، رقم : 470 . وليس ضعفه بسبب لضعف هذا الحديث فقد جاء بأسانيد صحاح ، سنشير إليها في الحديث التالي .

يحيى بن سعيد : هو القطان الإمام الحافظ .
(89) الحديث : 1693 - هو تكرر للحديث السابق بإسناد آخر ، رواه سفيان بن وكيع عن ابن نمير .

ابن نمير : هو عبد الله بن نمير الهمداني : ثقة صاحب سنة ، روى عنه الأئمة ، أحمد ، وابن المديني . مترجم في التهذيب ، وابن سعد 6 : 274 - 275 . وابن أبي حاتم 2/2/186 .

وهذا الحديث - بطريقه - مختصر من حديث مطول : أما من رواية ابن نمير ، فقد رواه أحمد في المسند 6 : 57 (حلي) عن ابن نمير . ورواه مسلم في صحيحه 2 : 180 ، عن أبي كريب . ورواه ابن ماجه : 3545 ، عن أبي بكر بن شيبه - كلاهما عن ابن نمير ، به مطولا .

وقد رواه كثير من الثقات الأثبات عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فرواه أحمد في المسند 6: 63، من طريق معمر. ورواه أحمد أيضًا 6: 63، من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، وكذلك رواه البخاري 10: 201، ومسلم 2: 180 - كلاهما من طريق أبي أسامة. ورواه أحمد أيضًا 6: 96، وابن سعد 4/ 2/ 2 - كلاهما من طريق وهيب. ورواه البخاري 10: 192 - 197، من طريق عيسى بن يونس. و10: 199 - 201، من طريق ابن عيينة. و10: 400، من طريق سفيان، وهو ابن عيينة. و11: 163، من طريق أنس ابن عياض أبي ضمرة. ورواه أيضًا 6: 239، معلقًا من رواية الليث بن سعد، - كل هؤلاء روه عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. وقال البخاري 10: 197، عقب رواية عيسى بن يونس: أنه سمعه قبل ذلك من ابن جريح "يقول: حدثني آل عروة عن عروة"، وأنه - أي ابن عيينة - سأل هشامًا عنه، فحدثه به عن أبيه عن عائشة.

وذكر ابن كثير بعض طرقه، في تفسير سورة الفلق 9: 353 - 354. وإنما فصلنا القول في طرقه هنا، لأن الطبري لم يذكره هناك في موضعه.

وقد ثبت مثل هذه القصة من حديث زيد بن أرقم. رواه أحمد في المسند 4: 367 (حلي)، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم، به وهذا إسناد صحيح. يزيد بن حيان أبو حيان التيمي: تابعي ثقة، مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري 4/ 2/ 324 - 325، وابن أبي حاتم 4/ 2/ 255 - 256.

ورواه أيضًا ابن سعد 2/ 2/ 6، عن موسى بن مسعود، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن ثمامة المحلمي، عن زيد بن أرقم. وهذا إسناد صحيح أيضًا. موسى بن مسعود النهدي: سبق توثيقه: 280. و"ثمامة بن عتبة المحلمي": ثقة. مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري 1/ 2/ 176، والجرح 1/ 1/ 465 - 466. و"المحلمي" بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة بعدهما ميم، نسبة إلى "محلم بن تميم".

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 6: 281، بروائتين، وقال: "رواه النسائي باختصار"، ثم قال: "رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح".

وذكره الحافظ في الفتح 10: 194 أنه "صححه الحاكم وعبد حميد".

وقصة السحر هذه عرض لها كثير من أهل عصرنا بالإنكار؛ وهم في إنكارهم مقلدون، ويزعمون أنهم بعقلهم يهتدون. وقد سبقهم إلى ذلك غيرهم، ورد عليهم العلماء:

فقال الحافظ في الفتح 10: 192 "قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ! 10: 192" قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل. وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أنه يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم !

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء!! قال المازري: وهذا كله مردود. لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شهادات بتصديقه. فتجوز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها - فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر، كالأمراض. فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، مع عصمته عن مثل ذلك من أمور الدين". ثم أفاض الحافظ في هذا البحث الدقيق، بقوته المعروفة، في جمع الروايات وتفسيرها، بما لا يدع شكاً عند من ينصف. وعقد القاضي عياض فصلاً جيداً في هذا البحث، في كتاب الشفاء. انظره في شرح العلامة على القارئ 2: 190 - 193 من طبعة بولاق سنة 1257.

(90) الحديث : 1694 - هذا في معنى الحديثين قبله . ولكن هذا مرسل . وقد روى ابن سعد 2/2/5 ، نحوه مختصراً ، عن الزهري ، "عن ابن المسيب وعروة بن الزبير قالاً : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سحرتني يهود بني زريق" . وقد أشار الحافظ في الفتح 10 : 193 إلى أن مرسل سعيد بن المسيب رواه عبد الرزاق ، وذكر من بعض ألفاظه ما يدل على أنه أطول مما هنا . وقوله "بئر حزم" ، لا يعرف . والذي في الروايات جميعاً : "بئر ذروان" .

(91) في المطبوعة : "فضل" ، وهو خطأ .

(92) سياق العبارة : "أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين . . وصحة ما قلنا" معطوفاً .

(93) يقال : "كان في حدثان كذا وكذا" (بكسر فسكون) ، و"في حديثه" : أي على قرب عهد به .

(94) يشفيها : أي يجيئها بما يبلغ بها سكينه القلب فتبرأ من حيرتها . ومنه : "شفاء العي السؤال" . والجهل والحيرة مرض القلوب والنفوس .

(95) في ابن كثير 1 : 260 : "فلم يكن شيء" ، والصواب ما هنا وفي الدر المنثور 1 : 101 وقولها : "فلم يكن كشيء" عبارة جيدة ، بمعنى : لم يكن ما مضى كشيء يعد ، بل أقل من القليل . والعرب تقول : تأخرت عنك شيئاً ، أي قليلاً . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة .

وقالت لهن : اربعن شيئاً ، لعلي

وإن لامني فيما ارتأيت مليم

أي قفن قليلاً . ويقولون في مثل ذلك أيضاً : "لم يكن إلا كلا ولا" ، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة .

(96) في المطبوعة : "فقلاً ، اذهبي . . " ، وأثبت ما في الدر المنثور وابن كثير ، فهي أجود .

(97) في المطبوعة : "فأبيت" بحذف "فأربيت" . وأرب بالمكان لزمه ولم يبرحه . والزيادة من ابن كثير في الموضعين .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(98) يقال : أنت على رأس أمرك ، وعلى رئاس أمرك : أي في أوله وعلى شرف منه . وزعم الجوهرى أن قولهم : "على رأس أمرك" من كلام العامة ، وهذا الخبر ينقض ما قال .

(99) في تفسير ابن كثير والدر المنثور : "فرايت فارسا" ، وما هنا صواب جيد

(100) في هذه الفقرة كلمات لم تثبتها كتب اللغة ، سأذكرها في مدرج شرحها . "أطلي فأطلعت" أي أخرجي شطأك ، من قولهم : أطلع الزرع ، إذا بدا أول نباته من الأرض . "أحقل الزرع : تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه . "أفركي فأفركت" ، أي كوني فريكا . وهو حب السنبل إذا اشتد وصلح أن يفرك . أفرك السنبل : صار فريكا ، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل . و"أبيسي فأبيست" أي كوني حيا يابسا ، أيبس البقل : يبس وجف . "أطحنى فأطحنت" . أي كوني طحينا . ولم يرد في كتب اللغة : "أطحن" ، ولكنها أتبع هذا الحرف ما مضى من أخواته ، وهي عربية سليمة ماضية على سنن اللغة في هذا الموضع . "أخيزي فأخيزت" ، أي كوني خيزا يؤكل ، وهذه أيضا لم ترد في كتب اللغة ، ولكنها عريقة كأختها السالفة . وقد قال ابن كثير أن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة ، وأن الحاكم صححه ، فإن كان ذلك كما قالا ، فلا شك في عريقة هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضا

(101) الخبر : 1695 - مضت قطعة منه ، بإسناد آخر إلى ابن أبي الزناد : 1691 .

وهذا الخبر نقله ابن كثير 1 : 260 - 261 ، بطوله ، عن الطبري . وقدم له بكلمة قال "وقد ورد في ذلك أثر غريب ، وسياق عجيب في ذلك . أحبينا أن ننبه عليه" . ثم قال بعد نقله . "فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها" . وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان ، بأطول منه .

وذكره السيوطي 1 : 101 ، ونسبه أيضا للحاكم وصححه . والبيهقي في سننه

وهي قصة عجيبة ، لا ندري أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة؟ أما عائشة فقد صدقت في أن المرأة أخبرتها . والإسناد إلى عائشة جيد ، بل صحيح .

الربيع بن سليمان : هو المرادي المصري المؤذن ، صاحب الشافعي وراوية كتبه ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/2/464 . ابن أبي الزناد : هو "عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان" ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة ، في روايته عن أبيه ، وفي رواية البغداديين عنه . والحق أنه ثقة ، وخاصة في حديث هشام بن عروة . فقد قال ابن معين - فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره - "أثبت الناس في هشام بن عروة : عبد الرحمن بن أبي الزناد" . وقد وثقه الترمذي وصحح عدة من أحاديثه ، بل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال في السنن 3 : 59 ، في حديث له صححه ، وفيه حرف لم يروه غيره ، فقال : " وإنما ذكره عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وهو ثقة حافظ " .
(102) في المطبوعة : " وقيل شيء أسود . . " كلام بلا معنى . والتصحيح من ابن كثير 1 : 262 .
(103) في المطبوعة : أخذ عليها أن لا يعلمها " والزيادة من ابن كثير 1 : 262 .
(104) نسبه الطبري في تاريخه 1 : 151 - 152 للحتات بن يزيد المجاشعي عم الفرزدق . ونسبه البلاذري في أنساب الأشراف 5 : 104 إلى : علي بن الغدير بن المضرس الغنوي ، وإلى : إهاب بن همام بن صعصة بن ناجية بن عقال المجاشعي ، وإلى : ابن الغريرة النهشلي ، وهو كثير بن عبد الله بن مالك النهشلي ، وهو مخضرم ، وإليه أيضًا في معجم الشعراء : 349 ، وفي الكامل للمبرد 2 : 34 ، وقال أبو الحسن الأخفش : " ابن الغريرة الضبي " ، وهو خطأ محض ، إنما هو النهشلي .
(105) أول هذه القصيدة :

نأتك أمامة نأيا طويلا

وحملك الحب عبئا ثقيلا

ثم قال :

لعمر أبيك فلا تجزعي

لقد ذهب الخير إلا قليلا

لقد فتن الناس في دينهم

وخلى ابن عفان شرا طويلا

أعاذل كل امرئ هالك

فسيرى إلى الله سيرا جميلا

فإن الزمان له لذة

ولا بد لذته أن تزولا

وروى الطبري صدر البيت الذي استشهد به هنا في تاريخه :

* لقد سفه الناس في دينهم *

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (106) يعني الطبري أن في الكلام حذف اجتزأ بفهم سامعه عن ذكره ، وهو قوله : "فيأتون قبول ذلك منهما" .
- (107) قوله : "ما كان للتأويل .." ، هي ما يقولونه في العربية الركيكة "ما دام للتأويل .."
- (108) انظر ما سلف : 423 - 424 .
- (109) في المطبوعة : "ولا يجمع ثلاثيه" خطأ محض .
- (110) انظر ما سلف 1 : 514 ، ففيه زيادة عما هنا .
- (111) هو الفرزدق .
- (112) ديوانه : 605 ، والأغاني 9 : 326 ، و 19 : 8 (ساسى) ، في قصته مع النوار ، ويقول هذا الشعر لبني أم النسير (طبقات فحول الشعراء : 281 ، والأغاني) ، وكانت خرجت مع رجل يقال له زهير بن ثعلبة ومع بني أم النسير ، فقال هذا الشعر ، وبعد البيت :

ومن دون أبوال الأسود بسالة

وصولة أيد يمنع الضيم طولها

ورواية الديوان وغيره :

وإن امرءا يسعى يخيب زوجتي

- وقوله : "يخيب" ، أي يفسدها على . ويحرش : يحرض ويغري بيني وبينها .
و"يستيلها" : أي يطلب أن تبول في يده .
- (113) انظر ما سلف : 435 وما بعدها .
- (114) في المطبوعة : "فإن كان ذلك صحيحا" ، والأجود ما أثبت .
- (115) انظر ما سلف 1 : 196 .
- (116) أخذه تأخيذا . والتأخيذ : حبس السواحر أزواج النساء عن غيرهن من النساء ، ويقال لهذه الحيلة : الأخذة (بضم فسكون) .
- (117) لم أعرف قائلهما ، ولم أجدها إلا في أمالي الشريف المرتضى 1 : 421 ، وكأنه نقلهما عن الطبري ، لأنها جاءا في تفسير هذه الآية ، على هذا المعنى .
والوطب : سقاء اللبن خاصة . والعلبة : جلدة تؤخذ من جنب البعير ، فتسوى مستديرة ، ثم تملأ رملا سهلا ، ثم تضم أطرافها بخلال حتى تجف وتيبس ، ثم يقطع رأسها وقد قامت قائمة لجفافها تشبه قصعة مدورة ، فكانها نحتت نحتا ، ويعلقها الراعي ويشرب بها ، وله فيها رفق وخفة لأنها لا تنكسر إذا حركها البعير أو طاحت إلى الأرض . والصر : شد ضرع النوق الحلوبات إذا أرسلوها للمرعي سارحة ، ويسمون ذلك الرباط : صرارا . والأخلاف جمع خلف (بكسر فسكون) ، وهو ضرع الناقة أو البعير إذا استكمل الثامنة وطعن في التاسعة ،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبزل نابه، أي انشقى عن اللحم. وهو أقصى سنه وتمام قوته. وفي المطبوعة هنا "المذممة"، وفي أمالي الشريف: "المزمنة"، وفي نسخة أخرى منها "المزهمة"، وقد علق أحد أصحاب الحواشي على الأمالي فقال: "المزمنة: التي علق عليها الزمام". واخترت أن تكون "المزمنة" فهي أشبه بهذا الشعر. يقال: ناقة مزمنة وهي التي عليها سمة التنزيم، وهو أن يقطع طرف أذنه ويترك له زنمة مشرفة. وإنما يفعل ذلك بالكرام من الإبل. وهذا هجاء يقول له: إنما أنت راع خسيس، ترعى على السادة الكرام كرام إبلهم، ولا تجمع من خيرات ما يتمتع به سادتك، إلا وطبا وعلبة وعلاجا لإبلهم التي ترعاها عليهم.

(118) الجار: الذي قرب منزله من منزلك، ووصفه بقوله: "المجاور" للدلالة على شدة قربه، وهو الجار الجنب، فهو أشد حرمة لنزوله في جواره ومنعته، وركونه إلى أمان عهده. والنجل: تمزيق عرضه بالغيبة والمعابة والسب بظهر الغيب. وفي الحديث: "من نجل الناس نجلوه" أي سبهم وقطع أعراضهم بالشتيم كما يقطع بالمنجل، جازوه بمثل فعله.

(119) لم أعرف قائله. صلدت: صلبت وقست. والصفة: الحجر الصلد الأملس الضخم الذي لا ينبت شيئاً. والحيود جمع حيد: وهو التنوء في الجبل أو القرن أو غيرهما. وهذا مثل: يقول له أنت غليظ جاف لا يصلحك شيء، ولا خير فيك، كالصفة الملساء ذات التنوء، لا يصلحها شيء ولا تأتي بخير. والسلف: سلف الإنسان: من تقدمه من آبائه وذوي قرابته ممن هم فوقه في السن والفضل. يقول: ورثت من والديك مكان مآثر الأسلاف الكرام، عقوقاً، فأنتم تعقهم، كما عقواهم آباؤهم. فأنتم خلف يلعن سلفاً لئما عاقا، يلعن أسلافه. فأنتم معرقون في العقوق، وهو شر أخلاق الناس.

(120) كأنه يريد: حرم التفريق على لسان الأمة: أن تنطق به وتأمّر بفعله (121) لم أجد البيت في ديوان الحطيئة المطبوع. وقوله "فأذني" يدل على أن الفعل متعد: "أذنه بالشيء يأذنه إذنا" أعلمه به، مثل "أذنه به". ولم يرد ذلك في شيء من كتب اللغة، والبيت شاهد عليه، وشرح الطبري بعد دال أيضاً على مراده.

(122) في المطبوعة: "يعني بذلك جل ثناؤه". ويتعلمون أي الناس الذين

يتعلمون. وهو كلام غير مستقيم، كأنه تصرف من بعض النساخ.

(123) في المطبوعة: "لأن قوله: علموا، بمعنى اليمين"، وأثرت

إثبات "ولقد"، لأن الجملة كلها بمعنى اليمين.

(124) هذا كله في معاني الفراء 1: 65 - 69، مع تصرف في اللفظ.

(125) رواه الفراء في معاني الفراء 1: 66 غير منسوب، ولكن صاحب

الخرزاة 4: 220 نسبه لكميت بن معروف، ولكني لم أجده منسوباً إليه في كتاب آخر، وأخشى أن يكون صاحب الخرزاة قدوهم. هذا، والبيت وما قبله جميعاً في معاني الفراء 1: 65 - 66.

(126) الحديث: 1715 - هكذا علق الطبري هذا الحديث، بدون إسناد وقد

رواه أحمد في المسند 5: 45 (حلي)، من حديث أبي بكر، بلفظ: "إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم". وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 5: 302، ثم قال: "رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات". وذكره أيضاً بعده، من حديث أنس، وقال: "رواه البزار والطبراني في الأوسط، وأحد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- أسانيد البزار ثقات الرجال" . (كذا بالأصل) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير : 1838 ، ونسبه للنسائي وابن حبان من حديث أنس ، ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكر . ونقل شارحه المناوي أن الحافظ العراقي قال : "إسناده جيد" . وحديث أنس رواه أيضاً أبو نعيم في الحلية 6 : 262 . ورواه قبل ذلك 3 : 13 ، من حديث الحسن مرسلًا . ثم أشار إلى حديث أنس .
- (127) ديوانه : 47 بيت مفرد : . وقوله "فيها" ، أظنه يعني النار . والقطر : النحاس الذائب .
- (128) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 340 - 342 .
- (129) ديوانه : 51 ، وأمالي الشريف المرتضى 1 : 424 ، وكأنه كان ينقل كلام الطبري في تفسير هذه الآية ، مع التصرف . والمرملة : الذي نفذ زاده . أرمل الرجل فهو مرملة ، كأنه لصق بالرملة لما أنقض .
- (130) يقول : "وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب . . أولى" وفصل فأطال .
- (131) في المطبوعة : "إرجاعه إليها" سهو من ناسخ .
- (132) قوله "الراعي : الخطاء" لم أجده في غيره بعد . والذي في كتب التفسير واللغة . وربما كانت "الخطأ" . وقد قالوا : "راعنا : الهجر من القول" . وقالوا اشتقوه من الرعونة : وهي الحمق والجهل والاسترخاء .
- (133) في المطبوعة : "فقال" ، والفاء لا مكان لها .
- (134) تقدم إليه : أمره .
- (135) الحديث : 1739 - ذكره الطبري معلقاً دون إسناد . وقد رواه أحمد في المسند : 7509 ، من حديث أبي هريرة ، مرفوعاً : "ولا تسموا العنب الكرم" . ورواه الشيخان وغيرهما ، كما بينا هناك . ورواه أيضاً قبل ذلك إشارة موجزا : 7256 .
- وروى مسلم 2 : 197 ، من حديث علقمة بن وائل ، عن أبيه ، مرفوعاً : "لا تقولوا الكرم ، ولكن قولوا : الحبلية ، يعني العنب" .
- (136) الحديث : 1740 - وهذا معلق أيضاً . وهو جزء من حديث طويل . رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، من حديث أبي هريرة ، مرفوعاً : " . . ولا يقل أحدكم عبدي ، أمتي ، وليقل : فتاي ، فتاتي ، غلامي" . انظر البخاري 5 : 128 - 131 (فتح) ، ومسلم 2 : 197 .
- (137) ديوانه : 86 ، وسيأتي في هذا الجزء 2 : 540 وقد سلف تخريج أبيات من هذه القصيدة في 1 : 106 ، 2 : 94 ، وهي في هودة بن علي كما سلف . يقول قبله :

يا هود، يا خير من يمشي على قدم

بحر المواهب للوراد والشرعا

وابتدع : أحدث ما شاء .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (138) اقرأ قول الله تعالى في صدر "سورة الحجرات" .
(139) قوله : "ومعنى" معطوف على قوله أنفًا : "لما فيه من احتمال معنى :
ارعنا نرعاك .." .
(140) وهي الآية التي تلي الآية التي يفسرها .
(141) ديوانه : 53 ، واللسان (نظر) (حوز) (نس) (عشا) . من قصيدة يهجو بها
الزبرقان ابن بدر ، ويمدح بغيض بن عامر من شماس . والأعشاء جمع عشى
(بكسر فسكون) : وهو ما تتعشاه الإبل . والصادرة : الإبل التي تصدر عن الماء
والخمس : من أظماء الإبل ، وهو أن تظل في المرعى بعد يوم ورودها
ثلاثة أيام ، ثم ترد في الرابع . والحوز : السوق اللين ، حاز الإبل : ساقها
سوقا رويدا . والتنساس والنس ، مصدر قولك : نس الإبل بينها : ساقها سوقا
شديدا لورود الماء . ويروى "إيتاء صادرة" . والإيتاء مصدر أنيت الشيء : إذ
أخرته . يقول للزبرقان ، حين نزل بداره ، ثم تحول عنها إلى دار بغيض
(انظر خبرهما في طبقات فحول الشعراء : 96 - 98) : انتظرت خيركم انتظار
الإبل الخوامس لعشائها . وذلك أن الإبل إذا صدرت تعشت طويلا ، وفي
بطونها ماء كثير ، فهي تحتاج إلى بقل كثير . يصف طول انتظاره حين لا
صبر له على طول الانتظار . وقد شكاه الزبرقان إلى عمر لهذه القصيدة ،
ولقوله فيها :

دع المكارم لا ترحل لبغيثها

واقعد، فإنك أنت الطاعم الكاسي

- (142) زدت قول الله تعالى : "أنظرونا" ، من أجل اختلاف "الحرفين" .
(143) في المطبوعة : "إن كان ذلك .." ، ليست بشيء .
(144) انظر ما سلف 1 : 283 ، ثم هذا الجزء 2 : 140 ، 377 .
(145) في المطبوعة : "وأما المشركون" ، والصواب ما أثبت .
(146) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 126 ، 127 ، وكان ينبغي أن يذكره
في تفسير الآية : 102 أو يحيل كما أحال هنا .
(147) كان في المطبوعة : "الذي كان عند الله ينزله عليهم" ، ولا يستقيم
الكلام إلا كما أثبتنا .
(148) في المطبوعة : "تفضلا منه" ، وهو خطأ ، بل هذا خبر "أن" .

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ
وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ

قال أبو جعفر: ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتابين تنازعوا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم لبعض.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1811- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، وحدثنا أبو كريب قال، حدثنا
يونس بن بكير ، قالا جميعا- حدثنا محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن
أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن
ابن عباس قال، لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أتتهم أخبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رافع بن حريملة: < 2-514 > ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى
ابن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على
شيء ، ووجد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله عز وجل في ذلك من
قولهما: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء) ، إلى قوله: فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (1)

1812- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع
قوله: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء) ، قال: هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم.

قال أبو جعفر: وأما تأويل الآية ، فإن قالت اليهود: ليست النصارى في دينها
على صواب! ، وقالت النصارى: ليست اليهود في دينها على صواب! وإنما أخبر
الله عنهم بقتلهم ذلك للمؤمنين ، إعلاما ، منه لهم بتضييع كل فريق منهم
حكم الكتاب الذي يظهر الإقرار بصحته وبأنه من عند الله ، وجحودهم مع
ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه ، لأن الإنجيل الذي تدين بصحته وحقيقته
النصارى ، يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام، وما فرض الله
على بني إسرائيل فيها من الفرائض ، وأن التوراة التي تدين بصحتها
وحقيقتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام ، وما جاء به من الله من
الأحكام والفرائض.

ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله: (وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) ،
مع تلاوة كل واحد من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قتله ذلك.
فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك ، على علم منهم
أنهم فيما قالوه مبطلون ؛ وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة
منهم بأنهم فيه ملحدون.

< 2-515 >

فإن قال لنا قائل: أو كانت اليهود والنصارى بعد أن بعث الله رسوله على
شيء ، فيكون الفريق القائل منهم ذلك للفريق الآخر مبطلا في قتله ما قال
من ذلك؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيل: قد روي الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس قبل ، من أن إنكار كل فريق منهم ، إنما كان إنكاراً لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي ينتحل التصديق به ، وبما جاء به الفريق الآخر ، لا دفعا منهم أن يكون الفريق الآخر في الحال التي بعث الله فيها نبينا صلى الله عليه وسلم على شيء من دينه ، بسبب جحوده نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وكيف يجوز أن يكون معنى ذلك إنكار كل فريق منهم أن يكون الفريق الآخر على شيء بعد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكلا الفريقين كان جاحدا نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الحال التي أنزل الله فيها هذه الآية؟ ولكن معنى ذلك: وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء من دينها منذ دانت دينها ، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء منذ دانت دينها. وذلك هو معنى الخبر الذي رويناه عن ابن عباس أنفا. فكذب الله الفريقين في قيلهما ما قال. كما:-

1813- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء)، قال: بلى ! قد كانت أوائل النصارى على شيء ، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا ، وقالت النصارى: (ليست اليهود على شيء)، ولكن القوم ابتدعوا وتفرقوا.

1814- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء)، قال: قال مجاهد: قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء.

وأما قوله: (وهم يتلون الكتاب)، فإنه يعني به كتاب الله التوراة والإنجيل ، > 516-2 < وهما شاهدان على فريقَي اليهود والنصارى بالكفر ، وخلافهم أمر الله الذي أمرهم به فيه. كما:-

1815- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير - وحدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل - قالا جميعا، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس في قوله: (وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم)، أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به: أي يكفر اليهود بعبسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعبسى عليه السلام ، وفي الإنجيل مما جاء به عبسى تصديق موسى ، وما جاء به من التوراة من عند الله ؛ وكل يكفر بما في يد صاحبه. (2)

القول في تأويل قوله تعالى : كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله: (كذلك قال الذين لا يعلمون). فقال بعضهم بما:-

1816- حدثني به المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم)، قال: وقالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم.

1817- حدثنا بشر بن سعيد، عن قتادة: (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم)، قال: قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم.

وقال آخرون بما:-

< 2-517 >

1818- حدثنا به القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج: قلت لعطاء: من هؤلاء الذين لا يعلمون؟ قال: أمم كانت قبل اليهود والنصارى، وقبل التوراة والإنجيل.

وقال بعضهم: عنى بذلك مشركي العرب، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب فنسبوا إلى الجهل، ونفى عنهم من أجل ذلك العلم.

* ذكر من قال ذلك:

1819- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم)، فهم العرب، قالوا: ليس محمد صلى الله عليه وسلم على شيء.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر عن قوم وصفهم بالجهل، ونفى عنهم العلم بما كانت اليهود والنصارى به عالمين - أنهم قالوا بجهلهم نظير ما قال اليهود والنصارى بعضها لبعض مما أخبر الله عنهم أنهم قالوه في قوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ. وجائز أن يكونوا هم المشركين من العرب، وجائز أن يكونوا أمة كانت قبل اليهود والنصارى. ولا أمة أولى أن يقال هي التي عنيت بذلك من أخرى، إذ لم يكن في الآية

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

دلالة على أي من أي ، ولا خبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتت حجة من جهة نقل الواحد العدل ، ولا من جهة النقل المستفيض.

وإنما قصد الله جل ثناؤه بقوله: (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) ، إغلام المؤمنين أن اليهود والنصارى قد أتوا من قيل الباطل ، واقتراء الكذب على الله ، وجحود نبوة الأنبياء والرسل ، وهم أهل كتاب يعلمون أنهم فيما يقولون مبطلون ، وبجحودهم ما يجحدون من ملتهم خارجون ، وعلى الله مفترون ، مثل الذي قاله أهل الجهل بالله وكتبه ورسله ، الذين لم يبعث الله لهم رسولا ولا أوحى إليهم كتابا.

< 2-518 >

وهذه الآية تنبئ عن أن من أتى شيئا من معاصي الله على علم منه بنهي الله عنها ، فمصيبتة في دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلا به . لأن الله تعالى ذكره عظم توبيخ اليهود والنصارى بما وبخهم به في قيلهم ما أخبر عنهم بقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، من أجل أنهم أهل كتاب قالوا ما قالوا من ذلك على علم منهم أنهم مبطلون.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه: فالله يقضي فيفصل بين هؤلاء المختلفين ، = القائل بعضهم لبعض: لستم على شيء من دينكم - يوم قيام الخلق لربهم من قبورهم - فيتين المحق منهم من المبطل ، بإثابة المحق ما وعد أهل طاعته على أعماله الصالحة ، ومجازاته المبطل منهم بما أوعدهم أهل الكفر به على كفرهم به = فيما كانوا فيه يختلفون من أديانهم ومللهم في دار الدنيا.

وأما " القيامة " فهي مصدر من قول القائل: " قمت قياما وقيامه " ، كما يقال: " عدت فلانا عيادة " و " صنت هذا الأمر صيانة " .

وإنما عنى " بالقيامة " قيام الخلق من قبورهم لربهم . فمعنى " يوم القيامة " : " يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-519 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى قبل على أن تأويل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. (3) وتأويل قوله: (ومن أظلم)، وأي امرئ أشد تعديا وجراءة على الله وخلافا لأمره، من امرئ منع مساجد الله أن يعبد الله فيها؟

و "المساجد" جمع مسجد: وهو كل موضع عبد الله فيه. وقد بينا معنى السجود فيما مضى. (4) فمعنى "المسجد": الموضع الذي يسجد لله فيه، كما يقال للموضع الذي يجلس فيه: "المجلس"، وللموضع الذي ينزل فيه: "منزل"، ثم يجمع: "منازل ومجالس" نظير مسجد ومساجد. وقد حكى سماعا من بعض العرب "مساجد" في واحد المساجد، وذلك كالخطأ من قائله.

وأما قوله: (أن يذكر فيها اسمه)، فإن فيه وجهين من التأويل. أحدهما: أن يكون معناه: ومن أظلم ممن منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه، فتكون "أن" حينئذ نصبا من قول بعض أهل العربية يفقد الخافض، وتعلق الفعل بها.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: ومن أظلم ممن منع أن يذكر اسم الله في مساجده، فتكون "أن" حينئذ في موضع نصب، تكريرا على موضع المساجد وردا عليه. (5)

وأما قوله: (وسعى في خرابها)، فإن معناه: ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن "سعى" يذكر فيها اسمه، وممن سعى في خراب مساجد الله. ف"سعى" إذا عطف على "منع".

فإن قال قائل: ومن الذي عنى بقوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)؟ وأي المساجد هي؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيل: إن أهل التأويل في ذلك مختلفون ، فقال بعضهم: الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى ، والمسجد بيت المقدس.

* ذكر من قال ذلك:

1820- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) ، أنهم النصارى.

1821- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ، النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه.

1822- حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

وقال آخرون: هو بُخْتَنَصَّرَ وجنده ومن أعانهم من النصارى ، والمسجد: مسجد بيت المقدس.

* ذكر من قال ذلك:-

1823- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) ، الآية ، أولئك أعداء الله النصارى ، حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس.

1824- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا > 2-521 < معمر ، عن قتادة في قوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ، قال: هو بختنصر وأصحابه ، خرب بيت المقدس ، وأعانه على ذلك النصارى.

1825- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ، قال: الروم ، كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس ، حتى خربه ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وإنما أعانه الروم على خرابه، من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بلى عنى الله عز وجل بهذه الآية مشركي قريش ، إذ منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام.

* ذكر من قال ذلك:

1826- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال ، حدثنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)، قال: هؤلاء المشركون ، حين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة حتى نحر هديه بذي طوى وهادنهم ، وقال لهم: " ما كان أحد يرد عن هذا البيت، وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فيه فما يصدده ، وقالوا: لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق!

وفي قوله: (وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) قال: إذ قطعوا من يعمرها بذكره، (6) ويأتيها للحج والعمرة.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال: عنى الله عز وجل بقوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) النصارى . وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس ، وأعانوا بختنصر < 2-522 > على ذلك ، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصور بختنصر عنهم إلى بلاده.

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك، قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها ، وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله: (وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) ، إلا أحد المسجدين ، إما مسجد بيت المقدس ، وإما المسجد الحرام. وإذ كان ذلك كذلك = وكان معلوماً أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام ، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه = صح وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده ، غير الذين وصفهم الله بعمارته . إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية ، وعمارته كان افتخارهم ، وإن كان بعض أفعالهم فيه ، كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم.

وأخرى ، أن الآية التي قبل قوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) ، مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذم أفعالهم ، والتي بعدها نهت بدم النصارى والخبر عن افتراءهم على ربهم ، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكر ، ولا للمسجد الحرام قبلها ، فيوجه الخبر - بقول الله

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عز وجل: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) - إليهم وإلى المسجد الحرام.

وإذ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه ، وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها ، إذ كان خبرها لخبرها نظيراً وشكلاً إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك ، وإن اتفقت قصصها فاشتبهت. (7)

فإن ظن ظان أن ما قلنا في ذلك ليس كذلك ، إذ كان المسلمون لم يلزمهم < 2-523 > قط فرض الصلاة في [المسجد المقدس ، فمنعوا من الصلاة فيه فيلجئون] توجيه قوله (8) (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) إلى أنه معني به مسجد بيت المقدس - فقد أخطأ فيما ظن من ذلك. وذلك أن الله جل ذكره إنما ذكر ظلم من منع من كان فرضه الصلاة في بيت المقدس من مؤمني بني إسرائيل ، < 2-524 > وإياهم قصد بالخبر عنهم بالظلم والسعي في خراب المسجد . وإن كان قد دل بعموم قوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) ، أن كل مانع مصليا في مسجد لله، (9) فرضا كانت صلاته فيه أو تطوعا- ، وكل ساع في إخرابه فهو من المعتدين الظالمين.

القول في تأويل قوله جل ذكره **أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ**

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، أنه قد حرم عليهم دخول المساجد التي سعوا في تخريبها ، ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها ، ما داموا على مناصبة الحرب ، إلا على خوف ووجل من العقوبة على دخولهموها، كالذي:-

1827- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة: (ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين)، وهم اليوم كذلك ، لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا نهك ضربا، وأبلغ إليه في العقوبة.

1828- حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة: قال الله عز وجل: (ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) ، وهم النصارى ، فلا يدخلون المسجد إلا مسارقة ، إن قدر عليهم عوقبوا.

1829- حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي: (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) ، فليس في الأرض رومي يدخلها < 2-525 > اليوم إلا وهو خائف أن تضرب عنقه ، أو قد أخيف بأداء الجزية ، فهو يؤديها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1830- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين)، قال: نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان. قال: فجعل المشركون يقولون: اللهم إنا منعنا أن ننزل!.

وإنما قيل: (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين)، فأخرج على وجه الخبر عن الجميع ، وهو خبر عن (من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه)، لأن " من " في معنى الجميع ، وإن كان لفظه واحدا. (10)

القول في تأويل قوله تعالى : لَّهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)

قال أبو جعفر : أما قوله عز وجل: (لهم)، فإنه يعني: الذين أخبر عنهم أنهم منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه. أما قوله: (لهم في الدنيا خزي)، فإنه يعني بـ " الخزي": العار والشر والذلة (11) إما القتل والسب، وإما الذلة والصغار بأداء الجزية، كما:-

1831- حدثنا الحسن قال، حدثنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة: (لهم في الدنيا خزي)، قال: يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

1832- حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله: (لهم في الدنيا خزي)، أما خزيهم في الدنيا، فإنهم إذا قام المهدي وفتح القسطنطينية قتلهم . فذلك الخزي . وأما العذاب العظيم، فإنه عذاب جهنم الذي لا يخفف عن أهله ، ولا يقضى عليهم فيها فيموتوا. وتأويل الآية: لهم في الدنيا الذلة والهوان والقتل والسبي - على منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعيهم < 2-526 > في خرابها، ولهم = على معصيتهم وكفرهم بربهم وسعيهم في الأرض فسادا = عذاب جهنم ، وهو العذاب العظيم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيُّمَا تُلُؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله: (ولله المشرق والمغرب)، لله ملكهما وتديرهما ، كما يقال: " لفلان هذه الدار "، يعني بها : أنها له ، ملكا . فذلك قوله: (ولله المشرق والمغرب)، يعني أنهما له ، ملكا وخلقاً.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

و "المشرق" هو موضع شروق الشمس ، وهو موضع طلوعها ، كما يقال :
لموضع طلوعها منه "مطلع" بكسر اللام ، وكما بينا في معنى "المساجد"
أنفا. (12)

فإن قال قائل: أو ما كان لله إلا مشرق واحد ومغرب واحد ، حتى قيل:
(ولله المشرق والمغرب)؟ قيل: إن معنى ذلك غير الذي ذهبت إليه ، وإنما
معنى ذلك: ولله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم ، والمغرب الذي
تغرب فيه كل يوم. فتأويله إذ كان ذلك معناه: ولله ما بين قطري المشرق ،
وما بين قطري المغرب ، إذ كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا
تعود لشروقها منه إلى الحول الذي بعده ، وكذلك غروبها كل يوم.

فإن قال: أو ليس وإن كان تأويل ذلك ما ذكرت، فله كل ما دونه (13)
الخلق خلقه! < 2-527 > قيل: بلى!

فإن قال: فكيف خص المشارق والمغرب بالخبر عنها أنها له في هذا الموضع
، دون سائر الأشياء غيرها؟

قيل: قد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله خص الله ذكر ذلك
بما خصه به في هذا الموضع. ونحن مينو الذي هو أولى بتأويل الآية بعد
ذكرنا أقوالهم في ذلك. فقال بعضهم: خص الله جل ثناؤه ذلك بالخبر، من
أجل أن اليهود كانت توجه في صلاتها وجوها قبل بيت المقدس ، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مدة ، ثم حولوا إلى الكعبة .
فاستنكرت اليهود ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: ما
ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقال الله تبارك وتعالى لهم: المشارق
والمغرب كلها لي ، أصرف وجوه عبادي كيف أشاء منها ، فحيثما تولوا فثم
وجه الله.

* ذكر من قال ذلك:

1833- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية بن صالح ،
عن علي ، عن ابن عباس قال، كان أول ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها
اليهود ، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود .
فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا ، فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم عليه السلام ، فكان يدعو
وينظر إلى السماء ، فأنزل الله تبارك وتعالى: قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي
السَّمَاءِ [سورة البقرة: 144] إلى قوله: قَوْلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [سورة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

البقرة: 144] ، فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا: مَا وَلاَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا [سورة البقرة: 142] ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، وَقَالَ: (قَائِمًا تُولُوا قَتَمًا وَجْهَ اللَّهِ). (14)

< 2-528 >

1834- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي نحوه.

وقال آخرون: بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين به التوجه شطر المسجد الحرام. وإنما أنزلها عليه معلما نبيه عليه الصلاة والسلام بذلك وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب ، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجها من ذلك وناحية ، إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية ، لأن له المشرق والمغرب ، وأنه لا يخلو منه مكان ، (15) كما قال جل وعز: وَلَا أَدْتَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا [سورة المجادلة: 7] قالوا: ثم نسخ ذلك بالفرض الذي < 2-529 > فرض عليهم في التوجه شطر المسجد الحرام.

* ذكر من قال ذلك:

1835- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد عن قتادة: قوله جل وعز: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) ، ثم نسخ ذلك بعد ذلك ، فقال الله: وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [سورة البقرة: 150]

1836- حدثنا الحسن بن علي قال (16) أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله: (قَائِمًا تُولُوا قَتَمًا وَجْهَ اللَّهِ) ، قال: هي القبلة ، ثم نسختها القبلة إلى المسجد الحرام.

1837- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا همام قال، حدثنا يحيى قال، سمعت قتادة في قول الله: (قَائِمًا تُولُوا قَتَمًا وَجْهَ اللَّهِ) ، قال: كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام . فنسخها الله في آية أخرى: فَلَتَوَلَّيْنَاكَ فَبَلَّةَ رَمْلًا إِلَى وَحْيِنَا كُنْتُمْ قَوْلًا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [سورة البقرة: 144] ، قال: فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1838- حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعته - يعني زيدا - يقول: قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قَائِمًا تُؤَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتا من بيوت الله لو أنا استقبلناه! فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهرا، فبلغه أن يهود تقول: والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم! فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ورفع وجهه إلى السماء، فقال الله عز وجل: < 530-2 > قَدْ تَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ الْآيَةَ [سورة البقرة: 144].

وقال آخرون: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم، إذنا من الله عز وجل له أن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب، في مسيره في سفره، وفي حال المسايقة، وفي شدة الخوف، والتقاء الزحوف في الفرائض. وأعلمه أنه حيث وجهه فهو هنالك، بقوله: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله).

* ذكر من قال ذلك:

1839- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا عبد الملك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته، ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك، ويتأول هذه الآية: (أينما تولوا فثم وجه الله). (17)

1840- حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن فضيل، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر أنه قال: " إنما نزلت هذه الآية: (أينما تولوا فثم وجه الله) أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعا يومئ برأسه نحو المدينة ". (18)

< 2-531 >

وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم عُصَّيت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها، فصلوا على أنحاء مختلفة، فقال الله عز وجل لهم: لي المشارق والمغرب، فأنى وليتم وجوهكم فهنالك وجهي، (19) وهو قبلتكم - معلمهم بذلك أن صلاتهم ماضية.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1841- حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا أبو الربيع السمان ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال، " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة ، فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه، فلما أصبحنا ، إذا نحن قد صلينا على غير القبلة ، فقلنا: يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة . فأنزل الله عز وجل: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم). (20)

< 2-532 >

1842- حدثني المثنى قال، حدثني الحجاج قال، حدثنا حماد قال، قلت للنخعي: إني كنت استيقظت - أو قال أيقظت ، شك الطبري - (21) فكان في السماء سحب ، فصليت لغير القبلة. قال: مضت صلاتك ، يقول الله عز وجل: (فأينما تولوا فثم وجه الله).

1843- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن أشعث السمان ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال، كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة في سفر ، فلم ندر أين القبلة فصلينا ، فصلى كل واحد منا على حاله، (22) ثم أصبحنا فذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل: (فَأَيَّمَا لُؤْلُؤًا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ). (23)

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازعوا في أمره ، من أجل أنه مات قبل أن يصلي إلى القبلة ، فقال الله عز وجل: المشارق والمغرب كلها لي ، فمن وجه وجهه نحو شيء منها يريدني به وبيتغي به طاعتي ، وجدني هنالك. يعني بذلك أن النجاشي وإن لم يكن صلى إلى القبلة ، فإنه قد كان يوجه إلى بعض وجوه المشارق والمغرب وجهه ، يبتغي بذلك رضا الله عز وجل في صلاته.

* ذكر من قال ذلك:

1844- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا هشام بن معاذ قال، حدثني أبي ، عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه. قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم! قال فنزلت وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ [سورة > 2-533 < آل عمران: 199] ، قال : قتادة، فقالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله عز وجل: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله). (24)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك: أن الله تعالى ذكره إنما خص الخبر عن المشرق والمغرب في هذه الآية بأنهما له ملكا ، وإن كان لا شيء إلا وهو له ملك - إعلاما منه عباده المؤمنين أن له ملكهما وملك ما بينهما من الخلق ، وأن على جميعهم = إذ كان له ملكهم = طاعته فيما أمرهم ونهاهم ، وفيما فرض عليهم من الفرائض ، والتوجه نحو الوجه الذي وجهوا إليه ، إذ كان من حكم الممالك طاعة مالكهم. فأخرج الخبر عن المشرق والمغرب ، والمراد به من بينهما من الخلق ، على النحو الذي قد بينت من الاكتفاء بالخبر عن سبب الشيء من ذكره والخبر عنه ، كما قيل: وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ، وما أشبه ذلك. (25)

ومعنى الآية إِدًّا: ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبد لهم بما شاء ، ويحكم فيهم ما يريد عليهم طاعته ، فولوا وجوهكم - أيها المؤمنون - نحو وجهي ، فإنكم أينما تولوا وجوهكم فهناك وجهي.

فأما القول في هذه الآية ناسخة أم منسوخة ، أم لا هي ناسخة ولا منسوخة؟ فالصواب فيه من القول أن يقال: إنها جاءت مجيء العموم ، والمراد الخاص ، وذلك أن قوله: (فَأَيُّمًا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ، محتمل: أينما تولوا - في حال سيركم في أسفاركم ، في صلاتكم التطوع ، وفي حال مسايقتكم عدوكم ، في تطوعكم ومكتوبتكم ، فثم وجه الله ، كما قال ابن عمر والنخعي ، ومن قال ذلك ممن ذكرنا عنه أنفا.

< 2-534 >

= ومحتمل: فأينما تولوا - من أرض الله فتكونوا بها - فثم قبلة الله التي توجهون وجوهكم إليها ، لأن الكعبة ممكن لكم التوجه إليها منها. كما قال :-

1845 - أبو كريب قال حدثنا وكيع ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، والنضر بن عربي ، عن مجاهد في قول الله عز وجل: (فأينما تولوا فثم وجه الله) ، قال: قبلة الله ، فأينما كنت من شرق أو غرب فاستقبلها.

1846 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال، أخبرني إبراهيم ، عن ابن أبي بكر ، عن مجاهد قال، حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها قال، الكعبة.

= ومحتمل: فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم فهناك وجهي أستجيب لكم دعاءكم، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1847- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج ، قال مجاهد: لما نزلت: اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [سورة غافر: 60] ، قالوا: إلى أين؟ فنزلت: (فأينما تولوا فثم وجه الله).

فإذ كان قوله عز وجل: (فأينما تولوا فثم وجه الله)، محتملا ما ذكرنا من الأوجه ، لم يكن لأحد أن يزعم أنها ناسخة أو منسوخة إلا بحجة يجب التسليم لها .

لأن الناسخ لا يكون إلا بمنسوخ ، ولم تقم حجة يجب التسليم لها بأن قوله: (فأينما تولوا فثم وجه الله)، مَعْنِيٌّ به: فأينما توجهوا وجوهكم في صلاتكم فثم قبلكم؛ ولا أنها نزلت بعد صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس ، أمرا من الله عز وجل لهم بها أن يتوجهوا نحو الكعبة ، فيجوز أن يقال: هي ناسخة الصلاة نحو بيت المقدس ، إذ كان من أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة التابعين ، من ينكر أن تكون نزلت في ذلك المعنى، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بأنها نزلت فيه ، وكان الاختلاف في أمرها موجودا على ما وصفت.

< 2-535 >

= ولا هي - إذ لم تكن ناسخة لما وصفنا - قامت حجتها بأنها منسوخة ، إذ كانت محتملة ما وصفنا : بأن تكون جاءت بعموم ، ومعناها: في حال دون حال - (26) إن كان عني بها التوجه في الصلاة ، وفي كل حال إن كان عني بها الدعاء ، وغير ذلك من المعاني التي ذكرنا.

وقد دللنا في كتابنا: " كتاب البيان عن أصول الأحكام " ، على أن لا ناسخ من آي القرآن وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما نفى حكما ثابتا ، وألزم العباد فرضه ، غير محتمل بظاهره وباطنه غير ذلك. (27) فأما إذا ما احتمل غير ذلك من أن يكون بمعنى الاستثناء أو الخصوص والعموم ، أو المجمل ، أو المفسر ، فمن الناسخ والمنسوخ بمعزل ، بما أغنى عن تكريره في هذا الموضوع. ولا منسوخ إلا المنفي الذي كان قد ثبت حكمه وفرضه .

ولم يصح واحد من هذين المعنيين لقوله: (فأينما تولوا فثم وجه الله) ، بحجة يجب التسليم لها ، فيقال فيه: هو ناسخ أو منسوخ.

وأما قوله: (فأينما) ، فإن معناه: حيثما.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: (تولوا) فإن الذي هو أولى بتأويله أن يكون : تولون نحوه وإليه ، كما يقول القائل: " وليته وجهي ووليته إليه " ، (28) بمعنى: قابلته وواجهته. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لإجماع الحجة على أن ذلك تأويله وشذوذ من تأوله بمعنى: تولون عنه فتستدبرونه، فالذي تتوجهون إليه وجه الله ، بمعنى قبله الله.

وأما قوله: (فثم) فإنه بمعنى: هنالك.

< 2-536 >

واختلف في تأويل قوله: (فثم وجه الله) (29) فقال بعضهم: تأويل ذلك: فثم قبله الله ، يعني بذلك وجهه الذي وجههم إليه.

* ذكر من قال ذلك:

1848- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن النضر بن عربي ، عن مجاهد: (فثم وجه الله) قال: قبله الله.

1849- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال، أخبرني إبراهيم ، عن مجاهد قال، حيثما كنتم فلكم قبله تستقبلونها.

وقال آخرون: معنى قول الله عز وجل : (فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ، فثم الله تبارك وتعالى.

وقال آخرون: معنى قوله: (فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ، فثم تدركون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم.

وقال آخرون: عنى بـ " الوجه " ذا الوجه . وقال قائلو هذه المقالة: وجه الله صفة له.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن قال قائل: وما هذه الآية من التي قبلها؟

قيل: هي لها مواصلة . وإنما معنى ذلك: ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه ، وسعوا في خرابها ، ولله المشرق والمغرب ، فأينما توجهوا وجوهكم فاذكروه ، فإن وجهه هنالك، يسعكم فضله وأرضه وبلاده ، ويعلم ما تعملون ، ولا يمنعكم تخريب من خرب مسجد بيت المقدس ، ومنعهم من منعوا من ذكر الله فيه - أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله ، تبتغون به وجهه.

< 2-537 >

القول في تأويل قوله : إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (واسع) يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير.

وأما قوله: (عليم)، فإنه يعني أنه عليم بأفعالهم لا يغيب عنه منها شيء ولا يعزب عن علمه ، بل هو بجميعها عليم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِثُونَ (116)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه: (وقالوا اتخذ الله ولدا) ، الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، (وقالوا) : معطوف على قوله: وَسَعَى فِي خَرَابِهَا .

وتأويل الآية: ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ، وقالوا اتخذ الله ولدا، وهم النصارى الذين زعموا أن عيسى ابن الله؟ فقال الله جل ثناؤه مكذبا قيلهم ما قالوا من ذلك ومنتفيا مما نحلوه وأضافوا إليه بكذبتهم وفريتهم: (30) (سبحانه) ، يعني بها: تنزيها وتبريئا من أن يكون له ولد ، وعلوا وارتفاعا عن ذلك. وقد دللنا فيما مضى على معنى قول القائل: " سبحان الله " ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (31)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم أخبر جل ثناؤه أن له ما في السموات والأرض ملكا وخلقاً . ومعنى ذلك: < 538-2 > وكيف يكون المسيح لله ولدا ، وهو لا يخلو إما أن يكون في بعض هذه الأماكن، إما في السموات ، وإما في الأرض ، ولله ملك ما فيهما. ولو كان المسيح ابنا كما زعمتم ، لم يكن كسائر ما في السموات والأرض من خلقه وعبيده ، في ظهور آيات الصنعة فيه.

القول في تأويل قوله تعالى : كُلُّ لَه قَانِتُونَ (116)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم: معنى ذلك: مطيعون.

* ذكر من قال ذلك:

1850- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله: (كل له قانتون) ، مطيعون.

1851- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل: (كل له قانتون) ، قال: مطيعون قال، طاعة الكافر في سجود ظله.

1852- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، بمثله ، إلا أنه زاد: بسجود ظله وهو كاره.

1853- حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي: (كل له قانتون)، يقول: كل له مطيعون يوم القيامة.

1854- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثني يحيى بن سعيد ، عن ذكره ، عن عكرمة: (كل له قانتون) ، قال: الطاعة.

1855- حدثت عن المنجاب بن الحارث قال، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس: (قانتون) ، مطيعون.

< 2-539 >

وقال آخرون: معنى ذلك كل له مقرون بالعبودية.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1856- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة: (كل له قانتون) ، كل مقر له بالعبودية.

وقال آخرون بما:-

1857- حدثني به المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله: (كل له قانتون) ، قال: كل له قائم يوم القيامة.

ولـ " القنوت " في كلام العرب معان: أحدها الطاعة ، والآخر القيام ، والثالث الكف عن الكلام والإمساك عنه.

وأولى معاني " القنوت " في قوله: (كل له قانتون)، الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية ، بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة ، والدلالة على وحدانية الله عز وجل ، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها. وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدا بقوله: بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ملكا وخالقا. ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض أنها مقرة بدلائنها على ربها وخالقها ، وأن الله تعالى بارئها وصانعها. وإن جحد ذلك بعضهم ، فألسنتهم مدعنة له بالطاعة ، بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك ، وأن المسيح أحدهم ، فأنى يكون لله ولدا وهذه صفته؟

وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجَهَّته، أن قوله: (كل له قانتون) ، خاصة لأهل الطاعة وليست بعامة. وغير جائز ادعاء خصوص في آية عام ظاهرها ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، لما قد بينا في كتابنا: " كتاب البيان عن أصول الأحكام " .

وهذا خبر من الله جل وعز عن أن المسيح - الذي زعمت النصارى أنه ابن الله - < 2-540 > مكذبهم هو والسموات والأرض وما فيها ، إما باللسان ، وإما بالدلالة. وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن جميعهم ، بطاعتهم إياه، وإقرارهم له بالعبودية ، عقيب قوله: وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، فدل ذلك على صحة ما قلنا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (بديع السماوات والأرض) ، مبدعها.

وإنما هو " مُفْعِل " صرف إلى " فعيل " كما صرف " المؤلم " إلى " أليم " ،
و " المسمع " إلى " سميع " . (32) ومعنى " المبدع " : المنشئ والمحدث ما
لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد. ولذلك سمي المبتدع في الدين "
مبتدعا " ، لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره. وكذلك كل محدث فعلا أو قولا
لم يتقدمه فيه متقدم ، فإن العرب تسميه مبتدعا. ومن ذلك قول أعشى بني
ثعلبة، (33) في مدح هُوْدَةَ بن علي الحنفي:

يُرعي إلى قول سادات الرجال إذا

أبدوا له الحزم ، أو ما شاءه ابتدعا (34)

أي يحدث ما شاء، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

فأيها الغاشي القِدَافَ الأثِيْعَا

إن كنت لله التقى الأطوعا

فليس وجه الحق أن تَبَدَّعا (35)

يعني: أن تحدث في الدين ما لم يكن فيه.

< 2-541 >

فمعنى الكلام: سبحانه الله أنى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات
والأرض ، تشهد له جميعا بدلالاتها عليه بالوحدانية ، وتقر له بالطاعة، وهو
بارئها وخالقها ، وموجدتها من غير أصل ، ولا مثال احتذاها عليه؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده ، أن مما يشهد له بذلك : المسيح، الذي أضافوا إلى الله جل ثناؤه بنوته ، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال ، هو الذي ابتدع المسيح من غير والد بقدرته. (36) وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1858- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع: (بديع السموات والأرض)، يقول: ابتدع خلقها ، ولم يشركه في خلقها أحد.

1859- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي: (بديع السموات والأرض) ، يقول: ابتدعها فخلقها ، ولم يُخلق قبلها شيء فيتمثل به . (37) .

< 2-542 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله: (وإذا قضى أمرا) ، وإذا أحكم أمرا وحثمه. (38)

وأصل كل " قضاء أمر " الإحكام ، والفراغ منه. (39) ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس: " القاضي" بينهم ، لفصله القضاء بين الخصوم ، وقطعه الحكم بينهم وفراغه منه به. (40) ومنه قيل للميت: " قد قضى " ، يراد به قد فرغ من الدنيا ، وفصل منها. ومنه قيل: " ما ينقضي عجبى من فلان " ، يراد: ما ينقطع. ومنه قيل: " تقضى النهار " ، إذا انصرم، ومنه قول الله عز وجل: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [سورة الإسراء: 23] أي : فصل الحكم فيه بين عباده ، بأمره إياهم بذلك ، وكذلك قوله: وَقَضَيْتَنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ [سورة الإسراء: 4] ، أي أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به ، ففرغنا إليهم منه. ومنه قول أبي ذؤيب:

وعليهما مسرودتان، قضاهما

داود أو صَنَّعَ السَّوَابِغِ تَبَعُ (41)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-543 >

ويروى:

* وتعاورا مسرودتين قضاهما * (42)

ويعني بقوله: " قضاهما " ، أحكمهما. ومنه قول الآخر في مدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (43)

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها

بَوَائِقِ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تَفْتَقِ (44)

ويروى: " بوائج " . (45)

< 2-544 >

وأما قوله: (فإنما يقول له كن فيكون) ، فإنه يعني بذلك: وإذا أحكم أمرا فحتمه ، فإنما يقول لذلك الأمر " كن " ، فيكون ذلك الأمر على ما أمره الله أن يكون وأراده.

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله: (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)؟ وفي أي حال يقول للأمر الذي يقضيه: " كن "؟ أفي حال عدمه ، وتلك حال لا يجوز فيها أمره ، (46) إذ كان محالا أن يأمر إلا بالمأمور ، فإذا لم يكن المأمور استحال الأمر ، ؛ وكما محال الأمر من غير أمر ، فكذلك محال الأمر من أمر إلا لمأمور. (47) أم يقول له ذلك في حال وجوده ؟ = وتلك حال لا يجوز أمره فيها بالحدوث ، لأنه حادث موجود ، ولا يقال للموجود: " كن موجودا " إلا بغير معنى الأمر بحدوث عينه؟

قيل: قد تنازع المتأولون في معنى ذلك ، ونحن مخبرون بما قالوا فيه ، والعلل التي اعتل بها كل فريق منهم لقوله في ذلك: (48)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال بعضهم: ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن أمره المحتوم - على وجه القضاء لمن قضى عليه قضاء من خلقه الموجودين أنه إذا أمره بأمر نفذ فيه < 545-2 > قضاؤه ، ومضى فيه أمره ، نظير أمره من أمر من بني إسرائيل بأن يكونوا قردة خاسئين ، وهم موجودون في حال أمره إياهم بذلك ، وحتم قضائه عليهم بما قضى فيهم ، وكالذي خسف به وبيداره الأرض ، وما أشبه ذلك من أمره وقضائه فيمن كان موجوداً من خلقه في حال أمره المحتوم عليه.

فوجه قائلو هذا القول قوله: (وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) ، إلى الخصوص دون العموم

وقال آخرون: بل الآية عام ظاهرها ، فليس لأحد أن يحيلها إلى باطن بغير حجة يجب التسليم لها . (49) وقال: إن الله عالم بكل ما هو كائن قبل كونه. فلما كان ذلك كذلك ، كانت الأشياء التي لم تكن وهي كائنة لعلمه بها قبل كونها ، نظائر التي هي موجودة ، فجاز أن يقول لها: " كوني " ، ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود ، لتصور جميعها له ، ولعلمه بها في حال العدم.

وقال آخرون: بل الآية وإن كان ظاهرها ظاهر عموم ، فتأويلها الخصوص ، لأن الأمر غير جائز إلا لمأمور ، على ما وصفت قبل. قالوا: وإذا كان ذلك كذلك ، فالآية تأويلها: وإذا قضى أمراً من إحياء ميت ، أو إماتة حي ، ونحو ذلك ، فإنما يقول لحي: " كن ميتاً ، أو لميت: كن حياً " ، وما أشبه ذلك من الأمر.

وقال آخرون: بل ذلك من الله عز وجل خبر عن جميع ما ينشئه ويكونه ، أنه إذا قضاه وخلقه وأنشأه ، كان ووجد - ولا قول هنالك عند قائلها هذه المقالة ، إلا وجود المخلوق وحدث المقضي - . وقالوا: إنما قول الله عز وجل: (وإذا < 546-2 > قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون)، نظير قول القائل: " قال فلان برأسه " و " قال بيده " ، إذا حرك رأسه ، أو أوماً بيده ولم يقل شيئاً، وكما قال أبو النجم:

وقالت للبطن الحق الحق

قَدَّمَا فَأَصَتْ كَالْفَيْقِ الْمَحْنِقِ (50)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولا قول هنالك ، وإنما عنى أن الظهر قد لحق بالبطن. وكما قال عمرو بن حممة الدوسي: (51)

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه

إذا رام تطيارا يقال له : قع (52)

ولا قول هناك ، وإنما معناه: إذا رام طيرانا وقع ، وكما قال الآخر:

امتلاً الحوض وقال: قطني

سلا رويدا ، قد ملأت بطني (53)

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في قوله: (وإذا قضى أمرا فإنما يقول < 547-2 > له كن فيكون) ، أن يقال: هو عام في كل ما قضاه الله وبرأه ، لأن ظاهر ذلك ظاهر عموم ، وغير جائزة إحالة الظاهر إلى الباطن من التأويل بغير برهان لما قد بينا في كتابنا: " كتاب البيان عن أصول الأحكام ". وإذا كان ذلك كذلك ، فأمر الله جل وعز لشيء إذا أراد تكوينه موجودا بقوله: (كن) في حال إرادته إياه مكوّنًا ، لا يتقدم وجود الذي أراد إيجادَه وتكوينه، (54) إرادته إياه ، ولا أمره بالكون والوجود ، ولا يتأخر عنه. (55) فغير جائز أن يكون الشيء مأمورا بالوجود مرادا كذلك إلا وهو موجود ، ولا أن يكون موجودا إلا وهو مأمور بالوجود مراد كذلك. ونظير قوله: (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) قوله: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ [سورة الروم: 25] بأن خروج القوم من قبورهم لا يتقدم دعاء الله ، ولا يتأخر عنه.

ويسأل من زعم أن قوله: (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) خاص في التأويل اعتلالا بأن أمر غير الموجود غير جائز ، (56) عن دعوة أهل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القبور قبل خروجهم من قبورهم ، أم بعده؟ أم هي في خاص من الخلق؟
فلن يقول في ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله.

ويسأل الذين زعموا أن معنى قوله جل ثناؤه: (فإنما يقول له كن فيكون) ،
نظير قول القائل: " قال فلان برأسه أو بيده " ، إذا حركه وأوماً ، ونظير
قول الشاعر: (57)

< 2-548 >

تقول إذا درأت لها وضيئي :

أهذا دينه أبدا وديني (58)

وما أشبه ذلك-: فإنهم لا صواب اللغة أصابوا ، ولا كتاب الله ، وما دلت على
صحته الأدلة أتبعوا - فيقال لقائلي ذلك: إن الله تعالى ذكره أخير عن نفسه
أنه إذا قضى أمراً قال له: " كن " ، أفتنكرون أن يكون قائلاً ذلك؟ فإن
أنكروه كذبوا بالقرآن ، وخرجوا من الملة .

وإن قالوا: بل نقر به ، ولكننا نزعم أن ذلك نظير قول القائل: " قال الحائط
فمال " ولا قول هنالك ، وإنما ذلك خبر عن ميل الحائط.

قيل لهم: أفتجزون للمخبر عن الحائط بالميل أن يقول: إنما قول الحائط إذا
أراد أن يميل أن يقول هكذا فيميل؟

فإن أجازوا ذلك خرجوا من معروف كلام العرب ، وخالفوا منطقتها وما يعرف
في لسانها.

وإن قالوا: ذلك غير جائز .

قيل لهم: إن الله تعالى ذكره أخبرهم عن نفسه أن قوله للشيء إذا أراد
أن يقول له كن فيكون ، فأعلم عباده قوله الذي يكون به الشيء ووصفه
ووكده. وذلك عندكم غير جائز في العبارة عما لا كلام له ولا بيان في مثل
قول القائل: " قال الحائط فمال " ، فكيف لم يعلموا بذلك فرق ما بين معنى
قول الله: (وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) ، وقول القائل: " قال
الحائط فمال " ؟ < 2-549 > وللبيان عن فساد هذه المقالة موضع غير هذا
نأتي فيه على القول بما فيه الكفاية إن شاء الله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإذا كان الأمر في قوله جل ثناؤه: (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)، هو ما وصفنا من أن حال أمره الشيء بالوجود حال وجود المأمور بالوجود، فبيِّن بذلك أن الذي هو أولى بقوله: (فيكون) (59) الرفع على العطف على قوله (60) (يقول) لأن "القول" و"الكون" حالهما واحد. وهو نظير قول القائل: "تاب فلان فاهتدى"، و"اهتدى فلان فتاب"، لأنه لا يكون تائبا إلا وهو مهتد، ولا مهتديا إلا وهو تائب. فكذا لا يمكن أن يكون الله أمرا شيئا بالوجود إلا وهو موجود، ولا موجودا إلا وهو أمره بالوجود.

ولذلك استجاز من استجاز نصب "فيكون" من قرأ: **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** [النحل: 40]، بالمعنى الذي وصفنا على معنى: أن نقول فيكون.

وأما رفع من رفع ذلك، (61) فإنه رأى أن الخبر قد تم عند قوله: **إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ**. إذ كان معلوما أن الله إذا حتم قضاءه على شيء كان المحتوم عليه موجودا، ثم ابتداء بقوله: فيكون، كما قال جل ثناؤه: **لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ**، [سورة الحج: 5] وكما قال ابن أحرر:

يعالج عاقرا أعيت عليه

لِيُقَحِّهَا فَيَنْتِجُهَا حُورًا (62)

< 2-550 >

يريد: فإذا هو ينتجها حورًا.

فمعنى الآية **إِذَا**: وقالوا اتخذ الله ولدا، سبحانه أن يكون له ولدا! بل هو مالك السموات والأرض وما فيهما، كل ذلك مقر له بالعبودية بدلالته على وحدانيته. وأنى يكون له ولد، وهو الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل، كالذي ابتدع المسيح من غير والد بمقدرته وسلطانه، الذي لا يتعذر عليه به شيء أراده! بل إنما يقول له إذا قضاه فأراد تكوينه: "كن"، فيكون موجودا كما أراده وشاءه. فكذا كان ابتداعه المسيح وإنشاؤه، إذ أراد خلقه من غير والد.

القول في تأويل قوله: **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ) ، فقال بعضهم: عنى بذلك النصارى.

* ذكر من قال ذلك:

1860- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا < 551-2 > عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله جل وعز: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) ، قال: النصارى تقوله.

1861- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله - وزاد فيه (وقال الذين لا يعلمون) ، النصارى.

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* ذكر من قال ذلك:

1862- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير. وحدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل ، قالا جميعا: حدثنا محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد قال، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال، قال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كنت رسولا من عند الله كما تقول ، فقل لله عز وجل فليكلمنا حتى نسمع كلامه! فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) ، الآية كلها. (63)

وقال آخرون: بل عنى بذلك مشركي العرب.

* ذكر من قال ذلك:

1863- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) ، وهم كفار العرب.

1864- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله) ، قال: هم كفار العرب.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1865- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن < 2-552 > السدي: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله) ، أما الذين لا يعلمون: فهم العرب.

وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قول القائل: إن الله تعالى عنى بقوله: (وقال الذين لا يعلمون)، النصارى دون غيرهم. لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم ، وعن افتراءهم عليه وادعائهم له ولدا. فقال جل ثناؤه ، مخبرا عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم أنهم مع افتراءهم على الله الكذب بقوله: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، تمنوا على الله الأباطيل ، فقالوا جهلا منهم بالله وبمنزلتهم عنده وهم بالله مشركون: (لولا يكلمنا الله) ، كما يكلم رسوله وأنبياءه ، أو تأتينا آية كما أتتهم؟ ولا ينبغي لله أن يكلم إلا أوليائه ، ولا يؤتي آية معجزة على دعوى مدع إلا لمن كان محقا في دعواه وداعيا إلى الله وتوجيهه، فأما من كان كاذبا في دعواه وداعيا إلى الفرية عليه وادعاء البنين والبنات له ، فغير جائز أن يكلمه الله جل ثناؤه ، أو يؤتيه آية معجزة تكون مؤيدة كذبه وفريته عليه.

وأما الزاعم: أن الله عنى بقوله (64) (وقال الذين لا يعلمون) العرب ، فإنه قائل قول لا خير بصحته ، ولا برهان على حقيقته في ظاهر الكتاب. والقول إذا صار إلى ذلك كان واضحا خطؤه ، لأنه ادعى ما لا برهان على صحته ، وادعاء مثل ذلك لن يتعذر على أحد.

وأما معنى قوله: (لولا يكلمنا الله) ، فإنه بمعنى: هلا يكلمنا الله! كما قال الأشهب بن رميلة: (65)

< 2-553 >

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم

بني ضوطرى ، لولا الكمي المقنعا (66)

بمعنى: فهلا تعدون الكمي المقنع! كما:

1866- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله: (لولا يكلمنا الله) قال: فهلا يكلمنا الله!

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: فأما " الآية " فقد ثبت فيما قبل معنى الآية أنها العلامة. (67) وإنما أخبر الله عنهم أنهم قالوا: هلا تأتينا آية على ما نريد ونسأل ، (68) كما < 554-2 > أتت الأنبياء والرسل! فقال عز وجل: كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ .

القول في تأويل قوله تعالى : كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله: (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) ، فقال بعضهم في ذلك بما:-

1867- حدثني به محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) ، هم اليهود.

1868- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: (قال الذين من قبلهم) ، اليهود.

وقال آخرون: هم اليهود والنصارى ، لأن الذين لا يعلمون هم العرب. (69)

* ذكر من قال ذلك:

1869- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة: (قال الذين من قبلهم) ، يعني اليهود والنصارى وغيرهم.

1870- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قال، قالوا يعني - العرب- كما قالت اليهود والنصارى من قبلهم.

1871- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، < 2- > 555 عن أبيه ، عن الربيع: (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) ، يعني اليهود والنصارى.

قال أبو جعفر: قد دللنا على أن الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله: وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ، هم النصارى ، والذين قالوا مثل قولهم هم اليهود (70) سألت موسى صلى الله عليه وسلم أن يريهم ربهم جهرة ،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(71) وأن يسمعهم كلام ربهم ، كما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا - (72) وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسألته تحكما منهم على ربهم ، وكذلك تمتت النصراري على ربها تحكما منها عليه أن يسمعهم كلامه ويربهم ما أرادوا من الآيات. فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا من القول في ذلك ، مثل الذي قالته اليهود وتمنت على ربها مثل أمانيتها ، وأن قولهم الذي قالوه من ذلك إنما يشابه قول اليهود من أجل تشابه قلوبهم في الضلالة والكفر بالله. فهم وإن اختلفت مذاهبهم في كذبهم على الله وافترائهم عليه ، فقلوبهم متشابهة في الكفر بربهم والفرية عليه ، وتحكمهم على أنبياء الله ورسله عليهم السلام. وبنحو ما قلنا في ذلك قال مجاهد.

1872- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: (تشابهت قلوبهم) قلوب النصراري واليهود.

وقال غيره: (73) معنى ذلك تشابهت قلوب كفار العرب واليهود والنصارى وغيرهم.

* ذكر من قال ذلك:

1873- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن > 2-556 < قتادة: (تشابهت قلوبهم)، يعني العرب واليهود والنصارى وغيرهم.

1874- حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع: (تشابهت قلوبهم) ، يعني العرب واليهود والنصارى وغيرهم.

قال أبو جعفر : وغير جائز في قوله: (تشابهت) التثقيل ، لأن التاء التي في أولها زائدة أدخلت في قوله: " تفاعل " ، وإن ثقلت صارت تاءين، ولا يجوز إدخال تاءين زائدتين علامة لمعنى واحد ، وإنما يجوز ذلك في الاستقبال لاختلاف معنى دخولهما، لأن إحداهما تدخل علما للاستقبال ، والأخرى منها التي في " تفاعل " ، ثم تدغم إحداهما في الأخرى فتثقل ، فيقال: تشابه بعد اليوم قلوبنا. (74)

فمعنى الآية: وقالت النصراري ، الجهال بالله وبعظمته: هلا يكلمنا الله ربنا ، كما كلم أنبياءه ورسله ، أو تحيئنا علامة من الله نعرف بها صدق ما نحن عليه على ما نسال ونريد؟ قال الله جل ثناؤه: فكما قال هؤلاء الجهال من النصراري وتمنوا على ربهم ، قال من قبلهم من اليهود ، فسألوا ربهم أن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يربهم الله نفسه جهرة ، ويؤتيهم آية ، واحتكموا عليه وعلى رسله ، وتمنوا الأمانى. فاشتبهت قلوب اليهود والنصارى في تمردهم على الله وقلة معرفتهم بعظمته وجرأتهم على أنبيائه ورسله ، كما اشتبهت أقوالهم التي قالوها.

< 2-557 >

القول في تأويل قوله تعالى : قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (قد بينا الآيات لقوم يوقنون)، قد بينا العلامات التي من أجلها غضب الله على اليهود ، وجعل منهم القردة والخنازير ، وأعد لهم العذاب المهين في معادهم ، والتي من أجلها أخرى الله النصارى في الدنيا ، وأعد لهم الخزي والعذاب الأليم في الآخرة ، والتي من أجلها جعل سكان الجنان الذين أسلموا وجوههم لله وهم محسنون في هذه السورة وغيرها. فأعلموا الأسباب التي من أجلها استحق كل فريق منهم من الله ما فعل به من ذلك ، وخص الله بذلك القوم الذين يوقنون، لأنهم أهل التثبيت في الأمور ، والطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة. فأخبر الله جل ثناؤه أنه بين لمن كانت هذه الصفة صفته ما بين من ذلك ليزول شكه ، ويعلم حقيقة الأمر، إذ كان ذلك خيرا من الله جل ثناؤه ، وخبر الله الخبر الذي لا يعذر سامعه بالشك فيه. وقد يحتمل غيره من الأخبار ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب ، وذلك منفي عن خبر الله عز وجل.

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

قال أبو جعفر: ومعنى قوله جل ثناؤه: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) ، إنا أرسلناك يا محمد بالإسلام الذي لا أقبل من أحد غيره من الأديان ، وهو الحق ؛ مبشرا من أتبعك فأطاعك ، وقبل منك ما دعوته إليه من الحق - بالنصر في الدنيا ، والظفر بالثواب في الآخرة ، والنعيم المقيم فيها، ومنذرا من عصاك فخالفك، ورد < 2-558 > عليك ما دعوته إليه من الحق - بالخزي في الدنيا ، والذل فيها ، والعذاب المهين في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)

قال أبو جعفر: قرأت عامة القراء: (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)، بضم " التاء " من " تسأل "، ورفع " اللام " منها على الخبر ، بمعنى: يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، فبلغت ما أرسلت به ، وإنما عليك البلاغ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والإنذار ، ولست مسئولاً عما كفر بما أتته به من الحق ، وكان من أهل الجحيم.

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة: (ولا تَسْأَلْ) جزماً. بمعنى النهي ، مفتوح " التاء " من " تسأل " ، وجزم " اللام " منها. ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء: إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً لتبلغ ما أرسلت به ، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم ، فلا تسأل عن حالهم. وتأول الذين قرءوا هذه القراءة ما:-

1875- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت: (ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم).

1876- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري ، عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليت شعري ما فعل أبواي؟ ليت شعري ما فعل أبواي؟ ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت: (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم) ، فما ذكرهما حتى توفاه الله. (75)

< 2-559 >

1877- حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال، أخبرني داود بن أبي عاصم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: " ليت شعري أين أبواي؟" فنزلت: (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم). (76)

قال أبو جعفر : والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع ، على الخبر. لأن الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى ، وذكر ضلالتهم ، وكفرهم بالله ، وجراعتهم على أنبيائه ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ بِالْحَقِّ بَشِيرًا ، مِنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ مِمَّنْ قَصَصْتُ عَلَيْكَ أَنْبَاءَهُ وَمَنْ لَمْ أَقْصِصْ عَلَيْكَ أَنْبَاءَهُ ، وَنَذِيرًا مِنْ كَفَرِ بِكَ وَخَالَفَكَ ، فَبَلَّغْ رِسَالَتِي ، فَلَيسَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْمَالِ مَنْ كَفَرَ بِكَ - بَعْدَ إِبْلَاقِكَ إِيَّاهُ رِسَالَتِي تَبِعَةً ، وَلا أَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا فَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَلَمْ يَجْر - لِمَسْأَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِبَهُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ذَكَر ، فَيَكُونُ لِقَوْلِهِ: (وَلا تَسْأَلْ عن < 2-560 > أصحاب الجحيم) ، وَجِهَ يُوْجِهَ إِلَيْهِ. وَإِنَّمَا الْكَلَامُ مَوْجِهَ مَعْنَاهُ إِلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهُ الْمَفْهُومُ ، حَتَّى تَأْتِيَ دَلَالَةُ بَيِّنَةٍ تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ غَيْرَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهُ ، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ مُسْلِمًا لِلْحُجَّةِ الثَّابِتَةِ بِذَلِكَ. وَلا خَبْرٌ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ أَنْ يَسْأَلَ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ، وَلا دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ. وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُ**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية ، وعمن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ، دون النهي عن المسألة عنهم. (77)

فإن ظن ظان أن الخبر الذي روي عن محمد بن كعب صحيح ، فإن في استحالة الشك من الرسول عليه السلام - في أن أهل الشرك من أهل الجحيم ، وأن أبويه كانا منهم ، ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب ، إن كان الخبر عنه صحيحا. مع أن ابتداء الله الخبر بعد قوله: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ، بـ " الواو " - بقوله: (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)، وتركه وصل ذلك بأوله بـ " الفاء " ، وأن يكون: " إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فلا تسأل عن أصحاب الجحيم " - (78) أوضح الدلالة على أن الخبر بقوله: (79) " ولا تسأل " ، أولى من النهي ، والرفع به أولى من الجزم. وقد ذكر أنها في قراءة أبي: (وما تسأل)، وفي قراءة ابن مسعود: (ولن تسأل) ، وكلتا هاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه ، دون النهي. (80)

< 2-561 >

وقد كان بعض نحويي البصرة يوجه قوله: (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) إلى الحال ، كأنه كان يرى أن معناه: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير مسئول عن أصحاب الجحيم. وذلك إذا ضم " التاء " ، وقراه على معنى الخبر ، وكان يجيز على ذلك قراءته: " ولا تسأل " ، بفتح " التاء " وضم " اللام " على وجه الخبر بمعنى: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، غير سائل عن أصحاب الجحيم. وقد بينا الصواب عندنا في ذلك.

وهذان القولان اللذان ذكرتهما عن البصري في ذلك، يدفعهما ما روي عن ابن < 562-2 > مسعود وأبي من القراءة، (81) لأن إدخالهما ما أدخلنا من ذلك من " ما " و " لن " يدل على انقطاع الكلام عن أوله وابتداء قوله: (ولا تسأل). وإذا كان ابتداء لم يكن حالا.

وأما (أصحاب الجحيم) ، فـ " الجحيم " ، هي النار بعينها إذا شئت وقودها ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

إذا شئت جهنم ثم دارت

وأعْرَضَ عن قوابسها الجحيم (82)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

- (1) الأثر : 1811 - في سيرة ابن هشام 2 : 197 - 198 .
- (2) الأثر : 1815 - في سيرة ابن هشام 2 : 198 .
- (3) انظر ما سلف 1 : 523 - 524 ، وهذا الجزء 2 : 101 - 102 ، 369
- (4) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 104 - 105 .
- (5) قوله : "تكريرا" ، أي بدل اشتمال .
- (6) في المطبوعة : "قالوا إذا قطعوا" ، والصواب من تفسير ابن كثير 1 : 285 فهذا جزء من من الأثر ، والقائل هو : ابن زيد .
- (7) أراد ابن كثير أن يرد ما ذهب إليه الطبري في تفسير الآية، في تفسيره 1: 287 / 285 وقال: "اختار ابن جرير القول الأول، واحتج- بأن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، وأما الروم فسعت في تخريب بيت المقدس، قال ابن كثير: والذي يظهر والله أعلم، القول الثاني، كما قاله ابن زيد..." ثم قال: "وأما اعتماده على أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، فأى خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم.." ثم استدل بآيات من كتاب الله وقال: "ليس المراد بعمارته، زخرفتها وإقامة صورتها، فقط، إنما عمارتها بذكر الله وإقامة شرعه فيها" إلى آخر ما قاله.

هذا الاعتراض من ابن كثير على أبي جعفر رحمهما الله، ليس يقوم في وجه حجة الطبري على صواب ما ذهب إليه في تأويل الآية. والطبري لم يغفل عن مثل اعتراض ابن كثير، ولكن ابن كثير غفل عن سياق تأويل الطبري. وصحيح أن ما كان من أمر أهل الشرك في الجاهلية في البيت الحرام يدخل في عموم معنى قوله: { وَسَعَى فِي خَرَابِهَا }، ولكن سياق الآيات السابقة، ثم التي تليها، توجب- كما ذهب إليه الطبري- أن يكون معناها بها من كانت الآيات نازلة في خبره وقصته.

والآيات السالفة جميعا خبر عن بني إسرائيل الذين كانوا على عهد موسى، وتأنيب لبني إسرائيل الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ما كان منهم لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تحذير لهم من أهل الكتاب جميعا، يهوديهم ونصرانيهم، وذكر لافتراء الفريقين بعضهم على بعض، وادعاء كل فريق أنه هو الفريق الناجي يوم القيامة. ثم أفرد بعد ذلك أخبار النصاري، كما أفرد من قبل أخبار بني إسرائيل، فعدد سوء فعلهم في منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ثم كذبهم على ربهم أنه اتخذ ولدا، ثم قول بعضهم: {لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية}، وأن ذلك شبيه بقول اليهود: {أرنا الله جهرة}، ثم أخبر أنه أرسل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

رسوله محمدا بشيرا ونذيرا، وأمره أن يعرض عن أهل الجحيم من هؤلاء وهؤلاء، ثم أعلنه أن اليهود والنصارى جميعا لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وطريقهم، في الافتراء على رب العالمين. فالسياق كما ترى، بمعزل عن المشركين من العرب، ولكن ابن كثير وغيره من أئمتنا رضوان الله عليهم، تختلط عليهم المعاني حين تتقارب، ولكن أبا جعفر صابر على كتاب ربه، مطبق لحمله، لا يعجله شيء عن شيء ما استطاع. فهو يخلص معاني كتاب ربه تخلصا لم أجده قط لأحد بعده، ممن قرأ كتابه. وأكثرهم يعترض عليه، ولو صبر على دقة هذا الإمام. لكان ذلك أولى به، وأشبه بخلق أهل العلم، وهم له أهل، غفر الله لنا ولهم.

(8) الذي بين القوسين ، هكذا جاء في النسخ المطبوعة والمخطوطة السقيمة . ولم أجد نقلا عن أبي جعفر يهديني إلى تصويب هذا الخلط . فاجتهدت أن استظهر سياق كلامه . فأقرب ما انتهيت إليه أن يكون فيه سقطا وتحريفا ، وأن يكون سياقه كما يلي :

إذ كان المسلمون هم المخاطبون بالآيات التي سبقت هذه الآية ، وكان المسلمون لم يلزمهم قط فرض الصلاة في مسجد بيت المقدس ، فمنعوا من الصلاة فيه ، وكان النصارى واليهود لم يمنعوهم قط من الصلاة فيه ، فيجوز توجيه قوله - : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ } - إلى أنه معنى به مسجد بيت المقدس]. هذا اجتهادي في قراءة هذا النص المختلط ، والله أعلم .

(9) في المطبوعة : "في مسجد الله" ، والصواب ما أثبت .

(10) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 513 .

(11) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 314 .

(12) انظر ما سلف قريبا : 519 .

(13) قوله : "فله كل ما دونه" ، أي كل ما سواه من شيء .

(14) الحديث: 1833 - علي: هو ابن أبي طلحة الهاشمي: ثقة، تكلموا فيه.

والراجح أن كلامهم فيه من أجل تشييعه. ولكن لم يسمع من ابن عباس، فروى ابن أبي حاتم في المراسيل، ص: 52، عن دحيم قال: "إن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير". وروى عن أبيه ابن أبي حاتم مثل ذلك. وفي التهذيب أنه ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: "روى عن ابن عباس، ولم يره". فهذا إسناد ضعيف، لانقطاعه.

ولكن معناه ثابت عن ابن عباس، من وجه صحيح. فرواه أبو عبيد القاسم بن سلام، في كتاب الناسخ والمنسوخ - فيما نقل ابن كثير 1: 288 - "أخبرنا حجاج بن محمد، أخبرنا ابن جريح، وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس..". فذكر نحوه. وهذا إسناد صحيح، من جهة رواية ابن جريح عن عطاء، وهو ابن أبي رباح. وأما "عثمان ابن عطاء"، فإنه "الخراساني". وهو ضعيف. وحجاج بن محمد: سمعه منهما، من ثقة ومن ضعيف، فلا بأس. ورواه الحاكم 2: 267 - 268، من طريق ابن جريح، عن عطاء، عن ابن عباس. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة". ووافقه الذهبي. وهو

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما قالوا. وذكره السيوطي 1: 108، ونسبه لأبي عبيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه. (15) قال ابن كثير في تفسيره 1: 289 تعليقا على كلمة أبي جعفر رحمه الله: "في قوله: وأنه تعالى لا يخلو منه مكان - إن أراد علمه تعالى، فصحيح. فإن علمه تعالى، محيط بجميع المعلومات، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه، تعالى الله على ذلك علوا كبيرا". قلت: الذي قاله ابن كثير هو عقيدة أبي جعفر رحمه الله، وقد بين ذلك في تفسير سورة المجادلة من تفسيره 28: 10، فلا معنى لتشكك ابن كثير في كلام إمام ضابط من أئمة أهل الحق، وعبارته صحيحة اللفظ، ولكن أهل الأهواء جعلوا الناس يفهمون من عربية الفصحاء معنى غير المعنى الذي تدل عليه.

(16) في المطبوعة: "حدثت عن الحسن"، والصواب ما أثبت، وهو إسناد دائر في تفسيره أقربه رقم: 1731.

(17) الحديث: 1839 - ابن إدريس: هو عبد الله بن إدريس الأودي، سبق توثيقه: 438. عبد الملك: هو ابن أبي سليمان، كما سيأتي في الإسناد التالي لهذا، وقد سبق توثيقه: 1455.

والحديث رواه أحمد في المسند: 5001، عن عبد الله بن إدريس، بهذا الإسناد. وسيأتي تمام تخريجه في الذي بعده. (18) الحديث: 1840 - ابن فضيل: هو محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، وهو ثقة، من شيوخ أحمد وإسحاق وغيرهما. بل روى عنه الثوري، وهو أكبر منه. مترجم في التهذيب، والكبير 1/1/1207 - 208، وابن أبي حاتم 58- 4/1/57.

والحديث رواه أحمد أيضًا: 4714، عن يحيى القطان، عن عبد الملك بن أبي سليمان، بنحوه. ورواه مسلم 1: 195، من طريق يحيى، وآخرين. وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى 2: 4، بأسانيد من طريق عبد الملك.

وقد رجحنا في شرح المسند الرواية السابقة، بأن هذه الآية لم تنزل في ذلك، بل هي في معنى أعم، وإنما تصلح شاهدا ودليلا، كما يتبين ذلك من فقه تفسيرها في سياقها.

(19) في المطبوعة: "فإن وليتم وجوهكم". والصواب ما أثبت. (20) الحديث: 1841 - أحمد، شيخ الطبري: هو أحمد بن إسحاق بن عيسى الأهوازي، كما سبق نسبه كاملا في: 159، وهو صدوق، من شيوخ أبي داود، مترجم في التهذيب، وأبو أحمد: هو الزبير. واسمه: محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم، وهو ثقة حافظ، من شيوخ الإمام أحمد. مترجم في التهذيب. والكبير 1/1/133 - 134، وابن سعد 6: 281، وابن أبي حاتم 3/2/297. أبو الربيع السمان. هو أشعث بن سعيد، سبق في: 24 أنه ضعيف جدا. عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب: هو ضعيف، وقد بينا ضعفه في شرح المسند: 5229.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عبد الله بن عامر بن ربيعة: ثقة من كبار التابعين. وأبوه صحابي معروف، من المهاجرين الأولين، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها.

والحديث ذكره ابن كثير 1: 289 - 290، عن هذا الموضع. ووقع فيه خطأ في اسم شيخ الطبري، كتب "محمد بن إسحاق"، بدل "أحمد". وهو خطأ ناسخ أو طابع. ثم أشار ابن كثير إلى روايته الآتية: 1843. ثم ذكر أنه رواه أيضًا الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم. ثم نقل كلام الترمذي قال: "هذا حديث ليس إسناده بذاك، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان: يضعف في الحديث". قال ابن كثير: "قلت: وشيخه عاصم، أيضًا ضعيف قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن معين: ضعيف لا يحتج به. وقال ابن حبان: متروك."

وقد ذهبت في شرحي للترمذي، رقم: 345، إلى تحسين إسناده. ولكني أستدرك الآن، وأرى أنه حديث ضعيف.

ونقله السيوطي 1: 109، مع تخريجه وبيان ضعفه.

(21) لم يرد في كتب اللغة: "أيقظت" لازما، وأخشى أن يكون الطبري يصحها، وأشباهاها في العربية كثير.

(22) في لسان العرب "فصلى كل منا حياله"، أي تلقاء وجهه، وزيادة "علي" لا تضر المعنى.

(23) الحديث: 1843 - هو مكرر الحديث: 1841.

(24) الحديث: 1844 - هو حديث ضعيف، لأنه مرسل وقد نقله السيوطي

1: 109، ونسبه لابن جرير: وابن المنذر. ونقله ابن كثير 1: 291، عن

هذا الموضع. ثم قال: "هذا غريب". وأقول: وسياقته تدل على ضعفه ونكارته.

(25) انظر ما سلف في هذا الجزء 2: 357 - 360، 483.

(26) في المطبوعة: "أو معناها في حال دون حال"، وهو فاسد. ومراده أن الآية جاءت عامة، وتحتمل أحد معنيين: إما في حال دون حال - وإما في كل حال، كما فصل بعد.

(27) في المطبوعة: "لظاهره"، وانظر ما سلف في معنى "الظاهر والباطن" 2: 15 والمراجع

(28) في المطبوعة: "وليت وجهي"، والصواب ما أثبت.

(29) في المطبوعة: "فثم، فقال بعضهم"، والصواب إثبات "وجه الله".

(30) في المطبوعة: "ومنفيا ما نحلوه". وانتفى من الشيء: تبرأ منه. ونحله الشيء: نسبه إليه. والفرية: الكذب المختلق.

(31) انظر ما سلف 1: 474، 495.

(32) انظر ما سلف 1: 251، وهذا الجزء 2: 140، 377، 506.

(33) في المطبوعة: "الأعشى بن ثعلبة"، وهو خطأ محض.

(34) سلف تخريجه في هذا الجزء: 2: 464.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (35) ديوانه : 87 ، واللسان (بدع) من رجز طويل يفخر فيه برهطه بني تميم . ورواية الديوان "القذاف الأتبع" ، وليس لها معنى يدرك ، ورواية الطبري لها مخرج في العربية . "الغاشي" من قولهم : غشي الشيء : أي قصده وباشره أو نزل به . والقذاف : سرعة السير والإبعاد فيه ، أو كأنه أراد الناحية البعيدة ، وإن لم أجده في كتب العربية . والأتبع : لم أجده في شيء ، ولعله أخذه من قولهم : تتابع القوم في الأرض : إذا تباعدوا فيها على عمى وشدة . يقول : يا أيها الذاهب في المسالك البعيدة عن سنن الطريق- يعني به : من ابتدع من الأمور ما لا عهد للناس به ، فسلك في ابتداعه المسالك الغربية .
- (36) نقل ابن كثير في تفسيره 1 : 294 ، عبارة الطبري ثم قال : "وهذا من ابن جرير رحمه الله كلام جيد ، وعبارة صحيحة" ، فاستحسن ابن كثير ما خف محمله ، ولكن ما ثقل عليه أنقاً (انظر ص : 522 تعليق : 1) كان مثارا لاعتراضه ، مع أنه أعلى وأجود وأدق وألطف ، وأصح عبارة ، وأعمق غورا . وهذا عجب من العجب فيما ناله ابن جرير من قلة معرفة الناس بسلامة فهمه ، ولطف إدراكه .
- (37) الأثر : 1859- كان في المطبوعة : "ولم يخلق مثلها شيئا فتمثل به" ، وهو كلام فاسد . والصواب في الدر المنثور 1 : 110 .
- (38) حتم الأمر : قضاة قضاء لازما .
- (39) كان في المطبوعة : "قضاء الإحكام" ، والصواب ما أثبت .
- (40) في المطبوعة "فراغه" وزيادة "منه" واجبة .
- (41) ديوانه : 19 ، والمفضليات : 881 وتأويل مشكل القرآن : 342 ، وسيأتي في تفسير الطبري 11 : 65 ، 22 : 47 (بولاق) ، من قصيدته التي فاقت كل شعر ، يرثى أولاده حين ماتوا بالطاعون . والضمير في قوله : "وعليهما" إلى بطلين وصفهما في شعره قبل ، كل قد أعد عدته :

فتناديا فتواقفت خيلاهما

وكلاهما بطل اللقاء مخدع

متحاميين المجد، كل واثق

ببلائه، واليوم يوم أشنع

وعليهما مسرودتان . . .

.....

"مسرودتان" ، يعني درعين ، من السرد ، وهو الخرز أو النسيج ، قد نسجت حلقيهما نسجا محكما . وداود : هو نبي الله صلى الله عليه وسلم . وتبع : اسم لكل ملك من ملوك حمير (انظر ما سلف 2 : 237) . قال ابن الأنباري : "سمع بأن الحديد سخر لداود عليه السلام ، وسمع بالدرع التبعية ، فظن أن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تبعاً عملها . وكان تبع أعظم من أن يصنع شيئاً بيده ، وإنما صنعت في عهده وفي ملكه" . والصنع : الحاذق بعمله ، والمرأة : صناع . ويروى : "وعليهما ماذيتان" ، يعني درعين . والماذية : الدرع الخالصة الحديد ، اللينة السهلة . (42) "تعاورا" ، يعني - كما قالوا : تعاورا بالطعن ، مسرودتين . من قولهم : تعاورنا فلانا بالضرب : إذا ضربته أنت ثم صاحبك . ورأى أنها رواية مرفوضة ، لا تساوق لشعر فإنه يقول بعده :

وكلاهما في كفه يزية

فيها سنان، كالمنارة أصلع

وكلاهما متوشح ذارونق

عضبا، إذا مس الضريبة يقطع

فتخالسا نفسيهما بنوافذ

كنوافذ العُبط التي لا ترفع

فهو يصف ، ثم يخبر أنهما قد تضاربا ضربا مهلكا ، ولا معنى لتقديم الطعن ثم العود إلى صفة السلاح ، إلا على بعد واستكراه . (43) هو جزء بن ضرار ، أخو الشماخ بن ضرار . وقد اختلف في نسبتها . نسبت للشماخ ، ولغيره ، حتى نسبوها إلى الجن (انظر طبقات فحول الشعراء : 111 ، وحماسة أبي تمام 3 : 65 ، وابن سعد 3 : 241 ، والأغاني 9 : 159 ، ونهج البلاغة 3 : 147 ، والبيان والتبيين 3 : 364 ، وتأويل مشكل القرآن : 343 ، وغيرها كثير) . هذا والصواب أن يقول : "في رثاء عمر بن الخطاب" .

(44) البوائق جمع بائقة : وهي الداهية المنكرة التي فتحت ثغرة لا تسد . والأكمام جمع كم _ (بضم الكاف وكسرهما) . وهو غلاف الثمرة قبل أن ينشق عنه . وقوله : "لم تفتق" ، أصلها : تنفتق ، حذف إحدى التاءين . وتفتق الكم عن زهرته : انشق وانفطر . ورحم الله عمر من إمام جمع أمور الناس حياته ، حتى إذا قضى انتشرت أمورهم .

(45) بوائج جمع بائجة : وهي الداهية التي تنفتق انفتاقا منكرا فتعم الناس ، وتتابع عليهم شرورها من قولهم : باج البرق وانباج وتبوج : إذا لمع وتكشف وعم السحاب ، وانتشر ضوؤه .

(46) في المطبوعة : "وتلك حال لا يجوز أمره" ، بإسقاط "فيها" ، وهي واجبة ، واستظرتها من السياق ومن الشطر الآتي من السؤال .

(47) في المطبوعة : "كما محال الأمر" ، بإسقاط الواو ، وهي واجب إثباتها . ويعنى بقوله : "المأمور" ، أي الموجود المأمور .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(48) أحب أن أُنبه قارئ هذا التفسير ، أن يلقي باله إلى سياق أقوال القائلين ، وكيف يخلص هو المعاني بعضها من بعض ، وكيف يصيب الحجة بعقل ولطف إدراك ، وصحة بيان عن معاني الكلام ، وعن تأويل آيات كتاب ربنا سبحانه وتعالى ثم لينظر بعد ذلك أقوال المفسرين ، وكيف تجنبوا الإيغال فيما توغل هو فيه ، ثقة بعون الله له ، ثم اتباعا لأهدى السبل في طلب المقاصد .

(49) انظر معنى : "الظاهر ، والباطن" فيما سلف : 2 : 15 والمراجع .
(50) لم أجد الرجز كاملا ، والبيتان في اللسان (حنق) . يصف ناقة أنضاهما السير . والأنساع جمع نسع (بكسر فسكون) ، وهو سير يضفر عريضا تشد به الرحال . ولحق البطن يلحق لحوقا : ضمير . أي قالت سيور التصدير لبطن الناقة : كن ضامرا . يعني بذلك ما أنضاهما من السير . وقدماء : أي منذ القدم قال بشامة بن الغدير .

لا تظلمونا، ولا تنسوا قرابتنا

إطوا إيلنا، فقدماء تعطف الرحم

ويعني أبو النجم : أن الضمور قد طال بها ، فإن الأنساع قالت ذلك منذ زمن بعيد . وأض : صار ورجع . والفنيق الجمل الفحل المودع للفحلة ، لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم ، فهو ضخم شديد التركيب . والمحنق : الضامر القليل اللحم . والإحناق : لزوق البطن بالصلب .

(51) يقال له أيضًا : كعب بن حممة ، وهو أحد المعمرين ، زعموا عاش أربعمئة سنة غير عشر سنين . وهو أحد حكام العرب ، ويقال إنه هو "ذو الحلم" الذي قرعت له العصا ، فضرب به المثل .

(52) كتاب المعمرين : 22 ، وحماسة البحرني : 205 ومعجم الشعراء : 209 ، وهي أبيات .

(53) أمالي ابن الشجري 1 : 313 ، 2 : 140 ، واللسان (قطط) . وفي

المطبوعة : "سيلا" ، والصواب في اللسا وأمالي ابن الشجري ، والرواية المشهورة "مهلا رويدا" . وقطني : حسبي وكفاني وللنحاة كلام كثير

في "قطني" . وقوله "سلا" : كأنه من قولهم : انسل السيل : وذلك أول ما يبتدئ حين يسيل ، قبل أن يشتد . كأنه يقول : صبا رويدا .

(54) في المطبوعة : "وجوده" الذي أراد إيجاد "زيادة الهاء في" وجوده " لا مكان لها .

(55) يقول : إن وجود الشيء ، لا يتقدم إرادة الله وأمره ، ولا يتأخر عنهما .

(56) يقول : "يسأل من زعم .. عن دعوة أهل القبور" .

(57) هو المثقب العبيدي .

(58) المفضليات : 586 ، والكامل 1 : 193 وطبقات فحول الشعراء : 231 ،

وسياتي في تفسيره 4 : 112 (بولاق) من قصيدة جيدة ، يقول قبله في ناقته :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إذا ما قمت أرجلها بليل

تأوه آهة الرجل الحزين

ودراً الوضين لناقته : بسطه على الأرض ، ثم أبركها عليه ليشد عليها رحلها .
والوضين : حزام عريض من جلد منسوج يشد به رحل البعير . والدين : الدأب
والعادة .

- (59) في المطبوعة : "فتبين" ، والصواب ما أثبت .
(60) في المطبوعة : "فيكون على العطف" سقط من الناسخ قوله : الرفع" .
(61) وهذه هي قراءة مصحفنا اليوم .
(62) المعاني الكبير : 846 ، 1134 ، وسيبويه 1 : 341 ، من أبيات يذكر
صديقا كان له ، يقول :

أرانا لا يزال لنا حميم

كداء البطن سِلا أو صُفارا

يعالج عاقرا أعيت عليه

ليلقحها ، فينتجها حوارا

ويزعم أنه ناز علينا

بشـرته فتاركنـا تبارا

جعل هذا الصديق كداء البطن لا يدري من أين يهـج ولا كيف يتأتى له . وهو
يعالج من الشر ما لا يقدر عليه ، فكأنه يطلب الولد من عاقر . جعل ذلك
مثلا . والحوار : ولد البقرة . والشرة : حدة الشر ، والتبار : الهلاك .
(63) الأثر : 1862 - سيرة ابن هشام 2 : 198 .
(64) في المطبوعة : "وقال الزاعم . . " والصواب ما أثبت ، كما استدركه
مصحح المطبوعة .

(65) ليس للأشهب ، بل هو لجريـر ، وقد تابعه ابن الشجري في أماليه 2 :
210 ، كأنه نقله عنه كعادته .

(66) ديوان جرير : 338 ، النقائص : 833 ، وسيأتي في التفسير 7 : 119
(بولاق) غير منسوب ، ومجاز القرآن : 52 ، وأمالي ابن الشجري 1 : 279 ،
334 / 2 : 210 ، والخزانة 1 : 461 . ورواية الديوان والنقائص : "أفضل

سعيكم" . والبيت من قصيدة طويلة في مناقضة جرير والفرزدق . وقوله :
"عقر النيب" . عقر الناقة أو الفرس : ضرب قوائمها فقطعها ، وكانوا إذا
أرادوا نحر البعير عقروه ، ثم نحروه ، وإنما يفعلون به ذلك كيلا يشرد عند

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

النحر . وكان العرب يتكلمون بالمعاقرة . وهي أن يعقر هذا ناقة ، فيعقر الآخر ، يتباريان في الجود والسخاء ، ويلحان في ذلك حتى يغلب أحدهما صاحبه . والنيب جمع ناب : وهي الناقة المسنة ، أسموها بذلك لطول نابها . ويشير جرير بذلك إلى ما كان يفخر به الفرزدق من معاقرة أبيه غالب بن صعصعة ، سحيم بن وثيل الرياحي بمكان يقال له "صوار" ، فعقر سحيم خمسا ثم بدا له ، وعقر غالب مئة ، أو مئتين . وهذا أمر من أمور الجاهلية قال ابن عباس : " لا تأكلوا من تعاقر الأعراب ، فإنني لا آمن أن يكون مما أهل لغير الله به " ، وقال علي رضي الله عنه : " يا أيها الناس ، لا تحل لكم ، فإنها أهل بها لغير الله " . (انظر خبر المعاقرة في النقائص : 625 - 626) .

وقوله : " بني ضوطرى " ، يعني : يا بني الحمقى . هكذا قيل ، وأخشى أن لا يكون كذلك ، فإن " ضوطرى " نيز لرجل من بني مجاشع بن دارم - لم يعينوه - فقال جرير للفرزدق :

إن ابن شعرة، والقرين، وضوطرى

بئس الفوارس ليلة الحدثان

فهذا دليل على أنه شخص بعينه ، أرجو أن أحققه في غير هذا المكان . وقد أراد ذمه بأسلافه على كل . والكمي : الشجاع الذي لا يرهب ، فلا يحيد عن قرنه ، كان عليه سلاح أو لم يكن .

وقوله : " تعدون " أي تحسبون وتجعلون ، فعدى الفعل "عد" إلى مفعولين ، تضمينا لمعنى "جعل وحسب" ، كما قال ذو الرمة :

أشم أغر أزهر هبرزي

يعد القاصدين له عيالا

(67) انظر ما سلف : 1 : 106 .

(68) في المطبوعة : "عما نريده ونسأل" ، والصواب ما أثبت .

(69) في المطبوعة : "هم اليهود" ، والصواب ما أثبت ، كما استظهره مصحح المطبوعة ، ودليل ذلك أنه سيروى بعد عن قتادة ، وقد مضى في رقم : 1763 بإسناده هذا عن قتادة : أن "الذين لا يعلمون" ، هم كفار العرب ، والأثر التالي تنمة هذا الأثر السالف .

(70) في المطبوعة : "والذين قالت" . والضمير في قوله "والذين قالوا" إلى النصرى يعود . وانظر دليله فيما سلف قريبا : 550 .

(71) في المطبوعة : "وسألت موسى" ، وحذف الواو أولى . وكان أحب أن يكون "سألوا" مكان "سألت" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (72) انظر ما سلف في تفسير الآية : 55 ، والأثر : 959 .
- (73) في المطبوعة : "وقال غيرهم" ، والصواب ما أثبت ، فإنه روى قول مجاهد وحده .
- (74) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 75 ، وعبارة الطبري هنا تصحح الخطأ الذي هناك .
- (75) الحديثان : 1875 ، 1876 - هما حديثان مرسلان . فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي : تابعي . والمرسل لا تقوم به حجة ، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضًا ، بضعف راويهما : موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي : ضعيف جدا ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 4 / 1 / 291 ، والصغير : 172 - 173 ، وابن أبي حاتم 4 / 1 / 151 ، فقال البخاري : "منكر الحديث قاله أحمد بن حنبل . وقال علي بن المديني ، عن القطان : كنا نتقيه تلك الأيام" . وروى ابن أبي حاتم عن الجوزاني قال : "سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا تحل الرواية عندي عن موسى بن عبيدة ، قلنا : يا أبا عبد الله ، لا يحل؟ قال : عندي ، قلت : فإن سفيان وشعبة قد رويا عنه؟ قال : لو بان لشعبة ما بان لغيره ما روى عنه" . وقال ابن معين : "لا يحتج بحديثه" . وقال أبو حاتم : "منكر الحديث" . وأبوه "عبيدة" ، بالتصغير ، ووقع في المطبوعة في الإسنادين "عبدة" . وهو خطأ .
- (76) الحديث : 1877 - وهذا مرسل أيضًا ، لا تقوم به حجة .
- داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي : تابعي ثقة ، ويروى عن بعض التابعين أيضًا . مترجم في التهذيب ، والكبير 210 / 1 / 2 . والجرح 421 / 2 / 1 . ووقع في المطبوعة "داو عن أبي عاصم" . وهو تحريف ، صحناه من ابن كثير 1 : 297 .
- ونقل ابن كثير 1 : 296 عن القرطبي أنه قال : "وقد ذكرنا في التذكرة أن الله أحيا أبويه حتى آمنا به ، وأجبنا عن قوله : إن أبي وأباك في النار" . ثم علق ابن كثير ، فقال : "الحديث المروي في حياة أبويه عليه السلام - ليس في شيء من الكتب الستة ولا غيرها ، وإسناده ضعيف" .
- وأنا أرى أن الإفاضة في مثل هذا غير مجدية ، وما أمرنا أن نتكلف القول فيه .
- (77) حجة قوية لا ترد ، وبصر بسياق معاني القرآن وتتابعها . ولكن كثيرا من الناس يغفلون عن مواطن الحق في موضع بعينه ، لاختلاط الأمر عليهم لمشابهته لموطن آخر في موضع غيره ، كما سترى في التعليق التالي رقم : 40 .
- (78) كان في المطبوعة : "بالواو يقول : فلا تسئل عن أصحاب الجحيم . . . بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم" وهو خطأ كما استدركه مصحح المطبوعة في تعليقه .
- (79) في المطبوعة : "أوضح الدلائل" بالجمع ، والإفراد هو الصواب ، وكأنه سبق قلم من ناسخ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(80) قال ابن كثير في تفسيره 1: 297 "وقد رد ابن جرير هذا القول المروي عن محمد بن كعب وغيره في ذلك؛ لاستحالة الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر أبويه، واختار القراءة الأولى. وهذا الذي سلكه هاهنا فيه نظر، لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه، قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما، وأخبر عنهما من أهل النار، كما ثبت هذا في الصحيح. ولهذا أشباه كثيرة ونظائر، ولا يلزم ما ذكره ابن جرير والله أعلم".

ينسى ابن كثير غفر الله له، ما أعاد الطبري وأبدأ من ذكر سياق الآيات المتتابعة، والسياق كما قال هو في ذكر اليهود والنصارى وقصصهم، وتشابه قلوبهم في الكفر بالله، وقلة معرفتهم بعظمة ربهم، وجرأتهم على رسل الله وأنبيائه، وكل ذلك موجب عذاب الجحيم، فما الذي أدخل كفار العرب في هذا السياق؟ نعم إنهم يدخلون في معنى أنهم من أصحاب الجحيم، كما يدخل فيه كل مشرك من العرب وغيرهم. وقد بينا آنفاً ص: 521 تعليق: 1 أن هذه الآيات السالفة والتي تليها، دالة أوضح الدلالة على أن قصتها كلها في اليهود والنصارى، ولا شأن لمشركي العرب بها. وإن دخل هؤلاء المشركون في معنى أنهم من أصحاب الجحيم، وإذن فسياق الآيات يوجب أن تكون في اليهود والنصارى، فتخصيص شطر من آية بأنه نزل في أمر بعض مشركي الجاهلية. تحكم بلا خبر ولا بينة. (وانظر ص: 565).

إن ابن كثير غفل عن معنى الطبري، فإن الطبري أراد أن يدل على شيئين: أن خبر محمد بن كعب لا يصح، وأنه إن صح عنه من وجه، فإن نزول الآية لم يكن لهذا الذي روي عنه. وبيان ذلك: أن الخبر لا يصح، لأنه جاء على صيغة التشكك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أمر بعض أهل الجاهلية: ما فعل به، في جنة أو نار! وهذا مما يتنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفرق كبير بين أن يستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبويه اللذين كانا من أهل الجاهلية، وعلى مثل أمرها من الشرك، وبين أن يتشكك في أمرهما فيقول: "ليت شعري ما فعل أبواي؟". وإنما يصح كلام ابن كثير، إذا كان بين هذا التشكك، وبين الاستغفار رابط يوجب أن يكون أحدهما ملازماً للآخر، أو بسبب منه. ثم يرد الخبر أيضاً، لأن سياق الآيات يدل ظاهراً البين على أنها في اليهود والنصارى نزلت، فلا يمكن تخصيص شطر من آية من هذه الآيات المتتابعة، على خبر لا يصح، لعله موهنة له. فلست أدري لم أقحم ابن كثير الاستغفار والتبرؤ في هذا الموضع، مع وضوح حجة الطبري في الفقرة السالفة. من جهة السياق، وفي هذه الفقرة من جهة العربية؟

إن بعض المشكلات التي يدور عليها جدال الناس، ربما أغفلت مثل ابن كثير عن مواطن الدقة والصواب والتحري، وهم يفسرون كتاب الله الذي لا يخالف بعضه بعضاً، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. اللهم إنا نسألك العصمة من الزلل، ونستهديك في البيان عن معاني كتابك.

(81) في المطبوعة: يرفعهما ما روي... "والصواب ما أثبت .
(82) ديوانه: 53، وروايته: "ثم فارت"، وكأنها هي الصواب، وأخشى أن يكون البيت محرفاً. لم أعرف معنى "قوابسها" هناك، وأظنه "قدامسها" جمع

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قدموس ، وهي الحجارة الضخمة الصلبة ، كقوله تعالى : "وقودها الناس والحجارة" ، وأعرض الشيء اتسع وعرض ، وقوله "عن" أي بسبب قذف هذه الحجارة فيها . هذا أقرب ما اهتديت إليه من معناه ، ويرجح ذلك البيت الذي يليه ، وفيه جواب "إذا" :

تحش بصنديل صم صلاب

كأن الضاحيات لها قضيم

وكأنه يعني بالضاحيات : النخيل . وشعر أمية مشكل على كل حال .

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه: (**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ**) ، وليست اليهود ، يا محمد ، ولا النصارى براضية عنك أبدا ، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية < 563-2 > في شخص واحد في حال واحدة ، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك ، إلا أن تكون يهوديا نصرانيا ، وذلك مما لا يكون منك أبدا ، لأنك شخص واحد ، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة. وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل ، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل ، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل .

وأما " الملة " فإنها الدين ، وجمعها الملل.

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد - لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا: **لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى** - (إن هدى الله هو الهدى) ، يعني إن بيان الله هو البيان المقنع، والقضاء الفاصل بيننا ، فهلموا إلى كتاب الله وبيانه- الذي بين فيه لعباده ما اختلفوا فيه ، وهو التوراة التي تقرن جميعا بأنها من عند الله ، يتضح لكم فيها

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

المحق منا من المبطل ، وأينا أهل الجنة ، وأينا أهل النار ، وأينا على الصواب ، وأينا على الخطأ.

وإنما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه ، لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى ، وبيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن المكذب به من أهل النار دون المصدق به.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ولئن اتبعت)، يا محمد ، هوى هؤلاء اليهود والنصارى - فيما يرضيهم عنك - من تهود وتنصر ، فصرت من ذلك > 564-2 < إلى إرضائهم ، ووافقت فيه محبتهم - من بعد الذي جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم ، ومن بعد الذي اقتضت عليك من نبيهم في هذه السورة - ما لك من الله من ولي = يعني بذلك: ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك ، وقيم يقوم به = ولا نصير ، ينصرك من الله ، فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ، ويمنعك من ذلك، إن أحل بك ذلك ربك. وقد بينا معنى "الولي" و "النصير" فيما مضى قبل. (1)

وقد قيل: إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لأن اليهود والنصارى دعتهم إلى أديانها ، وقال كل حزب منهم: إن الهدى هو ما نحن عليه دون ما عليه ، غيرنا من سائر الملل. فوعظه الله أن يفعل ذلك ، وعلمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم.

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله جل ثناؤه بقوله: (الذين آتيناهم الكتاب) فقال بعضهم: هم المؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من أصحابه.

*ذكر من قال ذلك:

1878- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله: (الذين آتيناهم الكتاب) ، هؤلاء أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، آمنوا بكتاب الله وصدقوا به.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك علماء بني إسرائيل ، الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، فأقروا بحكم التوراة. فعملوا بما أمر الله فيها من اتباع محمد صلى < 2-565 > الله عليه وسلم ، والإيمان به ، والتصديق بما جاء به من عند الله.

*ذكر من قال ذلك:

1879- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)، قال: من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود فأولئك هم الخاسرون.

وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة. لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين ، وتبديل من بدل منهم كتاب الله ، وتأولهم إياه على غير تأويله ، وادعائهم على الله الأباطيل. ولم يجر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها ذكر ، فيكون قوله: (الذين آتيناهم الكتاب) ، موجهها إلى الخبر عنهم ، ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ، فيكون موجهها ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد انقضاء قصص غيرهم ، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له. (2)

فإذ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجهها إلى أنه خبر عن قصص الله جل ثناؤه [قصصهم] في الآية قبلها والآية بعدها ، (3) وهم أهل الكتابين: التوراة والإنجيل. وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية: الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد -وهو التوراة- فقرأوه واتبعوا ما فيه ، فصدقوا وآمنوا بك ، وبما جئت به من عندي ، أولئك يتلونه حق تلاوته.

< 2-566 >

وإنما أدخلت الألف واللام في "الكتاب" لأنه معرفة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عرفوا أي الكتب عنى به.

القول في تأويل قوله تعالى : يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل: (يتلونه حق تلاوته)، فقال بعضهم: معنى ذلك يتبعونه حق اتباعه.

*ذكر من قال ذلك:

1880- حدثني محمد بن المثنى قال، حدثني ابن أبي عدي، وعبد الأعلى، وحدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا ابن أبي عدي جميعا، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: (يتلونه حق تلاوته)، يتبعونه حق اتباعه.

1881- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود، عن عكرمة بمثله.

1880- وحدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة بمثله.

1883- حدثني الحسن بن عمرو العنقزي قال، حدثني أبي، عن أسباط، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس في قوله الله عز وجل: (يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)، قال: يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه. (4)

1884- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال، قال أبو مالك: إن ابن عباس قال في: (يتلونه حق تلاوته)، فذكر مثله، إلا أنه قال: ولا يحرفونه عن مواضعه.

1885- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا المؤمل قال، حدثنا سفيان قال: > 2- 567 < حدثنا يزيد، عن مرة، عن عبد الله في قول الله عز وجل: (يتلونه حق تلاوته): قال: يتبعونه حق اتباعه.

1886- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية قال، قال عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته: أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله.

1887- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة ومنصور بن المعتمر، عن ابن مسعود في قوله: (يتلونه حق تلاوته)، أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ولا يحرفه عن مواضعه.

1888- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا [أبو أحمد] الزبيري قال، حدثنا عباد بن العوام عن ذكره، عن عكرمة، عن ابن عباس: (يتلونه حق تلاوته) يتبعونه حق اتباعه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1889- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن عطاء ، بمثله.

1890- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه.

1891- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان -وحدثني المثنى قال، حدثني أبو نعيم قال، حدثنا سفيان- وحدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال، حدثنا يحيى بن إبراهيم، عن سفيان - قالوا جميعا: عن منصور، عن أبي رزين، مثله.

1892- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: عملا به. (5)

< 2-568 >

1893- حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك ، عن قيس بن سعد: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه، ألم تر إلى قوله: وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا [سورة الشمس: 2] ، يعني الشمس إذا تبعها القمر.

1894- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء وقيس بن سعد ، عن مجاهد في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يعملون به حق عمله.

1895- حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد قال، يتبعونه حق اتباعه.

1896- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

1897- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: (يتلونه حق تلاوته) ، يعملون به حق عمله.

1898- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن مجاهد في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه.

1899- حدثني عمرو قال، حدثنا أبو قتيبة قال، حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن أبي أيوب ، عن أبي الخليل ، عن مجاهد: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه. (6)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-569 >

1900- حدثنا عمرو قال، حدثنا يحيى القطان ، عن عبد الملك ، عن عطاء قوله: (يتلونه حق تلاوته) قال: يتبعونه حق اتباعه ، يعملون به حق عمله.

1901- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثني أبي ، عن المبارك ، عن الحسن: (يتلونه حق تلاوته) قال: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه. (7)

1902- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: أحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، وعملوا بما فيه، ذكر لنا أن ابن مسعود كان يقول: إن حق تلاوته : أن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، وأن يقرأه كما أنزله الله عز وجل ، ولا يحرفه عن مواضعه.

1903- حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا الحكم بن عطية ، سمعت قتادة يقول: (يتلونه حق تلاوته) قال: يتبعونه حق اتباعه. قال: اتباعه : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ويقرءونه كما أنزل.

1904- حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم عن داود ، عن عكرمة في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه، أما سمعت قول الله عز وجل: وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا [سورة الشمس: 2] ، قال: إذا تبعها.

وقال آخرون : (يتلونه حق تلاوته) ، يقرءونه حق قراءته. (8)

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى: يتبعونه حق اتباعه ، من قول القائل: ما زلت أتلو أثره ، إذا اتبع أثره، (9) لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله.

< 2-570 >

وإذ كان ذلك تأويله ، فمعنى الكلام: الذين آتيناهم الكتاب ، يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك وبما جئتكم به من الحق من عندي ، يتبعون كتابي الذي أنزلته على رسولي موسى صلوات الله عليه ، فيؤمنون به ويقرون بما فيه من نعتك وصفتك ، وأنت رسولي، فرض عليهم طاعتي في الإيمان بك والتصديق بما جئتكم به من عندي ، ويعملون بما أحلت لهم ، ويجتنبون ما حرمت عليهم فيه ، ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يبدلونه ولا يغيرونه - كما أنزلته عليهم - بتأويل ولا غيره.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أما قوله: (حق تلاوته) ، فمبالغة في صفة اتباعهم الكتاب ولزومهم العمل به ، كما يقال: " إن فلانا لعالم حق عالم " ، وكما يقال: " إن فلانا لفاضل كل فاضل " (10)

وقد اختلف أهل العربية في إضافة " حق " إلى المعرفة ، فقال بعض نحوي الكوفة: غير جائزة إضافته إلى معرفة لأنه بمعنى " أي " ، وبمعنى قولك: " أفضل رجل فلان " ، و " أفعال " لا يضاف إلى واحد معرفة ، لأنه مبعض ، ولا يكون الواحد المبعض معرفة. فأحالوا أن يقال: " مررت بالرجل حق الرجل " ، و " مررت بالرجل جِدَّ الرجل " ، كما أحالوا " مررت بالرجل أي الرجل " ، وأجازوا ذلك في " كل الرجل " و " عين الرجل " و " نفس الرجل " . (11) وقالوا: إنما أجزنا ذلك لأن هذه الحروف كانت في الأصل توكيدا ، فلما صرن مدوحا ، تركن مدوحا على أصولهن في المعرفة.

وزعموا أن قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، إنما جازت إضافته إلى التلاوة ، وهي مضافة إلى معرفة، لأن العرب تعتد ب " الهاء " -إذا عادت إلى نكرة - بالنكرة ، فيقولون: " مررت برجل واحد أمه ، ونسيح وحده ، وسيد قومه " ، قالوا: فكذلك قوله: (حق تلاوته) ، إنما جازت إضافة " حق " إلى " التلاوة " وهي مضافة إلى < 571-2 > " الهاء " ، لاعتداد العرب ب " الهاء " التي في نظائرها في عداد النكرات. قالوا: ولو كان ذلك " حق التلاوة " ، لوجب أن يكون جائزا: " مررت بالرجل حق الرجل " .

فعلى هذا القول تأويل الكلام: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوة.

وقال بعض نحوي البصرة: جائزة إضافة " حق " إلى النكرات مع النكرات ، ومع المعارف إلى المعارف، وإنما ذلك نظير قول القائل: " مررت بالرجل غلام الرجل " ، و " برجل غلام رجل " .

فتأويل الآية على قول هؤلاء: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته (12)

وأولى ذلك بالصواب عندنا القول الأول، لأن معنى قوله: (حق تلاوته) ، أي تلاوة ، بمعنى مدح التلاوة التي تلوها وتفضيلها. " وأي " غير جائزة إضافتها إلى واحد معرفة عند جميعهم. وكذلك " حق " غير جائزة إضافتها إلى واحد معرفة .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما أضيف في (حق تلاوته) إلى ما فيه " الهاء " لما وصفت من العلة التي تقدم بيانها.

القول في تأويل قوله تعالى : **أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (أولئك)، هؤلاء الذين أخبر عنهم أنهم يتلون ما أتاهم من الكتاب حق تلاوته ، وأما قوله: (يؤمنون) ، فإنه يعني: يصدقون به. و " الهاء " التي في قوله : " به " عائدة على " الهاء " التي في تلاوته ، وهما جميعا من ذكر الكتاب الذي قاله الله: الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ .

فأخبر الله جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة ، هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها ، والعامل بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها ، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته، دون من كان محرفا لها مبدلا تأويلها ، مغيرا < 2-572 > سننها تاركا ما فرض الله فيها عليه.

وإنما وصف جل ثناؤه من وُصف بما وصف به من متبعي التوراة ، وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم، لأن في اتباعها اتباع محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، لأن التوراة تأمر أهلها بذلك ، وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته ، وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم ، وأن في التكذيب بمحمد التكذيب لها. فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهم العاملون بما فيها، كما:-

1905- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (أولئك يؤمنون به) ، قال: من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل ، وبالتوراة ، وإن الكافر بمحمد صلى الله عليه وسلم هو الكافر بها الخاسر ، كما قال جل ثناؤه: **وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . (13)**

القول في تأويل قوله تعالى : **وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)**

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ومن يكفر به) ، ومن يكفر بالكتاب الذي أخبر أنه يتلوه - من أتاه من المؤمنين - حق تلاوته. ويعني بقوله جل ثناؤه: (يكفر) ، يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوته محمد صلى الله عليه وسلم ، وتصديقه ، ويبدله فيحرف تأويله ، أولئك هم الذين خسروا علمهم وعملهم ، فبخسوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ، واستبدلوا بها سخط الله وغضبه. وقال ابن زيد في قوله، بما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1906- حدثني به يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: < 2-573 > (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)، قال: من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود، (فأولئك هم الخاسرون).

القول في تأويل قوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَصَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122)

قال أبو جعفر: وهذه الآية عظة من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتذكير منه لهم ما سلف من أياديه إليهم في صنعه بأوائلهم، استعطافا منه لهم على دينه وتصديق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: يا بني إسرائيل اذكروا أيادي لديكم، وصنائعي عندكم، واستنقاضي إياكم من أيدي عدوكم فرعون وقومه، وإنزالي عليكم المن والسلوى في تيهكم، وتمكيني لكم في البلاد، بعد أن كنتم مذللين مقهورين، واختصاصي الرسل منكم، وتفضيلي إياكم على عالم من كنتم بين ظهرائيه، أيام أنتم في طاعتي- (14) باتباع رسولي إليكم، وتصديقه وتصديق ما جاءكم به من عندي، ودعوا التماذي في الضلال والغي.

وقد ذكرنا فيما مضى النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، والمعاني التي ذكرهم جل ثناؤه من آلائه عندهم، والعالم الذي فضلوا عليه - فيما مضى قبل، بالروايات والشواهد، فكرهنا تطويل الكتاب بإعادته، إذ كان المعنى في ذلك في هذا الموضع وهنالك واحدا. (15)

< 2-574 >

القول في تأويل قوله: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (123)

قال أبو جعفر: وهذه الآية ترهيب من الله جل ثناؤه للذين سلفت عظته إياهم بما وعظهم به في الآية قبلها. يقول الله لهم: واتقوا - يا معشر بني إسرائيل المبدلين كتابي وتنزيلي، المحرفين تأويله عن وجهه، المكذبين برسولي محمد صلى الله عليه وسلم - عذاب يوم لا تقضي فيه نفس عن نفس شيئا، ولا تغني عنها غناء، أن تهلكوا على ما أنتم عليه من كفركم بي، وتكذيبكم رسولي، فتموتوا عليه، فإنه يوم لا يقبل من نفس فيما لزمها فدية، ولا يشفع فيما وجب عليها من حق لها شافع، ولا هي ينصرها ناصر من الله إذا انتقم منها بمعصيتها إياه. (16)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد مضى البيان عن كل معاني هذه الآية في نظيرتها قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. (17)

< 3-7 >

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ)، وإذا اختبر.

يقال منه: " ابتليت فلانا أبتليه ابتلاء "، ومنه قول الله عز وجل: **وَابْتَلُوا** **الْيَتَامَىٰ** [سورة النساء: 6]، يعني به: اختبروهم. (18).

وكان اختبار الله تعالى ذكره إبراهيم، اختبارا بفرائض فرضها عليه، وأمر أمره به. وذلك هو " الكلمات " التي أوحاهن إليه، وكلفه العمل بهن، امتحانا منه له واختبارا.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة " الكلمات " التي ابتلى الله بها إبراهيم نبيه وخليه صلوات الله عليه.

فقال بعضهم: هي شرائع الإسلام، وهي ثلاثون سهما. (19)

* ذكر من قال ذلك:

1907- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: " وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ " قال، < 3-8 > قال ابن عباس: لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، ابتلاه الله بكلمات، فآتمهن. قال: فكتب الله له البراءة فقال: **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَىٰ** [سورة النجم: 37]. قال: عشر منها في " الأحزاب "، وعشر منها في " براءة "،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وعشر منها في "المؤمنون" و "سأل سائل"، وقال: إن هذا الإسلام ثلاثون سهما. (20)

1908- حدثنا إسحاق بن شاهين قال، حدثنا خالد الطحان، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم، ابتلي بالإسلام فأتته، فكتب الله له البراءة فقال: "وإبراهيم الذي وفى"، فذكر عشرا في "براءة" [112] فقال: التائبون العابدون الحامدون إلى آخر الآية، (21) وعشرا في "الأحزاب" [35]، إن المسلمين والمسلمات، وعشرا في "سورة المؤمنون" [1-9] إلى قوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، وعشرا في "سأل سائل" [22-34] وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ .

1909- حدثنا عبد الله بن أحمد بن شويه قال، حدثنا علي بن الحسن قال، حدثنا خارجة بن مصعب، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الإسلام ثلاثون سهما، وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم، قال الله: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى، فكتب الله له براءة من النار. (22)

< 3-9 > وقال آخرون: هي خصال عشر من سنن الإسلام.

* ذكر من قال ذلك:

1910- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" قال، ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد. في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء. (23)

1911- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الحكم بن أبان، عن القاسم بن أبي بزة، عن ابن عباس، بمثله - ولم يذكر أثر البول.

1912- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا سليمان قال، حدثنا أبو هلال قال، حدثنا قتادة في قوله: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" قال، ابتلاه بالختان، وحلق العانة، وغسل القبل والدبر، والسواك، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط. قال أبو هلال: ونسيت خصلة.

1913- حدثت عن عمار، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن مطر، عن أبي الخلد قال: ابتلى إبراهيم بعشرة أشياء، هن في الإنسان: سنة: < 3-10 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الاستنشاق, وقص الشارب, والسواك, وبتف الإبط, وقلم الأظفار, وغسل البراجم, والختان, وحلق العانة, وغسل الدبر والفرج (24).

وقال بعضهم: بل "الكلمات" التي ابتلى بهن عشر خلال; بعضهن في تطهير الجسد, وبعضهن في مناسك الحج.

*ذكر من قال ذلك :

1914- حدثني المثنى قال, حدثنا إسحاق قال: حدثنا محمد بن حرب قال, حدثنا ابن لهيعة, عن ابن هبيرة, عن حنش, عن ابن عباس في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن " قال, ستة في الإنسان, وأربعة في المشاعر. فالتى في الإنسان: حلق العانة, والختان, وبتف الإبط, وتقليم الأظفار, وقص الشارب, والغسل يوم الجمعة. وأربعة في المشاعر: الطواف, والسعي بين الصفا والمروة, ورمي الجمار, والإفاضة. (25)

وقال آخرون: بل ذلك: إِيَّي جَاعِلِكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا , في مناسك الحج.

* ذكر من قال ذلك:

1915- حدثنا أبو كريب قال, حدثنا ابن إدريس قال, سمعت إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن " , فمنهن: إِيَّي جَاعِلِكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا , وآيات النسك. (26)

1916- حدثنا أبو السائب قال, حدثنا ابن إدريس قال, سمعت إسماعيل > 3- 11 < بن أبي خالد, عن أبي صالح مولى أم هانئ في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال, منهن إِيَّي جَاعِلِكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ومنهن آيات النسك: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ [سورة البقرة: 127].

1917- حدثنا محمد بن عمرو قال, حدثنا أبو عاصم قال, حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن " قال الله لإبراهيم: إني مبتليك بأمر فما هو؟ قال: تجعلني للناس إماما! قال: نعم. قال: ومن ذريتي. قال: لا ينال عهدي الظالمين. قال: تجعل البيت مثابة للناس. قال: نعم. [قال]: وأمنا. قال: نعم. [قال]: وتجعلنا مسلمين لك, ومن ذريتنا أمة مسلمة لك. قال: نعم. [قال]: وترينا مناسكنا وتتوب علينا. قال: نعم. قال: وتجعل هذا البلد آمنا. قال: نعم. قال: وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم. قال: نعم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1918- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

1919- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، أخبره به عن عكرمة، فعرضته على مجاهد فلم ينكره.

1920- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه. قال ابن جريج: فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة جميعا.

1921- حدثنا سفيان قال، حدثني أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: " وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَهَا " قال، ابتلي بالآيات التي بعدها: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَتَّبِعُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**

1922- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن < 3-12 > الربيع في قوله: " وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَهَا " ، فالكلمات: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ،** وقوله: **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ،** وقوله: **وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** وقوله: **وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ الْآيَةَ،** وقوله: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ الْآيَةَ.** قال: فذلك كله من الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم. (27)

1923- حدثني محمد بن سعد (28) قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَهَا " ، فمنهن: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ،** ومنهن: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ،** ومنهن الآيات في شأن النسك، والمقام الذي جعل لإبراهيم، والرزق الذي رزق ساكنو البيت، ومحمد صلى الله عليه وسلم في ذريتهما عليهما السلام.

وقال آخرون: بل ذلك مناسك الحج خاصة.

* ذكر من قال ذلك:

1924- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة قال، حدثنا عمر بن نيهان، عن قتادة، عن ابن عباس في قوله: " وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ " قال، مناسك الحج. (29)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1925- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال، كان ابن عباس يقول في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، المناسك.

< 3-13 >

1926- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال، قال ابن عباس: ابتلاه بالمناسك.

1927- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، قال: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: إن الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم، المناسك.

1928- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، مناسك الحج.

1929- حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، منهن مناسك الحج. (30)

وقال آخرون: هي أمور، منهن الختان.

* ذكر من قال ذلك:

1930- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة، عن يونس بن أبي إسحاق، عن الشعبي: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، منهن الختان.

1931- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا يونس بن أبي إسحاق، قال: سمعت الشعبي يقول، فذكر مثله.

1932- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا يونس بن أبي إسحاق قال، سمعت الشعبي - وسأله أبو إسحاق عن قول الله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " - قال، منهن الختان، يا أبا إسحاق.

وقال آخرون: بل ذلك الخلال الست: الكوكب، والقمر، والشمس، والنار، والهجرة، والختان، التي ابتلي بهن فصبر عليهن.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1933- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: قلت للحسن: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن ". قال: ابتلاه بالكوكب، فرضي عنه؛ وابتلاه بالقمر، فرضي عنه؛ وابتلاه بالشمس، فرضي عنه؛ وابتلاه بالنار، فرضي عنه؛ وابتلاه بالهجرة، وابتلاه بالختان.

1934- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: إي والله، ابتلاه بأمر فصبر عليه: ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر، فأحسن في ذلك، وعرف أن ربه دائم لا يزول، فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما كان من المشركين؛ ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجرا إلى الله؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة، فصبر على ذلك؛ فابتلاه الله بذبح ابنه وبالختان، فصبر على ذلك.

1935- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن سمع الحسن يقول في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، ابتلاه الله بذبح ولده، وبالنار، وبالكوكب، والشمس، والقمر.

1936- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة قال، حدثنا أبو هلال، عن الحسن: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، ابتلاه بالكوكب، وبالشمس والقمر، فوجه صابرا.

وقال آخرون بما:

1937- حدثنا به موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا > 3-15 < أسباط، عن السدي: الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم ربه: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرَّتَيْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ [سورة البقرة: 127-129]

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه، وأمره أن يعمل بهن فاتمهن، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل. (31) وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل " الكلمات "، وجائز أن تكون بعضه. لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك، فعمل به، وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه. وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

شيئا من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك، إلا بحجة يجب التسليم لها: من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إجماع من الحجة. ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته. غير أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبران، لو ثبتا، أو أحدهما، كان القول به في تأويل ذلك هو الصواب. أحدهما، ما:-

1938- حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا رشدين بن سعد قال، حدثني زبّان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله: الذي وُفِّيَ؟ [سورة النجم: 37] لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ [سورة الروم: 17] حتى يختم الآية. (32)

< 3-16 >

والآخر منهما ما:-

1939- حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا الحسن بن عطية قال، حدثنا إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفِّيَ قَالَ، أتدرون ما وُفِّيَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وفي عمل يومه، أربع ركعات في النهار. (33)

< 3-17 > قال أبو جعفر: فلو كان خبر سهل بن معاذ عن أبيه صحيحا سنده، كان بينا أن الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم فقام بهن، هو قوله كلما أصبح وأمسى: فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ - أو كان خبر أبي أمامة عدولا نقلته، كان معلوما أن الكلمات التي أوحين إلى إبراهيم فابتلي بالعمل بهن: أن يصلي كل يوم أربع ركعات. غير أنهما خبران في أسانيدهما نظر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في معنى "الكلمات" التي أخبر الله أنه ابتلي بهن إبراهيم، ما بينا أنفا.

ولو قال قائل في ذلك: إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس، أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم، كان مذهبا. لأن قوله: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، وقوله: وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وسائر الآيات التي هي نظير ذلك، كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلي بهن إبراهيم. (34)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَاتَّمَّهُنَّ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: " فاتمهن "، فأتى إبراهيم الكلمات. و " إتمامه إياهن "، إكماله إياهن، بالقيام لله بما أوجب عليه فيهن، وهو الوفاء الذي < 3-18 > قال الله جل ثناؤه: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى [سورة النجم: 37]، يعني وفى بما عهد إليه، " بالكلمات "، بما أمره به من فرائضه ومحنته فيها، (35) كما:-

1940- حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: " فاتمهن "، أي فاداهن.

1941- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " فاتمهن "، أي عمل بهن فاتمهن.

1942- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " فاتمهن "، أي عمل بهن فاتمهن.

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: " إني جاعلك للناس إماما "، فقال الله: يا إبراهيم، إني مصيرك للناس إماما، ليؤتم به ويقتدى به، كما:-

1943- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " إني جاعلك للناس إماما "، ليؤتم به ويقتدى به.

يقال منه: " أمت القوم فأنا أؤمهم أما وإمامة "، إذا كنت إمامهم.

وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم: " إني جاعلك للناس إماما "، إني مصيرك تؤم من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي، تتقدمهم أنت، (36) ويتبعون هديك، ويستنون بسنتك التي تعمل بها، بأمرى إياك ووحى إليك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-19 > القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك: قال إبراهيم- لما رفع الله منزلته وكرمه، فأعلمه ما هو صانع به، من تصييره إماما في الخيرات لمن في عصره، ولمن جاء بعده من ذريته وسائر الناس غيرهم، يهتدى بهديه ويقتدى بأفعاله وأخلاقه - : يا رب، ومن ذريتي فاجعل أئمة يقتدي بهم، كالذي جعلتني إماما يؤتم بي ويقتدى بي. مسألة من إبراهيم ربه سأله إياها، كما:-

1944- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال إبراهيم: " ومن ذريتي"، يقول: فاجعل من ذريتي من يؤتم به ويقتدى به.

وقد زعم بعض الناس أن قول إبراهيم: " ومن ذريتي"، مسألة منه ربه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه، كما قال: **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** [سورة إبراهيم:35]، فأخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه، بقوله: **لَا يَتَّالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** .

والظاهر من التنزيل يدل على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة. لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه: " ومن ذريتي"، في إثر قول الله جل ثناؤه: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** . فمعلوم أن الذي سأله إبراهيم لذريته، لو كان غير الذي أخبر ربه أنه أعطاه إياه، لكان مبينا. (37) ولكن المسألة لما كانت مما جرى ذكره، اكتفى بالذكر الذي قد مضى، من تكريره وإعادته، فقال: " ومن ذريتي"، بمعنى: ومن ذريتي فاجعل مثل الذي جعلتني به، من الإمامة للناس.

< 3-20 > القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ لَا يَتَّالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

قال أبو جعفر: هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماما يقتدي به أهل الخير. وهو من الله جل ثناؤه جواب لما يتوهم في مسألته إياه (38) أن يجعل من ذريته أئمة مثله. فأخبر أنه فاعل ذلك، إلا بمن كان من أهل الظلم منهم، فإنه غير مُصَيَّره كذلك، ولا جاعله في محل أوليائه عنده، بالكرمة بالإمامة. لأن الإمامة إنما هي لأوليائه وأهل طاعته، دون أعدائه والكافرين به.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف أهل التأويل في العهد الذي حرم الله جل ثناؤه الظالمين أن ينالوه.
فقال بعضهم: ذلك " العهد "، هو النبوة.

* ذكر من قال ذلك:

1945- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " قال لا ينال عهدي الظالمين "، يقول: عهدي، نبوتي.

فمعنى قائل هذا القول في تأويل الآية: لا ينال النبوة أهل الظلم والشرك.

وقال آخرون: معنى " العهد " : عهد الإمامة.

فتأويل الآية على قولهم: لا أجعل من كان من ذريتك بأسرهم ظالما، إماما لعبادي يقتدى به.

* ذكر من قال ذلك:

1946- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " قال لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا يكون إمام ظالما.

< 3-21 >

1947- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قال الله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا يكون إمام ظالما.

1948- حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عكرمة بمثله.

1949- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله: " قال لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا يكون إمام ظالم يقتدى به.

1950- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1951- حدثنا مشرّف بن أبان الحطاب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خفيف، عن مجاهد في قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا أجعل إماما ظالما يقتدى به. (39) .

1952- حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد في قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا أجعل إماما ظالما يقتدى به.

1953- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن < 22-3 > ابن جريح، عن مجاهد: " لا ينال عهدي الظالمين ": قال: لا يكون إماما ظالما.

قال ابن جريح: وأما عطاء فإنه قال: " إني جاعلك للناس إمامًا قالَ ومِنْ دُرِّيَّتِي " ، فأبى أن يجعل من ذريته ظالما إماما. قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنه لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه.

* ذكر من قال ذلك:

1954- حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " ، يعني: لا عهد لظالم عليك في ظلمه، أن تطيعه فيه.

1955- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله، عن إسرائيل، عن مسلم الأعور، عن مجاهد، عن ابن عباس: " قال لا ينال عهدي الظالمين " قال، ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه.

1956- حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس قال، ليس لظالم عهد.

وقال آخرون: معنى " العهد " في هذا الموضع: الأمان.

فتأويل الكلام على معنى قولهم: قال الله لا ينال أمانى أعدائي، وأهل الظلم لعبادي. أي: لا أومنهم من عذابي في الآخرة.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1957- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " قال لا ينال عهدي الظالمين "، ذلكم عند الله يوم القيامة، لا ينال عهده ظالم، فأما في الدنيا، فقد نالوا عهد الله، فوارثوا به المسلمون وغاؤهم وناكحواهم به. (40) فلما كان يوم القيامة قصر الله عهده وكرامته على أوليائه.

< 3-23 >

1958- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمون، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم، وأكل به وعاش.

1959- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم: " قال لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمون. فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به، وأكل وأبصر وعاش.

وقال آخرون: بل " العهد " الذي ذكره الله في هذا الموضوع: دين الله.

* ذكر من قال ذلك:

1960- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: قال الله لإبراهيم: " لا ينال عهدي الظالمين " فقال: فعهد الله الذي عهد إلى عباده، دينه. يقول: لا ينال دينه الظالمين. ألا ترى أنه قال: وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ [سورة الصافات:113]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.

1961- حدثني يحيى بن جعفر قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا ينال عهدي عدو لي بعصيني، ولا أنحلها إلا وليا لي يطيعني. (41)

قال أبو جعفر: وهذا الكلام، وإن كان ظاهره ظاهر خبر = عن أنه لا ينال من ولد إبراهيم صلوات الله عليه عهد الله - الذي هو النبوة والإمامة لأهل الخير، < 3-24 > بمعنى الاقتداء به في الدنيا، والعهد الذي بالوفاء به ينجو في الآخرة، من وفى لله به في الدنيا (42) - من كان منهم ظالما متعديا جائرا عن قصد سبيل الحق (43). فهو إعلام من الله تعالى ذكره لإبراهيم: أن من ولده من يشرك به، ويجور عن قصد السبيل، وبظلم نفسه وعباده، كالذي:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1962- حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال، حدثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن مجاهد في قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال: إنه سيكون في ذريتك ظالمون (44)

وأما نصب " الظالمين "، فلأن العهد هو الذي لا ينال الظالمين.

وذكر أنه في قراءة ابن مسعود: " لا ينال عهدي الظالمون "، بمعنى: أن الظالمين هم الذين لا ينالون عهد الله.

وإنما جاز الرفع في " الظالمين " والنصب، وكذلك في " العهد "، لأن كل ما نال المرء فقد ناله المرء، كما يقال: " نالني خير فلان، ونلت خيره "، فيوجه الفعل مرة إلى الخير ومرة إلى نفسه.

وقد بينا معنى " الظلم " فيما مضى، فكرهنا إعادته. (45)

< 3-25 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ

قال أبو جعفر: أما قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة "، فإنه عطف ب " إذ " على قوله: " وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ . وَقَوْلُهُ: وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ، واذكروا " إذ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ "، " وإذ جعلنا البيت مثابة ".

و " البيت " الذي جعله الله مثابة للناس، هو البيت الحرام.

وأما " المثابة "، فإن أهل العربية مختلفون في معناها، والسبب الذي من أجله أثنيت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال بعض نحويي البصرة: ألحقت الهاء في " المثابة "، لما كثر من يثوب إليه، كما يقال: " سيارة " لمن يكثر ذلك، " ونسابة " .

وقال بعض نحويي الكوفة: بل " المثاب " و " المثابة " بمعنى واحد، نظيرة " المقام " و " المقامة " (46). و " المقام "، ذكر -على قوله- لأنه يريد به الموضوع الذي يقام فيه، وأثبت " المقامة "، لأنه أريد بها البقعة. وأنكر هؤلاء أن تكون " المثابة " كـ " السيارة، والنسابة "، وقالوا: إنما أدخلت الهاء في " السيارة والنسابة " تشبيها لها بـ " الداعية " .

و " المثابة " مفعلة " من " ثاب القوم إلى الموضوع "، إذا رجعوا إليه، فهم يثوبون إليه مثابا ومثابة وثوابا. (47)

< 3-26 >

فمعنى قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " : وإذ جعلنا البيت مرجعا للناس ومعادا، يأتونه كل عام ويرجعون إليه، فلا يقضون منه وطرا. ومن " المثاب "، قول ورقة بن نوفل في صفة الحرم:

مثاب لأفناء القبائل كلها

تخب إليه العملات الطلائح (48)

ومنه قيل: " ثاب إليه عقله "، إذا رجع إليه بعد عزوبه عنه.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1963- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا [أبو عاصم قال، حدثنا] عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: " وإذ جعلنا البيت مثابة < 3-27 > للناس " قال: لا يقضون منه وطرا. (49)

1964- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1965- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، يثوبون إليه، لا يقضون منه وطرا.

1966- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، أما المثابة، فهو الذي يثوبون إليه كل سنة، لا يدعه الإنسان إذا أتاه مرة أن يعود إليه.

1967- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي، قال حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، لا يقضون منه وطرا، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهلهم، ثم يعودون إليه.

1968- حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال، حدثني الوليد بن مسلم قال، قال أبو عمرو: حدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا.

1969- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، قال، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء في قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، يثوبون إليه من كل مكان، ولا يقضون منه وطرا.

1970- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء مثله.

1971- حدثني محمد بن عمار الأسدي قال، حدثنا سهل بن عامر قال، > 3- 28 < حدثنا مالك بن مغول، عن عطية في قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، لا يقضون منه وطرا (50).

1972- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن: قال، حدثنا سفيان، عن أبي الهذيل قال، سمعت سعيد بن جبیر يقول: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، يحجون ويثوبون.

1973- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا الثوري، عن أبي الهذيل، عن سعيد بن جبیر في قوله: " مثابة للناس " قال، يحجون، ثم يحجون، ولا يقضون منه وطرا. (51)

1974- حدثني المثنى قال، حدثنا ابن بكير قال، حدثنا مسعر، عن غالب، عن سعيد بن جبیر: " مثابة للناس " قال، يثوبون إليه. (52)

1975-- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا " قال، مجمعا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1976- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " مثابة للناس " قال، يثوبون إليه.

< 3-29 >

1977- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " مثابة للناس " قال، يثوبون إليه.

1978- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، يثوبون إليه من البلدان كلها وبأتونه.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَمَّا**

قال أبو جعفر: و " الأمن " مصدر من قول القائل: " أمن يأمن أمنا " .

وإنما سماه الله " أمنا "، لأنه كان في الجاهلية معازدا لمن استعاذ به، وكان الرجل منهم لو لقي به قاتل أبيه أو أخيه، لم يهجه ولم يعرض له حتى يخرج منه، وكان كما قال الله جل ثناؤه: **أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ . [سورة العنكبوت: 67]**

1979- حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وأمنا " قال، من أم إليه فهو آمن، كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له.

1980- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما " أمنا "، فمن دخله كان آمنا.

1981- حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله الله: " وأمنا " قال، تحريمه، لا يخاف فيه من دخله.

1982- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " وأمنا "، يقول: أمنا من العدو أن يحمل فيه السلاح، وقد كان في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يُسَبَّون.

< 3-30 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1983- حدثت عن المنجاب قال، أخبرنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: "وأما" قال، أما للناس.

1984- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله: "وأما" قال، تحريمه، لا يخاف فيه من دخله.

القول في تأويل قوله تعالى : وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى

قال أبو جعفر: اختلفت القراءة في قراءة ذلك:

فقرأه بعضهم: " واتخذوا من مقام إبراهيم صلى " بكسر " الخاء "، على وجه الأمر باتخاذ مصلى، وهي قراءة عامة المصريين الكوفة والبصرة، وقراءة عامة قرأة أهل مكة وبعض قرأة أهل المدينة. (53) وذهب إليه الذين قرأوه كذلك، من الخبر الذي:-

1985- حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا حدثنا هشيم قال، أخبرنا حميد، عن أنس بن مالك قال، قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، لو اتخذت المقام مصلى! فأنزل الله: " واتخذوا من مقام إبراهيم صلى ".

1986- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي -وحدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علي- جميعا، عن حميد، عن أنس، عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله.

< 3-31 >

1987- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، فذكر مثله. (54)

قالوا: وإنما أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية أمرا منه نبيه صلى الله عليه وسلم باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، فغير جائز قراءتها -وهي أمر- على وجه الخبر.

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " معطوف على قوله: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ادْكُرُوا نِعْمَتِيَ و " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ". فكان الأمر بهذه الآية، وبتخاذ المصلى من مقام إبراهيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

-على قول هذا القائل- لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،.... كما حدثنا [عن] الربيع بن أنس. (55) بما:-

1988- حدثت [به] عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه قال: من الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، فأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فهم يصلون خلف المقام. (56)

< 3-32 >

فتأويل قائل هذا القول: وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ، إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، وقال: اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

قال أبو جعفر: والخبر الذي ذكرناه عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل، يدل على خلاف الذي قاله هؤلاء، وأنه أمر من الله تعالى ذكره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين به وجميع الخلق المكلفين.

وقرأه بعض قرأة أهل المدينة والشام: (واتخذوا) بفتح " الخاء " على وجه الخبر.

ثم اختلف في الذي عطف عليه بقوله: " واتخذوا " إذ قرئ كذلك، على وجه الخبر،

فقال بعض نحويي البصرة: تأويله، إذا قرئ كذلك: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأُمَّةً ، [وإذ] اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى. (57)

وقال بعض نحويي الكوفة: بل ذلك معطوف على قوله: جَعَلْنَا ، فكان معنى الكلام على قوله: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس، واتخذوه مصلى (58) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والصواب من القول والقراءة في ذلك عندنا: " واتخذوا " > 3-
< 33 بكسر " الخاء "، على تأويل الأمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، للخبر
الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه أنفاً، وأن:

1989- عمرو بن علي حدثنا قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال، حدثنا جعفر بن
محمد قال، حدثني أبي، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأ: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ". (59)

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "،
وفي " مقام إبراهيم ". فقال بعضهم: " مقام إبراهيم "، هو الحج كله.

* ذكر من قال ذلك:

1990- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج،
عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: " مقام إبراهيم "، قال الحج كله مقام
إبراهيم.

1991- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن
أبي نجيح، عن مجاهد: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال، الحج كله.

1992- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن
عطاء، قال: الحج كله " مقام إبراهيم ".

وقال آخرون: " مقام إبراهيم " عرفة والمزدلفة والجمار.

* ذكر من قال ذلك:

1993- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن
ابن أبي نجيح، عن عطاء بن أبي رباح: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "
قال: لأنني قد جعلته إماماً، فمقامه عرفة والمزدلفة والجمار.

< 3-34 >

1994- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن
قتادة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم
مصلى " قال، مقامه: جمع وعرفة ومنى - لا أعلمه إلا وقد ذكر مكة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1995- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال، مقامه، عرفة.

1996- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا داود، عن الشعبي قال: نزلت عليه وهو واقف بعرفة، مقام إبراهيم: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ [سورة المائدة: 3]، الآية.

1997- حدثنا عمرو قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا داود، عن الشعبي مثله

وقال آخرون: " مقام إبراهيم "، الحرم.

* ذكر من قال ذلك:

1998- حدثت عن حماد بن زيد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال، الحرم كله " مقام إبراهيم ".

وقال آخرون: " مقام إبراهيم " الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناؤه، وضعف عن < 35-3 > رفع الحجارة.

* ذكر من قال ذلك:

1999- حدثنا سنان القزاز قال، حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي قال، حدثنا إبراهيم بن نافع قال، سمعت كثير بن كثير يحدث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جعل إبراهيم بينه، وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: " رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ". فلما ارتفع البنيان، وضعف الشيخ عن رفع الحجارة، قام على حجر، فهو " مقام إبراهيم " (60)

وقال آخرون: بل " مقام إبراهيم "، هو مقامه الذي هو في المسجد الحرام.

* ذكر من قال ذلك:

2000- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها. (61) ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابه، فما زالت هذه الأمم يمسحونه حتى اخلولق وانمحي. (62)

2001- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، فهم يصلون خلف المقام. (63)

2002- حدثني موسى (64) قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، وهو الصلاة عند مقامه في الحج.

و " المقام " هو الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل وضعت تحت قدم إبراهيم حين غسلت رأسه، فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكب، فغسلت شقه، ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر، فوضعت تحت الشق الآخر، فغسلته، فغابت رجله < 36-3 > أيضاً فيه، فجعلها الله من شعائره، فقال: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ".

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا، ما قاله القائلون: إن " مقام إبراهيم "، هو المقام المعروف بهذا الاسم، الذي هو في المسجد الحرام، لما روينا أنفاً عن عمر بن الخطاب، (65) ولما:-

2003- حدثنا يوسف بن سلمان قال، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، فجعل المقام بينه وبين البيت، فصلى ركعتين. (66)

فهذان الخبران يثبتان أن الله تعالى ذكره إنما عنى ب " مقام إبراهيم " الذي أمرنا الله باتخاذ مصلى - هو الذي وصفنا.

ولو لم يكن على صحة ما اخترنا في تأويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه < 37-3 > وسلم، لكان الواجب فيه من القول ما قلنا. وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف، دون باطنه المجهول، (67) حتى يأتي ما يدل على خلاف ذلك، مما يجب التسليم له. ولا شك أن المعروف في الناس ب " مقام إبراهيم " هو المصلى الذي قال الله تعالى ذكره: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

[قال أبو جعفر: وأما قوله تعالى: " مصلى "، فإن أهل التأويل مختلفون في معناه. (68) فقال بعضهم: هو المدعى.

* ذكر من قال ذلك:

2004- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال، مصلى إبراهيم مُدَّعَى.

وقال آخرون: معنى ذلك: اتخذوا مصلى تصلون عنده.

* ذكر من قال ذلك:

2005- حدثني بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال، أمروا أن يصلوا عنده.

2006- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: هو الصلاة عنده.

قال أبو جعفر: فكأن الذين قالوا: تأويل: " المصلى " ههنا، المُدَّعَى، وَجَّهوا " المصلى " إلى أنه " مُفَعَّلٌ "، من قول القائل: " صليت " بمعنى دعوت. (69).

< 3-38 > وقائلو هذه المقالة، هم الذين قالوا: إن مقام إبراهيم هو الحج كله.

فكان معناه في تأويل هذه الآية: واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار، وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها مَدَّاعِيَّ تدعوني عندها، وتأتمون بإبراهيم خليلي عليه السلام فيها، فإني قد جعلته لمن بعده -من أوليائي وأهل طاعتي- إماما يقتدون به وبآثاره، فاقتدوا به.

وأما تأويل القائلين القول الآخر، فإنه: اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده، عبادةً منكم، وتكرمةً مني لإبراهيم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهذا القول هو أولى بالصواب، لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَعَهْدًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي
قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وعهدنا "؛ وأمرنا، كما:-

2007- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج
قال: قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره.

2008- حدثني يونس قال، أخبرني ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وعهدنا إلى إبراهيم " قال، أمرناه.

فمعنى الآية: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين. " والتطهير " الذي أمرهما الله به في البيت، هو تطهيره من الأصنام، وعبادة الأوثان فيه، ومن الشرك بالله.

< 3-39 >

فإن قال قائل: وما معني قوله: " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين "؟ وهل كان أيام إبراهيم -قبل بناء البيت- بيت يطهر من الشرك وعبادة الأوثان في الحرم، فيجوز أن يكونا أمرا بتطهيره؟

قيل: لذلك وجهان من التأويل، قد قال بكل واحد من الوجهين جماعة من أهل التأويل. (70)

أحدهما: أن يكون معناه: وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن ابنيا بيتي مطهرا من الشرك والريب (71) كما قال تعالى ذكره: أَقَمْنَا سَكَنَ بُيُوتِهِ عَلَىٰ تَفْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ حَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَقَا حَرْفٍ هَارٍ، [سورة التوبة: 109]، فكذلك قوله: " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي "، أي ابنيا بيتي على طهر من الشرك بي والريب، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2009- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي"، يقول: ابنيا بيتي [للطائفين]. (72)

فهذا أحد وجهيه.

والوجه الآخر منهما: أن يكونا أمرا بأن يطهرا مكان البيت قبل بنيانه، والبيت بعد بنيانه، مما كان أهل الشرك بالله يجعلونه فيه -على عهد نوح ومن قبله- من الأوثان، ليكون ذلك سنة لمن بعدهما، إذ كان الله تعالى ذكره قد جعل إبراهيم إماما يقتدي به من بعده، كما:-

2010- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: > 3- 40 < " أن طهرا " قال، من الأصنام التي يعبدون، التي كان المشركون يعظمونها. (73)

2011- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن عبيد بن عمير: " أن طهرا بيتي للطائفين " قال، من الأوثان والرَّيب.

2012- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، مثله.

2013- حدثني أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: من الشرك.

2014- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا أبو إسرائيل، عن أبي حصين، عن مجاهد: " طهرا بيتي للطائفين " قال، من الأوثان.

2015- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " طهرا بيتي للطائفين " قال: من الشرك وعبادة الأوثان.

2016- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، بمثله - وزاد فيه: وقول الزور.

القول في تأويل قوله تعالى : لِلطَّائِفِينَ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى " الطائفين " في هذا الموضع. فقال بعضهم: هم الغرباء الذين يأتون البيت الحرام من عَرَبِيَّة. (74)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

< 3-41 >

2017- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا أبو حصين،
عن سعيد بن جبير في قوله: " للطائفين " قال، من أتاه من غربة.

وقال آخرون: بل " الطائفون " هم الذين يطوفون به، غرباء كانوا أو من أهله.

* ذكر من قال ذلك:

2018- حدثنا محمد بن العلاء قال، حدثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن
عطاء: " للطائفين " قال، إذا كان طائفاً بالبيت فهو من " الطائفين ".

وأولى التأويلين بالآية ما قاله عطاء. لأن " الطائف " هو الذي يطوف بالشيء
دون غيره. والطارئ من غربة لا يستحق اسم " طائف بالبيت "، إن لم يطف
به.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالْعَاكِفِينَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " والعاكفين "، والمقيمين به. " والعاكف
على الشيء "، هو المقيم عليه، كما قال نابغة بني ذبيان:

عكوفاً لدى أبياتهم يثمدونهم

رمى الله في تلك الأكف الكوانع (75)

< 3-42 >

وإنما قيل للمعتكف " معتكف "، من أجل مقامه في الموضع الذي حبس فيه
نفسه لله تعالى.

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله: " والعاكفين ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال بعضهم: عنى به الجالس في البيت الحرام بغير طواف ولا صلاة.

* ذكر من قال ذلك:

2019- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء قال: إذا كان طائفاً بالبيت فهو من الطائفين، وإذا كان جالساً فهو من العاكفين.

وقال بعضهم: "العاكفون"، هم المعتكفون المجاورون.

* ذكر من قال ذلك:

2020- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا شريك، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة: "طهراً بيتي للطائفين والعاكفين" قال، المجاورون.

وقال بعضهم: "العاكفون"، هم أهل البلد الحرام.

* ذكر من قال ذلك:

2021- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا < 43-3 > أبو حصين، عن سعيد بن جبير في قوله: "والعاكفين" قال: أهل البلد.

2022- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: "والعاكفين" قال: العاكفون: أهله.

وقال آخرون: "العاكفون"، هم المصلون.

* ذكر من قال ذلك:

2023- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس في قوله: "طهراً بيتي للطائفين والعاكفين" قال، العاكفون، المصلون.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وأولى هذه التأويلات بالصواب ما قاله عطاء، وهو أن " العاكف " في هذا الموضع، المقيم في البيت مجاوراً فيه بغير طواف ولا صلاة. لأن صفة " العكوف " ما وصفنا: من الإقامة بالمكان. والمقيم بالمكان قد يكون مقيماً به وهو جالس ومصل وطائف وقائم، وعلى غير ذلك من الأحوال. فلما كان تعالى ذكره قد ذكر - في قوله: " أن طهراً بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود " - المصلين والطائفين، علم بذلك أن الحال التي عنى الله تعالى ذكره من " العاكف "، غير حال المصلي والطائف، وأن التي عنى من أحواله، هو العكوف بالبيت، على سبيل الجوار فيه، وإن لم يكن مصلياً فيه ولا راکعاً ولا ساجداً.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " والركع "، جماعة القوم الراكعين فيه له، واحدهم " راعع ". وكذلك " السجود " هم جماعة القوم الساجدين فيه له، < 44-3 > واحدهم " ساجد " - كما يقال: " رجل قاعد ورجال قعود " و " رجل جالس ورجال جلوس "، فكذلك " رجل ساجد ورجال سجود ". (76)

وقيل: بل عنى " بالركع السجود "، المصلين.

* ذكر من قال ذلك:

2024- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء: " والركع السجود " قال، إذا كان يصلي فهو من " الركع السجود ".

2025- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " والركع السجود "، أهل الصلاة.

وقد بينا فيما مضى بيان معنى " الركوع " و " السجود "، فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا. (77)

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا"، واذكروا إذ قال إبراهيم: رب اجعل هذا البلد بلدا آمنا.

قال أبو جعفر: يعني بقوله: "آمنا": آمنا من الجبابة وغيرهم، أن يسلطوا > 45-3 < عليه، ومن عقوبة الله أن تناله، كما تنال سائر البلدان، من خسف، وائتفak، وغرق، (78) وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب سائر البلاد غيره، كما:

2026- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن الحرم حُرِّمَ بحِباله إلى العرش. وذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط. قال الله له: أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي. فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين، حتى إذا كان زمان الطوفان -حين أغرق الله قوم نوح- رفعه وطهره، ولم تصبه عقوبة أهل الأرض. فنتبع منه إبراهيم أثرا، فبناه على أساس قديم كان قبله.

فإن قال لنا قائل: أوما كان الحرم آمنا إلا بعد أن سأل إبراهيم ربه له الأمان؟

قيل له: لقد اختلف في ذلك. فقال بعضهم: لم يزل الحرم آمنا من عقوبة الله وعقوبة جبابة خلقه، منذ خلقت السموات والأرض. واعتلوا في ذلك بما:-

2027- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال، حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، قال سمعت أبا شريح الخزاعي يقول: لما افتتحت مكة قتلت خزاعة رجلا من هذيل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال: " يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، أو يعضد بها شجرا. ألا وإنها لا تحل لأحد بعدي، > 46-3 < ولم تحل لي إلا هذه الساعة، غضبا علي أهلها. ألا فهي قد رجعت على حالها بالأمس. ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فمن قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل بها! فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يُحلها لك". (79)

2028- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان - وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا حدثنا جرير - جميعا، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمكة حين افتتحتها: هذه حرم حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، ووضع

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هذين الأخشين، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، أُحِلَّت لي ساعة من نهار. (80)

< 3-47 >

قالوا: فمكة منذ خلقت حرم آمن من عقوبة الله وعقوبة الجابرة. قالوا: وقد أخبرت عن صحة ما قلنا من ذلك الرواية الثانية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرناها. قالوا: ولم يسأل إبراهيم ربه أن يؤمنه من عقوبته وعقوبة الجابرة، ولكنه سأله أن يؤمن أهله من الجدوب والقحوط، وأن يرزق ساكنه من الثمرات، كما أخبر ربه عنه أنه سأله بقوله " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ". قالوا: وإنما سأل ربه ذلك لأنه أسكن فيه ذريته، وهو غير ذي زرع ولا ضرع، فاستعاذ ربه من أن يهلكهم بها جوعا وعطشا، فسأله أن يؤمنهم مما حذر عليهم منه.

قالوا: وكيف يجوز أن يكون إبراهيم سأل ربه تحريم الحرم، وأن يؤمنه من عقوبته وعقوبة جابرة خلقه، وهو القائل - حين حله، ونزله بأهله وولده: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيْتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [سورة إبراهيم: 37]؟ قالوا: فلو كان إبراهيم هو الذي حرم الحرم أو سأل ربه < 3-48 > تحريمه لما قال: " عند بيتك المحرم " عند نزوله به، ولكنه حُرِّمَ قبله، وحُرِّمَ بعده.

وقال آخرون: كان الحرم حلالا قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد غيره، وإنما صار حراما بتحريم إبراهيم إياه، كما كانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالا قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها. قالوا: والدليل على ما قلنا من ذلك، ما:-

2029- حدثنا به ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه، وإنني حرمت المدينة ما بين لابتيها، عضاها وصيدها، ولا تقطع عضاها. (81)

2030- حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا [حدثنا ابن إدريس - وأخبرنا أبو كريب قال]، حدثنا عبد الرحيم الرازي، [قالا جميعا]: سمعنا أشعث، عن نافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن إبراهيم كان عبد الله وخليته، وإنني عبد الله ورسوله، وإن إبراهيم حرم مكة، وإنني حرمت المدينة ما بين لابتيها، عضاها وصيدها، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يقطع منها شجر إلا لعلف بعير. (82)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-49 >

2031- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا قتيبة بن سعيد قال، حدثنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن أبي بكر بن محمد، عن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن رافع بن خديج، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم المدينة ما بين لابتيها. (83)

< 3-50 >

وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعابها الكتاب.

قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره في كتابه أن إبراهيم قال: "رب اجعل هذا بلدا آمنا"، ولم يخبر عنه أنه سأل أن يجعله آمنا من بعض الأشياء دون بعض، فليس لأحد أن يدعي أن الذي سأله من ذلك، الأمان له من بعض الأشياء دون بعض، إلا بحجة يجب التسليم لها. قالوا: وأما خير أبي شريح وابن عباس، فخبران لا تثبت بهما حجة، لما في أسانيدهما من الأسباب التي لا يجب التسليم فيها من أجلها.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله تعالى ذكره جعل مكة حرما حين خلقها وأنشأها، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، "أنه حرمها يوم خلق السموات والأرض"، بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله، ولكن بمنعه من أرادها بسوء، وبدفعه عنها من الآفات والعقوبات، وعن ساكنيها، ما أحل بغيرها وغير ساكنيها من النقمات. فلم يزل ذلك أمرها حتى بوأها الله إبراهيم خليله، وأسكن بها أهله هاجر وولده إسماعيل. فسأل حينئذ إبراهيم ربه إيجاب فرض تحريمها على عباده على لسانه، ليكون ذلك سنة لمن بعده من خلقه، يستنون به فيها، إذ كان تعالى ذكره قد اتخذ خليله وأخبره أنه جاعله للناس إماما يقتدى به، فأجاب ربه إلى ما سأله، وألزم عباده حينئذ فرض تحريمه على لسانه،

فصارت مكة - بعد أن كانت ممنوعة بمنع الله إياها، بغير إيجاب الله فرض الامتناع منها على عباده، ومحرمة بدفع الله عنها، بغير تحريمه إياها على لسان أحد من رسله - (84) فرض تحريمها على خلقه على لسان خليله إبراهيم عليه السلام، وواجب على عباده الامتناع من استحلالها، واستحلال صيدها وعصاهها لها بإيجابه الامتناع من ذلك ببلاغ إبراهيم رسالة الله إليه بذلك إليهم.

< 3-51 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فلذلك أضيف تحريمها إلى إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله حرم مكة ". لأن فرض تحريمها الذي ألزم الله عباده على وجه العبادة له به - دون التحريم الذي لم يزل متعبدا لها به على وجه الكلاءة والحفظ لها قبل ذلك - (85) كان عن مسألة إبراهيم ربه إيجاب فرض ذلك على لسانه، [وهو الذي] لزم العباد فرضه دون غيره. (86)

فقد تبين إذا بما قلنا صحة معنى الخبرين - أعني خبر أبي شريح وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " وإن الله حرم مكة يوم خلق الشمس والقمر " - وخبر جابر وأبي هريرة ورافع بن خديج وغيرهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم إن إبراهيم حرم مكة "؛ وأن ليس أحدهما دافعا صحة معنى الآخر، كما ظنه بعض الجهال.

وغير جائز في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بعضها دافعا بعضا، إذا ثبت صحتها. وقد جاء الخبران اللذان روبا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجيئا ظاهرا مستفيضا يقطع عذر من بلغه.

وأما قول إبراهيم عليه السلام (87) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [سورة إبراهيم: 37] فإنه، إن يكن قاله قبل إيجاب الله فرض تحريمه على لسانه على خلقه، (88) فإنما عنى بذلك تحريم الله إياه الذي حرمه بحياطته إياه وكلاءته، (89) من غير تحريمه إياه على خلقه على وجه التعبد، لهم بذلك - وإن يكن قال ذلك بعد تحريم الله إياه على خلقه على وجه التعبد فلا مسألة لأحد علينا في ذلك.

< 3-52 >

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**

قال أبو جعفر: وهذه مسألة من إبراهيم ربه: أن يرزق مؤمني أهل مكة من الثمرات، دون كافرهم. وخص، بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين، لما أعلمه الله - عند مسألته إياه أن يجعل من ذريته أئمة يقتدى بهم - أن منهم الكافر الذي لا ينال عهده، والظالم الذي لا يدرك ولايته. فلما أن علم أن من ذريته الظالم والكافر، خص بمسألته ربه أن يرزق من الثمرات من سكان مكة، المؤمن منهم دون الكافر. وقال الله له: إنني قد أجبت دعائك، وسأرزق مع مؤمني أهل هذا البلد كافرهم، فأمتعه به قليلا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما " من " من قوله: " من آمن بالله واليوم الآخر "، فإنه نصبتُ على الترجمة والبيان عن " الأهل "، (90) كما قال تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ [سورة البقرة: 217]، بمعنى: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام، وكما قال تعالى ذكره: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا [سورة آل عمران: 97]: بمعنى: ولله حج البيت على من استطاع إليه سبيلاً.

وإنما سأل إبراهيم ربه ما سأل من ذلك، لأنه حل بواد غير ذي زرع ولا ماء ولا أهل، فسأل أن يرزق أهله ثمرا، وأن يجعل أفئدة الناس تهوي إليهم. فذكر أن إبراهيم لما سأل ذلك ربه، نقل الله الطائف من فلسطين.

2032- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق بن الحجاج قال، حدثنا هشام قال، قرأت على محمد بن مسلم أن إبراهيم لما دعا للحرم: " وارزق أهله من الثمرات "، نقل الله الطائف من فلسطين.

< 3-53 >

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في قائل هذا القول، وفي وجه قراءته. فقال بعضهم: قائل هذا القول ربنا تعالى ذكره، وتأويله علي قولهم: قال: ومن كفر فأمته قليلا برزقي من الثمرات في الدنيا، إلى أن يأتيه أجله. وقرأ قائل هذه المقالة ذلك: " فأمته قليلا "، بتشديد " التاء " ورفع " العين ".

* ذكر من قال ذلك:

2033- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع، قال، حدثني أبو العالية، عن أبي بن كعب في قوله: " ومن كفر فأمته قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار "، قال هو قول الرب تعالى ذكره.

2034- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، قال ابن إسحاق: لما قال إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وعدل الدعوة عن أبي الله أن يجعل له الولاية، = انقطاعاً إلى الله، (91) ومحبة وفراقاً لمن خالف أمره، وإن كانوا من ذريته، حين عرف أنه كائن منهم ظالم لا ينال عهده، بخبره عن ذلك حين أخبره (92) = فقال الله: ومن كفر - فإني أرزق البر والفاجر - فأمته قليلا. (93)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل قال ذلك إبراهيم خليل الرحمن، على وجه المسألة منه ربه أن < 54-3 > يرزق الكافر أيضا من الثمرات بالبلد الحرام، مثل الذي يرزق به المؤمن ويمتعه بذلك قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار - بتخفيف " التاء " وجزم " العين "، وفتح " الراء " من اضطره، وفصل " ثم اضطره " بغير قطع ألفها (94) - على وجه الدعاء من إبراهيم ربه لهم والمسألة.

* ذكر من قال ذلك:

2035- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع قال، قال أبو العالية: كان ابن عباس يقول: ذلك قول إبراهيم، يسأل ربه أن من كفر فأمته قليلا.

2036- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن ليث، عن مجاهد: " ومن كفر فأمته قليلا "، يقول: ومن كفر فأرزقه أيضا، ثم أضطره إلى عذاب النار. (95)

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا والتأويل، ما قاله أبي بن كعب وقراءته، لقيام الحجة بالنقل المستفيض دراية بتصويب ذلك، وشذوذ ما خالفه من القراءة. وغير جائز الاعتراض بمن كان جائزا عليه في نقله الخطأ والسهو، على من كان ذلك غير جائز عليه في نقله. وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: قال الله: يا إبراهيم، قد أجبت دعوتك، ورزقت مؤمني أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم، متاعا لهم إلى بلوغ آجالهم، ثم اضطر كفارهم بعد ذلك إلى النار.

وأما قوله: " فأمته قليلا " يعني: فأجعل ما أرزقه من ذلك في حياته < 55-3 > متاعا يتمتع به إلى وقت مماته. (96)

وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن الله تعالى ذكره إنما قال ذلك لإبراهيم، جوابا لمسأله ما سأل من رزق الثمرات لمؤمني أهل مكة. فكان معلوما بذلك أن الجواب إنما هو فيما سأله إبراهيم لا في غيره. وبالذي قلنا في ذلك قال مجاهد، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه. (97)

وقال بعضهم: تأويله: فأمته بالبقاء في الدنيا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال غيره: فأمّته قليلا في كفره ما أقام بمكة, حتى أبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فيقتله, إن أقام على كفره, أو يجليه عنها. وذلك وإن كان وجهها يحتمله الكلام, فإن دليل ظاهر الكلام على خلافه, لما وصفنا. (98)

القول في تأويل قوله تعالى : **ثُمَّ أَصْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ**

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بقوله: " ثم أضطره إلى عذاب النار "، ثم أرفعه إلى عذاب النار وأسوقه إليها, كما قال تعالى ذكره: **يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ تَارِ < 3-56 > جَهَنَّمَ دَعَاً** [سورة الطور: 13]. (99)

ومعنى " الاضطرار "، الإكراه. يقال: " اضطررت فلانا إلى هذا الأمر "، إذا ألجأته إليه وحملته عليه.

فذلك معنى قوله: " ثم أضطره إلى عذاب النار "، أرفعه إليها وأسوقه، سحبا وجرا على وجهه.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَيُنْسَ الْمَصِيرُ** (126)

قال أبو جعفر: قد دللنا على أن " ينس " أصله " ينس " من " البؤس " **سُكِّنَ** ثانيه، ونقلت حركة ثانيه إلى أوله, كما قيل **للكبد كبد**, وما أشبه ذلك. (100)

ومعنى الكلام: وساء المصيرُ عذابُ النار, بعد الذي كانوا فيه من متاع الدنيا الذي متعتهم فيها.

وأما " المصير "، فإنه " مَفْعِل " من قول القائل: " صرت مصيرا صالحا "، وهو الموضع الذي يصير إليه الكافر بالله من عذاب النار. (101)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

- (1) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 488 ، 489 .
- (2) رحم الله أبا جعفر ، فهو لا يدع الاحتجاج الصحيح عند كل آية ، ولكن بعض أهل التفسير يتجاوزون ويتساهلون ، فليتهم نهجوا نهجه في الضبط والحفظ والاستدلال .
- (3) ما بين القوسين زيادة لا بد منها .
- (4) الأثر : 1883 - في المطبوعة : "الحسن بن عمرو العبقرى" ، وانظر التعليق على الأثر رقم : 1625 وكذلك مضى في الأثر : 1655 "الحسن" ، وهو خطأ ، نصحه .
- (5) الأثر : 1892 - في المطبوعة : "أبو حميد" ، والصواب ما أثبت ، وهو محمد بن حميد ، وهو كثير ذكره فيما سلف .
- (6) الخبر: 1899 - أبو قتيبة: هو سلم بن قتيبة الشعيري - بفتح الشين المعجمة - الخراساني، وهو ثقة مأمون، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. مترجم في التهذيب، والكبير 2/2/160، وابن أبي حاتم 2/1/1226.
- الحسن بن أبي جعفر الجفري : حسن الحديث ، تكلموا فيه ، ورجحنا تحسين أحاديثه مفصلاً في شرح المسند : 5818 . مترجم في التهذيب ، والكبير 1/2/286 وابن أبي حاتم 1/2/29 . و"الجفري" : بضم الجيم وسكون الفاء ، نسبة إلى "جفرة خالد" بالبصرة . كما في الأنساب واللباب والمشتبه . أيوب : هو السخيتاني ، وفي المطبوعة "عن أبي أيوب" . وهو خطأ . استقينا تصويبه من التراجم . أبو الخليل : هو صالح بن أبي مريم الضبعي ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/290 وابن أبي حاتم 2/1/415 - 416 .
- (7) الخبر : 1901 - مبارك : هو ابن فضالة . وهو من أخص الناس بالحسن البصري . كما قلنا في : 611 .
- (8) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 411 .
- (9) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 411 .
- (10) انظر سيوبه 1 : 223 - 224 .
- (11) في المطبوعة "غير الرجل" .
- (12) الصواب أن يقول : "حق تلاوة الكتاب" ، ولعل الناسخ أخطأ .
- (13) انظر ما سلف في معنى "الخاسر" 1 : 417 ثم هذا الجزء 2 : 166 .
- (14) إن لم يكن قد سقط هنا قوله : "وأعظكم باتباع رسولي . . ." ، فإن قوله "باتباع رسولي" متعلق بقوله في صدر الخطاب : "اذكروا أيادي لديكم . . ."
- (15) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 23 - 26 .
- (16) في المطبوعة : "ولا هم ينصرهم" ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .
- (17) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 26 - 36 .
- (18) انظر ما سلف في الجزء 2 : 48 ، 49 .
- (19) السهم في الأصل واحد السهام التي يضرب بها في الميسر ، وهي القداح . ثم سمي ما يفوز به الفالغ سهما ، ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهما . وقوله هنا يدل على أنهم استعملوه في كل جزء من شيء يتجزأ وهو

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

جملة واحدة . فقوله : "سهما" هنا ، أي خصلة وشعبة . وسيأتي شاهدها في الأخبار الآتية .

(20) سيأتي بيانها في الأثر التالي .

(21) في المطبوعة : "الآيات" ، والصواب ما أثبت .

(22) الخبر 1909- عبد الله بن أحمد بن شيبويه : هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن ثابت بن مسعود بن يزيد ، أبو عبد الرحمن ، عرف بابن شيبويه ، وهو من أئمة الحديث ، كما قال الخطيب . مترجم في تاريخ بغداد 9 : 371 ، وله ترجمة موجزة في ابن أبي حاتم . ووقع في المطبوعة هنا "عبيد الله بن أحمد بن شبرمة" . وهو تحريف وخطأ . صححناه من التاريخ ، ومما سيأتي في التفسير .

علي بن الحسن بن شقيق بن دينار : ثقة ، من شيوخ أحمد ، والبخاري ، وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وفي شرح المسند : 7437 .

وهذا الخبر سيأتي بهذا الإسناد ، في التفسير : 27 : 43 (بولاق) . وكذلك رواه أبو جعفر بهذا الإسناد ، في التاريخ 1 : 144 .

وذكره ابن كثير 1 : 302 ، ونسبه أيضًا لابن أبي حاتم ، والحاكم . وذكره السيوطي 1 : 111-112 ، وزاد نسبه لابن أبي شيبه ، وابن مردويه ، وابن عساکر . وهذا الإسناد صحيح .
(23) الخبر : 1910- وهذا الإسناد صحيح أيضًا .

وهو في تفسير عبد الرزاق (مخطوطة دار الكتب المصورة) ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه أبو جعفر في التاريخ 1 : 144 ، من تفسير عبد الرزاق . بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الحاكم 2 : 266 ، من طريق ابن طاوس عن أبيه ، به . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي .

وذكره ابن كثير 1 : 301 . وكذلك ذكره السيوطي 1 : 111 وزاد نسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه .
(24) الخبر : 1913- مطر : هو ابن طهمان الوراق . وأبو الجلد : بفتح الجيم وسكون اللام ، سبق بيانه : 434 . وفي المطبوعة "أبو الخلد" بالخاء المعجمة بدل الجيم ، وهو تصحيف تكرر فيها كثيرا .

البراجم جمع برجمة (بضم الباء وسكون الراء وضم الجيم) : وهي ظهور القصب من مفاصل الأصابع .

(25) الخبر : 1914- ابن هبيرة : هو عبد الله بن هبيرة السبائي المصري ، وهو ثقة ، وثقه أحمد وغيره ، وخرج له مسلم في الصحيح . حنش ، بفتحيتين

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبالشين المعجمة : هو ابن عبد الله السبائي الصنعاني ، من صنعاء دمشق -وهي قرية بالغوطة من دمشق- وهو تابعي ثقة .

وهذا الخبر رواه أيضًا ابن أبي حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلى . عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، بهذا الإسناد - كما في ابن كثير 1 : 302 . وهو إسناد صحيح .

(26) يأتي بيان آيات النسك في الخبرين التاليين .

(27) في المطبوعة : "فذلك كلمة من الكلمات" ، والصواب من ابن كثير 1 : 303 .

(28) في المطبوعة : "محمد بن سعيد" ، وهو خطأ ، وهو إسناد دائر في الطبري ، وانظر رقم : 305 .

(29) الخبر : 1924- هذا الإسناد ضعيف من ناحيتين . أما سلم -بفتح السين وسكون اللام- ابن قتيبة أبو قتيبة : فإنه ثقة ، خرج له البخاري في صحيحه . وأما الضعف ، فلأن "عمر بن نيهان الغبري" بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة : ضعيف جدا ، ذمه الإمام أحمد ، وقال ابن معين : ليس بشيء . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3/1/138 . والوجه الآخر من الضعف : أنه منقطع ، لأن قتادة لم يدرك ابن عباس .

(30) الخبران : 1928 ، 1929- أبو إسحق : هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله الهمداني ، الإمام التابعي الثقة ، التميمي : هو "أريدة" بسكون الراء وكسر الباء الموحدة . ويقال "أريد" بدون هاء . وهو تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/64 ، وابن أبي حاتم 1/1/345 ، وقد عرف بأنني راوي التفسير عن ابن عباس . وفي المسند : 2405- في حديث آخر "عن أبي إسحاق ، عن التميمي الذي يحدث التفسير" . لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي .

(31) في المطبوعة : "وأتمهن" بالواو ، والأجود ما أثبت .

(32) الحديث : 1938- إسناده منهار لا تقوم له قائمة . وقد ضعفه الطبري نفسه ، هو والحديث الذي بعده . وقال ابن كثير 1 : 304- بعد إشارته إلى ذلك : "وهو كما قال ، فإنه لا يجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما ، وضعفهما من وجود عديدة ، فإن كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء ، مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه" .

رشدين بن سعد : ضعيف جدا ، وقد فصلنا القول فيه في شرح المسند : 5748 ، و"رشدين" : بكسر الراء وسكون الشين المعجمة وكسر الدال وبعد الياء نون ، ووقع في المطبوعة وفي ابن كثير "راشد" . وهو تصحيف .

زبان بن فائد المصري الحمراوي : ضعيف أيضًا . قال أحمد : "أحاديثه مناكير" ، وضعفه ابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/1/405 ، وابن أبي حاتم 1/2/616 . وقال ابن حبان في كتاب المجروحين (ص : 210 مخطوطة مصور عندي) : "منكر الحديث جدا ، يتفرد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعة" . و"زبان" : بالزاي المعجمة وتشديد الباء الموحدة . ووقع في المطبوعة "زبان" بالراء والتحتية ، وهو تصحيف .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

سهل بن معاذ بن أنس الجهني : ضعيف أيضًا ، ضعفه ابن معين . وقال ابن حبان في كتاب المجروحين (ص : 232) : "روى عنه زيان بن فائد ، منكر الحديث جدا . فلست أدري أوقع التخليط في حديثه منه أو من زيان بن فائد؟ فإن كان من أحدهما فالأخبار التي رواها أحدهما ساقطة" .

وهذا الحديث -على ما فيه من ضعف شديد- رواه أحمد في المسند : 15688 (ج 3 ص 439 حلي) . بل إنه روى هذه النسخة ، التي كاد ابن حبان أن يجزم بأنها موضوعة .

(33) الحديث : 1939- ضعفه أيضًا الطبري ووافق ابن كثير ، كما قلنا في الذي قبله . الحسن بن عطية بن نجيح الكوفي : ثقة ، روى عنه البخاري في الكبير 2/1/299 ، ولم يذكر فيه جرحا ، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة ، وقال أبو حاتم : "صدوق" . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/2/27 . وهو غير "الحسن بن عطية بن سعد العوفي ، السابق ترجمته في : 305 .

إسرائيل : هو ابن يونس بن إسحاق السبيعي ، وهو ثقة ، مضى في : 1291 .

جعفر بن الزبير الحنفي ، أو الباهلي ، الدمشقي ثم البصري : ضعيف جدا . مترجم في التهذيب ، وفي الكبير للبخاري 1/2/191 ، وفي الضعفاء له ، ص : 7 ، وقال : "متروك الحديث ، تركوه" ، وفي ابن أبي حاتم 1/1/479 . وقال ابن حبان في كتاب المجروحين (ص : 142) : "روى عن القاسم مولى معاوية وغيره ، أشياء كأنها موضوعة" . وقال أبو حاتم : "روى جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، نسخة موضوعة ، أكثر من مئة حديث" .

وأما القاسم : فهو ابن عبد الرحمن الشامي ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وقد اختلف فيه ، والراجح أنه ثقة ، وأن ما أنكر عليه إنما جاء من الرواة عنه الضعفاء . وقد بينا ذلك في شرح المسند : 598 ، وما علقنا به على تهذيب السنن للمنذري : 2376 .

والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور 6 : 129 ، ونسبه أيضًا لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وغيرهم ، وقال : "بسند ضعيف" .

(34) وقد نقل ابن كثير في تفسيره 1 : 304 هذه الفقرة من أول قوله "ولو قال قائل" ثم عقب عليه بقوله : "قلت : والذي قاله أولا : من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر ، أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله . لأن السياق يعطى غير ما قالوه ، والله أعلم" . لم يأت ابن كثير بشيء ، فإن قول الطبري بين ، وهو قاض بأن الصواب هو القول الأول ، وأن هذا الثاني لو قيل كان مذهبيا . وهذه كلمة تضعيف لا كلمة تقوية .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(35) في المطبوعة : "يعني : وفى بما عهد إليه بالكتاب فأمره به من فرائضه ومحنه فيها" ، وهي عبارة مضطربة لا تستقيم ، وكان الصواب ما أثبتته .

(36) في المطبوعة : "فتقدمهم أنت" ، ليست بشيء .

(37) قوله : "لكان مينا" ، أي لجا ما سأل إبراهيم ربه مينا في الآية .

(38) في المطبوعة : "لما توهم" ، وهي خطأ ، والصواب ما أثبتته ، بالبناء للمجهول .

(39) الخبر : 1951- مشرف بن أبان أبو ثابت الحطاب ، شيخ الطبري : ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد 13 : 224 ، وذكر أنه يروي عن ابن عينة ، وغيره . مات ببغداد سنة 243 . ولم أجد له ترجمة ولا ذكرا غير ذلك ، و"مشرف" : بوزن "محمد" ، كما نص على أنه الجادة في المشتبه للذهبي ، ص : 484 ، والتبصير للحافظ ابن حجر (مخطوط مصور) .

ووقع في المطبوعة "مسروق" ، وهو خطأ بين ، وقد مضى في : 1383 باسم "بشر بن أبان الحطاب" . وهو خطأ أيضًا . ثم هو سيأتي على الصواب : "مشرف" - في : 2382 .

وأما "الحطاب" ، فهكذا هو الثابت هنا بالحاء المهملة ، وفي تاريخ

بغداد "الحطاب" بالمعجمة . ولم أستطع الترجيح بينهما .

(40) في المطبوعة : "وعادوهم" ، والصواب من الدر المنثور 1 : 118 ، وقوله : "غازوهم" أي كانوا معهم في الغزو وشاركوهم في الغنائم .

(41) الأثر : 1961- يحيى بن جعفر ، هو يحيى بن أبي طالب ، وانظر الأثر رقم : 284 .

(42) سياق هذه الجملة المعترضة : " . . لا ينال من ولد إبراهيم عهد الله . . . من كان منهم ظالما . . . " .

(43) وسياق هذه الجملة التي اعترضتها الجملة الطويلة السالفة : "وإن كان ظاهره ظاهر خبر . . فهو إعلام من الله . . . " ، وهكذا دأب أبي جعفر رضي الله عنه .

(44) الأثر : 1962- في المطبوعة "عتاب بن بشر" ، وهو خطأ . هو عتاب بن بشير الجزري أبو الحسن ويقال أبو سهل الحراني (تهذيب التهذيب) والتاريخ الكبير للبخاري 4/1/56 .

(45) انظر ما سلف 1 : 523-524 .

(46) في المطبوعة : "نظيره" والأرجح ما أثبت .

(47) لم تذكر هذه المصادر في كتب اللغة ، "المثاب" ، والمثابة" مصدران

ميميان قياسيان ، فأغفالهما في كتب اللغة غير غريب ، وأما قوله "وثوابا" ،

فهذا إن صح عن الطبري ، فهو جائز في العربية أيضًا ، ولكنهم نصوا على

أن مصدر "ثاب" هو "ثوبانا ، وثوبا ، وثؤوبا" فأخشى أن تكون محرفة عن إحداها . وأما "الثواب" في المعروف من كتب العربية الاسم من "أثابه يثيبه إثابة" ، وهو

الثواب" ، وهو المجازاة على الصنيع .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(48) من أبيات طويلة لورقة بن نوفل في البداية والنهاية لابن كثير 2 :
297 ، والبيت في تفسير أبي حيان 1 : 380 ، بهذه الرواية ، وقبل البيت في
ذكر أبينا إبراهيم عليه السلام :

فمتبع دين الذي أسس البنا

وكان له فضل على الناس راجح

وأسس بنيانا بمكة ثابتا

تلاً في الظلام المصباح

مثابا لأفناء

.....

بنصب "مثابا" بيد أن الشافعي روى هذا البيت في الأم 2 : 120 لورقة بن
نوفل ، وعجزه .

تخب إليه اليعملات الذوامل

وكذلك جاء في القرطبي 2 : 100 ، وعدها أبو حيان رواية في البيت ، وبهذه
الرواية ذكره صاحب اللسان في (ثوب) منسوباً لأبي طالب ، وفي (ذمل) غير
منسوب . والظاهر أن الشافعي رحمه الله أخطأ في رواية البيت . وأخطأ
صاحب اللسان في نسبته ، اشتبه عليه بشعر أبي طالب في قصيدته
المشهورة .

وأفناء القبائل : أخلطهم ونزاعهم من هاهنا وهاهنا . وخبث الدابة تخب خبياً :
وهو ضرب سريع من العدو . واليعملات جمع يعملة وهي الناقة السريعة
المطبوعة على العمل ، اشتق اسمها من العمل ، والعمل الإسراع والعجلة .
والطلائع جمع طليح . ناقة طليح أسفار : جهدها السير وهزلها ، فهي ضامرة
هزلاً . يعني الإبل أنصاها أصحابها في إسراعهم إلى حج البيت . وأما "الذوامل"
في الرواية الأخرى ، فهو جمع ذاملة . ناقة ذمول وذاملة : وهي التي تسير
سيراً لينا سريعاً .

(49) الأثر : 1963- ما بين القوسين ساقط من الأصول . وهذا إسناد دائر ،
أقربه إلينا رقم : 1946 ، فأتممته على الصواب .

(50) الخبر : 1971- شيخ الطبري "محمد بن عمارة الأسدي" ، كما مضى في :
645 ، 1511 ، وكما ذكرنا أنه يروى عنه في التاريخ كثيراً . وفي
المطبوعة "محمد بن عمار" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

سهل بن عامر : هو البجلي ، وهو ضعيف جدا ، ترجمه للبخاري في الصغير ، ص : 234 ، وقال : "منكر الحديث ، لا يكتب حديثه" . وترجمه ابن أبي حاتم 2/1/202 وروى عن أبيه قال : "هو ضعيف الحديث ، روى أحاديث بواطيل! أدركته بالكوفة ، وكان يفتعل الحديث" . وترجم في لسان الميزان 3 : 119-120 ، ووقع اسم أبيه في التاريخ الصغير "عمار" ، وهو خطأ ناسخ أو طابع . (51) الخبران : 1972-1973- أبو الهذيل : هو غالب بن الهذيل الأودي ، يروي عن أنس ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 4/1/99 ، وابن أبي حاتم 3/2/47 . وسيأتي باسمه في الخبر بعدهما .

(52) الخبر : 1974- غالب : هو أبو الهذيل في الخبرين قبله . مسعر ، بكسر الميم وسكون السين وفتح العين : هو ابن كدام -بكسر الكاف وتخفيف الدال- وهو أحد الأعلام . الثقات .

(53) كان في المطبوعة : "قراء" في هذه المواضع ، فرددتها إلى ما جرى عليه الطبري في الأجزاء السالفة .

(54) الأحاديث : 1985-1987 ، هي حديث واحد بأربعة أسانيد صحاح . وهو مختصر من حديث مطول ، رواه أحمد في المسند : 157 ، 160 ، 250 ، عن هشيم ، وعن ابن أبي عدي ، وعن يحيى - ثلاثتهم ، عن حميد ، عن أنس . ورواه البخاري أيضًا ، عن مسدد ، عن يحيى . كما ذكره ابن كثير 1 : 309-310 ، من رواية البخاري وأحمد ، ثم ذكر أنه رواه أيضًا الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : "حسن صحيح" .

(55) كان في المطبوعة : "كما حدثنا الربيع بن أنس" ، وهو خطأ ، فزدت "عن" بين القوسين ، فبين أبي جعفر الطبري والربيع بن أنس دهر طويل . وانظر التعليق التالي .

(56) الأثر : 1988- هو جزء من الأثر السالف رقم : 1922 وهو "عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس" ، فزدت ما بين الأقواس ، ليستقيم الكلام . وسيأتي أيضًا برقم : 2001 ولكنني وضعت هذه النقطة في الموضوع السالف ، لأنني أخشى أن يكون في الكلام سقط . وذلك أنه بدأ فقال : إن الأمر بهذه الآية على قول هذا البصري - لليهود من بني إسرائيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عقب عليه بقوله : "فأمرهم أن يتخذوا مقام إبراهيم مصلى ، فهم يصلون خلف المقام" . ولست أعلم أن اليهود الذي كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون في البيت الحرام خلف المقام ، فلذلك وضعت هذه النقطة ، لأنني أرجح أنه قد سقط من كلام الطبري في هذا الموضوع ما يستقيم به هذا الكلام . ولم أجد في الكتب التي تنقل عن تفسير الطبري ما يهدي إلى صواب هذه العبارة .

والذي استظهره أن يكون سقط من هذا الموضوع ، توجيه الأمر في هذه الآية إلى إبراهيم وذريته من ولد إسماعيل ، فيكون الضمير في قوله : "فأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، فهم يصلون خلف المقام" إلى ذرية إبراهيم من ولد إسماعيل ، وهم العرب من أهل دين إسماعيل ، وبقياتهم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

من أهل الجاهلية ، الذين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليقمهم على الحنيفة ملة إبراهيم ، وهي الإسلام .

(57) الزيادة التي بين القوسين ، لا بد منها ، وإلا لم يكن بين هذا القول والذي يليه فرق . ويعني البصري في هذا التأويل أن العطف على جملة "إذ جعلنا" ، فتكون "إذ" مضمرة في قوله تعالى : "واتخذوا" .

(58) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 77 وهو تأويله .

(59) الحديث : 1989- عمرو بن علي : هو الفلاس ، من كبار الحفاظ الثقات ، روى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم . وشيخه يحيى بن سعيد : هو القطان الإمام .

والحديث جزء من حديث جابر -الطويل- في الحج كما سنذكر في : 2003 ، إن شاء الله .

(60) الحديث : 1999- هو قطعة من الحديث الآتي : 2056 . وسخرجه هناك ، إن شاء الله . وشيخ الطبري هنا "ابن سنان القزاز" : هو "محمد بن سنان" ، مضت ترجمته في : 157 . وفي المطبوعة "سنان" بحذف "ابن" ، وهو خطأ .

(61) في المطبوعة : "مما تكلفته" ، والصواب من تفسير ابن كثير 1 : 311 .

(62) في المطبوعة : "أصابعه فيها" ، والصواب من تفسير ابن كثير . خلق الشيء وأخلق وأخلوق : بلى .

(63) الأثر : 2001- هو الأثر السالف : 1988 ، وانظر التعليق عليه .

(64) كان في المطبوعة "حدثني يونس" ، وهو خطأ محض بل هو إسناده الدائر في التفسير - إلى السدي ، وأقره رقم : 1980 .

(65) انظر ما سلف رقم : 1985-1987 .

(66) الحديث : 2003- يوسف بن سلمان ، شيخ الطبري : هو أبو عمر الباهلي البصري ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 4/2/223-224 . وفي المطبوعة "سليمان" بدل "سلمان" ، وهو خطأ .

حاتم بن إسماعيل المدني : ثقة مأمون كثير الحديث ، أخرج له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2/1/72 ، وابن أبي حاتم 1/2/258-259 ، وابن سعد 5 : 314 .

جعفر بن محمد : هو جعفر الصادق ، بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وهو ثقة صادق مأمون ، من سادات أهل البيت فقها وعلماء وفضلاً . وإنما يكذب عليه الشيعة الروافض . أما رواية الثقات عنه فصحيحة .

وهذا الحديث قطعة من حديث جابر -الطويل- في صفة حجة الوداع . وقد مضت قطعة منه : 1989 ، من رواية يحيى بن سعيد القطان ، عن جعفر الصادق .

وستأتي قطعة منه ، بهذا الإسناد : 2365 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والحديث بطوله -رواه الإمام أحمد في المسند : 14492 (ج 3 ص 320-321 حلي) عن يحيى القطان ، عن جعفر .

ورواه مسلم في صحيحه 1 : 346-347 ، عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه -كلاهما عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر الصادق ، به .
(67) انظر تفسير"الظاهر والباطن" فيما سلف 2 : 15 ، واطلبه في الفهارس .
(68) الزيادة بين القوسين لا بد منها .
(69) انظر ما سلف 1 : 242-243 .
(70) في المطبوعة : "قد كان لكل واحد من الوجهين" ، وهو كلام هالك .
(71) الريب هنا : الشر والخوف من قولهم : رابني أمره ، أي أدخل علي شرا وخوفا ، وكان ذلك مردود إلى قوله تعالى : "مثابة للناس وأمنا" .
(72) هذه الزيادة ، من تفسير ابن كثير 1 : 315 .
(73) قال ابن كثير في تفسيره 1 : 314-315 ، بعد أن ساق هذا الوجه ، وهذا الأثر : "قلت : وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام ، ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم" .
(74) الغربية والغرب (بفتح فسكون) : النوى والبعد . يعني من أتاه من مكان بعيد .

(75) ديوانه : 63 من أبيات قالها لزرعة بن عامر العامري . حين بعثت بنو عامر إلى حصن بن حذيفة وابنه عيينة بن حصن : أن اقطعوا حلف ما بينكم وبين بني أسد ، وألحقوهم ببني كنانة ، ونحالفكم ونحن بنو أبيكم . وكان عيينة هم بذلك ، فقالت بنو ذبيان : أخرجوا من فيكم من الحلفاء ، ونخرج من فينا! فأبوا ، فقال النابغة :

ليهن بني ذبيان أن بلادهم

خلت لهم من كل مولى وتابع

سوى أسد، يحمونها كل شارق

بألفي كمي، ذي سلاح، ودارع

ثم مدح بني أسد ، وذم بني عبس ، وتنقص بني سهم ومالك من غطفان وعبد بن سعد بن ذبيان ، وهجاهم بهذا البيت الذي استشهد به الطبري ، ورواية الديوان "قعودا" ، و"يثمدونها" ، والضمير للأبيات .

وقوله : "يثمدونهم" أصله من قولهم : "ثم الماء يثمده ثمدا" ، نبث عنه التراب ليخرج . وماء مثمود : كثر عليه الناس حتى فني ونفذ إلا أقله . وأخذوا منه : "رجل مثمود" ، إذا ألح الناس عليه في السؤال ، فأعطى حتى نفذ ما عنده . يقول : يظل بنو سعد ومالك لدى أبيات عبد بن سعد يستنزفون

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أموالهم . يصفهم بالخسة وسقوط الهمة . ومن روى : "يتمدونها" وأعاد الضمير إلى "آياتهم" ، فهو مثله ، في أنهم يلزمون بيوتهم ويستترزقونها ، يهزأ بهم .

والكوانع جمع كانع : وهو الخاضع الذي تدانى وتصاغر وتقارب بعضه من بعض ، كأنه يتقبض من ذلته . يصفهم بالخسة والطمع والسؤال الدليل . وقوله : "رمى الله" يعني أصابها بما يستأصلها ، ورواية الديوان : "في تلك الأنوف" ، فمعناه : رمى فيها بالجدع ، وهو دعاء عليهم ، واشتمزاز من حقارتهم . (76) مما استظهرته من أمر هذا الجمع ، جمع فاعل على فعول : أن كل فعل ثلاثي جاء مصدره على "فعل" بضم الفاء ، فجمع "فاعل" منه على "فعل" ، كهذه الأمثلة التي ذكرت هنا ، وكل ما سواها مما قيده كتب اللغة ، ومما هو منشور في الشعر .

(77) انظر ما سلف 1 : 574-575 ، ثم 2 : 103-105 ، 519 .

(78) في المطبوعة : "وانتقال" مكان "وائتفاك" ، وذاك لفظ بلا معنى هنا وبلا دلالة . والائتفاك الانقلاب ، وهو عذاب الله الشديد الذي أنزله بقوم لوط ، فقال سبحانه في سورة هود : "فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها" ، وهذا هو الائتفاك ، ائتفكت بهم الأرض : أي انقلبت فصار عاليها سافلها ، فسمى الله هذه القرى ، قرى لوط "المؤتفكات" في سورة التوبة : 70 ، وفي سورة الحاقة : 9 ، وقال في سورة النجم : 52-53 "والمؤتفكة أهوى فغشاهما ما غشى"

(79) الحديث : 2027- هذا مختصر من حديث صحيح مطول :

فرواه أحمد في المسند : 16448 (ج 4 ص 32 حلي) ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، بهذا الإسناد .

ورواية ابن إسحاق ثابتة أيضًا -مطولة- في سيرة ابن هشام 4 : 57-58 (حلي) ، و 823-824 أوربة ، 2 : 277-278 (من الروض الأنف) .

ورواه أيضًا ، بنحوه ، أحمد : 16444 (ج 4 ص 31) ، والبخاري 1 : 176-177 ، و 4 : 35-39 (فتح) ، ومسلم 1 : 383-384 كلهم من طريق الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شريح .

وقوله في الحديث : "أو يعضد بها شجرا" ، أي يقطعه ، يقال "عضد الشجر" ، من باب "ضرب" قطعه .

وقوله : "غضبا على أهلها" : هذا هو الصحيح الثابت في رواية ابن إسحاق ، في المسند ، وسيرة ابن هشام ، وفي المطبوعة : "عصى على أهلها" . وهو تصحيف .

(80) الحديث : 2028- هذا الحديث رواه الطبري بإسنادين ، عن ثلاثة شيوخ : فرواه عن أبي كريب محمد بن العلاء ، عن عبد الرحيم بن سليمان الرازي . ثم رواه عن ابن حميد - وهو محمد بن حميد الرازي ، وعن ابن وكيع - وهو سفيان بن وكيع ، كلاهما : أعني ابن حميد وابن وكيع ، عن جرير بن عبد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الحميد الضبي . ثم يجتمع الإسنادان : فيرويه عبد الرحيم بن سليمان وجريير بن عبد الحميد"جميعا عن يزيد بن أبي زياد" .

وهذه الأسانيد ظاهرها الصحة ، وإن كان سفيان بن وكيع ضعيفا ، كما بينا في : 1692- فإن الطبري لم يفرده بالرواية عنه ، بل قرن به محمد الرازي ، وهو ثقة - إلا أن في الحديث انقطاعا ، بين مجاهد وابن عباس . وقد سمع مجاهد من ابن عباس حديثا كثيرا ، ولكن هذا الحديث بعينه رواه" عن طاوس عن ابن عباس" .

"يزيد بن أبي زياد الكوفي مولى بني هاشم" : صدوق ، في حفظه شيء بعد ما كبر ، قال ابن سعد 6 : 237"كان ثقة في نفسه ، إلا أنه اختلط في آخر عمره ، فجاء بالعجائب" . وقال يعقوب بن سفيان : "يزيد - وإن كانوا يتكلمون فيه لتغييره- فهو على العدالة والثقة ، وإن لم يكن مثل الحكم ومنصور" . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/334 ، وابن أبي حاتم 4/2/265 . فلعله وهم في حذف"طاوس" بين مجاهد وابن عباس .

والحديث في ذاته صحيح .

فرواه أحمد بنحوه مطولا : 2353 ، 2898 ، من طريق منصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس .

وكذلك رواه البخاري 4 : 40-42 ، ومسلم 1 : 383 ، من طريق منصور .

ومنصور بن المعتمر : سبق توثيقه 177 . وهو أثبت حفظا من مئة مثل يزيد بن أبي زياد . بل قال يحيى القطان : "ما أحد أثبت عن مجاهد وإبراهيم - من منصور" . وقدمه الأئمة -في الحفظ- على الأعمش والحكم .

بل إن هذا الحديث نفسه : ذكر الحافظ في الفتح أنه رواه الأعمش عن مجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم - مرسلا ، يعني بحذف طاوس وابن عباس ، ثم قال : "ومنصور ثقة حافظ ، فالحكم لوصله" . أي أن هذه الزيادة زيادة ثقة ، يجب قبولها والحكم لها بالترجيح .

وقوله في هذه الرواية : "ووضع هذين الأخشين" . هذه الزيادة لم أجدها في شيء من الروايات الأخر . و"الأخشيان" ، بلفظ التثنية : هما جبلا مكة المطيفان بها . انظر النهاية لابن الأثير ، ومعجم البلدان لياقوت . (81) الحديث : 2029- إسناده صحيح . عبد الرحمن بن مهدي : هو الإمام الحافظ العلم . سفيان : هو الثوري .

أبو الزبير : هو المكي ، محمد بن مسلم بن تدرس ، تابعي ثقة . أخرج له الجماعة . جابر : هو ابن عبد الله ، الصحابي المشهور .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والحديث رواه مسلم 1 : 385 ، بنحوه ، من طريق محمد بن عبد الله الأسدي ، عن سفيان ، بهذا الإسناد . بلفظ "إن إبراهيم حرم مكة" إلخ .

ونقله ابن كثير 1 : 316 ، وقال : "وهكذا رواه النسائي ، عن محمد بن بشار بن دار ، به" . و"بندار" : لقب محمد بن بشار .

اللابتان : هما الحرتان بجاني المدينة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها .

العضاه ، بكسر العين وتخفيف الصاد المعجمة وآخره هاء : كل شجر عظيم له شوك .

(82) الحديث : 2030- أبو السائب : هو مسلم بن جنادة ، مضت ترجمته : 48 . ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودي . سبقت ترجمته في : 438 .

عبد الرحيم الرازي : هو عبد الرحيم بن سليمان الرازي الأشل الكناني - الذي مضت له رواية في الحديث 2028- وهو ثقة كثير الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 2/2/239 .

أشعث : هو ابن سوار الكندي ، ضعفه بعضهم ، ووثقه آخرون . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند : 661 . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/430 ، وابن أبي حاتم 1/1/271-272 .

نافع : هو مولى ابن عمر ، الثقة الثبت الحجة .

وقد كان هذا الإسناد : مغلوطا في المطبوعة هكذا : "حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا حدثنا عبد الرحيم الرازي : سمعت أشعث . . . " نقص منه "ابن إدريس" . فكان ظاهره أن أبا كريب وأبا السائب رواه عن عبد الرحيم الرازي عن أشعث . والصواب ما أثبتناه ، نقلا عن ابن كثير 1 : 316 ، عن هذا الموضع من الطبري .

فصحة الإسناد : أنه يرويه الطبري عن أبي كريب وأبي السائب . كلاهما عن عبد الله بن إدريس ، ثم يرويه الطبري عن أبي كريب وحده ، عن عبد الرحيم الرازي - وأن عبد الله بن إدريس وعبد الرحيم الرازي سمعاه جميعا من أشعث .

وهذا الحديث من هذا الوجه ، قال فيه ابن كثير : "وهذه الطريق غريبة ، ليست في شيء من الكتب الستة" . وأزيد عليه : أني لم أجدتها في المسند أيضًا ، ولا في غيره مما استطعت الرجوع إليه من المراجع .

ثم أشار ابن كثير إلى أن أصل معناه ثابت عن أبي هريرة ، من وجه آخر ، في صحيح مسلم . وهو حديث مالك في الموطأ ، ص : 885 ، عن سهيل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عن أبيه عن أبي هريرة : "كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مدنا . اللهم إن إبراهيم عبدك وخليك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة ، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ، ومثله معه" . وهو في صحيح مسلم 1 : 387 ، عن قتبية ، عن مالك .

(83) الحديث : 2031- بكر من مضر بن محمد بن حكيم المصري : ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/95 ، وابن أبي حاتم 1/1/392-393 ، وتذكرة الحفاظ ، وقال : "الإمام المحدث الصادق العابد" .

ابن الهاد : هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي المدني . وهو ثقة كثير الحديث ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/344 ، وابن أبي حاتم 4/2/275 . أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري : تابعي ثقة حجة ، لا يسأل عن مثله .

عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : تابعي ثقة ، وكان شريفا جوادا ممدحا . جده لأمه : عبد الله بن عمر بن الخطاب .

والحديث رواه مسلم في صحيحه 1 : 385 ، عن قتبية بن سعيد ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير 1 : 316 ، وقال : "انفرد بإخراجه مسلم" . يعني دون البخاري .

(84) سياق هذه الجملة المعترضة : "بعد أن كانت ممنوعة . . . ، ومحرمة . . . " ، وسياق الجملة التي دخلها الاعتراض : "فصارت مكة . . . فرض تحريمها . . . وواجب على عباده . . . " .

(85) كلاًه الله يكلؤه كلاء (يفتح فسكون) وكلاً (بكسر فسكون) وكلاءة (بكسر الكاف) : حرسه وحفظه . وكان في المطبوعة "الكلاء" بهمزة مفردة مع المد ، وليس صوابا . هذا ، وسياق العبارة : "لأن فرض تحريمها . . . كان عن مسألة إبراهيم ربه" .

(86) ما بين القوسين زيادة لا بد منها حتى يستقيم الكلام .

(87) في الأصول : "وقول إبراهيم" ، والصواب زيادة "أما" كما يدل عليه السياق .

(88) وفيها : "إن يكن قال قبل إيجاب الله" . والصواب ما أثبت .

(89) وفيها : "وكلائه" ، والصواب ما أثبت ، وانظر التعليق السالف رقم : 1 .

(90) الترجمة : هي عطف البيان أو البدل عند الكوفيين ، كما سلف 2 : 340 ، 420 .

(91) يعني أن إبراهيم قال ذلك ، وصرف الدعوة : "انقطاعا إلى الله . . . " .

(92) في المطبوعة : "أنه كان منهم ظالم . . . " والصواب ما أثبت من تفسير ابن كثير . قوله : "بخبره عن ذلك . . . " سياقه ، أنه : عدل الدعوة عن أبي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- .. بخبر الله عن ذلك حين أخبره . وفي المطبوعة : "فقال الله .. " ، والفاء مفسدة للسياق ، فإنه : "لما قال إبراهيم .. وعدل الدعوة .. قال الله .. " . (93) الأثر : 2034- في تفسير ابن كثير 1 : 319 ، وفيه اختلاف في بعض اللفظ ، ولم أجده في سيرة ابن هشام .
- (94) هذا رسم القراءة {فأتمعه قليلا ثم اضطره} ، على أنهما فعلا أمر ، يراد بهما الدعاء والسؤال .
- (95) الأثر : 2036- كان ينبغي أن يقدم هذا الأثر على ذكر هذه القراءة التي سوف يردّها الطبري . وبين من نقل ابن كثير عن الطبري أن موقعه قبل الأثر رقم : 2034 ، وسيأتي في كلام الطبري بعد قليل ما يقطع بأن هذا الخبر عن مجاهد ، بمعزل عن هذه القراءة . فأخشى أن يكون الناسخ قد أسقط الخبر عند النسخ ، ثم عاد فوضعه هنا حين انتبه إلى أنه قد أسقطه . وكادت أرده إلى مكانه ، ولكنني أثرت تركه على حاله مع التنبيه على الخطأ ، وفصلته عن الذي قبله بالنجوم الفاصلة .
- (96) انظر تفسير "المتاع" فيما سلف 1 : 541-539 .
- (97) انظر الأثر : رقم : 2036 ، والتعليق عليه .
- (98) ما أحسن ما قال أبو جعفر فإن أكثر الكلام ، يحتمل وجوها ، ولكن سياق المعاني وترباطها يوجب معنى واحدا مما يحتمله الكلام . وهذا ما يعنيه بقوله : "دليل ظاهر الكلام" . وانظر تفسير "الظاهر" فيما سلف 2 : 15 والمراجع قبله وبعده .
- (99) قال أبو جعفر في تفسير هذه الآية (27 : 13-14 ، بولاق) : "يدفعون بإرهاق وإزعاج . يقال منه . دععت في قفاه : إذا دفعت فيه" .
- (100) انظر ما سلف 2 : 340-338 .
- (101) يريد الطبري أنه المنزل الذي ينتهي إليه ، من قولهم : "أين مصيركم؟" ، أي منزلكم . والمصير : العاقبة وما يصير إليه الشيء .

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ**

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه: (**وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**) ، وليست اليهود ، يا محمد ، ولا النصارى براضية عنك أبدا ، فدع طلب ما يرضيهم وبوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية < 2-563 > في شخص واحد في حال واحدة ، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك ، إلا أن تكون يهوديا نصرانيا ، وذلك مما لا يكون منك أبدا ، لأنك شخص واحد ، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة. وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل ، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل ، فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق إلى الألفة عليه سبيل .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما " الملة " فإنها الدين ، وجمعها الملل.

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد - لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى - (إن هدى الله هو الهدى) ، يعني إن بيان الله هو البيان المقنع، والقضاء الفاصل بيننا ، فهلموا إلى كتاب الله وبيانه- الذي بين فيه لعباده ما اختلفوا فيه ، وهو التوراة التي تقررون جميعا بأنها من عند الله ، يتضح لكم فيها المحق منا من المبطل ، وأينا أهل الجنة ، وأينا أهل النار ، وأينا على الصواب ، وأينا على الخطأ.

وإنما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه ، لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى ، وبيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن المكذب به من أهل النار دون المصدق به.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ولئن اتبعت)، يا محمد ، هوى هؤلاء اليهود والنصارى - فيما يرضيهم عنك - من تهود وتنصر ، فصرت من ذلك > 564-2 إلى إرضائهم ، ووافقت فيه محبتهم - من بعد الذي جاءك من العلم بضلاتهم وكفرهم بربهم ، ومن بعد الذي اقتضت عليك من نبئهم في هذه السورة - ما لك من الله من ولي = يعني بذلك: ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك ، وقيم يقوم به = ولا نصير ، ينصرك من الله ، فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ، ويمنعك من ذلك، إن أحل بك ذلك ربك.وقد بينا معنى " الولي" و " النصير " فيما مضى قبل. (1)

وقد قيل: إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لأن اليهود والنصارى دعتهم إلى أديانها ، وقال كل حزب منهم: إن الهدى هو ما نحن عليه دون ما عليه ، غيرنا من سائر الملل. فوعظه الله أن يفعل ذلك ، وعلمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله جل ثناؤه بقوله: (الذين آتيناهم الكتاب) فقال بعضهم: هم المؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من أصحابه.

*ذكر من قال ذلك:

1878- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله: (الذين آتيناهم الكتاب) ، هؤلاء أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، آمنوا بكتاب الله وصدقوا به.

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك علماء بني إسرائيل ، الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، فأقروا بحكم التوراة. فعملوا بما أمر الله فيها من اتباع محمد صلى < 565-2 > الله عليه وسلم ، والإيمان به ، والتصديق بما جاء به من عند الله.

*ذكر من قال ذلك:

1879- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) ، قال: من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود فأولئك هم الخاسرون.

وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة. لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين ، وتبديل من بدل منهم كتاب الله ، وتأولهم إياه على غير تأويله ، وادعائهم على الله الأباطيل. ولم يجر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها ذكر ، فيكون قوله: (الذين آتيناهم الكتاب) ، موجهها إلى الخبر عنهم ، ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ، فيكون موجهها ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد انقضاء قصص غيرهم ، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له. (2)

فإذ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجهها إلى أنه خبر عن قصص الله جل ثناؤه [قصصهم] في الآية قبلها والآية بعدها ، (3) وهم أهل الكتابين: التوراة والإنجيل. وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية: الذين

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد -وهو التوراة- ففرءوه واتبعوا ما فيه ،
فصدقوك وأمنوا بك ، وبما جئت به من عندي ، أولئك يتلونه حق تلاوته.

< 2-566 >

وإنما أدخلت الألف واللام في "الكتاب" لأنه معرفة ، وقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم وأصحابه عرفوا أي الكتب عنى به.

القول في تأويل قوله تعالى : **يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل: (يتلونه حق
تلاوته) ، فقال بعضهم: معنى ذلك يتبعونه حق اتباعه.

*ذكر من قال ذلك:

1880- حدثني محمد بن المثنى قال، حدثني ابن أبي عدي ، وعبد الأعلى ،
وحدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا ابن أبي عدي جميعا ، عن داود ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس: (يتلونه حق تلاوته) ، يتبعونه حق اتباعه.

1881- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود ، عن عكرمة
بمثلها.

1880- وحدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا داود بن
أبي هند ، عن عكرمة بمثلها.

1883- حدثني الحسن بن عمرو العنقزي قال، حدثني أبي ، عن أسباط ، عن
السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس في قوله الله عز وجل: (يَتْلُونَهُ
حَقَّ تِلَاوَتِهِ) ، قال: يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ولا يحرفونه. (4)

1884- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قال،
قال أبو مالك: إن ابن عباس قال في: (يتلونه حق تلاوته) ، فذكر مثله، إلا أنه
قال: ولا يحرفونه عن مواضعه.

1885- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا المؤمل قال، حدثنا سفيان قال: < 2-
567 > حدثنا يزيد ، عن مرة ، عن عبد الله في قول الله عز وجل: (يتلونه
حق تلاوته) : قال: يتبعونه حق اتباعه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- 1886- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال، قال عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده ، إن حق تلاوته : أن يحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله.
- 1887- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة ومنصور بن المعتمر ، عن ابن مسعود في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، أن يحل حلاله ويحرم حرامه ، ولا يحرفه عن مواضعه.
- 1888- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا [أبو أحمد] الزبيري قال، حدثنا عباد بن العوام عن ذكره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس: (يتلونه حق تلاوته) يتبعونه حق اتباعه.
- 1889- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن عطاء ، بمثله.
- 1890- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه.
- 1891- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان -وحدثني المثني قال، حدثني أبو نعيم قال، حدثنا سفيان- وحدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال، حدثنا يحيى بن إبراهيم، عن سفيان - قالوا جميعاً: عن منصور، عن أبي رزين، مثله.
- 1892- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: عملاً به. (5)
- < 2-568 >
- 1893- حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك ، عن قيس بن سعد: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه، ألم تر إلى قوله: وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا [سورة الشمس: 2] ، يعني الشمس إذا تبعتها القمر.
- 1894- حدثني المثني قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء وقيس بن سعد ، عن مجاهد في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يعملون به حق عمله.
- 1895- حدثني المثني قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد قال، يتبعونه حق اتباعه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1896- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله.

1897- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: (يتلونه حق تلاوته)، يعملون به حق عمله.

1898- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن مجاهد في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه.

1899- حدثني عمرو قال، حدثنا أبو قتيبة قال، حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن أبي أيوب ، عن أبي الخليل ، عن مجاهد: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه. (6)

< 2-569 >

1900- حدثنا عمرو قال، حدثنا يحيى القطان ، عن عبد الملك ، عن عطاء قوله: (يتلونه حق تلاوته) قال: يتبعونه حق اتباعه ، يعملون به حق عمله.

1901- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثني أبي ، عن المبارك ، عن الحسن: (يتلونه حق تلاوته) قال: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه. (7)

1902- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: أحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، وعملوا بما فيه، ذكر لنا أن ابن مسعود كان يقول: إن حق تلاوته : أن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، وأن يقرأه كما أنزله الله عز وجل ، ولا يحرفه عن مواضعه.

1903- حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا الحكم بن عطية ، سمعت قتادة يقول: (يتلونه حق تلاوته) قال: يتبعونه حق اتباعه. قال: اتباعه : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ويقرءونه كما أنزل.

1904- حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم عن داود ، عن عكرمة في قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، قال: يتبعونه حق اتباعه، أما سمعت قول الله عز وجل: وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا [سورة الشمس: 2] ، قال: إذا تبعها.

وقال آخرون : (يتلونه حق تلاوته) ، يقرءونه حق قراءته. (8)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى: يتبعونه حق اتباعه ، من قول القائل: ما زلت أتلو أثره ، إذا اتبع أثره، (9) لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله.

< 2-570 >

وإذ كان ذلك تأويله ، فمعنى الكلام: الذين آتيناهم الكتاب ، يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك وبما جئتهم به من الحق من عندي ، يتبعون كتابي الذي أنزلته على رسولي موسى صلوات الله عليه ، فيؤمنون به ويقرون بما فيه من نعتك وصفتك ، وأنت رسولي، فرض عليهم طاعتي في الإيمان بك والتصديق بما جئتهم به من عندي ، ويعملون بما أحلت لهم ، ويجتنبون ما حرمت عليهم فيه ، ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يبدلونه ولا يغيرونه - كما أنزلته عليهم - بتأويل ولا غيره.

أما قوله: (حق تلاوته) ، فمبالغة في صفة اتباعهم الكتاب ولزومهم العمل به ، كما يقال: "إن فلانا لعالم حق عالم" ، وكما يقال: "إن فلانا لفاضل كل فاضل" (10)

وقد اختلف أهل العربية في إضافة "حق" إلى المعرفة ، فقال بعض نحوي الكوفة: غير جائزة إضافته إلى معرفة لأنه بمعنى "أي" ، وبمعنى قولك: "أفضل رجل فلان" ، و "أفعل" لا يضاف إلى واحد معرفة ، لأنه مبعض ، ولا يكون الواحد المبعض معرفة. فأحالوا أن يقال: "مررت بالرجل حق الرجل" ، و "مررت بالرجل جِدَّ الرجل" ، كما أحالوا "مررت بالرجل أي الرجل" ، وأجازوا ذلك في "كل الرجل" و "عين الرجل" و "نفس الرجل" (11) وقالوا: إنما أجزنا ذلك لأن هذه الحروف كانت في الأصل توكيدا ، فلما صرن مدوحا ، تركن مدوحا على أصولهن في المعرفة.

وزعموا أن قوله: (يتلونه حق تلاوته) ، إنما جازت إضافته إلى التلاوة ، وهي مضافة إلى معرفة، لأن العرب تعتد ب "الهاء" -إذا عادت إلى نكرة - بالنكرة ، فيقولون: "مررت برجل واحد أمه ، ونسيح وحده ، وسيد قومه" ، قالوا: فكذلك قوله: (حق تلاوته) ، إنما جازت إضافة "حق" إلى "التلاوة" وهي مضافة إلى < 2-571 > "الهاء" ، لاعتداد العرب ب "الهاء" التي في نظائرها في عداد النكرات. قالوا: ولو كان ذلك "حق التلاوة" ، لوجب أن يكون جائزا: "مررت بالرجل حق الرجل".

فعلى هذا القول تأويل الكلام: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال بعض نحويي البصرة: جائزة إضافة " حق " إلى النكرات مع النكرات ، ومع المعارف إلى المعارف، وإنما ذلك نظير قول القائل: " مررت بالرجل غلام الرجل " ، و " برجل غلام رجل " .

فتأويل الآية على قول هؤلاء: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته (12)

وأولى ذلك بالصواب عندنا القول الأول، لأن معنى قوله: (حق تلاوته) ، أي تلاوة ، بمعنى مدح التلاوة التي تلاوها وتفضيلها. " وأي " غير جائزة إضافتها إلى واحد معرفة عند جميعهم. وكذلك " حق " غير جائزة إضافتها إلى واحد معرفة .

وإنما أضيف في (حق تلاوته) إلى ما فيه " الهاء " لما وصفت من العلة التي تقدم بيانها.

القول في تأويل قوله تعالى : **أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (أولئك) ، هؤلاء الذين أخبر عنهم أنهم يتلون ما أتاهم من الكتاب حق تلاوته ، وأما قوله: (يؤمنون) ، فإنه يعني: يصدقون به. و " الهاء " التي في قوله : " به " عائدة على " الهاء " التي في تلاوته ، وهما جميعا من ذكر الكتاب الذي قاله الله: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ** .

فأخبر الله جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة ، هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها ، والعامل بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها ، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته، دون من كان محرفا لها مبدلا تأويلها ، مغيرا < 572-2 > سننها تاركا ما فرض الله فيها عليه.

وإنما وصف جل ثناؤه من وُصف بما وصف به من متبعي التوراة ، وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم، لأن في اتباعها اتباع محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، لأن التوراة تأمر أهلها بذلك ، وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته ، وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم ، وأن في التكذيب بمحمد التكذيب لها. فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهم العاملون بما فيها، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1905- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (أولئك يؤمنون به)، قال: من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل، وبالتوراة، وإن الكافر بمحمد صلى الله عليه وسلم هو الكافر بها الخاسر، كما قال جل ثناؤه: وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . (13)

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (ومن يكفر به)، ومن يكفر بالكتاب الذي أخبر أنه يتلوه - من أتاه من المؤمنين - حق تلاوته. ويعني بقوله جل ثناؤه: (يكفر)، يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وتصديقه، ويبدله فيحرف تأويله، أولئك هم الذين خسروا علمهم وعملهم، فبخسوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله، واستبدلوا بها سخط الله وغضبه. وقال ابن زيد في قوله، بما:-

1906- حدثني به يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: < 573-2 > (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)، قال: من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود، (فأولئك هم الخاسرون).

القول في تأويل قوله تعالى : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122)

قال أبو جعفر: وهذه الآية عظة من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتذكير منه لهم ما سلف من أياديه إليهم في صنعه بأوائلهم، استعطافا منه لهم على دينه وتصديق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: يا بني إسرائيل اذكروا أيادي لديكم، وصنائعي عندكم، واستنقادي إياكم من أيدي عدوكم فرعون وقومه، وإنزالي عليكم المن والسلوى في تيهكم، وتمكينني لكم في البلاد، بعد أن كنتم مذللين مقهورين، واختصاصي الرسل منكم، وتفضيلي إياكم على عالم من كنتم بين ظهرائيه، أيام أنتم في طاعتي- (14) باتباع رسولي إليكم، وتصديقه وتصديق ما جاءكم به من عندي، ودعوا التمادي في الضلال والغى.

وقد ذكرنا فيما مضى النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، والمعاني التي ذكرهم جل ثناؤه من آلائه عندهم، والعالم الذي فضلوا عليه - فيما مضى قبل، بالروايات والشواهد، فكرهنا تطويل الكتاب بإعادته، إذ كان المعنى في ذلك في هذا الموضوع وهنالك واحدا. (15)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 2-574 >

القول في تأويل قوله : **وَإِنَّمَا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** (123)

قال أبو جعفر : وهذه الآية ترهيب من الله جل ثناؤه للذين سلفت عظته إياهم بما وعظهم به في الآية قبلها. يقول الله لهم: واتقوا - يا معشر بني إسرائيل المبدلين كتابي وتنزيلي ، المحرفين تأويله عن وجهه ، المكذبين برسولي محمد صلى الله عليه وسلم - عذاب يوم لا تقضي فيه نفس عن نفس شيئا ، ولا تغني عنها غناء ، أن تهلكوا على ما أنتم عليه من كفركم بي ، وتكذيبكم رسولي ، فتموتوا عليه، فإنه يوم لا يقبل من نفس فيما لزمها فدية ، ولا يشفع فيما وجب عليها من حق لها شافع ، ولا هي ينصرها ناصر من الله إذا انتقم منها بمعصيتها إياه. (16)

وقد مضى البيان عن كل معاني هذه الآية في نظيرتها قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. (17)

< 3-7 >

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ**

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ)، وَإِذَا اخْتَبِرَ.

يقال منه: " ابتليت فلانا ابتليه ابتلاء "، ومنه قول الله عز وجل: **وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ [سورة النساء: 6]**، يعني به: اختبروهم. (18).

وكان اختبار الله تعالى ذكره إبراهيم، اختبارا بفرائض فرضها عليه، وأمر أمره به. وذلك هو " الكلمات " التي أوحاهن إليه، وكلفه العمل بهن، امتحانا منه له واختبارا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم اختلف أهل التأويل في صفة "الكلمات" التي ابتلى الله بها إبراهيم نبيه وخليه صلوات الله عليه.

فقال بعضهم: هي شرائع الإسلام، وهي ثلاثون سهما. (19)

* ذكر من قال ذلك:

1907- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" قال، > 3-8 < قال ابن عباس: لم يتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، ابتلاه الله بكلمات، فأتهم. قال: فكتب الله له البراءة فقال: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى [سورة النجم: 37]. قال: عشر منها في "الأحزاب"، وعشر منها في "براءة"، وعشر منها في "المؤمنون" و"سأل سائل"، وقال: إن هذا الإسلام ثلاثون سهما. (20)

1908- حدثنا إسحاق بن شاهين قال، حدثنا خالد الطحان، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم، ابتلي بالإسلام فأتهم، فكتب الله له البراءة فقال: "وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى"، فذكر عشرا في "براءة" [112] فقال: الثَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْجَامِدُونَ إلى آخر الآية، (21) وعشرا في "الأحزاب" [35]، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَعَشْرًا فِي "سورة المؤمنون" [1-9] إلى قوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، وعشرا في "سأل سائل" [22-34] وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ .

1909- حدثنا عبد الله بن أحمد بن شويه قال، حدثنا علي بن الحسن قال، حدثنا خارجة بن مصعب، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الإسلام ثلاثون سهما، وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم، قال الله: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى ، فكتب الله له براءة من النار. (22)

> 3-9 < وقال آخرون: هي خصال عشر من سنن الإسلام.

* ذكر من قال ذلك:

1910- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" قال، ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد. في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفي الجسد: تقليم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الأظفار، وحلق العانة، والختان، وتنف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء. (23)

1911- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الحكم بن أبان، عن القاسم بن أبي بزة، عن ابن عباس، بمثله- ولم يذكر أثر البول.

1912- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا سليمان قال، حدثنا أبو هلال قال، حدثنا قتادة في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، ابتلاه بالختان، وحلق العانة، وغسل القبل والدبر، والسواك، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، وتنف الإبط. قال أبو هلال: ونسيت خصلة.

1913- حدثت عن عمار، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن مطر، عن أبي الخلد قال: ابتلى إبراهيم بعشرة أشياء، هن في الإنسان: سنة: < 3-10 > الاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وتنف الإبط، وقلم الأظفار، وغسل البراجم، والختان، وحلق العانة، وغسل الدبر والفرج (24).

وقال بعضهم: بل " الكلمات " التي ابتلى بهن عشر خلال; بعضهن في تطهير الجسد، وبعضهن في مناسك الحج.

*ذكر من قال ذلك :

1914- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال: حدثنا محمد بن حرب قال، حدثنا ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن حنش، عن ابن عباس في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فآتمهن " قال، ستة في الإنسان، وأربعة في المشاعر. فالتى في الإنسان: حلق العانة، والختان، وتنف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، والغسل يوم الجمعة. وأربعة في المشاعر: الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة. (25)

وقال آخرون: بل ذلك: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ، في مناسك الحج.

*ذكر من قال ذلك:

1915- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فآتمهن " ، فمنهن: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ، وآيات النسك. (26)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1916- حدثنا أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت إسماعيل > 3-
11 < بن أبي خالد، عن أبي صالح مولى أم هانئ في قوله: " وإذ ابتلى
إبراهيم ربه بكلمات " قال، منهم إني جاعلك للناس إمامًا ومنهن آيات
النسك: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ [سورة البقرة: 127].

1917- حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن
ابن أبي نجیح، عن مجاهد في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فآتمهن "
قال الله لإبراهيم: إني مبتليك بأمر فما هو؟ قال: تجعلني للناس إمامًا! قال:
نعم. قال: ومن ذريتي. قال: لا ينال عهدي الظالمين. قال: تجعل البيت مثابة
للناس. قال: نعم. [قال]: وأما. قال: نعم. [قال]: وتجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك. قال: نعم. [قال]: وترينا مناسكنا وتتوب علينا. قال: نعم. قال:
وتجعل هذا البلد آمنا. قال: نعم. قال: وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم.
قال: نعم.

1918- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجیح، عن مجاهد، مثله.

1919- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجیح، أخبره به عن عكرمة، فعرضته على مجاهد فلم ينكره.

1920- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج،
عن مجاهد بنحوه. قال ابن جريج: فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة
جميعا.

1921- حدثنا سفيان قال، حدثني أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن
مجاهد: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فآتمهن " قال، ابتلي بالآيات التي
بعدها: إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين

1922- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن > 3-12 <
الربيع في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فآتمهن " ، فالكلمات: إني
جاعلك للناس إمامًا ، وقوله: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ، وقوله: وَأَتَّخِذُوا
مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وقوله: وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ الْآيَةَ، وقوله:
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ الْآيَةَ. قال: فذلك كله من الكلمات التي
ابتلي بهن إبراهيم. (27)

1923- حدثني محمد بن سعد (28) قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال،
حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات
فآتمهن " ، فمنهن: إني جاعلك للناس إمامًا ، ومنهن: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ
الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ، ومنهن الآيات في شأن النسك، والمقام الذي جعل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لإبراهيم، والرزق الذي رزق ساكنو البيت، ومحمد صلى الله عليه وسلم في ذريتهما عليهما السلام.

وقال آخرون: بل ذلك مناسك الحج خاصة.

* ذكر من قال ذلك:

1924- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة قال، حدثنا عمر بن نيهان، عن قتادة، عن ابن عباس في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، مناسك الحج. (29)

1925- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال، كان ابن عباس يقول في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، المناسك.

< 3-13 >

1926- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال، قال ابن عباس: ابتلاه بالمناسك.

1927- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، قال: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: إن الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم، المناسك.

1928- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، مناسك الحج.

1929- حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، منهن مناسك الحج. (30)

وقال آخرون: هي أمور، منهن الختان.

* ذكر من قال ذلك:

1930- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة، عن يونس بن أبي إسحاق، عن الشعبي: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، منهن الختان.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1931- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا يونس بن أبي إسحاق، قال: سمعت الشعبي يقول، فذكر مثله.

1932- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا يونس بن أبي إسحاق قال، سمعت الشعبي - وسأله أبو إسحاق عن قول الله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " - قال، منهن الختان، يا أبا إسحاق.

وقال آخرون: بل ذلك الخلال الست: الكوكب، والقمر، والشمس، والنار، والهجرة، والختان، التي ابتلى بهن فصبر عليهن.

* ذكر من قال ذلك:

1933- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: قلت للحسن: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فآتمهن ". قال: ابتلاه بالكوكب، فرضي عنه؛ وابتلاه بالقمر، فرضي عنه؛ وابتلاه بالشمس، فرضي عنه؛ وابتلاه بالنار، فرضي عنه؛ وابتلاه بالهجرة، وابتلاه بالختان.

1934- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: إي والله، ابتلاه بأمر فصبر عليه: ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر، فأحسن في ذلك، وعرف أن ربه دائم لا يزول، فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين؛ ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة، فصبر على ذلك؛ فابتلاه الله بذبح ابنه وبالختان، فصبر على ذلك.

1935- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن سمع الحسن يقول في قوله: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، ابتلاه الله بذبح ولده، وبالنار، وبالكوكب، والشمس، والقمر.

1936- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة قال، حدثنا أبو هلال، عن الحسن: " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال، ابتلاه بالكوكب، وبالشمس والقمر، فوجده صابراً.

وقال آخرون بما:

1937- حدثنا به موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا > 15-3 < أسباط، عن السدي: الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم ربه: رَبَّنَا تَقَبَّلْ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّسَاتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً
لَكَ وَأَرْبَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِنْهُمْ [سورة البقرة: 127-129]

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه، وأمره أن يعمل بهن فأتَمهن، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل. (31) وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل "الكلمات"، وجائز أن تكون بعضه. لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك، فعمل به، وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه. وإذا كان ذلك كذلك، فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك، إلا بحجة يجب التسليم لها: من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إجماع من الحجة. ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته. غير أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبران، لو ثبتا، أو أحدهما، كان القول به في تأويل ذلك هو الصواب. أحدهما، ما:-

1938- حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا رشدين بن سعد قال، حدثني زبَّان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله: الَّذِي وَفَّى؟ [سورة النجم: 37] لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ [سورة الروم: 17] حتى يختم الآية. (32)

< 3-16 >

والآخر منهما ما:-

1939- حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا الحسن بن عطية قال، حدثنا إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى قَالَ، أتدرون ما وَفَّى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وفي عمل يومه، أربع ركعات في النهار. (33)

< 3-17 > قال أبو جعفر: فلو كان خبر سهل بن معاذ عن أبيه صحيحاً سنده، كان بينا أن الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم فقام بهن، هو قوله كلما أصبح وأمسى: فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ - أو كان خبر أبي أمامة عدولاً نقلته،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كان معلوما أن الكلمات التي أوجين إلى إبراهيم فابتلي بالعمل بهن: أن يصلي كل يوم أربع ركعات. غير أنهما خبران في أسانيدهما نظر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في معنى "الكلمات" التي أخبر الله أنه ابتلي بهن إبراهيم، ما بينا أنفا.

ولو قال قائل في ذلك: إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس، أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم، كان مذهبا. لأن قوله: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**، وقوله: **وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ** وسائر الآيات التي هي نظير ذلك، كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلي بهن إبراهيم. (34)

القول في تأويل قوله تعالى: **فَأَتَمَّهُنَّ**

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: "فأتمهن"، فأتى إبراهيم الكلمات. و "إتمامه إياهن"، إكماله إياهن، بالقيام لله بما أوجب عليه فيهن، وهو الوفاء الذي < 18-3 > قال الله جل ثناؤه: **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى** [سورة النجم: 37]، يعني وفى بما عهد إليه، "بالكلمات"، بما أمره به من فرائضه ومحنته فيها، (35) كما:-

1940- حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: "فأتمهن"، أي فأداهن.

1941- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: "فأتمهن"، أي عمل بهن فأتمهن.

1942- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "فأتمهن"، أي عمل بهن فأتمهن.

القول في تأويل قوله تعالى: **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: "إني جاعلك للناس إماما"، فقال الله: يا إبراهيم، إني مصيرك للناس إماما، يؤتم به ويقتدى به، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1943- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " إني جاعلك للناس إماما "، ليؤتم به ويقتدى به.

يقال منه: " أمتت القوم فأنا أؤمهم أما وإمامة "، إذا كنت إمامهم.

وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم: " إني جاعلك للناس إماما "، إني مصيرك تؤم من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي، تتقدمهم أنت، (36) ويتبعون هديك، ويستنون بسنتك التي تعمل بها، بأمرى إياك ووحى إليك.

< 3-19 > القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك: قال إبراهيم- لما رفع الله منزلته وكرمه، فأعلمه ما هو صانع به، من تصييره إماما في الخيرات لمن في عصره، ولمن جاء بعده من ذريته وسائر الناس غيرهم، يهتدى بهديه ويقتدى بأفعاله وأخلاقه - : يا رب، ومن ذريتي فاجعل أئمة يقتدي بهم، كالذي جعلتني إماما يؤتم بي ويقتدى بي. مسألة من إبراهيم ربه سأله إياها، كما:-

1944- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال إبراهيم: " ومن ذريتي "، يقول: فاجعل من ذريتي من يؤتم به ويقتدى به.

وقد زعم بعض الناس أن قول إبراهيم: " ومن ذريتي "، مسألة منه ربه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه، كما قال: **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** [سورة إبراهيم:35]، فأخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه، بقوله: **لَا يَتَّالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** .

والظاهر من التنزيل يدل على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة. لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه: " ومن ذريتي "، في إثر قول الله جل ثناؤه: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** . فمعلوم أن الذي سأله إبراهيم لذريته، لو كان غير الذي أخبر ربه أنه أعطاه إياه، لكان مبينا. (37) ولكن المسألة لما كانت مما جرى ذكره، اكتفى بالذكر الذي قد مضى، من تكريره وإعادته، فقال: " ومن ذريتي "، بمعنى: ومن ذريتي فاجعل مثل الذي جعلتني به، من الإمامة للناس.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-20 >

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ لَا يِتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

قال أبو جعفر: هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماماً يقتدي به أهل الخير. وهو من الله جل ثناؤه جواب لما يتوهم في مسأله إياه (38) أن يجعل من ذريته أئمة مثله. فأخبر أنه فاعل ذلك، إلا بمن كان من أهل الظلم منهم، فإنه غير مُصَيَّره كذلك، ولا جاعله في محل أوليائه عنده، بالكرمة بالإمامة. لأن الإمامة إنما هي لأوليائه وأهل طاعته، دون أعدائه والكافرين به.

واختلف أهل التأويل في العهد الذي حرم الله جل ثناؤه الظالمين أن ينالوه. فقال بعضهم: ذلك " العهد "، هو النبوة.

* ذكر من قال ذلك:

1945- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " قال لا ينال عهدي الظالمين "، يقول: عهدي، نبوتي.

فمعنى قائل هذا القول في تأويل الآية: لا ينال النبوة أهل الظلم والشرك.

وقال آخرون: معنى " العهد " : عهد الإمامة.

فتأويل الآية على قولهم: لا أجعل من كان من ذريتك بأسرهم ظالماً، إماماً لعبادي يقتدى به.

* ذكر من قال ذلك:

1946- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " قال لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا يكون إماماً ظالماً.

< 3-21 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1947- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: قال الله: " لا ینال عهدي الظالمین " قال، لا يكون إمام ظالماً.

1948- حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن عكرمة بمثله.

1949- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله: " قال لا ینال عهدي الظالمین " قال، لا يكون إمام ظالم يقتدى به.

1950- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

1951- حدثنا مشرف بن أبان الحطاب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد في قوله: " لا ینال عهدي الظالمین " قال، لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به. (39) .

1952- حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد في قوله: " لا ینال عهدي الظالمین " قال، لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به.

1953- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن < 22-3 > ابن جريج، عن مجاهد: " لا ینال عهدي الظالمین "؛ قال: لا يكون إماماً ظالماً.

قال ابن جريج: وأما عطاء فإنه قال: " إِيَّيْ جَاعِلِكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ دُرِّيِّي "، فأبى أن يجعل من ذريته ظالماً إماماً. قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنه لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه.

* ذكر من قال ذلك:

1954- حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " لا ینال عهدي الظالمین "، يعني: لا عهد لظالم عليك في ظلمه، أن تطيعه فيه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1955- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله، عن إسرائيل، عن مسلم الأعور، عن مجاهد، عن ابن عباس: " قال لا ينال عهدي الظالمين " قال، ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانقضه.

1956- حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس قال، ليس لظالم عهد.

وقال آخرون: معنى " العهد " في هذا الموضع: الأمان.

فتأويل الكلام على معنى قولهم: قال الله لا ينال أمني أعدائي، وأهل الظلم لعبادي. أي: لا أومنهم من عذابي في الآخرة.

* ذكر من قال ذلك:

1957- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " قال لا ينال عهدي الظالمين "، ذلكم عند الله يوم القيامة، لا ينال عهده ظالم، فأما في الدنيا، فقد نالوا عهد الله، فوارثوا به المسلمين وغاؤهم وناكحهم به. (40) فلما كان يوم القيامة قصر الله عهده وكرامته على أوليائه.

< 3-23 >

1958- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمون، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم، وأكل به وعاش.

1959- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم: " قال لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمون. فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به، وأكل وأبصر وعاش.

وقال آخرون: بل " العهد " الذي ذكره الله في هذا الموضع: دين الله.

* ذكر من قال ذلك:

1960- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: قال الله لإبراهيم: " لا ينال عهدي الظالمين " فقال: فعهد الله الذي عهد إلى عباده، دينه. يقول: لا ينال دينه الظالمين. ألا ترى أنه قال: وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ [سورة الصافات:113]،
يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.

1961- حدثني يحيى بن جعفر قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال، لا ينال عهدي عدو لي يعصيني، ولا أنحلها إلا وليا لي يطيعني. (41)

قال أبو جعفر: وهذا الكلام، وإن كان ظاهره ظاهر خبر = عن أنه لا ينال من ولد إبراهيم صلوات الله عليه عهد الله - الذي هو النبوة والإمامة لأهل الخير، < 24-3 > بمعنى الاقتداء به في الدنيا، والعهد الذي بالوفاء به ينجو في الآخرة، من وفى لله به في الدنيا (42) - من كان منهم ظالما متعديا جائرا عن قصد سبيل الحق (43). فهو إعلام من الله تعالى ذكره لإبراهيم: أن من ولده من يشرك به، ويجور عن قصد السبيل، ويظلم نفسه وعباده، كالذي:-

1962- حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال، حدثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن مجاهد في قوله: " لا ينال عهدي الظالمين " قال: إنه سيكون في ذريتك ظالمون (44)

وأما نصب " الظالمين "، فلأن العهد هو الذي لا ينال الظالمين.

وذكر أنه في قراءة ابن مسعود: " لا ينال عهدي الظالمون "، بمعنى: أن الظالمين هم الذين لا ينالون عهد الله.

وإنما جاز الرفع في " الظالمين " والنصب، وكذلك في " العهد "، لأن كل ما نال المرء فقد ناله المرء، كما يقال: " نالني خير فلان، ونلت خيره "، فيوجه الفعل مرة إلى الخير ومرة إلى نفسه.

وقد بينا معنى " الظلم " فيما مضى، فكرهنا إعادته. (45)

< 3-25 >
القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: أما قوله: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ، فَإِنه عطف ب " إذ " على قوله: "وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ . وَقوله: "وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ، واذكروا " إذ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ " ، "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً " .

و " البيت " الذي جعله الله مثابة للناس، هو البيت الحرام.

وأما " المثابة " ، فإن أهل العربية مختلفون في معناها، والسبب الذي من أجله أثنى.

فقال بعض نحويي البصرة: ألحقت الهاء في " المثابة " ، لما كثر من يثوب إليه، كما يقال: " سياره " لمن يكثر ذلك، " ونسابة " .

وقال بعض نحويي الكوفة: بل " المثاب " و " المثابة " بمعنى واحد، نظيرة " المقام " و " المقامة " (46) . و " المقام " ، ذكر -على قوله- لأنه يريد به الموضوع الذي يقام فيه، وأثنى " المقامة " ، لأنه أريد بها اليقعة. وأنكر هؤلاء أن تكون " المثابة " ك " السيارة، والنسابة " ، وقالوا: إنما أدخلت الهاء في " السيارة والنسابة " تشبيها لها ب " الداعية " .

و " المثابة " مفعلة " من " ثاب القوم إلى الموضوع " ، إذا رجعوا إليه، فهم يثوبون إليه مثابا ومثابة وثوابا. (47)

< 3-26 >

فمعنى قوله: " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ " : وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَرْجَعًا لِّلنَّاسِ وَمَعَادًا، يَأْتُونَهُ كُلَّ عَامٍ وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطْرًا. ومن " المثاب " قول ورقة بن نوفل في صفة الحرم:

مثاب لأفناء القبائل كلها

تخب إليه اليعملات الطلائح (48)

ومنه قيل: " ثاب إليه عقله " ، إذا رجع إليه بعد عزوبه عنه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

1963- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا [أبو عاصم قال، حدثنا] عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: " وإذ جعلنا البيت مثابة < 27-3 > للناس " قال: لا يقضون منه وطرا. (49)

1964- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

1965- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، يثوبون إليه، لا يقضون منه وطرا.

1966- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، أما المثابة، فهو الذي يثوبون إليه كل سنة، لا يدعه الإنسان إذا أتاه مرة أن يعود إليه.

1967- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي، قال حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، لا يقضون منه وطرا، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهلهم، ثم يعودون إليه.

1968- حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال، حدثني الوليد بن مسلم قال، قال أبو عمرو: حدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا.

1969- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، قال، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء في قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، يثوبون إليه من كل مكان، ولا يقضون منه وطرا.

1970- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء مثله.

1971- حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال، حدثنا سهل بن عامر قال، < 3-28 > حدثنا مالك بن مغول، عن عطية في قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، لا يقضون منه وطرا (50).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1972- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن: قال، حدثنا سفيان، عن أبي الهذيل قال، سمعت سعيد بن جبیر يقول: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، يحجون ويثوبون.

1973- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا الثوري، عن أبي الهذيل، عن سعيد بن جبیر في قوله: " مثابة للناس " قال، يحجون، ثم يحجون، ولا يقضون منه وطرا. (51)

1974- حدثني المثنى قال، حدثنا ابن بكير قال، حدثنا مسعر، عن غالب، عن سعيد بن جبیر: " مثابة للناس " قال، يثوبون إليه. (52)

1975-- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا " قال، مجمعا.

1976- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " مثابة للناس " قال، يثوبون إليه.

< 3-29 >

1977- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " مثابة للناس " قال، يثوبون إليه.

1978- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس " قال، يثوبون إليه من البلدان كلها وبأتونه.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَمَّا**

قال أبو جعفر: و " الأمن " مصدر من قول القائل: " أمن يأمن أمنا " .

وإنما سماه الله " أمنا "، لأنه كان في الجاهلية معادا لمن استعاذ به، وكان الرجل منهم لو لقي به قاتل أبيه أو أخيه، لم يهجه ولم يعرض له حتى يخرج منه، وكان كما قال الله جل ثناؤه: **أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا** **وَبُخَّطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** . [سورة العنكبوت: 67]

1979- حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وأمنا " قال، من أم إليه فهو آمن، كان الرجل يلقي قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1980- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما "أما"، فمن دخله كان أمنا.

1981- حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله الله: "وأما" قال، تحريمه، لا يخاف فيه من دخله.

1982- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: "وأما"، يقول: أمنا من العدو أن يحمل فيه السلاح، وقد كان في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يُسَبَّون.

< 3-30 >

1983- حدثت عن المنجاب قال، أخبرنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: "وأما" قال، أمنا للناس.

1984- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله: "وأما" قال، تحريمه، لا يخاف فيه من دخله.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا**

قال أبو جعفر: اختلفت القراءة في قراءة ذلك:

فقرأه بعضهم: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" بكسر "الخاء"، على وجه الأمر باتخاذ مصلى. وهي قراءة عامة المصرين الكوفة والبصرة، وقراءة عامة قرأة أهل مكة وبعض قرأة أهل المدينة. (53) وذهب إليه الذين قرأوه كذلك، من الخبر الذي:-

1985- حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا حدثنا هشيم قال، أخبرنا حميد، عن أنس بن مالك قال، قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، لو اتخذت المقام مصلى! فأنزل الله: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى".

1986- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي -وحدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علي- جميعا، عن حميد، عن أنس، عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله.

< 3-31 >

1987- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، فذكر مثله. (54)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قالوا: وإنما أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية أمرا منه نبيه صلى الله عليه وسلم باتخاذ مقام إبراهيم مصلى. فغير جائز قراءتها -وهي أمر- على وجه الخبر.

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " معطوف على قوله: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ و " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ". فكان الأمر بهذه الآية، وباتخاذ المصلى من مقام إبراهيم -على قول هذا القائل- لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،.... كما حدثنا [عن] الربيع بن أنس. (55) بما:-

1988- حدثت [به] عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه قال: من الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، فأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فهم يصلون خلف المقام. (56)

< 3-32 >

فتأويل قائل هذا القول: وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ، إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، وقال: اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

قال أبو جعفر: والخبر الذي ذكرناه عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل، يدل على خلاف الذي قاله هؤلاء، وأنه أمر من الله تعالى ذكره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين به وجميع الخلق المكلفين.

وقرأه بعض قرأة أهل المدينة والشام: (واتخذوا) بفتح " الخاء " على وجه الخبر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم اختلف في الذي عطف عليه بقوله: " واتخذوا " إذ قرئ كذلك، على وجه الخبر،

فقال بعض نحويي البصرة: تأويله، إذا قرئ كذلك: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا ، [وإذ] اتخذوا من مقام إبراهيم صلى. (57)

وقال بعض نحويي الكوفة: بل ذلك معطوف على قوله: جَعَلْنَا ، فكان معنى الكلام على قوله: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس، واتخذوه صلى (58) .

قال أبو جعفر: والصواب من القول والقراءة في ذلك عندنا: " واتخذوا " > 3-
33 < بكسر " الخاء "، على تأويل الأمر باتخاذ مقام إبراهيم صلى، للخبر
الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه أنفاً، وأن:

1989- عمرو بن علي حدثنا قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال، حدثنا جعفر بن
محمد قال، حدثني أبي، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأ: " واتخذوا من مقام إبراهيم صلى " . (59)

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم صلى "،
وفي " مقام إبراهيم " . فقال بعضهم: " مقام إبراهيم "، هو الحج كله.

* ذكر من قال ذلك:

1990- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج،
عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: " مقام إبراهيم "، قال الحج كله مقام
إبراهيم.

1991- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن
أبي نجيح، عن مجاهد: " واتخذوا من مقام إبراهيم صلى " قال، الحج كله.

1992- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن
عطاء، قال: الحج كله " مقام إبراهيم " .

وقال آخرون: " مقام إبراهيم " عرفة والمزدلفة والجمار.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

1993- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء بن أبي رباح: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال: لأنني قد جعلته إماما، فمقامه عرفة والمزدلفة والجمار.

< 3-34 >

1994- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال، مقامه: جمع وعرفة ومنى - لا أعلمه إلا وقد ذكر مكة.

1995- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال، مقامه، عرفة.

1996- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا داود، عن الشعبي قال: نزلت عليه وهو واقف بعرفة، مقام إبراهيم: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ [سورة المائدة: 3]، الآية.

1997- حدثنا عمرو قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا داود، عن الشعبي مثله

وقال آخرون: " مقام إبراهيم "، الحرم.

* ذكر من قال ذلك:

1998- حدثت عن حماد بن زيد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال، الحرم كله " مقام إبراهيم ".

وقال آخرون: " مقام إبراهيم " الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناؤه، وضعف عن < 3-35 > رفع الحجارة.

* ذكر من قال ذلك:

1999- حدثنا سنان القزاز قال، حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي قال، حدثنا إبراهيم بن نافع قال، سمعت كثير بن كثير يحدث، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: جعل إبراهيم بينه، وإسماعيل يناوله الحجارة، ويقولان: "

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " . فلما ارتفع البنيان، وضعف الشيخ
عن رفع الحجارة، قام على حجر، فهو " مقام إبراهيم " (60)

وقال آخرون: بل " مقام إبراهيم "، هو مقامه الذي هو في المسجد الحرام.
* ذكر من قال ذلك:

2000- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن
قتادة: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم
يؤمروا بمسحه. ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها. (61) ولقد
ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابه، فما زالت هذه الأمم يمسحونه حتى
اخلوق وانمحي. (62)

2001- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، فهم يصلون خلف المقام. (63)

2002- حدثني موسى (64) قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "، وهو الصلاة عند مقامه في الحج.

و " المقام " هو الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل وضعت تحت قدم إبراهيم
حين غسلت رأسه، فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكب، فغسلت شقه، ثم
رفعت من تحته وقد غابت رجله في الحجر، فوضعت تحت الشق الآخر،
فغسلته، فغابت رجله < 36-3 > أيضاً فيه، فجعلها الله من شعائره، فقال: "
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ".

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا، ما قاله القائلون: إن " مقام
إبراهيم "، هو المقام المعروف بهذا الاسم، الذي هو في المسجد الحرام، لما
روينا أنفاً عن عمر بن الخطاب، (65) ولما:-

2003- حدثنا يوسف بن سلمان قال، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال، حدثنا
جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: استلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: "
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " . فجعل المقام بينه وبين البيت، فصلى
ركعتين. (66)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فهذان الخبران يثبتان أن الله تعالى ذكره إنما عنى ب " مقام إبراهيم " الذي أمرنا الله باتخاذَه مصلى - هو الذي وصفنا.

ولو لم يكن على صحة ما اخترنا في تأويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه > 37-3 < وسلم, لكان الواجب فيه من القول ما قلنا. وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف, دون باطنه المجهول, (67) حتى يأتي ما يدل على خلاف ذلك, مما يجب التسليم له. ولا شك أن المعروف في الناس ب " مقام إبراهيم " هو المصلى الذي قال الله تعالى ذكره: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "

[قال أبو جعفر: وأما قوله تعالى: " مصلى "], فإن أهل التأويل مختلفون في معناه. (68) فقال بعضهم: هو المدعى.

* ذكر من قال ذلك:

2004- حدثني المثنى قال, حدثنا إسحاق قال, حدثنا سفيان بن عيينة, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال, مصلى إبراهيم مُدَّعَى.

وقال آخرون: معنى ذلك: اتخذوا مصلى تصلون عنده.

* ذكر من قال ذلك:

2005- حدثني بشر بن معاذ قال, حدثنا يزيد بن زريع قال, حدثنا سعيد, عن قتادة قال, أمروا أن يصلوا عنده.

2006- حدثني موسى بن هارون قال, حدثنا عمرو بن حماد قال, حدثنا أسباط, عن السدي قال: هو الصلاة عنده.

قال أبو جعفر: فكأن الذين قالوا: تأويل: " المصلى " ههنا, المُدَّعَى, وَجَّهوا " المصلى " إلى أنه " مُفَعَّلٌ ", من قول القائل: " صليت " بمعنى دعوت. (69) .

> 3-38 < وقائلو هذه المقالة, هم الذين قالوا: إن مقام إبراهيم هو الحج كله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فكان معناه في تأويل هذه الآية: واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار، وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها مَدَاعِيَّ تدعوني عندها، وتأمون بإبراهيم خليلي عليه السلام فيها، فإني قد جعلته لمن بعده -من أوليائي وأهل طاعتي- إماما يقتدون به وبآثاره، فاقتدوا به.

وأما تأويل القائلين القول الآخر، فإنه: اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده، عبادةً منكم، وتكرمةً مني لإبراهيم.

وهذا القول هو أولى بالصواب، لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وَعَهْدَنَا "؛ وأمرنا، كما:-

2007- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: ما عهده؟ قال: أمره.

2008- حدثني يونس قال، أخبرني ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ " قال، أمرناه.

فمعنى الآية: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين. " والتطهير " الذي أمرهما الله به في البيت، هو تطهيره من الأصنام، وعبادة الأوثان فيه، ومن الشرك بالله.

< 3-39 >

فإن قال قائل: وما معني قوله: " وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطائفين "؟ وهل كان أيام إبراهيم -قبل بنائه البيت- بيت يطهر من الشرك وعبادة الأوثان في الحرم، فيجوز أن يكونا أمرا بتطهيره؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيل: لذلك وجهان من التأويل، قد قال بكل واحد من الوجهين جماعة من أهل التأويل. (70)

أحدهما: أن يكون معناه: وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن ابنا بيتي مطهرا من الشرك والرَّيب (71) كما قال تعالى ذكره: أَقَمْنَا بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَّا وَرِضْوَانٍ حَيْرٌ أَمْ مِّنْ أَسْسٍ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شِقَا جُرْفٍ هَارٍ، [سورة التوبة: 109]، فكَذَلِكَ قَوْلُهُ: "وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي"، أي ابنا بيتي على طهر من الشرك بي والرَّيب، كما:-

2009- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي"، يقول: ابنا بيتي [للطائفين]. (72)

فهذا أحد وجهيه.

والوجه الآخر منهما: أن يكونا أمرا بأن يطهرا مكان البيت قبل بنيانه، والبيت بعد بنيانه، مما كان أهل الشرك بالله يجعلونه فيه -على عهد نوح ومن قبله- من الأوثان، ليكون ذلك سنة لمن بعدهما، إذ كان الله تعالى ذكره قد جعل إبراهيم إماما يقتدي به من بعده، كما:-

2010- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: > 3- 40 < " أن طهرا " قال، من الأصنام التي يعبدون، التي كان المشركون يعظمونها. (73)

2011- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن عبيد بن عمير: " أن طهرا بيتي للطائفين " قال، من الأوثان والرَّيب.

2012- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، مثله.

2013- حدثني أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: من الشرك.

2014- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا أبو إسرائيل، عن أبي حصين، عن مجاهد: " طهرا بيتي للطائفين " قال، من الأوثان.

2015- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " طهرا بيتي للطائفين " قال: من الشرك وعبادة الأوثان.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2016- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، بمثله - وزاد فيه: وقول الزور.

القول في تأويل قوله تعالى : لِلطَّائِفِينَ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى " الطائفين " في هذا الموضع. فقال بعضهم: هم الغرباء الذين يأتون البيت الحرام من غربة. (74)

* ذكر من قال ذلك:

< 3-41 >

2017- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا أبو حصين، عن سعيد بن جبير في قوله: " للطائفين " قال، من أتاه من غربة.

وقال آخرون: بل " الطائفون " هم الذين يطوفون به، غرباء كانوا أو من أهله.

* ذكر من قال ذلك:

2018- حدثنا محمد بن العلاء قال، حدثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء: " للطائفين " قال، إذا كان طائفاً بالبيت فهو من " الطائفين ".

وأولى التأويلين بالآية ما قاله عطاء. لأن " الطائف " هو الذي يطوف بالشيء دون غيره. والطارئ من غربة لا يستحق اسم " طائف بالبيت "، إن لم يطف به.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالْعَاكِفِينَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " والعاكفين "، والمقيمين به. " والعاكف على الشيء "، هو المقيم عليه، كما قال نابغة بني ذبيان:

عكوفاً لدى أبياتهم يثمدونهم

رمى الله في تلك الأكف الكوانع (75)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-42 >

وإنما قيل للمعتكف " معتكف "، من أجل مقامه في الموضع الذي حبس فيه نفسه لله تعالى.

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله: " والعاكفين ".

فقال بعضهم: عنى به الجالس في البيت الحرام بغير طواف ولا صلاة.

* ذكر من قال ذلك:

2019- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء قال: إذا كان طائفاً بالبيت فهو من الطائفين، وإذا كان جالساً فهو من العاكفين.

وقال بعضهم: " العاكفون "، هم المعتكفون المجاورون.

* ذكر من قال ذلك:

2020- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا شريك، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة: " طهراً بيتي للطائفين والعاكفين " قال، المجاورون.

وقال بعضهم: " العاكفون "، هم أهل البلد الحرام.

* ذكر من قال ذلك:

2021- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا < 3-43 > أبو حصين، عن سعيد بن جبيرة في قوله: " والعاكفين " قال: أهل البلد.

2022- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " والعاكفين " قال: العاكفون: أهله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: " العاكفون "، هم المصلون.

* ذكر من قال ذلك:

2023- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس في قوله: " طهرا بيتي للطائفين والعاكفين " قال، العاكفون، المصلون.

قال أبو جعفر: وأولى هذه التأويلات بالصواب ما قاله عطاء، وهو أن " العاكف " في هذا الموضع، المقيم في البيت مجاورا فيه بغير طواف ولا صلاة. لأن صفة " العكوف " ما وصفنا: من الإقامة بالمكان. والمقيم بالمكان قد يكون مقيما به وهو جالس ومصل وطائف وقائم، وعلى غير ذلك من الأحوال. فلما كان تعالى ذكره قد ذكر - في قوله: " أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود " - المصلين والطائفين، علم بذلك أن الحال التي عنى الله تعالى ذكره من " العاكف "، غير حال المصلي والطائف، وأن التي عنى من أحواله، هو العكوف بالبيت، على سبيل الجوار فيه، وإن لم يكن مصليا فيه ولا راکعا ولا ساجدا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " والركع "، جماعة القوم الراكعين فيه له، واحدهم " راکع ". وكذلك " السجود " هم جماعة القوم الساجدين فيه له، < 3-44 > واحدهم " ساجد " - كما يقال: " رجل قاعد ورجال قعود " و " رجل جالس ورجال جلوس "، فكذلك " رجل ساجد ورجال سجود ". (76)

وقيل: بل عنى " بالركع السجود "، المصلين.

* ذكر من قال ذلك:

2024- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء: " والركع السجود " قال، إذا كان يصلي فهو من " الركع السجود ".

2025- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " والركع السجود "، أهل الصلاة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد بينا فيما مضى بيان معنى " الركوع " و " السجود " , فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا. (77)

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا " , واذكروا إذ قال إبراهيم: رب اجعل هذا البلد بلدا آمنا.

قال أبو جعفر: يعني بقوله: " آمنا " : آمنا من الجبابة وغيرهم، أن يسلطوا > 45-3 < عليه، ومن عقوبة الله أن تناله، كما تنال سائر البلدان، من خسف، وائتفak، وغرق، (78) وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب سائر البلاد غيره، كما:

2026- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن الحرم حُرِّم بحياله إلى العرش. وذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط. قال الله له: أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي. فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين، حتى إذا كان زمان الطوفان -حين أغرق الله قوم نوح- رفعه وطهره، ولم تصبه عقوبة أهل الأرض. فنتبع منه إبراهيم أثرا، فبناه على أساس قديم كان قبله.

فإن قال لنا قائل: أو ما كان الحرم آمنا إلا بعد أن سأل إبراهيم ربه له الأمان؟

قيل له: لقد اختلف في ذلك. فقال بعضهم: لم يزل الحرم آمنا من عقوبة الله وعقوبة جبابة خلقه، منذ خلقت السموات والأرض. واعتلوا في ذلك بما:-

2027- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال، حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، قال سمعت أبا شريح الخزاعي يقول: لما افتتحت مكة قتلت خزاعة رجلا من هذيل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال: " يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، أو يعضد بها شجرا. ألا وإنها لا تحل لأحد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بعدي، < 3-46 > ولم تحل لي إلا هذه الساعة، غضبا علي أهلها. ألا فهي قد رجعت على حالها بالأمس. ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فمن قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل بها! فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك". (79)

2028- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان - وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا حدثنا جرير - جميعا، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمكة حين افتتحها: هذه حرم حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وخلق الشمسي والقمر، ووضع هذين الأخشيين، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار. (80)

< 3-47 >

قالوا: فمكة منذ خلقت حرم آمن من عقوبة الله وعقوبة الجابرة. قالوا: وقد أخبرت عن صحة ما قلنا من ذلك الرواية الثانية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرناها. قالوا: ولم يسأل إبراهيم ربه أن يؤمنه من عقوبته وعقوبة الجابرة، ولكنه سأله أن يؤمن أهله من الجدوب والقحوط، وأن يرزق ساكنه من الثمرات، كما أخبر ربه عنه أنه سأله بقوله " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ". قالوا: وإنما سأل ربه ذلك لأنه أسكن فيه ذريته، وهو غير ذي زرع ولا ضرع، فاستعاذ ربه من أن يهلكهم بها جوعا وعطشا، فسأله أن يؤمنهم مما حذر عليهم منه.

قالوا: وكيف يجوز أن يكون إبراهيم سأل ربه تحريم الحرم، وأن يؤمنه من عقوبته وعقوبة جابرة خلقه، وهو القائل - حين حله، ونزله بأهله وولده: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [سورة إبراهيم: 37]؟ قالوا: فلو كان إبراهيم هو الذي حرم الحرم أو سأل ربه < 3-48 > تحريمه لما قال: " عند بيتك المحرم " عند نزوله به، ولكنه حُرِّم قبله، وحُرِّم بعده.

وقال آخرون: كان الحرم حلالا قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد غيره، وإنما صار حراما بتحريم إبراهيم إياه، كما كانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالا قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها. قالوا: والدليل على ما قلنا من ذلك، ما:-

2029- حدثنا به ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا سفيان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عليه وسلم " إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، عضائها وصيدها، ولا تقطع عضائها. (81)

2030- حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا [حدثنا ابن إدريس - وأخبرنا أبو كريب قال]، حدثنا عبد الرحيم الرازي، [قالا جميعا]: سمعنا أشعث، عن نافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن إبراهيم كان عبد الله وخليته، وإنني عبد الله ورسوله، وإن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، عضائها وصيدها، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا يقطع منها شجر إلا لعلف بعير. (82)

< 3-49 >

2031- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا قتيبة بن سعيد قال، حدثنا بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن أبي بكر بن محمد، عن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن رافع بن خديج، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن إبراهيم حرم مكة، وإنني أحرم المدينة ما بين لابتيها. (83)

< 3-50 >

وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعابها الكتاب.

قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره في كتابه أن إبراهيم قال: " رب اجعل هذا بلدا آمنا "، ولم يخبر عنه أنه سأل أن يجعله آمنا من بعض الأشياء دون بعض، فليس لأحد أن يدعي أن الذي سأله من ذلك، الأمان له من بعض الأشياء دون بعض، إلا بحجة يجب التسليم لها. قالوا: وأما خبر أبي شريح وابن عباس، فخيران لا تثبت بهما حجة، لما في أسانيدهما من الأسباب التي لا يجب التسليم فيها من أجلها.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله تعالى ذكره جعل مكة حرما حين خلقها وأنشأها، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، " أنه حرما يوم خلق السموات والأرض "، بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله، ولكن بمنعه من أرادها بسوء، وبدفعه عنها من الآفات والعقوبات، وعن ساكنيها، ما أحل بغيرها وغير ساكنيها من النقمات. فلم يزل ذلك أمرها حتى بوأها الله إبراهيم خليله، وأسكن بها أهله هاجر وولده إسماعيل. فسأل حينئذ إبراهيم ربه إيجاب فرض تحريمها على عباده على لسانه، ليكون ذلك سنة لمن بعده من خلقه، يستنون به فيها، إذ كان تعالى ذكره قد اتخذ خليلا وأخبره أنه جاعله، للناس إماما يقتدى به، فأجاب ربه إلى ما سأله، وألزم عباده حينئذ فرض تحريمه على لسانه،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فصارت مكة - بعد أن كانت ممنوعة بمنع الله إياها، بغير إيجاب الله فرض الامتناع منها على عباده، ومحرمه بدفع الله عنها، بغير تحريمه إياها على لسان أحد من رسله - (84) فرض تحريمها على خلقه على لسان خليله إبراهيم عليه السلام، وواجب على عباده الامتناع من استحلالها، واستحلال صيدها وعضائها لها بإيجابه الامتناع من ذلك ببلاغ إبراهيم رسالة الله إليه بذلك إليهم.

< 3-51 >

فلذلك أضيف تحريمها إلى إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله حرم مكة ". لأن فرض تحريمها الذي ألزم الله عباده على وجه العبادة له به - دون التحريم الذي لم يزل متعبدا لها به على وجه الكلاءة والحفظ لها قبل ذلك - (85) كان عن مسألة إبراهيم ربه إيجاب فرض ذلك على لسانه، [وهو الذي] لزم العباد فرضه دون غيره. (86)

فقد تبين إذا بما قلنا صحة معنى الخبرين - أعني خبر أبي شريح وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " وإن الله حرم مكة يوم خلق الشمس والقمر " - وخبر جابر وأبي هريرة ورافع بن خديج وغيرهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم إن إبراهيم حرم مكة "؛ وأن ليس أحدهما دافعا صحة معنى الآخر، كما ظنه بعض الجهال.

وغير جائز في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بعضها دافعا بعضا، إذا ثبت صحتها. وقد جاء الخبران اللذان روبا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجيئا ظاهرا مستفيضا يقطع عذر من بلغه.

وأما قول إبراهيم عليه السلام (87) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [سورة إبراهيم: 37] فإنه، إن يكن قاله قبل إيجاب الله فرض تحريمه على لسانه على خلقه، (88) فإنما عنى بذلك تحريم الله إياه الذي حرمه بحياطته إياه وكلاءته، (89) من غير تحريمه إياه على خلقه على وجه التعبد، لهم بذلك - وإن يكن قال ذلك بعد تحريم الله إياه على خلقه على وجه التعبد فلا مسألة لأحد علينا في ذلك.

< 3-52 >

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**

قال أبو جعفر: وهذه مسألة من إبراهيم ربه: أن يرزق مؤمني أهل مكة من الثمرات، دون كافرينهم. وخص، بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين، لما أعلمه الله - عند مسألته إياه أن يجعل من ذريته أئمة يقتدى بهم - أن منهم الكافر الذي لا ينال عهده، والظالم الذي لا يدرك ولايته. فلما أن علم أن من ذريته

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الظالم والكافر، خص بمسألته ربه أن يرزق من الثمرات من سكان مكة، المؤمن منهم دون الكافر. وقال الله له: إني قد أجبت دعاءك، وسأرزق مع مؤمني أهل هذا البلد كافرهم، فأمتعه به قليلا.

وأما " من " من قوله: " من آمن منهم بالله واليوم الآخر "، فإنه نصيب على الترجمة والبيان عن " الأهل "، (90) كما قال تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ [سورة البقرة: 217]، بمعنى: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام، وكما قال تعالى ذكره: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا [سورة آل عمران: 97]: بمعنى: وله حج البيت على من استطاع إليه سبيلا.

وإنما سأل إبراهيم ربه ما سأل من ذلك، لأنه حل بواد غير ذي زرع ولا ماء ولا أهل، فسأل أن يرزق أهله ثمرا، وأن يجعل أفئدة الناس تهوي إليهم. فذكر أن إبراهيم لما سأل ذلك ربه، نقل الله الطائف من فلسطين.

2032- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق بن الحجاج قال، حدثنا هشام قال، قرأت على محمد بن مسلم أن إبراهيم لما دعا للحرم: " وارزق أهله من الثمرات "، نقل الله الطائف من فلسطين.

< 3-53 >

القول في تأويل قوله تعالى : قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في قائل هذا القول، وفي وجه قراءته. فقال بعضهم: قائل هذا القول ربنا تعالى ذكره، وتأويله علي قولهم: قال: ومن كفر فأمتعه قليلا برزقي من الثمرات في الدنيا، إلى أن يأتيه أجله. وقرأ قائل هذه المقالة ذلك: " فأمتعه قليلا "، بتشديد " التاء " ورفع " العين ".

* ذكر من قال ذلك:

2033- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع، قال، حدثني أبو العالية، عن أبي بن كعب في قوله: " ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار "، قال هو قول الرب تعالى ذكره.

2034- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، قال ابن إسحاق: لما قال إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَالْيَوْمَ الْآخِرِ ، وعدل الدعوة عن أبي الله أن يجعل له الولاية، = انقطاعا إلى الله، (91) ومحبة وفراقا لمن خالف أمره، وإن كانوا من ذريته، حين عرف أنه كائن منهم ظالم لا ينال عهده، بخبره عن ذلك حين أخبره (92) = فقال الله: ومن كفر - فإني أرزق البر والفاجر - فأمته قليلا. (93)

وقال آخرون: بل قال ذلك إبراهيم خليل الرحمن، على وجه المسألة منه ربه أن < 54-3 > يرزق الكافر أيضا من الثمرات بالبلد الحرام، مثل الذي يرزق به المؤمن ويمتعه بذلك قليلا ثُمَّ أَضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ - بتخفيف " التاء " وجزم " العين "، وفتح " الراء " من اضطره، وفصل " ثم اضطره " بغير قطع ألفها (94) - على وجه الدعاء من إبراهيم ربه لهم والمسألة.

* ذكر من قال ذلك:

2035- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع قال، قال أبو العالية: كان ابن عباس يقول: ذلك قول إبراهيم، يسأل ربه أن من كفر فأمته قليلا.

2036- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن ليث، عن مجاهد: " ومن كفر فأمته قليلا "، يقول: ومن كفر فأرزقه أيضا، ثم أضطره إلى عذاب النار. (95)

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا والتأويل، ما قاله أبي بن كعب وقراءته، لقيام الحجة بالنقل المستفيض دراية بتصويب ذلك، وشذوذ ما خالفه من القراءة. وغير جائز الاعتراض بمن كان جائزا عليه في نقله الخطأ والسهو، على من كان ذلك غير جائز عليه في نقله. وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: قال الله: يا إبراهيم، قد أحببت دعوتك، ورزقت مؤمني أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم، متاعا لهم إلى بلوغ آجالهم، ثم أضطر كفارهم بعد ذلك إلى النار.

وأما قوله: " فأمته قليلا " يعني: فأجعل ما أرزقه من ذلك في حياته < 55-3 > متاعا يتمتع به إلى وقت مماته. (96)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن الله تعالى ذكره إنما قال ذلك لإبراهيم، جواباً لمسأله ما سأل من رزق الثمرات لمؤمني أهل مكة. فكان معلوماً بذلك أن الجواب إنما هو فيما سأله إبراهيم لا في غيره. وبالذي قلنا في ذلك قال مجاهد، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه. (97)

وقال بعضهم: تأويله: فأمتعته بالبقاء في الدنيا.

وقال غيره: فأمتعته قليلاً في كفره ما أقام بمكة، حتى أبعث محمداً صلى الله عليه وسلم فيقتله، إن أقام على كفره، أو يجليه عنها. وذلك وإن كان وجهها يحتمله الكلام، فإن دليل ظاهر الكلام على خلافه، لما وصفنا. (98)

القول في تأويل قوله تعالى: **ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ**

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "ثم أضطره إلى عذاب النار"، ثم أدفعه إلى عذاب النار وأسوقه إليها، كما قال تعالى ذكره: **يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ تَارِ** **< 56-3 > جَهَنَّمَ دَعَا** [سورة الطور: 13]. (99)

ومعنى "الاضطرار"، الإكراه. يقال: "اضطرت فلانا إلى هذا الأمر"، إذا أُلجِئته إليه وحملته عليه.

فذلك معنى قوله: "ثم أضطره إلى عذاب النار"، أدفعه إليها وأسوقه، سحباً وجرا على وجهه.

القول في تأويل قوله تعالى: **وَيُنْسَ الْمَصِيْرُ** (126)

قال أبو جعفر: قد دللنا على أن "ينس" أصله "ينس" من "البؤس" سَكُنَّ ثانيه، ونقلت حركة ثانيه إلى أوله، كما قيل للكبد كَبِدٌ، وما أشبه ذلك. (100)

ومعنى الكلام: وساء المصيرُ عذابُ النار، بعد الذي كانوا فيه من متاع الدنيا الذي متعتهم فيها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما "المصير"، فإنه "مَفْعِلٌ" من قول القائل: "صرت مصيراً صالحاً"، وهو الموضع الذي يصير إليه الكافر بالله من عذاب النار. (101)

الهوامش:

- (1) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 488 ، 489 .
- (2) رحم الله أبا جعفر ، فهو لا يدع الاحتجاج الصحيح عند كل آية ، ولكن بعض أهل التفسير يتجاوزون ويتساهلون ، فليتهم نهجوا نهجه في الضبط والحفظ والاستدلال .
- (3) ما بين القوسين زيادة لا بد منها .
- (4) الأثر : 1883 - في المطبوعة : "الحسن بن عمرو العبقرى" ، وانظر التعليق على الأثر رقم : 1625 وكذلك مضى في الأثر : 1655 "الحسن" ، وهو خطأ ، نصحه .
- (5) الأثر : 1892 - في المطبوعة : "أبو حميد" ، والصواب ما اثبت ، وهو محمد بن حميد ، وهو كثير ذكره فيما سلف .
- (6) الخبر : 1899 - أبو قتيبة: هو سلم بن قتيبة الشعيري - بفتح الشين المعجمة - الخراساني، وهو ثقة مأمون، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. مترجم في التهذيب، والكبير 2/2/160، وابن أبي حاتم 2/1/1226.
- الحسن بن أبي جعفر الجفري : حسن الحديث ، تكلموا فيه ، ورجحنا تحسين أحاديثه مفصلاً في شرح المسند : 5818 . مترجم في التهذيب ، والكبير 1/2/286 وابن أبي حاتم 1/2/29 . و"الجفري" : بضم الجيم وسكون الفاء ، نسبة إلى "جفرة خالد" بالبصرة . كما في الأنساب واللباب والمشتبه . أيوب : هو السخيتاني ، وفي المطبوعة "عن أبي أيوب" . وهو خطأ . استقينا تصويبه من التراجم . أبو الخليل : هو صالح بن أبي مريم الضبعي ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/290 وابن أبي حاتم 2/1/415 - 416 .
- (7) الخبر : 1901 - مبارك : هو ابن فضالة . وهو من أخص الناس بالحسن البصري . كما قلنا في : 611 .
- (8) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 411 .
- (9) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 411 .
- (10) انظر سيوبه 1 : 223 - 224 .
- (11) في المطبوعة "غير الرجل" .
- (12) الصواب أن يقول : "حق تلاوة الكتاب" ، ولعل الناسخ أخطأ .
- (13) انظر ما سلف في معنى "الخاسر" 1 : 417 ثم هذا الجزء 2 : 166 .
- (14) إن لم يكن قد سقط هنا قوله : "وأعظكم باتباع رسولي .." ، فإن قوله "باتباع رسولي" متعلق بقوله في صدر الخطاب : "اذكروا أيادي لديكم .."

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (15) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 23 - 26 .
(16) في المطبوعة : "ولا هم ينصرهم" ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .
(17) انظر ما سلف في هذا الجزء 2 : 26 - 36 .
(18) انظر ما سلف في الجزء 2 : 48 ، 49 .
(19) السهم في الأصل واحد السهام التي يضرب بها في الميسر ، وهي القداح . ثم سمى ما يفوز به الفالج سهما ، ثم كثر حتى سمى كل نصيب سهما . وقوله هنا يدل على أنهم استعملوه في كل جزء من شيء يتجزأ وهو جملة واحدة . فقوله : "سهما" هنا ، أي خصلة وشعبة . وسيأتي شاهدها في الأخبار الآتية .
(20) سيأتي بيانها في الأثر التالي .
(21) في المطبوعة : "الآيات" ، والصواب ما أثبت .
(22) الخبر 1909- عبد الله بن أحمد بن شيبويه : هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن ثابت بن مسعود بن يزيد ، أبو عبد الرحمن ، عرف بابن شيبويه ، وهو من أئمة الحديث ، كما قال الخطيب . مترجم في تاريخ بغداد 9 : 371 ، وله ترجمة موجزة في ابن أبي حاتم . ووقع في المطبوعة هنا "عبيد الله بن أحمد بن شبرمة" . وهو تحريف وخطأ . صححناه من التاريخ ، ومما سيأتي في التفسير .

علي بن الحسن بن شقيق بن دينار : ثقة ، من شيوخ أحمد ، والبخاري ، وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وفي شرح المسند : 7437 .

وهذا الخبر سيأتي بهذا الإسناد ، في التفسير : 27 : 43 (بولاق) . وكذلك رواه أبو جعفر بهذا الإسناد ، في التاريخ 1 : 144 .

وذكره ابن كثير 1 : 302 ، ونسبه أيضاً لابن أبي حاتم ، والحاكم . وذكره السيوطي 1 : 111-112 ، وزاد نسبه لابن أبي شيبه ، وابن مردويه ، وابن عساکر . وهذا الإسناد صحيح .
(23) الخبر : 1910- وهذا الإسناد صحيح أيضاً .

وهو في تفسير عبد الرزاق (مخطوطة دار الكتب المصورة) ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه أبو جعفر في التاريخ 1 : 144 ، من تفسير عبد الرزاق . بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الحاكم 2 : 266 ، من طريق ابن طاوس عن أبيه ، به . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي .

وذكره ابن كثير 1 : 301 . وكذلك ذكره السيوطي 1 : 111 وزاد نسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(24) الخبر : 1913- مطر : هو ابن طهمان الوراق . وأبو الجلد : بفتح الجيم وسكون اللام ، سبق بيانه : 434 . وفي المطبوعة "أبو الخلد" بالخاء المعجمة بدل الجيم ، وهو تصحيف تكرر فيها كثيرا .

البراجم جمع برجمة (بضم الباء وسكون الراء وضم الجيم) : وهي ظهور القصب من مفاصل الأصابع .

(25) الخبر : 1914- ابن هبيرة : هو عبد الله بن هبيرة السبائي المصري ، وهو ثقة ، وثقه أحمد وغيره ، وخرج له مسلم في الصحيح . حنش ، بفتح الحين وبالشين المعجمة : هو ابن عبد الله السبائي الصنعائي ، من صنعاء دمشق - وهي قرية بالغوطة من دمشق- وهو تابعي ثقة .

وهذا الخبر رواه أيضًا ابن أبي حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلى . عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، بهذا الإسناد - كما في ابن كثير 1 : 302 . وهو إسناد صحيح .

(26) يأتي بيان آيات النسك في الخبرين التاليين .

(27) في المطبوعة : "فذلك كلمة من الكلمات" ، والصواب من ابن كثير 1 : 303 .

(28) في المطبوعة : "محمد بن سعيد" ، وهو خطأ ، وهو إسناد دائر في الطبري ، وانظر رقم : 305 .

(29) الخبر : 1924- هذا الإسناد ضعيف من ناحيتين . أما سلم -بفتح السين وسكون اللام- ابن قتيبة أبو قتيبة : فإنه ثقة ، خرج له البخاري في صحيحه . وأما الضعف ، فلأن "عمر بن نهان الغبري" بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة : ضعيف جدا ، ذمه الإمام أحمد ، وقال ابن معين : ليس بشيء . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3/1/138 . والوجه الآخر من الضعف : أنه منقطع ، لأن قتادة لم يدرك ابن عباس .

(30) الخبران : 1928 ، 1929- أبو إسحاق : هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله الهمداني ، الإمام التابعي الثقة ، التميمي : هو "أريدة" بسكون الراء وكسر الباء الموحدة . ويقال "أريد" بدون هاء . وهو تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/64 ، وابن أبي حاتم 1/1/345 ، وقد عرف بآني راوي التفسير عن ابن عباس . وفي المسند : 2405- في حديث آخر "عن أبي إسحاق ، عن التميمي الذي يحدث التفسير" . لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي .

(31) في المطبوعة : "وأتمهن" بالواو ، والأجود ما أثبت .

(32) الحديث : 1938- إسناده منهار لا تقوم له قائمة . وقد ضعفه الطبري نفسه ، هو والحديث الذي بعده . وقال ابن كثير 1 : 304- بعد إشارته إلى ذلك : "وهو كما قال ، فإنه لا يجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما ، وضعفهما من وجود عديدة ، فإن كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء ، مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

رشدين بن سعد : ضعيف جدا ، وقد فصلنا القول فيه في شرح المسند : 5748 ، و"رشدين" : بكسر الراء وسكون الشين المعجمة وكسر الدال وبعد الياء نون ، ووقع في المطبوعة وفي ابن كثير"راشد" . وهو تصحيف .

زيان بن فائد المصري الحمراوي : ضعيف أيضًا . قال أحمد : "أحاديثه مناكير" ، وضعفه ابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/1/405 ، وابن أبي حاتم 1/2/616 . وقال ابن حبان في كتاب المجروحين (ص : 210 مخطوطة مصور عندي) : "منكر الحديث جدا ، يتفرد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعة" . و"زيان" : بالزاي المعجمة وتشديد الباء الموحدة . ووقع في المطبوعة"زيان" بالراء والتحتية ، وهو تصحيف .

سهل بن معاذ بن أنس الجهني : ضعيف أيضًا ، وضعفه ابن معين . وقال ابن حبان في كتاب المجروحين (ص : 232) : "روى عنه زيان بن فائد ، منكر الحديث جدا . فلست أدري أوقع التخليط في حديثه منه أو من زيان بن فائد؟ فإن كان من أحدهما فالأخبار التي رواها أحدهما ساقطة" .

وهذا الحديث -على ما فيه من ضعف شديد- رواه أحمد في المسند : 15688 (ج 3 ص 439 حلي) . بل إنه روى هذه النسخة ، التي كاد ابن حبان أن يجزم بأنها موضوعة .

(33) الحديث : 1939- وضعفه أيضًا الطبري ووافقه ابن كثير ، كما قلنا في الذي قبله . الحسن بن عطية بن نجيح الكوفي : ثقة ، روى عنه البخاري في الكبير 2/1/299 ، ولم يذكر فيه جرحا ، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة ، وقال أبو حاتم : "صدوق" . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/2/27 . وهو غير"الحسن بن عطية بن سعد العوفي ، السابق ترجمته في : 305 .

إسرائيل : هو ابن يونس بن إسحاق السبيعي ، وهو ثقة ، مضى في : 1291 .

جعفر بن الزبير الحنفي ، أو الباهلي ، الدمشقي ثم البصري : ضعيف جدا . مترجم في التهذيب ، وفي الكبير للبخاري 1/2/191 ، وفي الضعفاء له ، ص : 7 ، وقال : "متروك الحديث ، تركوه" ، وفي ابن أبي حاتم 1/1/479 . وقال ابن حبان في كتاب المجروحين (ص : 142) : "روى عن القاسم مولى معاوية وغيره ، أشياء كأنها موضوعة" . وقال أبو حاتم : "روى جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، نسخة موضوعة ، أكثر من مئة حديث" .

وأما القاسم : فهو ابن عبد الرحمن الشامي ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وقد اختلف فيه ، والراجح أنه ثقة ، وأن ما أنكر عليه إنما جاء من الرواة عنه الضعفاء . وقد بينا ذلك في شرح المسند : 598 ، وما علقنا به على تهذيب السنن للمنذري : 2376 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور 6 : 129 ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وغيرهم ، وقال : "بسند ضعيف" .

(34) وقد نقل ابن كثير في تفسيره 1 : 304 هذه الفقرة من أول قوله "ولو قال قائل" ثم عقب عليه بقوله : "قلت : والذي قاله أولاً : من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر ، أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله . لأن السياق يعطى غير ما قالوه ، والله أعلم" . لم يأت ابن كثير بشيء ، فإن قول الطبري بين ، وهو قاض بأن الصواب هو القول الأول ، وأن هذا الثاني لو قيل كان مذهباً . وهذه كلمة تضعيف لا كلمة تقوية . (35) في المطبوعة : "يعني : وفي بما عهد إليه بالكتاب فأمره به من فرائضه ومحنه فيها" ، وهي عبارة مضطربة لا تستقيم ، وكان الصواب ما أثبتته .

(36) في المطبوعة : "فتقدمهم أنت" ، ليست بشيء .

(37) قوله : "لكان مينا" ، أي لجا ما سأل إبراهيم ربه مينا في الآية .

(38) في المطبوعة : "لما توهم" ، وهي خطأ ، والصواب ما أثبتته ، بالبناء للمجهول .

(39) الخبر : 1951- مشرف بن أبان أبو ثابت الحطاب ، شيخ الطبري : ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد 13 : 224 ، وذكر أنه يروي عن ابن عيينة ، وغيره . مات ببغداد سنة 243 . ولم أجد له ترجمة ولا ذكراً غير ذلك ، و"مشرف" : بوزن "محمد" ، كما نص على أنه الجادة في المشتبه للذهبي ، ص : 484 ، والتبصير للحافظ ابن حجر (مخطوط مصور) .

ووقع في المطبوعة "مسروق" ، وهو خطأ بين ، وقد مضى في : 1383 باسم "بشر بن أبان الحطاب" . وهو خطأ أيضاً . ثم هو سيأتي على الصواب : "مشرف" - في : 2382 .

وأما "الحطاب" ، فهكذا هو الثابت هنا بالحاء المهملة ، وفي تاريخ

بغداد "الخطاب" بالمعجمة . ولم أستطع الترجيح بينهما .

(40) في المطبوعة : "وعادوهم" ، والصواب من الدر المنثور 1 : 118 ، وقوله : "غازوهم" أي كانوا معهم في الغزو وشاركوهم في الغنائم .

(41) الأثر : 1961- يحيى بن جعفر ، هو يحيى بن أبي طالب ، وانظر الأثر رقم : 284 .

(42) سياق هذه الجملة المعترضة : " . . لا ينال من ولد إبراهيم عهد الله . . . من كان منهم ظالماً . . . " .

(43) وسياق هذه الجملة التي اعترضتها الجملة الطويلة السالفة : "وإن كان ظاهره ظاهر خبر . . فهو إعلام من الله . . . " ، وهكذا دأب أبي جعفر رضي الله عنه .

(44) الأثر : 1962- في المطبوعة "عتاب بن بشر" ، وهو خطأ . هو عتاب بن بشير الجزري أبو الحسن ويقال أبو سهل الحراني (تهذيب التهذيب) والتاريخ الكبير للبخاري 4/1/56 .

(45) انظر ما سلف 1 : 523-524 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(46) في المطبوعة : "نظيره" والأرجح ما أثبت .
(47) لم تذكر هذه المصادر في كتب اللغة ، "المثاب ، والمثابة" مصدران
ميميان قياسيان ، فأغفالهما في كتب اللغة غير غريب ، وأما قوله "وثوابا" ،
فهذا إن صح عن الطبري ، فهو جائز في العربية أيضاً ، ولكنهم نصوا على
أن مصدر "ثاب" هو "ثوبانا ، وثوبا ، وثؤوبا" فأخشى أن تكون محرفة عن إحداها
، وأما "الثواب" في المعروف من كتب العربية الاسم من "أثابه يشبه إثابة ، وهو
الثواب" ، وهو المجازاة على الصنيع .
(48) من أبيات طويلة لورقة بن نوفل في البداية والنهاية لابن كثير 2 :
297 ، والبيت في تفسير أبي حيان 1 : 380 ، بهذه الرواية ، وقبل البيت في
ذكر أبينا إبراهيم عليه السلام :

فمتبع دين الذي أسس البنا

وكان له فضل على الناس راجح

وأسس بنيانا بمكة ثابتا

تلاً في بالظلام المصباح

مثابا لأفناء

.....

بنصب "مثابا" بيد أن الشافعي روى هذا البيت في الأم 2 : 120 لورقة بن
نوفل ، وعجزه .

تخب إليه اليعملات الذوامل

وكذلك جاء في القرطبي 2 : 100 ، وعدها أبو حيان رواية في البيت ، وبهذه
الرواية ذكره صاحب اللسان في (ثوب) منسوباً لأبي طالب ، وفي (ذمل) غير
منسوب . والظاهر أن الشافعي رحمه الله أخطأ في رواية البيت . وأخطأ
صاحب اللسان في نسبه ، اشتبه عليه بشعر أبي طالب في قصيدته
المشهوره .

وأفناء القبائل : أخلطهم ونزاعهم من هاهنا وهاهنا . وخبث الدابة تخب خبياً :
وهو ضرب سريع من العدو . واليعملات جمع يعملة وهي الناقة السريعة
المطبوعة على العمل ، اشتق اسمها من العمل ، والعمل الإسراع والعجلة .
والطلائع جمع طليح . ناقة طليح أسفار : جهدها السير وهزلها ، فهي ضامرة
هزلاً . يعني الإبل أنصاها أصحابها في إسراعهم إلى حج البيت . وأما "الذوامل"

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- في الرواية الأخرى ، فهو جمع ذاملة . ناقة ذمول وذاملة : وهي التي تسيير سيرا لنا سريعا .
- (49) الأثر : 1963- ما بين القوسين ساقط من الأصول . وهذا إسناد دائر ، أقربه إلينا رقم : 1946 ، فأتممته على الصواب .
- (50) الخبر : 1971- شيخ الطبري "محمد بن عمارة الأسدي" ، كما مضى في : 645 ، 1511 ، وكما ذكرنا أنه يروى عنه في التاريخ كثيرا . وفي المطبوعة "محمد بن عمار" .
- سهل بن عامر : هو البجلي ، وهو ضعيف جدا ، ترجمه للبخاري في الصغير ، ص : 234 ، وقال : "منكر الحديث ، لا يكتب حديثه" . وترجمه ابن أبي حاتم 2/1/202 وروى عن أبيه قال : "هو ضعيف الحديث ، روى أحاديث بواطيل! أدركته بالكوفة ، وكان يفتعل الحديث" . وترجم في لسان الميزان 3 : 119-120 ، ووقع اسم أبيه في التاريخ الصغير "عمار" ، وهو خطأ ناسخ أو طابع .
- (51) الخبران : 1972-1973- أبو الهذيل : هو غالب بن الهذيل الأودي ، يروي عن أنس ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 4/1/99 ، وابن أبي حاتم 3/2/47 . وسيأتي باسمه في الخبر بعدهما .
- (52) الخبر : 1974- غالب : هو أبو الهذيل في الخبرين قبله . مسعر ، بكسر الميم وسكون السين وفتح العين : هو ابن كدام -بكسر الكاف وتخفيف الدال- وهو أحد الأعلام . الثقات .
- (53) كان في المطبوعة : "قراء" في هذه المواضع ، فرددتها إلى ما جرى عليه الطبري في الأجزاء السالفة .
- (54) الأحاديث : 1985-1987 ، هي حديث واحد بأربعة أسانيد صحاح . وهو مختصر من حديث مطول ، رواه أحمد في المسند : 157 ، 160 ، 250 ، عن هشيم ، وعن ابن أبي عدي ، وعن يحيى - ثلاثتهم ، عن حميد ، عن أنس . ورواه البخاري أيضًا ، عن مسدد ، عن يحيى . كما ذكره ابن كثير 1 : 309-310 ، من رواية البخاري وأحمد ، ثم ذكر أنه رواه أيضًا الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : "حسن صحيح" .
- (55) كان في المطبوعة : "كما حدثنا الربيع بن أنس" ، وهو خطأ ، فزدت "عن" بين القوسين ، فبين أبي جعفر الطبري والربيع بن أنس دهر طويل . وانظر التعليق التالي .
- (56) الأثر : 1988- هو جزء من الأثر السالف رقم : 1922 وهو "عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس" ، فزدت ما بين الأقواس ، ليستقيم الكلام . وسيأتي أيضًا برقم : 2001 ولكنني وضعت هذه النقط في الموضوع السالف ، لأنني أخشى أن يكون في الكلام سقط . وذلك أنه بدأ فقال : إن الأمر بهذه الآية على قول هذا البصري - لليهود من بني إسرائيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عقب عليه بقوله : "فأمرهم أن يتخذوا مقام إبراهيم مصلى ، فهم يصلون خلف المقام" . ولست أعلم أن اليهود الذي كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون في البيت الحرام خلف المقام ، فلذلك وضعت هذه النقط ، لأنني أرجح أنه قد سقط

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

من كلام الطبري في هذا الموضوع ما يستقيم به هذا الكلام . ولم أجد في الكتب التي تنقل عن تفسير الطبري ما يهدي إلى صواب هذه العبارة .

والذي استظهره أن يكون سقط من هذا الموضوع ، توجيه الأمر في هذه الآية إلى إبراهيم وذريته من ولد إسماعيل ، فيكون الضمير في قوله : "فأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، فهم يصلون خلف المقام" إلى ذرية إبراهيم من ولد إسماعيل ، وهم العرب من أهل دين إسماعيل ، وبقياتهم من أهل الجاهلية ، الذين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليقمهم على الحنيفية ملة إبراهيم ، وهي الإسلام .

(57) الزيادة التي بين القوسين ، لا بد منها ، وإلا لم يكن بين هذا القول والذي يليه فرق . ويعني البصري في هذا التأويل أن العطف على جملة "وإذ جعلنا" ، فتكون "إذ" مضمرة في قوله تعالى : "واتخذوا" .

(58) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 77 وهو تأويله .

(59) الحديث : 1989- عمرو بن علي : هو الفلاس ، من كبار الحفاظ الثقات ، روى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم . وشيخه يحيى بن سعيد : هو القطان الإمام .

والحديث جزء من حديث جابر -الطويل- في الحج كما سنذكر في : 2003 ، إن شاء الله .

(60) الحديث : 1999- هو قطعة من الحديث الآتي : 2056 . وسخرجه هناك ،

إن شاء الله . وشيخ الطبري هنا "ابن سنان القزاز" : هو "محمد بن سنان" ،

مضت ترجمته في : 157 . وفي المطبوعة "سنان" بحذف "ابن" ، وهو خطأ .

(61) في المطبوعة : "مما تكلفته" ، والصواب من تفسير ابن كثير 1 : 311 .

(62) في المطبوعة : "أصابه فيها" ، والصواب من تفسير ابن كثير . خلق

الشيء وأخلق وأخلوق : بلى .

(63) الأثر : 2001- هو الأثر السالف : 1988 ، وانظر التعليق عليه .

(64) كان في المطبوعة "حدثني يونس" ، وهو خطأ محض بل هو إسناده الدائر

في التفسير - إلى السدي ، وأقره رقم : 1980 .

(65) انظر ما سلف رقم : 1985- 1987 .

(66) الحديث : 2003- يوسف بن سلمان ، شيخ الطبري : هو أبو عمر الباهلي

البصري ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 4/2/223- 224 . وفي

المطبوعة "سليمان" بدل "سلمان" ، وهو خطأ .

حاتم بن إسماعيل المدني : ثقة مأمون كثير الحديث ، أخرج له الجماعة .

مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2/1/72 ، وابن أبي حاتم 1/2/258-

259 ، وابن سعد 5 : 314 .

جعفر بن محمد : هو جعفر الصادق ، بن محمد بن علي بن الحسين بن علي

بن أبي طالب . وهو ثقة صادق مأمون ، من سادات أهل البيت فقها وعلماء

وفضلاء . وإنما يكذب عليه الشيعة الروافض . أما رواية الثقات عنه فصحيحة .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهذا الحديث قطعة من حديث جابر -الطويل- في صفة حجة الوداع . وقد مضت قطعة منه : 1989 ، من رواية يحيى بن سعيد القطان ، عن جعفر الصادق .

وستأتي قطعة منه ، بهذا الإسناد : 2365 .

والحديث بطوله -رواه الإمام أحمد في المسند : 14492 (ج 3 ص 320-321 حلبى) عن يحيى القطان ، عن جعفر .

ورواه مسلم في صحيحه 1 : 346-347 ، عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه -كلاهما عن حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر الصادق ، به .
(67) انظر تفسير"الظاهر والباطن" فيما سلف 2 : 15 ، واطلبه في الفهارس .
(68) الزيادة بين القوسين لا بد منها .
(69) انظر ما سلف 1 : 242-243 .

(70) في المطبوعة : "قد كان لكل واحد من الوجهين" ، وهو كلام هالك .
(71) الريب هنا : الشر والخوف من قولهم : رابني أمره ، أي أدخل علي شرا وخوفا ، وكان ذلك مردود إلى قوله تعالى : "مثابة للناس وأمنا" .
(72) هذه الزيادة ، من تفسير ابن كثير 1 : 315 .

(73) قال ابن كثير في تفسيره 1 : 314-315 ، بعد أن ساق هذا الوجه ، وهذا الأثر : "قلت : وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام ، ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم" .

(74) الغربية والغرب (بفتح فسكون) : النوى والبعد . يعني من أتاه من مكان بعيد .

(75) ديوانه : 63 من أبيات قالها لزرعة بن عامر العامري . حين بعثت بنو عامر إلى حصن بن حذيفة وابنه عيينة بن حصن : أن اقطعوا حلف ما بينكم وبين بني أسد ، وألحقوهم ببني كنانة ، ونحالفكم ونحن بنو أبيكم . وكان عيينة هم بذلك ، فقالت بنو ذبيان : أخرجوا من فيكم من الحلفاء ، ونخرج من فينا! فأبوا ، فقال النابغة :

ليهن بني ذبيان أن بلادهم

خلت لهم من كل مولى وتابع

سوى أسد، يحمونها كل شارق

بألفي كمي، ذي سلاح، ودارع

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم مدح بني أسد ، و ذم بني عبس ، وتنقص بني سهم ومالك من غطفان
وعبد بن سعد بن ذبيان ، وهجاهم بهذا البيت الذي استشهد به الطبري ،
ورواية الديوان "قعودا" ، و"يثمدونها" ، والضمير للأبيات .

وقوله : "يثمدونهم" أصله من قولهم : "ثم الماء يثمده ثمدا" ، نبث عنه
التراب ليخرج . وماء مثمود : كثر عليه الناس حتى فني ونفذ إلا أقله . وأخذوا
منه : "رجل مثمود" ، إذا ألح الناس عليه في السؤال ، فأعطى حتى نفذ ما
عنده . يقول : يظل بنو سعد ومالك لدى أبيات عبد بن سعد يستنزفون
أموالهم . يصفهم بالخسة وسقوط الهمة . ومن روى : "يثمدونها" وأعاد الضمير
إلى "أبياتهم" ، فهو مثله ، في أنهم يلزمون بيوتهم ويستزرقونها ، يهزأ بهم .

والكوانع جمع كانع : وهو الخاضع الذي تدانى وتصاغر وتقارب بعضه من بعض
، كأنه يتقبض من ذلته . يصفهم بالخسة والطمع والسؤال الذليل . وقوله :
"رمى الله" يعني أصابها بما يستأصلها ، ورواية الديوان : "في تلك الأنوف" ،
فمعناه : رمى فيها بالجدع ، وهو دعاء عليهم ، واشتمزاز من حقارتهم .
(76) مما استظهرته من أمر هذا الجمع ، جمع فاعل على فعول : أن كل
فعل ثلاثي جاء مصدره على "فعول" بضم الفاء ، فجمع "فاعل" منه
على "فعول" ، كهذه الأمثلة التي ذكرت هنا ، وكل ما سواها مما قيده كتب
اللغة ، ومما هو منثور في الشعر .

(77) انظر ما سلف 1 : 574-575 ، ثم 2 : 103-105 ، 519 .
(78) في المطبوعة : "وانتقال" مكان "وائتفاك" ، وذاك لفظ بلا معنى هنا وبلا
دلالة . والائتفاك الانقلاب ، وهو عذاب الله الشديد الذي أنزله بقوم لوط ،
فقال سبحانه في سورة هود : "فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها" ، وهذا
هو الائتفاك ، ائتفكت بهم الأرض : أي انقلبت فصار عاليها سافلها ، فسمى
الله هذه القرى ، قرى لوط "المؤتفكات" في سورة التوبة : 70 ، وفي سورة
الحاقة : 9 ، وقال في سورة النجم : 52-53 "والمؤتفكة أهوى فغشاهما ما
غشى"

(79) الحديث : 2027- هذا مختصر من حديث صحيح مطول :

فرواه أحمد في المسند : 16448 (ج 4 ص 32 حلي) ، عن يعقوب بن
إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، بهذا الإسناد .

ورواية ابن إسحاق ثابتة أيضًا -مطولة- في سيرة ابن هشام 4 : 57-58 (حلي)
، و 823-824 أوربة ، 2 : 277-278 (من الروض الأنف) .

ورواه أيضًا ، بنحوه ، أحمد : 16444 (ج 4 ص 31) ، والبخاري 1 : 176-
177 ، و 4 : 35-39 (فتح) ، ومسلم 1 : 383-384 كلهم من طريق الليث بن
سعد ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شريح .

وقوله في الحديث : "أو يعضد بها شجرا" ، أي يقطعه ، يقال "عضد الشجر" ،
من باب "ضرب" قطعه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله : "غضبا على أهلها" : هذا هو الصحيح الثابت في رواية ابن إسحاق ، في المسند ، وسيرة ابن هشام ، وفي المطبوعة : "عصى على أهلها" . وهو تصحيف .

(80) الحديث : 2028- هذا الحديث رواه الطبري بإسنادين ، عن ثلاثة شيوخ : فرواه عن أبي كريب محمد بن العلاء ، عن عبد الرحيم بن سليمان الرازي . ثم رواه عن ابن حميد - وهو محمد بن حميد الرازي ، وعن ابن وكيع - وهو سفيان بن وكيع ، كلاهما : أعني ابن حميد وابن وكيع ، عن جرير بن عبد الحميد الضبي . ثم يجتمع الإسنادان : فيرويه عبد الرحيم بن سليمان وجرير بن عبد الحميد جميعا عن يزيد بن أبي زياد" .

وهذه الأسانيد ظاهرها الصحة ، وإن كان سفيان بن وكيع ضعيفا ، كما بينا في : 1692- فإن الطبري لم يفرد بالرواية عنه ، بل قرن به محمد الرازي ، وهو ثقة - إلا أن في الحديث انقطاعا ، بين مجاهد وابن عباس . وقد سمع مجاهد من ابن عباس حديثا كثيرا ، ولكن هذا الحديث بعينه رواه "عن طاوس عن ابن عباس" .

"يزيد بن أبي زياد الكوفي مولى بني هاشم" : صدوق ، في حفظه شيء بعد ما كبر ، قال ابن سعد 6 : 237 "كان ثقة في نفسه ، إلا أنه اختلط في آخر عمره ، فجاء بالعجائب" . وقال يعقوب بن سفيان : "وبزيد - وإن كانوا يتكلمون فيه لتغييره- فهو على العدالة والثقة ، وإن لم يكن مثل الحكم ومنصور" . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/334 ، وابن أبي حاتم 4/2/265 . فلعله وهم في حذف "طاوس" بين مجاهد وابن عباس .

والحديث في ذاته صحيح .

فرواه أحمد بنحوه مطولا : 2353 ، 2898 ، من طريق منصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس .

وكذلك رواه البخاري 4 : 40-42 ، ومسلم 1 : 383 ، من طريق منصور .

ومنصور بن المعتمر : سبق توثيقه 177 . وهو أثبت حفظا من مئة مثل يزيد بن أبي زياد . بل قال يحيى القطان : "ما أحد أثبت عن مجاهد وإبراهيم - من منصور" . وقدمه الأئمة -في الحفظ- على الأعمش والحكم .

بل إن هذا الحديث نفسه : ذكر الحافظ في الفتح أنه رواه الأعمش عن مجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم - مرسلا ، يعني بحذف طاوس وابن عباس ، ثم قال : "ومنصور ثقة حافظ ، فالحكم لوصله" . أي أن هذه الزيادة زيادة ثقة ، يجب قبولها والحكم لها بالترجيح .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله في هذه الرواية : "ووضع هذين الأخشبين" . هذه الزيادة لم أجدها في شيء من الروايات الأخر . و"الأخشبان" ، بلفظ التثنية : هما جبلا مكة المطيفان بها . انظر النهاية لابن الأثير ، ومعجم البلدان لياقوت .
(81) الحديث : 2029- إسناده صحيح . عبد الرحمن بن مهدي : هو الإمام الحافظ العلم . سفيان : هو الثوري .

أبو الزبير : هو المكي ، محمد بن مسلم بن تدرس ، تابعي ثقة . أخرج له الجماعة . جابر : هو ابن عبد الله ، الصحابي المشهور .

والحديث رواه مسلم 1 : 385 ، بنحوه ، من طريق محمد بن عبد الله الأسدي ، عن سفيان ، بهذا الإسناد . بلفظ "إن إبراهيم حرم مكة" إلخ .

ونقله ابن كثير 1 : 316 ، وقال : "وهكذا رواه النسائي ، عن محمد بن بشار بن دار ، به" . و"بندار" : لقب محمد بن بشار .

اللابتان : هما الحرتان بجانبى المدينة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها .

العضاه ، بكسر العين وتخفيف الضاد المعجمة وآخره هاء : كل شجر عظيم له شوك .

(82) الحديث : 2030- أبو السائب : هو مسلم بن جنادة ، مضت ترجمته : 48 . ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودي . سبقت ترجمته في : 438 .

عبد الرحيم الرازي : هو عبد الرحيم بن سليمان الرازي الأشل الكناني - الذي مضت له رواية في الحديث 2028- وهو ثقة كثير الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 2/2/239 .

أشعث : هو ابن سوار الكندي ، ضعفه بعضهم ، ووثقه آخرون . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند : 661 . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/430 ، وابن أبي حاتم 1/1/271-272 .

نافع : هو مولى ابن عمر ، الثقة الثبت الحجة .

وقد كان هذا الإسناد : مغلوطا في المطبوعة هكذا : "حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا حدثنا عبد الرحيم الرازي : سمعت أشعث . . . " نقص منه "ابن إدريس" . فكان ظاهره أن أبا كريب وأبا السائب رواه عن عبد الرحيم الرازي عن أشعث . والصواب ما أثبتناه ، نقلا عن ابن كثير 1 : 316 ، عن هذا الموضع من الطبري .

فصحة الإسناد : أنه يرويه الطبري عن أبي كريب وأبي السائب . كلاهما عن عبد الله بن إدريس ، ثم يرويه الطبري عن أبي كريب وحده ، عن عبد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الرحيم الرازي - وأن عبد الله بن إدريس وعبد الرحيم الرازي سمعاه جميعاً من أشعث .

وهذا الحديث من هذا الوجه ، قال فيه ابن كثير : "وهذه الطريق غريبة ، ليست في شيء من الكتب الستة" . وأزيد عليه : أني لم أجدتها في المسند أيضاً ، ولا في غيره مما استطعت الرجوع إليه من المراجع .

ثم أشار ابن كثير إلى أن أصل معناه ثابت عن أبي هريرة ، من وجه آخر ، في صحيح مسلم . وهو حديث مالك في الموطأ ، ص : 885 ، عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة : "كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مدنا . اللهم إن إبراهيم عبدك وخليك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة ، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ، ومثله معه" . وهو في صحيح مسلم 1 : 387 ، عن قتبية ، عن مالك .

(83) الحديث : 2031- بكر من مضر بن محمد بن حكيم المصري : ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/95 ، وابن أبي حاتم 1/1/392-393 ، وتذكرة الحفاظ ، وقال : "الإمام المحدث الصادق العابد" .

ابن الهاد : هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي المدني . وهو ثقة كثير الحديث ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/344 ، وابن أبي حاتم 4/2/275 . أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري : تابعي ثقة حجة ، لا يسأل عن مثله .

عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : تابعي ثقة ، وكان شريفاً جواداً ممدحاً . جده لأمه : عبد الله بن عمر بن الخطاب .

والحديث رواه مسلم في صحيحه 1 : 385 ، عن قتبية بن سعيد ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير 1 : 316 ، وقال : "انفرد بإخراجه مسلم" . يعني دون البخاري .

(84) سياق هذه الجملة المعترضة : "بعد أن كانت ممنوعة . . . ، ومحرمة . . . ، وسياق الجملة التي دخلها الاعتراض : "فصارت مكة . . . فرض تحريمها . . . وواجب على عباده . . ."

(85) كلاًه الله يكلؤه كلاء (بفتح فسكون) وكلاً (بكسر فسكون) وكلاءة (بكسر الكاف) : حرسه وحفظه . وكان في المطبوعة "الكلاء" بهمزة مفردة مع المد ، وليس صواباً . هذا ، وسياق العبارة : "لأن فرض تحريمها . . . كان عن مسألة إبراهيم ربه" .

(86) ما بين القوسين زيادة لا بد منها حتى يستقيم الكلام .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(87) في الأصول : "وقول إبراهيم" ، والصواب زيادة "أما" كما يدل عليه السياق .

(88) وفيها : "إن يكن قال قبل إيجاب الله" . والصواب ما أثبت .

(89) وفيها : "وكلاؤه" ، والصواب ما أثبت ، وانظر التعليق السالف رقم : 1 .

(90) الترجمة : هي عطف البيان أو البدل عند الكوفيين ، كما سلف 2 : 340 ، 420 .

(91) يعني أن إبراهيم قال ذلك ، وصرف الدعوة : "انقطاعا إلى الله . . . "

(92) في المطبوعة : "أنه كان منهم ظالم . . ." والصواب ما أثبت من تفسير

ابن كثير . قوله : "بخبره عن ذلك . . ." سياقه ، أنه : عدل الدعوة عمن أبي

. . . بخبر الله عن ذلك حين أخبره . وفي المطبوعة : "فقال الله . . ." ، والفاء

مفسدة للسياق ، فإنه : "لما قال إبراهيم . . . وعدل الدعوة . . . قال الله . . ." .

(93) الأثر : 2034- في تفسير ابن كثير 1 : 319 ، وفيه اختلاف في بعض

اللفظ ، ولم أجده في سيرة ابن هشام .

(94) هذا رسم القراءة {فأتمعه قليلا ثم اضطره} ، على أنهما فعلا أمر ،

يراد بهما الدعاء والسؤال .

(95) الأثر : 2036- كان ينبغي أن يقدم هذا الأثر على ذكر هذه القراءة التي

سوف يردّها الطبري . وبين من نقل ابن كثير عن الطبري أن موقعه قبل

الأثر رقم : 2034 ، وسيأتي في كلام الطبري بعد قليل ما يقطع بأن هذا

الخبر عن مجاهد ، بمعزل عن هذه القراءة . فأخشى أن يكون الناسخ قد

أسقط الخبر عند النسخ ، ثم عاد فوضعه هنا حين انتبه إلى أنه قد أسقطه

. وكدت أردّه إلى مكانه ، ولكنني آثرت تركه على حاله مع التنبيه على الخطأ

، وفصلته عن الذي قبله بالنجوم الفاصلة .

(96) انظر تفسير "المتاع" فيما سلف 1 : 539-541 .

(97) انظر الأثر : رقم : 2036 ، والتعليق عليه .

(98) ما أحسن ما قال أبو جعفر فإن أكثر الكلام ، يحتمل وجوها ، ولكن

سياق المعاني وترباطها يوجب معنى واحدا مما يحتمله الكلام . وهذا ما يعنيه

بقوله : "دليل ظاهر الكلام" . وانظر تفسير "الظاهر" فيما سلف 2 : 15 والمراجع

قبله وبعده .

(99) قال أبو جعفر في تفسير هذه الآية (27 : 13-14 ، بولاق) : "يدفعون

بإرهاق وإزعاج . يقال منه . دععت في قفاه : إذا دفعت فيه" .

(100) انظر ما سلف 2 : 338-340 .

(101) يريد الطبري أنه المنزل الذي ينتهي إليه ، من قولهم : "أين

مصيركم؟" ، أي منزلكم . والمصير : العاقبة وما يصير إليه الشيء .

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا

"، وقالت اليهود لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المؤمنين: كونوا

هودا تهتدوا؛ وقالت النصارى لهم: كونوا نصارى تهتدوا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تعني بقولها: " تهتدوا "، أي تصيبوا طريق الحق، (1) . كما:-

2090- حدثنا أبو كريب قال: حدثنا يونس بن بكير - وحدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة - جميعا، عن ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى < 102-3 > زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن سوريا الأعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الهدى إلا ما نحن عليه! فاتبعنا يا محمد تهتدا! وقالت النصرى مثل ذلك. فأنزل الله عز وجل فيهم: " وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين " . (2)

قال أبو جعفر: احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ حجة وأوجزها وأكملها، وعلمها محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، قل - للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: " كونوا هودا أو نصارى تهتدوا " :- بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتبه (3) وأمر به - فإن دينه كان الحنيفية المسلمة- وندع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا. فإن ذلك -على اختلافه- لا سبيل لنا على الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم.

وفي نصب قوله: بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أوجه ثلاثة. أحدها: أن يوجه معنى قوله: " وقالوا كونوا هودا أو نصارى "، إلى معنى: وقالوا اتبعوا اليهودية والنصرانية. لأنهم إذ قالوا: " كونوا هودا أو نصارى "، إلى اليهودية والنصرانية دعوهم، ثم يعطف على ذلك المعنى بالملة. فيكون معنى الكلام حينئذ: قل يا محمد، لا نتبع اليهودية والنصرانية، ولا نتخذها ملة، بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا، ثم يحذف " نتبع " الثانية، ويعطف ب " الملة " على إعراب اليهودية والنصرانية.

والآخر: أن يكون نصبه بفعل مضمرب بمعنى " نتبع "

والثالث: أن يكون أريد: بل نكون أصحاب ملة إبراهيم، أو أهل ملة < 103-3 > إبراهيم. ثم حذف " الأهل " و " الأصحاب "، وأقيمت " الملة " مقامهم، إذ كانت مؤدية عن معنى الكلام، (4) كما قال الشاعر: (5)

حسبت بغام راحلتي عناقا!

وما هي، وبب غيرك، بالعناق (6)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني: صوت عناق, فتكون " الملة " حينئذ منصوبة، عطفا في الإعراب على " اليهود والنصارى " .

وقد يجوز أن يكون منصوبا على وجه الإغراء, باتباع ملة إبراهيم. (7)

وقرأ بعض القراء ذلك رفعا, فتأويله - على قراءة من قرأ رفعا: بل الهدى ملة إبراهيم.

< 3-104 >
القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)

قال أبو جعفر: و " الملة "، الدين

وأما " الحنيف "، فإنه المستقيم من كل شيء. وقد قيل: إن الرجل الذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى، إنما قيل له " أحنف "، نظرا له إلى السلامة، كما قيل للمهلكة من البلاد " المفازة "، بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة، وكما قيل للديغ: " السليم "، تفاؤلا له بالسلامة من الهلاك، وما أشبه ذلك.

فمعنى الكلام إذا: قل يا محمد، بل نتبع ملة إبراهيم مستقيما.

فيكون " الحنيف " حينئذ حالا من " إبراهيم "

وأما أهل التأويل فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك. فقال بعضهم: " الحنيف " الحاج. وقيل: إنما سمي دين إبراهيم الإسلام " الحنيفية "، لأنه أول إمام لزم العباد-الذين كانوا في عصره، والذين جاءوا بعده إلى يوم القيامة-اتباعه في

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مناسك الحج، والالتزام به فيه. قالوا: فكل من حج البيت فنسك مناسك إبراهيم على ملته، فهو "حنيف"، مسلم على دين إبراهيم.

ذكر من قال ذلك:

2091- حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا القاسم بن الفضل، عن كثير أبي سهل، قال: سألت الحسن عن "الحنيفية"، قال: حج البيت.

2092- حدثني محمد بن عبادة الأسدي قال: حدثنا عبد الله بن موسى > 3-105 < قال: أخبرنا فضيل، عن عطية في قوله: "حنيفا" قال الحنيف: الحاج. (8)

2093- حدثني الحسين بن علي الصدائي قال: حدثنا أبي، عن الفضيل، عن عطية مثله. (9)

> 3-106 <

2094- حدثنا ابن حميد قال: حدثنا حكام بن سلم، (10) عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد قال: الحنيف الحاج.

2095- حدثني الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن التيمي، عن كثير بن زياد قال: سألت الحسن عن "الحنيفية"، قال: هو حج هذا البيت.

قال ابن التيمي: وأخبرني جوير، عن الضحاك بن مزاحم، مثله. (11)

2096- حدثنا ابن بشار قال: حدثنا ابن مهدي قال: حدثنا سفيان، عن السدي، عن مجاهد: "حنفاء" قال: حجاجا. (12)

2097- حدثني المثنى قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: "حنيفا" قال: حجاجا.

2098- حدثت عن وكيع، عن فضيل بن غزوان، عن عبد الله بن القاسم قال: كان الناس من مضر يحجون البيت في الجاهلية يسمون "حنفاء"، فأنزل الله تعالى ذكره حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ . [سورة الحج: 31]

وقال آخرون: "الحنيف"، المتبع، كما وصفنا قبل، من قول الذين قالوا: إن معناه: الاستقامة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر من قال ذلك:

2099- حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا سفيان, > 3-
107 < عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: " حنفاء " قال: متبعين.

وقال آخرون: إنما سمي دين إبراهيم " الحنيفية ", لأنه أول إمام سن للعباد
الختان, فاتبعه من بعده عليه. قالوا: فكل من اختن على سبيل اختن إبراهيم,
فهو على ما كان عليه إبراهيم من الإسلام, فهو " حنيف " على ملة إبراهيم. (13)

وقال آخرون: " بل ملة إبراهيم حنيفا ", بل ملة إبراهيم مخلصا. " فالحنيف "

على قولهم: المخلص دينه لله وحده.

ذكر من قال ذلك:

2100- حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا
أسباط, عن السدي: وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا , يقول: مخلصا.

وقال آخرون: بل " الحنيفية " الإسلام. فكل من ائتم بإبراهيم في ملته فاستقام
عليها, فهو " حنيف ".

قال أبو جعفر: " الحنف " عندي, هو الاستقامة على دين إبراهيم, واتباعه على
ملته. (14). وذلك أن الحنيفية لو كانت حج البيت, لوجب أن يكون الذين كانوا
يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء. وقد نفى الله أن يكون ذلك
تحنفا بقوله: وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [سورة آل
عمران: 67]

فكذلك القول في الختان. لأن " الحنيفية " لو كانت هي الختان, لوجب أن
يكون اليهود حنفاء. وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا
وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا [سورة آل عمران: 67].

< 3-108 >

فقد صحَّ إِذَا أن " الحنيفية " ليست الختان وحده, ولا حجَّ البيت وحده, ولكنه
هو ما وصفنا: من الاستقامة على ملة إبراهيم, واتباعه عليها, والالتزام به
فيها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن قال قائل: أوما كان مَنْ كان من قبل إبراهيم صلى الله عليه وسلم، من الأنبياء وأتباعهم، مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامة إبراهيم وأتباعه؟

قيل: بلى.

فإن قال: فكيف أضيف " الحنيفة " إلى إبراهيم وأتباعه على ملته خاصة، دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم؟

قيل: إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متبعا طاعة الله، ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة، كالذي فعل من ذلك بإبراهيم، فجعله إمامًا فيما بينه من مناسك الحج والختان، وغير ذلك من شرائع الإسلام، تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة. وجعل ما سب من ذلك علمًا مميّزًا بين مؤمني عباده وكفارهم، والمطيع منهم له والعاصي. فسُمِّي الحنيفُ من الناس " حنيفًا " باتباعه ملته، واستقامته على هديه ومنهاجه، وسُمِّي الضالُّ من ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: " يهودي، نصراني، ومجوسي"، وغير ذلك من صنوف الملل

وأما قوله: " وما كان من المشركين "، يقول: إنه لم يكن ممن يدين بعبادة الأوثان والأصنام، ولا كان من اليهود ولا من النصارى، بل كان حنيفًا مسلمًا.

< 3-109 >

القول في تأويل قوله تعالى : قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: " قولوا " -أيها المؤمنون، لهؤلاء اليهود والنصارى، الذين قالوا لكم: كُفُّوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا -: "أما"، أي صدقنا بالله .

وقد دللنا فيما مضى أن معنى " الإيمان "، التصديق، بما أغنى عن إعادته. (15)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

" وما أنزل إلينا "، يقول أيضًا: صدّقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم، إذ كانوا متبّعيه، ومأمورين منهيين به. فكان - وإن كان تنزيلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمعنى التنزيل إليهم، للذي لهم فيه من المعاني التي وصفتُ

ويعني بقوله: " وما أنزل إلى إبراهيم "، صدّقنا أيضًا وآمنا بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وهم الأنبياء من ولد يعقوب.

وقوله: " وما أوتي موسى وعيسى "، يعني: وآمنا أيضًا بالتوراة التي آتاه الله موسى، وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى، والكتب التي آتى النبيين كلهم، وأقرنا وصدّقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله، وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى، يُصدّق بعضهم بعضًا، على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله، والعمل بطاعته، " لا تُفَرِّق بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ "، يقول: لا > 110-3 < نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض، ونتبرأ من بعض ونتولى بعضًا، كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرت بغيرهما من الأنبياء، وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت بغيره من الأنبياء، بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه، بعثوا بالحق والهدى.

وأما قوله: " ونحن له مُسلمون "، فإنه يعني تعالى ذكره: ونحن له خاضعون بالطاعة، مذعنون له بالعبودية. (16)

فذكر أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لليهود، فكفروا بعيسى ومن يؤمن به، كما:-

2101- حدثنا أبو كريب قال: حدثنا يونس بن بكير قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولي زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرّج يهود، فيهم أبو ياسر بن أخطب، (17) ورافع بن أبي رافع، وعازر، وخالد، وزيد، وأزار بن أبي أزار، وأشيع، فسألوه عن يؤمن به من الرسل فقال: أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَلَمَّا ذَكَرَ عِيسَى جَدُّوًا نَبُوْتَهُ، وَقَالُوا: لَا نُؤْمِنُ بِعِيسَى، وَلَا نُؤْمِنُ بِمَنْ آمَنَ بِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُضُونَ مِيثَاقَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (18) [سورة المائدة: 59]

< 3-111 >

2102- حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر نحوه - إلا أنه قال: " ونافع بن أبي نافع " مكان " رافع بن أبي رافع " (19) .

وقال قتادة: أنزلت هذه الآية، أمراً من الله تعالى ذكره للمؤمنين بتصديق رُسله كلهم.

2103- حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ " إلى قوله: " وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسوله كلهم، ولا يفرقوا بين أحد منهم.

وأما " الأسباط " الذين ذكرهم، فهم اثنا عشر رجلاً من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وُلد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا " أسباطاً " (20) . كما:-

2104- حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: الأسباط، يوسف وإخوته، بنو يعقوب. ولد اثني عشر رجلاً فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا: " أسباطاً " .

2105- حدثني موسى قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط، عن السدي: أما الأسباط، فهم بنو يعقوب: يوسف، وبنيامين، وروبييل، < 3-112 > ويهوذا، وشمعون، ولاوي، ودان، وقهاث. (21) .

2106- حدثني المثني قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: " الأسباط " يوسف وإخوته بنو يعقوب، اثنا عشر رجلاً فولد لكل رجل منهم أمة من الناس، فسموا " الأسباط " .

2107- حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق قال (22) نكح يعقوب بن إسحاق -وهو إسرائيل- ابنة خاله " ليا " ابنة " ليان بن توبيل بن إلياس "، (23) فولدت له " روبيل بن يعقوب "، (24) وكان أكبر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولده، و "شمعون بن يعقوب"، و "لاوي بن يعقوب" و "يهودا بن يعقوب" و "ريالون بن يعقوب"، (25) و "يشجر بن يعقوب"، (26) و "دينة بنت يعقوب"، ثم توفيت "ليا بنت ليان"، (27) فخلف يعقوب على أختها "راحيل بنت ليان بن توبيل بن إلياس" (28) فولدت له "يوسف بن يعقوب" و "بنيامين" -وهو بالعربية أسد- وولد له من سُرَّتَيْن له: اسم إحداهما "زلفة"، واسم الأخرى "بلهية"، (29) أربعة < 3-113 > نفر: "دان بن يعقوب"، و "تفالي بن يعقوب" و "جاد بن يعقوب"، و "إشرب بن يعقوب" (30) فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا نشر الله منهم اثني عشر سبطا، لا يُحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله، يقول الله تعالى: وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ سَبْطًا مِمَّا . [سورة الأعراف: 160]

القول في تأويل قوله تعالى : فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به"، فإن صدق اليهود والنصارى بالله، وما أنزل إليكم، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، وأقروا بذلك، مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم، فقد وُفِّقوا ورشِدوا، ولزموا طريق الحق، واهتدوا، وهم حينئذ منكم وأنتم منهم، بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك.

فدلّ تعالى ذكره بهذه الآية، على أنه لم يقبل من أحد عملا إلا بالإيمان بهذه المعاني التي عدّها قبلها، كما:-

2108- حدثنا المثنى قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: "فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا" ونحو هذا، قال: أخبر الله سبحانه أنّ الإيمان هو العروة الوثقى، وأنه لا يقبل عملا إلا به، ولا تحزم الجنة إلا على من تركه.

< 3-114 >

وقد روي عن ابن عباس في ذلك قراءة، جاءت مصاحف المسلمين بخلافها، وأجمعت قرأة القرآن على تركها. وذلك ما:-

2109- حدثنا به محمد بن المثنى قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن أبي حمزة، قال: قال ابن عباس: لا تقولوا: "فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا" -فإنه ليس له مثل- ولكن قولوا: "فإن آمنوا بالذي آمنتم به فقد اهتدوا" -أو قال: "فإن آمنوا بما آمنتم به".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فكان ابن عباس -في هذه الرواية إن كانت صحيحة عنه- يوجّه تأويل قراءة من قرأ: "فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به"، فإن آمنوا بمثل الله، وبمثل ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل. وذلك إذا صرف إلي هذا الوجه، بشرك لا شك بالله العظيم. لأنه لا مثل لله تعالى ذكره، فنؤمن أو نكفر به.

ولكن تأويل ذلك على غير المعنى الذي وجّه إليه تأويله. وإنما معناه ما وصفنا، وهو: فإن صدّقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به -من جميع ما عدنا عليكم من كتب الله وأنبيائه- فقد اهتدوا. فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء. كقول القائل: "مرّ عمرو بأخيك مثل ما مررتُ به"، يعني بذلك مرّ عمرو بأخيك مثل مُروري به. والتمثيل إنما دخل تمثيلاً بين المرورين، لا بين عمرو وبين المتكلم. فكذلك قوله: "فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به"، إنما وقع التمثيل بين الإيمانيين، لا بين المؤمن به.

< 3-115 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "وإن تَوَلَّوْا"، وإن تولى -هؤلاء الذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه: كُتُبُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى - فأعرضوا، (31) = فلم يؤمنوا بمثل إيمانكم أيها المؤمنون بالله، وبما جاءت به الأنبياء، وابتعثت به الرسل، وفرّقوا بين رُسل الله وبين الله ورسله، فصدّقوا ببعض وكفروا ببعض = فاعلموا، أيها المؤمنون، أنهم إنما هم في عصيان وفرّاقٍ وحربٍ لله ولرسوله ولكم، كما:-

2110- حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة: "وإنما هم في شقاق"، أي: في فراق (32)

2111- حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "فإنما هم في شقاق"، يعني فراق.

2112- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: "وإن تَوَلَّوْا" فإنما هم في شقاق" قال: الشقاق: الفراق والمحاربة. إذا شاقَّ فقد حارب، وإذا حارب فقد شاقَّ، وهما واحدٌ في كلام العرب، وقرأ: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ [سورة النساء: 115].

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وأصل " الشقاق " عندنا، والله أعلم، مأخوذٌ من قول القائل: " شَقَّ عليه هذا الأمر "، إذا كَرِهه وآذاه. ثم قيل: " شاقَّ فلانٌ فلانًا "، بمعنى: نال < 3-116 > كل واحد منهما من صاحبه ما كَرِهه وآذاه، وأثقلته مَسَاءتِه. ومنه قول الله تعالى ذكره: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا [سورة النساء: 35] بمعنى: فراقَ بينهما.

القول في تأويل قوله تعالى : فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " فسيفيكفهم الله "، فسيفيكفك الله يا محمد، هؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، من اليهود والنصارى، إنهم تولوا عن أن يؤمنوا بمثل إيمان أصحابك بالله، وبما أنزل إليك، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وسائر الأنبياء غيرهم، وفرقوا بين الله ورُسُلِه - إما بقتل السيف، وإما بجلاء عن جوارك، وغير ذلك من العقوبات؛ فإن الله هو " السميع " لما يقولون لك بالسنتهم، وبيدون لك بأفواههم، من الجهل والدعاء إلى الكفر والملل الصّالة - " العليم " بما يُبطنون لك ولأصحابك المؤمنين في أنفسهم من الحسد والبغضاء.

ففعل الله بهم ذلك عَاجِلًا وَأَنْجَرَ وَعَدَه، فكفى نبيّه صلى الله عليه وسلم بتسليطه إِيَّاه عليهم، حتى قتل بعضهم، وأجلى بعضًا، وأذلَّ بعضًا وأخزاه بالجزية والصَّغار.

< 3-117 >

القول في تأويل قوله تعالى : صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَتَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره ب " الصبغة " : صبغة الإسلام. وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تنصّر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية. (33)

فقال الله تعالى ذكره -إذ قالوا لنبية محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا - : قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى، بل اتبعوا ملة إبراهيم، صبغة الله التي هي أحسن الصبغ، فإنها هي الحنيفية المسلمة، ودعوا الشرك بالله، والضلال عن محجة هُداة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ونصب " الصبغة " من قرأها نصبًا على الرّدّ على " الملة " . وكذلك رَفَع " الصبغة " من رَفَع " الملة " ، على رَدّها عليها.

وقد يجوز رفعها على غير هذا الوجه. وذلك على الابتداء، بمعنى: هي صبغة الله.

وقد يجوز نصبها على غير وجه الرّدّ على " الملة " ، ولكن على قوله: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ وَتَخُنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ ، " صبغة الله " ، بمعنى: أمنا هذا الإيمان، فيكون الإيمان حينئذ هو صبغة الله. (34)

وبمثل الذي قلنا في تأويل " الصبغة " قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

2113- حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: > 3-118 < " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " إنّ اليهود تصبغ أبناءها يهود، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى، وأن صبغة الله الإسلام، فلا صبغة أحسن من الإسلام، ولا أطهر، وهو دين الله بعث به نوحًا والأنبياء بعده.

2114- حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني ججاج، عن ابن جريج، قال عطاء: " صبغة الله " صبغت اليهود أبناءهم خالفوا الفطرة.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: " صبغة الله " . فقال بعضهم: دين الله.

ذكر من قال ذلك:

2115- حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: " صبغة الله " قال: دين الله.

2116- حدثنا أبو كريب قال: حدثنا وكيع، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: " صبغة الله " قال: دين الله، " ومن أحسن من الله صبغة " ، ومن أحسن من الله دينًا.

2117- حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه، عن الربيع مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2118- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا سفيان, عن رجل, عن مجاهد مثله.

2119- حدثني المثنى قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان, عن مجاهد مثله.

2120- حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد مثله.

2121- حدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا فضيل بن مرزوق, عن عطية قوله: " صبغة الله " قال: دين الله.

< 3-119 >

2122- حدثنا موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال: حدثنا أسباط, عن السدي: " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " , يقول: دين الله, ومن أحسن من الله دينًا.

2123- حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: " صبغة الله " قال: دين الله.

2124- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قول الله: " صبغة الله " قال: دين الله.

2125- حدثني ابن البرقي قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال: سألت ابن زيد عن قول الله: " صبغة الله " , فذكر مثله.

وقال آخرون: " صبغة الله " فطرة الله. (35)

ذكر من قال ذلك:

2126- حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد في قول الله: " صبغة الله " قال: فطرة الله التي فطر الناس عليها.

2127- حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا محمد بن حرب قال: حدثنا ابن لهيعة, عن جعفر بن ربيعة, عن مجاهد: " ومن أحسن من الله صبغة " قال: الصبغة, الفطرة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2128- حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: " صبغة الله "، الإسلام، فطرة الله التي فطر الناس عليها. قال ابن جريج: قال لي عبد الله بن كثير: " صبغة الله " قال: دين الله، ومن أحسن من الله دينًا. قال: هي فطرة الله.

< 3-120 >

ومن قال هذا القول، فوجّه " الصبغة " إلى الفطرة، فمعناه: بل تتبع فطرة الله وملته التي خلق عليها خلقه، وذلك الدين القيم. من قول الله تعالى ذكره: قَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [سورة الأنعام: 14]. بمعنى خالق السماوات والأرض (36).

القول في تأويل قوله تعالى : وَتَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)

قال أبو جعفر: وقوله تعالى ذكره: " وَتَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ "، أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لليهود والنصارى، الذين قالوا له ولمن تبعه من أصحابه: كُوتُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى . فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ بل تتبع ملة إبراهيم حنيفًا، صبغة الله، ونحن له عابدون. يعني: ملة الخاضعين لله المستكينين له، في اتباعنا ملة إبراهيم، وديئوتنا له بذلك، غير مستكبرين في اتباع أمره، والإقرار برسالته رسله، كما استكبرت اليهود والنصارى، فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم استكبارًا وبغيًا وحسدًا.

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ "، قل يا محمد = لمعاشر اليهود والنصارى، الذين قالوا لك ولأصحابك: كُوتُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا < 3-121 > ، وزعموا أن دينهم خير من دينكم، وكتابهم خير من كتابكم، لأنه كان قبل كتابكم، وزعموا أنهم من أجل ذلك أولى بالله منكم = : " أتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ "، بيده الخيرات، وإليه الثواب والعقاب، والجزاء على الأعمال - الحسنات منها والسيئات، فتزعمون أنكم بالله أولى منا، من أجل أن نبيكم قبل نبينا، وكتابكم قبل كتابنا، وربكم وربنا واحد، وأن لكل فريق منا ما عمل واكتسب من صالح الأعمال وسيئها، يجازى [عليها] فيثاب أو يعاقب، (37) - لا على الأنساب وقدّم الدين والكتاب.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبعني بقوله: " قُلْ أحتاجوننا "، قل أخاصموننا وتجادلوننا؟ كما-

2129- حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " قل أحتاجوننا في الله "، قل: أخاصموننا؟

2130- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: " قل أحتاجوننا "، أخاصموننا؟

2131- حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: " أحتاجوننا "، أجادلوننا؟

فأما قوله: (وَتَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ)، فإنه يعني: ونحن لله مخلصو العبادة والطاعة، لا نشرك به شيئاً، ولا نعبد غيره أحداً، كما عبد أهل الأوثان معه الأوثان، وأصحاب العجل معه العجل.

وهذا من الله تعالى ذكره توبيخ لليهود، واحتجاج لأهل الإيمان، بقوله تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: قولوا -أيها المؤمنون، لليهود < 3-122 > والنصارى الذين قالوا لكم: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا -: " أحتاجوننا في الله "؟ يعني بقوله: " في الله "، في دين الله الذي أمرنا أن ندينه به، وربنا وربكم واحدٌ عدلٌ لا يجور، وإنما يجازي العبادَ على ما اكتسبوا. وتزعمون أنكم أولى بالله منا، لقدم دينكم وكتابكم ونيبكم، ونحن مخلصون له العبادة، لم نشرك به شيئاً، وقد أشركتم في عبادتكم إياه، فعبد بعضكم العجل، وبعضكم المسيح، فأنتى تكونون خيراً منا، وأولى بالله منا؟ (38)

القول في تأويل قوله تعالى: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ

قال أبو جعفر: في قراءة ذلك وجهان. أحدهما: " أَمْ تَقُولُونَ " ب " التاء " . فمن قرأ كذلك، فتأويله: قل يا محمد -للقائلين لك من اليهود والنصارى: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا -: أجادلوننا في الله، أم تقولون إن إبراهيم؟ فيكون ذلك معطوفاً على قوله: أحتاجوننا في الله .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والوجه الآخر منهما: " أم يقولون " ب " الياء " . ومن قرأ ذلك كذلك وجّه قوله: " أم يقولون " إلى أنه استفهام مُستأنف، كقوله: " أم يقولون افترأه [سورة السجدة: 3]، وكما يقال: " إنها لإيل أم شاء ". (39) وإنما جعله استفهامًا مستأنفًا، لمجيء خبر مستأنف، كما يقال: " أتقوم أم يقوم أخوك؟ " فيصير قوله: " أم يقوم أخوك " خبرًا مستأنفًا لجملة ليست من الأول واستفهامًا > 123-3 < مبتدأ. ولو كان نَسَقًا على الاستفهام الأول، لكان خبرًا عن الأول، فقول: " أتقوم أم تقعد؟ "

وقد زعم بعض أهل العربية أنّ ذلك، إذا قرئ كذلك ب " الياء "، فإن كان الذي بعد " أم " جملة تامة، فهو عطفٌ على الاستفهام الأول. لأن معنى الكلام: قيل: أيّ هذين الأمرين كائنٌ؟ هذا أم هذا؟

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا في ذلك: " أم تقولون "" بالتاء " دون " الياء " عطفًا على قوله: " قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا ، بمعنى: أيّ هذين الأمرين تفعلون؟ أتجادلوننا في دين الله، فتزعمون أنكم أولى منا وأهدى منا سبيلا -وأمرنا وأمركم ما وصفنا، على ما قد بيناه آنفًا (40) - أم تزعمون أنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن سمّى الله، كانوا هودًا أو نصارى على ملتكم، فيصحّ للناس بهتكم وكذبكم، (41) لأن اليهودية والنصرانية حدثت بعد هؤلاء الذين سماهم الله من أنبيائه. وغير جائزة قراءة ذلك ب " الياء "، لشذوذها عن قراءة القراء.

وهذه الآية أيضًا احتجاجٌ من الله تعالى ذكره لنبهه صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى، الذين ذكر الله قَصَصَهُمْ. يقول الله لنبهه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد -لهؤلاء اليهود والنصارى-: أتَحَاجُّونَنَا في الله، وتزعمون أن دينكم أفضلٌ من ديننا، وأنكم على هدى ونحن على ضلالة، ببرهان من الله تعالى ذكره، فتدعوننا إلى دينكم؟ فهاتوا برهانكم على ذلك فتتبعكم عليه، أم تقولون: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى على دينكم؟ فهاتوا -على دعوكم ما ادّعيتم من ذلك- برهانًا فنصدّقكم، فإن الله قد جعلهم أئمة يقتدى بهم.

< 3-124 >

ثم قال تعالى ذكره لنبهه صلى الله عليه وسلم: قُلْ لهم يا محمد - إن ادّعوا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى: أتتم أعلم بهم وبما كانوا عليه من الأديان، أم الله؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ

قال أبو جعفر: يعني: فَإِنْ رَعِمْتُ يا محمد اليهود والنصارى - الذين قالوا لك ولأصحابك: كُوثُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى , أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى, فمن أظلم منهم؟ وأي أمرئ أظلم منهم؟ وقد كتموا شهادة عندهم من الله بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين، فكتموا ذلك، ونحلّوهم اليهودية والنصرانية.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك:

2132- فحدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: " ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله " قال: في قول يهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معهما, إنهم كانوا يهود أو نصارى. فيقول الله: لا تكتموا مني شهادة إن كانت عندكم فيهم. وقد علم أنهم كاذبون.

2133- حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: " ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله " , في قول اليهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معهما: إنهم كانوا يهود أو نصارى. فقال الله لهم: لا تكتموا مني الشهادة فيهم, إن كانت عندكم فيهم. وقد علم الله أنهم كانوا كاذبين.

< 3-125 >

2134- حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني إسحاق, عن أبي الأشهب, عن الحسن أنه تلا هذه الآية: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِلَى قَوْلِهِ: " قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله " , قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية, كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام, فبم استحلوها؟

2135- حدثت عن عمار قال: حدثنا ابن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع قوله: " ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله " , أهل الكتاب, كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله, وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل: أنهم لم يكونوا يهود ولا نصارى, وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان.

وإنما عنى تعالى ذكره بذلك أن اليهود والنصارى, (42) إن ادَّعَوْا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ سَمِيَ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ, كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى, تَبَيَّنَ لِأَهْلِ الشَّرْكَ الَّذِينَ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هم نصرأؤهم، (43) كذُبهم وادّعاؤهم على أنبياء الله الباطل = لأن اليهودية والنصرانية حدثت بعدهم = وإن هم تَفَوْا عنهم اليهودية والنصرانية، (44) قيل لهم: فهلّموا إلى ما كانوا عليه من الدين، فإننا وأنتم مقرُّون جميعًا بأنهم كانوا على حق، ونحن مختلفون فيما خالف الدين الذي كانوا عليه.

وقال آخرون: بل عَنى تعالى ذكره بقوله: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ "، اليهودَ في كتمانهم أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته، وهم يعلمون ذلك ويجدونّه في كتبهم.

< 3-126 >

ذكر من قال ذلك:

2136- حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: أمّ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ، أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دينُ الله، واتخذوا اليهودية والنصرانية، وكتموا محمدًا صلى الله عليه وسلم، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل.

2137- حدثنا الحسن بن يحيى قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قوله: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ " قال: الشهادة، النبيُّ صلى الله عليه وسلم، مكتوبٌ عندهم، وهو الذي كتموا.

2138- حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثني ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، نحو حديث بشر بن معاذ، عن يزيد. (45)

2139- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: " ومن أظلم ممن كتم شهادةً عند من الله " قال: هم يهودٌ، يُسألون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صفته في كتاب الله عندهم، فيكتمون الصفة.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القولَ الذي قلناه في تأويل ذلك، لأن قوله تعالى ذكره: " ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله "، في إثر قصة من سمّى الله من أنبيائه، وأمّام قصته لهم. فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن قال قائل: وأية شهادة عند اليهود والنصارى من الله في أمر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؟ < 3-127 > قيل: الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم، ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل، وأمرهم فيها بالاستئنان بسنتهم واتباع ملتهم، وأنهم كانوا حُنفاء مسلمين. وهي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها، حين دعاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فقالوا له: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى [سورة البقرة: 111]، وقالوا له ولأصحابه: كُتُبُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ، فِي تَكْذِيبِهِمْ، وَكُتْمَانِهِمْ الْحَقِّ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْبَاطِلَ وَالزُّورَ.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: وقل -لهؤلاء اليهود والنصارى، الذين يحاجونك يا محمد-: " وما الله بغافل عما تعملون "، من كتمانكم الحق فيما ألزمكم في كتابه بيانه للناس من أمر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط في أمر الإسلام، وأنهم كانوا مسلمين، وأن الحنيفية المسلمة دين الله الذي على جميع الخلق الديونة به، دون اليهودية والنصرانية وغيرهما من الملل- ولا هو ساه عن عقابكم على فعلكم ذلك، (46) بل هو مُخَصَّصٌ عَلَيْكُمْ حتى يُجَازِيَكُمْ بِهِ مِنَ الْجَزَاءِ مَا أَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَأَجَلِ الْآخِرَةِ. فجازاهم عاجلا في الدنيا، بقتل بعضهم، وإجلائه عن وطنه وداره، وهو مُجَازِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابَ الْمُهِينِ.

< 3-128 >
القول في تأويل قوله تعالى : تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " تلك أمة "، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط. كما:-

2140- حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله تعالى: " تلك أمة قد خلت "، يعني: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

2141- حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بمثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وقد بينا فيما مضى أن " الأمة " ، الجماعة (47) .

فمعنى الآية إِذَا: قُلْ يَا مُحَمَّد = لهؤلاء الذين يُجادلونك في الله من اليهود والنصارى، إن كنتموا ما عندهم من الشهادة في أمر إبراهيم ومن سَمَّينا معه، وأنهم كانوا مسلمين، وزعموا أنهم كانوا هودًا أو نصاري، فكذبوا =: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ -أي مضت لسبيلها (48) - فصارت إلى ربها، وَخَلَتْ بِأَعْمَالِهَا وَأَمَالِهَا، لها عند الله ما كسبت من خير في أيام حياتها، وعليها ما اكتسبت من شر، لا ينفعها غيرُ صالح أعمالها، ولا يضرها إلا سيئتها. فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك، فإنكم، إن كان هؤلاء - (49) وهم الذين < 3-129 > بهم تفتخرون، وتزعمون أن بهم تَرْجُونَ النجاةَ من عذاب ربكم، مع سيئاتكم وعظيم خطيئاتكم - لا يَنفَعهم عند الله غيرُ ما قَدَّموا من صالح الأعمال، ولا يضرهم غير سيئتها، فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال، (50) ولا يضرَّكم غير سيئتها. فاحذروا على أنفسكم، وبادروا خروجها بالتوبة والإنابة إلى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفرية على الله وعلى أنبيائه ورُسُلِهِ، ودَعُوا الْاِتِّكَالَ عَلَى قَصَائِلِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، فإنما لكم ما كسبتم، وعليكم ما اكتسبتم، ولا تُسألون عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوبُ والأسباط يعملون من الأعمال، لأن كل نفس قَدِمَتْ على الله يوم القيامة، فإنما تُسأل عما كسبت وأسلفت، دون ما أسلفت غيرها.

الهوامش:

(1) انظر معاني "الهدى" فيما سلف 1 : 166-170 ، 230 ، 249 ، 549-551/2 : 393 .

(2) الأثر : 2090- سيرة ابن هشام 2 : 198 .

(3) في المطبوعة : "تجمع جميعنا" ، وهي خطأ ، والصواب "يجمع" ، من الإجماع .

(4) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 82 ، ويريد في هذا القول الأخير ، أن النصب بقوله "نكون" ، التي هي من معنى قوله : "كونوا هودا .. " ، ثم حذفت "نكون" .

(5) هو ذو الخرق الطهوي ، وانظر الاختلاف في اسمه ، ومن سمي باسمه في المؤلف والمختلف : 119 ، والخزانة 1 : 20 ، 21 .

(6) سيأتي في التفسير 2 : 56 منسوباً / ثم 4 : 60/15 : 14 (بولاق) ، ونوادر أبي زيد : 116 ، ومعاني القرآن للفراء 1 : 61 - 62 ، واللسان (ويب) (عنق)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(عقا) (بغم) وغيرها . وهو من أبيات يقولها لذئب تبعه في طريقه ، وهي أبيات ساخرة جياذ .

ألم تعجب لذئب بات يسري
ليؤذن صاحباً له باللحاق
حسبت بغام راحلتي عناقاً!
وما هي، ويب غيرك، بالعناق
ولو أني دعوتك من قريب
لعاقك عن دعاء الذئب عاق
ولكني رميتك من بعيد
فلم أفعل، وقد أوهت بساقي
عليك الشاء، شاء بني تميم،
فعافقه، فإنك ذو عفاق

وقوله "عناق" في البيت : هي أنثى المعز ، وقوله : "ويب" أي ويل . والبغام : صوت الطيبة أو الناقة ، واستعاره هنا للمعز . وقوله في البيت الثالث "عاق" ، أي عائق ، فقلب ، والعقاق : السرعة في الذهاب بالشيء . عافقه : عالجه وخادعه ثم ذهب به خطفة واحدة .

(7) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : 57 ، وقوله : "عليكم ملة إبراهيم" .
(8) الخبر : 2092- محمد بن عبادة الأسدي ، شيخ الطبري : هذا الشيخ مضى مرارا في المطبوعة على أوجه . منها : 645 ، 1511 باسم "محمد بن عمارة الأسدي" ، وذكرنا في ثانيهما أننا لم نجد له ترجمة ولا ذكرا ، إلا في رواية الطبري عنه مرارا في التاريخ . ولم نجده في فهارس التاريخ إلا كذلك . ومنها : 1971 ، باسم "محمد بن عمار" ، وصحناه فيه على ما رأينا من قبل "محمد بن عمارة" . ولكنه جاء هنا -كما ترى- باسم "محمد بن عبادة" . والراجح عندي الآن أنه هو الصواب . فإن يكن ذلك تكن نسخ الطبري في التفسير وفي التاريخ محرفة في كل موضع ذكر فيه على غير هذا النحو .

وهذا الشيخ "محمد بن عبادة بن البختری الأسدي الواسطي" : ثقة صدوق ، كان صاحب نحو وأدب . وهو من شيوخ البخاري ، وأبي حاتم ، وأبي داود ، وغيرهم . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 4/1/17 . روى عنه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

البخاري في الصحيح حديثين ، (8 : 26 ، و 9 : 93 من الطبعة السلطانية) - (10 : 429 ، و 13 : 214 من الفتح) - (9 : 53 ، و 10 : 246 من القسطلاني طبعة بولاق الأول). ونص بهامش السلطانية على أن "عبادة" - في الموضوعين : بفتح العين . وكذلك ضبطه الشارحان . قال الحافظ (13 : 214) : "بفتح المهملة وتخفيف الموحدة ، واسم جده : البختري ، بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح المثناة من فوق ، ثقة واسطي ، يكنى : أبا جعفر . ما له في البخاري إلا هذا الحديث ، وآخر تقدم في كتاب الأدب" ، يعني الذي مضى في الفتح (8 : 26) .

وكذلك ضبط اسم أبيه ، في المشتبه للذهبي : 333 ، والحافظ في تحرير المشتبه (مخطوط) .

وإنما رجحت -هنا- أنه "محمد بن عبادة" : لأن "محمد بن عمارة الأسدي" مفقود ذكره في كتب التراجم والرواية . فيما وصل إليه علمي ، ولأن كثيراً من رواياته في التاريخ والتفسير - عن "عبيد الله بن موسى" ، كما في التفسير : 1511 ، والتاريخ 1 : 57 ، و 2 : 266 ، و 3 : 76 ، 78 . نعم : يمكن أن يكون هناك شيخ آخر - لم يصل إلينا علمه - باسم "محمد بن عمارة" يتفق مع هذا في شيوخه وفي الرواة عنه . ولكنني أرى أن ما ذكرت هو الأرجح .

"عبيد الله بن موسى" : هو العبسي الحافظ الثقة . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 2/334-335 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 322-323 ، ووقع اسمه في المطبوعة هنا "عبد الله" وهو تحريف واضح .

فضيل : هو ابن مرزوق الرقاشي : وهو ثقة ، رجحنا توثيقه في شرح المسند : 1251 ، لأن من تكلم فيه ، إنما تكلم من أجل أحاديث يروونها عن عطية العوفي - الذي يروي عنه هنا ، وعطية ضعيف ، كما مضى في : 305 . (9) الخبر : 2093- الحسين بن علي الصدائي - بضم الصاد وتخفيف الدال المهملتين - الأكفاني : ثقة عدل من الصالحين ، روى عنه الترمذي والنسائي وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/2/56 ، وتاريخ بغداد 8 : 68-67 .

أبوه "علي بن يزيد بن سليم الصدائي" : ثقة أيضاً ، تكلم فيه بعضهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3/1/209 . (10) في المطبوعة "حكام بن سالم" ، خطأ . وقد مضى كثيراً في إسناد الطبري .

(11) الخبر : 2095- ابن التيمي : لم أجد نصاً يعين من هو؟ ونسبة "التيمي" فيها سعة . وأنا أرجح أن يكون "معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي" . فإنه من هذه الطبقة ، ويروي عنه عبد الرزاق . ولعل عبد الرزاق ذكره بهذه النسبة ، لئلا يشتهر باسم معمر . وهو ابن راشد ، إذ يكثر عبد الرزاق الرواية عن معمر . فخشي التصحيف لو قال هنا "معتمر" . فخرج منه بقوله "ابن التيمي" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (12) انظر ما سيأتي في رقم : 2098 ، فهذا من تفسير آية سورة الحج المذكورة ثم .
- (13) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : 58 .
- (14) في المطبوعة : "الحنيف عندي هو الاستقامة" ، وهو كلام مختلف ، صوابه ما أثبت .
- (15) انظر ما سلف 1 : 235-236 ، ثم 2 : 143 ، 348 . . . ومواقع أخرى غيرها .
- (16) انظر "الإسلام" فيما سلف : 510 ، 511 / وهذا الجزء 3 ، 74 ، 92 ، 94 .
- (17) في سيرة ابن هشام 2 : 216 "منهم : أبو ياسر" .
- (18) الأثر : 2101- سيأتي في تفسير سورة المائدة : 59 (6 : 188-189 بولاق) بإسناده عن هناد بن السري عن يونس بن بكير ، وهو في سيرة ابن هشام 2 : 216 مع اختلاف يسير في بعض لفظه . وانظر الأثر التالي .
- (19) الأثر : 2102 - هكذا جاء في سيرة ابن هشام 2 : 216 ، وانظر سيرة ابن هشام أيضًا 1 : 161 ، 162 "رافع بن أبي رافع" ، و"نافع بن أبي نافع" ، والخلط في أسماء يهود ذلك العهد كثير في كتب السير .
- (20) انظر تفسير "الأسباط" فيما سلف أيضًا 2 : 121 .
- (21) الأثر : 2105- في الدر المنثور 1 : 140 . ولم أجد في ولد يعقوب "قهاث" وفي الدر المنثور "وتهان" ، والظاهر أنهما جميعًا محرفان عن "نفتالي" أخير "دان" من أمها "بلهية" جارية "راحيل" ، كما سيأتي في الأثر التالي : 2107 ، وكما هو في كتاب بني إسرائيل الذي بين أيدينا . هذا ، وقد اقتصر الطبري هنا على ثمانية نفر من الأسباط . وزاد السيوطي في الدر المنثور تاسعًا - في روايته عن الطبري- قال "وكونوا - بالنون" ، وليس في ولد يعقوب هذا الاسم ، إلا أن يكون صحيحًا صوابه "زبلون" كما هو في كتب القوم . انظر التعليق على الأثر التالي : 2107 .
- (22) الأثر : 2107- لم أصح هذه الأسماء ، مع الاختلاف فيها ، ولكني سأذكر مواضع الاختلاف على رسمها في كتاب بني إسرائيل الذي بين أيدينا ، في التعليقات الآتية .
- (23) "لَيْئَةُ ابْنَةُ لَابَانَ بْنِ بَثْوَيْلٍ" و"راحيل بنت لابان . . ."
- (24) (رَأْوَيْبِنُ بْنُ يَعْقُوبَ)
- (25) (زَبُولُونَ بْنُ يَعْقُوبَ)
- (26) (يَسَّاكِرُ بْنُ يَعْقُوبَ)
- (27) "لَيْئَةُ ابْنَةُ لَابَانَ بْنِ بَثْوَيْلٍ" و"راحيل بنت لابان . . ."
- (28) "لَيْئَةُ ابْنَةُ لَابَانَ بْنِ بَثْوَيْلٍ" و"راحيل بنت لابان . . ."
- (29) (بلهة)
- (30) (أَشِيرُ بْنُ يَعْقُوبَ) وراجع في الجميع سفر التكوين إصحاح : 29 ، 30 ، 35 .
- (31) انظر معنى "تولى" فيما سلف ، 2 : 162 ، 163 / ثم 298 ، 299 .
- (32) الأثر : 2110- سقط من المطبوعة في إسناده : "عن سعيد" ، وهو إسناد دائر في التفسير ، أقر به فيما سلف : 2104 .
- (33) انظر معاني القرآن 1 : 82-83 .
- (34) انظر معاني القرآن 1 : 82-83 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (35) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : 59 .
(36) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : 59 .
(37) في المطبوعة : "ويجازى فيثاب أو يعاقب" . وكان الصواب يقتضي حذف "الواو" ، وزيادة : "عليها" . وقوله : "لأعلى الأنساب" معطوف على قوله : "والجزاء على الأعمال" .
(38) في المطبوعة : "وأنى تكونوا خيرًا منا" ، والصواب ما أثبت . "أنى" استفهام بمعنى : كيف .
(39) انظر ما سلف في خبر "أم" 2 : 492-494 ، وهذا الجزء 3 : 97 .
(40) في المطبوعة : "أيضًا" ، والصواب ما أثبت .
(41) أخشى أن يكون الصواب "فيتضح للناس" ، والذي في الأصل لا بأس به .
(42) في المطبوعة : "وأنه عنى تعالى ذكره . . ." والسياق مختل ، فاستظهرت إصلاحه كما سترى في التعليق الآتي :
(43) في المطبوعة "بين لأهل الشرك" . والسياق يوجب ما أثبت .
(44) سياق هذه الجملة من أول الفقرة : "وإنما عنى تعالى ذكره أن اليهود والنصارى ، إن ادعوا أن إبراهيم . . . تبين لأهل الشرك . . . وإن نفوا عنهم اليهودية قيل لهم : . . ." ، وبذلك يتبين أن الذي أثبتنا أحق بسياق الكلام .
(45) الأثر : 2138- كان في المطبوعة "حدثني المثنى قال حدثني ابن أبي جعفر" ، أسقط من الإسناد "حدثنا إسحاق" ، وهو إسناد دائر في التفسير ، أقرب رقم : 117 .
(46) انظر تفسير "غافل" فيما سلف 2 : 243-244 / ثم : 316 .
(47) انظر ما سلف 1 : 221 ثم هذا الجزء 3 : 74 ، 100 / ثم انظر "خلا" و"كسب" في هذا الجزء 3 : 101 والمراجع هناك .
(48) انظر ما سلف 1 : 221 ثم هذا الجزء 3 : 74 ، 100 / ثم انظر "خلا" و"كسب" في هذا الجزء 3 : 101 والمراجع هناك .
(49) في المطبوعة : "هم الذين بهم . . ." ، والصواب "وهم . . ." .
(50) سياق هذه العبارة : "إن كان هؤلاء . . . لا ينفعهم عند الله غير ما قدموا . . . فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم غير صالح الأعمال . . ." .

القول في تأويل قوله تعالى : سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: "سيقول السفهاء" ، سيقول الجهال من الناس ، وهم اليهود وأهل النفاق.

وإنما سماهم الله عز وجل "سُفَهَاءً" ، لأنهم سَفِهُوا الحق. (1) فتجاهلت أحياء اليهود، وتعاطمت جهالهم وأهل الغباء منهم، عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، إذ كان من العرب ولم يكن من بني إسرائيل، وتحير المنافقون فتبلدوا.

وبما قلنا في "السفهاء" -أنهم هم اليهود وأهل النفاق- قال أهل التأويل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر من قال: هم اليهود:

< 3-130 >

2142- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم " قال، اليهود تقوله، حين تَرَكَ بَيْتَ المقدس.

2143- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

2144- حدثت عن أحمد بن يونس، عن زهير، عن أبي إسحاق، عن البراء: " سيقول السفهاء من الناس " قال، اليهود. (2)

2145- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء: " سيقول السفهاء من الناس " قال، اليهود.

2146- حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء في قوله: " سيقول السفهاء من الناس " قال، أهل الكتاب

2147- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: اليهود.

وقال آخرون: " السفهاء "، المنافقون.

* ذكر من قال ذلك.

2148- حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: نزلت " سيقول السفهاء من الناس "، في المنافقين.

< 3-131 >

القول في تأويل قوله تعالى : مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ اللَّي كَانُوا عَلَيْهَا

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: " ما ولاهم " : أي شيء صرّفهم عن قبلتهم؟ وهو من قول القائل: " ولاني فلان دُبْره "، إذا حَوَّل وجهه عنه واستدبره، فكذلك قوله: " ما ولاهم "؟ أي شيء حَوَّل وُجُوْههم؟ (3)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: " عن قبلتهم "، فإن " قبله " كل شيء ما قابل وجهه. وإنما هي " فَعْلَة " بمنزلة " الجلسة والقعدة "، (4) من قول القائل. " قابلت فلانًا "، إذا صرْتُ قبالة أقاله، فهو لي " قبله " وأنا له " قبله "، إذا قابل كل واحد منهما بوجهه وجه صاحبه.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إِدَا - إِدُّ كان ذلك معناه (5) -: سيقول السفهاء من الناس لكم، أيها المؤمنون بالله ورسوله، - إذا حوّلتم وجوهكم عن قبله اليهود التي كانت لكم قبله قبل أمرى إياكم بتحويل وجوهكم عنها شَطْر المسجد الحرام -: أي شيء حوّل وجوه هؤلاء، فصرفها عن الموضع الذي كانوا يستقبلونه بوجوههم في صلاتهم؟

فأعلم الله جل ثناؤه نبيّه صلى الله عليه وسلم، ما اليهود والمنافقون قائلون من القول عند تحويل قبلته وقبله أصحابه عن الشأم إلى المسجد الحرام، وعلمه ما ينبغي أن يكون من ردّه عليهم من الجواب. فقال له: إذا قالوا ذلك لك يا محمد، فقل لهم: لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

< 3-132 >

وكان سبب ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس مدة سنذكر مبلغها فيما بعد إن شاء الله تعالى، ثم أراد الله تعالى صرّف قبله نبيّه صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام. فأخبره عما اليهود قائلوه من القول عند صرفه وجهه ووجه أصحابه شطره، وما الذي ينبغي أن يكون من ردّه عليهم من الجواب.

ذكر المدة التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس، وما كان سبب صلاته نحوه؟ وما الذي دعا اليهود والمنافقين إلى قيل ما قالوا عند تحويل الله قبله المؤمنين عن بيت المقدس إلى الكعبة؟

اختلف أهل العلم في المدة التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس بعد الهجرة. فقال بعضهم بما:-

2149- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير -وحدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة- قالا جميعًا : حدثنا محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد قال، أخبرني سعيد بن جبیر، أو عكرمة -شك محمد-، عن ابن عباس

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: لما صُرِفَت القِبْلَةُ عن الشَّامِ إلى الكعبة -وصرِفَت في رَجَبِ، على رأس سبعة عشر شهرًا من مَقَدَمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ- أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رفاعَةُ بنُ قيسٍ، وَقَزْدَمُ بن عمرو، وكعبُ بن الأشرف، ونافعُ بن أبي نافع - هكذا قال ابن حميد، وقال أبو كريب: ورافع بن أبي رافع (6) - والحجاج بن عمرو = حليفُ كعب بن الأشرف = والربيعُ بن الربيعُ بن [أبي] الحقيق، وكنانَةُ بن أبي الحقيق، (7) فقالوا: يا محمد، ما ولاك عن قبلك التي كنت عليها، وأنت تزعمُ أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلك التي كنت عليها تتبعُك ونصدقُك! وإنما يريدون فتنته عن دينه. فانزل < 3-133 > الله فيهم: " سيقول السفهاءُ من الناس ما ولاهم عن قبيلتهم التي كانوا عليها " إلى قوله: إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ . (8)

2150- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، قال البراء: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرًا، وكان يشتهي أن يُصْرَفَ إلى الكعبة. قال: فبينما نحن نُصلي ذات يوم، فمر بنا ماٌّ فقال: ألا هل علمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صُرِفَ إلى الكعبة؟ قال: وقد صلينا ركعتين إلى هاهنا، وصلينا ركعتين إلى هاهنا - قال أبو كريب: فقيل له: فيه أبو إسحاق؟ فسكت. (9)

2151- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: صلينا بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة سبعة عشر شهرًا إلى بيت المقدس. (10)

2152- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى، عن سفيان قال، حدثنا أبو إسحاق، عن البراء بن عازب قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم نحو < 3-134 > بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا -شك سفيان- ثم صُرِفْنَا إلى الكعبة. (11)

2153- حدثني المثني قال، حدثنا النُفَيْلي قال، حدثنا زهير قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول ما قَدَمَ المدينة، نزلَ على أجداده -أو أخواله- من الأنصار، وأنه صَلَّى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه صلى صلاة العصر ومعه قومٌ. فخرج رجل ممن صلى معه، فمرَّ على أهل المسجد وهم رُكوع فقال: أشهدُ لقد صليت مع رسول الله قبل مكة. فداروا كما هم قِبَلَ البيت. وكان يُعجبه أن يحوَّلَ قِبَلَ البيت. وكان اليهودُ أعجبهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي قِبَلَ بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قِبَلَ البيت أنكروا ذلك. (12)

2154- حدثني عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

المقدس بَعْدَ أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ وُجِّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ قَبْلَ بَدْرِ
بشهرين. (13)

< 3-135 >

وقال آخرون بما:-

2155- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عثمان بن سعد
الكتاب قال، حدثنا أنس بن مالك قال: صلى نبي الله صلى الله عليه وسلم
نحو بيت المقدس تسعة أشهر أو عشرة أشهر. فبينما هو قائم يصلي الظهر
بالمدينة وقد صلى ركعتين نحو بيت المقدس، انصرف بوجهه إلى الكعبة، فقال
السفهاء: " ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ". (14)

< 3-136 >

وقال آخرون بما:-

2156- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا المسعودي، عن
عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ثلاثة عشر شهرًا. (15)

< 3-137 >

2157- حدثنا أحمد بن المقدم العجلي قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال،
سمعت أبي قال، حدثنا قتادة، عن سعيد بن المسيب: أن الأنصار صلت القبلة
الأولى، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث حجج، وأن النبي صلى
الله عليه وسلم صلى القبلة الأولى بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرًا، أو
كما قال، وكلا الحديثين يحدث قتادة عن سعيد.

ذكر السبب الذي كان من أجله يُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو
بيت المقدس، قبل أن يُفرض عليه التوجه شطر الكعبة.

اختلف أهل العلم في ذلك.

فقال بعضهم: كان ذلك باختيار من النبي صلى الله عليه وسلم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر من قال ذلك:

< 3-138 >

2158- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح أبو تميلة قال، حدثنا الحسين بن واقد، عن عكرمة -وعن يزيد النحوي، عن عكرمة- والحسن البصري قالوا أول ما نُسخ من القرآن القبلة. وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يستقبل صخرة بيت المقدس، وهي قبلة اليهود، فاستقبلها النبي صلى الله عليه وسلم سبعة عشر شهرًا، ليؤمنوا به ويتبعوه، ويدعو بذلك الأميين من العرب. فقال الله عز وجل: وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْتَمَّا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [سورة البقرة: 115].

2159- حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها "، يعنون بيت المقدس. قال الربيع. قال أبو العالية : إنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم خيّر أن يوجه وجهه حيث شاء، فاختار بيت المقدس لكي يتألف أهل الكتاب، فكانت قبلته ستة عشر شهرًا، وهو في ذلك يقرب وجهه في السماء، ثم وجهه الله إلى البيت الحرام.

وقال آخرون: بل كان فعل ذلك -من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه- بفرض الله عز ذكره عليهم.

* ذكر من قال ذلك:

2160- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان [أكثر] أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس. ففرحت اليهود. فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرًا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم عليه السلام، وكان يدعو وينظر إلى السماء. فأنزل الله عز وجل: قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ < 3-139 > [سورة البقرة: 144] الآية. فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: " ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها "؟ فأنزل الله عز وجل: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ . (16)

2161- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما صلى إلى الكعبة، ثم صُرف إلى بيت المقدس. فصلت الأنصار نحو بيت المقدس قبل قدومه ثلاث حجج: وصلى بعد قدومه ستة عشر شهرًا، ثم ولاه الله جل ثناؤه إلى الكعبة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر السبب الذي من أجله قال من قال " ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها "؟

اختلف أهل التأويل في ذلك. فرُوي عن ابن عباس فيه قولان. أحدهما ما:-

2162- حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال ذلك قومٌ من اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها تتبعك! ونصدقك! يريدون فتنته عن دينه. (17)

والقول الآخر: ما ذكرته من حديث علي بن أبي طلحة عنه الذي مضى قبل. (18)

2163- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها "؟ قال: صلت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وصلى نبي الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة مهاجرًا، نحو بيت < 3-140 > المقدس، ستة عشر شهرًا، ثم وجهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيت الحرام. فقال في ذلك قائلون من الناس: " ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها "؟ لقد اشتاق الرجل إلى مولده! فقال الله عز وجل: قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

وقيل: قائل هذه المقالة المنافقون. وإنما قالوا ذلك استهزاءً بالإسلام.

* ذكر من قال ذلك:

2164- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي، قال: لما وجه النبي صلى الله عليه وسلم قبل المسجد الحرام، اختلف الناس فيها فكانوا أصنافًا. فقال المنافقون: ما بالهم كانوا على قبله زمانًا، ثم تركوها وتوجهوا إلى غيرها؟ فأنزل الله في المنافقين: سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ، الآية كلها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)

قال أبو جعفر: يعني بذلك عز وجل: قُلْ يا محمد -لهؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك: ما ولاكم عن قبلكم من بيت المقدس، التي كنتم على التوجه إليها، إلى التوجه إلى شطر المسجد الحرام؟-: لله مُلْكُ المشرق والمغرب = يعني بذلك: ملك ما بين قُطْرَيْ مَشْرِقِ الشمس، وقُطْرَيْ مَغْرِبِها، وما بينهما من العالم (19) = يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، (20) فَيُسِدُّهُ، ويوقفه إلى الطريق القويم، وهو " الصراط > 3-141 < المستقيم " (21) -ويعني بذلك: إلى قبلة إبراهيم الذي جعله للناس إمامًا- ويخُدُّلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، فيضله عن سبيل الحق.

وإِذَا عَنِ جَلِ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: " يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "، قُلْ يا محمد: إِنَّ اللَّهَ هَدَانَا بِالتَّوَجُّهِ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِقِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَضَلَّكُمْ -أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ وَجَمَاعَةُ الشَّرْكِ بِاللَّهِ- فَخَذَلَكُمْ عَمَّا هَدَانَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ.

القول في تأويل قوله تعالى : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: " وكذلك جعلناكم أمة وسطًا "، كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا.

وقد بينا أن " الأمة "، هي القرن من الناس والصنف منهم وغيرهم. (22)

وأما " الوسط "، فإنه في كلام العرب الخيأُ. يقال منه: " فلان وسط الحسب في قومه "، (23) أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسيه، و " هو وسط في قومه، وواسط "، (24)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كما يقال: " شاة يابسة اللبن وَيَبَسُّ اللبن "، وكما قال جل ثناؤه: < 3-142 >
فَأَصْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا [سورة طه: 77]، وقال زهير بن أبي
سُلْمَى في "الوسط":

هُمُ وَسَطُ تَرَضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ

إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ (25)

قال أبو جعفر: وأنا أرى أن "الوسط" في هذا الموضع، هو "الوسط" الذي
بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل "وسط الدار" محرّك الوسط
مثقله، غير جائز في "سينه" التخفيف.

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط"، لتوسطهم في الدين،
فلا هم أهل غُلُوٍّ فيه، غُلُوُّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما
قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله،
وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال
فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها.

وأما التأويل، فإنه جاء بأن "الوسط" العدل. وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من
الناس عُدولهم.

ذكر من قال: "الوسط" العدل.

2165- حدثنا سَلْمُ بن جُنادة وبعقوب بن إبراهيم قالا حدثنا حفص بن غياث،
عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله < 3-143 >
عليه وسلم في قوله: " وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا " قال، عُدولاً. (26)

2166- حدثنا مجاهد بن موسى ومحمد بن بشار قالا حدثنا جعفر بن عون،
عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثله.

2167- حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن
الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري: " وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
" قال، "عدولا".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2168- حدثني علي بن عيسى قال : حدثنا سعيد بن سليمان, عن حفص بن غياث, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: " جعلناكم أمة وسطاً " قال, عدولا. (27)

< 3-144 >

2169- حدثنا أبو كريب قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد: " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً " قال, عدولا.

2170- حدثني محمد بن عمرو قال, حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله عز وجل: " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً " قال, عدولا.

2171- حدثنا المثنى قال, حدثنا حذيفة قال, حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.

2172- حدثنا بشر بن معاذ قال, حدثنا يزيد قال, حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: " أمة وسطاً " قال, عدولا.

2173- حدثنا الحسن بن يحيى قال, أخبرنا عبد الرزاق قال, أخبرنا معمر, عن قتادة في قوله: " أمة وسطاً " قال, عدولا.

2174- حدثنا المثنى قال, حدثنا إسحاق قال, حدثنا ابن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع في قوله: " أمة وسطاً " قال, عدولا.

< 3-145 >

2175- حدثني محمد بن سعد قال, حدثني أبي قال, حدثني عمي قال, حدثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ", يقول: جعلكم أمة عدولا.

2176- حدثني المثنى قال, حدثنا سويد بن نصر قال, أخبرنا ابن المبارك, عن رشد بن سعد قال, أخبرنا ابن أنعم المعافري, عن حبان بن أبي جيلة, يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً " قال, الوسط العدل. (28)

2177- حدثنا القاسم قال, حدثنا الحسين قال, حدثني حجاج, عن ابن جريح, عن عطاء ومجاهد وعبد الله بن كثير: " أمة وسطاً ", قالوا: عدولا. قال مجاهد: عدلا. (29)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2178- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً " قال، هم وَسَطٌ بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأمم.

القول في تأويل قوله تعالى : لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

قال أبو جعفر: " والشهداء " جمع " شهيد " . (30)

فمعنى ذلك: وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً عُذولاً [لتكونوا] > 3-146 < شُهَدَاءَ لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ، (31) أنها قد بلغت ما أمّرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها، ويكون رسول محمد صلى الله عليه وسلم شهيداً عليكم، بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندي، كما:-

2179- حدثني أبو السائب قال، حدثنا حفص، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يُدعى بنوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له: هل بلغت ما أرسلت به؟ فيقول: نعم. فيقال لقومه: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير! فيقال له: من يعلم ذلك؟ فيقول: محمد وأمه. فهو قوله: " وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شُهَدَاءَ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً " . (32)

2180- حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا جعفر بن عون قال، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه - إلا أنه زاد فيه: فيُدعون ويتشهدون أنه قد بلغ.

2181- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد: " وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ " - بأن الرسل قد بلغوا- " ويكون الرسول عليكم > 3-147 < شهيداً " . بما عملتم، أو فعلتم.

2182- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل، عن أبي مالك الأشجعي، عن المغيرة بن عتبة بن النهاس: أن مكاتبا لهم حدّتهم عن جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني وأمتي لعلي كَوْمٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلَائِقِ. ما أحدٌ من الأمم إلا ودَّ أنه منها أُنْبِيَّهَا الْأُمَّةَ، (33) وَمَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ إِلَّا نَحْنُ شُهَدَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ رِسَالَاتَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لَهُمْ. قال: " ويكون الرسول عليكم شهيداً " . (34)

> 3-148 <

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2183- حدثني عصام بن رُوَاد بن الجَرَّاح العسقلاني قال، حدثنا أبي قال، حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عبد الله بن أبي الفضل، عن أبي هريرة قال: خرجتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة، فلما صلى على الميت قال الناس: نعم الرجل! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وجبت! ثم خرجت معه في جنازة أخرى، فلما صلوا على الميت قال الناس: بنس الرجل! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وجبت. فقام إليه أبي بن كعب فقال: يا رسول الله، ما قولك وجبت؟ قال: قول الله عز وجل: " لتكونوا شهداء على الناس ". (35)

2184- حدثني عليّ بن سَهْل الرملي قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال، > 3-149 < حدثني أبو عمرو، عن يحيى قال، حدثني عبد الله بن أبي الفضل المدني قال، حدثني أبو هريرة قال: أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة، فقال الناس: نعم الرجل! ثم ذكر نحو حديث عصام عن أبيه. (36)

2185- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا زيد بن حباب قال، حدثنا عكرمة بن عمار قال، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فمُرَّ عليه بجنازة، فأثَّيَّ عليها بناء حسن، فقال: وجبت! ومُرَّ عليه بجنازة أخرى، فأثَّيَّ عليها دون ذلك، فقال: وجبت! قالوا: يا رسول الله، ما وجبت؟ قال: الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، فيما شهدتم عليه وجب. ثم قرأ: وَقُلْ اْعْمَلُوا قَسِيرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ [سورة التوبة: 105]. (37)

< 3-150 >

2186- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " لتكونوا شهداء على الناس "، تكونوا شهداء لمحمد عليه السلام على الأمم، اليهود والنصارى والمجوس.

2187- حدثني المثني قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

2188- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا [أبو] عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح قال: يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة تاريه ليس معه أحد، فتشهد له أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنه قد بلغهم. (38)

2189- حدثني المثني قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2190- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال، حدثني ابن أبي نجیح، عن أبيه قال، يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فذكر مثله، ولم يذكر عبيد بن عمير، مثله.

2191- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن > 3-151 < قتادة " لتكونوا شهداء على الناس "، أي أن رسلهم قد بلغت قومها عن ربها، " ويكون الرسول عليكم شهيدًا "، على أنه قد بلغ رسالات ربّه إلى أمته.

2192- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن زيد بن أسلم: أن قوم نوح يقولون يوم القيامة: لم يبلغنا نوح! فیدعی نوح عليه السلام فيسأل: هل بلغتهم؟ فيقول: نعم. فيقال: من شهدك؟ فيقول: أحمد صلى الله عليه وسلم وأمته. فتدعون فتُسألون فتقولون: نعم، قد بلغهم. فتقول قوم نوح عليه السلام: كيف تشهدون علينا ولم تدركونا؟ قالوا: قد جاء نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنا أنه قد بلغكم، وأنزل عليه أنه قد بلغكم، فصدّقناه. قال: فيصدّق نوح عليه السلام ويكذبونهم. قال: " لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا "

2193- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: " لتكونوا شهداء على الناس "، لتكون هذه الأمة شهداء على الناس أن الرسل قد بلغتهم، ويكون الرسول على هذه الأمة شهيدًا، أن قد بلغ ما أرسل به.

2194- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن زيد بن أسلم: أن الأمم يقولون يوم القيامة: والله لقد كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلهم! لما يرون الله أعطاهم.

2195- حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، حدثنا ابن المبارك، عن رشدين بن سعد، قال أخبرني ابن أنعم المعافري، عن حبان بن أبي جيلة يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا جمع الله عباده يوم القيامة، كان أوّل من يدعى إسرافيل، فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم ربّ، قد بلغت جبريل عليهما السلام، فیدعی جبريل، فيقال له: > 3-152 < هل بلغك إسرافيل عهدي! (39) فيقول: نعم ربّ، قد بلغني. فيخلى عن إسرافيل، ويقال لجبريل: هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم، قد بلغت الرسل فتدعى الرسل فيقال لهم: هل بلغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم ربنا. فيخلى عن جبريل، ثم يقال للرسل: ما فعلتم بعهدي؟ فيقولون: بلغنا أمنا. فتدعى الأمم، فيقال: هل بلغكم الرسل عهدي؟ فمنهم المكذب ومنهم المصدّق، فتقول الرسل: إن لنا عليهم شهودًا يشهدون أن قد بلغنا مع شهادتك. فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: أمّة محمد. فتدعى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول: أتشهدون أن رسلنا هؤلاء قد بلغوا عهدي إلى من أرسلوا إليه؟ فيقولون: نعم ربنا شهدنا أن قد بلغوا. فتقول تلك الأمم. كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟ فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: كيف تشهدون على

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولا وأنزلت إلينا عهدك وكتابك، وقصصت علينا أنهم قد بلغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا. فيقول الرب: صدقوا. فذلك قوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا -والوسط العدل- " لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ". قال ابن أنعم: فبلغني أنه يشهد يومئذ أمة محمد صلى الله عليه وسلم، إلا من كان في قلبه حنة على أخيه. (40)

< 3-153 >

2196- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير، عن جوير، عن الضحاك في قوله: " لتكونوا شهداء على الناس "، يعني بذلك. الذين استقاموا على الهدى، فهم الذين يكونون شهداء على الناس يوم القيامة، لتكذيبهم رسل الله وكفرهم بآيات الله.

< 3-154 >

2197- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " لتكونوا شهداء على الناس "، يقول: لتكونوا شهداء على الأمم الذين خلوا من قبلكم، بما جاءتهم رسلهم، وبما كذبوهم، فقالوا يوم القيامة وعجبوا: إن أمة لم يكونوا في زماننا، فأمنوا بما جاءت به رسلنا، وكذبنا نحن بما جاءوا به! فعجبوا كل العجب. قوله: " ويكون الرسول عليكم شهيدًا "، يعني بإيمانهم به، وبما أنزل عليه.

2198- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: " لتكونوا شهداء على الناس "، يعني: أنهم شهدوا على القرون بما سمى الله عز وجل لهم.

2199- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح: قلت لعطاء: ما قوله: " لتكونوا شهداء على الناس "؟ قال: أمة محمد، شهدوا على من ترك الحق حين جاءه الإيمان والهدى، ممن كان قبلنا. قالها عبد الله بن كثير. قال: وقال عطاء: شهداء على من ترك الحق ممن تركه من الناس أجمعين، جاء ذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم، ويكون الرسول عليكم شهيدًا " على أنهم قد آمنوا بالحق حين جاءهم، وصدقوا به.

2200- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: " لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا " قال، رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته، وهم شهداء على الأمم، وهم أحد الأشهاد الذين قال الله عز وجل: وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [سورة غافر: 51] الأربعة: الملائكة الذين يحضون أعمالنا، لنا وعلينا، وقرأ قوله: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ [سورة ق: 21]، وقال: هذا يوم القيامة. قال: والنيون شهداء على أممهم. قال: وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الأمم. قال: < 3-155 > [والأطوار] الأجساد والجلود. (41)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها "، ولم نجعل صَرْفَكَ عَنِ الْقِبْلَةِ التي كنت على التوجه إليها يا محمد فصرفناك عنها، إلا لنعلم من يتبعك ممن لا يتبعك، ممن ينقلب على عقبيه.

والقبلة التي كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها، التي عناها الله بقوله: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها "، هي القبلة التي كنت تتوجه إليها قبل أن يصرفك إلى الكعبة، كما:-

2201- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها "، يعني: بيت المقدس.

2202- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن < 3-156 > ابن جريج قال: قلت لعطاء: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ". قال: القبلة بيت المقدس.

قال أبو جعفر: وإنما ترك ذكر " الصرف عنها "، اكتفاءً بدلالة ما قد ذكر من الكلام على معناها، كسائر ما قد ذكرنا فيما مضى من نظائره. (42)

وإنما قلنا: ذلك معناه، لأن محنة الله أصحاب رسوله في القبلة، إنما كانت -فيما تظاهرت به الأخبار- عند التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة، حتى ارتد فيما ذكر- رجال ممن كان قد أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأظهر كثير من المنافقين = من أجل ذلك = نفاقهم، وقالوا: ما بال محمد يحولنا مرة إلى هاهنا ومرة إلى هاهنا! وقال المسلمون، فيمن مضى من إخوانهم المسلمين وهم يصلون نحو بيت المقدس: بطلت أعمالنا وأعمالهم وضاعت! وقال المشركون: تحير محمد [صلى الله عليه وسلم] في دينه! فكان ذلك فتنة للناس، وتمحيصاً للمؤمنين.

فلذلك قال جل ثناؤه: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه "، أي: وما جعلنا صَرْفَكَ عَنِ الْقِبْلَةِ التي كنت عليها، وتحويلك إلى غيرها، كما قال جل ثناؤه: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ [سورة الإسراء: 60] بمعنى: وما جعلنا حَبْرَكَ عَنِ الرُّؤْيَا التي أربناك. وذلك أنه لو لم يكن أخبر القوم بما كان أري، لم يكن فيه على

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أحد فتنه، وكذلك القبلة الأولى التي كانت نحو بيت المقدس، لو لم يكن صرفاً عنها إلى الكعبة، لم يكن فيها على أحد فتنه ولا محنة.

ذكر الأخبار التي رُويت في ذلك بمعنى ما قلنا:

< 3-157 >

2203- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قال: كانت القبلة فيها بلاءً وتمحيصٌ. صلت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم نبي الله صلى الله عليه وسلم، وصلى نبي الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة مهاجرًا نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرًا، ثم وجهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيت الحرام، فقال في ذلك قائلون من الناس: مَا وَلاَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؟ لقد اشتاق الرجل إلى مولده! قال الله عز وجل: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . فقال أناسٌ -لما صُرفت القبلة نحو البيت الحرام-: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأولى؟ فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِعَ إِيمَانَكُمْ . وقد يتلى الله العبادَ بما شَاءَ من أمره، الأمر بعد الأمر، ليعلم مَنْ يطيعه ممن يعصيه، وكل ذلك مقبول، إذ كان في [ذلك] إيمان بالله، وإخلاصٌ له، وتسليم لقضائه. (43)

2204- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصلي قبل بيت المقدس، فنسختها الكعبة. فلما وُجّه قبل المسجد الحرام، (44) اختلف الناس فيها، فكانوا أصنافًا، فقال المنافقون: ما بالهم كانوا على قبلة زمانًا، ثم تركوها وتوجهوا إلى غيرها؟ وقال المسلمون: ليت شعرتنا عن إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون قبل بيت المقدس! هل تقبل الله منا ومنهم، أو لا؟ وقالت اليهود: إن محمدًا اشتاق إلى بلد أبيه ومولده، ولو ثبت على قبلتنا لكننا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذي نتنظر! وقال < 3-158 > المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه، فتوجه بقبلته إليكم، وعلم أنكم كنتم أهدى منه، وبوشك أن يدخل في دينكم! فأنزل الله جل ثناؤه في المنافقين: سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا إِلَى قَوْلِهِ: وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، وأنزل في الآخرين الآيات بعدها. (45)

2205- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: "إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه؟" فقال عطاء: يتليهم، ليعلم من يُسلم لأمره. قال ابن جريج: بلغني أن ناسًا ممن أسلم رجعوا فقالوا: مرة هاهنا ومرة هاهنا!

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: أو ما كان الله عالمًا بمن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، إلا بعد اتباع المتبع، وانقلاب المنقلب على عقبيه، حتى قال: ما فعلنا الذي فعلنا من تحويل القبلة إلا لنعلم المتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنقلب على عقبيه؟

قيل: إن الله جل ثناؤه هو العالم بالأشياء كلها قبل كونها، وليس قوله: " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه " يخبر [عن] أنه لم يعلم ذلك إلا بعد وجوده. (46)

فإن قال: فما معنى ذلك؟

قيل له : أما معناه عندنا، فإنه: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا ليعلم رسولي وحزبي وأوليائي من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فقال جل ثناؤه: " إلا لنعلم "، ومعناه: ليعلم رسولي وأوليائي. إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم < 3-159 > وأولياؤه من حزبه، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع الرئيس إلى الرئيس، وما فعل بهم إليه، نحو قولهم: "فتح عمر بن الخطاب ستواد العراق، وجبى حراجها"، وإنما فعل ذلك أصحابه، عن سبب كان منه في ذلك. وكالذي روي في نظيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله جل ثناؤه: مَرَضْتُ فلم يعدني عبدي، واستقرضته فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني.

2206- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: استقرضت عبدي فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني! يقول: وادهراه! وأنا الدهر، أنا الدهر.

2207- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. (47)

فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه، وقد كان ذلك بغيره، إذ كان ذلك عن سببه.

وقد حكى عن العرب سماعًا: " أجوع في غير بطني، وأعري في غير > 3-160 < ظهري"، بمعنى: جوع أهله وعياله وعزري ظهورهم،

فكذلك قوله: " إلا لنعلم "، بمعنى: يعلم أوليائي وحزبي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

2208- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه"، قال ابن عباس: لنميز أهل اليقين من أهل الشرك والريبة.

وقال بعضهم: إنما قيل ذلك، من أجل أن العرب تَضَع " العلم " مكان " الرؤية " و " الرؤية " مكان " العلم "، كما قال جلّ ذكره: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [سورة الفيل: 1]، فزعم أن معنى " ألم تر "، ألم تعلم؟ وزعم أن معنى قوله: " إلا لنعلم "، بمعنى: إلا لنرى من يتبع الرسول. وزعم أنّ قول القائل: " رأيتُ، وعلمت، وشهدت "، حروفٌ تتعاقب، فيوضع بعضها موضع بعض، كما قال جرير بن عطية

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيظًا وَحَاجِبًا

وَعَمَرَوِ بْنِ عَمْرٍو إِذْ دَعَا يَالَ دَارِمِ (48)

بمعنى: كأنك لم تعلم لقيظًا، لأنّ بين هُلك لقيظ وحاجب وزمان جرير، ما لا يخفى بعده من المدة. وذلك أنّ الذين ذكرهم هلكوا في الجاهلية، وجريرٌ كان بعد بُرْهة مَصّت من مجيء الإسلام.

< 3-161 >

قال أبو جعفر: وهذا تأويل بعيدٌ، من أجل أنّ " الرؤية "، وإن استعملت في موضع " العلم "، من أجل أنه مستحيلٌ أن يرى أحدٌ شيئًا، فلا توجب رؤيته إياه علمًا بأنه قد رآه، إذا كان صحيح الفطرة. فجاز من الوجه الذي أثبتته رؤية، أن يُصاف إليه إثباته إياه علمًا، (49) وصحّ أن يدلّ بذكر " الرؤية " على معنى " العلم " من أجل ذلك. فليس ذلك، وإن كان [جائزًا] في الرؤية -لما وصفنا- بجائز في العلم، (50) فيدلّ بذكر الخبر عن " العلم " على " الرؤية ". لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها، ويستحيل أن يرى شيئًا إلا علمه، كما قد قدمنا البيان [عنه]. (51) مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال: " علمت كذا "، بمعنى رأيت. وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم من الكلام، إلى ما كان موجودًا مثله في كلام العرب، دون ما لم يكن موجودًا في كلامها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فموجود في كلامها " رأيت " بمعنى: علمت, وغير موجود في كلامها " علمت " بمعنى: رأيت, فيجوز توجيه: " إلا لنعلم " إلى معنى: إلا لنرى.

وقال آخرون: إنما قيل: " إلا لنعلم "، من أجل أنّ المنافقين واليهودَ وأهل الكفر بالله، أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يعلم الشيء قبل كونه. وقالوا - إذ قيل لهم: إن قومًا من أهل القبلة سيرتدون على أعقابهم، إذا حوّلت قبلة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة-: ذلك غير كائن! أو قالوا: ذلك باطل! فلما فعل الله ذلك، وحوّل القبلة، وكفر من أجل ذلك من كفر، قال الله جل < 3-162 > ثناؤه: ما فعلتُ إلا لنعلم ما علمه غيركم- أيها المشركون المنكرون علمي بما هو كائن من الأشياء قبل كونه-: أنّي عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد. (52)

فكأن معنى قائلي هذا القول في تأويل قوله: " إلا لنعلم " : " إلا لنبين لكم أنّنا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. وهذا وإن كان وجهًا له مخرج، فبعيدٌ من المفهوم.

وقال آخرون: إنما قيل: " إلا لنعلم "، وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال، علي وجه الترفيق بعباده، واستمالتهم إلى طاعته، (53) كما قال جل ثناؤه: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (54) [سورة سبأ: 24]، وقد علم أنه على هدى، وأنهم على ضلالٍ مبين، ولكنه رفق بهم في الخطاب، فلم يقل: أنّا على هدى، وأنتم على ضلال. فكذلك قوله: " إلا لنعلم "، معناه عندهم: إلا لتعلموا أنّتم، إذ كنتم جهالًا به قبل أن يكون. فأضاف العلم إلى نفسه، رفقًا بخطابهم.

وقد بينا القول الذي هو أولى في ذلك بالحق.

وأما قوله: " مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ "، فإنه يعني: الذي يتبع محمدًا صلى الله عليه وسلم فيما يأمره الله به، فيوجه نحو الوجه الذي يتوجه نحوه محمد صلى الله عليه وسلم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: " ممن يَنْقلب على عَقبيه "، فإنه يعني: من الذي يَرْتدُّ عن دينه، فينَافق، أو يكفر، أو مخالف محمدًا صلى الله عليه وسلم في ذلك، ممن يظهر اتِّباعه، كما:-

2209- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبِهِ " قال، مَنْ إِذَا دَخَلْتَهُ شُبْهَةٌ رَجَعَ عَنِ اللَّهِ، وَانْقَلَبَ كَافِرًا عَلَى عَقْبِهِ.

وأصل " المرتد على عقبه "، هو: " المنقلب على عقبه "، الراجع مستدبرًا في الطريق الذي قد كان قطعه، منصرفًا عنه. فقول ذلك لكل راجع عن أمر كان فيه، من دين أو خير. ومن ذلك قوله: قَارِئًا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا [سورة الكهف: 64]، بمعنى: رَجَعَا فِي الطَّرِيقِ الَّتِي كَانَا سَلَكَاهَا، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمَرْتَدِ: " مَرْتَدٌ "، لِرَجُوعِهِ عَنِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا.

وإنما قيل: " رجع على عقبه "، لرجوعه دُبْرًا على عقبه، إلى الوجه الذي كان فيه بدء سيره قبل مَرْجعه عنه. فيجعل ذلك مثلًا لكل تارك أمرًا وأخذ آخر غيره، إذا انصرف عما كان فيه، إلى الذي كان له تاركًا فأخذه. فقول: " ارتد فلان على عقبه، وانقلب على عقبه ".

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في التي وصفها الله جل وعز بأنها كانت " كبيرة إلا على الذين هدى الله ".

< 3-164 >

فقال بعضهم: عنى جل ثناؤه ب " الكبيرة "، التولية من بيت المقدس شطر المسجد الحرام والتحويل. وإنما أثت " الكبيرة "، لتأنيث " التولية ".

* ذكر من قال ذلك:

2210- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال الله: " وإن كانت كبيرة إلا على الذين هدى الله "، يعني: تحويلها.

2211- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: " وإن كانت

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لكبيرةٍ إلا على الذين هدى الله " قال، ما أمروا به من التحوُّل إلى الكعبة من بيت المقدس.

2212- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد مثله.

2213- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " لكبيرةٍ إلا على الذين هدى الله " قال، كبيرة، حين حُوت القبله إلى المسجد الحرام، فكانت كبيرةً إلا على الذين هدى الله.

وقال آخرون: بل " الكبيرة "، هي القبلة بعينها التي كان صلى الله عليه وسلم يتوجّه إليها من بيت المقدس قبل التحويل.

* ذكر من قال ذلك.

2214- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالیه: " وإن كانت لكبيرة "، أي: قبله بيت المقدس -" إلا على الذين هدى الله ". (55)

< 3-165 >

وقال بعضهم: بل " الكبيرة " هي الصلاة التي كانوا يصلونها إلى القبلة الأولى.

* ذكر من قال ذلك.

2215- حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله " قال، صلاتكم حتى يهديكم الله عز وجل القبلة. (56)

2216- وقد حدثني به يونس مرة أخرى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " وإن كانت لكبيرة " قال، صلاتك هاهنا -يعني إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا- وانحرفك هاهنا

وقال بعض نحويي البصرة: أثبت " الكبيرة " لتأنيث القبلة، وإياها عنى جل ثناؤه بقوله: " وإن كانت لكبيرة ".

وقال بعض نحويي الكوفة: بل أثبت " الكبيرة " لتأنيث التولية والتحويلة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فتأويل الكلام على ما تأوله قائلو هذه المقالة: وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التي كنت عليها وتوليئناك عنها، إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت تحويلتنا إياك عنها وتوليئناك " لكبيرة إلا على الذين هدى الله "

وهذا التأويل أولى التأويلات عندي بالصواب. لأن القوم إنما كُبر عليهم تحويل النبي صلى الله عليه وسلم وَجْهه عن القبلة الأولى إلى الأخرى، لا عين القبلة، ولا الصلاة. لأن القبلة الأولى والصلاة، قد كانت وهى غير كبيرة عليهم. إلا أن يوجّه موجهً تأنيث " الكبيرة " إلى " القبلة "، ويقول: اجتزئ بذكر " القبلة " من ذكر " التولية والتحويلة "، لدلالة الكلام على معنى ذلك، كما قد وصفنا لك في نظائره. (57) فيكون ذلك وجهًا صحيحًا، ومذهبًا مفهومًا.

< 3-166 >

ومعنى قوله: " كبيرة "، عظيمة، (58). كما:-

2217- حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله " قاله، كبيرة في صدور الناس، فيما يدخل الشيطان به ابن آدم. قال: ما لهم صلوا إلى هاهنا ستة عشر شهرًا ثم انحرفوا! فكُبر ذلك في صدور من لا يعرف ولا يعقل والمنافقين، فقالوا: أي شيء هذا الدين؟ وأما الذين آمنوا، فثبت الله جل ثناؤه ذلك في قلوبهم، وقرأ قول الله " وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى الله " قال، صلاتكم حتى يهديكم إلى القبلة. (59)

قال أبو جعفر: وأما قوله: " إلا على الذين هدى الله "، فإنه يعني به:

وإن كان تقلبيئناك عن القبلة التي كنت عليها، لعظيمة إلا على من وُفِّقه الله جل ثناؤه، فهداهُ لتصديقك والإيمان بك وبذلك، واتباعك فيه، وفيما أنزل الله تعالى ذكره عليك، كما:-

2218- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله "، يقول: إلا على الخاشعين، يعني المصدقين بما أنزل الله تبارك وتعالى. (60)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-167 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ

قال أبو جعفر: قيل: عنى ب " الإيمان "، في هذا الموضع: الصلاة.

ذكر الأخبار التي رُويت بذلك، وذكر قول من قاله:

2219- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع وعبيد الله -وحدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبيد الله بن موسى- جميعًا، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال، لما وُجِّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالُوا: كَيْفَ بَمَنْ مَاتَ مِنْ إِخْوَانِنَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَهُمْ يَصْلُونَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلْ ثَنَاءُهُ: " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ". (61)

2220- حدثني إسماعيل بن موسى قال، أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء في قول الله عز وجل: " وما كان الله ليضيع إيمانكم " قال، صلاتكم نحو بيت المقدس.

2221- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء نحوه. (62)

2222- وحدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن محمد بن نفيل الحرّاني قال، حدثنا زهير قال، حدثنا أبو إسحاق، عن البراء قال: مات على القبلة قبل أن تحوّل إلى البيت < 3-168 > رجالٌ وقتلوا، فلم ندر ما تقول فيهم. فأنزل الله تعالى ذكره: " وما كان الله ليضيع إيمانكم ". (63)

2223- حدثنا بشر بن معاذ العقدي قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال، قال أناسٌ من الناس -لما صرفت القبلة نحو البيت الحرام-: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا؟ فأنزل الله جل ثناؤه: " وما كان الله ليضيع إيمانكم ".

2224- حدثني موسى بن هارون قال، حدثني عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: لما وُجِّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، (64) قَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَيْتَ شِئْرْنَا عَنْ إِخْوَانِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يَصْلُونَ قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ! هَلْ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْهُمْ أَمْ لَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلْ ثَنَاءُ فِيهِمْ: " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ " قَالَ، صلاتكم قبل بيت المقدس: يقول: إِنَّ تِلْكَ طَاعَةٌ وَهَذِهِ طَاعَةٌ. (65)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2225- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: قال ناسٌ -لما صرفت القبلة إلى البيت الحرام-: كيف بأعمالنا التي كنا نعملُ في قبلتنا الأولى؟ فأنزل الله تعالى ذكره: " وما كانَ اللهُ ليضيعَ إيمانكم " الآية.

2226- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، أخبرني داود بن أبي عاصم قال، لما صُرف رسولُ الله صلى الله > 169-3 < عليه وسلم إلى الكعبة، قال المسلمون: هَلْكَ أصحابنا الذين كانوا يصلون إلى بيت المقدس! فنزلت: " وما كان اللهُ ليضيعَ إيمانكم " .

2227- حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: " وما كان اللهُ ليضيعَ إيمانكم " ، يقول: صَلَاتِكُمُ الَّتِي صَلَّيْتُمُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكُونَ الْقِبْلَةَ. فَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ قَدْ أَشْفَقُوا عَلَى مَنْ صَلَّى مِنْهُمْ أَنْ لَا تُقْبَلَ صَلَاتُهُمْ.

2228- حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " وما كان اللهُ ليضيعَ إيمانكم " ، صَلَاتِكُمْ.

2229- حدثنا محمد بن إسماعيل الفزاري قال، أخبرنا المؤمل قال، حدثنا سفيان، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية: " وما كان اللهُ ليضيعَ إيمانكم " قال، صَلَاتِكُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ.

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى على أن " الإيمان " التصديق. وأن التصديق قد يكون بالقول وحده، وبالفعل وحده، وبهما جميعًا. (66)

فمعنى قوله: " وما كان اللهُ ليضيعَ إيمانكم " -على ما تظاهرت به الرواية من أنه الصلاة-: وما كان اللهُ ليضيعَ تصديقَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِصَلَاتِكُمْ الَّتِي صَلَّيْتُمُوهَا نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ عَنْ أَمْرِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْكُمْ تَصَدِيقًا لِرَسُولِي، وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِي، وَطَاعَةً مِنْكُمْ لِي.

قال: " وإضاعته إياه " جل ثناؤه -لو أضاعه-: تركُ إثابة أصحابه وعامله عليه، فيذهب ضياعًا، وبصير باطلا كهيئة " إضاعة الرجل ماله " ، وذلك إهلاكه إياه فيما لا يعتاض منه عوضًا في عاجل ولا أجل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فأخبر الله جل ثناؤه أنه لم يكن يُبطل عمَل عاملٍ عمل له عملاً وهو له طاعة، فلا يُثبته عليه، وإن نُسخ ذلك الفرضُ بعد عمَل العامل إياه على ما كلفه من عمله.

فإن قال قائل: وكيف قال الله جل ثناؤه: "وما كان الله ليضيع إيمانكم"، فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين، والقومُ المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس، وفي ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية؟

قيل: إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك، فإنهم أيضاً قد كانوا مشفقين من حُبوط ثواب صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة، وظنوا أن عملهم ذلك قد بطلَ وذهب ضياعاً؟ فأنزل الله جل ثناؤه هذه الآية حينئذ، فوجه الخطاب بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم. لأن من شأن العرب -إذا اجتمع في الخبر المخاطب والغائب- أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب في الخطاب. فيقولوا لرجل خاطبوه على وجه الخبر عنه وعن آخر غائب غير حاضر: "فعلنا بكما وصنعنا بكما"، كهيئة خطابهم لهما وهما حاضران، ولا يستجزون أن يقولوا: "فعلنا بهما"، وهم يخاطبون أحدهما، فيردّوا المخاطب إلى عِدَاد الغَيْب. (67)

القول في تأويل قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** (143)

قال أبو جعفر: ويعني بقوله جل ثناؤه: "إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ": أن الله بجميع عباده ذو رَأْفَةٍ.

< 3-171 >

و "الرأفة"، أعلى معاني الرحمة، وهي عَامَّة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة.

وأما "الرحيم": فإنه ذو الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، على ما قد بينا فيما مضى قبل. (68)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما أراد جل ثناؤه بذلك أنّ الله عز وجل أرحمُ بعباده من أن يُضيع لهم طاعةً أطاعوه بها فلا يشبههم عليها، وأرافُ بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم -أي ولا تأسوا على مَوْتاكم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس-، فإنني لهم = على طاعتهم إياي بصلاتهم التي صلوها كذلك = مثيبٌ، لأنني أرحم بهم من أن أضيع لهم عملاً عملوه لي؛ ولا تحزنوا عليهم، فإنني غيرُ مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة، لأنني لم أكن فرضت ذلك عليهم، وأنا أراف بخلقهم من أن أعاقبهم على تركهم ما لم أمرهم بعمله.

وفي "الرءوف" لغات. إحداها "رؤف" على مثال "فعل"، كما قال الوليد بن عقبة:

وَشَرُّ الطَّالِبِينَ -وَلَا تَكُنْه-

بِقَاتِلِ عَمِّهِ، الرَّؤْفُ الرَّحِيمُ (69)

< 3-172 >

وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة. والأخرى "رؤوف" على مثال "فعل"، وهي قراءة عامة قراء المدينة، و"رئف"، وهي لغة غطفان، على مثال "فعل" مثل حذر. و"رأف" على مثال "فعل" بجزم العين، وهي لغة لبني أسد.

والقراءة على أحد الوجهين الأولين.

القول في تأويل قوله تعالى: قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: قد نرى يا محمد نحنُ تقَلُّبَ وجهك في السماء.

ويعني: ب "التقلب"، التحوُّل والتصرُّف.

ويعني بقوله: "في السماء"، نحو السماء وقبَلها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما قيل له ذلك صلى الله عليه وسلم -فيما بلغنا- لأنه كان = قَبْلَ تحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة = يرفع بصره إلى السماء ينتظر من الله جل ثناؤه أمره بالتحويل نحو الكعبة، كما:-

2230- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " قَدْ تَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ " قال، كان صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء، يحبُّ أن يصرفه الله عز وجل إلى الكعبة، حتى صرفه الله إليها.

2231- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " قَدْ تَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ "، فكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي نحو بيت المقدس، يَهْوَى وَيَشْتَهِي القبلة نحو البيت الحرام، فَوَجَّهَهُ اللهُ جل ثناؤه لقبلة كان يهواها وَيَشْتَهِيهَا.

< 3-173 >

2232- حدثنا المثنى قال، حدثني إسحاق قال، حدثني ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: " قد نرى تقلب وجهك في السماء "، يقول: تَطَّرَكَ فِي السَّمَاءِ. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في الصلاة وهو يصلي نحو بيت المقدس، وكان يهوى قبلة البيت الحرام، فولاه الله قبلة كان يهواها.

2233- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: كان الناس يصلون قبل بيت المقدس، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره، كان إذا صلى رفع رأسه إلى السماء ينتظر ما يؤمر، وكان يصلي قبل بيت المقدس، فنسختها الكعبة. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبُّ أن يصلي قبل الكعبة، فأنزل الله جل ثناؤه: " قَدْ تَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ " الآية.

ثم اختلف في السبب الذي من أجله كان صلى الله عليه وسلم يهوى قبلة الكعبة.

قال بعضهم: كره قبلة بيت المقدس، من أجل أن اليهود قالوا: يتبع قبلتنا ويؤخلفنا في ديننا!

* ذكر من قال ذلك:

2234- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: قالت اليهود: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا! فكان يدعو الله جل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثناؤه، وبستفرض للقبلة، (70) فنزلت: " قد تَرَى تَقْلُبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ "، -وانقطع قول يهود: < 3-174 > يخالفنا ويتبع قبلتنا!- في صلاة الظهر، (71). فجعل الرجال مكانَ النساء، والنساءَ مكانَ الرجال.

2235- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعته -يعني ابن زيد- يقول: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَائِمًا تُوَلُّوا قَتَمًا وَوَجْهَ اللَّهِ . قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَهُودٌ يَسْتَقْبِلُونَ بَيْتًا مِنْ بِيوتِ اللَّهِ -لبيت المقدس- وَلَوْ أَنَا اسْتَقْبَلْنَاهُ! فَاسْتَقْبَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، فَبَلَغَهُ أَنْ يَهُودَ تَقُولُ: وَاللَّهِ مَا دَرَى مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَيْنَ قَبْلَتِهِمْ حَتَّى هَدَيْنَاهُمْ! (72) فَكَرِهَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: " قَدْ تَرَى تَقْلُبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " الْآيَةَ. (73)

وقال آخرون: بل كان يهوى ذلك، من أجل أنه كان قبله أبيه إبراهيم عليه السلام.

* ذكر من قال ذلك:

2236- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس. ففرحت اليهود. فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهرًا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلته إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله عز وجل: " قد نرى تقلب وجهك في السماء " الآية. (74)

< 3-175 >

فأما قوله: " فلنؤليَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا "، فإنه يعني: فلنصرفَنَّكَ عن بيت المقدس، إلى قبله " ترضاهَا " : تهواها وتُحبها. (75)

وأما قوله: " فَوَلِّ وَجْهَكَ "، يعني: اصرف وجهك وحوِّله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقوله: " شَطَرَ المسجد الحَرَام "، يعني: ب " الشطر "، النحو والقصد
والتلقاء، كما قال الهذلي: (76)

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا

فَشَطَرَهَا نَطَرُ الْعَيْتَيْنِ مَحْسُورٌ (77)

يعني بقوله: " شَطَرَهَا "، نحوها. وكما قال ابن أحرمر:

تَعْدُو بِنَا شَطَرَ جَمْعٍ وَهِيَ عَاقِدَةٌ،

قَدْ كَارَبَ الْعَقْدُ مِنْ إِيقَادِهَا الْحَقَبَا (78)

< 3-176 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2237- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية: " شَطَرَ المسجد الحَرَام "، يعني: تلقاءه.

2238- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " شطر المسجد الحرام "، نحوه.

2239- حدثنا محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: " فَوَلَّ وجهك شَطَرَ المسجد الحرام "، نحوه.

2240- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

2241- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة: " فَوَلَّ وجهك شَطَرَ المسجد الحرام "، أي تلقاء المسجد الحرام.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2242- حدثنا الحسين بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " قال، نحو المسجد الحرام.

< 3-177 >

2243- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ "، أي تلقاءه.

2244- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج: أخبرني عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه قال: " شَطْرَهُ "، نحوّه.

2245- حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء: قَوْلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ قَالَ، قِبَلَهُ.

2246- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " شَطْرَهُ "، ناحيته، جانبه. قال: وجوانبه: " شَطْرَهُ " (79).

ثم اختلفوا في المكان الذي أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يولّي وجهه إليه من المسجد الحرام.

فقال بعضهم: القبلة التي حُوّل إليها النبي صلى الله عليه وسلم، وعناها الله تعالى ذكره بقوله: " فَلَئِنْ لَبِيتُكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا "، حَيْالَ مِيزَابِ الْكَعْبَةِ.

* ذكر من قال ذلك:

2247- حدثني عبد الله بن أبي زياد قال، حدثنا عثمان قال، أخبرنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن يحيى بن قمطة، عن عبد الله بن عمرو: " فَلَئِنْ لَبِيتُكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا "، حَيْالَ مِيزَابِ الْكَعْبَةِ. (80)

< 3-178 >

2248- وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، حدثنا هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن يحيى بن قمطة قال: رأيت عبد الله بن عمرو جالساً في المسجد الحرام بإزاء الميزاب، وتلا هذه الآية: " فَلَئِنْ لَبِيتُكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا " قال، هذه القبلة، هي هذه القبلة.

2249- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم -بإسناده عن عبد الله بن عمرو، نحوه- إلا أنه قال: استقبل الميزاب فقال: هذه القبلة التي قال الله لنبيه: " فَلَئِنْ لَبِيتُكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا " (81).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل ذلك البيت كله قبله، وقبله البيت الباب.

* ذكر من قال ذلك:

< 3-179 >

2250- حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن عليه، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: البيت كله قبله، وهذه قبله البيت - يعني التي فيها الباب. (82)

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي ما قال الله جل ثناؤه: " فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ "، فالمولى وجهه شطر المسجد الحرام، هو المصيبُ القبلة. وإنما على من توجه إليه النية بقلبه أنه إليه متوجه، كما أن على من ائتمَّ بإمام فإنما عليه الائتمام به، وإن لم يكن مُحاذيًا بدنه بدنه، وإن كان في طرف الصف والإمام في طرف آخر، عن يمينه أو عن يساره، بعد أن يكون من خلفه مُؤتمماً به، مصلياً إلى الوجه الذي يصلي إليه الإمام. فكذلك حكم القبلة، وإن لم يكن يحاذيها كل مصلٍّ ومتوجه إليها بدنه، غير أنه متوجه إليها. فإن كان عن يمينها أو عن يسارها مقابلها، فهو مستقبلها، بعد ما بينه وبينها، أو قُرب، من عن يمينها أو عن يسارها، بعد أن يكون غير مستدبرها ولا منحرف عنها بدنه ووجهه، كما:

2251- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عميرة بن زياد الكندي، عن علي: " فول وجهك شطر المسجد الحرام " قال، شطره، قبله. (83)

< 3-180 >

قال أبو جعفر: وقبله البيت: بابه، كما:-

2252- حدثني يعقوب بن إبراهيم والفضل بن الصَّبَّاح قالا حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء قال، قال أسامة بن زيد: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من البيت أقبل بوجهه إلى الباب، فقال: هذه القبلة، هذه القبلة. (84)

2253- حدثنا ابن حميد وسفيان بن وكيع قالا حدثنا جرير، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، قال، حدثني أسامة بن زيد قال: خرج النبي صلى >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3-181 < الله عليه وسلم من البيت, فصلى ركعتين مستقبلا بوجهه الكعبة,
فقال: هذه القبلةُ مرتين. (85)

2254- حدثنا أبو كريب قال, حدثنا عبد الرحيم بن سليمان, عن عبد الملك,
عن عطاء, عن أسامة بن زيد, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه. (86)

2255- حدثنا سعيد بن يحيى الأموي قال, حدثنا أبي قال, حدثنا ابن جريح
قال, قلت لعطاء: سمعت ابن عباس يقول: إنما أمرتم بالطواف ولم تؤمروا
بدخوله. قال: قال: لم يكن ينهى عن دخوله, ولكني سمعته يقول: أخبرني أسامة
بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا في نواحيه
كلها, ولم يصل حتى خرج, فلما خرج ركع في قِبَل القبلة ركعتين, وقال: هذه
القبلة. (87)

< 3-182 >

قال أبو جعفر: فأخبر صلى الله عليه وسلم أن البيت هو القبلة, وأن قبلة
البيت بابه.

القول في تأويل قوله تعالى : وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك: فأينما كنتم من الأرض أيها المؤمنون
فحوّلوا وُجُوهكم في صلاتكم نحو المسجد الحرام وتلقاءه.

و " الهاء " التي في " شطره " , عائدة إلى المسجد الحرام.

فأوجب جل ثناؤه بهذه الآية على المؤمنين, فرض التوجّه نحو المسجد الحرام
< 3-183 > في صلاتهم حيث كانوا من أرض الله تبارك وتعالى.

وأدخلت " الفاء " في قوله: " فولوا " , جوابًا للجزاء. وذلك أن قوله: " حيثما
كنتم " جزاء, ومعناه: حيثما تكونوا فولوا وُجُوهكم شطره.

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني بقوله جل ثناؤه: " وإنّ الذين أوثوا الكتاب " أحبار اليهود وعلماء النصارى.

وقد قيل: إنما عنى بذلك اليهودَ خاصّةً.

* ذكر من قال ذلك:

2256- حدثنا موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وإنّ الذين أوثوا الكتاب "، أنزل ذلك في اليهود.

وقوله: " ليعلمون أنه الحق من ربهم "، يعني هؤلاء الأحبار والعلماء من أهل الكتاب، يعلمون أن التوجّه نحو المسجد، الحقّ الذي فرضه الله عز وجل على إبراهيم وذريته وسائر عباده بعده.

ويعني بقوله: " من ربّهم " أنه الفرضُ الواجب على عباد الله تعالى ذكره، وهو الحقّ من عند ربهم، قرّضه عليهم.

< 3-184 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144)

قال أبو جعفر: يعني بذلك تبارك وتعالى: وليس الله بغافل عما تعملون أيها المؤمنون، في اتباعكم أمره، وانتهائكم إلى طاعته، فيما ألزمكم من فرائضه، وإيمانكم به في صلّاتكم نحو بيت المقدس، ثم صلّاتكم من بعد ذلك شطر المسجد الحرام، ولا هو ساه عنه، (88) ولكنه حلّ ثناؤه يُحصيه لكم ويدّخره لكم عنده، حتى يجازيكم به أحسن جزاء، ويشيكم عليه أفضل ثواب.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَئِن أُنْتَبِذَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ

قال أبو جعفر: يعني بذلك تبارك اسمه: ولئن جئت، يا محمد، اليهود والنصارى، بكل برهان وحجة - وهي " الآية " - (89) بأن الحق هو ما جئتهم به، من فرض

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

التحوُّل من قِبلة بيت المقدس في الصلاة، إلى قِبلة المسجد الحرام، ما صدَّقوا به، ولا اتَّبَعوا -مع قيام الحجة عليهم بذلك- قبلك التي حوَّلْتُك إليها، وهي التوجُّه شَطَرَ المسجد الحرام.

قال أبو جعفر: وأجيب " لئن " بالماضي من الفعل، وحكمها الجوابُ بالمستقبل تشبيهاً لها بـ " لو "، فأجيب بما تجاب به " لو "، لتقارب معنيهما. > 3-185 < وقد مضى البيان عن تظير ذلك فيما مضى. (90) وأجيب " لو " بجواب الأيمان. ولا تفعل العربُ ذلك إلا في الجزاء خاصة، لأن الجزاء مُشابه اليمين: في أن كل واحد منهما لا يتم أوّله إلا بآخره، ولا يتمُّ وحده، ولا يصحُّ إلا بما يؤكد به بعده. فلما بدأ باليمين فأدخلت على الجزاء، صارت " اللام " الأولى بمنزلة يمين، والثانية بمنزلة جواب لها، كما قيل: " لعمرك لتقومنَّ " إذ كثرت " اللام " من " لعمرك "، حتى صارت كحرف من حروفه، فأجيب بما يجاب به الأيمان، إذ كانت " اللام " تنوب في الأيمان عن الأيمان، دون سائر الحروف، غير التي هي أحقُّ به الأيمان. فتدلُّ على الأيمان وتعمل عمل الأجوبة، ولا تدلُّ سائر أجوبة الأيمان لنا على الأيمان. (91) فشبهت " اللام " التي في جواب الأيمان بالأيمان، لما وصفنا، فأجيب بأجوبتها.

فكانَ مَعنى الكلام -إذ كان الأمر على ما وصفنا-: لو أتيتَ الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلك.

وأما قوله: " وما أنت بتابع قبلتهم "، يقول: وما لك من سبيل يا محمد إلى اتباع قبلتهم. وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس بصلاتها، وأن النصارى تستقبل المشرق، فأنتى يكون لك السبيل إلى إتباع قبلتهم. مع اختلاف وجوهها؟ يقول: فالزم قبلك التي أمرت بالتوجه إليها، ودع عنك ما تقوله اليهود والنصارى وتدعوك إليه من قبلتهم واستقبالها.

وأما قوله: " وما بعضهم بتابع قِبلة بعض "، فإنه يعني بقوله: وما اليهود بتابعة > 3-186 < قِبلة النصارى، ولا النصارى بتابعة قِبلة اليهود فمتوجهة نحوها، كما:-

2257- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وما بعضهم بتابع قِبلة بعض "، يقول: ما اليهود بتابعي قِبلة النصارى، ولا النصارى بتابعي قِبلة اليهود. قال: وإنما أنزلت هذه الآية من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حُوِّل إلى الكعبة، قالت اليهود: إن محمداً اشتاق إلى بلد أبيه ومولده! ولو ثبت على قبلتنا لَكُنَّا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذي ننتظر! فأنزل الله عز وجل فيهم: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . (92)

2258- حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وما بعضهم بتابع قبلة بعض "، مثل ذلك.

وإنما يعني جل ثناؤه بذلك: أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة، مع إقامة كل حزب منهم على ملتهم. فقال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد، لا تُشعر نفسك رصاً هؤلاء اليهود والنصارى، فإنه أمر لا سبيل إليه. لأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل لك إلى إرضاء كل حزب منهم. من أجل أنك إن اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى، وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود، فُدع ما لا سبيل إليه، وادعهم إلى ما لهم السبيل إليه، من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة، وقبلتك قبلة إبراهيم والأنبياء من بعده.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِدًّا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: " ولئن اتبعت أهواءهم "، ولئن التمسيت يا محمد رصاً هؤلاء اليهود والنصارى، الذين قالوا لك ولأصحابك: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، فاتبعت قبلتهم - يعني: فرجعت إلى قبلتهم.

< 3-187 >

ويعني بقوله: " من بعد ما جاءك من العلم "، من بعد ما وصل إليك من العلم، بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل، وعلى عنادٍ منهم للحق، ومعرفةٍ منهم أن القبلة التي وجهتُ إليها هي القبلة التي فرضتُ على أبيك إبراهيم عليه السلام وسائر ولده من بعده من الرسل - التوجهَ نحوها، " إنك إذا لمن الظالمين "، يعني: إنك إذا فعلت ذلك، من عبادي الظلمة أنفسهم، المخالفين أمري، والتاركين طاعتي، وأحدتهم وفي عدايتهم. (93)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

- (1) سفه الحق : جهله . وانظر ما سلف في معنى "السفه" 1 : 293-294 / ثم هذا الجزء 3 : 90 .
 - (2) الأثر : 2144- هذا إسناد ليس بذاك ، فإن الطبري رواه عن شخص مبهم ، عن أحمد بن يونس ، وهو أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة ، وقد ينسب إلى جده . ولد سنة 133 ، أو 134 ، ومات سنة 227 . مترجم في التهذيب ، والكبير 1/2/6 ، والصغير ، ص : 239 ، وابن أبي حاتم 1/1/57 . وابن سعد 6 : 283 . زهير : هو ابن معاوية أبو خيثمة الكوفي . ثقة ثبت معروف . وأبو إسحاق : هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله . التابعي الكبير المشهور ، البراء : هو ابن عازب الصحابي .
 - (3) انظر ما سلف في معنى "ولي" 2 : 162 ، وهذا الجزء 3 : 115 .
 - (4) انظر ما قال من ذلك في "الحكمة" في هذا الجزء 3 : 87 .
 - (5) في المطبوعة : "إذ كان معناه" بإسقاط "ذلك" ، ولا يقوم الكلام إلا بها .
 - (6) انظر ما سلف في هذا الجزء 3 : 111 تعليق : 1 .
 - (7) الزيادة بين القوسين من سيرة ابن هشام . وفيها : "وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق" .
 - (8) الأثر : 2149- نص ما في سيرة ابن هشام 2 : 198-199 .
 - (9) الحديث : 2150- أبو بكر بن عياش : ثقة معروف ، إلا أنهم أخذوا عليه بعض الأخطاء ، لأنه لما كبر ساء حفظه وتغير . وهو هنا يروى الحديث -منقطعًا- عن البراء ، لأنه لم يدركه . وقد سأله بعض سامعيه ، كما حكى أبو كريب في آخر الحديث : "فيه : أبو إسحاق؟" يريد السائل أن يستوثق منه : أسمع من أبي إسحاق السبيعي عن البراء؟ فسكت ولم يجبه . ولو كان هذا وحده كان الحديث ضعيفًا . ولكنه ثابت من رواية أبي إسحاق السبيعي عن البراء ، في الأسانيد الثلاثة التالية -وأولها من رواية ابن عياش نفسه- ومن مصادر الحديث الآخر ، كما سيأتي .
 - (10) الحديث : 2151- هذا إسناد ضعيف ، لضعف سفيان بن وكيع - شيخ الطبري . ولكنه يتقوى بالروايات الآتية وغيرها .
- وقد رواه ابن ماجه : 1010 ، عن علقمة بن عمرو الدارمي ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، مطولا . وذكر فيه أن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت "ثمانية عشر شهرًا" . وعلقمة بن عمرو الدارمي : ثقة . وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه : "حديث البراء صحيح ، ورجاله ثقات" .
- (11) الحديث : 2152- هذا إسناد صحيح جدًا . يحيى : هو ابن سعيد القطان . سفيان : هو الثوري . والحديث مختصر . وهكذا رواه البخاري 8 : 132 (فتح الباري) ومسلم 1 : 148 - كلاهما من طريق يحيى ، عن سفيان ، به ، مختصرًا .
 - (12) الحديث : 2153- وهذه رواية مفصلة . والإسناد صحيح جدًا . رواه الإمام أحمد في المسند 4 : 283 (حلي)، عن حسن بن موسى ، عن زهير وهو ابن معاوية . بهذا الإسناد نحوه . بأطول منه . ورواه ابن سعد في الطبقات 1/2/5 ، عن الحسن بن موسى ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه البخاري 1 : 89-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

90 ، عن عمرو بن خالد ، عن زهير ، به . ورواه أيضًا 8 : 130 ، عن أبي نعيم ، عن زهير ، مختصرًا قليلا .

ورواه أيضًا البخاري 1 : 421-422 ، و 13 : 202 . ومسلم 1 : 148 ، من أوجه ، عن البراء بن عازب .

وسأتي باقيه بهذا الإسناد : 2222 .

(13) الحديث : 2154- عمران بن موسى بن حيان القزاز الليثي ، شيخ الطبري : ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 306-3/1/305 .

عبد الوارث : هو ابن سعيد بن ذكوان ، أحد الأعلام ، يحيى بن سعيد : هو الأنصاري البخاري ثقة حجة ، من شيوخ الزهري ومالك والثوري وغيرهم .

ابن المسيب : هو سعيد بن المسيب الإمام التابعي الكبير ، ووقع في المطبوعة "المسيب" ، بحذف "ابن" ! وهو خطأ واضح من الناسخين .

وهذا الحديث مرسل ، كما هو مبين ، وكذلك رواه مالك في الموطأ ، ص 196 ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب مرسلا . وكذلك رواه الشافعي عن مالك ، في الرسالة ، بتحقيقنا ، رقم 366 . وكذلك رواه ابن سعد في الطبقات 1/2/4 ، عن يزيد بن هارون ، عن يحيى بن سعيد .

وقد وصله العطاردي . من حديث سعد بن أبي وقاص : فرواه البيهقي في السنن الكبرى 2 : 3 ، من طريق أحمد بن عبد الجبار العطاردي : "حدثنا محمد بين الفضيل ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال ، سمعت سعدًا يقول . . . " . فذكر الحديث . ثم قال البيهقي : "هكذا رواه العطاردي عن ابن فضيل . ورواه مالك ، والثوري ، وحماد بن زيد - عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، مرسلا دون ذكر سعد" .

وهذا إسناد جيد ، يصلح متابعة جيدة للرواية المرسلة . فإن "أحمد بن عبد الجبار العطاردي" : قد مضى في : 66 أن أبا حاتم قال فيه : "ليس بقوي" . ولكن المتأمل في ترجمته في التهذيب 1 : 51-52 ، وتاريخ بغداد 4 : 262-265 - يرى أن توثيقه أرجح ، وأن الكلام فيه لم يكن عن بيعة . ولذلك قال الخطيب : "كان أبو كريب من الشيوخ الكبار ، الصادقين الأبرار وأبو عبيدة السري ابن يحيى شيخ جليل أيضًا ثقة ، من طبقة العطاردي . وقد شهد له أحدهما بالسمع ، والآخر بالعدالة . وذلك يفيد حسن حاله ، وجواز روايته . إذ لم يثبت لغيرهما قول يوجب إسقاط حديثه ، واطراح خبره" . وهذا كاف في قبول زيادته في هذا الحديث ، بوصله من رواية سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص .

(14) الحديث : 2155- عمرو بن علي : هو الفلاس ، مضت ترجمته : 1989 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أبو عاصم : هو النيل ، واسمه "الضحاك بن مخلد" ، وهو فقيه ثقة حافظ ، من شيوخ أحمد وإسحاق وابن المديني وغيرهم من الأئمة . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/337 ، والصغير : 231 ، وابن سعد 7/2/49 ، وابن أبي حاتم 2/1/463 ، والجمع بين رجال الصحيحين 228-229 . وكان نبيلًا حقًا ، صفة ولقبًا . قال البخاري في الكبير : "سمعت أبا عاصم يقول : ما اغتبت أحدًا منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها" . ولد سنة 122 ، ومات سنة 212 وهو ابن 90 سنة و 4 أشهر ولدته أمه وعمرها 12 سنة . رحمهما الله .

عثمان بن سعد التميمي الكاتب المعلم : ثقة ، وثقه أبو نعيم ، والحاكم وغيرهما ، وتكلم فيه بعضهم بغير حجة ، ونقل بعضهم عن النسائي أنه قال : "ليس بثقة" ، ونقل الحافظ أنه رأى بخط ابن عبد الهادي : "الصواب في قول النسائي : أنه ليس بالقوي" . وهذا هو الصواب عن النسائي ، وهو الذي في كتاب الضعفاء له ، ص : 22 . وترجمه ابن أبي حاتم 3/1/153 ، وقال : "سمع أنس بن مالك" . وسماعه من أنس ثابت عندنا في حديث آخر في المسند : 13201 .

فهذا الإسناد -عندنا- صحيح . والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور 1 : 143 ، ونسبه البزار وابن جرير . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 2 : 13 ، وقال : "رواه البزار ، وفيه عثمان بن سعد ، ضعفه يحيى القطان وابن معين وأبو زرعة ، ووثقه أبو نعيم الحافظ ، وقال أبو حاتم : شيخ" . وقال الهيثمي أيضًا : "حديث أنس في الصحيح ، إلا أنه جعل ذلك في صلاة الصبح ، وهنا : الظهر" . يشير بذلك إلى أن أصله في الصحيح ، وهو الحديث في صحيح مسلم 1 : 148 ، من رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، بنحوه ، وفيه : "فمر رجل من بني سلمة ، وهم ركوع في صلاة الفجر ، فنادى : ألا إن القبلة قد حولت! فمالوا كما هم نحو القبلة" . وكذلك رواه ابن سعد 1/2/4 ، من طريق حماد بن سلمة . ومن الواضح أن هذه قصة غير التي رواها الطبري هنا . فإن الذي هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انصرف بوجهه إلى الكعبة . فهذا أول تحويل القبلة . وأما رواية مسلم فتلك بشأن جماعة آخرين ، في مسجد قباء ، جاءهم مخبر فأخبرهم وهم في الصلاة بتحويل القبلة ، فاستداروا إليها . كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، من حديث عبد الله بن عمر . وهو في المسند : 4642 ، 4794 ، 5934 ، 5827 .

(15) الحديث : 2156- أبو داود : هو الطيالسي الإمام الحافظ ، واسمه : "سليمان بن داود بن الجارود" . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/11 ، وابن سعد 7/2/51 ، وابن أبي حاتم 2/1/111-113 ، مات سنة 203 عن 92 سنة لم يستكملها ، كما قال ابن سعد .

المسعودي : هو عبد الرحمن بن عبد لله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ، وهو ثقة ، تغير حفظه في آخر عمره . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 2/2/250-252 . وترجمنا له في شرح المسند مرارًا ، آخرها في الحديث : 7105 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ابن أبي ليلي : هو عبد الرحمن ، التابعي المشهور . ولكنه لم يسمع من معاذ بن جبل ، كما حزم بذلك علي بن المديني والترمذي وابن خزيمة ، لأنه ولد سنة وفاة معاذ أو قبلها أو بعدها بقليل .

فهذا الإسناد منقطع .

والحديث بهذا الإسناد ، مختصرًا ، رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : 566 ، بلفظ : " أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فصلى سبعة عشر شهرًا نحو بيت المقدس ، ثم نزلت عليه هذه الآية : " قد نرى تقلب وجهك في السماء " ، إلى آخر الآية قال ، فوجهه الله إلى الكعبة " .

وهو جزء من حديث طويل ، رواه أبو داود السجستاني في سننه : 507 ، بإسنادين : عن محمد بن المثنى -شيخ الطبري هنا- عن أبي داود ، وهو الطيالسي - ثم رواه عن نصر بن المهاجر ، عن يزيد بن هارون ، كلاهما عن المسعودي . ولكن بين أبو داود أن رواية محمد بن المثنى مختصرة ، كالرواية التي في مسند الطيالسي ، ولكن ذكر أن صلاتهم نحو بيت المقدس كانت "ثلاثة عشر شهرًا" ، كرواية الطبري هنا عن ابن المثنى . وأنا أرجح أن تكون رواية ابن المثنى عن الطيالسي . أرجح من الرواية التي في مسند الطيالسي ، إذ أنه ليس من جمعه ، بل هو من جمع أحد الرواة عنه .

ثم إن حديث معاذ -بطوله- رواه أحمد في المسند 5 : 246-247 ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن يزيد بن هارون - كلاهما عن المسعودي ، بهذا الإسناد . ولكن فيه "سبعة عشر شهرًا" ، كرواية مسند الطيالسي .

وقد أشار الحافظ في الفتح 1 : 89-90 إلى كثير من الروايات في ذلك ، وحاول الجمع بينهما أو الترجيح . وعندني أن مثل هذا لا يستطاع ضبطه إلا أن يكتبه في حينه ، أو تتجه همّتهم إلى العناية بحفظه .

وقال الحافظ ابن كثير 1 : 345-346 : "والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس ، بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة . واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهرًا ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة . التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام . فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق" . وانظر أيضًا تاريخ ابن كثير 3 : 252-254 .

(16) الأثر : 2160- مضى برقم : 1833 ويأتي برقم : 2236 ، والزيادة بين القوسين من الموضوعين .

(17) الأثر : 2162- هو بعض الأثر السالف رقم : 2149 .

(18) يعني الأثر رقم : 2160 .

(19) انظر تفسير "المشرق والمغرب" فيما سلف 2 : 526-530 .

(20) انظر تفسير "هدى" فيما سلف 1 : 166-169 ، وفي فهرس اللغة في الجزء الأول والثاني .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (21) انظر تفسير"الصراط المستقيم" فيما سلف 1 : 170-177 .
(22) انظر ما سلف 1 : 221 / ثم هذا الجزء 3 : 74 ، 100 ، 128 .
(23) يقولون أيضًا : "هو وسيط الحسب في قومه" ، إذا كان أوسطهم نسبًا ،
وأرفعهم مجداً .
(24) شاهد قولهم"واسط" من شعرهم ، قول جابر بن ثعلب الطائي :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ فِي قَوْمِهِ يَحْمَدِ الْغَنَى

وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ الْعَمِّ مُخَوَّلًا

- (25) كأنه من قصيدته المعلقة ، ديوانه 2 : 27 ، ولكن رواية صدر البيت في
الديوان :

لِحَيِّ جِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ

- ولم أجد هذه الرواية فيما طبع من روايات ديوانه . ولكن البيت بهذه الرواية
أنشده الجاحظ في البيان 3 : 225 غير منسوب . وهو منسوب إلى زهير في
أساس البلاغة"وسط" . ورواية الديوان ، والجاحظ : "إذا طرقت إحدى
الليالي" . وهما سواء .
(26) الحديث : 2165- سلم بن جنادة ، شيخ الطبري ، مضت ترجمته في :
48 ، وكثرت رواية الطبري عنه ، وهو أبو السائب . وفي المطبوعة هنا"سالم"
، وهو خطأ تكرر فيها . ولا حاجة بنا إلى التنبيه عليه بعد ذلك .

يعقوب بن إبراهيم : هو الدورقي الحافظ ، مضى : 237 .

وهذا الإسناد والإسنادان بعده ، لحديث واحد ، مختصر من حديث سيأتي :
2179 .

ورواه مختصرًا أيضًا ، أحمد في المسند : 11084 ، عن أبي معاوية ، عن
الأعمش ، به . ورواه بنحوه أيضًا : 11291 ، عن وكيع ، عن الأعمش .
(المسند 3 : 9 ، 32 حلي) . ونقله ابن كثير 1 : 348 ، عن المسند . وذكره
الهيثمي في مجمع الزوائد 6 : 316 ، وقال : "رواه أحمد ، ورجاله رجال
الصحيح" .

وقد وهم صاحب الزوائد في إدخاله فيها ، لأنه مختصر من الحديث المطول
الآتي ، وقد أخرجه البخاري وغيره ، فليس من الزوائد .

وهذه الروايات المختصرة عند الطبري - أشار إليها الحافظ في الفتح 8 : 131 ،
أثناء شرحه الرواية المطولة .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكل الروايات التي رأينا ، فيها "عدلا" بدل "عدولا" . ولعل ما هنا من تحريف الناسخين ، لأن الأجدود صيغة الإفراد . على الوصف بالمصدر ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمثنى والجمع . وفي اللسان : "فإن رأيته مجموعًا أو مثنى أو مؤنثًا - فعلى أنه قد أجرى مجرى الوصف الذي ليس بمصدر" . والذي نقله الحافظ في الفتح ، والسيوطي في الدر المنثور 1 : 144 - بلفظ "عدلا" أيضًا بل عبارة أبي جعفر نفسه ، قبل هذا الحديث تدل على ذلك ، إذ قال : "ذكر من قال : الوسط العدل" .

(27) الحديث : 2168- علي بن عيسى بن يزيد البغدادي الكراجكي : ثقة ، من شيوخ الترمذي وابن خزيمة ، مترجم في التهذيب ، بغداد 12 : 12-13 . قال الخطيب : "وما علمت من حاله إلا خيرًا" . مات سنة 247 .

سعيد بن سليمان : هو أبو عثمان الواسطي البزاز ، لقبه "سعدويه" ، سبق توثيقه في شرح : 611 . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/1/440 وابن سعد 7/2/81 ، وابن أبي حاتم 2/1/26 ، وتاريخ بغداد 9 : 84-87 . مات سنة 225 ، وله 100 سنة .

حفص بن غياث : مضى في : 1037 ، ولكن روايته هنا عن أبي صالح ذكوان السمان ، منقطعة يقينًا ، فإن أبا صالح مات سنة 101 ، وحفص ولد سنة 117 . وإنما يروي عن الأعمش وطبقته ، عن أبي صالح ، كما في الإسناد الماضي : 2165 .

ولعله سقط من نسخة الطبري في هذا الموضع بينهما : "عن الأعمش" - فيستقيم الإسناد ، ويكون صحيحًا . ولم أستطع الجزم بشيء في ذلك ، لأنني لم أجد حديث أبي هريرة هذا في كتاب آخر ذي إسناد . وإنما ذكره السيوطي في الدر المنثور 1 : 144 ، ونسبه الطبري وحده .

وقد يرجح سقوط "الأعمش" من الإسناد في هذا الموضع : أن الحافظ حين أشار في الفتح 8 : 131- إلى روايات الطبري المختصرة لحديث أبي سعيد ، السابق ، ذكر منها أن الطبري رواه "من طريق وكيع عن الأعمش ، بلفظ : والوسط العدل ، مختصر مرفوعًا . ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش ، مثله" . فهذان إسنادان لحديث أبي سعيد ، نقلهما الحافظ ابن حجر - وهو من هو ، دقة وتحريًا - عن هذا الموضع من الطبري ، وليس في النسخة بين أيدينا . فلا يبعد أن يكون في هذا الإسناد أيضًا نقص قوله "عن الأعمش" بين حفص بن غياث وأبي صالح .

(28) الحديث : 2176- هو قطعة من حديث مطول ، سيأتي : 2195 . و"رشدين بن سعد" ثبت في المطبوعة هنا "راشد بن سعد" . وهو خطأ ، كما سنبين هناك إن شاء الله .

(29) في المطبوعة : "وقال مجاهد : عدولا" ، وكأن الصواب ما أثبت ، وإلا كان كلامًا زائدًا ، لا معنى له .

(30) انظر تفسير "الشهداء" فيما سلف 1 : 376-378 / وهذا الجزء 3 : 97 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(31) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، بدلالة الآية ، ودلالة ما سيأتي من قوله : "ويكون رسولي" .

(32) الحديث : 2179- هو والإسنادان بعده ، لحديث واحد ، مضى بعضه بهذه الأسانيد : 2165-2167 ، إلا أن هناك زيادة شيخين للطبري في الإسنادين الأولين منا .

والحديث رواه الإمام أحمد في المسند ، بنحوه : 1130 ، عن وكيع عن الأعمش ، و 11579 ، عن أبي معاوية عن الأعمش . (3 : 32 ، 58 حلي) .

ورواه البخاري 6 : 264 ، من طريق عبد الواحد بن زياد ، و 8 : 130-131 ، من طريق جرير وأبي أسامة ، و 13 : 266 ، من طريق أبي أسامة وجعفر بن عون - كلهم عن الأعمش ، بهذا الإسناد نحوه .

ونقله ابن كثير في التفسير 1 : 347-348 ، من روايتي الإمام أحمد ، وقال : "رواه البخاري والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، من طرق ، عن الأعمش" .

ونسبه السيوطي 1 : 144 لهؤلاء ولغيرهم .
(33) في حديث كعب بن مالك : "فتخلفنا أيتها الثلاثة" - يريد تخلفهم عن غزوة تبوك ، وتأخر توبتهم . وهذه اللفظة تقال في الاختصاص ، وتختص بالمخبر عن نفسه والمخاطب . تقول : "ما أنا فأفعل كذا أيها الرجل" ، يعني نفسه . فمعنى قول كعب : "أيتها الثلاثة" ، أي المخصوصين بالتخلف . (لسان العرب ، مادة : أيا) .

(34) الحديث : 2182- هذا إسناد ضعيف ، لجهالة التابعي الذي رواه عن جابر ، وفي اسم الراوي عن التابعي بحث يحتاج إلى تحقيق .

ابن فضيل : هو محمد بن فضيل بن غزوان ، مضى : 1840 . أبو مالك الأشجعي : هو سعد بن طارق بن أشيم ، تابعي ثقة . مترجم في التهذيب . والكبير 2/2/59 ، وابن أبي حاتم 86-2/1/87 .

المغيرة بن عتيبة بن النهاس : ثبت في الطبري هنا "عيينة" ، بدل "عتيبة" . ولم يترجم في التهذيب ولا ذيوله . وترجمه ابن أبي حاتم 4/1/227 هكذا : "مغيرة بن عتيبة بن نهاس العجلي . وكان قاضيًا لأهل الكوفة . روى عن سعيد بن جبير ، وموسى بن طلحة ، وعن مكتب عن جابر" ، إلخ ، وترجمه البخاري في الكبير 322-4/1/323 هكذا : "مغيرة بن عيينة بن عابس . قال ابن المبارك : ابن النحاس ، عن ... وعن مكتب بن جابر ..." .

وحقق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، مصحح الكتابين - ترجيح ما يفي كتاب ابن أبي حاتم ، لموافقته ما ثبت في الثقات لابن حبان ، والإكمال لابن ماكولا . وهو الصحيح . وللمغيرة هذا روايات كثيرة في تاريخ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الطبري ، وثبت اسم أبيه في كثير منها على الصواب ، وذكر اسمه ونسبه كاملاً هناك 4 : 81 "المغيرة بن عتيبة بن النهاس العجلي" .

وأما قوله هنا "أن مكاتباً لهم حدثهم عن جابر" - فيفهم منه أن التابعي المبهم الراوي عن جابر ، هو من موالى آل المغيرة الراوي عنه ، وأنه مكاتب لهم . ولكن الذي في كتابي البخاري وابن أبي حاتم - كما ترى : "وعن مكتب عن جابر" . فقال العلامة عبد الرحمن في تعليقه على ابن أبي حاتم : "أراه سعيد بن زياد المكتب" ولكنه قبل ذلك في تعليقه على التاريخ الكبير ، ذكر ذلك احتمالاً فقط ، بل كاد يرده بأن "سعيد بن زياد المكتب مولى زياد المكتب مولى بني زهرة" ترجمه البخاري - يعني في 2/1/433 "ولكن لم يذكر روايته عن جابر ولا غيره من الصحابة" . وهو كما قال ، وكذلك ترجمه في التهذيب وغيره . فلذلك أنا أستبعد جداً أن يكون هو المراد بقول البخاري وابن أبي حاتم في شيوخ المغيرة "عن مكتب عن جابر" . بل أكاد أرجح ما هنا في الطبري : أنه عن "مكاتب" ، وأن يكون ذكر في بعض الروايات هكذا ، ولعل بعض الناسخين القدماء نقلها حين نسخها محذوفة الألف .

ولم أجد هذا الحديث في كتاب آخر ذي إسناد ، حتى أستطيع أن أتجاوز هذا الحد في التحقيق . ولكن ذكره السيوطي 1 : 114 - دون إسناد طبعاً - ونسبه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، فقط .

وذكره ابن كثير 1 : 348 ، نقلاً عن ابن مردويه وابن أبي حاتم ، من طريق عبد الواحد بن زياد ، عن أبي مالك الأشجعي ، بهذا الإسناد . وفيه "عن مغيرة بن عتيبة بن نياس" ! وهو غلط واضح .
(35) 2183- عصام بن رواد بن الجراح العسقلاني : ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم 3/2/26 ، وقال : "روى عنه أبي ، وكتبت أنا عنه" ، ثم قال : "سئل أبي عنه؟ فقال : صدوق" . وفي لسان الميزان : "لينه الحاكم أبو أحمد . وذكره ابن حبان في الثقات" .

أبوه "رواد بن الجراح" : مضت ترجمته : 126 . ونزيد هنا : مترجم أيضاً في ميزان الاعتدال . ومجموع الكلام فيه يؤيد ضعفه . وقد روى له الطبري - فيما يأتي (22 : 72-73) حديثاً مكذوباً لا أصل له . وروى ما يدل على أن هذا الشيخ أدخل عليه ذلك الحديث ، فلئن كان ذلك إن فيه لغلة شديدة ما يجوز معها أن يقبل شيء من روايته . أما هذا الحديث -الذي هنا- فإنه لم ينفرد بروايته ، كما سيحيى في الإسناد التالي لهذا .

وقد وقع المطبوعة هنا "عصام بن وراذ" بتقديم الواو على الراء؛ وهو خطأ ظاهر . عبد الله بن أبي الفضل المدني : ترجمه ابن أبي حاتم 2/2/137 ، وروى عن أبيه قال : "لم يرو عنه غير يحيى بن أبي كثير ، ولا نعرفه" . وعن ذلك قال الذهبي في الميزان : "مجهول" . وقال الحافظ في لسان الميزان : "ذكره ابن حبان في الثقات" . وهذا - عندنا كاف في الاحتجاج بحديثه ، إذ هو

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تابعي عرف شخصه ، ووثقه ابن حبان . والتابعون -عندنا- على القبول ، حتى يثبت في أحدهم جرح مقبول .

ووقع هنا في المطبوعة "عبد الله بن الفضل" بحذف كلمة "أبي" ، وهو خطأ . وثبت على الصواب في الإسناد بعده .
(36) الحديث : 2184- هو إسناد آخر للحديث السابق . علي بن سهيل الرملي : مضى : 1384 . الوليد بن مسلم الدمشقي ، عالم الشام : ثقة متقن صحيح العلم صحيح الحديث ، من شيوخ أحمد وإسحاق وغيرهما ، مات سنة 195 . مترجم في التهذيب ، والكبير 152/4/2-153 ، وابن سعد 7/2/173 ، وابن أبي حاتم 17-4/2/16 ، وروى عن مروان بن محمد قال ، "كان الوليد بن مسلم عالمًا بحديث الأوزاعي" .

وشيخه في هذا الإسناد "أبو عمرو" - : هو الأوزاعي .

والحديث -من هذا الوجه- صحيح ، وذكره السيوطي ، 1 : 145 ، ونسبه للطبري وابن أبي حاتم .

وأصله ثابت من حديث أبي هريرة . رواه أحمد في المسند : 7543 . ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، كما بينا هنا . ولكن لم يذكر فيه سؤال أبي بن كعب ، ولا الاستشهاد بالآية . وفي مجمع الزوائد 3 : 4 رواية أخرى له مطولة ، وفيها أن السائل هو عمر . وذكر أنه "رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح" .
(37) الحديث : 2185- وهذا إسناد صحيح ، على شرط مسلم .

زيد بن الحباب -بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة- العكلي : ثقة من شيوخ أحمد وابن المديني وغيرهما من الأئمة ، وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2/1/358 ، وابن سعد 6 : 281 ، وابن أبي حاتم 561-1/2/562 .

عكرمة بن عمار العجلي : ثقة ، روى عنه شعبة والثوري ووكيع وغيرهم . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 4/1/50 ، وابن سعد 5 : 404 ، وابن أبي حاتم 11-3/2/10 .

إياس بن سلمة بن الأكوع : تابعي ثقة كثير الحديث ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وهو قد سمع من أبيه الصحابي ، وروى له الشيخان وغيرهما أحاديث من روايته عنه . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/1/439 ، وابن سعد 5 : 184 ، وابن أبي حاتم 280-1/1/279 . ورجال الصحيحين ، ص : 47 .

والحديث ذكره السيوطي 1 : 145 ، باختصار في آخره . ونسبه لابن أبي شيبة ، وهناد ، وابن جرير والطبراني . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد 3 : 4-5 ، عن إسنادين للطبراني في الكبير ، في كل منهما رجل ضعيف . فيستفاد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تصح الحديث بهذا الإسناد الصحيح عند ابن جرير . وفي المطبوعة : "فما شهدت عليه وجبت" ، والصواب ما أثبت .
(38) الأثر : 2188- كان في المطبوعة "حدثنا عاصم" ، والصواب ما أثبت ، وهو إسناد دائر في التفسير ، أقربيه : 2186 . أما قوله : "ناديه" فهكذا جاءت في المطبوعة ، وفي مطبوعات أخرى ، وفي المخطوطات ، وفي الدر المنثور 1 : 146 : "بإذنه" ، وهذه الأخيرة لا معنى لها . أما قوله : "ناديه" ، فكأنه أراد موقفه يوم القيامة . والنادي : مجتمع القوم وأهل المجلس . ولكني أرجح أن اللفظ محرف عن كلمة معناها "وحده - أو منفردًا" ، فإن سياقه يقتضي ذلك . وقوله : "يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ناديه" أرجح أن قوله : "صلى الله عليه وسلم" زيادة ناسخ ، والسياق يقتضي أن يكون : "يأتي النبي يوم القيامة ناديه ليس معه أحد" .
(39) في المطبوعة : "هل بلغت إسرافيل" ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبت .
(40) الحديث : 2195- هذا حديث ضعيف ، من ناحيتين : من ناحية أنه مرسل ، رواه تابعي لم يسنده عن صحابي . ومن ناحية ضعف "رشدين بن سعد" ، كما سيأتي .

وقد مضت قطعة منه بهذا الإسناد : 2176 . وأحلنا تخريجها على هذا الموضوع .

رشدين بن سعد : ضعيف جدًا ، سبق بيانه في : 1938 . ووقع في المطبوعة هنا ، وفي : 2176 : "راشد" ، كما كان ذلك في : 1938 . وهو خطأ .

ابن أنعم المعافري : هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم -بفتح الهمزة وسكون النون وضم العين المهملة- المعافري الإفريقي القاضي . وهو ثقة ، تكلم فيه كثير من العلماء بغير حجة ، سمع من أجلة التابعين ، وكان شجاعًا في الحق . وكان أحمد بن صالح يقول : هو ثقة ، وينكر على من تكلم فيه . قاله أبو بكر المالكي في رياض النفوس : "كان من جلة المحدثين ، منسوبًا إلى الزهد والورع ، صلًا في دينه ، متفنيًا في علوم شتى" . وغلا فيه ابن حبان غلوًا فاحشًا ، فقال في كتاب المجروحين ، ص : 283-284 : "كان يروي الموضوعات عن الثقات ، ويأتي عن الأثبات ما ليس من أحاديثهم ، وكان يدلس عن محمد بن سعيد بن أبي قيس المطلوب" . ثم روى حديثًا من طريقه يستدل به على ما قال . وهو حديث موضوع ، ولكن ابن أنعم بريء من عهده ، فإن الحمل فيه على أحد الكذابين ، وهو يوسف بن زياد البصري . وقد تعقب الدارقطني على ابن حبان ذلك ، فيما ثبت بهامش مخطوطة المجروحين .

والمشاركة أخطأوا معرفة ابن أنعم ، فعن ذلك جاء ما جاء من جرحه ، بل أخطأوا تاريخ وفاته ، فأرخوه سنة 156 . والمغاربة أعرف به ، وأرخوه سنة 161 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وله تراجم وإفية : في التهذيب 6 : 173-176 ، والصغير للبخاري ، ص : 180 ، وابن أبي حاتم 2/2/334-335 . والمجروحين لابن حبان : 283-284 ، والميزان للذهبي 2 : 104-105 ، وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب : 27-32 . ورياض النفوس لأبي بكر المالكي 1 : 96-103 ، وتاريخ بغداد 10 : 214-218 .

حبان -بكسر المهملة وتشديد الموحدة- بن أبي جيلة المصري : تابعي ثقة . وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ، ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2/1/83 ، وابن أبي حاتم 1/2/269 .

وهذا الحديث مرسل ، إذ حكى راويه عن التابعي أنه "يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، لم يذكر من حدثه به .

وقوله "يسنده" - كتب في المطبوعة هنا وفي : 2176 "يسنده" بالباء الموحدة . وهو تصحيف . والحديث ذكره السيوطي 1 : 145 ، ولم ينسبه لغير الطبري وابن المبارك في الزهد .

وكان في المطبوعة "حقد على أخيه" . وفي الدر المنثور 1 : 146 "إحنة" ، والذي أثبتته من القرطبي ، وبعض المخطوطات . والحنة : الحقد ، من "وحن يحن حنة" مثل : "وعد يعد عدة" (بكسر الجاء وفتح النون) . وقال الأزهرى : ليست من كلام العرب ، إنما هي إحنة : أي حقد . وأنكر الأصمعي "حنة" ، وحكى عنه أبو نصر أنه قال : "كنا نظن الطرماع شيئاً حتى قال :

وَأَكْرَهُ أَنْ يَعْيبَ عَلَيَّ قَوْمِي

جَائِي الْأَرْدَلِينَ دَوِي الْجِنَاتِ

لأنها إحنة وإحن ، ولا يقال حنات" (ديوان الطرماع : 134) . وقال الزمخشري في الفائق (أحن) : "أما ما حكى عن الأصمعي . . . فاستردال منه!" وحن" ، وقضاء على الهمزة بالأصالة ، أو برفض الواو في الاستعمال" . (41) الأثر : 2200- ذكره السيوطي في الدر المنثور 5 : 352 في تفسير [سورة غافر الآية : 51] ، بغير هذا اللفظ ، ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما . ونصه :

"عن زيد بن أسلم : الأشهاد أربعة : الملائكة الذين يحصون علينا أعمالنا ، وقرأ : "وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد" ، والنيون ، شهداء على أممهم ، وقرأ : "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد" ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، شهداء على الأمم ، وقرأ : "لتكونوا شهداء على الناس" ، والأجساد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والجلود ، وقرأ : "وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الذي أنطق كل شيء".

أما ما جاء في نص الطبري ، ووضعت بين قوسين ، فهو خطأ لا شك فيه ، وأخشى أن يكون صوابه "الأطراف والأجساد والجلود" ، ويعني بالأطراف ، الجوارح ، يريد بذلك الأيدي والأرجل ، في قوله تعالى في [سورة يس : 65] : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (42) انظر ما سلف 1 : 139-141 ، 179 ، وغيرها كثير ، أطلبه في الفهارس .

(43) الأثر : 2203- في الدر المنثور 1 : 143 ، وقد مضى شطره في رقم : 2163 . وكان في المطبوعة : "وكل ذلك مقبول ، وإذا كان في إيمان بالله ... ، عبارة ركيكة ، فجعلت "إذا" ، "إذ" وزدت "ذلك" : لتستقيم العبارة . أما في الدر المنثور فعبارته أشد سقمًا ونصها : "وكل ذلك مقبول ، في درجات في الإيمان بالله ، والإخلاص ، والتسليم لقضاء الله" . (44) في المطبوعة : "فلما توجه قبل المسجد" ، والصواب من رقم : 2164 ، والدر المنثور .

(45) الأثر : 2204- مضى بعضه في رقم : 2164 ، وهو في الدر المنثور 1 : 143-142 .

(46) في المطبوعة : "يخبر أنه لم يعلم ذلك ... ، والصواب ما أثبت ، مع الزيادة بين القوسين .

(47) الحديثان : 2206 ، 2207- هما حديث واحد بإسنادين صحيحين .

خالد- في أولهما : هو خالد بن مخلد القطواني ، بفتح القاف والطاء . وهو ثقة من شيوخ البخاري ، أخرج له هو ومسلم في الصحيحين ، تكلم فيه من جهة إفراطه في التشيع ، ولكنه صدوق في الرواية . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2/1/160 ، وابن سعد 6 : 283 ، وابن أبي حاتم 1/2/354 . وشيخه محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقني : ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه الحاكم في المستدرک 1 : 418 ، من طريق يزيد بن هارون ، عن محمد بن إسحاق ، بالإسناد الثاني ، بنحوه . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

والنهي عن سب الدهر ، في الحديث القدسي ، من حديث أبي هريرة- : ثابت من أوجه ، في الصحيحين وغيرهما . فانظر المسند : 7244 ، 7509 . والبخاري 8 : 441 ، و 10 : 465 ، و 13 : 389 . وصحيح مسلم 2 : 196-197 .

(48) ديوانه : 563 ، والنقائص : 409 ، من قصيدته الفالقة ، في نقض قصيدة الفرزدق . وقد عدد فيها أيام قومه . والخطاب في قوله : "كانك" للفرزدق ، ويذكر "يوم جبلة" ، وهو من أعظم أيامهم ، وكان قبل الإسلام بأربعين سنة ، عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لعامر وعيس ، على ذبيان وتميم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

. وقتل يومئذ لقيط بن زرارة ، وأسر حاجب بن زرارة ، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس ، وهم من بني عبد الله بن دارم ، وهم عمومة الفرزدق ، وهو من بني مجاشع بن دارم .

ورواية الديوان والنقائض : "إذا دعوا" ، وكلتاها صحيحة المعنى .

(49) أثبت الشيء : عرفه حق المعرفة .

(50) الزيادة بين القوسين ، لا بد للسياق منها ، وإلا اختل الكلام .

(51) زيادة يقتضيهما سياقه .

(52) كان في المطبوعة : "إلا لنعلم ما عندكم . . ." وهذا يجعل الجملة غير

مستقيمة ، غير مفهومة المعنى . ورأيت أن سياق الكلام قبله يدل على أن

ذلك كما أثبت ، فإن المؤمنين علموا أن قومًا سيرتدون إذا حولت القبلة ،

وأنكر اليهود والمنافقون أن يكون ذلك كائنًا . فاقترض السياق أن يكون

التأويل جامعًا لهذا العلم من هؤلاء ، وذلك الإنكار من أولئك . ثم جاء الطبري

بعبارة تصح ما ذهب إليه في قوله : "إلا لنبين لكم أننا نعلم" . فكأن معنى

الآية عند قائل هذا القول : ما جعلنا القبلة التي كنت عليها ، وإلا للعلم بأننا

نعلم من يتبع الرسول . . .

(53) في المطبوعة : "على وجه الترفيق بعباده" ، وهو خطأ .

(54) كان في الأصل : "قل الله" أول الآية المستشهد بها ، فأثرت إتمامها .

(55) في المطبوعة : "عن أبيه عن أبي العالية" ، بإسقاط "عن الربيع" ، وهو

إسناد دائر في الطبري ، أقربه رقم : 1886 .

(56) الأثر : 2215- سيأتي تامًا برقم : 2217 ، وفيه "يهدىكم إلى القبلة" ، وهما

صواب .

(57) انظر ما سلف في فهارس الأجزاء الماضية .

(58) انظر تفسير "كبيرة" فيما سلف 2 : 15 .

(59) الأثر : 2217- انظر ما سلف رقم : 2115 ، والتعليق عليه .

(60) الأثر 2218- أخشى أن يكون هذا الأثر ، هو نفس الأثر السالف برقم :

856 .

(61) الحديث : 2219- هو بإسنادين معًا : أولهما صحيح ، وهو رواية أبي كريب

، عن وكيع وعبيد الله بن موسى . وثانيهما ضعيف ، وهو رواية سفيان بن

وكيع عن عبيد الله بن موسى .

وعبيد الله بن موسى العبسي : مضى في 2092 .

والحديث رواه أحمد في المسند : 3249 ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، بهذا

الإسناد ، نحوه . ورواه أيضًا مطولا ومختصرًا ، من طرق عن إسرائيل :

2691 ، 2776 ، 2966 . وخرجناه هناك في : 2691 .

(62) الحديثان : 2220-2221- هما حديث واحد بإسنادين .

وذكره السيوطي 1 : 146 ، ونسبه أيضًا لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ،

وابن أبي حاتم .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(63) الحديث : 2222- عبد الله بن محمد بن نفييل : هو عبد الله بن محمد بن علي بن نفييل ، أبو جعفر النفييلي الحراني ، الثقة المأمون الحافظ . مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم 2/2/159 .

زهير : هو ابن معاوية الجعفي أبو خيثمة . مضى : 2144 . وأبو إسحاق : هو السبيعي الهمداني . والحديث هو باقي الحديث الماضي لهذا الإسناد : 2153 . وقد بينا تخريجه هناك .

(64) في المطبوعة : "لما توجه . . ." ، وانظر ما سلف رقم : 2204 ، والتعليق عليه .

(65) الأثر : 2224- مضى برقم : 2164 ، ثم : 2204 ، وفيه هنا زيادة .

(66) انظر ما سلف 1 : 234-235 ، وغيره ، فالتمسه في فهرس اللغة .

(67) الغيب (بفتحيتين) جمع غائب ، مثل خادم وخدم .

(68) انظر ما سلف 1 : 126-134 .

(69) كان في المطبوعة : "الرءوف الرحيم" . وجاء علي الصواب في القرطبي

2 : 145 ، وأبي حيان 1 : 427 ، وفيهما خطأ آخر ، الأول فيه "يقاتل" ،

والثاني "يقابل" ، وكان هذا البيت من شعر الوليد بن عقبة ، الذي كتب به

إلى معاوية يحض معاوية على قتال علي رضي الله عنهما . وهي في أنساب

الأشراف : 140 ، وتاريخ الطبري 5 : 236-237 ، وحماسة البحتري : 30 ،

واللسان (حلم) وغيرها ، وليس فيها هذا البيت ، وكأنه قبل البيت الذي يقول

فيه :

لَكَ الْوَيْلَاتُ! أَفَجَمَّهَا عَلَيَّهِمْ

فخَيْرُ الطَّالِبِي التَّرَةِ الْعَشُومُ

وقوله : "لا تكنه" ، دعاء له ، واستنكار أن يكون كهذا الطالب الثائر الذي يطالب بدم عمه ، وهو رؤوف رحيم بعدوه وقاتل عمه ، وهو شر طالب ثار

(70) في المطبوعة : "يستعرض للقبلة" ، وأثبت ما في الدر المنثور 1 : 147

وقوله : "يستفرض" أي يطلب فرضها عليه وعلى المؤمنين . وهذا ما لم تشبه

كتب اللغة ، ولكنه صحيح العربية . أما قوله : "يستعرض للقبلة" ، فليست

بشيء .

(71) سياق عبارته : "فنزلت . . . في صلاة الظهر" .

(72) في المطبوعة : "ما درى محمد صلى الله عليه وسلم" ، ولا تقوله يهود

، فرفعته . وكذلك جاء في رقم : 1838 .

(73) الأثر : 2235- مضى برقم : 1838 .

(74) الأثر : 2236- مضى برقم : 1833 ، ورقم : 2160 .

(75) انظر معاني "ولى" فيما سلف 2 : 162 ، 535 ، وهذا الجزء 3 : 131 .

(76) هو قيس بن العيزارة الهذلي . والعيزارة أمه ، واسمه قيس بن خويلد بن كاهل .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(77) ديوانه في أشعار الهذليين للسكري : 261 (أوربة) ، ورسالة الشافعي : 35 ، 487 ، وسيرة ابن هشام 2 : 200 ، والكامل 1 : 12 ، 2 : 3 ومجاز القرآن لأبي عبيدة : 60 ، واللسان (شطر) (حسر) ، وغيرها . ورواية الشافعي في الرسالة : "إن العسيب" بالباء في آخره ، ورواية ديوانه وابن هشام : "إن النعوس" . والعسير : التي تعسر بذنبها إذا حملت ، من شرستها . والنعوس : التي تغمض عينيها عند الحلب . والعسيب : جريد النخل إذا كشط عنه خوصه . وأرى أنه لم يرد صفة الناقة بأحد هذه الألفاظ الثلاثة ، وإنما هو اسم ناقته . وكلها صالح أن يكون اسما للناقة . وقد قال ابن هشام : "النعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : "وهو حسير" . ويروى : "داء يخامرها فنحوها . . ." ، ورواية ديوانه "مخزور" . ومحسور ، هو الحسير : الذي قد أعى وكل . ومخزور : من قولهم : "خزر بصره" : إذا دانى بين جفنيه ونظر بلحاظه . وهو يصف ناقته ، ويذكر حزنه وحبه لها ، فهو من الداء الذي خامرها مشفق عليها ، يطيل النظر إليها حتى تحسر عيناه ويكل . (78) سيرة ابن هشام 2 : 199 ، والروض الأنف 2 : 38 ، والخزانة 3 : 38 ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : 60 . وفي المطبوعة : "من إنفادها" ، وهو خطأ . وقال : قبله :

أَنْشَأْتُ أَسْأَلُهُ عَنِّ حَالِ رُفْقَتِيهِ

فَقَالَ : حَيٍّ، فَإِنَّ الرَّكْبَ قَدْ تَصَبَّأَ

حي : اعجل . ونصب : جد في السير : وقوله : "جمع" ، هي مزدلفة ، يريد الحج . وقوله : عاقدة ، أي : قد عطفت ذنبها بين فخذيهما . وقوله : كارب ، أي أوشك وكاد وقارب ودنا . وأوفدت الناقة إيفادًا : أسرع . والحقب : الحزام يشد به الرجل في بطن البعير مما يلي ثيله لئلا يؤذيه التصدير . يقول : قد أسرعوا إسرارًا إلى مزدلفة ، فجعلت تعطف ذنبها تسد به فرجها حتى كاد عقد ذنبها يبلغ الحقب . والناقة تسد فرجها بذنبها في إسراعها ، يقول المخبل السعدي :

وَإِذْ رَفَعْتُ السَّوْطَ، أَفْرَعَهَا

تَحْتَ الصُّلُوعِ مُرَوِّعُ شَهْمُ

وَتَسُدُّ حَادِيَهَا بِذِي حُصْلِ

عُقِمَتْ فَنَاعَمَ، تَبَّتْهُ الْعُقْمُ

ويقول المثقب العبدى ، يصف ناقته مسرعة :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

تَسُدُّ يَدَائِمِ الْخَطَرَانَ جَثَلٍ

خَوَايَةَ فَرْجِ مَقْلَاتِ دَهِينِ

(79) الخبر : 2246- هو وما قبله من الأخبار ، في تفسير (شطره) بأنه : قبله ، أو : نحوه . وانظر مؤيدًا ذلك ، ما قاله الشافعي في الرسالة ، بتحقيقنا : 105-111 ، 1378-1381 .

(80) الحديث : 2247- عبد الله بن أبي زياد ، شيخ الطبري : نسب إلى جده . وهو "عبد الله بن الحكم بن أبي زياد القطواني" ، واسم "أبي زياد" : "سليمان" . وعبد الله هذا : ثقة ، روى عنه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وابن خزيمة ، وغيرهم . مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم 2/2/38 .

وشيخه "عثمان" : ما أدري من هو؟ وأغلب الظن أنه محرف ، وصوابه "عفان" .

يحيى بن قمطة : تابعي ثقة ، ترجمه البخاري في الكبير 4/2/229 ، وابن أبي حاتم 4/2/181 ، وذكر أنه حجازي ، ولم يذكر فيه جرًا . وذكر البخاري أنه يروي "عن ابن عمر" . وذكر ابن أبي حاتم أنه يروي "عن عبد الله بن عمرو" . وذكره ابن حبان في الثقات ، ص : 371 ، وقال : "يروى عن ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو" . روى عنه يعلى بن عطاء .

واسم أبيه : "قمطة" بالقاف ثم الميم ثم الطاء المهملة . ولم أجد ما يدل على ضبط هذه الحروف . لكنه ثبت هكذا في الطبري وتفسير عبد الرزاق ومراجع الترجمة . ووقع في ابن كثير والمستدرک "قطة" بدون الميم . وهو خطأ ، لمخالفته ما ذكرنا عن المراجع .

والحديث رواه الحاكم في المستدرک 2 : 269 ، من طريق مسلم بن إبراهيم ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، مطولا بنحو الرواية التي بعد هذه . وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي . (81) الحديثان : 2248 ، 2249- وهذان إسنادان آخران للحديث قبلهما . وأولهما من رواية عبد الرزاق ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء .

وهشيم- بالتصغير : هو ابن بشير ، بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة . وهو أبو معاوية بن أبي خازم ، وهو حافظ ثقة ثبت . مترجم في التهذيب . والكبير 4/2/242 ، وابن سعد 7/2/61 ، 70 . وابن أبي حاتم 4/2/115-116 . وتذكرة الحفاظ 1 : 229-230 .

والحديث في تفسير عبد الرزاق ، ص : 13 ، بهذا الإسناد . وليس فيه كلمة "هي" المزادة هنا بعد قوله : "هذه القبلة" . وأخشى أن تكون زيادتها غير جيدة ولا ثابتة .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وذكر ابن كثير 1 : 352 ، أنه رواه أيضًا ابن أبي حاتم "عن الحسن بن عرفة ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء" . ووقع اسم "هشيم" فيه محرّفًا ، فيصح من هذا الموضع .

والحديث في الدر المنثور أيضًا 1 : 147 ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة ، وسعيد بن منصور ، وأحمد بن منيع في مسنده ، وابن المنذر ، والطبراني في الكبير . وهو في مجمع الزوائد 6 : 316 ، وقال : "رواه الطبراني من طريقين ، ورجال إحداهما ثقات" .
(82) الخبر : 2250- نقله السيوطي 1 : 147 ، عن الطبري وحده ، بلفظ : "البيت كله قبلة ، وقبلة البيت الباب" .
(83) الحديث : 2251- أبو إسحاق : هو السبيعي الهمداني .

عميرة -بفتح العين- بن زياد الكندي : تابعي ثقة ، ترجمه ابن سعد في الطبقات 6 : 141 ، وقال : "روى عن عبد الله" . أراد بذلك عبد الله بن مسعود . وترجمه البخاري في الكبير 4/1/69 . وابن أبي حاتم 3/2/24 . ولم يذكر فيه جرًّا ، ولا رواية عن غير ابن مسعود . وذكر أن الراوي عنه أبو إسحاق .

والحديث رواه الحاكم في المستدرک 2 : 269 ، من طريق محمد بن كثير ، عن سفيان -وهو الثوري- عن أبي إسحاق بهذا الإسناد . وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي . وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ج 2 ص 3 ، عن الحاكم .

وذكره السيوطي 1 : 147 ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدينوري في المجالسة .

وذكره ابن كثير 1 : 268 ، نقلا عن الحاكم .

ولفظه عندهم جميعًا : "قال : شطره قبله" ، كما أثبتنا . ووقع في المطبوعة هنا : "قال : شطره فينا قبلة!!" وهو خطأ سخيّف ، من ناسخ أو طابع .

ووقع في الإسناد في ابن كثير "محمد بن إسحاق" بدل "أبي إسحاق" . وهو خطأ يخالف ما ثبت هنا ، وما ثبت في سائر المراجع .

ووقع فيه في ابن كثير والمستدرک ومختصره للذهبي -المطبوع والمخطوط- "عمير بن زياد" . وهو خطأ أيضًا . وثبت على الصواب في رواية البيهقي عن الحاكم .
(84) الحديث : 2252- الفضل بن الصباح البغدادي : ثقة ، وثقه ابن معين . وقال أبو القاسم البغوي : "كان من خيار عباد الله" . مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم 3/2/63 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عبد الملك : هو ابن أبي سليمان العزمي ، مضى في : 1455 .

عطاء : هو ابن أبي رباح ، التابعي الكبير ، الإمام الحجة ، القدوة العلم ، مفتي أهل مكة ومحدثهم . مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم 3/1/330-331 . وتذكرة الحفاظ 1 : 92 : 93 ، وتاريخ الإسلام 4 : 278-280 ، وابن سعد 133/2/134 ، و 5 : 344-346 .

أسامة بن زيد بن حارثة : هو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه .

وقد زعم أبو حاتم -فيما حكاه عنه ابنه في المراسيل : ص : 57- أن عطاء لم يسمع من أسامة . ولكن الرواية التالية لهذه ، فيها تصريح عطاء بالسمع منه . ثم المعاصرة كافية في ثبوت الاتصال ، كما هو الراجح عند أهل العلم بالحديث .

وعطاء ولد سنة 27 ومات سنة 114 . بل ذكر الذهبي أنه مات عن 90 سنة . وأسامة بن زيد مات سنة 54 . بل أرخ مصعب الزبيري وفاته في آخر خلافة معاوية سنة 58 أو 59 .

وهذا الحديث رواه أحمد في المسند (5 : 209) ، عن هشيم ، بهذا الإسناد واللفظ . ثم رواه عقبه ، بالإسناد نفسه مطولا ، بنحوه . (85) الحديث : 2253- ابن حميد : هو محمد بن حميد بن حيان الرازي الحافظ . سبقت رواية الطبري عنه مرارًا كثيرة ، ووثقناه في 2028 . ونزيد هنا أنه وثقه ابن معين وغيره . وأنكروا عليه أحاديث ، وأجاب عنه ابن معين بأن هذه الأحاديث التي يحدث بها ، ليس هو من قبله ، إنما هو من قبل الشيوخ الذي يحدث به عنهم" . وقال الخليلي : "كان حافظًا عالمًا بهذا الشأن ، رضيه أحمد ويحيى" . وعرض عبد الله بن أحمد على أبيه ما كتبه عنه ، فقال : أما حديثه عن ابن المبارك وجريير ، فصحيح ، وأما حديثه عن أهل الري ، فهو أعلم" . مترجم في التهذيب ، والكبير 1/1/69-70 ، وابن أبي حاتم 3/2/232-233 ، والخطيب 2 : 259-264 ، وتذكرة الحفاظ 2 : 67-69 .

جريير : هو ابن عبد الحميد بن قرط الرازي ، وهو ثقة حجة . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 1/2/214 ، وابن سعد 7/2/110 . وابن أبي حاتم 505/1/1/507 ، والخطيب 7 : 253-261 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 250 .

فهذا إسناد صحيح ، صرح فيه عطاء بالسمع من أسامة بن زيد ، كما أشرفا في الإسناد السابق .

والحديث رواه أحمد في المسند (5 : 210 ح) ، ضمن قصة ، عن يحيى -وهو القطان- عن عبد الملك "حدثنا عطاء ، عن أسامة بن زيد" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(86) الحديث : 2254- عبد الرحيم بن سليمان : هو المروزي الأشلي ، مضت ترجمته : 2030 . والحديث تكرر لسابقه ، لكن لم يصرح في هذا الإسناد بسماع عطاء من أسامة .

(87) الحديث 2255- سعيد بن يحيى بن سعيد ، الأموي : ثقة ثبت ، بل قال علي بن المديني : "جماعة من الأولاد أثبت عندنا من آبائهم . . . وهذا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي : أثبت من أبيه" . وهو من شيوخ البخاري ومسلم وأبي زرعة وأبي حاتم ، مترجم في التهذيب ، والكبير 2/1/477 ، وابن أبي حاتم 2/1/74 ، والخطيب 9 : 90-91 . أبوه ، يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص : حافظ ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/277 ، وابن سعد 6 : 277-278 ، و 81-7/2/80 . وابن أبي حاتم 4/2/151 ، والخطيب 14 : 132-135 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 298 .

والحديث رواه أحمد في المسند (5 : 208 ح) ، عن عبد الرزاق ، وروح - كلاهما عن ابن جريج ، بهذا الإسناد نحوه .

رواه قبل ذلك (ص : 201 ح) عن عبد الرزاق وحده ، مختصراً ، طوى القصة فلم يذكرها .

وليس في هذا الحديث ما ينفي أن يكون عطاء سمع الحديث من أسامة بن زيد ، لأنه -هنا- إنما يجيب السائل عن قوا ابن عباس ، وينفي أن يكون ابن عباس ينهى عن دخول البيت . فهو يذكر رواية ابن عباس عن أسامة ، من أجل هذا . ولا يمنع هذا أن يكون الحديث عند عطاء عن أسامة مباشرة .

والحديث رواه أيضاً مسلم 1 : 376-377 ، من طريق محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، بهذا الإسناد ، نحو هذه القصة ، أطول منها قليلا .

ورواه البخاري 1 : 420-421 (فتح الباري) ، من طريق عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، مختصراً . لم يذكر القصة ، ولم يذكر أنه عن أسامة ، جعله من حديث ابن عباس . وذكر الحافظ أنه رواه الإسماعيلي وأبو نعيم ، في مستخرجيهما ، من طريق إسحاق بن راهويه ، عن عبد الرزاق ، بإسناد هذا : "فجعله من رواية ابن عباس عن أسامة بن زيد" . قال الحافظ : "وهو الأرجح" .

والخلاف في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة أو لم يصل - مذكور في الدواوين . والراجح صلاته فيها . المثبت مقدم على النافي . وانظر نصب الراية 2 : 319-322 .

(88) انظر تفسير "غافل" فيما سلف 2 : 243-244 ، 315 ، وهذا الجزء 3 : 127 .

(89) انظر تفسيره "آية" فيما سلف 1 : 106/2 : 553 .

(90) انظر ما سلف 2 : 458 ، وانظر معاني القرآن للفراء 1 : 84 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (91) قوله : "أجوبة الأيمان لنا على الأيمان" هذه عبارة غامضة ، لم أظفر لها بوجه أرتضيه ، وأنا لا أشك في تحريفها أو نقصها .
(92) الأثر : 2257- انظر ما مضى رقم : 2204 .
(93) السياق : من عبادي الظلمة . . . وأحدهم ، وفي عدادهم " .

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمْ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه"، أحبار اليهود وعلماء النصارى: يقول: يعرف هؤلاء الأحبار من اليهود، والعلماء من النصارى: أن البيت الحرام قبلتهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلك، كما يعرفون أبناءهم، كما:-

2259- حدثنا بشر بن معاذ: قال، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"، يقول: يعرفون أن البيت الحرام هو القبلة.

2260- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قول الله عز وجل: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"، يعني: القبلة.

< 3-188 >

2261- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"، عرفوا أن قبلة البيت الحرام هي قبلتهم التي أمروا بها، كما عرفوا أبناءهم.

2262- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"، يعني بذلك: الكعبة البيت الحرام.

2263- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"، يعرفون الكعبة من قبلة الأنبياء، كما يعرفون أبناءهم. (1)

2264- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"، قال، اليهود يعرفون أنها هي القبلة، مكة.

2265- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح في قوله: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"، قال، القبلة والبيت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِنَّ قَرِيْبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: وَإِنَّ طَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ - وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ.

2266- حدثني محمد بن عمرو -يعني الباهلي- قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بذلك.

< 3-189 >

2267- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج مثله.

2268- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح مثله.

قال أبو جعفر: وقوله: " ليكتُمون الحق "، - وذلك الحق هو القبلة = التي وجَّهَ اللهُ عز وجل إليها نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم. يقول: قَوْلٌ وَجْهٌ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ = التي كانت الأنبياء من قبل محمدٍ صلى الله عليه وسلم يتوجَّهون إليها. فَكْتَمْتَهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَتَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ شَرْقًا، وَبَعْضُهُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَرَفَضُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَكْتَمُوا مَعَ ذَلِكَ أَمْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ. فَأَطْلَعَ اللهُ عز وجل محمدًا صلى الله عليه وسلم وَأَمَّتْهُ عَلَى خِيَانَتِهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَخِيَانَتِهِمْ عِبَادَهُ، وَكْتَمَانِهِمْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْحَقَّ غَيْرُهُ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ جَلْ ثَنَاؤُهُ خِلَافُهُ، فَقَالَ: " ليكتُمونَ الحقَّ وهم يعلمون "، أَنْ لَيْسَ لَهُمْ كْتِمَانُهُ، فَيَتَعَمَّدُونَ مَعْصِيَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كَمَا: (2)

2269- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد عن قتادة قوله: " وَإِنَّ قَرِيْبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "، فَكْتَمُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

2270- حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ليكتُمونَ الحقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " قال، يكتُمونَ محمدًا صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-190 >

2271- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق بن الحجاج قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "، يعني القبلة.

القول في تأويل قوله تعالى : الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره (3) اعلم يا محمد أنّ الحق ما أعلمك ربك وأتاك من عنده، لا ما يقول لك اليهود والنصارى.

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره خبر لنبيه عليه السلام: (4) عن أن القبلة التي وجهه نحوها، هي القبلةُ الحقُّ التي كان عليها إبراهيم خليل الرحمن ومَنْ بعده من أنبياء الله عز وجل.

يقول تعالى ذكره له: فاعمل بالحقّ الذي أتاك من ربِّك يا محمد، ولا تكونَنَّ من الممترين.

يعني بقوله: " فلا تكونن من الممترين "، أي: فلا تكونن من الشاكِّين في أن القبلة التي وجَّهتكَ نحوها قبلُ إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره، كما:

2272- حدثني المثنى قال، حدثني إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: قال الله تعالى ذكره لنبيه عليه السلام: " الحقُّ من ربك فلا تكونن من الممترين "، يقول: لا تكن في شك، فإنها قبلتُك وقبلتُ الأنبياء من قبلك. (5)

< 3-191 >

2273- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " فلا تكونن من الممترين " قال، من الشاكين قال، لا تشكَّن في ذلك.

قال أبو جعفر: وإنما " الممترى " (6) " مفتعل "، من " المرَّبة "، و " المرَّبة " هي الشك، ومنه قول الأعشى:

تَدِرُّ عَلَى أَسْوَاقِ الْمُمْتَرِينَ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

رَكُضًا، إِذَا مَا السَّرَابُ ارْجَحَنَّ (7)

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: أو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكًا في أن الحق من ربه، أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره، حتى تُهي عن الشك في ذلك، فقل له: " فلا تكونن من الممترين "؟

قيل: ذلك من الكلام الذي تُخرجه العرب مُخْرَجَ الأمر أو النهي للمخاطب به، وإلمراد به غيره، كما قال جل ثناؤه: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ [سورة الأحزاب: 1]، ثم قال: وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ < 3-192 > مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [سورة الأحزاب: 2]. فخرج الكلام مخرج الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم والنهي له، وإلمراد به أصحابه المؤمنون به. وقد بينا نظير ذلك فيما مضى قبل بما أَعْتَى عن إعادته. (8)

القول في تأويل قوله تعالى : وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: " ولكل "، ولكل أهل ملة، (9) فحذف " أهل الملة " واكتفى بدلالة الكلام عليه، كما:-

2274- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: " ولكل وِجْهَةٌ " قال، لكل صاحب ملة.

2275- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " ولكل وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا "، فليهودي وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا، وللنصراني وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا، وهذاكم الله عز وجل أنتم أيها الأمة للقبلة التي هي قبلة. (10)

2276- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال، قلت لعطاء قوله: " ولكل وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا " قال، لكل أهل دين، اليهود والنصارى. قال ابن جريج، قال مجاهد: لكل صاحب ملة.

2277- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " ولكل وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا " قال، لليهود قبلة، وللنصارى قبلة، ولكم قبلة. يريد المسلمين.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2278- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، > 3-193 < حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " ولكل وجهه هو مولياها "، يعني بذلك أهل الأديان: يقول: لكل قبله يرضونها، ووجهه الله تبارك وتعالى اسمه حيث توجه المؤمنون. وذلك أن الله تعالى ذكره قال: فَأَيَّمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [سورة البقرة: 115]

2279- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " ولكل وجهه هو مولياها "، يقول: لكل قوم قبله قد ولوها.

فتأويل أهل هذه المقالة في هذه الآية: ولكل أهل ملة قبله هو مستقبلها، ومول وجهه إليها.

وقال آخرون بما:-

2280- حدثنا به الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: " ولكل وجهه هو مولياها " قال، هي صلاتهم إلى بيت المقدس، وصلاتهم إلى الكعبة.

وتأويل قائل هذه المقالة: ولكل ناحية وجهك إليها ربك يا محمد قبله، الله عز وجل مولياها عباده.

وأما " الوجهة "، فإنها مصدر مثل " القعدة " و " المشية "، من " التوجه "، وتأويلها: مُتَوَجَّهٌ، يتوجه إليه بوجهه في صلاته، (11) كما:-

2281- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " وجهه " قبله.

> 3-194 <

2282- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2283- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " ولكل وجهة " قال، وَجْه.

2284- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " وَجْهَة "، قِبلة.

2285- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير قال، قلت لمنصور: " ولكل وَجْهَة هو مولِّها " قال، نحن نقرؤها، ولكلَّ جَعَلْنَا قِبلة يَرْضُونَهَا. (12)

وأما قوله: " هو مُولِّها "، فإنه يعني هو مولٌّ وجهه إليها ومستقبلها، (13) كما:-

2286- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " هو مولِّها " قال، هو مستقبلها.

2287- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

ومعنى " التولية " هاهنا الإقبال، كما يقول القائل لغيره: " انصرف إليّ " بمعنى: أقبل إليّ. " والانصراف " المستعمل، إنما هو الانصراف عن الشيء، ثم يقال: " انصرف إلى الشيء "، بمعنى: أقبل إليه منصرفًا عن غيره. وكذلك يقال: " وليت عنه "، إذا أدبرت عنه. ثم يقال: " وليت إليه "، بمعنى أقبلت إليه مولِّيًا عن غيره. (14)

< 3-195 >

والفعل -أعني- التولية -" في قوله: " هو مولِّها " لل " كل " و " هو " التي مع " مولِّها "، هو " الكل "، وَحُدَّتْ للفظ " الكل ".

فمعنى الكلام إِدًّا: ولكل أهل مِلة وجهة، الكلُّ. منهم مولُّوها وَجُوهَهُمْ. (15)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد روي عن ابن عباس وغيره أنهم قرأوها: " هو مُولاها "، بمعنى أنه مُوجَّهٌ نحوها. ويكون " الكل " حينئذ غير مسمَّى فاعله، (16) ولو سُمي فاعله، لكان الكلام: ولكل ذي ملة وجهه، الله موليه إياها، بمعنى: موجَّهه إليها.

وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك: " ولكلُّ وجهه " بترك التنوين والإضافة. وذلك لحنٍّ، ولا تجوز القراءةُ به. لأن ذلك -إذا قرئ كذلك- كان الخبرُ غير تامٍّ، وكان كلامًا لا معنى له. وذلك غير جائز أن يكون من الله جل ثناؤه.

والصواب عندنا من القراءة في ذلك: " ولكلُّ وجهه هُوَ مُولِّيها "، بمعنى: ولكلُّ وجهه وقبله، ذلك الكلُّ مُولٌّ وجهه نحوها. لإجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك، وتصويبها إياها، وشذوذ من خالف ذلك إلى غيره. وما جاء به النقلُ مستفيضًا فحجة، وما انفرد به من كان جائزًا عليه السهو والغلط، (17) فغيرُ جائز الاعتراضُ به على الحجة.

< 3-196 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " فاستبقوا "، فبادروا وسارعوا، من " الاستباق "، وهو المبادرة والإسراع، كما:-

2288- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " فاستبقوا الخيرات "، يقول: فسارعوا في الخيرات. (18)

وإنما يعني بقوله: " فاستبقوا الخيرات "، أي: قد بينت لكم أيها المؤمنون الحقَّ، وهديتكم للقبلة التي ضلت عنها اليهود والنصارى وسائر أهل الملل غيركم، فبادروا بالأعمال الصالحة، شكرًا لربكم، وتزودوا في دنياكم لآخرتكم، (19) فإني قد بينت لكم سبل النجاة، (20) فلا عذر لكم في التفريط، وحافظوا على قبلكم، فلا تضيّعوها كما ضيَّعتها الأمم قبلكم، (21) فتصلوا كما ضلت كالذي:-

2289- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " فاستبقوا الخيرات "، يقول: لا تُغلبنَّ على قبلكم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2290- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " فاستبقوا الخيرات " قال، الأعمال الصالحة.

< 3-197 >

القول في تأويل قوله تعالى : أَيَّمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)

قال أبو جعفر: ومعنى قوله: " أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا "، في أي مكان وبقعة تهلكون فيه، (22) يأت بكم الله جميعًا يوم القيامة، إن الله على كل شيء قدير، كما:-

2291- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا "، يقول: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا يوم القيامة.

2291م- حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا "، يعني: يوم القيامة.

قال أبو جعفر: وإنما حضَّ الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية على طاعته والتزُّود في الدنيا للآخرة، فقال جل ثناؤه لهم: استبقوا أيها المؤمنون إلى العمل بطاعة ربكم، ولزوم ما هداكم له من قبلة إبراهيم خليله وشرائع دينه، فإن الله تعالى ذكره يأتي بكم وبمن خالف قبلكم ودينكم وشريعتكم جميعًا يوم القيامة، من حيث كنتم من بقاع الأرض، حتى يوقى المحسن منكم جزاءه بإحسانه، (23) والمسيء عقابه بإساءته، أو يتفصل فيصفح.

وأما قوله: " إنَّ الله على كل شيء قدير "، فإنه تعالى ذكره يعني: إنَّ الله تعالى على جمْعكم -بعد مماتكم- من قبوركم إليه، من حيث كنتم وكانت قبوركم، وعلى غير ذلك مما يشاء، قديرٌ. (24) فبادروا خروج أنفسكم بالصالحات من الأعمال قبل مماتكم ليوم بعثكم وحشركم.

< 3-198 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمِمَّنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِمَا تَعْمَلُونَ (149)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: " ومن حيث خرجت "، ومن أي موضع خَرَجَتْ إلى أي موضع وَجَّهَتْ، فولَّ يا محمد وَجْهَكَ - يقول: حوَّل وَجْهَكَ. وقد دللنا على أن " التولية " في هذا الموضع شطر المسجد الحرام، إنما هي: الإقبالُ بالوجه نحوه. وقد بينا معنى " الشطر " فيما مضى. (25)

وأما قوله: " وإنه للحق من ربك "، فإنه يعني تعالى ذكره: وإنَّ التوجه شَطْرَهُ للحق الذي لا شكُّ فيه من عند ربك، فحافظوا عليه، وأطيعوا الله في توجيهكم قِبَلَهُ.

وأما قوله: " وما الله بغافل عما تعملون "، فإنه يقول: فإن الله تعالى ذكره ليس بساهٍ عن أعمالكم، ولا بغافل عنها، ولكنه محصيا لكم، حتى يجازيكم بها يوم القيامة. (26)

< 3-199 >

القول في تأويل قوله تعالى ذكره وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: " ومن حيث خرجت فولَّ وجهك شطر المسجد الحرام "؛ من أي مكان وبُقعة شَخَصَتْ فخرجت يا محمد، فولَّ وجهك تلقاء المسجد الحرام، وهو شَطْرَهُ.

ويعني بقوله: " وحيث ما كنتم فولُّوا وُجُوهكم "، وأينما كنتم أيها المؤمنون من أرض الله، فولُّوا وُجُوهكم في صلاتكم تُجَاهَهُ وَقِبَلَهُ وَقَصْدَهُ. (27)

القول في تأويل قوله تعالى: لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْسَبُوهُمْ وَاحْسَبُوا

قال أبو جعفر: فقال جماعة من أهل التأويل: عنى الله تعالى بـ " الناس " في قوله: " لئلا يكون للناس "، أهل الكتاب.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2292- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: "لئلا يكون للناس عليكم حجة"، يعني بذلك أهل الكتاب. قالوا -حين صُرف نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة البيت الحرام-: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه!

2293- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، > 3-200 < عن أبيه، عن الربيع في قوله: "لئلا يكون للناس عليكم حجة"، يعني بذلك أهل الكتاب، قالوا -حين صُرف نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة-: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه!

فإن قال قائل: فأية حجة كانت لأهل الكتاب بصلاة رسول الله صلى الله عليه وأصحابه نحو بيت المقدس، على رسول الله صلى الله عليه وأصحابه؟

قيل: قد ذكرنا فيما مضى ما روي في ذلك. قيل: إنهم كانوا يقولون: ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن! وقولهم: يُخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا! (28) فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها على رسول الله صلى الله عليه وأصحابه، على وجه الخصومة منهم لهم، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين. (29)

وقد بينا فيما مضى أن معنى حجاج القوم إيَّاه، الذي ذكره الله تعالى ذكره في كتابه، إنما هي الخصومات والجدال. فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حجتهم وحسمه، بتحويل قبلة نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به، من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم عليه السلام. وذلك هو معنى قول الله جل ثناؤه: "لئلا يكون للناس عليكم حجة"، يعني بـ "الناس"، الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصفت.

وأما قوله: "إلا الذين ظلموا منهم"، فإنهم مُشركو العرب من قريش، فيما تأوَّله أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2294- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "إلا الذين ظلموا منهم"، قوم محمد صلى الله عليه وسلم.

> 3-201 <

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2295- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي، قال: هم المشركون من أهل مكة.

2296- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "إلا الذين ظلموا منهم"، يعني مشركي قريش.

2297- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة، وابن أبي نجیح، عن مجاهد في قوله: "إلا الذين ظلموا منهم" قال، هم مشركو العرب.

2298- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: "إلا الذين ظلموا منهم"، و "الذين ظلموا": مشركو قريش.

2299- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال عطاء: هم مشركو قريش - قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول مثل قول عطاء.

فإن قال قائل: وأية حجة كانت لمشركي قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، في توجيههم في صلاتهم إلى الكعبة؟ وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين - فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه - حجة؟ (30)

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت وذهبت إليه. وإنما "الحجة" في هذا الموضوع، الخصومة والجدال. (31) ومعنى الكلام: لئلا يكون لأحد من الناس عليكم حُصومةٌ ودعوى باطلٌ غير مشركي قريش، فإن لهم عليكم دعوى باطلا وخصومةً بغير حق، (32) بقليلهم لكم: "رَجَعَ مُحَمَّدٌ إِلَى قِبَلْتَنَا، وَسِيرَجُ إِلَى > 202-3 < ديننا". فذلك من قولهم وأمانيتهم الباطلة، هي "الحجة" التي كانت لقريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره "الذين ظلموا" من قريش من سائر الناس غيرهم، إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2300- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: "لئلا يكون للناس عليكم حُجة إلا الذين ظلموا منهم"، قومٌ محمد صلى الله عليه وسلم. قال مجاهد: يقول: حُجتهم، قولهم: قد راجعت قبلتنا!

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2301- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد مثله - إلا أنه قال: قولهم: قد رَجَعْتَ إلى قبلتنا!

2302- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، حدثنا معمر، عن قتادة وابن أبي نجیح، عن مجاهد في قوله: " لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم "، قالوا هم مشركو العرب، قالوا حين صرفت القبلة إلى الكعبة: قد رجع إلى قبلكم، فيوشك أن يرجع إلى دينكم! قال الله عز وجل: (قَلَّا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) .

2303- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: " إلا الذين ظلموا منهم "، و " الذين ظلموا ": مشركو قريش. يقول: إنهم سيحتجون عليكم بذلك، فكانت حجتهم على نبي الله صلى الله عليه وسلم =انصرافه إلى البيت الحرام= (33) أنهم قالوا سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا! فأنزل الله < 203-3 > تعالى ذكره في ذلك كله. (34)

2304- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

2305- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي فيما يذكر، عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: لما صُرف نبي الله صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة، بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه! فتوجه بقبلته إليكم، وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلا وبوشك أن يدخل في دينكم! فأنزل الله جل ثناؤه فيهم: " لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني". (35)

2306- حدثنا القاسم قال، حدثني الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: قوله: " لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم " قال، قالت قريش - لما رجع إلى الكعبة وأمر بها: - ما كان يستغني عنا! قد استقبل قبلتنا! فهي حجتهم، وهم " الذين ظلموا " - قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول مثل قول عطاء، فقال مجاهد: حجتهم، قولهم: رجعت إلى قبلتنا!

< 3-204 >

فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله: " إلا الذين ظلموا منهم "، عن صحة ما قلنا في تأويله، وأنه استثناء على معنى الاستثناء المعروف، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفيًا عما قبله. (36) كما قول

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القائل (37) " ما سَارَ من الناس أحدٌ إلا أخوك "، إثباتٌ للأخ من السير ما هو مَنفِيٌّ عن كل أحد من الناس. فكذلك قوله: " لئلا يكونَ للناس عليك حُجة إلا الذين ظلموا منهم "، تَفَى عن أن يكون لأحد حُصومةٌ وجدلٌ قَبْلَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى باطلٍ عليه وعلى أصحابه، بسبب توجُّههم في صلاتهم قبل الكعبة - إلا الذين ظلموا أنفسهم من قريش، فإن لهم قبلهم خصومةٌ ودعوى باطلاً بأن يقولوا: (38) إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا، لأننا كنا أهدى منكم سبيلاً وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل.

وإذ كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل، فبيِّن خطأ قول من زعم أن معنى قوله: " إلا الذين ظلموا منهم "؛ ولا الذين ظلموا منهم، وأن " إلا " بمعنى " الواو ". (39) لأن ذلك لو كان معناه، لكان النفي الأول عن جميع الناس - أن يكون لهم حُجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في تحوُّلهم نحو الكعبة بوجههم - مبيِّناً عن المعنى المراد، ولم يكن في ذكر قوله بعد ذلك: " إلا الذين ظلموا منهم " إلا التلبس الذي يتعالى عن أن يُضافَ إليه أو يوصف به. (40)

هذا مع خروج معنى الكلام = إذا وجَّهت " إلا " إلى معنى " الواو "، ومعنى > 205-3 < العطف = من كلام العرب. وذلك أنه غيرٌ موجودة " إلا " في شيء من كلامها بمعنى " الواو "، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها. كقول القائل: " سار القوم إلا عمرًا إلا أخاك "، بمعنى: إلا عمرًا وأخاك، فتكون " إلا " حينئذٍ مؤدِّية عما تؤدي عنه " الواو "، لتعلق " إلا " الثانية بـ " إلا " الأولى. (41) ويجمع فيها أيضًا بين " إلا " و " الواو " فيقال: " سار القوم إلا عمرًا وإلا أخاك "، فتحذف إحداهما، فتنبوب الأخرى عنها، فيقال: (42) " سار القوم إلا عمرًا وأخاك - أو إلا عمرًا إلا أخاك "، لما وصفنا قبل.

وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائزٍ لمَدَّعٍ من الناس أن يدَّعي أن " إلا " في هذا الموضع بمعنى " الواو " التي تأتي بمعنى العطف.

وواضحٌ فسادُ قول من زعم أن معنى ذلك: إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم لا حجة لهم، فلا تخشؤهم. كقول القائل في الكلام: (43) " الناس كلهم لك حامدون إلا الظالم [لك] المعتدي عليك "، فإن ذلك لا يعتدُّ بعُدوانه ولا بتركه الحمد، (44) لموضع العداوة. وكذلك الظالم لا حجة له، وقد سُمي ظالمًا = (45) لإجماع جميع أهل التأويل على تخطئة ما ادَّعى من التأويل في ذلك. وكفى شاهدًا على خطأ مقالته إجماعهم على تخطئتها.

وظاهرٌ بطول قول من زعم: (46) أن " الذين ظلموا " هاهنا، ناسٌ من العرب > 206-3 < كانوا يهودًا ونصارى، فكانوا يحتجون على النبي صلى الله عليه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وسلم، فأما سائرُ العرب، فلم تكن لهم حجة، وكانت حُجة من يحتجُّ منكسرة. لأنك تقول لمن تريد أن تكسير عليه حجته: " إِنَّ لَكَ عَلَيَّ حِجَّةٌ وَلَكِنهَا مِنْكَسْرَةٌ، وَإِنَّكَ لَتَحْتِجُّ بِهَا حِجَّةً، وَحِجَّتُكَ ضَعِيفَةٌ ". وَوَجَّهَ مَعْنَى: " إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ " إِلَى مَعْنَى: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حُجَّةً وَاهِيَةً أَوْ حِجَّةً ضَعِيفَةً.

وَوَهَيْ قَوْلٍ مِنْ قَالَ: " إِلَّا " فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى " لَكِنْ " .

وَصَعَّفُ قَوْلٍ مِنْ زَعَمَ أَنَّهُ ابْتِدَاءٌ بِمَعْنَى: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ. (47)

لأن تأويل أهل التأويل جاء في ذلك بأن ذلك من الله عز وجل خبر عن الذين ظلموا منهم: أنهم يحتجون على النبي صلى الله عليه وأصحابه بما قد ذكرنا، ولم يقصد في ذلك إلى الخبر عن صفة حجتهم بالضعف ولا بالقوة - وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلة - وإنما قصد فيه الإثبات للذين ظلموا، ما قد تفي عن الذين قبل حرف الاستثناء من الصفة.

2307- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه قال، قال الربيع: إنَّ يهودياً خاصم أبا العالية فقال: إنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَصَلِّي إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ. فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: كَانَ يَصَلِّي عِنْدَ الصَّخْرَةِ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ. قَالَ: قَالَ: فَبَيْنِي وَبَيْنَكَ مَسْجِدٌ صَالِحٌ، فَإِنَّهُ نَحْتُهُ مِنَ الْجَبَلِ. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: قَدْ صَلَّيْتُ فِيهِ وَقَبِلْتُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ. قَالَ الرَّبِيعُ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى مَسْجِدِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَقَبِلْتُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ.

وأما قوله: (قَلَّا تَخْشَوْهُمْ وَآخِشُونِي)، يعني: فلا تخشوا هؤلاء الذين وصفت لكم أمرهم من الظلمة في حجتهم وجدالهم وقولهم ما يقولون (48) في أنَّ محمداً صلى < 207-3 > الله عليه وسلم قد رجع إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا! - أو أن يقدروا لكم على ضرر في دينكم أو صدكم عما هداكم الله تعالى ذكره له من الحق، ولكن آخشوني، فخافوا عقابي، في خلافكم أمري إن خالفتموه.

وذلك من الله جل ثناؤه تقدُّمٌ إلى عياده المؤمنين، (49) بالحصص على لزوم قبلتهم والصلاة إليها، وبالنهاي عن التوجُّه إلى غيرها. يقول جل ثناؤه: وآخشوني أيها المؤمنون، في ترك طاعتي فيما أمرتكم به من الصلاة شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وقد حكى عن السدي في ذلك ما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2308- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " فلا تخشوهم واخشوني"، يقول: لا تخشوا أن أردكم في دينهم (50)

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** (150)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: " ولأتم نعمتي عليكم "، ومن حيث خرجت من البلاد والأرض، وإلى أي بقعة شخصت (51) فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث كنت، يا محمد والمؤمنون، فولوا وجوهكم في صلاتكم شطره، < 208-3 > واتخذوه قبلة لكم، كيلا يكون لأحد من الناس -سوى مشركي قريش- حجة، ولأتم بذلك = من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيم عليه السلام، الذي جعلته إمامًا للناس = نعمتي، فأكمل لكم به فضلي عليكم، وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التي وصيت بها نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم. وذلك هو نعمته التي أخبر جل ثناؤه أنه متمها على رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من أصحابه.

وقوله: " ولعلكم تهتدون "، يعني: وكي ترشدوا للصواب من القبلة. (52) و " لعلكم " عطف على قوله: " ولأتم نعمتي عليكم "، " ولأتم نعمتي عليكم " عطف على قوله: **لِيَلَّا يَكُونَ** .

القول في تأويل قوله تعالى : **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** (151)

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: " كما أرسلنا فيكم رسولا "، ولأتم نعمتي عليكم بيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهدىكم لدين خليلي إبراهيم عليه السلام، فأجعل لكم دعوتيه التي دعاني بها ومسألته التي سألنيها فقال: **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** [سورة البقرة: 128]، كما جعلت لكم دعوتيه التي دعاني بها، ومسألته التي سألنيها فقال: **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو **عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**** [سورة البقرة: 129]، فابتعثت منكم رسولي الذي سألني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل، أن أبعثه من ذريتهما.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ف " كما " - إذ كان ذلك معنى الكلام- صلة لقول الله عز وجل: **وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ . وَلَا يَكُونُ قَوْلُهُ: " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم "، متعلقًا بقوله: قَادُّرُونِي أَذْكَرُكُمْ .**

وقد قال قوم: إن معنى ذلك: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولا منكم أذكركم. وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، (53) فأغرقوا النزاع، (54) وبعثوا من الإصابة، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف، وسيؤى وجهه المفهوم.

وذلك أنَّ الجاري من الكلام على ألسن العرب، المفهوم في خطابهم بينهم - إذا قال بعضهم لبعض: " كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن " - أن لا يشترطوا للآخر، لأن " الكاف " في " كما " شرط معناه: افعل كما فعلت. ففي مجيء جواب: " اذكروني " بعده، وهو قوله: **أَذْكَرُكُمْ ، أوضح دليل على أن قوله: " كما أرسلنا " من صلة الفعل الذي قبله، وأن قوله: " اذكروني أذكركم " خبر مبتدأ منقطع عن الأول، وأنه = من سبب قوله: " كما أرسلنا فيكم " = بمعزل.**

وقد زعم بعض النحويين أن قوله: **قَادُّرُونِي** - إذا جعل قوله: " كما أرسلنا فيكم " جوابًا له، مع قوله: **أَذْكَرُكُمْ** - نظيرُ الجزاء الذي يجاب بجوابين، كقول القائل: إذا أتاك فلان فأتته **تَرَضَّه** ، فيصير قوله: " فأتته " و " ترضه " جوابين لقوله: " إذا أتاك " ، وكقوله: " إن أتاني أحسن إليك أكرمك " . (55)

< 3-210 >

وهذا القول وإن كان مذهبًا من المذاهب، فليس بالأسهل الأفصح في كلام العرب. والذي هو أولى بكتاب الله عز وجل أن يوجه إليه من اللغات، الأفصح الأعرّف من كلام العرب، دون الأتكر الأجهل من منطقتها. هذا، مع بعد وجهه من المفهوم في التأويل.

ذكر من قال: إن قوله: " كما أرسلنا " ، جوابُ قوله: " فاذكروني " .

2309- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى قال، سمعت ابن أبي نجيح يقول في قول الله عز وجل: " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم " ، كما فعلت فاذكروني.

2310- حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قوله: " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم "، فإنه يعني بذلك العرب، قال لهم جل ثناؤه: الزموا أيها العرب طاعتي، وتوجهوا إلى القبلة التي أمرتكم بالتوجه إليها، لتقطع حجة اليهود عنكم، فلا تكون لهم عليكم حجة، ولأتم نعمتي عليكم، وتهتدوا، كما ابتدأتكم بنعمتي، فأرسلت فيكم رسولا منكم. وذلك الرسول الذي أرسله إليهم منهم: محمد صلى الله عليه وسلم، كما:-

2311- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم "، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم.

وأما قوله: " يتلو عليكم آياتنا "، فإنه يعني آيات القرآن، ويقوله: " ويزكيكم " ويطهركم من دس الذنوب، و " يعلمكم الكتاب " وهو الفرقان، يعني: أنه > 3- 211 < يعلمهم أحكامه. ويعني: ب " الحكمة " السنن والفقه في الدين. وقد بينا جميع ذلك فيما مضى قبل بشواهد. (56)

وأما قوله: " ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون "، فإنه يعني: ويعلمكم من أخبار الأنبياء، وقصص الأمم الخالية، والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التي لم تكن العرب تعلمها، فعلموها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخبرهم جل ثناؤه أن ذلك كله إنما يدركونه برسوله صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى : فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما أمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتي إياكم ومغفرتي لكم، كما:-

2312- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبيرة: " فاذكروني أذكركم " قال، اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي.

وقد كان بعضهم يتأول ذلك أنه من الذكر بالثناء والمدح.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

1313- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: " فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون "، إن الله ذاكُر من ذكره، ورَأئِدُ من شكره، ومعدَّبٌ من كفره.

< 3-212 >

2314- حدثني موسى قال، حدثني عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " اذكروني أذكركم " قال، ليس من عبد يَذكر الله إلا ذكره الله. لا يذكره مؤمن إلا ذكره بَرَحمةٍ، ولا يذكره كافر إلا ذكره بعذاب.

القول في تأويل قوله تعالى : وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفيائي، " ولا تكفرون "، يقول: ولا تجحدوا إحساني إليكم، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فائتم نعمتي عليكم، وأهدىكم لما هديت له من رَضيت عنه من عبادي، فأني وعدت خلقي أن من شكر لي زده، ومن كفرني حرّمته وسلبته ما أعطيته.

والعرب تقول: " تصحّت لك وشكرت لك "، ولا تكاد تقول: " نصحتك "، وربما قالت: " شكرتك ونصحتك "، من ذلك قول الشاعر: (57)

هُم جَمَعُوا بُؤْسِي وَنُعْمِي عَلَيَّكُمْ

فَهَلَا شَكَرْتِ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تُقَاتِلِي (58)

وقال النابغة في " نصحتك ":

تَصَحَّتْ بِنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا

رَسُولِي وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وَسَائِلِي (59)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-213 >

وقد دللنا على أن معنى " الشكر "، الثناء على الرجل بأفعاله المحموده، وأن معنى " الكفر " تغطية الشيء، فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا. (60)

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)

قال أبو جعفر: وهذه الآية حُضُّ من الله تعالى ذكره على طاعته، واحتمال مكروها على الأبدان والأموال، فقال: " يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة " على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدثه لكم من فرائضي، وأنقلكم إليه من أحكامي، والتسليم لأمري فيما أمركم به في حين إلزامكم حكمه، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه - وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل، أو مشقةٌ على أبدانكم في قيامكم به، أو نقصٌ في أموالكم - (61) وعلى جهاد أعدائكم وحرهم في سبيلي، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومَشَقَّتِهِ عليكم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفزع منكم فيما يتوبكم من مُفْظِعَاتِ الأمور إلى الصلاة لي، فإنكم بالصبر على المكاره تُدْرِكُونَ مرضاتي، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قبلي، وتدركون حاجاتكم عندي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصي، أنصرهم وأرعاهم وأكلوهم، حتى يظفروا بما طلبوا وأملوا قبلي.

< 3-214 >

وقد بينت معنى " الصبر " و " الصلاة " فيما مضى قبل، فكرهنا إعادته، (62) كما:

2315- حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: " واستعينوا بالصبر والصلاة "، يقول: استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله، واعلموا أنهما من طاعة الله.

2316- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة "، اعلموا أنهما عَوْنٌ على طاعة الله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: "إن الله مع الصابرين"، فإن تأويله: فإن الله تآصره وظهيره وراض بفعله، كقول القائل: "افعل يا فلان كذا وأنا معك"، يعني: إني ناصرٌك على فَعْلِكَ ذلك ومُعِينِكَ عليه.

الهوامش:

- (1) في المطبوعة: "يعرفون الكعبة من قبله الأنبياء".
- (2) من أول قوله: "كما حدثنا بشر بن معاذ"، إلى حيث نذكر في ص 207 تعليق: 2 موجود في ست عشرة صفحة بقيت من القسم المفقود من النسخة العتيقة.
- (3) في المطبوعة: "يقول الله جل ثناؤه"، وأثبت نص المخطوطة.
- (4) في المطبوعة "وهذا من الله تعالى ذكره خبر"، وأثبت ما في المخطوطة.
- (5) في المطبوعة: "فلا تكن في شك أنها"، بإسقاط الفاء من "فإنها".
- (6) في المطبوعة: "والممترى"، وأثبت ما في المخطوطة.
- (7) ديوانه: 20 واللسان (رجح) من قصيدة سلف بيت منها في 1: 345، 346، يصف خيلا مغاوير لقيس بن معديكرب الكندي، أغارت على قوم مسرعة حثيثة، فبينما القوم يتمارون فيها إذا بها:-

تُبَارِي الرَّجَاجَ مَعَاوِيْرَهَا

شَمَاطِيْطٍ فِي رَهَجٍ كَالدَّحْنِ

تَدِرُّ عَلَى أَسْوَقٍ ...

.....

در الفرس يدر دريّرًا ودره: عدا عدوًا شديدًا. لا يثنيه شيء. والأسوق جمع ساق، ويجمع أيضًا على سوق وسيقان. يقول: بيناهم يتمارون إذ غشيتهم الخيل فصرعتهم، فوطئتهم وطنًا شديدًا، ومرت على سيقانهم عدوًا. وارجح السراب: ارتفع واتسع واهتز، وذلك في وقت ارتفاع الشمس. (8) انظر ما سلف 2: 484-488.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (9) في المطبوعة والمخطوطة : "... تعالى ذكره ولكل أهل ملة" ، والصواب ما أثبت .
- (10) في المطبوعة : " فليهود وجهة هو مولياها" ، و"وللنصارى قبلة هو مولياها" ، والصواب من المخطوطة . وفيها أيضًا : "التي هي قبلته" وأثبت ما في المخطوطة ، وهو جيد .
- (11) في المطبوعة : "يتوجه إليها" ، وأثبت ما في المخطوطة . وانظر معاني القرآن للفراء : 90 "وجهة" .
- (12) قوله : "نقروها" ، لا يعني أنها قراءة في قرآت القرآن ، وإنما يعني دراستها والتفقه في معانيها .
- (13) في المطبوعة : "مستقبلها" بحذف الواو ، وهي جيدة .
- (14) انظر معنى "التولية" فيما سلف 2 : 535 ، وهذا الجزء 3 : 175 وانظر أيضًا 2 : 162 ، ثم هذا الجزء 3 : 115 ، وانظر معاني القرآن للفراء 1 : 85 .
- (15) في المطبوعة : "لكل منهم مولوها" ، وهو كلام مختل ، والصواب من المخطوطة .
- (16) في المطبوعة : "ويكون الكلام حينئذ" ، والصواب من المخطوطة .
- (17) في المطبوعة : "السهو والخطأ" ، وأثبت ما في المخطوطة .
- (18) في المطبوعة : "يعني : فسارعوا" ، وأثبت ما في المخطوطة .
- (19) في المطبوعة : "لأخراكم" ، وهما سواء في المعنى .
- (20) في المطبوعة : "سبيل النجاة" ، وأثبت ما في المخطوطة .
- (21) في المطبوعة : "ولا تضعوها كما ضيعها" ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهي أجود .
- (22) انظر القول في تفسير "أينما" في معاني القرآن للفراء 1 : 85-89 .
- (23) في المخطوطة : "حتى يؤتي المحسن منكم جزاءه" ، ولا بأس بها .
- (24) في المطبوعة : "من قبوركم من حيث كنتم وعلى غير ذلك" ، أسقط منها الناسخ .
- (25) انظر ما سلف في "التولية" في هذا الجزء 3 : 194 تعليق : 3 ، وما سلف في تفسير : "شطر" في هذا الجزء 3 : 175 .
- (26) انظر معنى "غافل" فيما سلف من هذا الجزء 3 : 174 تعليق : 1 ، والمراجع هناك .
- (27) في المخطوطة : "فولوا في صلاتكم" ، أسقط "وجوهكم" .
- (28) انظر ما سلف في هذا الجزء رقم : 2234 ، 2235 .
- (29) في المطبوعة : "وأهل العناد من المشركين" ، والصواب من المخطوطة .
- (30) في المطبوعة : "... على المؤمنين حجة فيما أمرهم الله تعالى ذكره به ، أو نهاهم عنه" ، قدم "حجة" وزاد الثناء على الله .
- (31) انظر ما سلف في تفسير : "أتحاجوننا" ، في هذا الجزء 3 : 121 .
- (32) في المطبوعة : "دعوى باطلة" في الموضوعين ، ولا بأس بها . يقال : "دعوى باطل وباطلة"
- (33) في المطبوعة والدر المنثور 1 : 148 "بانصرافه" وأثبت ما في المخطوطة وابن كثير 1 : 358 ، وقوله : "انصرافه" منصوب على الظرفية أي عند انصرافه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (34) الأثر : 2303- في تفسير ابن كثير 1 : 358 ، والدر المنثور 1 : 148 .
والذي في المخطوطة والمطبوعة سواء "فأنزل الله في ذلك كله" . أما في
الدر المنثور : "فأنزل الله في ذلك كله : "يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر
والصلاة إن الله مع الصابرين" . والذي في الطبري يكاد لا يستقيم ، والذي
في الدر المنثور لا يستقيم ، وكان صواب العبارة : "فأنزل الله في ذلك ،
ذلك كله إلى قوله : "يا أيها الذين آمنوا ... " .
(35) الأثر : 2305- انظر الأثر السالف : 2204 .
(36) في المطبوعة : "الذي يثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفياً
عما قبلهم" ، وهو خطأ صرف ، والصواب ما في المخطوطة .
(37) في المطبوعة : "كما أن قول القائل" ، زادوا"أن" لتكون دارجة على
نهجهم ، والصواب ما في المخطوطة .
(38) في المطبوعة : "ودعوى باطلة" في الموضوعين . وانظر ما سلف : 201
تعليق : 3 .
(39) زاعم هذا القول هو أبو عبيدة في مجاز القرآن : 60-61 ، وانظر معاني
القرآن للفراء 1 : 89-90 .
(40) رد الطبري على أبي عبيدة أمثل من رد الفراء وأقوم .
(41) في المخطوطة : "إلى الأول" ، وكأنه غير صواب .
(42) في المخطوطة : "ويجمع أيضاً فيها إلا والواو فيها فيقول : " ولم أستبن
ما يقول ، والذي في المطبوعة سياق صحيح .
(43) في المطبوعة : "في كلامه" ، والصواب من المخطوطة ، ومعاني القرآن
للفراء ، فهو نص كلامه .
(44) في المطبوعة ، وفي معاني القرآن للفراء : "بعداوته" ، والصواب ما في
المخطوطة .
(45) السياق : "وواضح فساد قول من زعم ... لإجماع جميع أهل التأويل" .
(46) في المطبوعة : "بطلان" صحيحة المعنى ، وفي المخطوطة : "دخول"
تصحيف وتحريف لما أثبت . والبطول والبطلان مصدران من الباطل . وهما
سواء في المعنى ، وقد سلف أن استعملها الطبري مراراً . انظر ما سلف 2
: 426 ، تعليق : 1 / 439 س : 11/479 س : 13 .
(47) قوله "وهي قول ... " ، و"ضعف قول ... " معطوف على قوله آنفاً :
"وظاهر بطول قول من زعم ... " .
(48) في المطبوعة : "من الظلم في حجتهم" ، والصواب من المخطوطة . ثم
فيها : "وقولهم ما يقولون من أن محمداً" ، وصوابه من المخطوطة .
(49) تقدم إليه بكذا : أمره به .
(50) إلى هنا انتهى ما عثرنا عليه من الأوراق التي ذكرناها في ص : 189
تعليق : 1 ، وفي آخره ما نصه :

"تمَّ المجلد الثاني بعون الله تعالى ، والصلاة على نبيِّه محمد وآله وصحبه
وسليم . يتلوهُ في الثالث إن شاء الله تعالى ، القول في تأويل قوله تعالى :
(وَلَا تِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إن شاء الله تعالى ، وهو بقية الجزء
السادس والعشرون؟؟"
(51) في المطبوعة : "إلى أي بقعة" ، بحذف الواو ، والصواب ما أثبت .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (52) انظر ما سلف في معنى "لعل" بمعنى "كي" 1 : 364 / ثم 2 : 69 ، 72 ، 161 .
- (53) هو الفراء ، انظر معاني القرآن 1 : 92 .
- (54) أغرق النازع في القوس : إذا شدها ، وجاوز الحد في مد القوس ، وبلغ النصل كبد القوس ، فربما قطع يد الرامي . ونزع الرامي في قوسه نزغًا : جذب السهم بالوتر . وقولهم : "أغرق في النزع" ، مثل في الغلو والإفراط .
- (55) هو من قول الفراء أيضًا ، انظر معاني القرآن 1 : 92 .
- (56) انظر ما سلف في هذا الجزء 3 : 86-88 والمراجع .
- (57) نسبه أبو حيان في تفسيره 1 : 447 لعمر بن لجأ ، ولم أجد الشعر في مكان .
- (58) معاني القرآن للفراء : 1 : 92 . وكان في المطبوعة : "إن لم تقاتل" ، وأثبت ما في الفراء والبؤسى والبأساء : البؤس . والنعمى والنعماء : النعمة .
- (59) ديوانه : 89 ، ومعاني القرآن للفراء 1 : 92 ، وأمالي ابن الشجري 1 : 362 ، وهي في غزو عمرو بن الحارث الأصغر لبني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . ورواية ديوانه : "فلم يتقبلوا وصاتي" . الوصاة : الوصية . وقوله : "رسولي" . الرسول : الرسالة . والوسائل جمع وسيلة : وهي ما يتقرب به المرء إلى غيره من حرمة أو آصرة .
- (60) معنى "الشكر" 1 : 135-138 وتفسير معنى "الكفر" فيما سلف 1 : 255 ، 382 ، 522 ، ومواضع كثيرة . اطلبها في فهرس اللغة .
- (61) هذه جمل متداخلة ، والعطف سياقه في هذه الجملة : استعينوا بالصبر والصلاة على القيام بطاعتي ، وأداء فرائضي . . والانصراف عما أنسخه . . والتسليم لأمري . . والتحول عنه . . وعلى جهاد أعدائكم . . بالصبر . . " .
- (62) انظر فيما سلف تفسير "الصلاة" 1 : 242-243 / ثم 2 : 11 .
- وتفسير "الصبر" في 2 : 11 ، 124 ، وانظر فهرس اللغة .

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ
بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتي في جهاد عدوكم، وترك معاصي، وأداء سائر فرائضي عليكم، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هو ميت، فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيمًا، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي، أحياء عندي، في حياة ونعيم، وعيش هنيئ، ورزق سنني، فرحين < 215-3 > بما آتيتهم من فضلي، وحبوتهم به من كرامتي، كما:-

2317- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " بل أحياء " عند ربهم، يرزقون من ثمر الجنة، ويجدون ربحها، وليسوا فيها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2318- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد مثله.

2319- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون "، كَمَا تُحَدِّثُ (1) أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة، وأن مساكنهم سيدة المنتهى، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاثٌ خصال من الخير: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْهُمْ صَارَ حَيًّا مَرْزُوقًا، وَمَنْ غُلِبَ آتَاهُ اللَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا، وَمَنْ مَاتَ رَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا.

2320- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء " قال، أرواحُ الشهداء في صُور طير بيضٍ.

2321- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: " ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياء "، في صُور طير خضر يطيرون في الجنة حيث شاءوا منها، يأكلون من حيث شاءوا.

2322- حدثني المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا عثمان بن غياث. قال، سمعت عكرمة يقول في قوله: " ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون " قال، أرواح الشهداء في طير خُضر في الجنة.

< 3-216 >

قال أبو جعفر: فإن قال لنا قائل: وما في قوله: " ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياء "، من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعمم به غيره؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم، فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى الجنة يَشْمُونَ منها رَوْحَهَا، ويستعجلون الله قيام الساعة، ليصيروا إلى مساكنهم منها، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها = وعن الكافرين أنهم يُفْتَحُ لهم من قبورهم أبوابٌ إلى النار يَنْظُرُونَ إليها، ويصيبهم من تَنَنَّا ومكروها، ويُسَلَطُ عليهم فيها إلى قيام الساعة من يَقْمَعُهُمْ فيها، ويسألون الله فيها تَأخِيرَ قيام الساعة، حِذَارًا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها، مع أشباه ذلك من الأخبار. وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما الذي حُصِّصَ به القتل في سبيل الله، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة، وسائر الكفار والمؤمنين غيرَه أحياءٌ في البرزخ، أما الكفار فمُعَذَّبُونَ فيه بالمعيشة الضنك، وأما المؤمنون فمُنْعَمُونَ بالروح والريحان وتَسِيمِ الجنان؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيل: إِنَّ الذي حَصَّ الله به الشهداء في ذلك، وَأَفَادَ المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في بَرَزَجِهِمْ قَبْلَ بعثهم، ومنعَّمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطعمها الله أَحَدًا غيرهم في برزخه قبل بعثه. فذلك هو الفضيلة التي فَضَّلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أَفَادَ المؤمنين بالخبر عنهم، فقال تعالى ذكره لِنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ * فَرَجِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [سورة آل عمران: 169-170]، وبمثل الذي قُلْنَا جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2323- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، وَعَبْدَةُ > 3-217 < بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن الحارث بن فضيل، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الشهداء على بَارِقٍ، نهر بباب الجنة، في قبة خضراء -وقال عبدة: في روضة خضراء- يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكْرَةً وَعَشِيًّا. (2)

2324- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح عن الإفريقي، عن ابن بشار السلمي -أو أبي بشار، شك أبو جعفر- قال: أرواح الشهداء في > 3-218 < قباب بيض من قباب الجنة، في كل قبة زوجتان، رزقهم في كل يوم طلعت فيه الشمس تَوْرٌ وَحُوتٌ، فأما الثور، ففيه طعم كل ثمرة في الجنة، وأما الحوت ففيه طعم كل شراب في الجنة. (3)

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فإنَّ الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكره أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التي خصَّهم بها في البرزخ غير موجود في قوله: " وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ "، وإنما فيه الخبر عن حالهم، أموات هم أم أحياء.

قيل: إِنَّ المقصود بذكر الخبر عن حياتهم، إنما هو الخبر عَمَّا هم فيه من النعمة، ولكنه تعالى ذكره لما كان قد أنبأ عباده عما حَصَّ به الشهداء في قوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ [سورة آل عمران: 169]، وعلموا حالهم بخبره ذلك، ثم كان المراد من الله تعالى ذكره في قوله: " وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ "، تَهَيُّ خَلقه عن أن يقولوا للشهداء أنهم موتى (4) = تَرَكَ إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: " ولكن لا تشعرون "، فإنه يعني به: ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياء، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به.

وإنما رفع قوله: " أمواتٌ " بإضمار مكني عن أسماء " من يُقتل في سبيل الله "، ومعنى ذلك: ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات. ولا يجوز النصب في < 219-3 > " الأموات "، لأن القول لا يعمل فيهم، وكذلك قوله: " بل أحياء "، رفع، بمعنى: هم أحياء. (5)

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَنَبِّئِ الصَّابِرِينَ (155)

قال أبو جعفر: وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحانهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكما امتحن أصفياءه قبلهم. ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّيْتُمْ الْبَاسَاءَ وَالصَّرَافِئُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ [سورة البقرة: 214]، ونحو الذي قلنا في ذلك كان ابن عباس وغيره يقول.

2325- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع "، ونحو هذا، قال: أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دارٌ بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر وبشئهم فقال: " وبشر الصابرين " ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصفوته، لتطيب أنفسهم فقال: مَسَّيْتُمْ الْبَاسَاءَ وَالصَّرَافِئُ وَزُلْزَلُوا

< 3-220 >

ومعنى قوله: " ولنبلونكم "، ولنختبرنكم. وقد أتينا على البيان عن أن معنى " الابتلاء " الاختبار، فيما مضى قبل. (6)

وقوله: " بشيء من الخوف "، يعني من الخوف من العدو، وبالجموع -وهو القحط- يقول: لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم وبسنة تُصيبكم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ينالكم فيها مجاعة وشدة، وتتعذر المطالب عليكم، (7) فتنقص لذلك أموالكم، وحروبٌ تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار، فينقص لها عددكم، وموتٌ ذراريكم وأولادكم، وجُدوب تحدث، فتنقص لها ثماركم. كل ذلك امتحان مني لكم، واختبار مني لكم، فيتين صادقوكم في إيمانهم من كاذبيكم فيه، ويُعرف أهل البصائر في دينهم منكم، من أهل النفاق فيه والشك والارتياب.

كل ذلك خطابٌ منه لأتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما:

2326- حدثني هارون بن إدريس الكوفيّ الأصم قال، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن عبد الملك، عن عطاء في قوله: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع " قال، هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. (8)

وإنما قال تعالى ذكره: " بشيء من الخوف " ولم يقل بأشياء، لاختلاف أنواع ما أعلم عباده أنه مُمتحنهم به. فلما كان ذلك مختلفًا - وكانت " من " تدلُّ على أنّ كل نوع منها مُضمّر " شيء "، فإنّ معنى ذلك: ولنبلونكم بشيء من الخوف، وبشيء من الجوع، وبشيء من نقص الأموال - اكتفى بدلالة ذكر " الشيء " في أوله، من إعادته مع كل نوع منها.

ففعل تعالى ذكره كل ذلك بهم، وامتحانهم بضروب المحن، كما:-

2327- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، > 3-221 < عن أبيه، عن الربيع في قوله: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات " قال، قد كان ذلك، وسيكون ما هو أشد من ذلك.

قال الله عند ذلك: **مُؤَبِّشِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**

ثم قال تعالى ذكره لنبیه صلى الله عليه وسلم: يا محمد، بشر الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به، (9) والحافظين أنفسهم عن التقدم على تهني عما أنهاهم عنه، والآخذين أنفسهم بأداء ما أكلفهم من فرائضي، مع ابتلائي إياهم بما أبتليهم به، (10) القائلين إذا أصابتهم مصيبة: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** . فأمره الله تعالى ذكره بأن يخصّ -بالبشارة على ما يمتحنهم به من الشدائد- أهل الصبر، الذين وصف الله صفتهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأصل " التبشير " : إخبار الرجل الرجلَ الخبرَ، يَسْرُهُ أو يسوءه، لم يسبقه به إلى غيره (11)

القول في تأويل قوله تعالى : الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: وبشّر، يا محمد، الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمّني، فيُقرّون بعبوديتي، ويوحّدونني بالربوبية، > 3-222 < ويصدقون بالمعاد والرجوع إليّ فيستسلمون لقضائي، ويرجون توابي، ويخافون عقابي، ويقولون -عند امتحاني إياهم ببعض مِحْنِي، وإبتلائي إياهم بما وعدتهم أن أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا مُمتحنهم بها-: إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياءً، ونحن عبده وإنا إليه بعد مَمَاتنا صائرون = تسليماً لقضائي ورضاً بأحكامي.

القول في تأويل قوله تعالى : أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " أولئك "، هؤلاء الصابرون، الذين وصفهم وتعتهم -" عليهم "، يعني: لهم، " صلوات "، يعني: مغفرة. " وصلوات الله " على عباده، عُفْرانه لعباده، كالذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

2328-" اللهم صلّ على آل أبي أوفى " . (12)

يعني: اغفر لهم. وقد بينا " الصلاة " وما أصلها في غير هذا الموضع. (13)

وقوله: " ورحمة "، يعني: ولهم مع المغفرة، التي بها صَفَح عن ذنوبهم وتعمّدها، رحمة من الله ورافة.

> 3-223 <

ثم أخبر تعالى ذكره -مع الذي ذكر أنه مُعطيهم على اصطبارهم على محنه، تسليماً منهم لقضائه، من المغفرة والرحمة- أنهم هم المهتدون، المصيبون طريق الحق، والقائلون ما يُرضى عنهم والفاعلون ما استوجبوا به من الله الجزيل من الثواب.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد بينا معنى " الاهتداء "، فيما مضى، فإنه بمعنى الرشد للصواب. (14)

وبمعنى ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2329- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: " الذين إذا أصابتهم مُصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " قال، أخبر الله أنّ المؤمن إذا سلم الأمر إلى الله، ورجع واسترجع عند المصيبة، كتب له ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ استرجع عند المصيبة، جبر الله مُصيبته، وأحسن عُقباه، وجعل له خَلْقًا صالحًا يرضاه. (15)

2330- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، > 3-224 < عن أبيه، عن الربيع في قوله: " أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة "، يقول: الصلوات والرحمة على الذين صبروا واسترجعوا.

2331- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان العُصْفُرِيِّ، عن سعيد بن جبیر قال: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مَا أُعْطِيَ هَذِهِ الْأُمَّةَ: الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَلَوْ أُعْطِيهَا أَحَدٌ لَأَعْطِيهَا يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ: يَا أَسْقَى عَلَى يُوسُفَ [سورة يوسف: 84]. (16)

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ

قال أبو جعفر: " والصفاء " جمع " صفاة "، وهي الصخرة الملساء، ومنه قول الطرمّاح:

أَبَى لِي دُو الْقَوَى وَالطَّوْلِ أَلَا

يُؤَسِّنَ حَافِرٌ أَبَدًا صَفَاتِي (17)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-225 >

وقد قالوا إن " الصفا " واحد، وأنه يثنى " صَفَوَان "، وجمع " أصفاء " و " صُفِيًّا، وَصِفِيًّا "، واستشهدوا على ذلك بقول الراجز (18)

كَأَنَّ مَثْبِيهٍ مِنَ النَّفِيِّ

مَوَاقِعِ الطَّيْرِ عَلَى الصُّفِيِّ (19)

وقالوا: هو نظير " عَصَا وَعُصِيٍّ [وَعِصِيٍّ، وَأَعْصَاءَ]، وَرَحَا وَرُحِيٍّ [وَرَحِيٍّ] وَأَرْحَاءُ " (20).

وأما " المروة "، فإنها الحصة الصغيرة، (21) يجمع قليلها " مَرَوَات "، وكثيرها " المَرُو "، مثل " تمرّة وتَمَرَات وتمر "، قال الأعشى ميمون بن قيس:

< 3-226 >

وَتَرَى بِالْأَرْضِ حُفًّا زَائِلًا

فِيَادَا مَا صَادَفَ الْمَرُو رَضَحَ (22)

يعني ب " المرو ": الصخر الصغار، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوَّةٌ

بِصَفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُفْرَعُ (23)

ويقال " المشقَر ".

وإنما عنى الله تعالى ذكره بقوله: " إِنَّ الصفا والمروة "، في هذا الموضع: الجبلين المسمَّيين بهذين الاسمين اللذين في حَرَمِهِ، دون سائر الصفا والمرو. ولذلك أدخل فيهما " الألف واللام "، ليعلم عباده أنه عنى بذلك الجبلين المعروفين بهذين الاسمين، دون سائر الأصفاء والمرو.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: " مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ "، فإنه يعني: من معالم الله التي جعلها تعالى ذكره لعباده مَعْلَمًا وَمَشْعَرًا يعبدونه عندها، إما بالدعاء، وإما بالذكر، وإما بأداء ما فرض عليهم من العمل عندها. ومنه قول الكميت:

نُقْتَلُهُمْ جِيلاً فَجِيلاً تَرَاهُمْ

شَعَائِرَ قُرْبَانٍ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ (24)

< 3-227 >

وكان مجاهد يقول في الشعائر بما:-

2332- حدثني به محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " إِنَّ الصفا والمروة من شَعَائِرِ اللَّهِ " قال، من الخبر الذي أخبركم عنه. (25)

2333- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

فكان مجاهدًا كان يرى أن الشعائر، إنما هو جمع " شعيرة "، من إشعار الله عباده أمر الصفا والمروة، وما عليهم في الطواف بهما. فمعناه: إعلامهم ذلك.

وذلك تأويل من المفهوم بعيد. وإنما أعلم الله تعالى ذكره بقوله: " إن الصفا والمروة من شعائر الله " عبادة المؤمنين أن السعي بينهما من مناسك الحج التي سنّها لهم، وأمر بها خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم، إذ سأله أن يُريه مناسك الحج. وذلك وإن كان مخرج الخبر، فإنه مراد به الأمر. لأن الله تعالى ذكره قد أمر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، فقال له: " ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [سورة النحل: 123]، وجعل تعالى ذكره إبراهيم إمامًا لمن بعده. فإذا كان صحيحًا أن الطواف والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الله ومن مناسك الحج، فمعلوم أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم قد عمل به وسنه لمن بعده، وقد أمر نبينا صلى الله عليه وسلم وأمه باتباعه، فعملهم العمل بذلك، على ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: " فمن حج البيت "، فمن أتاه عائداً إليه بعد بدء. وكذلك كل من أكثر الاختلاف إلى شيء فهو " حَاجٌّ إليه "، ومنه قول الشاعر: (26)

لَأَشْهَدَ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاَ كَثِيرَةً

يَحْجُونَ سِبَّ الزُّبْرِقَانِ الْمُزْعَفَرَا (27)

< 3-229 >

يعني بقوله: " يحجون "، يكثر التردد إليه لسُودده ورياسته. وإنما قيل للحاج " حَاجٌّ "، لأنه يأتي البيت قبل التعريف، ثم يعود إليه لطواف يوم النحر بعد التعريف، ثم ينصرف عنه إلى منى، ثم يعود إليه لطواف الصَّدر. (28) فلتكراره العودَ إليه مرّة بعد أخرى قيل له: " حَاجٌّ ".

وأما " المعتمر "، فإنما قيل له: " معتمر "، لأنه إذا طاف به انصرف عنه بعد زيارته إياه. وإنما يعني تعالى ذكره بقوله: " أو اعتمر "، أو اعتمر البيت، ويعني بـ " الاعتمار " الزيارة. فكل قاصد لشيء فهو له " معتمر "، ومنه قول العجاج:

لَقَدْ سَمَا ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرَ

عُرَى بَعِيدًا مِنْ بَعِيدٍ وَصَبْرٌ (29)

يعني بقوله: " حين اعتمر "، حين قصده وأمه.

< 3-230 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " فلا جناح عليه أن يطَّوَّفَ بهما " ،
يقول: فلا حَرَجَ عليه ولا مَأْثَمَ في طَوَافِهِ بهما.

فإن قال قائل: وما وجه هذا الكلام، وقد قلت لنا، إن قوله: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ
مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر، فإنه في معنى الأمر بالطواف
بهما؟ فكيف يكون أمرًا بالطواف، ثم يقال: لا جُنَاحَ على من حج البيت أو
اعتمر في الطواف بهما؟ وإنما يوضع الجُنَاحَ عن أتي ما عليه بإتيانه الجُنَاحُ
والحَرَجُ؟ والأمر بالطواف بهما، والترخيص في الطواف بهما، غير جائز
اجتماعهما في حال واحدة؟

قيل: إن ذلك بخلاف ما إليه ذهب. (30) وإنما معنى ذلك عند أقوام: أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما اعتمر عُمرَةَ القُصْيَةِ، تخَوَّفَ أقوامًا كانوا يطوفون
بهما في الجاهلية قبل الإسلام لصنمين كانا عليهما تعظيمًا منهم لهما، فقالوا:
وكيف تطوف بهما، وقد علمنا أن تعظيم الأصنام وجميع ما كان يُعبد من ذلك
من دون الله، شرك؟ ففي طَوَافِنَا بهذين الحجرين أَحْرَجُ ذلك، (31) لأن
الطواف بهما في الجاهلية إنما كان للصنمين اللذين كانا عليهما، وقد جاء الله
بالإسلام اليوم، ولا سبيل إلى تعظيم شيء مع الله بمعنى العبادة له!

فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك من أمرهم : إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ
اللَّهِ ، < 231-3 > يعني: إن الطواف بهما، فترك ذكر " الطواف بهما " ، اكتفاء
بذكرهما عنه. وإذ كان معلومًا عند المخاطبين به أن معناه: من معالم الله
التي جعلها علمًا لعباده يعبدونه عندهما بالطواف بينهما، ويذكرونه عليهما
وعندهما بما هو له أهل من الذكر، فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فلا يتخَوَّفَنَّ
الطواف بهما، من أجل ما كان أهل الجاهلية يطوفون بهما من أجل الصنمين
اللذين كانا عليهما، فإن أهل الشرك كانوا يطوفون بهما كفرًا، وأنتم تطوفون
بهما إيمانًا، وتصديقًا لرسولي، وطاعةً لأمري، فلا جُنَاحَ عليكم في الطواف
بهما.

و " الجناح " ، الإثم، كما:-

2334- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن
السدي: " فلا جُنَاحَ عليه أن يطَّوَّفَ بهما " ، يقول: ليس عليه إثم، ولكن له
أجر.

وبمثل الذي قلنا في ذلك تظاهرت الرواية عن السلف من الصحابة والتابعين.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر الأخبار التي رويت بذلك:

2335- حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا داود، عن الشعبي: أن وَثَنًا كان في الجاهلية على الصفا يسمى "إِسَاقًا"، (32) ووثنًا على المروة يسمى "نائلة"، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين. فلما جاء الإسلام وكُسرت الأوثان، قال المسلمون: إنَّ الصفا والمروة إنما كانَ يُطَافُ بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من الشعائر! قال: فأنزل الله: إنهما من الشعائر، "فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناحَ عليه أن يطوفَ بهما".

2336- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود، عن عامر قال: كان صنم بالصفا يدعى "إِسَاقًا"، (33) ووثن بالمروة يدعى "نائلة"، < 232-3 > ثم ذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب - وزاد فيه، قال: فذكر الصفا من أجل الوثن الذي كان عليه، وأثت المروة من أجل الوثن الذي كان عليه مؤثًا. (34)

2337- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن عليه، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، وذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب عن يزيد، وزاد فيه - قال: فجعله الله تطوعًا خير.

2338- حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، أخبرني عاصم الأحول قال، قلت لأنس بن مالك: أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية؟ فقال: نعم كنا نكره الطوافَ بينهما لأنهما من شعائر الجاهلية، حتى نزلت هذه الآية: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ . (35)

2339- حدثني علي بن سهل الرملي قال، حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال، حدثنا سفيان، عن عاصم قال، سألت أنسًا عن الصفا والمروة، فقال: كانتا من مشاعر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكوا عنهما، فنزلت: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ . (36)

< 3-233 >

2340- حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال، حدثني أبو الحسين المعلم قال، حدثنا شيبان أبو معاوية، عن جابر الجعفي، عن عمرو بن حبشي قال، قلت لابن عمر: "إنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا" قال، انطلق إلى ابن عباس فأسأله، فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. فأتيته فسألته، فقال: إنه كان عندهما أصنامٌ، فلما حُرِّمَ أمسكوا عن الطواف بينهما، حتى أنزلت: "إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا" (37).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-234 >

2341- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، وذلك أَنَّ ناسًا كانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فأخبر الله أنهما من شعائره، والطواف بينهما أحب إليه، فمضت السنة بالطواف بينهما.

2342- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما " قال، زعم أبو مالك، عن ابن عباس: أنه كان في الجاهلية شياطين تعزف الليل أجمع بين الصفا والمروة، وكانت بينهما آهة، فلما جاء الإسلام وظهر، قال المسلمون: يا رسول الله، لا تطوف بين الصفا والمروة، فإنه شرك كنا نفعله في الجاهلية! فأنزل الله: " فلا جناح عليه أن يطوف بهما ". (38)

< 3-235 >

2343- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ قال، قالت الأنصار: إِنَّ السَّعي بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية! فأنزل الله تعالى ذكره: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ

2344- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

2345- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " فلا جناح عليه أن يطوف بهما " قال، كان أهل الجاهلية قد وصَّعوا على كل واحد منهما صنمًا يعظمونهما، فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين، فقال الله تعالى: " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما "، وقرأ: وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَفْوَى الْقُلُوبِ [سورة الحج: 32]، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما.

2346- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عاصم قال، قلت لأنس: الصفا والمروة، أكنتم تكرهون أن تطوفوا بهما مع الأصنام التي تُهتَم عنها؟ قال: نعم، حتى نزلت: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ .

2347- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير قال، أخبرنا عاصم قال، سمعت أنس بن مالك يقول: إِنَّ الصفا والمروة من مشاعر قُريش في الجاهلية، < 3-236 > < فلما كان الإسلام تركناهما. (39) >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية، في سبب قوم كانوا في الجاهلية لا يسعون بينهما، فلما جاء الإسلام تخوفوا السعي بينهما كما كانوا يتخوفونه في الجاهلية.

* ذكر من قال ذلك:

2348- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة، قوله: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الْآية، فكان حي من تهامة في الجاهلية لا يسعون بينهما، فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله، وكان من سنة إبراهيم وإسماعيل الطواف بينهما.

2349- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال، كان ناس من أهل تهامة لا يطوفون بين الصفا والمروة، فأنزل الله: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ .

2350- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال، حدثني عروة بن الزبير قال، سألت عائشة فقلت لها: رأيت قول الله: " إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا "؟ وقلت لعائشة: والله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة؟ فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي، إِنَّ هذه الآية لو كانت كما أولتها كانت: لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت في الأنصار: كانوا قبل أن يُسلموا يُهلون لِمَنَاةَ، الطاغية التي كانوا يعبدون بالمشلل، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بين > 3- 237 < الصفا والمروة، فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك - فقالوا: يا رسول الله إذا كنا نتحرج أن تطوف بين الصفا والمروة - أنزل الله تعالى ذكره: " إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ". قالت عائشة: ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما. (40)

< 3-238 >

2351- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رجال من الأنصار ممن يهل لمناة في الجاهلية - و " مناة " صنم بين مكة والمدينة - قالوا: يا نبي الله، إنا كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيمًا لمناة، فهل علينا من حرج أن تطوف بهما؟ فأنزل الله تعالى ذكره: " إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ". قال عروة: فقلت لعائشة: ما أبالي أن لا أطوف بين الصفا والمروة! قال الله: " فلا جناح عليه ". قالت: يا ابن أختي، ألا ترى أنه يقول: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ! قال الزهري: فذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال: هذا العلم!

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو بكر: ولقد سمعتُ رجالا من أهل العلم يقولون: لما أنزل الله الطوافَ بالبيت ولم يُنزل الطواف بين الصفا والمروة، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا كنا نطوفُ في الجاهلية بين الصفا والمروة، وإنَّ الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر الطوافَ بين الصفا والمروة، فهل علينا من حرج أن لا نطوفَ بهما؟ فأنزل الله تعالى ذكره: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الآية كلها، قال أبو بكر: فأسمعُ أن هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما، فيمن طافَ وفيمن لم يَطُف. (41)

< 3-239 >

2352- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال: كانَ ناسٌ من أهل تهامة لا يَطوفون بين الصفا والمروة، فأنزل الله: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ. (42)

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنَّ الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله، كما جعل الطواف بالبيت من شعائره.

فأما قوله: " فلا جناحَ عليه أن يَطَّوَّفَ بهما "، فجائزٌ أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوَّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي، وبعضهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية، على ما روي عن عائشة.

< 3-240 >

وأبيُّ الأمرين كان من ذلك، فليس في قول الله تعالى ذكره: " فلا جناحَ عليه أن يَطَّوَّفَ بهما "، الآية، دلالةٌ على أنه عني به وَضَعَ الحَرَجَ عَمَّن طافَ بهما، من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز بحظر الله ذلك، ثم جُعِل الطواف بهما رخصة، لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت، ثم رخص فيه بقوله: " فلا جناحَ عليه أن يَطَّوَّفَ بهما ".

وإنما الاختلافُ في ذلك بين أهل العلم على أوجهٍ. فرأى بعضهم أن تارك الطواف بينهما تاركٌ من مَناسك حجه ما لا يُجزيه منه غيرُ قَصائِه بعينه، كما لا يُجزى تارك الطواف -الذي هو طواف الإفاضة- إلا قِصاؤُه بعينه. وقالوا: هما طوافان: أمر الله بأحدهما بالبيت، والآخر بين الصفا والمروة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورأى بعضهم أن تارك الطواف بهما يُجزيه من تركه فدية، ورأوا أن حُكْم الطواف بهما حُكْم رَمي بعض الجمرات، والوقوف بالمشعر، وطواف الصُّدر وما أشبه ذلك، مما يُجزى تاركه من تركه فدية، ولا يلزمه العَوْد لقضائه بعينه.

ورأى آخرون أنّ الطواف بهما تطوع، إن فعله صاحبه كان مُحسِنًا، وإن تَرَكَ تاركٌ لم يلزمه بتَرَكَه شيء. (43)

ذكر من قال: إن السعي بين الصفا والمروة واجبٌ ولا يجزي منه فدية، ومن تركه فعليه العَوْد. (44)

< 3-241 >

2353- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لعمري ما حَجَّ منَّ لم يَسع بين الصفا والمروة، لأن الله قال: **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ .**

2353م- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال مالك بن أنس: مَنْ نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة، فليرجع قَلِيسَع، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرة والهدية. (45)

وكان الشافعي يقول: عَلَى مَنْ تَرَكَ السعي بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلده، العود إلى مكة حتى يَطوف بينهما، لا يجزيه غير ذلك. (46)

2354- حدثنا بذلك عنه الربيع.

ذكر من قال: يجزي منه دم، وليس عليه عودٌ لقضائه.

قال الثوري بما:-

2355- حدثني به علي بن سهل، عن زيد بن أبي الزرقاء، عنه، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن عَاد تاركُ الطوافَ بينهما لقضائه فحسن، وإن لم يُعْدُ فعليه دمٌ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذكر من قال: الطوافُ بينهما تطوُّعٌ، ولا شيء على من تركه، ومن كان يقرأ: (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما)

2356- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا ابن جريج قال، قال عطاء: لو أن حاجًا أفاضَ بعدما رمى جمرة العقبة، فطاف بالبيت ولم يسع، فأصابها -يعني: امرأته- لم يكن عليه شيء، لا حج ولا عمرة، من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود: " فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا ". فعاودته بعد ذلك فقلت: إنه قد ترك سنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ألا تسمعه يقول: فَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا ، فأبى أن يجعل عليه شيئًا؟

2357- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك، > 242-3 عن عطاء، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ الآية " فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ".

2358- حدثني علي بن سهل قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن عاصم قال: سمعت أنسًا يقول: الطواف بينهما تطوع.

2359- حدثني المثني قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا حماد قال، أخبرنا عاصم الأحول قال، قال أنس بن مالك: هما تطوع.

2360- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

2361- حدثني المثني قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما " قال، فلم يُحرَّج من لم يطف بهما.

2362- حدثنا المثني قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا أحمد، عن عيسى بن قيس، عن عطاء، عن عبد الله بن الزبير قال: هما تطوع. (47)

> 3-243 <

2364- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عاصم قال: قلت لأنس بن مالك: السعي بين الصفا والمروة تطوع؟ قال: تطوع.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الطواف بهما فرض واجب، وأن على من تركه العود لقضائه، ناسيًا كان، أو عامدًا. لأنه لا يُجزيه غير ذلك، لتظاهر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حج بالناس، فكان مما علمهم من مناسك حجهم الطواف بهما.

ذكر الرواية عنه بذلك:

2365- حدثني يوسف بن سلمان قال، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: لما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصفا في حجه قال: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، ابدؤوا بما بدأ الله بذكره. فبدأ بالصفا فرقي عليه. (48).

2366- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا محمود بن ميمون أبو الحسن، عن أبي بكر بن عياش، عن ابن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، فأتى الصفا فبدأ بها، فقام عليها، ثم أتى المروة فقام عليها، وطاف وسعى. (49)

< 3-244 >

فإذ كان صحيحًا بإجماع الجميع من الأمة - أن الطواف بهما على تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته في مناسكهم، وعمله في حجّه وعمرته = وكان بيانه صلى الله عليه وسلم لأمته جمل ما تصّ الله في كتابه، وقرضه في تنزيله، وأمر به مما لم يُدرَك علمه إلا ببيانه، لازمًا العمل به أمته، كما قد بينا في كتابنا " كتاب البيان عن أصول الأحكام " - إذا اختلفت الأمة في وجوبه، (50) ثم كان مُختلفًا في الطواف بينهما: هل هو واجب أو غير واجب = كان بيتًا وجوب فرضه على مَنْ حجَّ أو اعتمر، (51) لما وصفنا.

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة - لما كان مُختلفًا فيما على مَنْ تركه، مع إجماع جميعهم على أن ذلك مما فَعَلَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم إذ علمهم مناسك حجهم - كما طاف بالبيت وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم، إذ علمهم مناسك حجهم وعمرتهم - وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا يُجزى منه فدية ولا بدل، ولا يجزي تاركه إلا العود لقضائه = كان نظيرًا له الطواف بالصفا والمروة، ولا تجزي منه فدية ولا جزاء، ولا يجزي تاركه إلا العود لقضائه، إذ كانا كلاهما طوافين: أحدهما بالبيت، والآخر بالصفا والمروة.

< 3-245 >

ومن قرَّح بين حكمهما عكس عليه القول فيه، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن اعتل بقراءة من قرأ: " فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما " .

قيل: ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين، غير جازر لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها. وسواء قرأ ذلك كذلك قارئ، أو قرأ قارئ: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ وَلِيُؤْفُوا يُدْوِرَهُمْ وَيَلْطَوُّوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ [سورة الحج: 29]، " فلا جناح عليهم أن لا يطوفوا به " . (52) فإن جازت إحدى الزيادتين اللتين ليستا في المصحف، (53) كانت الأخرى نظيرتها، وإلا كان مجيز إحداهما - إذا منع الأخرى - مُحْتَكَمًا، والتحكم لا يعجز عنه أحد.

وقد روي إنكار هذه القراءة، وأن يكون التنزيل بها، عن عائشة.

2367- حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا يومئذ حديث السنن: رأيت قول الله عز وجل: " إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا "، فما نرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما! فقالت عائشة: كلا! لو كانت كما تقول، كانت: " فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما "، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة - وكانت مناة حذو قديد-، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة. فلما جاء الإسلام، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله: " إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ < 246-3 > الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا " .

قال أبو جعفر: وقد يحتمل قراءة من قرأ: " فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما "، أن تكون " لا " التي مع " أن "، صلة في الكلام، (54) إذ كان قد تقدمها جحد في الكلام قبلها، وهو قوله: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ)، فيكون نظير قول الله تعالى ذكره: قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ [سورة الأعراف: 12]، بمعنى ما منعك أن تسجد، وكما قال الشاعر: (55)

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فِعْلَهُمَا

وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ (56)

ولو كان رسم المصحف كذلك، لم يكن فيه لمحتج حجة، مع احتمال الكلام ما وصفنا. لما بينا أن ذلك مما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته في مناسكهم، على ما ذكرنا، ولدلالة القياس على صحته، فكيف وهو خلاف رسوم مصاحف المسلمين، ومما لو قرأه اليوم قارئ كان مستحقاً العقوبة لزيادته في كتاب الله عز وجل ما ليس منه؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-247 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)

قال أبو جعفر: اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة: " ومن تطوَّع خَيْرًا " على لفظ المضىِّ ب " التاء " وفتح " العين " . وقرأته عامة قراء الكوفيين: " وَمَنْ يَطْوَعُ خَيْرًا " ب " الياء " وجرم " العين " وتشديد " الطاء " ، بمعنى: ومن يتطوع. وذكر أنها في قراءة عبد الله: " وَمَنْ يَتَطَوَّعُ " ، فقرأ ذلك قراء أهل الكوفة، على ما وصفنا، اعتبارًا بالذي ذكرنا من قراءة عبد الله -سوى عاصم، فإنه وافق المدنيين- فشددوا " الطاء " طلبًا لإدغام " التاء " في " الطاء " . وكلتا القراءتين معروفة صحيحة، متفقٌ معنيهما غيرٌ مختلفين - لأن الماضي من الفعل مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل. فبأي القراءتين قرأ ذلك قارئٌ فمصيبٌ.

(57) [والصواب عندنا في ذلك، أن] معنى ذلك: ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجه الواجبة عليه، فإن الله شاكرٌ له على تطوُّعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاءً وجهه، فمجازيه به، عليمٌ بما قصد وأراد بتطوُّعه بما تطوع به.

وإنما قلنا إنّ الصواب في معنى قوله: " فمن تطوَّع خيرًا " هو ما وصفنا، دون قول من زعم أنه معنيٌّ به: فمن تطوَّع بالسعي والطواف بين الصفا والمروة، لأن الساعي بينهما لا يكون متطوعًا بالسعي بينهما، إلا في حج تطوع أو عمرة تطوع، لما وصفنا قبل. وإذ كان ذلك كذلك كان معلومًا أنه إنما عنى بالتطوع بذلك، التطوع بما يعمل ذلك فيه من حج أو عمرة.

< 3-248 >

وأما الذين زعموا أنّ الطواف بهما تطوُّع لا واجب، فإنّ الصواب أن يكون تأويل ذلك على قولهم: فمن تطوَّع بالطواف بهما، فإنّ الله شاكرٌ = لأن للحاج والمعتبر على قولهم الطواف بهما إن شاء، وترك الطواف. فيكون معنى الكلام على تأويلهم: فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة، فإنّ الله شاكرٌ تطوُّعه ذلك = عليمٌ بما أراد وتوى الطائف بهما كذلك، كما:-

2368- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ومن تطوَّع خيرًا فإن الله شاكرٌ عليمٌ " قال، من تطوع خيرًا فهو خيرٌ له، تطوَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت من السنن.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: معنى ذلك: ومن تطوع خَيْرًا فاعتمر.

* ذكر من قال ذلك:

2369- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " ومن تطوَّع خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ. قال: فالحج فريضة، والعمرة تطوع، ليست العمرة واجبةً على أحد من الناس.

< 3-249 >

القول في تأويل قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ**

قال أبو جعفر: يعني بقوله: (58) " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ " علماء اليهود وأخبارها، وعلماء النصارى، لكتمانهم الناسَ أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم، وتركهم اتباعه وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل.

و " البيئات " التي أنزلها الله: (59) ما بين من أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وصفته، في الكتابين اللذين أخبر الله تعالى ذكره أن أهلها يجدون صفته فيهما.

ويعني تعالى ذكره ب " الهدى " ما أوضح لهم من أمره في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم، فقال تعالى ذكره: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ النَّاسَ الَّذِي أَنْزَلْنَا فِي كِتَابِهِمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنُبُوته، وصحة الملة التي أرسلته بها وحقيقتها، فلا يخبرونهم به، ولا يعلنون من تبيني ذلك للناس وإيضاحه لهم، (60) في الكتاب الذي أنزلته إلى أنبيائهم أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا الآية. كما:-**

2370- حدثنا أبو كريب قال، وحدثنا يونس بن بكير -وحدثنا ابن < 250-3 > حميد قال، حدثنا سلمة- قالا جميعًا، حدثنا محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبیر، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: سأل مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَخُو بَنِي سَلِمة، وسعد بن مُعَاذٍ أَخُو بَنِي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

عبد الأشهل، وخارجة بن زيد أخو بني الحارث بن الخزرج، نفرًا من أحبار يهود - قال أبو كريب: عما في التوراة، وقال ابن حميد: عن بعض ما في التوراة - فكتموهم إياه، وأبو أن يخبروهم عنه، فأنزل الله تعالى ذكره فيهم: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهُمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ". (61)

2371- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ " قال، هم أهل الكتاب.

2372- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

2373- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع في قوله: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ " قال، كتموا محمدًا صلى الله عليه وسلم، وهم يحدونه مكتوبًا عندهم، فكتموه حسدًا وبغيًا.

< 3-251 >

2374- حدثنا بشر بن معاذ: قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهُمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ "، أُولَٰئِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ، كَتَمُوا الْإِسْلَامَ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ، وَكَتَمُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.

2374م- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهُمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ "، زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ تَعْلِيَةُ بْنُ عَنَمَةَ، (62) قَالَ لَهُ: هَلْ تَجِدُونَ مُحَمَّدًا عِنْدَكُمْ؟ قَالَ: لَا! = قَالَ: مُحَمَّدٌ: " الْبَيِّنَاتِ ". (63)

القول في تأويل قوله تعالى : مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ

[قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " من بعد ما بيناه للناس "، (64) بعض الناس، لأن العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومبعثه لم يكن إلا عند أهل الكتاب دون غيرهم، وإياهم عني تعالى ذكره بقوله: " للناس في الكتاب "، ويعني بذلك: التوراة والإنجيل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس، فإنها معني بها كل كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس.

وذلك نظير الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

< 3-252 >

2375- من سُئِلَ عَن عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكْتَمَهُ، أَلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ. " (65)

وكان أبو هريرة يقول ما:-

2376- حدثنا به نصر بن علي الجهضمي قال، حدثنا حاتم بن وردان قال، حدثنا أيوب السخيتاني، عن أبي هريرة قال، لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم! وتلا " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهُمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ "، (66)

2377- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا أبو زرعة وهب بن راشد، عن يونس قال، قال ابن شهاب، قال ابن المسيب: قال أبو هريرة: لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئًا: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، وَالْآيَةِ الْآخِرَىٰ: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ [سورة آل عمران: 187]. (67)

< 3-253 >

القول في تأويل قوله تعالى : أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " أولئك يلعنهم الله "، هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وأمر دينه، أنه < 3-254 > الحق -من بعد ما بينه الله لهم في كتبهم- يلعنهم بكتمانهم ذلك، وتركهم تبينه للناس.

و " اللعنة " " القَعْلَةُ "، من " لعنه الله " بمعنى أقصاه وأبعده وأسحقه. وأصل " اللعن " : الطرد، (68) كما قال الشماخ بن ضرار، وذكر ماءً ورد عليه:

دَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَتَقَيْتُ عَنْهُ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مَقَامَ الذُّبِّ كَالرَّجْلِ اللَّعِينِ (69)

يعني: مقام الذئب الطريد. و " اللعين " من نعت " الذئب "، وإنما أراد: مقام الذئب الطريد واللعين كالرجل. (70)

فمعنى الآية إِدًّا: أولئك يُعدهم الله منه ومن رحمته، ويسألُ ربَّهم اللاعنون أنْ يلعنهم، لأن لعنة بني آدم وسائر خلق الله ما لعنوا أن يقولوا: " اللهم العنه " إذ كان معنى " اللعن " هو ما وصفنا من الإقصاء والإبعاد.

وإنما قلنا إن لعنة اللاعنين هي ما وصفنا: من مسألتهُم ربَّهم أن يلعنهم، وقولهم: " لعنه الله " أو " عليه لعنة الله "، لأن:-

2378- محمد بن خالد بن خدّاش ويعقوب بن إبراهيم حدثاني قالا حدثنا إسماعيل بن عليّة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون "، البهائم، قال: إذا أسنَّت السنّة، (71) قالت البهائم: هذا من أجل عُصاة بني آدم، لعن الله عُصاة بني آدم!

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله تعالى ذكره ب " اللاعنين ". فقال بعضهم: عنى بذلك دوابّ الأرض وهوامّها.

< 3-255 >

* ذكر من قال ذلك:

2379- حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد قال: تلعنهم دوابّ الأرض، وما شاء الله من الخنافس والعقارب تقول: تُمَعّ القطرُ بذنوبهم.

2380- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: " أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " قال، دواب الأرض، العقارب والخنافس، يقولون: مُنعنا القطرُ بخطايا بني آدم.

2381- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد: " ويلعنهم اللاعنون " قال، تلعنهم الهوامّ ودواب الأرض، تقول: أمسك القطرُ عنا بخطايا بني آدم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2382- حدثنا مُشرف بن أبان الحطاب البغدادي قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة في قوله: " أولئك يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ " قال، يلعنهم كل شيء حتى الخنافس والعقاربُ، يقولون: مُنعنا القطرَ بذنوب بني آدم. (72)

2383- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ويلعنهم اللاعنون " قال، اللاعنون: البهائم.

2383م- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " ويلعنهم اللاعنون "، البهائمُ، تلعن عُصاةَ بني آدم حين أمسك الله عنهم بذنوب بني آدم المطر، فتخرج البهائم فتلعنهم.

2384- حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني مسلم بن خالد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " أولئك يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ > 3-256 < وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ "، البهائم: الإبل والبقر والغنم، فتلعن عُصاةَ بني آدم إذا أجدبت الأرض.

فإن قال لنا قائل: وما وَجْهُ الذين وَجَّهوا تأويلَ قوله: " ويلعنهم اللاعنون "، إلى أن اللاعنين هم الخنافسُ والعقاربُ ونحو ذلك من هَوَامِّ الأرض، وقد علمت أنها إذا جَمَعَتْ ما كان من تَوَعِ البهائم وغير بني آدم، (73) فإنما تجمعها بغير " الياء والنون " وغير " الواو والنون "، وإنما تجمعها بـ " التاء "، وما خالفَ ما ذكرنا، فتقول: " اللاعنات " ونحو ذلك؟

قيل: الأمر وإن كان كذلك، فإنَّ من شأن العَرَبِ إذا وصفت شيئاً من البهائم أو غيرها - مما حُكِمَ جَمْعُهُ أن يكون بـ " التاء " وبغير صورة جمع دُكْرَانِ بني آدم - بما هُوَ مِنْ صفةِ الآدميين، أن يجمعوه جمع ذكورهم، كما قال تعالى ذكره: وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا [سورة فصلت: 21]، فأخرج خطابهم عليّ مثال خطاب بني آدم، إذ كلمتهم وكلموها، وكما قال: يَا أَيُّهَا النَّهْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ [سورة النمل: 18]، وكما قال: وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأْيُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [سورة يوسف: 4].

وقال آخرون: عنى الله تعالى ذكره بقوله: " ويلعنهم اللاعنون "، الملائكة والمؤمنين.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2385- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " ويلعنهم اللاعنون "، قال، يَقول: اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين. (74)

< 3-257 >

2386- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " ويلعنهم اللاعنون "، الملائكة.

2387- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس قال: " اللاعنون "، من ملائكة الله والمؤمنين.

وقال آخرون: يعني ب " اللاعنين "، كل ما عدا بني آدم والجن.

* ذكر من قال ذلك:

2388- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " ويلعنهم اللاعنون " قال، قال البراء بن عازب: إنَّ الكافر إذا وُضع في قبره أتته دابة كأن عينيها قِدران من نُحاس، معها عمود من حديد، فتضربه ضربة بين كتفيه، فيصيح، فلا يسمع أحد صوته إلا لعنه، ولا يبقى شيء إلا سمع صوته، إلا الثقلين الجن والإنس.

2389- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير، عن جوير، عن الضحاك في قوله: " أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " قال، الكافر إذا وضع في حفرته، ضُرب ضربة بمطرق (75) فيصيح صيحةً، يسمع صوته كل شيء إلا الثقلين الجن والإنس، فلا يسمع صيحته شيء إلا لعنه.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: " اللاعنون "، الملائكة والمؤمنون. لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تجلُّ بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، (76) فكذلك < 3-258 > اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالة بالفريق الآخر: الذين يكتُمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس، (77) هي لعنة الله، ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار، (78) وهم " اللاعنون "، لأن الفريقين جميعًا أهل كفر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قول من قال إن " اللاعنين " هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من ديبب الأرض وهوامها، (79) فإنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به الحجة، ولا خبر بذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم، فيجوز أن يقال إن ذلك كذلك.

وإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال: إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف [قول] أهل التأويل، (80) وهو ما وصفنا. فإن كان جائزاً أن تكون البهائم وسائر خلق الله، تلعن الذين يكتبون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ونبوته، بعد علمهم به، وتلعن معهم جميع الظلمة - فغير جائز قطع الشهادة في أن الله عنى بـ " اللاعنين " البهائم والهوام ودبيب الأرض، إلا بخبر للعدر قاطع. ولا خبر بذلك، وظاهر كتابا لله الذي ذكرناه دال على خلافه. (81)

< 3-259 >

القول في تأويل قوله تعالى : إِيَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا قُلُوبَهُمْ وَأَتَوْا عَنَّا التَّوَابُ الرَّحِيمُ (160)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: أن الله واللاعنين يلعنون الكافرين الناس ما علموا من أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته في الكتاب الذي أنزله الله وبيّنه للناس، إلا من أتى من كتمان ذلك منهم؛ وراجع التوبة بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، والإقرار به ونبوته، وتصديقه فيما جاء به من عند الله، وبيان ما أنزل الله في كتبه التي أنزل إلى أنبيائه، من الأمر باتباعه؛ وأصلح حال نفسه بالتقرب إلى الله من صالح الأعمال بما يرضيه عنه؛ وبيّن الذي علم من وحي الله الذي أنزله إلى أنبيائه وعهد إليهم في كتبه فلم يكتبه، وأظهره فلم يخفه = " فأولئك "، يعني: هؤلاء الذين فعلوا هذا الذي وصفت منهم، هم الذين أتوا عليهم، فأجعلهم من أهل الإياب إلى طاعتي، والإنابة إلى مَرْضَاتِي.

ثم قال تعالى ذكره: " وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ "، يقول: وأنا الذي أرجع بقلوب عبيدي المنصرفة عني إليّ، والراذية بعد إدبارها عن طاعتي إلى طلب محبتي، والرحيم بالمقبلين بعد إقبالهم إليّ، أتغمدهم مني بعفو، وأصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بيني وبينهم، بفضل رحمتي لهم.

فإن قال قائل: وكيف يُتاب على من تاب؟ وما وجه قوله: " إِيَّا الَّذِينَ تَابُوا " فأولئك أتوب عليهم "؟ وهل يكون تائبٌ إلا وهو متوب عليه، أو متوب عليه إلا وهو تائب؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيل: ذلك مما لا يكون أحدهما إلا والآخر معه، فسواء قيل: إلا الذين تيبَ عليهم فتابوا - أو قيل: إلا الذين تابوا فإني أتوب عليهم. وقد بينا وجه ذلك > 260-3 < فيما جاء من الكلام هذا المجيء، في نظيره فيما مضى من كتابنا هذا، فكرهنا إعادته في هذا الموضوع. (82)

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2390- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله: "إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا"، يقول: أصلحوا فيما بينهم وبين الله، وبينوا الذي جاءهم من الله، فلم يكتموه ولم يجحدوا به: أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم.

2391- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: "إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا" قال، بينوا ما في كتاب الله للمؤمنين، وما سألوهم عنه من أمر النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا كله في يهود.

قال أبو جعفر: وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: "وبينوا"، إنما هو: وبينوا التوبة بإخلاص العمل. ودليل ظاهر الكتاب والتنزيل بخلافه. لأن القوم إنما عوتبوا قبل هذه الآية، (83) على كتمانهم ما أنزل الله تعالى ذكره وبينه في كتابه، في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودينه، ثم استثنى منهم تعالى ذكره الذين يبينون أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودينه، فيتوبون مما كانوا عليه من الجحود والكتمان، فأخرجهم من عداد من يلغنه الله ويلغنه اللاعنون (84) = ولم يكن العتاب على تركهم تبين التوبة بإخلاص العمل.

والذين استثنى الله من الذين يكتمون ما أنزل الله من البيئات والهدى من بعد > 261-3 < ما بينه للناس في الكتاب، (85) عبد الله بن سلام ودووه من أهل الكتاب، (86) الذين أسلموا فحسن إسلامهم، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا "، إن الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به = من اليهود والنصارى وسائر أهل الملل، والمشركين من عبدة الأوثان = " وماتوا وهم كفار "، يعني: وماتوا وهم على جحودهم ذلك وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم، " أولئك عليهم لعنة الله والملائكة "، يعني: فأولئك الذين كفروا وماتوا وهم كفار عليهم لعنة الله، يقول: أبعدهم الله وأسحقهم من رحمته، " والملائكة "، يعني ولعنهم الملائكة والناس أجمعون. ولعنة الملائكة والناس إياهم قولهم: " عليهم لعنة الله "

وقد بينا معنى " اللعنة " فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. (87)

فإن قال قائل: وكيف تكونُ على الذي يموت كافراً بمحمد صلى الله عليه وسلم [لعنةُ الناس أجمعين] من أصناف الأمم، (88) وأكثرهم ممن لا يؤمن به وبصدقه؟

< 3-262 >

قيل: إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبَ إليه. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: عنى الله بقوله: " والناس أجمعين "، أهلَ الإيمان به وبرسوله خاصة، دون سائر البشر.

* ذكر من قال ذلك:

2392- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " والناس أجمعين "، يعني: ب " الناس أجمعين "، المؤمنين.

2393- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " والناس أجمعين "، يعني ب " الناس أجمعين "، المؤمنين.

وقال آخرون: بل ذلك يومَ القيامة، يُوقَفُ على رءوس الأشهاد الكافر فيلعنه الناس كلهم.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2394- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية: أن الكافر يُوقَف يوم القيامة فيلعنه الله، ثم تلعه الملائكة، ثم يلعه الناس أجمعون.

وقال آخرون: بل ذلك قول القائل كائنًا من كان: "لَعَنَ اللهُ الظالم"، فيلحق ذلك كل كافر، لأنه من الظلمة.

* ذكر من قال ذلك:

2395- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قوله: "أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"، فإنه لا يتلacen اثنان مُؤمنان ولا كافرين فيقول أحدهما: "لعن الله الظالم"، إلا وجبت تلك اللعنة على الكافر، لأنه ظالم، فكل أحد من الخلق يلعه.

< 3-263 >

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا قول من قال: عني الله بذلك جميع الناس، بمعنى لعنهم إياهم بقولهم: "لعن الله الظالم - أو الظالمين".

فإن كل أحد من بني آدم لا يمتنع من قيل ذلك كائنًا من كان، (89) ومن أي أهل ملة كان، فيدخل بذلك في لعنته كل كافر كائنًا من كان. وذلك بمعنى ما قاله أبو العالية. لأن الله تعالى ذكره أخبر عمن شهدهم يوم القيامة أنهم يلعنونهم فقال: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظالمين [هود: 18]

وأما ما قاله قتادة، من أنه عني به بعض الناس، فقول ظاهر التنزيل بخلافه، ولا برهان على حقيقته من خبر ولا نظر. فإن كان ظن أن المعني به المؤمنون، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة. ومعلوم منهم أنهم يلعنون الظلمة، وداخل في الظلمة كل كافر، بظلمه نفسه، وجحوده نعمة ربه، ومخالفته أمره.

القول في تأويل قوله تعالى : خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (162)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: ما الذي نصب " خالدين فيها "؟

قيل: نُصِبَ عَلَى الْحَالِ مِنْ " الْهَاءِ وَالْمِيمِ " اللَّتَيْنِ فِي " عَلَيْهِمْ ". وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ، أَوْلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ خَالِدِينَ فِيهَا. وَكَذَلِكَ قَرَأَ ذَلِكَ: " أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ " < 264-3 > مَن قَرَأَهُ كَذَلِكَ، (90) تَوْجِيهًا مِنْهُ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي وَصَفْتُ. وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَغَيْرُ جَائِزَةٍ الْقِرَاءَةُ بِهِ، لِأَنَّهُ خَلَقَ لِمَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا جَاءَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْقِرَاءَةِ مُسْتَفِيضًا فِيهِمْ. فَغَيْرُ جَائِزٍ الْإِعْتِرَاضُ بِالشَّادِّ مِنَ الْقَوْلِ، عَلَى مَا قَدْ ثَبَتَتْ حُجَّتُهُ بِالنَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ.

وأما " الهاء والألف " اللتان في قوله: " فيها "، فإنهما عائدتان على " اللعنة "، والمراد بالكلام: ما صار إليه الكافر باللعنة من الله ومن ملائكته ومن الناس. والذي صار إليه بها، نارُ جهنم. وأجرى الكلام على " اللعنة "، والمراد بها ما صار إليه الكافر، كما قد بينا من نظائر ذلك فيما مضى قبل، كما:-

2396- حدثت عن عمار قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية: " خالدين فيها "، يقول: خالدين في جهنم، في اللعنة.

وأما قوله: " لا يخفف عنهم العذاب "، فإنه خبرٌ من الله تعالى ذكره عن دَوَامِ الْعَذَابِ أَبَدًا مِنْ غَيْرِ تَوْقِيتٍ وَلَا تَخْفِيفٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْصَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا [سورة فاطر: 36]، وكما قال: كَلِمًا تَصِحَّتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا [سورة النساء: 56]

وأما قوله: " ولا هم يُنظرون "، فإنه يعني: ولا هم يُنظرون بمعذرة يَعتذرون، كما:-

2397- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية: " ولا هم ينظرون "، يقول: لا يُنظرون فيعتذرون، < 265-3 > كقوله: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ . [سورة المرسلات: 36-35]

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله عز وجل : **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** (163)

قال أبو جعفر: قد بينا فيما مضى معنى "الألوهية"، وأنها اعتبار الخلق. (91)

فمعنى قوله: " وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم ": والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربُّ واحد، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه، فإنَّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثل له ولا نظير.

واختلِف في معنى وحدانيته تعالى ذكره،

فقال بعضهم: معنى وحدانية الله، معنى تفي الأشباه والأمثال عنه، كما يقال: " فلان واحدٌ الناس - وهو واحد قومه "، يعني بذلك أنه ليسَ له في الناس مثل، ولا له في قومه شبيه ولا نظير. فكذلك معنى قول: " الله واحد "، يعني به: الله لا مثل له ولا نظير.

فزعموا أن الذي دلَّهم على صحة تأويلهم ذلك، أن قول القائل: " واحد " يفهم لمعان أربعة. أحدها: أن يكون " واحدًا " من جنس، كالإنسان " الواحد " من الإنس. والآخر: أن يكون غير متفرِّق، كالجزء الذي لا ينقسم. (92) والثالث: > 266-3 < أن يكون معنيًا به: المثلُّ والاتفاق، كقول القائل: " هذان الشيطان واحد "، يراد بذلك: أنهما متشابهان، حتى صارَا لاشتباههما في المعاني كالشيء الواحد.

والرابع: أن يكون مرادًا به نفي النظر عنه والشبيه.

قالوا: فلما كانت المعاني الثلاثة من معاني " الواحد " منتفية عنه، صح المعنى الرابع الذي وصفناه.

وقال آخرون: معنى " وحدانيته " تعالى ذكره، معنى انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه. قالوا: وإنما كان منفردًا وحده، لأنه غير داخل في شيء ولا داخلٌ فيه شيء. قالوا: ولا صحة لقول القائل: " واحد "، من جميع الأشياء إلا ذلك. وأنكر قائلو هذه المقالة المعاني الأربعة التي قالها الآخرون.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: " لا إله إلا هو "، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيرُه، ولا يستوجبُ على العبادِ العبادةَ سواه، وأنَّ كلَّ ما سواه فهُم خَلَقه، والواجبُ على جميعهم طاعته والانقيادُ لأمره، وتركُ عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، وهجر الأوثان والأصنام. لأنَّ جميع ذلك خَلَقه، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والآلوهة، ولا تَبغِي الآلوهة إلا له، إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فمنه، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشرار؛ (93) وما يصيرون إليه من نعمة في الآخرة فمنه، وأن ما أشركوا معه من الأشرار لا يضر ولا ينفع في عاجل ولا في أجل، ولا في دنيا ولا في آخرة.

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهلَ الشرك به على ضلالهم، ودعاءً منه لهم إلى الأوبة من كفرهم، والإنابة من شركهم.

< 3-267 >

ثم عرّفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها، موضع استدلال ذوي الألباب منهم على حقيقة ما نبّههم عليه من توحيده وحججه الواضحة القاطعة عُذْرهم، فقال تعالى ذكره: أيها المشركون، إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر: من أن إلهكم إله واحد، دون ما تدّعون ألوهيته من الأنداد والأوثان، فتدبروا حُججِي وفكروا فيها، فإن من حُججِي خَلَقَ السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما يَنفَعُ الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثثت فيها من كل دابة، والسحاب الذي سَخَرْتَه بين السماء والأرض. فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض، يقدر على أن يخلق نظيرَ شيء من خَلْقِي الذي سميْتُ لكم، فلکم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عُذْرٌ، وإلا فلا عُذْرَ لكم في اتخاذ إله سواي، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري. فليتدبر أولو الألباب إيجارَ الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدین في توحيده، في هذه الآية وفي التي بعدها، بأوجز كلام، وأبلغ حجة وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه.

الهوامش:

(1) في المطبوعة: "كما يحدث"، والصواب ما أثبت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(2) الحديث : 2323- عبدة بن سليمان الكلابي الكوفي : ثقة من شيوخ أحمد وإسحاق . مترجم في التهذيب ، وابن سعد 6 : 272 ، وابن أبي حاتم 3/1/89 .

الحارث بن فضيل الأنصاري المدني : ثقة ، وثقه ابن معين والنسائي وغيرهما . مترجم في التهذيب ، والكبير 1/2/277 ، وابن أبي حاتم 1/2/86 .

محمود بن لييد بن عقبة بن رافع الأشهلي ، الأوسي ، الأنصاري : صحابي على الراجح الذي جزم به البخاري ، مات سنة 96 أو 97 . قال الواقدي : مات وهو ابن 99 سنة . قال الحافظ في التهذيب : "على مقتضى قول الواقدي في سنة ، يكون له يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم 13 سنة . وهذا يقوي قول من أثبت الصحبة" . وروى البخاري في الكبير 4/1/402 ، بإسناد صحيح : "عن محمود بن لييد قال ، أسرع النبي صلى الله عليه وسلم حتى تقطعت نعالتنا ، يوم مات سعد بن معاذ" . وهذا حجة كافية في إثبات صحبته . فقال ابن أبي حاتم 290-4/1/289 : "قال البخاري : له صحبة . فخط أبي عليه ، وقال لا يعرف له صحبة" ! وهو نفي دون دليل ، لا يقوم أمام إثبات عن دليل صحيح . ولذلك قال ابن عبد البر - كما في التهذيب : "قول البخاري أولى" . وهو مترجم أيضاً في ابن سعد 5 : 55-56 . والإصابة 6 : 66-67 .

والحديث رواه أحمد في المسند : 2390 ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه 7 : 69 (من مخطوطة الإحسان) ، من طريق يعقوب ، به . ورواه الحاكم في المستدرک 2 : 74 ، من طريق يزيد بن هارون ، عن ابن إسحاق . وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

وذكره ابن كثير في التفسير 2 : 292 ، عن رواية المسند . قال : "تفرد به أحمد" . ثم أشار إلى رواية الطبري هذه ، وقال : "وهو إسناد جيد" . وهو في مجمع الزوائد 5 : 298 ، ونسبه لأحمد ، والطبراني ، وقال : "ورجال أحمد ثقات" .

وذكره السيوطي 2 : 96 . وزاد نسبه لابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر والبيهقي في البعث .

وقوله : "وقال عبدة . . ." ، يريد أن "عبدة بن سليمان" قال : "في روضة" بدل "في قبة" . ووقع في المطبوعة "أو قال عبدة" . ووضع "أو" هنا بدل واو العطف - خطأ غير مستساغ . ونرجح أنه من ناسخ أو طابع .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (3) الخبر : 2324- هذا خبر لا أدري ما هو؟! ورأسه"ابن بشار السلمي؛ أو أبو بشار"- الذي شك فيه ابن جرير : لم أهتد إلى شيء يدل عليه . وقد ذكره السيوطي 2 : 96 ، عن هذا الموضوع من الطبري ، ثم لم يصنع شيئاً!
- (4) سياق الكلام : ولكنه تعالى ذكره لما كان قد أنبأ عباده . . . ترك إعادة ذكر . . . "
- (5) في المطبوعة : "إنهم أحياء" ، والسياق يقتضي ما أثبت . وانظر معاني القرآن للفراء 1 : 93-94 ، فقد استوفى ما اختصره الطبري .
- (6) انظر ما سلف 2 : 48 ، 49 ، ثم هذا الجزء 3 : 7 .
- (7) في المطبوعة : "وتعذر المطالب" والصواب ما أثبت .
- (8) الخبر : 2326- سبق هذا الإسناد : 1455 ، ولما نعرف شيخ الطبري فيه .
- (9) في المطبوعة : "بما امتحتهم" ، والسياق يقتضي ما أثبت .
- (10) في المطبوعة : "بما ابتليتهم" ، والسياق يقتضي ما أثبت .
- (11) انظر ما سلف 1 : 383/2 : 393 .
- (12) الحديث : 2328- هو جزء من حديث صحيح . رواه البخاري 3 : 286 (من الفتح) . ومسلم 1 : 297- كلاهما من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال ، "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : اللهم صل عليهم ، فأتاه أبي أبو أوفى بصدقته ، فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى" .
- قال الحافظ : "يريد أبا أوفى نفسه ، لأن الآل يطلق على ذات الشيء . . . وقيل لا يقال ذلك إلا في حق الرجل الجليل القدر" .
- وهذه فائدة نفيسة ، من الحافظ ابن حجر ، رحمه الله .
- (13) انظر ما سلف 1 : 242 / ثم 2 : 505 / ثم 2 : 37 ، 213 ، 214 .
- (14) انظر ما سلف 1 : 166-170 ، 230 ، 249 ، 549-551 / ثم 2 : 211 / ثم هذا الجزء 3 : 101 ، 140 ، 141 .
- (15) الحديث : 2329- ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 2 : 330-331 ، وقال : "رواه الطبراني في الكبير ، وفيه علي بن أبي طلحة ، وهو ضعيف" .
- وذكره السيوطي في الدر المنثور 1 : 156 ، وزاد نسبه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان .
- وعلي بن أبي طلحة : سبق في : 1833 أنه ثقة ، وأن علة هذا الإسناد -وهو كثير الدوران في تفسير الطبري- : انقطاعه ، لأن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ، ولم يره .
- (16) الخبر : 2331- سفيان العصفري : هو سفيان بن زياد العصفري ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة . مترجم في التهذيب 4 : 111 ، برقم : 198 . وابن أبي حاتم 2/1/221 ، برقم : 966 . والكبير للبخاري 2/2/93 ، برقم : 2076 ، لكن لم يذكر نسبه "العصفري" . وهو يشتهر على كثير من العلماء بأخر ، هو "سفيان بن دينار ، أبو الوراق الأحمر" . فقد ترجمه ابن أبي حاتم 2/1/220 ، برقم : 695 ، وثبت في بعض نسخه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

زيادة "العصفرى" في نسبه . والبخارى ترجم "الأحمري" 2/2/92 ، برقم : 2073 . ولم يذكر فيه "العصفرى" أيضاً . وترجم في التهذيب 4 : 109 ، برقم : 193- مع شيء من التخليط في الترجمتين ، يظهر بالتأمل . ومع هذا التخليط فقد رجح الحافظ أنهما اثنان ، وقال في ترجمة "سفيان بن دينار" - : "والتحقيق فيه : أن سفيان بن دينار التمار هذا ، يقال له : العصفرى ، أيضاً ، وأن سفيان بن زياد العصفرى : آخر ، بينه الباهي" . وقال في ترجمة الآخر : "والصحيح أنهما اثنان ، كما قال ابن معين وغيره" . وأيا ما كان فالأثنان قتان . (17) ديوانه : 134 ، وكان في المطبوعة : "يونس حافر أبدي" ، وهو خطأ ، والطول : القدرة والغنى . وهو ذو الطول والقوة ، هو الله سبحانه . وأبس الشيء يؤبسه : ذلله ولينه ، أو كسره ، ومثله قول عباس بن مرداس :

إِنْ تَكُ جُلْمُودَ صَخْرٍ لَا أُؤَبِّسُهُ

أَوْ قَدْ عَلَيهِ ، فَأَحْمِيهِ ، فَيَنْصَدِعُ

السَّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ

وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعُ

(18) هو الأخيل الطائي .
(19) سيأتي في التفسير 6 : 142 والجمهرة 3 : 135 ، والمخصص 10 : 90 ، ومجالس ثعلب : 249 ، والحيوان 2 : 339 ، والقالي 2 : 8 ، واللسان (صفا) و (نفا) وكلهم رواه "متنيه" إلا ابن دريد فإنه أنشده :

كَأَنَّ مَنِّيَّ مِنَ النَّفِيِّ

مِنْ طَوْلِ إِشْرَافِي عَلَى الطَّوِيِّ

والنفي : ما تطاير من دلو المستقى . ومن روى "متني" فكأنه عنى أن الأخيل يصف نفسه . وأما من روى "متنيه" ، فإنه عنى غيره . وهو الأصح فيما أرجح ، وقد قال الأزهرى : "هذا ساق كان أسود الجلد ، استقى من بئر ملح ، فكان يبيض نفي الماء على ظهره إذا ترشش . لأنه كان ملحاً" . فإذا صح ذلك ، كانت رواية البيت الذي يليه "من طول إشراف" بغير ياء الإضافة ، ومعنى الشعر أشبه بما قال الأزهرى ، لتشبيهه في البيت الثالث . و"الطوي" البئر المطوية بالحجارة .
(20) الزيادة بين الأقواس لا بد منها ، ليستقيم تمثيل المتمثل بهذه الجموع ، على نظيرها . وهو قوله أنفاً : صفا وأصفاء وصفى وصفى .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(21) بيان الطبري عن معنى "المرو" ليس بجيد ، والأجود ما قاله أصحاب اللغة : المرو ، حجارة بيض براقه ، تكون فيها النار ، وتقدح منها النار ، ويتخذ أداة كالسكين يذبح بها ، وهي صلبة .
(22) ديوانه : 161 ، وفي الشطر الأول تصحيف لم أتبين صوابه ، ورواية الديوان :

وَوُلِّي الْأَرْضَ حُفًّا مُجْمَرًا

وهو يصف ناقته وشدتها ونشاطها ، والخف المجرم : هو الوقاح الصلب الشديد المجتمع ، نكته الحجارة فصلب . رضح الحصى والنوى رضخًا : دقه فكسره . يعني من شدة الخف وصلابته ، وذلك محمود في الإبل .
(23) ديوانه : 3 ، والمفضليات : 587 ، من قصيدة البارعة في رثاء أولاده ، يقول عن المصائب المتتابعة تركته كهذه الصخرة التي وصف . والمشرق : المصلي بمنى . قال ابن الأنباري : " وإنما خص المشرق ، لكثرة مرور الناس به " . ثم قال : " ورواها أبو عبيدة : "المشقر" : يعني سوق الطائف . يقول : كأني مروة في السوق يمر الناس بها ، يقرعها واحد بعد واحد" .
(24) الهاشميات : 21 ، واللسان (شعر) ، وغيرهما . والضمير في قوله : "نقتلهم" ، إلى الخوارج الذين عدد أسماءهم في بيتين قبل :

عَلَامَ إِذَا زُرْنَا الرَّبِيرَ وَتَافِعَا

بغارتنا، بَعَدَ الْمَقَانِبِ مِقْتَبُ

وَسَاطَ عَلَى أَرْمَاجِنَا يَادِّعَائِهَا

وَتَحْوِيلِهَا عَنْكُمْ شَيْبُ وَقَعْتَبُ

والجيل : الأمة ، أو الصنف من الناس . وفي المطبوعة واللسان : "تراهم" بالتاء ، وهو خطأ . والشعائر هنا جمع شعيرة : وهي البدنة المهداة إلى البيت ، وسميت بذلك لأنه يؤثر فيها بالعلامات . وإشعار البدن : إدمائها بطعن أو رمي أو حديدة حتى تدمي .

(25) في المطبوعة : "من الخير" بالياء المثناة التحتية ، وليس يستقيم ، والصواب ما أثبت ، وكلام الطبري في تعليقه على قول مجاهد ، دال على الصواب من ذلك أنها من الإشعار ، وهو الإخبار .

(26) هو المخبل السعدي ، وهو مخضرم .

(27) المعاني الكبير : 478 ، والاشتقاق لابن دريد : 77 ، 156 ، وتهذيب الألفاظ : 563 ، وإصلاح المنطق : 411 ، والبيان والتبيين 3 : 97 ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي : 313 ، وللبطليوسي : 405 ، واللسان (سبب) (حج) ، (قهر) (زبرق) ، والجمرة لابن دريد : 1 : 31 ، 49/3 : 434 ، وسمط اللاكي :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

191 ، والخزانة 3 : 427 . وفي المطبوعة : "بيت الزبرقان" والصواب ما أثبت

وقد ذهب الطبري في تفسير البيت ، كما ذهب ابن دريد وابن قتيبة والجاحظ وغيرهم إلى أن "السب" هاهنا العمامة ، وأن سادات العرب كانوا يصبغون عمائمهم بالزعفران ، ومنهم حصين بن بدر ، وهو الزبرقان ، وسمي بذلك لصفرة عمامته وسيادته . وذهب أبو عبيدة وقطرب إلى أنه "السب" هنا هي الاست ، وكان مقروفاً ، وزعموا أن قول قطرب قول شاذ ، والصواب عندي أن أبا عبيدة وقطرب قد أصابا ، وأنهم أخطأوا في ردهم ما قالا . فقد كان المخبل بذيء اللسان ، حتى نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إنما هو عذاب يصبه الله على من يشاء من عباده" (النقائض : 1048) قال أبو عبيدة في النقائض : "كان المخبل القريني أهجى العرب . . . ثم كان بعده حسان بن ثابت ، ثم الحطيئة ، والفرزدق ، وجرير ، والأخطل . هؤلاء الستة الغاية في الهجاء وغيره ، ولم يكن في الجاهلية ولا في الإسلام لهم نظير" . هذا وقد كان من أمر المخبل والزبرقان بن بدر ما كان في ضيافة الحطيئة (انظر طبقات فحول الشعراء : 96-100) ، وهجاؤه له ، ثم ما استشرى من هجاء المخبل له ، لما خطب إليه أخته خليدة ، فأبى الزبرقان أن يزوجها له ، وذمه . فهجاء وهجا أخته مقذعاً ، وحط منه حتى قال له :

يَا زَبْرِقَانُ أَحَايِنِي خَلْفِي

مَا أَنْتَ وَبَبَ أَيْبِكَ وَالْفَخْرُ

مَا أَنْتَ إِلَّا فِي بَيْتِي خَلْفِي

كَالِإِسْكَيْنِ عَلَاهُمَا الْبَطْرُ

وكل شعره في الزبرقان وأخته مقذع . وهذا البيت الذي استشهد به الطبري من قذعه . وقبل البيت :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ عَمْرَةَ أُنِّي

تَخَاطَأَنِي رَيْبُ الزَّمَانِ لِأَكْبَرَا

لَأَشْهَدَ مِنْ عَوْفِي حُلُولاَ كَثِيرَةً

يَحْجُونَ سِبَّ الزَّبْرِقَانِ الْمُرْعَقَرَا

تَمَّتْ حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جِدَاعَهُ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أُذِلَّ وَأُقْهَرَا

وفي سيرة ابن هشام 2 : 275-276 قول عتبة بن ربيعة في أبي جهل :
"سيعلم مصفرأسته من انتفخ سحره ، أنا أم هو!" فرماه بمثل ذلك من
القبيح ، الذي قاله المخبل السعدي . ومن زعم أن المخبل يقول إنه : "كره
أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحج بنو عوف
عصابته" ، فقد أخطأ ، وقد نقض عليه البيت الثالث ما زعم ، فإنه يصفه بأنه
تمنى السيادة ، ولكن ذلك لم يزد إلا ذلاً وقهراً ، فكيف يتأتى أن يقول ما
زعم هذا أنه أراد؟ بل أراد المخبل أن يسخر به ويتهكم ، كما فعل في
سائر هجائه له .

وقوله : "وأشهد" منصوب ، عطفاً على قوله : "لأكبراً" .
(28) عرف يعرف تعريفاً : وقف بعرفات . و"طواف الصدر" من قولهم : صدر
الناس من حجهم ، أي رجعوا بعد أن يقضوا نسكهم .
(29) ديوانه : 19 من قصيدة مدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي ،
مضى منها في 1 : 190 ، 2 : 157 . وقوله "مغزى" ، أي غزواً . وضبر : جمع
قوائمه ليثب ثم وثب . وهو يصف بعده جيش عمر بن عبيد الله ، وكان فتح
الفتوح الكثيرة ، وعظم أمره في قتال الخوارج .
(30) في المطبوعة : "إليه ذهب" ، والصواب ما أثبت ، لأن الطبري ساق
قول القائل ، على أنه خطاب له إذ قال للطبري : "وقد قلت لنا" . فالصواب
أن يصرف الرد عليه خطاباً له كما خاطبه .

(31) في المطبوعة : "أحد ذلك" ، ولا معنى له ، وفيه تحريف لا شك فيه .
فإنهم لم يذكروا متعددًا من الأثام حتى يجعلوا له "أحدًا" . وإنما أرادوا : أكبر
الإثم والشرك . و"ذلك" ، إشارة إلى الشرك . ولو قرئت أيضًا : "أخوف ذلك"
لكاتب صواباً ، لأنه سيذكر أنهم كانوا يتخوفون الطواف بهما . ويعني : أخوف
الشرك .

(32) في المطبوعة : "إساف" ، والصواب ما أثبت ، فهو غير ممنوع من
الصرف .

(33) في المطبوعة : "إساف" ، والصواب ما أثبت ، فهو غير ممنوع من
الصرف .

(34) الأثر : 2336- هكذا جاء هذا الأثر في الدر المنثور 1 : 160 ، وصواب
عبارته فيما أرجح ، أن يحذف "مؤنثاً" ، أو أن يقال : "من أجل أن الوثن الذي
كان عليه كان مذكراً ، وأنت المروة من أجل أن الوثن الذي كان عليه كان
مؤنثاً" .

(35) الحديث : 2338- يعقوب : هو ابن إبراهيم الدورقي . ابن أبي زائدة : هو
يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني الوادعي ، وهو حافظ ثقة ، يقرن
بابن المبارك . يقولون : إنه أول من صنف الكتب بالكوفة ، مات سنة 183 .
مترجم في التهذيب ، والكبير 273-4/2/274 . والصغير ، ص : 206 ، وابن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

سعد : 6 : 274 ، وابن أبي حاتم 145-4/2/144 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 226-247 .

عاصم : هو ابن سليمان الأحول ، مضى في : 184 ، وهو من صغار التابعين . وعده سفيان الثوري أحفظ ثلاثة في البصرة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد 65-7/2/20 ، وابن أبي حاتم 344-3/1/343 .

والحديث رواه البخاري 3 : 402 (فتح) ، من طريق عبد الله ، وهو ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، بنحوه . ورواه أيضًا مسلم ، والترمذي ، والنسائي . كما في القسطلاني 3 : 153-154 .
(36) الحديث : 2339- سفيان : هو الثوري . والحديث مختصر ما قبله . ورواه البخاري مختصرًا 8 : 132 (فتح) ، عن محمد بن يوسف ، عن سفيان . ورواه الحاكم 2 : 270 ، من طريق حسين بن حفص ، عن سفيان . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي . وأخطأ الحاكم في استدراكه ، فقد رواه البخاري . كما ذكرنا قبل .

وسياتي بعض معناه مختصرًا : 2346 ، 2347 ، من رواية جرير ، عن عاصم ، عن أنس .

(37) الحديث : 2340- عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري : ثقة ، من شيوخ مسلم والترمذي والنسائي وأبي حاتم وغيرهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3/1/76 .

حسين المعلم : هو حسين بن محمد بن بهرام التميمي المروزي ، المؤدب ، كما لقب بذلك في التهذيب ، وهو "المعلم" أيضًا ، كما لقبه بذلك البخاري وابن أبي حاتم ، وهو ثقة من شيوخ أحمد ويحيى والأئمة . مترجم في التهذيب ، والكبير 1/2/386-387 ، وابن سعد 7/2/79 ، وابن أبي حاتم 1/2/64 . وتاريخ بغداد 8 : 88-90 ، وكان معروفًا برواية "تفسير شبين النحوي" . فروى ابن أبي حاتم عن أبيه قال ، "أتيته مرارًا بعد فراغه من تفسير شبين ، وسألته أن يعيد على بعض المجلس ، فقال : بكر ، بكر . ولم أسمع منه شيئًا" .

ومما يوقع في الوهم ، الاشتباه بين "عبد الوارث بن عبد الصمد" . و"شيخه" حسين المعلم " هذا - وبين "عبد الوارث بن سعيد" ، و"شيخه" حسين المعلم " أيضًا .

ف"عبد الوارث" -شيخ الطبري- هو الذي ترجمنا له هنا . و"شيخه" حسين بن محمد المروزي" . و"عبد الوارث بن سعيد" - هو جد "عبد الوارث" هذا . و"حسين المعلم" هو "حسين بن ذكوان المعلم" ، وهو قديم ، يروي عن التابعين .

شبيان أبو معاوية : "هو شبيان بن عبد الرحمن التميمي النحوي؛ وهو إمام حجة حافظ ، حدث عند أبو حنيفة ، وهو من أقرانه . وروى عنه الأئمة :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الطيالسي ، وابن مهدي ، وغيرهما . مترجم في التهذيب . والكبير 2/2/255 ،
وابن سعد 6 : 262 ، و 68-7/2/67 وابن أبي حاتم 355-1/1/356 ، وتاريخ
بغداد 9 : 271-274 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 202-203 .

ووقع في المطبوعة غلط في اسمه واسم الراوي عنه : فذكر "أبو الحسين
المعلم" ! وهو تخطيط ، وذكر "سنان أبو معاوية" ! وهو فوق ذلك تصحيف .

جابر الجعفي ، بضم الجيم وسكون العين المهملة : وهو جابر بن يزيد بن
الحارث ، وهو ضعيف جدًا ، رمي بالكذب . مترجم في التهذيب ، والكبير
1/2/210 ، والضعفاء للبخاري ، ص : 7 . والنسائي ، ص : 7 ، وابن أبي حاتم
497-1/1/498 ، والمجروحين لابن حبان ، رقم : 175 ، ص 140-141 .
والميزان 1 : 176-178 .

عمرو بن حبشي ، بضم الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وكسر الشين
المعجمة : تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم 3/1/226 .

وهذا الحديث -الضعيف الإسناد- لم أجده إلا في هذا الموضوع . وذكره
السيوطي 1 : 159 ، ولم ينسبه إلا إلى الطبري .
(38) الحديث : 2342- هذا الإسناد ، هو من أسانيد تفسير السدي الثلاثة ،
وقد فصلنا القول فيها ، في : 168 .

والحديث رواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف ، ص : 100-101 ،
عن الحسين بن علي بن مهران ، عن عامر بن الفرات ، عن أسباط ، بهذا
الإسناد ، نحوه .

وفي إسناد ابن أبي داود فائدة جديدة : أن هناك راويًا لتفسير السدي ،
غير "عمرو بن طلحة القناد" راويه عن أسباط بن نصر . فهذا هو ذا عامر بن
الفرات يروي شيئًا منه عن أسباط أيضًا . و"عامر بن الفرات" : لم أجد له
ترجمة أصلا . ومن عجب أن يذكره ابن أبي حاتم ، في ترجمة "الحسين بن
علي بن مهران" 1/2/56 - شيئًا له ، ثم لا يترجم له في بابه!

ورواه أيضًا الحاكم 2 : 271 ، من طريق عمرو بن طلحة القناد ، عن أسباط
بهذا الإسناد نحوه . وزاد في آخره : "يقول : عليه إثم ولكن له أجر" . وقال
الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

ولنا على الحاكم والذهبي في هذا استدراك ، هو : أن أبا مالك -التابعي راويه
عن ابن عباس - وهو "غزوان الغفاري" : لم يرو له مسلم في صحيحه أصلا .
فلا يكون الحديث على شرط مسلم ، في اصطلاح الحاكم!

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وفي رواية الحاكم -هذه- فائدة أيضًا : أنا ظننا عند الكلام على أسانيد تفسير السدي الثلاثة ، أن الحاكم اختار منها إسنادين فقط ، ولكن أظهرنا هذا الإسناد على أنه صحح الثلاثة الأسانيد .

والحديث ذكره السيوطي 1 : 159 ، وزاد نسبه لابن أبي حاتم أيضًا .
(39) الحديثان : 2346-2347- جريز : هو ابن عبد الحميد الضبي ، وهو ثقة حجة حافظ . مترجم في التهذيب ، والكبير 1/2/214 ، وابن سعد 7/2/110 ، وابن أبي حاتم 1/505-507 . وتاريخ بغداد 7 : 253-261 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 250 .

والحديثان مضى معناهما ، من رواية عاصم عن أنس : 2338 ، 2339 .
(40) الحديث : 2350- عقيل- بضم العين : هو ابن خالد الأيلي ، وهو ثقة ثبت حجة ، قال ابن معين : "أثبت من روى عن الزهري : مالك ، ثم معمر ، ثم عقيل" . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/1/94 ، وابن أبي حاتم 3/2/43 .

عروة بن الزبير بن العوام : تابعي ثقة فقيه عالم ثبت مأمون ، قال أبو الزناد : "كان فقهاء أهل المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان" . وأمه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق ، وعائشة أم المؤمنين خالته ، رضي الله عنهم . مترجم في التهذيب ، والكبير 31/4/32 ، وابن سعد 2/2/134-135 ، و 5 : 132-135 ، وابن أبي حاتم 395-396/1/3 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 58-59 ، وتاريخ الإسلام 3 : 31-34 .

والحديث -من هذا الوجه- رواه مسلم 1 : 362 ، من طريق عقيل ، عن ابن شهاب ، وهو الزهري ولم يذكر لفظه كله ، إحالة على روايات قبله .

ورواه البخاري 3 : 397-401 ، مطولا ، من طريق شعيب ، عن الزهري ، باللفظ الذي هنا ، إلا خلافاً في أحرف يسيرة : "فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا ... أنزل الله ... " ففي البخاري : "فلما أسلموا سألوا ... قالوا ... فأنزل الله ... " . ولكن زاد البخاري في آخره قول الزهري أنه ذكر ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن -الذي سيأتي في الرواية التالية لهذه ، بنحو معناه .

وثبت من أوجه كثيرة ، عن الزهري ، عن عروة ، مطولا ومختصراً :

فرواه مالك في الموطأ ، ص : 373 ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه .
ورواه البخاري 8 : 132 . وابن أبي داود في المصاحف ، ص 100 -ولم يذكر لفظه- كلاهما من طريق مالك .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورواه أحمد في المسند 6 : 144 ، 227 (حلي) ، من طريق إبراهيم بن سعد ، عن الزهري . وكذلك رواه ابن أبي داود ، ص : 100 - ولم يذكر لفظه - من طريق إبراهيم بن سعد .

ورواه مسلم مطولا 1 : 361-362 ، من طريق سفيان بن عيينة ، عن الزهري . وكذلك رواه البخاري 8 : 472 ، من طريق سفيان . ولكنه اختصره جدًا .

ورواه مسلم وابن أبي داود - قبل ذلك وبعده : من أوجه كثيرة .

وذكره السيوطي 1 : 159 ، وزاد نسبه إلى أبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن الأنباري في المصاحف ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في السنن .

وانظر الحديث التالي لهذا .

قوله "يهلون لمناة" : أي يحجون . ومناة ، بفتح الميم والنون الخفيفة : صنم كان في الجاهلية . وقال ابن الكلبي : كانت صخرة نصبها عمرو بن لحي لهذيل ، وكانوا يعبدونها . والطاغية : صفة لها إسلامية . قاله الحافظ في الفتح .

"المشلل" : بضم الميم وفتح الشين المعجمة ولامين ، الأولى مفتوحة مثقلة ، هي الثنية المشرفة على قديد ، وقديد ، بضم القاف ودالين مهملتين ، مصغرا : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، كثيرة المياه . عن الفتح (41) الحديث : 2351- هو تكرار للحديث السابق بمعناه ، من وجه آخر صحيح ، عن الزهري . وفيه زيادة قول الزهري أنه ذكر ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، إلخ . وهذه الزيادة ذكرها البخاري ، في روايته من طريق شعيب عن الزهري ، كما قلنا أنفاً .

ورواية معمر عن الزهري - هذه : ذكر البخاري بعضها تعليقا 8 : 472 ، فقال : "قال معمر عن الزهري " . وقال الحافظ : "وصله الطبري ، عن الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، مطولا" . فهذه إشارة إلى الرواية التي هنا ، وأشار إليها في الفتح 3 : 399 ، وذكر أنه وصلها أحمد وغيره .

وقد رواها أيضا ابن أبي داود في المصاحف ، ص : 100 ، عن "خشيش بن أصرم ، والحسن بن أبي الربيع ، أن عبد الرزاق أخبرهم عن معمر " . ولم يسبق لفظ الحديث ، إحالة على ما قبله . و"خشيش" : بضم الخاء وفتح الشين وآخره شين ، معجمات كلها . و"الحسن بن أبي الربيع" : هو "الحسن بن يحيى" شيخ الطبري ، كنية أبيه "أبو الربيع" . وخلط المستشرق طابع كتاب المصاحف : فكتب "خشيش" بالحاء المهملة! وكتب "الحسن بن أبي الربيع بن عبد الرزاق"!!

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

و"أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام" المخزومي القرشي المدني : من كبار التابعين الأئمة ، ومن سادات قريش . وهو أحد الفقهاء السبعة . مترجم في التهذيب ، والكنى للبخاري ، رقم : 51 ، وابن سعد 2/2/133 ، و 5 : 153-154 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 59-60 ، وتاريخ الإسلام 4 : 72-73 .

وقول أبي بكر بن عبد الرحمن "فأسمع أن هذه الآية نزلت . . . " - إلخ : هو في رواية البخاري أيضًا 3 : 401 ، وقال الحافظ : "كذا في معظم الروايات ، بإثبات الهمزة وضم العين ، بصيغة المضارعة للمتكلم . وضبطه الهمياني في نسخته [يعني من صحيح البخاري] بالوصل وسكون العين . بصيغة الأمر ، والأول أصوب ، فقد وقع في رواية سفيان المذكورة : فأراها نزلت . وهو بضم الهمزة ، أي أظنها" .

وانظر كثيرًا من طرق هذا الحديث أيضًا ، في السنن الكبرى للبيهقي 5 : 96-97 .

(42) الأثر : 2352- كان في المطبوعة : "حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا معمر" بإسقاط "أخبرنا عبد الرزاق قال" ، وهو إسناد دائر في التفسير ، وهو مكرر رقم : 2349 بنصه ، وأخشى أن يكون زيادة ناسخ سها .
(43) في المطبوعة : "لم يلزمه بتركه شيء والله تعالى أعلم" ، وهذه لا شك زيادة من ناسخ .

(44) في المطبوعة : "فعليه العودة" ، والأجود ما أثبت ، وهو أشبه بعبارة الطبري وأقرانه من فقهاء عصره . وسيأتي كذلك بعد مرات في عبارته الآتية ، وكان هذه من تصرف ناسخ أو طابع .

(45) انظر لفظ مالك في الموطأ : 374-375 .

(46) انظر لفظ الشافعي في الأم 2 : 178 .

(47) الخبر : 2362- عيسى بن قيس ، الراوي عن عطاء : لم أستطع اليقين به . ففي ابن أبي حاتم 3/1/284 ترجمتان : "عيسى بن قيس" ، روى عن سعيد بن المسيب ، وروى عنه الليث . و"عيسى بن قيس السلمى" ، روى عنه هشيم . ولم يذكر عنهما شيئًا آخر . إلا أن الأول مجهول . فمن المحتمل أن يكون الراوي هنا أحدهما . فإن عطاء بن أبي رباح مات سنة 114 ، فالراوي عن سعيد بن المسيب -المتوفي سنة 73- محتمل جدًا أن يروي عن عطاء . والليث وهشيم متقاربا الطبقة ، مات الليث سنة 175 ، وهشيم سنة 183 . وأما "أحمد" الراوي هنا عن "عيسى بن قيس" - فلم أستطع معرفته .

ثم ترجع عندي أن "حجاجًا" - في هذا الإسناد : هو "حجاج بن الشاعر" . وهو : حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفي البغدادي ، عرف بابن الشاعر ، لأن أباه يوسف كان شاعرًا صحب أبا نواس ، وحجاج هذا : ثقة ، من شيوخ مسلم وأبي داود وغيرهما ، قال ابن أبي حاتم : "كان من الحفاظ ، ممن يحسن الحديث ويحفظه . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/2/168 ، وتاريخ بغداد 8 : 240-241 ، وتذكرة الحفاظ 2 : 117-118 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأن شيخه "أحمد" : هو أحمد بن عبد الله بن يونس ، وهو ثقة متقن حافظ ، من شيوخ البخاري ومسلم ، سماه الإمام أحمد "شيخ الإسلام" . وقد مضت الإشارة إليه : 2144 .

فإن يكن الإسناد هكذا ، على ما رجحنا ، يكن "عيسى بن قيس" محرّفًا ، صوابه "عمر بن قيس" ، وهو المكي المعروف بـ "سندل" - بفتح السين والذال المهملتين بينهما نون ساكنة . وهو ضعيف جدًّا ، منكر الحديث كما قال البخاري . وقال ابن عدي : "هو ضعيف بإجماع ، لم يشك أحد فيه ، وقد كذبه مالك" . وهو مترجم في التهذيب . والصغير للبخاري ، ص : 190 ، والضعفاء له ، ص : 25 ، والنسائي ص : 24 ، وابن سعد 5 : 358 ، وابن أبي حاتم 130-3/1/129 .

وأنا أرجح أن يكون هذا الإسناد على هذا النحو ، ولكنني لا أستطيع الجزم بذلك ، ولا تغيير اسم "عيسى بن قيس" - حتى أستبين دليل آخر . (48) الحديث : 2365- هو قطعة من حديث جابر - الطويل ، في صفة حجة الوداع . وقد مضت قطعة منه ، بهذا الإسناد : 2003 . وأخرى من رواية يحيى القطان ، عن جعفر الصادق : 1989 . (49) الحديث : 2366- محمود بن ميمون أبو الحسن : لا أدري من هو ، ولا ما شأنه . لم أجد له ترجمة ولا ذكرًا .

ابن عطاء ، عن أبيه : هو يعقوب بن عطاء بن أبي رباح ، وهو ثقة ، بينا ذلك في المسند : 1809 . مترجم في التهذيب والكبير 4/2/298 ، وابن أبي حاتم 4/2/211 .

وهذا الحديث لم أجده في شيء من المراجع . وإن كان لابن عباس أحاديث آخر في شأن الصفا والمروة والسعي بينهما . من ذلك الحديث الماضي : 2342 . وحديث في المستدرک 2 : 270-271 ، وصححه الحاكم والذهبي . (50) كان في المطبوعة : "لما قد بينا" ، وهو خطأ يختل به الكلام . وقوله : "وكان بيانه . . ." إلى قوله : "إذا اختلفت الأمة في وجوبه" جملة فاصلة معطوفة على التي قبلها وسياقها وسياق معناها : وكان بيانه لأتمه جمل ما نص الله في كتابه . . -مما لا يدرك علمه إلا ببيانه- لازمًا العمل به أمته . . . إذا اختلفت الأمة في وجوبه .

(51) وهذه الجملة من تمام قوله ومن سياقها : "وإذا كان صحيحًا بإجماع الأمة . . . كان بيّنًا وجوب فرضه على من حج أو اعتمر" . (52) كان في المطبوعة : "فلا جناح عليه" ، وهو خطأ بين . ويعني : أن يجعل القارئ قوله : "فلا جناح عليهم أن لا يطوفوا بهما" من تمام آية سورة الحج السالفة ، فيزيد في القرآن ما ليس فيه . (53) في المطبوعة : "فإن جاءت إحدى الزيادتين" تصحيف ، والصواب ما أثبت

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (54) قوله : "صلة" ، أي زيادة ملغاة ، وانظر ما سلف 1 : 190 ، 405
وفهرس المصطلحات ، وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء 1 : 95 ، فقد ذكر
هذا الوجه .
- (55) هو جرير .
- (56) سلف تخريجه في 1 : 191-192 .
- (57) زدت ما بين القوسين ، استظهاراً من قوله بعد : "وإنما قلنا إن الصواب
في معنى قوله . . ." والظاهر أنها مما سقط من ناسخ .
- (58) في المطبوعة : يقول : "إن الذين يكتمون . . ." ، وهو خطأ ناسخ ،
صوابه ما أثبت .
- (59) في المطبوعة : "من البيئات" ، كأنه متصل بالكلام قبله ، وهو لا يستقيم
، وكان الصواب ما أثبت .
- (60) كان في المطبوعة "ولا يعلمون من تبيني ذلك للناس وإيضاحي لهم" ،
وهي عبارة لا تستقيم وسياق معنى الآية يقتضي ما أثبت ، من
جعل "يعلمون" "يعلنونه" ، وزيادة "بعد" ، وجعل "إيضاحي" "إيضاحيه" .
- (61) الأثر رقم : 2370- في سيرة ابن هشام 2 : 200 كما في رواية ابن
حميد .
- (62) في سيرة ابن هشام ، وغيرها بالغين المعجمة غير مضبوط باللفظ ،
ولكن ابن حجر ضبطه في الإصابة ، وقال : "بفتح المهملة والنون" ، ولم
يذكر شكاً ولا اختلافاً في ضبطه بالغين المعجمة .
- (63) قوله : "قال : محمد البيئات" من تفسير السدي ، ليس من الخطاب بين
ثعلبة بن غنمة واليهودي . ويعني أن البيئات التي يكتمونها هي محمد صلى
الله عليه وسلم ، أي صفته ونعته في كتابهم .
- (64) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وقد استظهرتها من نهج أبي جعفر
في جميع تفسيره . وهذا سقط من الناسخ بلا ريب .
- (65) الحديث : 2375- هذا حديث صحيح . ذكره الطبري هنا معلقاً دون إسناد
، وقد رواه أحمد في المسند : 7561 ، من حديث أبي هريرة . وخرجناه في
شرح المسند ، وفي صحيح ابن حبان بتحقيقنا ، رقم : 95 .
- (66) الحديث : 2376- نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي : ثقة ، من
شيوخ أصحاب الكتب الستة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/106 ، وابن
أبي حاتم 4/1/471 .
- حاتم بن وردان السعدي : ثقة ، روى له الشيخان . مترجم في التهذيب ،
والكبير 2/1/72 ، وابن أبي حاتم 1/2/260 .
- أيوب السختياني : مضى في : 2039 . ولكن روايته هنا عن أبي هريرة
منقطعة ، فإنه ولد سنة 66 ، وأبو هريرة مات سنة 59 أو نحوها . ومعنى
الحديث صحيح ثابت عن أبي هريرة ، بروايات أخر متصلة ، كما سنذكر في
الحديث بعده .
- (67) الحديث : 2377- محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : الإمام الحافظ
المصري ، فقيه عصره ، قال ابن خزيمة : "ما رأيت في فقهاء الإسلام

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين - منه". مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 301-3/2/300 ، وتذكرة الحفاظ 2 : 115-116 .

أبو زرعة وهب الله بن راشد المصري ، مؤذن الفسطاط : ثقة ، قال أبو حاتم : "محلّه الصدق". ترجمه ابن أبي حاتم 4/2/27 ، وقال : "روى عنه عبد الرحمن ، ومحمد ، وسعد ، بنو عبد الله بن عبد الحكم". وترجم أيضًا في لسان الميزان 6 : 235 ، ونقل عن ابن يونس ، أنه مات في ربيع الأول سنة 211" وكانت القضاة تقبله" ، وروى عنه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . في فتوح مصر مرارًا ، منها في ص : 182 س 3-4 : "حدثنا وهب الله بن راشد ، أخبرنا يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب . . .". وهذا الإسناد ثابت في تاريخ ولاية مصر للكندي ، ص 33 ، عن علي بن قديد ، عن عبد الرحمن : "حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد". وذكره الدولابي في الكنى والأسماء 1 : 182 ، وروى : "حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، والربيع بن سليمان الجيزي ، قالا : حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، إلخ" . ورواية الربيع الجيزي عنه ، ثابتة في كتاب الولاية ، ص 313 ، أيضًا .

وهذا الاسم "وهب الله" : من نادر الأسماء ، لم أراه -فيما رأيت- إلا لهذا الشيخ ، ولم يذكره أصحاب المشتبه ، بل لم يذكره الزبيدي في شرح القاموس ، على سعة اطلاعه . واشتبه أمره على ناسخي الطبري أو طابعيه ، فثبت في المطبوعة هكذا : "ثنا أبو زرعة وعبد الله بن راشد"؛ فحرفوا "وهب الله" إلى "وعبد الله" - فجعلوه راويين!

يونس : هو ابن يزيد الأيلي ، وهو ثقة ، عرف بالراوية عن الزهري وملازمته . قال أحمد بن صالح : "نحن لا نقدم في الزهري أحدًا على يونس" ، وقال : "كان الزهري إذا قدم أيلة نزل على يونس ، وإذا سار إلى المدينة زامله يونس". مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/406 ، وابن أبي حاتم 4/2/247-249 ، وابن سعد 7/2/206 .

وهذا الحديث جزء من حديث مطول ، رواه مسلم 2 : 261-262 ، من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب -فذكر حديثًا عن عائشة- ثم : "قال ابن شهاب : وقال ابن المسيب : إن أبا هريرة قال . . .".

ورواه عبد الرزاق في تفسيره ، ص 14-15 ، عن معمر ، عن الزهري ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، بنحوه مطولا . ورواه أحمد في المسند : 7691 ، عن عبد الرزاق .

ورواه البخاري 5 : 21 (فتح) ، بنحوه ، من رواية إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، عن الأعرج . ورواه البخاري أيضًا 1 : 190-191 (فتح) من رواية مالك ، عن الزهري ، عن الأعرج وكذلك رواه ابن سعد 2/2/118 ، وأحمد في المسند : 7274- كلاهما من طريق مالك .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- وروى الحاكم في المستدرک 2 : 271 ، نحوه مختصراً ، من طريق أبي أسامة ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة ، وقال :
"هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .
(68) انظر ما سلف 2 : 328 .
- (69) سلف تخريجه وشرحه في 2 : 328 . وفي التعليق هناك خطأ صوابه "مجاز القرآن : 46" .
- (70) كان في المطبوعة : "الطريد واللعين" ، والصواب طرح الواو .
- (71) أسنتت الأرض والسنة : أجدبت ، وعام مسنت مجذب . والسنة : القحط والجدب . وكان في المطبوعة : "أسنت" ، والصواب ما أثبت . وفي الدر المنثور 1 : 162 : "إذا اشتدت السنة" .
- (72) الخبر : 2382- مشرف بن أبان الحطاب البغدادي : ثبت هنا على الصواب ، كما ظهر في : 1951 . وقد مضى ذلك مغلوطاً "بشر بن أبان" : 1383 .
- (73) الضمير في قوله : "أنها إذا جمعت" ، للعرب ، وإن لم يجر لها ذكر في الكلام .
- (74) في المطبوعة : "يزيد بن زريع عن قتادة" بإسقاط "قال حدثنا سعيد" ، والصواب ما أثبتته ، وهو إسناد دائر في التفسير أقربه رقم : 2374 .
- (75) المطرق والمطرقة : وهي أداة الحداد التي يضرب بها الحديد .
- (76) هي الآية رقم : 161 ، تأتي بعد قليل .
- (77) في المطبوعة : "من بعد ما بيناه للناس" ، وهو سهو ناسخ .
- (78) في المطبوعة : "هي لعنة الله التي أخبر أن لعنتهم حالة . . ." ، والصواب ما أثبت .
- (79) كل ماش على وجه الأرض يقال له : دابة وديب .
- (80) ما بين القوسين زيادة ، أخشى أن تكون سقطت من ناسخ .
- (81) في المطبوعة : "وكتاب الله الذي ذكرناه" ، وهو كلام لا يقال . والصواب ما أثبت . والذي ذكره أنفًا : "إن الدليل من ظاهر كتاب الله . . ." .
- هذا ، ورد قول هؤلاء القائلين بما قالوه ، مبين لك عن نهج الطبري وتفسيره ، وكاشف لك عن طريقته في رد الأخبار التي رواها عن التابعين ، في كل ما يحتاج إلى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاطع بالبيان عما ذكروه . والطبري قد يذكر مثل هذه الأخبار ، ثم لا يذكر حجة في ردها ، لأنه كره إعادة القول وتريده فيما جعله أصلاً في التفسير ، كما بين ذلك في "رسالة التفسير" ، ثم في تفسيره بعد ، ورد أشباهه في مواضع متفرقة منه . أما إذا كان في شيء من ذلك خبر قاطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يدع ذكره ، فإذا لم يذكر -فيما أشبه ذلك- خبراً عن رسول الله ، فأعلم أنه يدع لقارئ كتابه علم الوجه الذي يرد به هذا القول .
- (82) انظر ما سلف 2 : 549 .
- (83) في المطبوعة : "في مثل هذه الآية" ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .
- (84) في المطبوعة : "فأخرجهم من عذاب من يلعنه الله" ، وهو تصحيف ، صوابه ما أثبت .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (85) في المطبوعة : "من بعد ما بيناه للناس" ، وهو خطأ وسهو .
(86) قوله : "وذووه" ، أي أصحابه وأهل ملته ، بإضافة "ذو" إلى الضمير ، وللنحاة فيه قول كثير ، وزعموا أن ذلك يكون في ضرورة الشعر ، وليس كذلك ، بل هو آت في النثر قديمًا ، يمثل ما استعمله الطبري .
(87) انظر ما سلف في هذا الجزء 3 : 254 ، والتعليق : 1 ، ومراجعته .
(88) الزيادة التي بين القوسين لا بد منها ، وإلا اختل الكلام والسؤال ، ولم يكن لهما معنى محدود مفهوم ، واستظهرت الزيادة من جواب هذا السؤال .
(89) في المطبوعة : "لا يمنع من قيل ذلك" ، والصواب ما أثبت .
(90) في المطبوعة : "والناس أجمعين" ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت ، برفع "الملائكة والناس أجمعون" ، وهي قراءة الحسن . وانظر معاني القرآن للفراء 1 : 96-97 ، وتفسير هذه الآية في سائر كتب التفسير .
(91) انظر ما سلف 1 : 122-126 .
(92) في المطبوعة : "غير متصرف" ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبت .
(93) الأشراف جمع شريك ، كما يقال : شريف وأشراف ، ونصير وأنصار ، وجمع أيضًا على "شركاء" .

القول في المعنى الذي من أجله أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قوله: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

< 3-268 >

فقال بعضهم: أنزلها عليه احتجاجًا له على أهل الشرك به من عبدة الأوثان. وذلك أن الله تعالى ذكره لما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فتلا ذلك على أصحابه، وسمع به المشركون من عبدة الأوثان، قال المشركون: وما الحجة والبرهان على أن ذلك كذلك؟ ونحن نُنكر ذلك، ونحن نزعم أن لنا آلهة كثيرة؟ فأنزل الله عند ذلك: "إن في خلق السموات والأرض" ، احتجاجًا لنبيه صلى الله عليه وسلم على الذين قالوا ما ذكرنا عنهم.

* ذكر من قال ذلك:

2398- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، قال: نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى ذكره: "إن في خلق السموات والأرض

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلاف الليل والنهار "، إلى قوله: لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، فهذا تعلمون أنه إله واحد، وأنه إله كل شيء، وخالق كل شيء.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم، من أجل أنّ أهل الشرك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [آية]، (1) فأنزل الله هذه الآية، يعلمهم فيها أنّ لهم في خلق السموات والأرض وسائر ما ذكر مع ذلك، آيةً بينةً على وحدانية الله، وأنه لا شريك له في ملكه، لمن عقل وتدبّر ذلك بفهم صحيح.

* ذكر من قال ذلك:

2399- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن أبيه، > 3-269 < عن أبي الضحى قال: لما نزلت وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، قال المشركون: إن كان هذا هكذا فليأتنا بآية! فأنزل الله تعالى ذكره: " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار "، الآية.

2400- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق بن الحجاج قال حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، قال حدثني سعيد بن مسروق، عن أبي الضحى قال: لما نزلت: وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، قال المشركون: إن كان هذا هكذا فليأتنا بآية، فأنزل الله تعالى ذكره: " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار "، الآية.

2401- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق بن الحجاج قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، قال، حدثني سعيد بن مسروق، عن أبي الضحى قال: لما نزلت هذه الآية، جعل المشركون يعجبون ويقولون: تقول إلهكم إله واحد، فليأتنا بآية إن كنت من الصادقين! فأنزل الله: " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار "، الآية.

2402- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أرنا آية! فنزلت هذه الآية: " إن في خلق السموات والأرض ".

2403- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد قال: سألت قريش اليهود فقالوا: حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات! فحدثوهم بالعصا وبيده البيضاء للناظرين. وسألوا النصارى عما جاءهم به عيسى من الآيات، فأخبروهم أنه كان يُبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله. فقالت قريش عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم: ادعُ الله أن يجعل لنا الصفا ذهبًا، فنزداد يقينًا، ونتقوى به على عدونا. فسأل النبي صلى الله عليه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وسلم ربه، فأوحى إليه: < 270-3 > إني مُعطيهم، فأجعلُ لهم الصفا ذهبًا، ولكن إن كذبوا عدّبتهم عذابًا لم أعذبه أحدًا من العالمين.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دَرَنِي وَقَوْمِي فَأَدْعُوهُمْ يَوْمًا يَوْمًا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ "، الآية: إن في ذلك لآية لهم، إن كانوا إنما يريدون أن أجعل لهم الصفا ذهبًا، فخلق الله السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، أعظم من أن أجعل لهم الصفا ذهبًا ليزدادوا يقينًا.

2404- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار "، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: (2) غَيْرَ لَنَا الصِّفَا ذَهَبًا إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَنَّهُ مِنْهُ! فَقَالَ اللَّهُ: إِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وقال: قد سأل الآيات قومٌ قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، أنَّ الله تعالى ذكره تَبَّه عِبَادَهُ = على الدلالة على وَحْدَانِيَّتِهِ وَتَفْرُدِهِ بِالْأَلُوْهِيَّةِ، دون كل ما سواه من الأشياء = بهذه الآية. وجائز أن تكون نزلت فيما قاله عطاء، وجائز أن تكون فيما قاله سعيد بن جبير وأبو الضحى، ولا خَبْرَ عِنْدَنَا بِتَصْحِيحِ قَوْلِ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ يَقْطَعُ الْعَدْرَ، فيجوز أن يقضيَ أَحَدُ لَأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ بِصِحَّةِ قَوْلِهِ عَلَى الْآخِرِ. وَأَيُّ الْقَوْلَيْنِ كَانَ صَحِيحًا، فَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ مَا قُلْتُ.

< 3-271 >

القول في تأويل قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ "، إن في إنشاء السموات والأرض وابتداعهما.

ومعنى " خلق " الله الأشياء: ابتداعه وإيجاده إياها، بعد أن لم تكن موجودة.

وقد دللنا فيما مضى على المعنى الذي من أجله قيل: " الأرض "، ولم تجمع كما جُمعت السموات، فأغنى ذلك عن إعادته (3)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن قال لنا قائل: وهل للسموات والأرض خلقٌ هو غيرُها فيقال: " إنَّ في خلق السموات والأرض ؟"

قيل: قد اختلف في ذلك. فقال بعض الناس: لها خَلْقٌ هو غيرها. واعتلوا في ذلك بهذه الآية، وبالتي في سورة: الكهف: مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ [سورة الكهف: 51] وقالوا: لم يخلق الله شيئاً إلا والله له مريدٌ. قالوا: فالأشياء كانت بإرادة الله، والإرادة خلق لها.

< 3-272 >

وقال آخرون: خلق الشيء صفة له، لا هي هو، ولا غيرُه. قالوا: لو كان غيرُه لوجب أن يكون مثله موصوفاً. قالوا: ولو جاز أن يكون خَلْقُه غيرَه، وأن يكون موصوفاً، لوجب أن تكون له صفة هي له خَلْق. ولو وجب ذلك كذلك، لم يكن لذلك نهاية. قالوا: فكان معلوماً بذلك أنه صفة للشيء. قالوا: فخلق السموات والأرض صفة لهما، على ما وصفنا. واعتلوا أيضاً -بأن للشيء خلقاً ليس هو به- من كتاب الله بنحو الذي اعتلَّ به الأولون.

وقال آخرون: خَلَقَ السموات والأرض، وخلق كل مخلوق، هو ذلك الشيء بعينه لا غيره.

فمعنى قوله: " إن في خلق السموات والأرض " : إنَّ في السموات والأرض. (4)

القول في تأويل قوله تعالى : وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " واختلاف الليل والنهار "، وتعاقب الليل والنهار عليكم أيها الناس.

وإنما " الاختلاف " في هذا الموضع " الإفتعال " من " خُلوف " كل واحد منهما الآخر. (5) كما قال تعالى ذكره: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا [سورة الفرقان: 62].

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بمعنى: أن كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه، إذا ذهب الليل جاء النهار بعده، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه. ومن ذلك قيل: " خلف فلانٌ فلانًا في أهله بسوء "، ومنه قول زهير:

يَهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خَلْفَهُ

وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَم (6)

< 3-273 >

وأما " الليل " فإنه جَمْعٌ " ليلة "، نظيرُ " التمر " الذي هو جمع " ثمرة ". وقد يجمع " ليالٍ "، فيزيدون في جَمْعِهَا ما لم يكن في واحدتها. وزيادتهم " الياء " في ذلك نظير زيادتهم إياها في " رباعية وثمانية وكراهية ".

وأما " النهار "، فإنَّ العرب لا تكاد تجمعها، لأنه بمنزلة الضوء. وقد سمع في جمعه " النَّهْرُ "، قال الشاعر:

لَوْلَا التَّرِيدَانِ هَلَكْنَا بِالصُّمْرِ

تَرِيدُ لَيْلٍ وَتَرِيدُ بِالنُّهْرِ (7)

ولو قيل في جمع قليله " أنهرة " كان قياسًا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: إنَّ في الفلك التي تجري في البحر.

و " الفلك " هو السفن، واحده وجمعه بلفظ واحد، وبذكر ويؤنث، كما قال تعالى ذكره في تذكيره في آية أخرى: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ [سورة يس: 41]، فذكره.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد قال في هذه الآية: " والفلك التي تجري في البحر "، وهي مُجْرَاء، لأنها < 274-3 > إذا أجريت فهي " الجارية "، فأضيف إليها من الصفة ما هو لها. (8)

وأما قوله: " بما ينفع الناس "، فإن معناه: ينفعُ الناسَ في البحر.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وما أنزل الله من السماء من ماء "، وفيما أنزله الله من السماء من ماء، وهو المطر الذي يُنزلهُ الله من السماء.

وقوله: " فأحيا به الأرض بعد موتها "، وإحيائها: عمارتها، وإخراج نباتها. و " الهاء " التي في " به " عائدة على " الماء " و " الهاء والألف " في قوله: " بعد موتها " على الأرض.

و " موت الأرض "، خرابها، ودثور عمارتها، وانقطاع نباتها، الذي هو للعباد أوقا، وللأنام أرزاق.

القول في تأويل قوله تعالى : وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وبث فيها من كل دابة "، وإن فيما بث في الأرض من دابة.

< 3-275 >

ومعنى قوله: " وبث فيها "، وفرَّق فيها، من قول القائل: " بث الأمير سراياه "، يعني: فرَّق.

و " الهاء والألف " في قوله: " فيها "، عائدتان على الأرض .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

" والدابة "" الفاعلة "، من قول القائل: " دَبَّتِ الدابة تدبُّ دبيبًا فهي دابة ".
والدابة "، اسم لكل ذي رُوح كان غير طائر بجناحيه، لدبيبه على الأرض.

القول في تأويل قوله تعالى : وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وتصريف الرياح "، وفي تصريفه
الرياح، فأسقط ذكر الفاعل وأضاف الفعل إلى المفعول، كما تقول: (9) "
يعجبني إكرام أخيك "، تريد: إكرامك أخاك.

" وتصريف " الله إياها، أَنْ يُرْسِلَهَا مَرَّةً لَوَاقِحَ، ومرة يجعلها عَقِيمًا، ويبعثها عذابًا
تُدْمِرُ كل شيء بأمر ربها، كما:-

2405- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله:
" وتصريف الرياح والسحاب المسخر " قال، قَادِرٌ وَالله رَبُّنا على ذلك، إِذَا شَاءَ
[جعلها رَحْمَةً لَوَاقِحَ للسحاب ونَشْرًا بين يدي رَحْمَتِهِ، وَإِذَا شَاءَ] جَعَلَهَا عَذَابًا
رِيحًا عَقِيمًا لا تُلْقِحُ، إِنَّمَا هِيَ عَذَابٌ على من أُرْسِلَتْ عَلَيْهِ. (10)

< 3-276 >

وزعم بعض أهل العربية أَنَّ معنى قوله: " وتصريف الرياح "، أنها تأتي مَرَّةً
جنوبًا وشمالًا وقبولا ودَبُورًا. ثم قال: وذلك تصريفها. (11) وهذه الصفة التي
وَصَفَ الرياح بها، صفة تصريفها لا صفة تصريفها، لأن " تصريفها " تصريفُ الله
لها، " وتصريفها " اختلافُ هبوبها.

وقد يجوز أن يكون معنى قوله: " وتصريف الرياح "، تصريفُ الله تعالى ذكره
هبوب الريح باختلاف مَهَابَتِهَا.

القول في تأويل قوله تعالى : وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " والسحاب المسخر "، وفي السحاب، جمع " سحابة ". يدل على ذلك قوله تعالى ذكره: **وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ** [سورة الرعد: 12] فوَجِدَ المسخر وذكره، كما قالوا: " هذه تَمْرَة وهذا تمر كثير ". في جمعه، " وهذه نخلة وهذا نخل ". (12)

وإنما قيل للسحاب " سحاب " إن شاء الله، لجر بعضه بعضًا وسحبه إياه، من قول القائل: " مرَّ فلان يَجْر دَيْلَه "، يعني: " يسحبه ".

فأما معنى قوله: " لآيات "، فإنه عَلامات ودلالات على أن خالق ذلك كلِّه ومنشئه، إله واحد. (13)

< 3-277 >

" لقوم يعقلون "، لمن عَقَلَ مَوَاضِعَ الْحَجَجِ، وفهم عن الله أدلته على وحدانيته. فأعلم تعالى ذكره عباده، بأن الأدلة والحجج إنما وُضعت مُعْتَبَرًا لذوي العقول والتمييز، دون غيرهم من الخلق، إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهي، والمكلفين بالطاعة والعبادة، ولهم الثواب، وعليهم العقاب.

فإن قال قائل: وكيف احتج على أهل الكفر بقوله: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَةً**، في توحيد الله؟ وقد علمت أن أصنافًا من أصناف الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر في هذه الآية مخلوقه؟

قيل: إن إنكار من أنكر ذلك غير دافع أن يكون جميع ما ذكر تعالى ذكره في هذه الآية، دليلًا على خالقه وصانعه، وأن له مدبرًا لا يشبهه [شيء]، وبارئًا لا مثل له. (14) وذلك وإن كان كذلك، فإن الله إنما حَاجَّ بِذَلِكَ قَوْمًا كانوا مُقَرَّبِينَ بَأَنَّ الله خالقهم، غير أنهم يُشْرِكُونَ في عبادته عبادة الأصنام والأوثان. (15) فحاجَّهم تعالى ذكره فقال - إذ أنكروا قوله: **وَاللَّهُ وَاحِدٌ**، وزعموا أن له شركاء من الآلهة: [إن إلهكم الذي خلق السموات وأجرى فيها الشمس والقمر لكم بأرزاقكم دائبين في سيرهما. وذلك هو معنى إختلاف الليل والنهار في الشمس والقمر] (16) وذلك هو معنى قوله: **وَالْقُلُوبِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ** يَمًا < 278-3 > **يَنْفَعُ النَّاسَ** - وأنزل إليكم الغيث من السماء، فأخصب به جنابكم بعد جدوبه، وأمرعه بعد دثورته، فتنعشكم به بعد قنوطكم (17) -، وذلك هو معنى قوله: **وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** - وسخر لكم الأنعام فيها لكم مطاعمًا ومأكلاً، ومنها جمالٌ ومراكبٌ، ومنها أثاث وملابس - وذلك هو معنى قوله: **وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ** - وأرسل لكم الرياح

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لواحق لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم، وسيّر لكم السحاب الذي بَوَدَّقه
حياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم - وذلك هو معنى قوله: " وتصريف الرياح
والسحاب المسخّر بين السماء والأرض ."

فأخبرهم أنّ إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، وتفرد لهم بها. ثم
قال: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، فتشركوه في عبادتكم
إياي، وتجعلوه لي يدًا وعدلاً؟ فإن لم يكن من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء، ففي الذي عدت عليكم من نعمتي، وتفردت لكم بأيادي، دلائل
لكم إن كنتم تعقلون مواقع الحق والباطل، والجور والإنصاف. وذلك أنّي لكم
بالإحسان إليكم متفرد دون غيري، وأنتم تجعلون لي في عبادتكم إياي أندادًا.
فهذا هو معنى الآية.

والذين ذكروا بهذه الآية واحتج عليهم بها، هم القوم الذين وصفت صفتهم،
دون المعطلة والدّهريّة، وإن كان في أصغر ما عدّ الله في هذه الآية، من
الحجج البالغة، المقتنع لجميع الأنام، تركنا البيان عنه، كراهة إطالة الكتاب
بذكره.

< 3-279 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا
يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: أنّ من الناس من يتخذ من دون الله
أندادًا له =

وقد بينا فيما مضى أنّ " الندّ"، العدل، بما يدل على ذلك من الشواهد،
فكرهنا إعادته. (18)

= وأن الذين اتخذوا هذه " الأنداد " من دون الله، يحبون أندادهم كحب
المؤمنين الله. ثم أخبرهم أنّ المؤمنين أشد حُبًا لله، من متخذي هذه الأنداد
لأندادهم.

واختلف أهل التأويل في " الأنداد " التي كان القوم اتخذوها. وما هي؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال بعضهم: هي آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

* ذكر من قال ذلك.

2406- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُبًا لله "، من الكفار لأوثانهم.

2407- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى ذكره: " يحبونهم كحب الله "، مباحةً ومُضاهةً للحقِّ بالأنداد، " والذين آمنوا أشد حُبًا لله "، من الكفار لأوثانهم.

2408- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

< 3-280 >

2409- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله " قال، هي الآلهة التي تُعبد من دون الله، يقول: يحبون أوثانهم كحب الله، " والذين آمنوا أشد حُبًا لله "، أي من الكفار لأوثانهم.

2410- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله " قال، هؤلاء المشركون. أندادهم: آلهتهم التي عبدوا مع الله، يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله، والذين آمنوا أشد حُبًا لله من حبه هم آلهتهم.

وقال آخرون: بل " الأنداد " في هذا الموضع، إنما هم سادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله تعالى ذكره.

* ذكر من قال ذلك:

2411- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله " قال، الأنداد من الرجال، يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمرهم أطاعوهم وعَصَوْا الله. (19)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن قال قائل: وكيف قيل: " كحب الله "؟ وهل يحب الله الأنداد؟ وهل كان مُتخذو الأنداد يحبون الله، فيقال: " يُحبونهم كحب الله "؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهب إليه، وإنما ذلك نظير قول القائل: (20) " بعث غلامي كبيع غلامك "، بمعنى: بعته كما بيع غلامك، وكبيعك < 281-3 > غلامك، " واستوفيت حقي منه استيفاء حَقِّك "، بمعنى: استيفائك حَقِّك، فتحذف من الثاني كناية اسم المخاطب، اكتفاءً بكنايته في " الغلام " و " الحق "، كما قال الشاعر:

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا

عَلَى زَيْدٍ يَنْسَلِمُ الْأَمِيرَ (21)

يعنى بذلك: كما يُسَلِّم على الأمير.

فمعنى الكلام إِدًّا: ومن الناس من يتخذ، أيها المؤمنون، من دون الله أندادًا يحبونهم كحبكم الله. (22)

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)

قال أبو جعفر: اختلفت القراءة في قراءة ذلك. فقرأه عامة أهل المدينة والشام: " ولو ترى الذين ظلموا " بالتاء " إذ يرون العذاب " بالياء " أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب " بفتح " أن " و " أن " كليهما - بمعنى: ولو ترى يا محمد < 282-3 > الذين كفروا وظلموا أنفسهم، حين يرون عذاب الله وبعابونه " أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ".

ثم في نصب " أن " و " أن " في هذه القراءة وجهان: أحدهما أن تُفتح بالمحذوف من الكلام الذي هو مطلوب فيه، فيكون تأويل الكلام حينئذ: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا إذ يرون عذاب الله، لأقروا - ومعنى ترى: تبصر - أن القوة لله جميعًا، وأن الله شديد العذاب. ويكون الجواب حينئذ - إذا فتحت " أن " على هذا الوجه - متروكًا، قد اكتفى بدلالة الكلام عليه، ويكون المعنى ما وصفت. فهذا أحد وجهي فتح " أن "، على قراءة من قرأ: " ولو ترى " ب " التاء ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والوجه الآخر في الفتح: أن يكون معناه: ولو ترى، يا محمد، إذ < 283-3 >
يرى الذين ظلموا عذاب الله، لأن القوة لله جميعًا، وأن الله شديد العذاب،
لعلت مبلغ عذاب الله. ثم تحذف " اللام "، فتفتح بذلك المعنى، لدلالة الكلام
عليها.

وقرأ ذلك آخرون من سلف القراء: " ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب
إن القوة لله جميعًا وإن الله شديد العذاب " . بمعنى: ولو ترى، يا محمد،
الذين ظلموا حين يعاينون عذاب الله، لعلت الحال التي يصيرون إليها. ثم
أخبر تعالى ذكره خبرًا مبتدأ عن قدرته وسلطانه، بعد تمام الخبر الأول فقال:
" إن القوة لله جميعًا " في الدنيا والآخرة، دون من سواه من الأنداد والآلهة،
وإن الله شديد العذاب " لمن أشرك به، وادعى معه شركاء، وجعل له نذرًا.

وقد يحتمل وجهًا آخر في قراءة من كسر " إن " في " ترى " بالتاء. وهو أن
يكون معناه: ولو ترى، يا محمد الذين ظلموا إذ يرون العذاب يقولون: إنَّ
القوة لله جميعًا وإنَّ الله شديد العذاب. ثم تحذف " القول " وتكتفي منه
بالمقول.

وقرأ ذلك آخرون: " ولو يرى الذين ظلموا " بالياء " إذ يرون العذاب أن القوة
لله جميعًا وأن الله شديد العذاب " بفتح " الألف " من " أن " " وأن " ، بمعنى:
ولو يرى الذين ظلموا عذاب الله الذي أعد لهم في جهنم، لعلموا حين يرونه
فيعاينونه أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب، إذ يرون العذاب. فتكون
" أن " الأولى منصوبة لتعلقها بجواب " لو " المحذوف، ويكون الجواب متروكًا،
وتكون الثانية معطوفة على الأولى. وهذه قراءة عامة القراء الكوفيين
والبصريين وأهل مكة.

وقد زعم بعض نحويي البصرة أنَّ تأويل قراءة من قرأ: " ولو يرى الذين
ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب " بالياء
في " يرى " وفتح " الألفين " في " أن " " وأن " :- " ولو يعلمون، (23) لأنهم لم
يكونوا علموا قدر ما يعاينون من العذاب. وقد كان النبي صلى الله عليه
وسلم علم، فإذا قال: " ولو ترى "، فإنما يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم.

ولو كسر " إنَّ " على الابتداء، إذا قال: " ولو يرى " جاز، لأن " لو يرى "، لو
يعلم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد تكون " لو " في معنى لا يحتاج معها إلى شيء. (24) تقول للرجل: " أمّا
والله لو يعلم، ولو تعلم " (25) كما قال الشاعر: (26)

إِنْ يَكُنْ طَبَّكَ الدَّلَالُ، فَلَوْ فِي

سَالِفِ الدَّهْرِ وَالسَّنِينِ الحَوَالِي! (27)

< 3-284 >

هذا ليس له جواب إلا في المعنى، وقال الشاعر (28)

وَبِحَظِّ مِمَّا تَعِيشُ، وَلَا

تَذْهَبُ بِكَ التُّرَهَاتُ فِي الأَهْوَالِ (29)

فأضمر: فعيشي. (30)

قال: وقرأ بعضهم: " ولو ترى "، وفتح " أن " على " ترى ". وليس بذلك، (31)
لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم، ولكن أراد أن يعلم ذلك الناس، كما
قال تعالى ذكره: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ [سورة السجدة: 3]، ليخبر الناس عن
جهلهم، وكما قال: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [سورة
البقرة: 107]. (32)

قال أبو جعفر: وأنكر قوم أن تكون " أن " عاملاً فيها قوله: " ولو يرى ".
وقالوا: إن الذين ظلموا قد علموا حين يرون العذاب أن القوة لله جميعاً، فلا
وجه لمن تأوّل ذلك: ولو يرى الذين ظلموا أن القوة لله. وقالوا: إنما عمل
في " أن " جواب " لو " الذي هو بمعنى " العلم "، لتقدم " العلم " الأول. (33)

< 3-285 >

وقال بعض نحويي الكوفة: من نصب: " أن القوة لله وأن الله شديد العذاب "
ممن قرأ: " ولو يرى " بالياء، فإنما نصبها بإعمال " الرؤية " فيها، وجعل "
الرؤية " واقعةً عليها. وأما من نصبها ممن قرأ: " ولو ترى " بالتاء، فإنه نصبها

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

على تأويل: لأنَّ القوة لله جميعًا، ولأنَّ الله شديد العذاب. قال: ومن كسرهما ممن قرأ بالتاء، فإنه يكسرهما على الخبر.

وقال آخرون منهم: فتح " أن " في قراءة من قرأ: " ولو يَرَى الذين ظلموا " بالياء، بإعمال " يرى "، وجوابُ الكلام حينئذ متروك، كما ترك جواب: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ [سورة الرعد: 31]، لأن معنى الجنة والنار مكرَّر معروف. (34) وقالوا: جائز كسر " إن "، في قراءة من قرأ ب " الياء "، وإيقاع " الرؤية " على " إذ " في المعنى، وأجازوا نصب " أن " على قراءة من قرأ ذلك ب " التاء "، لمعنى نية فعل آخر، وأن يكون تأويل الكلام: " ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب "، [يرون] أنَّ القوة لله جميعًا، (35) وزعموا أن كسر " إن " الوجه، إذا قرئت: " ولو تَرَى " ب " التاء " على الاستئناف، لأن قوله: " ولو ترى " قد وَقَعَ على " الذين ظلموا ". (36)

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا في ذلك: " ولو تَرَى الذين ظلموا " - بالتاء من " ترى " - " إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب " بمعنى: لرأيت أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب. فيكون قوله: " لرأيت " الثانية، محذوفةً مستغنى بدلالة قوله: " ولو ترى الذين ظلموا "، عن ذكره، وإن < 3-286 > كان جوابًا ل " لو ". (37)

ويكون الكلام، وإن كان مخرجه مَخْرَجَ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم - معنيًا به غيره. لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا شك عالمًا بأنَّ القوة لله جميعًا، وأن الله شديد العذاب. ويكون ذلك نظير قوله: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [سورة البقرة: 107] وقد بيناه في موضعه. (38)

وإنما اخترنا ذلك على قراءة " الياء "، لأن القوم إذا رَأَوْا العذاب، قَد أُيقِنُوا أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب، فلا وجه أن يُقال: لو يرون أنَّ القوة لله جميعًا - حينئذ. لأنه إنما يقال: " لو رأيت "، لمن لم ير، فأما من قد رآه، فلا معنى لأن يقال له: " لو رأيت ".

ومعنى قوله: " إذ يرون العذاب "، إذ يُعَايِنُونَ العذاب، كما:-

2412- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا، وأن الله شديد العذاب "، يقول: لو عاينوا العذاب.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله: " ولو تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا "، ولو ترى، يا محمد، الذين ظلموا أنفسهم، فاتخذوا من دوني أندادًا يحبونهم كحبكم إياي، حين يُعابنون عَذَابِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي أَعَدَدْتُ لَهُمْ، لعلمتم أن القوة كلها لي دُونَ الأنداد والآلهة، وَأَنَّ الأنداد والآلهة لا تعني عنهم هنالك شيئًا، ولا تدفع عنهم عَذَابًا أَحَلَلْتُ بِهِمْ، وَأَيَقَنْتُمْ أَنِّي شَدِيدٌ عَذَابِي لِمَنْ كَفَرَ بِي، وادَّعَى مَعِيَ إِلَهًا غَيْرِي.

< 3-287 >

القول في تأويل قوله تعالى إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ "، إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعواهم. (39)

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله: " إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا "، فقال بعضهم بما:-

2413- حدثنا به بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا "، وهم الجبابرة والقادة والرؤوس في الشرك، " من الذين اتَّبَعُوا "، وهم الأتباع الضعفاء، " ورأوا العذاب ".

2414- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا " قال، تبرأت القادة من الأتباع يوم القيامة.

2415- حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، ابن جريح: قلت لعطاء: " إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا " قال، تبرأ رؤسائهم وقادتهم وساداتهم من الذين اتبعوهم.

وقال آخرون بما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2416- حدثني به موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا >
3-288 < أسباط، عن السدي: " إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتُّبعوا "، أما "
الذين اتُّبعوا "، فهم الشياطين تبرأوا من الإنس.

قال أبو جعفر: والصواب من القول عندي في ذلك أن الله تعالى ذكره أخبر
أنَّ المتَّبِعِينَ على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله.
ولم يخص بذلك منهم بعضاً دون بعض، بل عمَّ جميعهم. فداخل في ذلك كل
متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على
الضلال في الدنيا، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة.

وأما دلالة الآية فيمن عنى بقوله: " إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتُّبعوا "،
فإنها إنما تدل على أن الأنداد الذين اتخذهم من دون الله من وصف تعالى
ذكره صفته بقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ، هم الذين
يتبرأون من أتباعهم.

وإذ كانت الآية على ذلك دالة، صحَّ التأويل الذي تأوله السدي في قوله: (40)
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ، أن " الأنداد " في هذا الموضع،
إنما أريد بها الأنداد من الرجال الذين يُطيعونهم فيما أمرؤهم به من أمر،
ويَعْصُونَ الله في طاعتهم إياهم، كما يُطيع الله المؤمنون ويعصون غيره =
وفسد تأويل قول من قال: (41) " إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتُّبعوا "،
إنهم الشياطين تبرءوا من أوليائهم من الإنس. لأن هذه الآية إنما هي في
سياق الخبر عن مُتَّخِذِي الأنداد.

< 3-289 >
القول في تأويل قوله تعالى : وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: أن الله شديد العذاب، إذ تبرأ الذين
اتبعوا، وإذ تقطعت بهم الأسباب.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى " الأسباب " فقال بعضهم بما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2417- حدثني به يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا فضيل بن عياض -وحدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير،- عن عبيد المكتب، عن مجاهد: " وتقطعت بهم الأسباب " قال، الوصال الذي كان بينهم في الدنيا. (42)

2418- حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن عبيد المكتب، عن مجاهد: " وتقطعت بهم الأسباب " قال، تواصلهم في الدنيا. (43)

2419 - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن -وحدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد - جميعًا قالوا حدثنا سفيان، عن عبيد المكتب، عن مجاهد بمثله.

< 3-290 >

2420- حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نحيج، عن مجاهد: " وتقطعت بهم الأسباب " قال، المودة.

2421- حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نحيج، عن مجاهد مثله.

2422- حدثني القاسم قال، حدثني الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: تواصل كان بينهم بالمودة في الدنيا.

2423- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى قال، أخبرني قيس بن سعد، عن عطاء، عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره: " وتقطعت بهم الأسباب " قال، المودة.

2424- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " وتقطعت بهم الأسباب "، أسبابُ الندامة يوم القيامة، وأسباب المواصلَة التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها، ويتحابون بها، فصارت عليهم عداوةً يوم القيامة، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَيَتَّبِعُ بَعْضُكُمْ مَن بَعْضٍ. وقال الله تعالى ذكره: [سورة الزخرف: 67]، فَصَارَتْ كُلُّ حُلَّةٍ عِدَاوَةً عَلَى أَهْلِهَا إِلَّا حُلَّةَ الْمُتَّقِينَ.

2425- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " وتقطعت بهم الأسباب " قال، هو الوصل الذي كان بينهم في الدنيا.

2426- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " وتقطعت بهم الأسباب "، يقول: الأسبابُ، الندامة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال بعضهم: بل معنى " الأسباب "، المنازل التي كانت لهم من أهل الدنيا.

< 3-291 >

* ذكر من قال ذلك:

2427- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: " وتقطعت بهم الأسباب "، يقول: تقطعت بهم المنازل.

2428- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن بن سعد، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: " وتقطعت بهم الأسباب " قال، الأسباب المنازل.

وقال آخرون: " الأسباب "، الأرحام.

* ذكر من قال ذلك:

2429- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، وقال ابن عباس: " وتقطعت بهم الأسباب " قال، الأرحام.

وقال آخرون : " الأسباب "، الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا.

* ذكر من قال ذلك:

2430- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أمّا " وتقطعت بهم الأسباب "، فالأعمال.

2431- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " وتقطعت بهم الأسباب " قال، أسباب أعمالهم، فأهل التقوى أعطوا أسباب أعمالهم وثيقة، فيأخذون بها فينجون، والآخرون أعطوا أسباب أعمالهم الخبيثة، فتقطع بهم فيذهبون في النار.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-292 >

قال أبو جعفر: (44) "والأسباب"، الشيء يُتعلَّقُ به. قال: و"السبب" الحبل. "والأسباب" جمع "سبب"، وهو كل ما تسبب به الرجل إلى طليته وحاجته. فيقال للحبل "سبب"، لأنه يُتسبب بالتعلق به إلى الحاجة التي لا يوصل إليها إلا بالتعلق به. ويقال للطريق "سبب"، للتسبب بركوبه إلى ما لا يدرك إلا بقطعه. وللمصاهرة "سبب"، لأنها سببٌ للحرمة. وللوسيلة "سبب"، للوصول بها إلى الحاجة، وكذلك كل ما كان به إدراك الطلبة، فهو "سبب" لإدراكها.

فإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول في تأويل قوله: "وتقطعت بهم الأسباب" أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم - من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار- يتبرأ = عند معابنتهم عذاب الله = المتبوع من التابع، وتقطع بهم الأسباب.

وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بعضهم يلعن بعضًا، وأخبر عن الشيطان أنه يقول لأوليائه: مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِيَّيْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ [سورة إبراهيم: 22]، وأخبر تعالى ذكره أن الألاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وإن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضًا، فقال تعالى ذكره: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ [سورة الصافات: 24-25] وأن الرجل منهم لا ينفعه نسبيه ولا ذو رحمه، وإن كان نسبيه لله وليًا، فقال تعالى ذكره في ذلك: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ [سورة التوبة: 114] وأخبر تعالى ذكره أن أعمالهم تصير عليهم حسرات.

وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به، لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه، فهي منقطعة < 3-293 > بأهلها. فلا خلالٌ بعضهم بعضًا تفعمهم عند وُرودهم على ربهم، (45)

ولا عبادتهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم؛ ولا دافعت عنهم أرحامٌ فنصرتهم من انتقام الله منهم، ولا أغنت عنهم أعمالهم، بل صارت عليهم حسرات. فكل أسباب الكفار منقطعة.

فلا مَعْنِيَّ أبلغ - في تأويل قوله: "وتقطعت بهم الأسباب" - من صفة الله [ذلك] وذلك ما بيننا من [تقطع] جميع أسبابهم دون بعضها، (46) على ما قلنا في ذلك. ومن ادعى أن المعنى بذلك خاص من الأسباب، سئل عن البيان على دعواه من أصل لا منازع فيه، وعورض بقول مخالفه فيه. فلن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرًا مِّنْهُمْ
كَمَا تَبَرَّأْنَا

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: " وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا "، وقال أتباع
الرجال -الذين كانوا اتخذوهم أندادًا من دون الله يطيعونهم في معصية الله،
ويعصون ربهم في طاعتهم، إذ يرون عَذَابَ الله في الآخرة-: " لو أن لنا كرة
".

يعني " بالكرة "، الرجعة إلى الدنيا، من قول القائل: " كررت على القوم أكثر
كراً "، و " الكرة " المرة الواحدة، وذلك إذا حمل عليهم راجعًا عليهم بعد
الانصراف عنهم، كما قال الأخطل:

< 3-294 >

وَلَقَدْ عَظَفْنَ عَلَى فَرَاةٍ عَظْفَةً

كَرَّ الْمَيْحِ، وَجُلْنَ نَمَّ مَجَالًا (47)

وكما:-

2432- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة: " وقال
الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا "، أي: لنا رجعة إلى
الدنيا.

2433- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه،
عن الربيع: " وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة " قال، قالت الأتباع: لو أن لنا
كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا.

وقوله: " فنتبرأ منهم " منصوبٌ، لأنه جواب للتمني ب " الفاء ". لأن القوم
تمنوا رجعةً إلى الدنيا ليتبرأوا من الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله، كما
تبرأ منهم رؤساؤهم الذين كانوا في الدنيا، المتبوعون فيها على الكفر بالله،
إذ عاينوا عَظِيمَ النازل بهم من عذاب الله، (48) فقالوا: يا ليت لنا كرة إلى
الدنيا فنتبرأ منهم، و يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
[سورة الأنعام: 27]

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-295 >

القول في تأويل قوله تعالى : كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ

قال أبو جعفر: ومعنى قوله: " كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ "، يقول: كما أراهم العذابَ الذي ذكره في قوله: وَرَأُوا الْعَذَابَ ، الذي كانوا يكذبون به في الدنيا، فكذلك يُرِيهِمْ أَيْضًا أَعْمَالَهُم الخبيثة التي استحقوا بها العقوبة من الله " حسرات عليهم " يعني: تدامات.

" والحسرات " جمع " حَسْرَة " . وكذلك كل اسم كان واحده على " فَعْلَة " مفتوح الأول ساكن الثاني، فإن جمعه على " فَعَلَات " مثل " شَهْوَة وَتَمْرَة " تجمع " شَهَوَات وَتَمْرَات " مثقَّلة الثواني من حروفها. فأما إذا كان تَعْنًا فإِنَّكَ تَدْعُ ثَانِيَهُ سَاكِنًا مِثْلَ " ضَخْمَة "، تجمعها " ضَخْمَات " و " عَبْلَة " تجمعها " عَبَلَات "، وربما سُكِّنَ الثَّانِي فِي الْأَسْمَاءِ، كما قال الشاعر: (49)

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولَاتِهَا

يُذِلَّتْنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِهَا

فَتَسْتَرِيحُ النَّفْسُ مِنْ زَفَرَاتِهَا (50)

فسكَّنَ الثَّانِي مِنْ " الزفرات "، وهي اسم. وقيل: إن " الحسرة " أشد الندامة.

< 3-296 >

فإن قال لنا قائل: فكيف يَرَوْنَ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ، وإنما يتندم المتندم على تَرْكِ الخيرات وفوتها إياه؟ وقد علمت أنَّ الكفار لم يكن لهم من الأعمال ما يتندَّمون على تركهم الازدِيَادَ منه، فيريهم الله قليلاً! (51) بل كانت أعمالهم كلها معاصي لله، ولا حسرة عليهم في ذلك، وإنما الحسرة فيما لم يَعمَلُوا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ؟

قيل: إن أهل التأويل في تأويل ذلك مختلفون، فنذكر في ذلك ما قالوا، ثم نخبر بالذي هو أولى بتأويله إن شاء الله.

فقال بعضهم: معنى ذلك: كذلك يريهم الله أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَّعوها ولم يعملوا بها، حتى استوجب = ما كان الله أعدَّ لهم، لو

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كانوا عملوا بها في حياتهم، من المساكن والتَّعم = غَيْرُهُمْ بطاعته رَبِّه. (52) فصار ما فاتهم من الثواب -الذي كان الله أَعَدَّه لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا، إذ عاينوه (53) عند دخول النار أو قبل ذلك- أَسَى وندامةً وحسرةً عليهم.

* ذكر من قال ذلك:

2434- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "كذلك يُريهم الله أعمالهم حَسرات عليهم"، زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها، لو أنهم أطاعوا الله، فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تُقسَّم بين المؤمنين، فيرثونهم. فذلك حين يندمون.

2435- حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال، حدثنا أبو الزعراء، عن عبد الله -في > 3- 297 < قصة ذكرها- فقال: فليس تَفْسُ إلا وهي تنظر إلى بَيْتٍ في الجنة وبَيْتٍ في النار، وهو يومُ الحسرة. قال: فيرى أهلُ النار الذين في الجنة، فيقال لهم: لو عَمَلْتُمْ! فتأخذهم الحسرة. قال: فيرى أهلُ الجنة البيت الذي في النار، فيقال: لولا أن منَّ الله عليكم! (54)

فإن قال قائل: وكيف يكون مضاقًا إليهم من العمل ما لم يَعْمَلوه على هذا التأويل؟

قيل: كما يُعرض على الرجل العملُ فيقال [له] قبل أن يعمله: (55) هذا عملك. يعني: هذا الذي يجب عليك أن تَعْمَله، كما يقال للرجل يَحْضُر > 3- 298 < عَدَاؤُه قبل أن يَتَغدى به: (56) هذا عَدَاؤُك اليوم. يعني به: هذا ما تَتَغدى به اليوم. فكذلك قوله: "كذلك يُريهم الله أعمالهم حَسرات عليهم"، يعني: كذلك يُريهم الله أعمالهم التي كان لازمًا لهم العمل بها في الدنيا، حَسرات عليهم.

وقال آخرون: كذلك يُريهم الله أعمالهم السيئة حَسرات عليهم، لم عَمَلوها؟ وهلا عملوا غيرها مما يُرضي الله تعالى ذكره؟

* ذكر من قال ذلك:

2436- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "كذلك يُريهم الله أعمالهم حَسرات عليهم"، فصارت أعمالهم الخبيثة حَسرةً عليهم يوم القيامة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2437- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " أعمالهم حسرات عليهم " قال، أوليس أعمالهم الخبيثة التي أدخلهم الله بها النار؟ [فجعلها] حسرات عليهم. (57) قال: وجعل أعمال أهل الجنة لهم، وقرأ قول الله: يَمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [سورة الحاقة: 24]

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: معنى قوله: " كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم "، كذلك يُري الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم، لم عملوا بها؟ وهلا عملوا غيرها؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة، إذ رأوا جزاءها من الله وعقابها، (58) لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندمًا عليهم.

< 3-299 >

فالذي هو أولى بتأويل الآية، ما دلّ عليه الظاهر دون ما احتمله الباطن الذي لا دلالة له على أنه المعنيُّ بها. (59) والذي قال السدي في ذلك، وإن كان مذهبًا تحتمله الآية، فإنه مَنزَع بعيد. ولا أثر -بأن ذلك كما ذكر- تقوم به حجة فيسلم لها، (60) ولا دلالة في ظاهر الآية أنه المراد بها. فإذا كان الأمر كذلك، لم يُحَلَّ ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل. (61)

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: وما هؤلاء الذين وصفتهم من الكفار = وإن تدموا بعد معابنتهم ما عابنوا من عذاب الله، فاشتدت ندامتهم على ما سلف منهم من أعمالهم الخبيثة، وتمنّوا إلى الدنيا كرةً لئيبوا فيها، وتبرأوا من مُضليهم وساداتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله فيها = بخارجين من النار التي أصلاهموها الله بكفرهم به في الدنيا، ولا ندمهم فيها بمنجيتهم من عذاب الله حينئذ، ولكنهم فيها مخلدون.

وفي هذه الآية الدلالة على تكذيب الله الزاعمين أن عذاب الله أهل النار من أهل الكفر مُنقَض، وأنه إلى نهاية، ثم هو بعد ذلك فإن. لأن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية، ثم ختم الخبر عنهم بأنهم غير خارجين من النار، بغير استثناء منه وقتًا دون وقت. فذلك إلى غير حد ولا نهاية.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-300 >

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: يا أيها الناس كلوا مما أحلت لكم من
الأطعمة على لسان رسولي محمد صلى الله عليه وسلم فطيبته لكم - مما
تُحَرِّمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم
أحرِّمه عليكم = دون ما حرَّمته عليكم من المطاعم والمأكَل فنَجَّسته من
مَيْتة ودم ولحم خنزير وما أهلُّ به لغيري. ودَعُوا خُطواتِ الشَّيْطَانِ - الذي
يؤيقكم فيهلككم، ويوردكم مَوارد العطب، ويحرِّم عليكم أموالكم - فلا تتبعوها
ولا تعملوا بها، إنه = يعني بقوله: "إنه" "إنَّ الشَّيْطَانِ، و"الهَاء" في قوله: "إنه"
إنه "عائدة على الشَّيْطَانِ = لكم أيها الناس "عدوٌّ مُبِينٌ"، يعني: أنه قد
أبان لكم عداوته، بإبائه عن السجود لأبيكم، وعُروره إياه حتى أخرج من
الجنة، واستزله بالخطيئة، وأكل من الشجرة.

يقول تعالى ذكره: فلا تنتصحوه، أيها الناس، مع إبائه لكم العداوة، ودعوا ما
يأمركم به، والتزموا طاعتي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه مما أحلته لكم
وحرَّمته عليكم، دون ما حرمتموه أنتم على أنفسكم وحللتموه، طاعة منكم
للشَّيْطَانِ واتباعًا لأمره.

ومعنى قوله: "حَلالًا"، طَلَقًا. (62) وهو مصدر من قول القائل: "قد حَلَّ لك
هذا الشيء"، أي صار لك مُطلقًا، (63) "فهو يَحِلُّ لك حَلالًا وِحَلًا"، ومن >
301-3 < كلام العرب: "هو لك حِلٌّ"، أي: طَلِق. (64).

وأما قوله: "طَيِّبًا" فإنه يعني به طاهرًا غير نجس ولا محرَّم.

وأما "الخطوات" فإنه جمع "خُطوة"، و"الخطوة" بعد ما بين قدمي
الماشي. و"الخطوة" بفتح "الخاء" الفعلة "الواحدة" من قول القائل: "خطوت
خطوة واحدة". وقد تجمع "الخُطوة" "خُطًا" و"الخطوة" تجمع "خطوات"
، "وخطاء".

والمعنى في النهي عن اتباع خُطواته، النهي عن طريقه وأثره فيما دعا إليه،
مما هو خلاف طاعة الله تعالى ذكره.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

واختلف أهل التأويل في معنى " الخطوات " . فقال بعضهم: حُطوات الشيطان: عمله.

* ذكر من قال ذلك:

2438- حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: " حُطوات الشيطان "، يقول: عمله.

وقال بعضهم: " حُطوات الشيطان "، حَطَاياه.

* ذكر من قال ذلك:

2439- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " حُطوات الشيطان " قال، خطيئته.

2440- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: حَطَاياه.

< 3-302 >

2441- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " ولا تَتَّبِعُوا حُطوات الشيطان " قال، خطاياها.

2442- حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك قوله: " حُطوات الشيطان " قال، خطايا الشيطان التي يأمرُ بها.

وقال آخرون: " حُطوات الشيطان "، طاعته.

* ذكر من قال ذلك:

2443- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط، عن السدي: " ولا تتبعوا حُطوات الشيطان "، يقول: طاعته.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: " خطوات الشيطان "، الذور في المعاصي.

* ذكر من قال ذلك:

2444- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن سليمان، عن أبي مجلز في قوله: " ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ " قال، هي الذور في المعاصي.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه في تأويل قوله: " خطوات الشيطان "، قريبٌ معنى بعضها من بعض. لأن كل قائل منهم قولا في ذلك، فإنه أشار إلى تهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله. غير أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بينت، من أنها " بعد ما بين قدميه "، ثم تستعمل في جميع آثاره وطرقه، على ما قد بينت.

< 3-303 >

القول في تأويل قوله تعالى: **إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)**

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " إنما يأمركم "، الشيطان، " بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ".

" والسوء " : الإثم، مثل " الضُّرُّ "، من قول القائل: " ساءك هذا الأمر يسوءك سُوءًا "، وهو ما يسوء الفاعل.

وأما " الفحشاء "، فهي مصدر مثل " السراء والضراء "، (65) وهي كل ما استُفحش ذكره، وقَبِحَ مَسْمُوعه.

وقيل: إن " السوء " الذي ذكره الله، هو معاصي الله. فإن كان ذلك كذلك، فإنما سَمَّاهَا الله " سُوءًا " لأنها تسوء صاحبها بسوء عاقبتها له عند الله. وقيل: إن " الفحشاء "، الزنا: فإن كان ذلك كذلك، فإنما يُسمى [كذلك]، (66) لقبح مَسْمُوعه، ومكروهه ما يُذكر به فاعله.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2445- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "إنما يأمركم بالسوء والفحشاء"، أمّا "السوء"، فالمعصية، وأمّا "الفحشاء"، فالزنا.

وأما قوله: "وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي، ويزعمون أن الله حرم ذلك. فقال تعالى < 304-3 > ذَكَرَهُ لَهُمْ: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذَّبُوا هُمْ لَا يَعْقِلُونَ [سورة المائدة: 103] فأخبرهم تعالى ذكره في هذه الآية، (67) أَنَّ قِيلَهُمْ: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا!" من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان، وأنه قد أحله لهم وطيبه، ولم يحرم أكله عليهم، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته، طاعةً منهم للشيطان، واتباعًا منهم خطواته، واقتفاء منهم آثار أسلافهم الضلال وآبائهم الجهال، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جهالا وعن الحق ومنهاجه ضلّالا - وإسرافًا منهم، كما أنزل الله في كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ذكره: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا .

الهوامش:

(1) الزيادة بين القوسين لا يتم الكلام إلا بها ، ويدل عليها ما سيأتي في الآثار بعد .

(2) في المطبوعة : "فقال المشركون للنبي . . ." ، والصواب طرح هذه الفاء .

(3) انظر ما سلف 1 : 431-437 .

(4) لم يتبع أبو جعفر في هذا الموضوع ما درج عليه من ترجيح القول الذي يختاره . وهذا مما يدل على ما ذهبنا إليه ، أنه كان يختصر كلامه أحيانا ، مخافة الإطالة . هذا إذا لم يكن في المخطوطات خرم أو اختصار من ناسخ أو كاتب .

(5) "خلوف" مصدر "خلف" ، ولم أجده في كتب اللغة ، ولكنه عربي معرق في قياسه .

(6) ديوانه : من معلقته العتيقة . والهاء في "بها" إلى "ديار أم أوفى" صاحبتة . والعين جمع عيناء : وهي بقر الوحش ، واسعة العيون جميلتها . والآرام جمع رئم : وهي الطباء الخوالص البياض ، تسكن الرمل . "خلفة" إذا جاء منها فوج

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- ذهب آخر يخلفه مكانه . يصف مجيئها وذهوبها في براح هذه الرملة . والأطلاع جمع طلا : وهو ولد البقرة والظبية الصغير . ويصف الصغار من أولاد البقر والظباء في هذه الرملة ، وقد نهض هذا وذاك منها من موضع جثومه . يصف اختلاف الحركة في هذه الفقرة المهجورة التي فارقتها أم أوفى ، وقد وقف بها من بعد عشرين حجة - ، كما ذكر .
- (7) تهذيب الألفاظ : 422 ، والمخصص 9 : 51 ، واللسان (نهر) ، والأزمنة والأمكنة 1 : 77 ، 155 وغيرها . ورواية اللسان والمخصص "لمتنا بالضممر" . والضممر (بضم الميم وسكونها) مثل العسر والعسر : الهزال ولحاق البطن من الجوع وغيره . والثريد : خبز يهشم ويبل بماء القدر ويغمس فيه حتى يلين . (8) انظر ما سلف 1 : 196 .
- (9) في المطبوعة : "كما قال : يعجيني . . يريد" ، والصواب ما أثبت .
- (10) الزيادة بين القوسين من نص الدر المنثور 1 : 164 ، من نص تفسير قتادة الذي أخرجه الطبري .
- (11) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن 1 : 97 .
- (12) في المطبوعة : "كما قال : هذه ثمرة . . ." ، والصواب ما أثبتته .
- (13) انظر معنى "آية" فيما سلف 1 : 106 ، وفهارس اللغة . وقد ترك الطبري تفسيره "المسخر" ، وكأن في الأصول اختصارًا من ناسخ أو كاتب ، إن لم يكن من الطبري نفسه ، كما أشرت إليه فيما مضى .
- (14) الزيادة بين القوسين لا بد منها هنا .
- (15) انظر ما سلف في 1 : 371 ، والرد على من ظن أن العرب كانت غير مقرة بالوحدانية .
- (16) هذه الجملة قد سقط منها شيء كثير ، فاختلت واضطربت ، وكأن صوابها ما يأتي : [إِنَّ إِلَهَكُمْ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَخَلَقَ الْأَرْضَ وَقَدَّرَ لَكُمْ فِيهَا أَرْزَاقَكُمْ وَأَقْوَاتَكُمْ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَأَجْرَى فِيهَا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ فِي سَيْرِهِمَا - وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى : (واختلاف الليل والنهار) - وخلق الرياح التي تسوق السفن التي تحملكم فتجريها في البحر لتبتغوا من فضله] - (17) أمرع الأرض : صيرها خصبة بعد الجذب . والدثور : الدروس ، يريد خرابها وانمحاء آثار عمارتها من النبات وغيره . وكان في المطبوعة : "فينعثكم" ، والصواب ما أثبت . ونعشه الله ينعشه : رفعه وتداركه برحمته .
- (18) انظر ما سلف 1 : 368-370 .
- (19) الأثر : 2411 - في المطبوعة : "حدثني موسى قال حدثنا أسباط" ، أسقط منه "قال حدثنا عمرو" ، وهو إسناد دائر في التفسير ، أقر به رقم : 2404 . ثم انظر ص : 288 س : 11 فسيأتي تأويله وبيانه عن قول السدي .
- (20) في المطبوعة : "وإنما نظير ذلك" ، وأثبت أولى العبارتين بالسياق والمعنى .
- (21) لم أعرف قائله . وسيأتي في هذا الجزء 3 : 311 ، وهو من أبيات أربعة في البيان والتبيين 4 : 51 ، ومعاني القرآن للفراء 1 : 100 ، وأمالى الشريف 1 : 215 . وبعد البيت :

أَمِيرٌ يَأْكُلُ الْقَالُودَ سِرًّا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَيُطْعِمُ ضَيْفَهُ حُبْرَ الشَّعِيرِ!
أَتَذْكُرُ إِذْ قَبَاؤُكَ جِلْدُ شَاةٍ
وَإِذْ تَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ?
فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا
وَعَلَّمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ!!

- (22) في المطبوعة : "كحب الله" ، وليس هذا تفسيرًا على سياق كلامه وتفسيره ، بل هو نص الآية ، والصواب ما أثبت .
(23) يريد أن "يرى" بمعنى : يعلم . وقاله أبو عبيدة في مجاز القرآن : 62 .
(24) في المطبوعة : "وقد تكون" لو يعلم" في معنى لا يحتاج . . . " ،
والصواب حذف "يعلم" فإنه أراد "لو" وحدها ، وذلك ظاهر في استدلاله بعد .
(25) في المطبوعة : "لو يعلم" في الموضعين ، والصواب جعل إحداهما بالياء .
والأخرى بالتاء .
(26) هو عبيد بن الأبرص .
(27) ديوانه : 37 ، من قصيدة جيدة يعاتب امرأته وقد عزمت على فراقه ،
وقبله :

تلك عِزِّي تَرُومُ قِدْمًا زِيَالِي
أَلْبَيْنِ تُرِيدُ أَمْ لِدَلَالِ?

- والزيال : المفارقة . وقوله : "طبك" ، أي شهوتك وإرادتك وبغيتك . يقول لها :
إن كنت الدلال على تبغين وترومين ، فقد مضى حين ذلك ، أيام كنا شبابًا
في سالف دهرنا وليالينا الخوالي! إذ- :

أَنْتِ بَيْضَاءُ كَالْمِهَاءِ، وَإِذَا
أَتَيْكَ نَشْوَانٌ مُزَخِيًّا أَذْيَالِي

- (28) هو عبيد بن الأبرص أيضًا من قصيدته السالفة .
(29) ديوانه : 37 ، وسيأتي في التفسير 7 : 117 ، وهو في الموضعين
مصحف . كان هنا "وبحظ ما تعيش" . قال لها ذلك بعد أن ذكر أنها زعمت أنه
كبر وقل ماله ، وضمن عنه إخوانه وأنصاره . ثم أمرها أن ترفض مقالة
العاذلين ، ويعظها أن تعيش معه بما يعيش به . والترهات جمع ترهة : وهي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أباطيل الأمور . والأهوال جمع هول : وهو الأمر المخيف . ثم ذكر لها أمر أهلها إذا فارقتهم وما تلقاه من أهوال ، فقال :

مِنْهُمْ مُّمْسِكٌ، وَمِنْهُمْ عَدِيمٌ،

وَبَخِيلٌ عَلَيَّكَ فِي بُحَالٍ

- (30) في المطبوعة : "فأضمر : عش" ، والصواب ما أثبت ، وستأتي على الصواب في الجزء السابع .
- (31) قوله : "ليس بذلك" ، أي قول ضعيف ليس بذلك القوي .
- (32) انظر ما سلف 2 : 484-488 .
- (33) يعني بالعلم الأول "لو يرى" بمعنى "لو يعلم" ، والآخِر الجواب المحذوف : "لعلموا" .
- (34) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 97 ، وفيه "معاني الجنة . . ." ، والصواب ما في الطبري وإحدى نسخ معاني القرآن .
- (35) الذي بين القوسين زيادة لا بد منها ، وإلا اختل الكلام ، واستدركتها من معاني القرآن للفراء 1 : 98 .
- (36) هذا قول الفراء في معاني القراءة 1 : 97-98 ، مع بعض التصرف في اللفظ . وقوله : "وقع" ، و"الوقوع" يعني به تعدي الفعل إليه . وانظر فهرس المصطلحات .
- (37) في المطبوعة : "وإن كان جوابًا . . ." ، والصواب ما أثبت .
- (38) انظر ما سلف 2 : 484-488 .
- (39) في المطبوعة : "من الذين اتبعوا" مرة أخرى ، والصواب "اتبعوهم" كما أثبت ، وإلا لم يكن ذلك إلا تكرارًا بلا معنى .
- (40) انظر الأثر رقم : 2411 .
- (41) قوله : "وفسد" معطوف على قوله : "صح" .
- (42) الخبر : 2417- فضيل بن عياض بن مسعود التميمي الزاهد الخراساني : ثقة ، قال ابن سعد : "كان ثقة ثبتًا فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث" . مات في أول المحرم سنة 187 بمكة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/1/123 ، والصغير : 209 ، وابن سعد 5 : 366 ، وابن أبي حاتم 3/2/73 .

وهذا الخبر يرويه أبو جعفر بإسنادين : من طريق الفضيل بن عياض ، ثم من طريق جرير ، وهو ابن عبد الحميد الضبي - كلاهما عن عبيد المكتب . ثم سيرويه عقب ذلك ، بإسنادين آخرين : 2418 ، 2419 ، من رواية سفيان ، وهو الثوري ، عن عبيد المكتب .

"وعبيد المكتب" ، بضم الميم وسكون الكاف وكسر التاء المثناة ، من "الإكتاب" ، أي تعليم الكتابة : هو عبيد بن مهران الكوفي ، وهو ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه . مترجم في التهذيب ، وابن سعد 6 : 237 ، وابن أبي حاتم 3/1/2 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(43) الخبر : 2418- إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، شيخ الطبري : ثقة مأمون . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/1/211 ، وتاريخ بغداد 6 : 370 .

(44) من أول هذه الفقرة ، كلام أبي جعفر ، وأخشى أن يكون سقط شيء قبله . وهذا الابتداء على كل حال ، جار على غير النهج الذي سار عليه كتابه من قبل ومن بعد .

(45) في المطبوعة : "ينفعهم" ، والصواب ما أثبت ، فالأفعال قبله وبعده كلها ماضية . والخلال مصدر خاله (بشديد اللام) يخاله مخاللة وخلالا : وهي الصداقة والمودة ، يقول امرؤ القيس :

صَرَفْتُ الْهَوَى عَنَّهُنَّ مِنْ حَشِيَّةِ الرَّدَى

فَلَسْتُ بِمَقْلِيٍّ الْخِلَالِ وَلَا قَالِي

(46) الزيادة التي بين الأقواس ، لا بد منها حتى يستقم صدر الكلام وآخره ، في الجملة التالية . ويعني بقوله "صفة الله" : ما وصف الله سبحانه من تقطع أسباب الكافرين يوم القيامة ، كالذي عدده آنفاً في الفقرة السالفة .

(47) ديوانه 48 ، ونقائض جرير والأخطل : 79 . وفي المطبوعة : "كر المشيح" ، وهو خطأ وفي الديوان "على قدارة" ، وهو خطأ . وفزارة بن ذبيان بن بغيض . والمنيح : قدح لاحظ له في الميسر ، وأقداح الميسر سبعة دوات أنصاء ، وأربعة لا نصيب لها مع السبعة ، ولكنها تعاد معها في كل ضربة . وقوله : "عطفن" يعني الخيل ، ذكرها في بيت قبله . وقد مضى من هذه القصيدة

أبيات في 2 : 38 ، 39 ، 492 ، 496 .

(48) في المطبوعة : "إذا عاينوا" ، وهو خطأ .

(49) لم أعرف قائله .

(50) سيأتي في التفسير 24 : 43 / 30 : 34 (بولاق) بزيادة بيت . والعيني 4 : 396 واللسان (لمم) (زفر) (علل) وغيرها . والدولة (بفتح فسكون) والدولة (بضم الدال) : العقبة في المال والحرب وغيرهما ، وهو الانتقال من حال إلى حال ، هذا مرة وهذا مرة . ودالت الأيام : دارت بأصحابها . ويروي : "تديلنا" وأداله : جعل له العقبة في الأمر الذي يطلبه أو يتمناه ، بتغيره وانتقاله عنه إلى حال أخرى . واللمة : النازلة من نوازل الدهر ، كالملمة . والبيت الرابع الذي زاده الطبري :

وَتَنَقَّ الْعُلَّةُ مِنْ عُلاَّتِهَا

والغلة : شدة العطش وحرارته . ونقع الغلة : سكنها وأطفأها وأذهب ظمأها . (51) قوله : "فيربهم الله قليله" ، يعني به : فيربهم الله أنه قليل ، فيتمنون أن لو كانوا ازدادوا من فعله حتى يكثر .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(52) سياق هذه الجملة : حتى استوجب غيرهم بطاعته ربه ، ما كان الله أعد لهم . . . " فقدم وآخر وفصل ، كعادته .
(53) في المطبوعة : "إذا عاينوه" ، والصواب ما أثبت .
(54) الحديث : 2435- سفيان : هو الثوري . سلمة بن كهيل الحضرمي . سبق توثيقه : 439 ، ونزيد هنا أن الثوري قال : "كان ركنًا من الأركان" . وقال أحمد : "سلمة متقن الحديث" . وقال أبو زرعة : "كوفي ثقة مأمون ذكي" . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/75 ، وابن سعد 6 : 221 ، وابن أبي حاتم 171-2/1/170 ، وتاريخ الإسلام 5 : 81-82 .

أبو الزعراء - بفتح الزاي والراء بينهما عين مهملة ساكنة؛ هو عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكبير ، وهو خال سلمة بن كهيل . وهو ثقة من كبار التابعين . مترجم في التهذيب ، وابن سعد 6 : 119 ، وابن أبي حاتم 2/2/195 .

وهذا الحديث قطعة من حديث طويل - كما قال الطبري هنا : "في قصة ذكرها" وستأتي قطعة أخرى منه في الطبري 15 : 97 (بولاق) . وهو حديث موقوف من كلام ابن مسعود ولكنه -عندنا- وإن كان موقوفًا لفظًا ، فإنه مرفوع حكمًا ، لأنه في صفة آخر الزمان ، وما يأتي من الفتن ، ثم فناء الدنيا ، ثم البعث والنشور والشفاعة ، وما إلى ذلك ، مما لا يعلم بالرأي .

وقد رواه -بطوله كاملا- الحاكم في المستدرک 4 : 496-498 ، من طريق الحسين بن حفص الإصبهاني ، عن سفيان ، بهذا الإسناد . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي . وهو كما قالا .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 10 : 328-330 ، بطوله ، وقال : رواه الطبراني وهو موقوف ، مخالف للحديث الصحيح وقول النبي صلى الله عليه وسلم : "أنا أول شافع" ! هكذا قال الهيثمي ولم يذكر شيئًا عن إسناده . وليس هذا موضع التعقب على تعليقه .

وروى أبو داود الطيالسي : 389- قطعة أخرى منه ، عن يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه . و"يحيى بن سلمة" . ضعيف جدًا . قال البخاري في الصغير ، ص : 143 "منكر الحديث" ولا يضر ضعف الإسناد عند الطيالسي ، إذ جاء الحديث -كما ترى- بإسناد صحيح ، من رواية سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل .

(55) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام .
(56) في المطبوعة : "كما يقال للرجل" ، وزيادة الواو لازمة .
(57) الزيادة بين القوسين مما يستقيم به معنى الكلام ، ليطابق القول الذي قاله هؤلاء . ويوافق الشطر الثاني من هذا الخبر في ذكر أعمال أهل الجنة .
(58) في المطبوعة : "إذا رأوا جزاءها" ، والصواب ما أثبت .
(59) انظر تفسير معنى : "الظاهر ، والباطن" فيما سلف 2 : 15 ، واطلبه في فهرس المصطلحات .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (60) في المطبوعة : "تقوم له حجة" ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .
(61) في المطبوعة : "فإذا كان الأمر . . ." ، والصواب ما أثبت . وقوله : "لم يحل" من أحال الشيء يحيله : إذا حوله من مكان إلى مكان ، أو من وجه إلى وجه .
(62) الطلق (بكسر فسكون) . الحلال . يقال : هو لك طلق ، أي حلال . وفي الحديث : "الخیل طلق" ، أي أن الرهان عليها حلال .
(63) هكذا في المطبوعة ، وأخشى أن يكون الصواب فيما كتب الطبري "طلقاً" كما سلف ، وكما سيأتي في عبارته .
(64) في المطبوعة : "من كلام العرب . . ." ، وأثبت الواو ، وحذفها جيد أيضاً .
(65) لعل الصواب ، "فهي اسم مصدر" .
(66) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام .
(67) في المطبوعة ، "وأخبرهم" بالواو ، والصواب الجيد ما أثبت .

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170)
قال أبو جعفر: وفي هذه الآية وجهان من التأويل.

أحدهما: أن تكون " الهاء والميم " من قوله: " وإذا قيل لهم " عائدة على مَنْ في قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ، فيكون معنى الكلام: ومن الناس مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا، وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله. قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.

والآخر: أن تكون " الهاء والميم " اللتان في قوله: " وإذا قيل لهم " ، من ذكر النَّاسِ الَّذِينَ فِي قَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ، فيكون < 305-3 > ذلك انصرافًا من الخطاب إلى الخبر عن الغائب، كما في قوله تعالى ذكره: حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِهْمُ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ [سورة يونس: 22]

قال أبو جعفر: وأشبهه عندي بالصواب وأولى بتأويل الآية (1) أن تكون " الهاء والميم " في قوله: " لهم " ، من ذكر النَّاسِ ، وأن يكون ذلك رجوعًا من الخطاب إلى الخبر عن الغائب. لأن ذلك عقيب قوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ . فلأن يكون خبرًا عنهم، أولى من أن يكون خبرًا عن الذين أخبر أنّ منهم مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ، مع ما بينهما من الآيات، وانقطاع قصصهم بقصة مُسْتَأْنَفَةٍ غيرها = وأنها نزلت في قوم من اليهود قالوا ذلك، (2) إذ دعوا إلى الإسلام، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2446- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَهُودَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَرَغِبَهُمْ فِيهِ، وَحَذَرَهُمْ عِقَابَ اللَّهِ وَنَقْمَتَهُ، فَقَالَ لَهُ رَافِعُ بْنُ خَارِجَةَ، وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ: بَلْ تَتَّبِعُ مَا أَلْفِينَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ وَخَيْرًا مِنَّا! فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا (3) " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفِينَا عَلَيْهِ > 306-3 < آبَاءُنَا أَوْلُو كَانُوا أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ". (4)

2447- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس مثله - إلا أنه قال: فقال له أبو رافع بن خارجة، ومالك بن عوف. (5)

وأما تأويل قوله: " اتبعوا ما أنزل الله "، فإنه: اعملوا بما أنزل الله في كتابه على رسوله، فأجلوا حلاله، وحرّموا حرامه، واجعلوه لكم إمامًا تأتمون به، وقائدًا تتبعون أحكامه.

وقوله: " ألفينا عليه آباءنا "، يعني وجدنا، كما قال الشاعر: (6)

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ

وَلَا ذَاكِرِ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا (7)

> 3-307 <

يعني: وجدته، وكما:-

2448- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا "، أي: ما وجدنا عليه آباءنا.

2449- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: فمعنى الآية: وإذا قيل لهؤلاء الكفار: كلوا مما أحلّ الله لكم، ودّعوا حُطوات الشيطان وطريقه، واعملوا بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه - استكبروا عن الإذعان للحقّ وقالوا: بل نأتم بأبائنا فننّبع ما وجدناهم عليه، من تحليل ما كانوا يُحلّون، وتحريم ما كانوا يحرمون.

قال الله تعالى ذكره: " أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ " - يعني: آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم- " لا يعقلون شيئاً " من دين الله وفرائضه، وأمره ونهيه، فيتبعون على ما سلكوا من الطريق، ويؤتمُّ بهم في أفعالهم - " ولا يهتدون " لرشد، فيهندي بهم غيرهم، ويقتدي بهم من طلب الدين، وأراد الحق والصواب؟

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار: فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه > 3-308 < آباءكم فتنركون ما يأمركم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئاً، ولا هم مصيبون حقاً، ولا مدركون رشداً؟ وإنما يتبع المتبعُ ذا المعرفة بالشياء المستعمل له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه - فيما هو به جاهل- إلا من لا عقل له ولا تمييز.

القول في تأويل قوله تعالى : وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك.

فقال بعضهم: معنى ذلك: مثل الكافر = في قلة فهمه عن الله ما يُتلى عليه في كتابه، وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله وبوعظ به = مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نُعق بها، ولا تعقل ما يقال لها.

* ذكر من قال ذلك:

2450- حدثنا هناد بن السريّ قال، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: " ومثّل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً " قال، مثّل البعير أو مثل الحمار، تدعوه فيسمع الصوت ولا يفقه ما تقول.

2451- حدثني محمد بن عبد الله بن زريع قال، حدثنا يوسف بن خالد السمطي قال، حدثنا نافع بن مالك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: " كمثل الذي ينعق بما لا يسمع " قال، هو كمثل الشاة ونحو ذلك. (8) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-309 >

2452- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً"، كمثل البعير والحمار والشاة، إن قلت لبعضها "كُلُّ" - لا يعلم ما تقول، غير أنه يسمع صوتك. وكذلك الكافر، إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وَعظته، لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك.

2453- حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريح قال، قال ابن عباس: مثل الدابة تنادي فتسمعُ ولا تعقل ما يقال لها. كذلك الكافر، يسمع الصوت ولا يعقل.

2454- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن خفيف، عن مجاهد: "كمثل الذي ينعق بما لا يسمع" قال، مثل الكافر مثل البهيمة تسمع الصوت ولا تعقل.

2455- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "كمثل الذي ينعق"، مثلُ ضربه الله للكافر يسمع ما يقال له ولا يعقل، كمثل البهيمة تسمع النعيق ولا تعقل.

2456- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً"، يقول: مثل الكافر كمثل البعير والشاة، يسمع الصوت ولا يعقل ولا يدري ما عُني به.

< 3-310 >

2457- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: "كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً" قال، هو مثل ضربه الله للكافر. يقول: مثل هذا الكافر مثل هذه البهيمة التي تسمع الصوت ولا تدري ما يقال لها. فكذلك الكافر لا ينتفع بما يقال له.

2458- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: هو مثل الكافر، يسمع الصوت ولا يعقل ما يقال له.

2459- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح: سألت عطاء ثم قلت له: يقال: لا تعقل -يعني البهيمة- إلا أنها تسمع دُعَاء الداعي حين ينعقُ بها، فهم كذلك لا يَعقلون وهم يسمعون. فقال: كذلك. قال: وقال مجاهد: "الذي ينعق"، الراعي" بما لا يسمع "من البهائم.

2460- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "كمثل الذي ينعق" الراعي" بما لا يسمع "من البهائم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2461- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو، قال حدثنا أسباط، عن السدي: " كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دُعاءً ونداءً"، لا يعقل ما يقال له إلا أن يُدعى فتأتي، أو ينادى بها فتذهب. وأما " الذي ينعق"، فهو الراعي الغنم، كما ينعق الراعي بما لا يسمع ما يقال له، إلا أن يُدعى أو ينادى. فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم، يدعو من لا يسمع إلا خبير الكلام، يقول الله: صُمُّ بَكُمُ عُمِّي [سورة البقرة: 18]

قال أبو جعفر: ومعنى قائله هذا القول - في تأويلهم ما تأولوا، على ما حكيت عنهم -: ومَثَلٌ وَعَظٌ الذين كفروا وواعظهم، كمثل تَعَقُّ الناعق بغنمه > 311-3 < ونعيقه بها. فأضيف " المثل " إلى الذين كفروا، وترك ذكر " الوعظ " والواعظ "، لدلالة الكلام على ذلك. كما يقال: " إذا لقيت فلانًا فعظمه تعظيم السلطان "، يراد به: كما تعظم السلطان، وكما قال الشاعر:

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا

عَلَى زَيْدٍ يَتَسَلِّمِ الْأَمِيرَ (9)

يراد به: كما يُسَلِّمُ على الأمير.

وقد يحتمل أن يكون المعنى -على هذا التأويل الذي تأوله هؤلاء-: ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم، الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت. وذلك أنه لو قيل له: " اعتلف، أو رد الماء "، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذي يسمعه من قائله. فكذلك الكافر، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه -بسوء تدبيره إياه وقلة نظره وفكره فيه- مَثَلٌ هذا المنعوق به فيما أمر به ونُهي عنه. فيكون المعنى للمنعوق به، والكلام خارج على الناعق، كما قال نابغة بني ذبيان:

وَقَدْ خِفْتُ، حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي

عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ (10)

والمعنى: حتى ما تزيدُ مخافة الوعل على مخافتي، وكما قال الآخر: (11)

< 3-312 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كَانَتْ قَرِيصَةً مَا تَقُولُ، كَمَا

كَانَ الزَّيْنُ قَرِيصَةَ الرَّجْمِ (12)

والمعنى: كما كان الرجم فريضة الزنا، فجعل الزنا فريضة الرجم، لوضوح معنى الكلام عند سامعه، وكما قال الآخر:

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٌ مَفْعَرُهُ

تَحْلَى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرَهُ (13)

والمعنى: يحلى بالعين، فجعله تحلى به العين. (14) ونظائر ذلك من كلام العرب أكثر من أن تحصى، مما تُوجَّهه العرب من خبر ما تخبر عنه إلى ما صاحبه، لظهور معنى ذلك عند سامعه، فتقول: "اعرض الحوض على الناقة"، وإنما تعرض الناقة على الحوض، وما أشبه ذلك من كلامها. (15)

وقال آخرون: معنى ذلك: ومثل الذين كفروا في دُعائهم آلتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل، كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، وذلك الصدى الذي يسمع صوته، ولا يفهم به عنه الناعق شيئاً.

فتأويل الكلام على قول قائل ذلك: ومثل الذين كفروا وآلتهم - في دعائهم إياها وهي لا تفقه ولا تعقل - كمثل الناعق بما لا يسمعه الناعق إلا دعاءً ونداءً، أي: لا يسمع منه الناعق إلا دعاءه.

* ذكر من قال ذلك:

< 3-313 >

2462- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً" قال، الرجل الذي يصيح في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يُراجعه يقال له " الصدى ". فمثل آلهة هؤلاء لهم، كمثل الذي يُجيبه بهذا الصوت، لا ينفعه، لا يسمع إلا دعاءً ونداءً. قال: والعرب تسمى ذلك الصدى.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد تحتمل الآية على هذا التأويل وجهًا آخر غير ذلك. وهو أن يكون معناها: ومثل الذين كفروا في دعائهم الهتهم التي لا تفقه دعاءهم، كمثل الناعق بغنم له من حيث لا تسمعُ صوتَه غنمُه، فلا تنتفع من نَعِقِه بشيء، غير أنه في عَناء من دعاء ونداء، فكذلك الكافر في دعائه الهته، إنما هو في عناء من دعائه إياها وندائه لها، ولا ينفعه شيء.

قال أبو جعفر: وأولى التأويل عندي بالآية، التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومَن وافقه عليه. وهو أن معنى الآية: ومثل وَعَظ الكافر وواعظه، كمثل الناعق بغنمه وتعيقه، فإنه يسمع نَعِقِه ولا يعقل كلامه، على ما قد بينا قبل.

فأما وَجِه جَوَاز حذف " وَعَظ " اكتفاءً بالمثل منه، فقد أتينا على البيان عنه في قوله: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا [سورة البقرة: 17]، وفي غيره من نظائره من الآيات، بما فيه الكفاية عن إعادته. (16).

وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن هذه الآية نزلت في اليهود، وإياهم عَنَى الله تعالى ذكره بها، ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها، ولا أهل أصنام يُعظمونها ويرجون نَفْعها أو دَفْع ضررها. ولا وجه -إذ كان ذلك كذلك- لتأويل من > 3- < 314 > تأوّل ذلك أنه بمعنى: مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودُعائهم إياها.

فإن قال قائل: وما دليلك على أن المقصود بهذه الآية اليهود؟

قيل: دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها، فإنهم هم المعنيون به. فكان ما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم، أحق وأولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم، حتى تأتي الأدلة واضحةً بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم. هذا، مع ما ذكرنا من الأخبار عَمَن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت، والرواية التي روينا عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم. (17) وبما قلنا من أن هذه الآية معنيٌّ بها > 3-315 < اليهود، كان عطاء يقول:

2463- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال لي عطاء في هذه الآية: هم اليهود الذين أنزل الله فيهم: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِلَى قَوْلِهِ: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ [سورة البقرة: 174-175].

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: " يَنْعِقُ "، فإنه: يُصَوِّتُ بالغنم، " التَّعِيقُ، والتُّعَاقُ "، ومنه قول الأخطل:

فَانْعِقْ بِصَانِكَ يَا جَرِيرُ، فَإِنَّمَا

مَتَّكَ تَفْسَكَ فِي الْخَلَاءِ صَلَا (18)

يعني: صَوِّتُ به.

القول في تأويل قوله تعالى : صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ "، هؤلاء الكفار الذين مثلهم كمثل الذي يَنْعِقُ بما لا يسمع إلا دُعَاءً ونداءً " صُمُّ " عن الحق فهم لا يسمعون - " بُكْمٌ " يعني: خُرْسٌ عن قيل الحق والصواب، والإقرار بما أمرهم الله أن يَقْرُؤُوا به، وتبيين ما أمرهم الله تعالى ذكره أن يُبينوه من أمر محمد صلى الله عليه وسلم للناس، فلا ينطقون به ولا يقولونه، ولا يبينونه للناس -، " عُمِيٌّ " < 316-3 > عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه، (19). كما:-

2464- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: " صُمُّ بكم عمي "، يقول: صم عن الحق فلا يسمعون، ولا ينتفعون به ولا يعقلونه؛ عُمِيٌّ عن الحق والهدى فلا يبصرونه؛ بكم عن الحق فلا ينطقون به.

2465- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " صم بكم عمي " يقول: عن الحق.

2466- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " صم بكم عمي "، يقول: لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه.

وأما الرفع في قوله: " صم بكم عمي "، فإنه أتاه من قبل الابتداء والاستئناف، يدل على ذلك قوله: " فهم لا يعقلون "، كما يقال في الكلام: " هو أصم لا يسمع، وهو أبكم لا يتكلم " (20).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " يا أيها الذين آمنوا "، يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، وأقروا لله بالعبودية، وأذعنوا له بالطاعة، كما:-

2467- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير، عن > 3-317
< جوير، عن الضحاك في قوله: " يا أيها الذين آمنوا "، يقول: صدّقوا.

" كلوا من طيبات ما رزقناكم "، يعني: اطعموا من خلال الرزق الذي أحلناه لكم، فطاب لكم بتحليلي إياه لكم، مما كنتم تحرمون أنتم، ولم أكن حرمة عليكم، من المطاعم والمشارب. " واشكروا لله "، يقول: وأثنوا على الله بما هو أهله منكم، على النعم التي رزقكم وطيّبها لكم. " إن كنتم إياه تعبدون "، يقول: إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين، فكلوا مما أباح لكم أكله وحلله وطيّبه لكم، ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان.

وقد ذكرنا بعض ما كانوا في جاهليتهم يحرمونه من المطاعم، وهو الذي نديهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه، إذ كان تحريمهم إياه في الجاهلية طاعة منهم للشيطان، واتباعاً لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف. ثم بين لهم تعالى ذكره ما حرّم عليهم، وفضّله لهم مُفسِّراً. (21)

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ
وَمَا أَهْلٌ بِهِ لَعَبْرٍ لِلَّهِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: لا تُحرّموا على أنفسكم ما لم أحرّمه عليكم أيها المؤمنون بالله وبرسوله من البحائر والسوائب ونحو ذلك، بل كلوا ذلك، فإنني لم أحرّم عليكم غير الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهلّ به لغيري.

ومعنى قوله: " إنما حرّم عليكم الميتة "، ما حرّم عليكم إلا الميتة.

> 3-318 <

" وإنما " : حرف واحد، ولذلك نصبت " الميتة والدم "، وغير جائز في " الميتة " إذا جعلت " إنما " حرفاً واحداً - إلا النصب. ولو كانت " إنما " حرفين، وكانت منفصلة من " إن "، لكانت " الميتة " مرفوعة وما بعدها. وكان تأويل الكلام

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حينئذ: إنّ الذي حرم الله عليكم من المطاعم الميتة والدم ولحم الخنزير، لا غير ذلك. (22)

وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ ذلك كذلك، على هذا التأويل. ولست للقراءة به مستجيراً = وإن كان له في التأويل والعربية وجه مفهوم - لاتفاق الحجة من القراء على خلافه. فغير جازر لأحد الاعتراض عليهم فيما نقلوه مجمعين عليه.

ولو قرئ في " حرم " بضم الحاء من " حرم "، لكان في " الميتة " وجهان من الرفع. أحدهما: من أن الفاعل غير مسمى، " وإنما " حرف واحد.

والآخر: " إن " و " ما " في معنى حرفين، و " حرم " من صلة " ما "، " والميتة " خبر " الذي " مرفوع على الخبر. ولست، وإن كان لذلك أيضاً وجه، مستجيراً للقراءة به، لما ذكرت.

وأما " الميتة "، فإن القراءة مختلفة في قراءتها. فقرأها بعضهم بالتخفيف، ومعناه فيها التشديد، ولكنه يُخففها كما يخفف القائلون في: " هو هين لئن " " الهين اللين "، (23) كما قال الشاعر: (24)

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ يَمِيَّتِ

إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ (25)

< 3-319 >

فجمع بين اللغتين في بيت واحد، في معنى واحد.

وقرأها بعضهم بالتشديد، وحملوها على الأصل، وقالوا: إنما هو " مَيِّوت "، " فيعمل "، من الموت. ولكن " الياء " الساكنة و " الواو " المتحركة لما اجتمعتا، " والياء " مع سكونها متقدمة، قلبت " الواو " " ياء " وشددت، فصارتا " ياء " مشددة، كما فعلوا ذلك في " سيد وجيد ". قالوا: ومن خففها، فإنما طلب الخفة. والقراءة بها على أصلها الذي هو أصلها أولى.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في "ياء "" الميته " لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب، فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب. لأنه لا اختلاف في معنيهما.

وأما قوله: " وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغير الله "، فإنه يعني به: وما ذُبح للآلهة والأوثان يُسمى عليه بغير اسمه، أو قصد به غيرُه من الأصنام.

وإنما قيل: " وما أهْلٌ به "، لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قرَّبوه لآلهتهم، سمو اسم آلهتهم التي قربوا ذلك لها، وجَّهروا بذلك أصواتهم، فجرى ذلك من أمرهم على ذلك، حتى قيل لكل ذابح، سمَّى أو لم يُسمِّ، (26) جهر بالتسمية أو لم يجهر-: " مُهَلُّ ". فرفعهم أصواتهم بذلك هو " الإهلال " الذي ذكره الله تعالى فقال: " وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغير الله ". ومن ذلك قيل للملبي في حجة أو عمرة " مُهَلُّ "، لرفعه صوته بالتلبية. ومنه " استهلال " الصبي، إذا صاح عند سقوطه من بطن أمه، " واستهلال " المطر، وهو صوت وُقوعه على الأرض، كما قال عمرو بن قميئة:

< 3-320 > ظَلَمَ الْبِطَاحَ لَهُ إِهْلَالٌ حَرِيصَةٍ

فَصَفَا التَّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ الْمُفْلَعِ (27)

واختلف أهل التأويل في ذلك. فقال بعضهم: يعني بقوله: " وما أهْلٌ به لغير الله "، ما ذبح لغير الله.

* ذكر من قال ذلك:

2468- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " وما أهْلٌ به لغير الله " قال، ما ذبح لغير الله.

2469- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " وما أهْلٌ به لغير الله " قال، ما ذبح لغير الله مما لم يُسم عليه.

2470- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: " وما أهْلٌ به لغير الله "، ما ذبح لغير الله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2471- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح، قال ابن عباس في قوله: " وما أهلُّ به لغير الله " قال، ما أهلُّ به للطواغيت.

2472- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن جوير، عن الضحاك قال: " وما أهلُّ به لغير الله " قال، ما أهلُّ به للطواغيت.

2473- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: " وما أهلُّ به لغير الله "، يعني: ما أهلُّ للطواغيت كلها. يعني: ما ذبح لغير الله من أهل الكفر، غير اليهود والنصارى.

2474- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عطاء في قول الله: " وما أهلُّ به لغير الله " قال، هو ما ذبح لغير الله.

< 3-321 >

وقال آخرون: معنى ذلك: ما ذكر عليه غير اسم الله.

* ذكر من قال ذلك:

2475- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " وما أهلُّ به لغير الله "، يقول: ما ذكر عليه غير اسم الله.

2476- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد -وسأله عن قوله الله: " وما أهلُّ به لغير الله " - قال: ما يذبح لألتهم، الأنصاب التي يعبدونها أو يسمون أسماءها عليها. قال: يقولون: " باسم فلان "، كما تقول أنت: " باسم الله " قال، فذلك قوله: " وما أهلُّ به لغير الله ".

2477- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثنا حيوة، عن عقبة بن مسلم التميمي وقيس بن رافع الأشجعي أنهما قالا أجل لنا ما ذبح لعيد الكنائس، وما أهدي لها من خبز أو لحم، فإنما هو طعام أهل الكتاب. قال حيوة، قلت: أرأيت قول الله: " وما أهلُّ به لغير الله "؟ قال: إنما ذلك المجوس وأهل الأوثان والمشركون.

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " فمن اضطر "، فمن حَلَّتْ به صَرورة
مِجاعة إلى ما حَرَمْت عليكُم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير
الله -وهو بالصفة التي وصفنا- فلا إثم عليه في أكله إن أكله.

< 3-322 >

وقوله: فمن " اضطر "" افتعل " من " الصرورة " .

و " غيرَ باغ " نُصِب على الحال مِنْ " مَنْ "، فكأنه. قيل: فمن اضطرَّ لا باغيًا ولا
عاديًا فأكله، فهو له حلال.

وقد قيل : إن معنى قوله: " فمن اضطر "، فمن أكره على أكله فأكله، فلا
إثم عليه.

* ذكر من قال ذلك:

2478- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال،
حدثنا إسرائيل، عن سالم الأفتس، عن مجاهد قوله: " فمن اضطر غير باغ ولا
عاد " قال: الرجل يأخذُه العدو فيدعونه إلى معصية الله.

وأما قوله: " غيرَ باغ ولا عاد "، فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون.

فقال بعضهم: يعني بقوله: " غير باغ "، غير خارج على الأئمة بسيفه باغيًا
عليهم بغير جَوْر، ولا عاديًا عليهم بحرب وعدوان، فمفسدٌ عليهم السبيل.

* ذكر من قال ذلك:

2479- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت ليثًا، عن مجاهد:
" فمن اضطر غير باغ ولا عاد " قال، غير قاطع سبيل، ولا مفارق جماعة، ولا
خارج في معصية الله، فله الرخصة.

2480- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد: " فمن اضطر غير باغ ولا عاد "، يقول: لا قاطعًا للسبيل، ولا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مفارقًا للأئمة، ولا خارجًا في معصية الله، فله الرخصة. ومن خرج باغيًا أو عاديًا في معصية الله، فلا رخصة له وإن اضطرَّ إليه.

2481- حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: " غير باغ ولا عاد " قال، هو الذي يقطع الطريق، فليس له رخصة < 323-3 > إذا جاع أن يأكل الميتة، وإذا عطش أن يشرب الخمر.

2482- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال: أخبرنا ابن المبارك، عن شريك، عن سالم -يعني الأفتس- عن سعيد في قوله: " فمن اضطرَّ غير باغ ولا عاد " قال، الباغي العادي الذي يقطع الطريق، فلا رخصة له ولا كرامة.

2483- حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن سالم، عن سعيد في قوله: " فمن اضطرَّ غير باغ ولا عاد " قال، إذا خرج في سبيل من سئل الله فاضطرَّ إلى شرب الخمر شرب، وإن اضطرَّ إلى الميتة أكل. وإذا خرج يقطع الطريق، فلا رخصة له.

2484- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حفص بن غياث، عن الحجاج، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد قال: " غير باغ " على الأئمة، " ولا عاد " قال، قاطع السبيل.

2485- حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فمن اضطرَّ غير باغ ولا عاد " قال، غير قاطع السبيل، ولا مفارق الأئمة، ولا خارج في معصية الله فله الرخصة.

2486- حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية، عن حجاج، عن الحكم، عن مجاهد: " فمن اضطرَّ غير باغ ولا عاد " قال، غير باغ على الأئمة، ولا عاد على ابن السبيل.

وقال آخرون في تأويل قوله: " غير باغ ولا عاد ": " غير باغ الحرام في أكله، ولا معتد الذي أبيح له منه.

* ذكر من قال ذلك.

2487- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، < 324-3 > عن قتادة قوله: " فمن اضطرَّ غير باغ ولا عاد " قال، غير باغ في أكله، ولا عاد: أن يتعدى حلالا إلى حرام، وهو يجد عنه مندوحة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2488- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: "فمن اضطر غير باغ ولا عاد" قال، غير باغ فيها ولا معتدٍ فيها بأكلها، وهو غنيٌّ عنها.

2489- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن سمع الحسن يقول ذلك.

2490- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال حدثنا أبو تميلة، (28) عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة قوله: "فمن اضطر غير باغ ولا عاد"، "غير باغ" يبتغيه، "ولا عادٍ": يتعدى على ما يُمسك نفسه.

2491- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "فمن اضطر غير باغ ولا عاد"، يقول: من غير أن يبتغي حرامًا ويتعداه، ألا ترى أنه يقول: فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْعَادُونَ [سورة المؤمنون: 7 \ سورة المعارج: 31]

2492- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: "فمن اضطر غير باغ ولا عاد" قال، أن يأكل ذلك بَغْيًا وتعديًا عن الحلال إلى الحرام، ويترك الحلال وهو عنده، ويتعدى بأكل هذا الحرام. هذا التعدى. ينكر أن يكونا مختلفين، ويقول: هذا وهذا واحد!

وقال آخرون تأويل ذلك: فمن اضطر غير باغ في أكله شهوة، ولا عاد فوق ما لا بُدُّ له منه.

* ذكر من قال ذلك:

2493- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا > 3- 325 أسباط، عن السدي: "فمن اضطر غير باغ ولا عاد". أمّا "باغ"، فيبغى فيه شهوته. وأما "العادي"، فيتعدى في أكله، يأكل حتى يشبع، ولكن يأكل منه قدر ما يُمسك به نفسه حتى يبلغ به حاجته.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: فمن اضطر غير باغ بأكله ما حُرِّم عليه من أكله، ولا عاد في أكله، وله عن ترك أكله -بوجود غيره مما أحله الله له- مندوحة وغنى.

وذلك أن الله تعالى ذكره لم يرخِّص لأحد في قتل نفسه بحال. وإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن الخارج على الإمام والقاطع الطريق، وإن كانا قد أتيا ما

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حَرَّمَ اللهُ عليهما =: من خروج هذا على من خرج عليه، وسَعَى هذا بالإفساد في الأرض، = فغيرٌ مبيح لهما فعلهما ما فعلا مما حَرَّمَ اللهُ عليهما - ما كان حَرَّمَ اللهُ عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من ذلك- من قتل أنفسهما. [وَرَدَّهُمَا إِلَى محارم الله عليهما بعد فعلهما، ما فعلا وإن كان قد حرم عليهما ما كان مرخصاً لهما قبل ذلك من فعلهما، وإن لم تَرَدَّهُمَا إِلَى محارم الله عليهما تحريماً، (29) فغير مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حراماً]. فإذا كان ذلك كذلك، فالواجبُ على قُطَاعِ الطَّرِيقِ والبغاة على الأئمة العادلة، الأوبةُ إلى طاعة الله، والرجوعُ إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه، والتوبةُ من معاصي الله - لا قتلُ أنفسهما بالمجاعة، فيزدادان إلى إثمهما إثمًا، وإلى خلافهما أمر الله خلافاً. (30)

< 3-326 >

وأما الذي وَجَّهَ تأويل ذلك إلى أنه غيرُ باغٍ في أكله شهوة، فأكل ذلك شهوة، لا لدفع الضرورة المخوف منها الهلاك - مما قد دخل فيما حرمه الله عليه - فهو بمعنى ما قلنا في تأويله، وإن كان للفظه مخالفاً.

فأما توجيه تأويل قوله: " ولا عاد "، و لا آكل منه شيعه، ولكن ما يمسك به نفسه، فإن ذلك، بعض معاني الاعتداء في أكله. ولم يخص الله من معاني الاعتداء في أكله معنى، فيقال عنى به بعض معانيه.

فإذا كان ذلك كذلك، فالصواب من القول ما قلنا: من أنه الاعتداء في كل معانيه المحرمة.

وأما تأويل قوله: " فلا إثم عليه "، يقول: من أكل ذلك على الصفة التي وصفنا، فلا تبعة عليه في أكله ذلك كذلك ولا حرج.

< 3-327 >

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (173)

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: " إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ "، " إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ " = إن أطعتم الله في إسلامكم، فاجتنبتم أكل ما حرم عليكم، وتركتم اتباع الشيطان فيما كنتم تحرمونه في جاهليتكم - طاعةً منكم للشيطان واقتفاءً منكم حُطواته - مما لم أحرمه عليكم = لما سلف منكم، في كفركم وقبل إسلامكم، في ذلك من خطأ وذنوب ومعصية، فصافح عنكم، وتارك عقوبتكم عليه، " رحيم " بكم إن أطعتموه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ "، أخبارَ اليهود الذين كتموا الناس أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ونبؤته، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة، بُرِّسَى كانوا أعطوها على ذلك، كما:-

2494- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ " الآية كلها، هم أهل الكتاب، كتموا ما أنزل الله عليهم وبين لهم من الحق والهدى، من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأمره.

2495- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ > 328-3 < به ثَمَنًا قَلِيلًا) قال: هم أهل الكتاب، كتموا ما أنزل الله عليهم من الحق والإسلامَ وشأنَ محمد صلى الله عليه وسلم.

2496- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط، عن السدي: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ "، فهؤلاء اليهود، كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم.

2497- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة قوله: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ "، والتي في "آل عمران" إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا [سورة آل عمران: 77] نزلنا جميعًا في يهود.

وأما تأويل قوله: " وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا "، فإنه يعني: يبتاعون به. " والهاء " التي في " به "، من ذكر " الكتمان ". فمعناه: ابتاعوا بكتمانهم ما كتموا الناس من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبؤته ثَمَنًا قَلِيلًا. وذلك أَنَّ الذي كانوا يُعْطُونَ = على تحريفهم كتابَ الله وتأويلهموه على غير وجهه، وكتمانهم الحق في ذلك = اليسير من عرض الدنيا، كما:-

2498- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " ويشترُونَ به ثَمَنًا قَلِيلًا " قال، كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم، وأخذوا عليه طمعًا قليلًا فهو الثمن القليل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد بينت فيما مضى صفة " اشترائهم " ذلك، بما أغنى عن إعادته هاهنا.

< 3-329 >

القول في تأويل قوله تعالى : **أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174)**

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " أولئك "، - هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب في شأن محمد صلى الله عليه وسلم بالخسيس من الرِّشوة يُعْطُونَهَا، فيحترِّفون لذلك آيات الله ويغيِّرون معانيها = " ما يأكلون في بطونهم " - بأكلهم ما أكلوا من الرُّشى على ذلك والجمالة، (31) وما أخذوا عليه من الأجر = " إلا النار " - يعني: إلا ما يوردهم النار ويُضْلِيهِمْوَهَا، كما قال تعالى ذكره: **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا [سورة النساء: 10]** معناه: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار بأكلهم. فاستغنى بذكر " النار " وفهم السامعين معنى الكلام، عن ذكر " ما يوردهم، أو يدخلهم ". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2499- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار "، يقول: ما أخذوا عليه من الأجر.

فإن قال قائل: فهل يكون الأكل في غير البطن فيقال: " ما يأكلون في بطونهم "؟

قيل: قد تقول العرب: " جُعت في غير بطني، وشَبَعْتُ في غير بطني "، فقيل: في بُطُونِهِمْ لذلك، كما يقال: " فعل فلان هذا نفسه ". وقد بينا ذلك في غير هذا الموضوع، فيما مضى. (32)

< 3-330 >

وأما قوله: " ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، يقول: ولا يكلمهم بما يحبون ويشتنون، فأما بما يسوءهم ويكرهون، فإنه سيكلمهم. لأنه قد أخبر تعالى ذكره أنه يقول لهم - إذا قالوا: **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ الْآيَتِينَ [سورة المؤمنون: 107-108]**.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما قوله: " ولا يُزكِّيهم "، فإنه يعني: ولا يطهِّرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم،
(33) " ولهم عذاب أليم "، يعني: مُوجع (34)

القول في تأويل قوله تعالى : أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ
بِالْمَغْفِرَةِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
"، أولئك الذين أخذوا الضلالة، وتركوا الهدى، وأخذوا ما يوجب لهم عذاب الله
يوم القيامة، وتركوا ما يُوجب لهم غفرانه ورضوانه. فاستغنى بذكر " العذاب " و
" المغفرة "، من ذكر السبب الذي يُوجبهما، لفهم سامعي ذلك لمعناه
والمراد منه. وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى. (35) وكذلك بينا وجه " اشتروا
الضلالة بالهدى " باختلاف المختلفين، والدلالة الشاهدة بما اخترنا من القول،
فيما مضى قبل، فكرهنا إعادته. (36)

< 3-331 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم معنى ذلك:
فما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار.

* ذكر من قال ذلك:

2500- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " فما
أصبرهم على النار "، يقول: فما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار.

2501- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن
قتادة في قوله: " فما أصبرهم على النار "، يقول: فما أجرأهم عليها.

2502- حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم، عن بشر،
عن الحسن في قوله: " فما أصبرهم على النار " قال، والله ما لهم عليها من
صبر، ولكن ما أجرأهم على النار.

2503- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا مسعر
= وحدثني المثنى قال، حدثنا أبو بكر قال، حدثنا مسعر =، عن حماد، عن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مجاهد، أو سعيد بن جبير، أو بعض أصحابه: " فما أصبرهم على النار "، ما أجرأهم.

2504- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " فما أصبرهم على النار "، يقول: ما أجرأهم وأصبرهم على النار.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فما أعملهم بأعمال أهل النار.

< 3-332 >

* ذكر من قال ذلك:

2505- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " فما أصبرهم على النار " قال، ما أعملهم بالباطل.

2506- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

واختلفوا في تأويل " ما " التي في قوله: " فما أصبرهم على النار ". فقال بعضهم: هي بمعنى الاستفهام، وكأنه قال: فما الذي صبرهم؟ أي شيء صبرهم؟ (37)

* ذكر من قال ذلك:

2507- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " فما أصبرهم على النار "، هذا على وجه الاستفهام. يقول: ما الذي أصبرهم على النار؟

2508- حدثني عباس بن محمد قال، حدثنا حجاج الأعور قال، أخبرنا ابن جريج قال، قال لي عطاء: " فما أصبرهم على النار " قال، ما يُصبرهم على النار، حين تركوا الحق واتبعوا الباطل؟

2509- حدثنا أبو كريب قال: سئل أبو بكر بن عياش: " فما أصبرهم على النار " قال، هذا استفهام، ولو كانت من الصبر قال: " فما أصبرهم "، رفعا. قال: يقال للرجل: " ما أصبرك "، ما الذي فعل بك هذا؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2510- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " فما أصبرهم على النار " قال، هذا استفهام. يقول ما هذا الذي صبرهم على النار حتى جرأهم فعملوا بهذا؟

< 3-333 >

وقال آخرون: هو تعجب. يعني: فما أشد جرائتهم على النار بعملهم أعمال أهل النار!

* ذكر من قال ذلك:

2511- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فما أصبرهم على النار " قال، ما أعملهم بأعمال أهل النار!

وهو قول الحسن وقتادة، وقد ذكرناه قبل. (38)

فمن قال: هو تعجب - وجه تأويل الكلام إلى: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ ، فما أشد جرائتهم -بفعلهم ما فعلوا من ذلك- على ما يوجب لهم النار! كما قال تعالى ذكره: قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ [سورة عبس: 17]، تعجبًا من كفره بالذي خلقه وسوّى خلقه.

فأما الذين وجهوا تأويله إلى الاستفهام، فمعناه: هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فما أصبرهم على النار -والنار لا صبر عليها لأحد- حتى استبدلوها بمغفرة الله فاعتاضوها منها بدلا؟

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: ما أجرأهم على النار، بمعنى: ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم بأعمال أهلها. وذلك أنه مسموع من العرب: " ما أصبر فلانًا على الله "، بمعنى: ما أجرأ فلانًا على الله! (39) وإنما يعجب الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، واشترائهم بكتمان ذلك ثمنًا قليلًا < 3-334 > من السحت والرشى التي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أعطوها - على وجه التعجب من تقدمهم على ذلك. (40) مع علمهم بأن ذلك موجبٌ لهم سخط الله وأليم عقابه.

وإنما معنى ذلك: فما أجرأهم على عذاب النار! ولكن اجتزئ بذكر " النار " من ذكر " عذابها "، كما يقال: " ما أشبه سخاءك بحاتم "، بمعنى: ما أشبه سخاءك بسخاء حاتم، " وما أشبه شجاعتك بعنتره ". (41)

القول في تأويل قوله تعالى : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)

قال أبو جعفر: أما قوله: " ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق "، فإنه اختلف في المعنى ب " ذلك " .

فقال بعضهم: معنيُّ " ذلك "، فعلهم هذا الذي يفعلون = من جرائتهم على عذاب النار، في مخالفتهم أمر الله، وكتمانهم الناس ما أنزل الله في كتابه، وأمرهم ببيانه لهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر دينه = من أجل أن الله تبارك تعالى " نزل الكتاب بالحق "، وتنزيله الكتاب بالحق هو خبره عنهم في قوله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [سورة البقرة: 6-7] فهم - مع ما أخبر الله عنهم من أنهم لا يؤمنون- لا يكون منهم غيرُ اشتراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة.

< 3-335 >

وقال آخرون: معناه: " ذلك " معلومٌ لهم، بأن الله نزل الكتاب بالحق، لأنَّنا قد أخبرنا في الكتاب أنَّ ذلك لهم، والكتابُ حق.

كأن قائلِي هذا القول كان تأويل الآية عندهم: ذلك العذاب = الذي قال الله تعالى ذكره، فما أصبرهم عليه = معلومٌ أنه لهم. لأن الله قد أخبر في مواضع من تنزيله أن النار للكافرين، وتنزيله حق، فالخبر عن " ذلك " عندهم مُضمَر.

*

وقال آخرون: معنى " ذلك "، أن الله وصف أهل النار، فقال: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، ثم قال: هذا العذاب بكفرهم. و " هذا " هاهنا عندهم، هي التي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يجوز مكانها " ذلك " ، (42) كأنه قال: فعلنا ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به. قال: فيكون " ذلك " -إذا كان ذلك معناه- نصبًا، ويكون رفعًا بالباء.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بتأويل الآية عندي: أن الله تعالى ذكره أشار بقوله: " ذلك " ، إلى جميع ما حواه قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ، إلى قوله: " ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق " ، من خبره عن أفعال أخبار اليهود، وذكره ما أعد لهم تعالى ذكره من العقاب على ذلك، فقال: هذا الذي فعلته هؤلاء الأخبار من اليهود = بكتمانهم الناس ما كتموا من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته مع علمهم به، طلبًا منهم لعرض من الدنيا خسيس -وبخلافهم أمري وطاعتي= وذلك -من تركي تطهيرهم وتزكيتهم وتكليمهم، وإعدادي لهم العذاب الأليم- بأنني أنزلت كتابي بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه.

فيكون في " ذلك " حينئذ وجهان من الإعراب: رفعٌ ونصب. والرفع ب " الباء " ، والنصب بمعنى: فعلت ذلك بأنني أنزلت كتابي بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه. وترك ذكر " فكفروا به واختلفوا " ، اجتزاءً بدلالة ما ذكر من الكلام عليه.

< 3-336 >

وأما قوله: " وَإِنَّ الَّذِينَ اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد " ، يعني بذلك اليهود والنصارى. اختلفوا في كتاب الله، فكفرت اليهود بما قصَّ الله فيه من قصص عيسى ابن مريم وأمه. وصدق النصارى ببعض ذلك، وكفروا ببعضه، وكفروا جميعًا بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم. فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفي منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب، كما قال الله تعالى ذكره: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ [سورة البقرة: 137] كما:

2512- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وَإِنَّ الَّذِينَ اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد " ، يقول: هم اليهود والنصارى. يقول: هم في عداوة بعيدة. وقد بينتُ معنى " الشقاق " ، فيما مضى. (43)

الهوامش:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (1) في المطبوعة : "وأشبهه عندي وأولى بالآية" ، وهو كلام مختل ، وردده إلى عبارة الطبري في تأويل أكثر الآيات السالفة .
- (2) في المطبوعة : "وإنما نزلت في قوم من اليهود" ، وهو خطأ ناطق ، واضطراب مفسد للكلام . والصواب ما أثبت . يقول أبو جعفر إن أولى الأقوال بالصواب أن تكون الآية نزلت في ذكر عرب الجاهلية الذين حرموا ما حرموا على أنفسهم ، كما ذكر في تفسير الآيتين السالفتين (168 ، 169) ، ويستبعد أن يكون المعنى بها من ورد ذكرهم في الآية (165) ، كما يستبعد قول من قال إنها نزلت في اليهود ، في الخبر الذي سيرويه بعد . فقوله : "وإنها نزلت" عطف على قوله "خبرًا" في قوله : "أولى من أن يكون خبرًا عن الذين أخبر أن منهم من يتخذ . . . " .
- (3) في المطبوعة : "فأنزل الله من قولهم ذلك" . وهو خطأ محض ، ورددها إلى نصها في سيرة ابن هشام ، كما سيأتي مرجعه .
- (4) الأثر رقم : 2446- في سيرة ابن هشام 2 : 200-201 ، مع اختلاف يسير في لفظه .
- (5) الأثر رقم : 2447- انظر الأثر : 2446 .
- (6) هو أبو الأسود الدؤلي .
- (7) ديوانه : 49 (نفايس المخطوطات) ، سيبويه 1 : 85 ، والأغاني 11 : 107 ، وأمالي بن الشجري 1 : 283 والصدقة والصديق : 151 ، والخزانة 4 : 554 ، وشرح شواهد المغني : 316 ، واللسان (عتب) . وهو من أبيات قالها في امرأة كان يجلس إليها بالبصرة ، وكانت برزة جميلة ، فقالت له يومًا : يا أبا الأسود ، هل لك أن أتزوجك؟ فأني امرأة صناع الكف ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور . قال : نعم . فجمعت أهلها وتزوجته . ثم إنه وجدها على خلاف ما قالت ، فأسرعت في ماله ، ومدت يدها في خيانتها ، وأفشت عليه سره ، فغدا على من كان حضر تزويجه ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا . فقال لهم :

أَرَيْتَ امْرَأًا كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ

أَتَانِي، فَقَالَ : اتَّخِذْنِي خَلِيلًا

فَخَالَلتُهُ، ثُمَّ صَافَيْتُهُ

فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدُنْهُ فَتِيلًا

وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَّبْتُهُ

كَدُوبَ الْحَدِيثِ سَرُوقًا بَخِيلًا

فَدَكَّرْتُهُ، ثُمَّ عَاتَبْتُهُ

عَتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلًا جَمِيلًا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَأَلْفَيْتُهُ عَيْرٌ مُسْتَعْتَبٍ

وَلَا ذَاكِرٍ لِلَّهِ إِلَّا قَلِيلًا

أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوْدِيعِهِ

وَأَتَّبَاعِ ذَلِكَ صَرْمًا طَوِيلًا؟!

قالوا : بلى والله يا أبا الأسود! قال : تلك صاحبكم ، وقد طلقها ، وأنا أحب أن أستر ما أنكرت من أمرها . ثم صرفها معهم .

قال ابن الشجري : "والذي حسن لقائل هذا البيت حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، ونصب اسم الله تعالى ، واختيار ذلك على حذف التنوين للإضافة وجر اسم الله - أنه لو أضاف لتعرف بإضافته إلى المعرفة ، ولو فعل ذلك لم يوافق المعطوف المعطوف عليه في التنكير ، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وأعمل اسم الفاعل" .

واستعجب الرجل : رجع عن الإساءة وطلب الرضا ، فهو مستعتب .
(8) الخبر : 2451- هذا خبر منهار الإسناد . أما "محمد بن عبد الله بن زريع" شيخ الطبري فلم أجد ترجمته . والطبري يروي عن "محمد بن عبد الله بن بزيع" ، ولا أستطيع الترجيح بأنه هو ، حرف اسم جده .

وأما "يوسف بن خالد السمتي" : فهو ضعيف جدًا ، قال فيه ابن معين : "كذاب ، زنديق ، لا يكتب حديثه" . ولا يشتغل بمثله . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/388 ، وابن سعد 7/2/47 ، وابن أبي حاتم 222-4/2/221 . و"السمتي" : بفتح السين وسكون الميم ، نسبة إلى السميت والهيئة . قال ابن سعد : "وقيل له : السمتي - للحيته وهيئته وسمته"!!

نافع بن مالك : هو الأصبحي ، أبو سهيل ، وهو عم الإمام مالك بن أنس ، وهو تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/86 ، وابن أبي حاتم 4/1/453 .

(9) مضى تخريج هذا البيت في هذا الجزء : 281 تعليق : 1 ، وهذا القول في تفسير الآية ذكره الفراء في معاني القرآن 1 : 100 .

(10) ديوانه : 90 ، وسيأتي في التفسير 30 : 146 (بولاق) ، ومجاز القرآن : 65 ، ومعاني القرآن للفراء 1 : 99 ، ومشكل القرآن : 151 ، والإنصاف : 164 ، وأمالى بن الشجري 1 : 52 ، 324 ، وأمال الشريف 1 : 202 ، 216 ، ومعجم ما استعجم : 1238 . وهو من قصيدة مضى منها تخريج بيت في هذا الجزء : 213 . وقوله : "ذي المطارة" (بفتح الميم) ، وهو اسم جبل . وعامل :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قد عقل في رأس الجبل ، لجأ إليه واعتصم به وامتنع . والوعل : تيس الجبل : يتحصن بوزره من الصياد . وقد ذكر البكري أنه رأى لابن الأعرابي أنه يعني بذئ المطارة (بضم الميم) ناقته ، وأنها مطارة الفؤاد من النشاط والمرح . ويعني بذلك : ما عليها من الرحل والأداة . يقول : كأني على رحل هذه الناقة وعلى عاقل من الخوف والفرق .

(11) النايغة الجعدي .

(12) سيأتي في التفسير 2 : 198 ، 327 (بولاق) ، ومعاني القرآن للفراء 1 : 99 ، 131 ، ومشكل القرآن : 153 ، والإنصاف : 165 ، وأمالى الشريف 1 : 216 ، والصاحبي : 172 ، وسمط اللآلي : 368 ، واللسان (زنا) . وقال الطبري في 2 : 327 ، "يعني : كما كان الرجم الواجب من حد الزنا" .

(13) سيأتي في التفسير : (2؛ 198 بولاق) ، ومعاني القرآن للفراء 1 : 99 ، 131 ، وأمالى الشريف 1 : 216 ، واللسان (حلا) . يقال : "ما في الحي أحد تجهره عيني" ، أي تأخذه عيني فيعجبني . وفي حديث صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول علي : "لم يكن قصيرًا ولا طويلًا ، وهو إلى الطول أقرب . من رآه جهره" ، أي عظم في عينه .

(14) هذا الذي مضى أكثر من قول الفراء في معاني القرآن 1 : 99 .

(15) هذا من نص كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن : 63-64 .

(16) انظر ما سلف 1 : 318-328 ، واطلب ذلك في فهرس العربية من الجزء السالفة .

(17) هذا موضع مشكل في كلام أبي جعفر رضي الله عنه ، كان ينبغي أن يبينه فضل بيان . فإن صدر عبارته قاض بأن كل الآيات التي قبل هذه الآية نزلت في يهود ، وليس كذلك . ثم عاد بعد قليل يقول : "هذا مع الرواية التي رويناها عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم" -يعني في يهود . ولو كان الأمر كما يفهم من صدر عبارته ، لم يكن لنصه بعد ذلك على أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم ، فيما روي عن ابن عباس - معنى مفهوم .

والظاهر أن أبا جعفر كان أراد أن يقول : إن الآيات السالفة نزلت في اليهود - إلا الآيات الأخيرة من أول قوله : "إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار" إلى قوله : "والهكم إليه وحد" (163-170) ، فهي قد نزلت في كفار العرب ، وذكر ابن عباس أن الآية الأخيرة : (170) نزلت في يهود أيضًا . ثم إن الآيات بعدها هي ولا شك في يهود وأهل الكتاب ، فلذلك حمل معنى الآية هذه أنه مراد به اليهود . فكأنه جعل الآيات من (163-169) اعتراضًا في سرد قصة واحدة ، هي قصة يهود .

فإن لم يكن ذلك كذلك ، فليست أدري كيف يتسق كلامه . فهو منذ بدأ في تفسير هذه الآيات من 163-169 لم يذكر إلا أهل الشرك وحدهم ، وبين أن المقصود بقوله تعالى : "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا" - هم الذين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب والوصائل (ص 300) ، ثم عاد في تأويل قوله تعالى : "وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون" فقال : فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي (ص 303) . واليهود

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

، كما أنهم لم يكونوا أهل أوثان يعبدونها ، أو أصنام يعظمونها كما قال أبو جعفر ، فهم أيضًا لم يحرموا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة كما ذكر في تفسير الآيات السالفة . فهذا تناقض منه ر حمه الله - إلا إذا حمل كلامه على استثناء الآيات التي ذكرت أنه فسرها على أنه مراد بها مشركوا العرب الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا من البحائر والسوائب والوصائل .

والصواب من القول عندي ، أن هذه الآية تابعة للآيات السالفة ، وأن قصتها شبيهة بقصة ما قبلها في ذكر المشركين الذي قال الله لهم : "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبًا" ، وأن العود إلى قصة أهل الكتاب هو من أول قوله تعالى : "إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب والآيات التي تليها . وانظر ما سيأتي : 317 ، فإنه قد عاد هناك ، فجعل الآية خاصة بالمشركين من أهل الجاهلية ، بذكره ما حرموا على أنفسهم من المطاعم ، وهو تناقض شديد .

(18) ديوانه : 50 ، ونقائض جرير والأخطل : 81 ، وطبقات فحول الشعراء : 429 ، ومجاز القرآن : 64 ، واللسان (نعق) وقد مضت أبيات منها في 2 : 38 : 39 ، 492 ، 496 ، وهذا الجزء 3 : 294 ، وقد ذكر قبله حروب رهطه بني تغلب ، ثم قال لجرير : إنما أنت راعي غنم ، فصوت بغنمك ، ودع الحروب وذكرها . فلا علم لك ولا لأسلافك بها . وكل ما تحدث به نفسك من ذلك ضلال وباطل .

(19) انظر تفسير : "صم" بكم "عمي" فيما سلف 1 : 328-331 . وقد حمل أبو جعفر معنى الآية هنا على أنه عنى به اليهود وأهل الكتاب . وانظر التعليق السالف ص : 314 ، رقم : 1 .

(20) انظر إعرابه في الآية الأخرى فيما سلف 1 : 329-330 .

(21) في المطبوعة : "وفصل لهم" ، والصواب ما أثبت . وهذا الذي قاله هنا برهان آخر على أن أبا جعفر قد اضطرب في قصة هذه الآيات ، فهو قد عاد وجعل بعض الآيات السالفة ، في مشركي العرب في جاهليتهم ، كما ترى ، وهو بين أيضًا في تفسير الآية التالية . انظر ص : 314 ، تعليق : 1 .

(22) انظر تفصيل هذا في معاني القرآن للفراء 1 : 102-103 .

(23) في المطبوعة : "القائلون وهو هين لين . . ." ، وكأن الصواب ما أثبت .

(24) هو عدي بن الرعاء الغساني ، والرعاء أمه .

(25) الأصمعيات : 5 ، ومعجم الشعراء : 252 ، وتهذيب الألفاظ : 448 ،

واللسان (موت) وحماسة ابن الشجري : 51 ، والخزانة 4 : 187 ، وشرح

شواهد المغني : 138 . من أبيات جيدة صادقة ، يقول بعده :

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ دَلِيلًا

كَاسِقًا بَالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاءِ

فَأْتَأْسُ يُمَصِّصُونَ ثَمَادًا

وَأْتَأْسُ حُلُوفُهُمْ فِي الْمَاءِ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الثماد الماء القليل يبقى في الحفر . وما أصدق ما قال هذا الأبى الحر .
(26) في المطبوعة : "يسمي بذلك أو لم يسم" ، والصواب ما أثبت ، فعل
ماض كالذي يليه .

(27) سلف تخريج هذا البيت في 1 : 523-524 ، وأن صواب نسبه إلى
الحادرة الديباني .

(28) في المطبوعة : "أبو نميلة" ، والصواب بالتاء . مضت ترجمته برقم :
392 ، 461 .

(29) في المطبوعة : "وإن لم يؤدهما إلى محارم الله عليهما تحريمًا" . وهو
تصحيف مفسد قد أذى من أراد أن يفهم عن الطبري ما يقول . و"المحارم" :
كل ما حرم الله سبحانه علينا فهو من محارم الله . وانظر التعليق التالي .
(30) هذه الفقرة رد على القول الأول ، قول من ذهب إلى أن "الباغي" هو
الخارج على الأمة ، وأن "العادي" هو قاطع الطريق ، وأنهما لفعلهما ذلك
مستثنيان من حكم الآية في الترخيص للمضطر أن يأكل مما حرم الله عليه .
ولكن العبارة في الأصل فاسدة ، لا يكاد يكون لها معنى . ولم أستجز أن
أدعها في الأصل على ما هي عليه . وهكذا كانت في الأصل :

[بل ذلك من فعلهما ، وإن لم يؤدهما إلى محارم الله عليهما تحريمًا ، فغير
مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حرامًا] .

وهو كلام لا يستقيم ، وقد اجتهدت فرأيت أنه سقط من ناسخ كلامه سطر
كامل فيما أرجح ، بين قوله : "من قتل أنفسهما" وقوله : "قبل ذلك من
فعلهما" فبقيت "قبل" وحدها ، فجاء ناسخ آخر فلم يستبن معنى ما يكتب ،
فجعل "قبل" "بل" ، طئًا منه أن ذلك يقيم المعنى على وجه من الوجوه .
فاضطرب الكلام كما ترى اضطرابًا لا يخلص إلى شيء مفهوم . وزاده فسادًا
واضطرابًا تصحيف قوله : "وإن لم نردهما" بما كتب : "وإن لم يؤدهما" ،
فخلص إلى كلام ضرب عليه التخليط ضربًا!

وقد ساق الطبري في هذه الفقرة حجتين لرد قول من قال إن الباغي هو
الخارج على الإمام ، وإن العادي هو قاطع السبيل .

فالحجة الأولى : أن الباغي والعادي ، وإن كان كلاهما قد أتى فعلا محرّمًا ،
فإن إتيان هذا الفعل المحرم ، لا يجعل قتل أنفسهما مباحًا لهما ، إذ هو
محرم عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من محارم الله عليهما .

والحجة الأخرى : أن الله قد رخص لكل مضطر أن يأكل مما حرم عليه ،
فاستثناء الباغي والعادي من رخصة الله للمضطر . لا يعد عنده تحريمًا ، بل
هو رد إلى ما كان محرّمًا عليهما قبل البغي أو العدوان . ومع ذلك فإن هذا
الرد إلى ما كان محرّمًا عليهما ، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مرخصًا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لهما ولكل مضطر قبل البغي والعدوان ، فإنه لا يرخص لهما قتل أنفسهما ، وهو حرام عليهما قبل البغي والعدوان .

وإذن ، فالواجب عليهما أن يتوبا ، لا أن يقتلا أنفسهما بالمجاعة ، فيزدادان إثماً إلى إثمهما ، وخلاقاً إلى خلافهما بالبغي والعدوان أمر الله .
(31) الجعل (بضم فسكون) والجعالة (مثلثة الجيم) : أجر مشروط يجعل للقائل أو الفاعل شيئاً .

(32) انظر ما سلف 2 : 272 ، وهذا الجزء 3 : 159-160 .

(33) انظر ما سلف 1 : 573-574 ، وهذا الجزء 3 : 88 .

(34) انظر ما سلف 1 : 283 . ثم 2 : 140 ، 377 ، 506 ، 540 .

(35) انظر ما سلف فهارس مباحث العربية .

(36) انظر ما سلف 1 : 311-315 .

(37) وذلك قول أبي عبيدة في مجاز القرآن : 64 .

(38) انظر ما سلف رقم : 2501 ، 2502 .

(39) انظر خبر ذلك في معاني القرآن للفراء 1 : 103 .

(40) قدم ، وتقدم ، وأقدم ، واستقدم ، كلها بمعنى واحد ، إذا كان جريئاً فافتحم .

(41) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 103 ، أيضاً .

(42) انظر ما سلف 1 : 225-227 في بيان "ذلك" ، و"هذا" .

(43) انظر ما سلف في هذا الجزء 3 : 115 ، 116 .

القول في تأويل قوله تعالى : لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: ليس البر الصلاة وحدها، ولكن البر الخصال التي أبينها لكم.

2513- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " ليس البر أن تُولُّوا وُجُوهكم قِبَلَ > 3-
337 < المشرق والمغرب "، يعني: الصلاة. يقول: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا، فهذا منذ تحوّل من مكة إلى المدينة، ونزلت الفرائض، وحدّ الحدود. فأمر الله بالفرائض والعمل بها.

2514- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ليس البر أن تُولُّوا وُجُوهكم قبل المشرق والمغرب "، ولكن البر ما ثبت في القلوب من طاعة الله.

2515- حدثني القاسم قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2516- حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريح، عن ابن عباس قال: هذه الآية نزلت بالمدينة: " ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب "، يعني: الصلاة. يقول: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك. قال ابن جريح، وقال مجاهد: " ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب "، يعني السجود، ولكن البر ما ثبت في القلب من طاعة الله.

2517- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو تميلة، (1) عن عبيد بن سليمان، عن الضحاک بن مزاحم، أنه قال فيها، قال يقول: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك. وهذا حين تحوّل من مكة إلى المدينة، فأنزل الله الفرائض وحدّ الحدود بالمدينة، وأمر بالفرائض أن يؤخذ بها.

وقال آخرون: عنى الله بذلك اليهود والنصارى. وذلك أن اليهود تصلي فتوجّه قبل المغرب، والنصارى تصلي فتوجّه قبل المشرق، فأنزل الله فيهم هذه الآية، يخبرهم فيها أن البر غير العمل الذي يعملونه، ولكنه ما بيناه في هذه الآية

* ذكر من قال ذلك:

< 3-338 >

2518- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال: كانت اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى تصلي قبل المشرق، فنزلت: " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ".

2519- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر "، ذكر لنا أن رجلاً سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله هذه الآية. وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا الرجل فتلاها عليه. وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ثم مات على ذلك يُرجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله: " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ". وكانت اليهود توجّهت قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق - " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر " الآية.

2520- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس قال: كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق، فنزلت: " ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وأولى هذين القولين بتأويل الآية، القول الذي قاله قتادة والربيع بن أنس =: أن يكون عنى بقوله: " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب "، اليهود والنصارى. لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم، والخبر عنهم وعما أعدّ لهم من أليم العذاب. وهذا في سياق ما قبلها، إذ كان الأمر كذلك، - " ليس البر "، - أيها اليهود والنصارى، أن يولي بعضكم وجهه قبل المشرق وبعضكم قبل المغرب، " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب " الآية.

< 3-339 >

فإن قال قائل: فكيف قيل: " ولكن البر من آمن بالله "، وقد علمت أن " البر " فعل، و " من " اسم، فكيف يكون الفعل هو الإنسان؟

قيل: إن معنى ذلك غير ما توهمته، وإنما معناه: ولكن البرُّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر، (2) فوضع " من " موضع الفعل، اكتفاءً بدلالته، ودلالة صلته التي هي له صفة، من الفعل المحذوف، كما تفعله العرب، فتضع الأسماء مواضع أفعالها التي هي بها مشهورة، فتقول: " الجود حاتم، والشجاعة عنتره "، و " إنما الجود حاتم والشجاعة عنتره "، ومعناها: الجود جود حاتم فتستغني بذكر حاتم " إذ كان معروفاً بالجود، من إعادة ذكر " الجود " بعد الذي قد ذكرته، فتضعه موضع " جوده "، لدلالة الكلام على ما حذفته، استغناء بما ذكرته عما لم تذكره. (3) كما قيل: **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا [سورة يوسف: 82]** والمعنى: أهل القرية، وكما قال الشاعر، وهو ذو الخرق الطهوي:

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَّا قَا!

وَمَا هِيَ، وَيَبَّ عَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ (4)

يريد: بُغَامَ عَنَّا، أو صوت [عناق]، (5) كما يقال: " حسبت صياحي أخاك "، يعني به: حسبت صياحي صياح أخيك.

وقد يجوز أن يكون معنى الكلام: ولكن البرُّ من آمن بالله، فيكون " البر " مصدرًا وُضع موضع الاسم. (6)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-340 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وآتى المال على حبه "، وأعطى
ماله في حين محبته إياه، وضمته به، وشحّه عليه، (7) . كما:-

2521- حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن إدريس قال، سمعت ليثًا،
عن زبيد، عن مرة بن شراحيل البكيلي، عن عبد الله بن مسعود: " وآتى المال
على حبه "، أي: يؤتيه وهو صحيحٌ شحيحٌ، يأمل العيش ويخشى الفقر. (8)

2522- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن -وحدثنا الحسن بن
يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق- قالا جميعًا، عن سفیان، عن زبيد الياامي، > 3-
341 < عن مرة، عن عبد الله: " وآتى المال على حبه " قال، وأنت صحيح،
تأمل العيش، وتخشى الفقر. (9)

2523- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة،
عن زبيد الياامي، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: " وآتى المال على حبه
" قال، وأنت حريصٌ شحيحٌ، تأمل الغنى، وتخشى الفقر.

2524- حدثنا أحمد بن نعمة المصري قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا الليث
قال، حدثنا إبراهيم بن أعين، عن شعبة بن الحجاج، عن زبيد الياامي، عن مرة
الهمداني قال، قال عبد الله بن مسعود في قول الله: " وآتى المال على حبه
ذوي القربى "، قال: حريصًا شحيحًا، يأمل الغنى ويخشى الفقر. (10)

< 3-342 >

2525- حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا حدثنا هشيم قال، أخبرنا
إسماعيل بن سالم، عن الشعبي، سمعته يُسأل: هل على الرجل حق في ماله
سوى الزكاة؟ قال: نعم! وتلا هذه الآية: " وآتى المال على حبه ذوي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى
الزكاة ".

2526- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا سُويد بن عمرو الكلبي قال، حدثنا حماد
بن سلمة قال، أخبرنا أبو حمزة قال، قلت للشعبي: إذا زكّي الرجل ماله،
أيطيبُ له ماله؟ فقرا هذه الآية: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ إِلَى " وآتى المال على حبه " إلى آخرها، ثم قال: حدثني فاطمة
بنت قيس أنها قالت: يا رسول الله، إن لي سبعين مثقالا من ذهب. فقال:
اجعلها في قرابتك. (11)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2527- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يحيى بن آدم، عن شريك قال، حدثنا أبو حمزة، فيما أعلم - عن عامر، عن فاطمة بنت قيس أنها سمعته يقول: إن في المال لحقاً سوى الزكاة. (12)

2528- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن عليه، عن أبي حيان > 3- 343 < قال، حدثني مزاحم بن زفر قال، كنت جالساً عند عطاء فأتاه أعرابي فقال له: إن لي إبلاً فهل عليّ فيها حقٌ بعد الصدقة؟ قال: نعم! قال: ماذا؟ قال: غارئة الدلو، وطروق الفحل، والحلب. (13)

2529- حدثني موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي، ذكره عن مرة الهمداني في: " وأتى المال عليّ حبه " قال: قال عبد الله بن مسعود: تُعطيه وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تطيل الأمل، وتخاف الفقر. وذكر أيضاً عن السدي أن هذا شيء واجبٌ في المال، حق على صاحب المال أن يفعله، سوى الذي عليه من الزكاة.

2530- حدثنا الربيع بن سليمان قال، حدثنا أسد قال، حدثنا سويد بن عبد الله، عن أبي حمزة، عن عامر، عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " في المال حق سوى الزكاة " ، وتلا هذه الآية: " ليس البر " إلى آخر الآية. (14)

> 3-344 <

2531- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن زبيد الياامي، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله في قوله: " وأتى المال عليّ حبه " قال، أن يعطي الرجل وهو صحيح شحيح به، يأمل العيش ويخاف الفقر.

قال أبو جعفر: فتأويل الآية: وأعطى المال - وهو له محب، حريصٌ على جمعه، شحيح به - ذوي قرابته فوصل به أرحامهم.

وإنما قلت عنى بقوله: " ذوي القرّبي "، ذوي قرابة مؤدّي المال على حبه، للخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره فاطمة بنت قيس =

2532- وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل: أيُّ الصّدقة أفضل؟ قال: جُهد المُقلِّ على ذي القرّابة الكاشح. (15)

> 3-345 <

وأما " اليتامى " والمساكين "، فقد بينا معانيهما فيما مضى. (16)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما " ابن السبيل "، فإنه المجتاز بالرجل. ثم اختلف أهل العلم في صفته. فقال بعضهم: هو الضيفُ من ذلك.

* ذكر من قال ذلك:

2533- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: " وابن السبيل " قال، هو الضيف قال: قد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خَيْرًا أو ليسكت " . قال: وكان يقول: حَقَّ الضيافة ثلاثُ ليالٍ، فكل شيء أضافه بعد ذلك صدقة. (17)

< 3-346 >

وقال بعضهم: هو المسافر يمر عليك.

* ذكر من قال ذلك:

2534- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن أبي جعفر: " وابن السبيل " قال، المجتاز من أرض إلى أرض.

2535- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وقتادة في قوله: " وابن السبيل " قال، الذي يمر عليك وهو مسافر.

2536- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن ذكره، عن ابن جريج عن مجاهد وقتادة مثله.

وإنما قيل للمسافر " ابن السبيل "، لملازمته الطريق -والطريق هو " السبيل "- فليل ملازمته إياه في سفره: " ابنه "، كما يقال لطير الماء " ابن الماء " لملازمته إياه، وللرجل الذي أتت عليه الدهور " ابن الأيام والليالي والأزمنة "، ومنه قول ذي الرمة:

وَرَدْتُ اغْتِسَافًا وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا

عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٌ (18)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-347 >

وأما قوله: " والسائلين "، فإنه يعني به: المستطعمين الطالبين، كما:-

2537- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن عكرمة في قوله: " والسائلين " قال، الذي يسألك.

وأما قوله: " وفي الرقاب "، فإنه يعني بذلك: وفي فك الرقاب من العبادة، وهم المكاتبون الذين يسعون في فك رقابهم من العبادة، (19) بأداء كتاباتهم التي فارقوا عليها ساداتهم.

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وأقام الصلاة "، أدام العمل بها بحدودها، وبقوله " وآتى الزكاة "، أعطاهما على ما قرضاها الله عليه. (20)

< 3-348 >

فإن قال قائل: وهل من حقٍّ يجب في مال إيتاؤه فرصًا غير الزكاة؟

قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك:

فقال بعضهم: فيه حقوقٌ تجبُ سوى الزكاة = واعتلوا لقولهم ذلك بهذه الآية، وقالوا: لما قال الله تبارك وتعالى: وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ، ومن سمى الله معهم، ثم قال بعد: " وأقام الصلاة وآتى الزكاة "، علمنا أن المال - الذي وصف المؤمنين به أنهم يُؤْتونه ذَوِي الْقُرْبَى، ومن سمى معهم - غيرُ الزكاة التي ذكر أنهم يُؤْتونها. لأن ذلك لو كان مالا واحداً لم يكن لتكريره معنى مفهوم. قالوا: فلما كان غيرَ جائز أن يقول تعالى ذكره قولا لا معنى له، علمنا أن حكم المال الأول غيرُ الزكاة، وأن الزكاة التي ذكرها بعد غيره. قالوا: وبعد، فقد أبان تأويل أهل التأويل صحة ما قلنا في ذلك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل المال الأول هو الزكاة، ولكن الله وصف إيتاء المؤمنين مَنْ أتوه ذلك، في أول الآية. فعرف عباده -بوصفه ما وصف من أمرهم- المواضع التي يجب عليهم أن يَصْعُوا فيها زكواتهم، ثم دلهم بقوله بعد ذلك: " وأتى الزكاة "، أن المال الذي أتاه القوم هو الزكاة المفروضة = كانت = عليهم، إذ كان أهلُ شَهمانها هم الذين أخبر في أول الآية أن القوم أتوهم أموالهم.

وأما قوله: " وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا "، فإن يعني تعالى ذكره: والذين لا ينقضون عهد الله بعد المعاهدة، ولكن يوفون به ويتمونه على ما عاهدوا عليه من عاهدوه عليه. كما:-

2538- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس في قوله: " وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا " قال، فمن أعطى عهدَ الله ثم نقضه، فالله ينتقم منه. ومن أعطى ذمة النبي صلى الله عليه > 349-3 < وسلم ثم عَدَر بها، فالنبي صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة.

وقد بينت " العهد " فيما مضى، بما أغنى عن إعادته هاهنا. (21)

القول في تأويل قوله تعالى : وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ

قال أبو جعفر: وقد بينا تأويل " الصبر " فيما مضى قبل. (22)

فمعنى الكلام: والمانعين أنفسهم -في البأساء والضراء وحين البأس- مما يكرهه الله لهم، الحابسيها على ما أمرهم به من طاعته. ثم قال أهل التأويل في معنى " البأساء والضراء " بما:-

2539- حدثني به الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي (23) قال، حدثني أبي - وحدثني موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد - قالا جميعًا، حدثنا أسباط عن السدي، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود أنه قال: أما البأساء فالفقر، وأما الضراء فالسقم .

2540- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي - وحدثني المثنى قال، حدثنا الحماني - قالا جميعًا، حدثنا شريك، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله في قوله: " والصابرين في البأساء والضراء " قال، البأساء الجوع، والضراء المرض.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- 2541- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا شريك، عن السدي، عن مرة عن عبد الله قال: البأساء الحاجة، والضراء المرض.
2542- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد، عن قتادة قال: > 3-350 < كنا نُحَدِّثُ أن البأساء البؤس والفقر، وأن الضراء السقم. وقد قال النبي أيوب صلى الله عليه وسلم أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [سورة الأنبياء: 83].
2543- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: "والصابرين في البأساء والضراء" قال، البؤس: الفاقة والفقر، والضراء: في النفس، من وَجَع أو مَرَضَ يصيبه في جسده.
2544- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: "البأساء والضراء" قال، البأساء: البؤس، والضراء: الزمانة في الجسد.
2545- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا عبيد، عن الضحاك قال: "البأساء والضراء"، المرض. (24)
2546- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج: "والصابرين في البأساء والضراء" قال، البأساء: البؤس والفقر، والضراء: السقم والوجع.
2547- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا عبيد بن الطفيل قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في هذه الآية: "والصابرين في البأساء والضراء"، أما البأساء: الفقر، والضراء: المرض. (25)

قال أبو جعفر: وأما أهل العربية: فإنهم اختلفوا في ذلك. فقال بعضهم: > 3-351 < "البأساء والضراء"، مصدر جاء على "فعلاء" ليس له "أفعل" لأنه اسم، كما قد جاء "أفعل" في الأسماء ليس له "فعلاء"، نحو "أحمد". وقد قالوا في الصفة "أفعل"، ولم يجئ له "فعلاء"، فقالوا: "أنت من ذلك أوجل"، ولم يقولوا: "وجلاء".

وقال بعضهم: هو اسم للفعل. فإن "البأساء"، البؤس، والضراء "الضر". وهو اسم يقع إن شئت لمؤنث، وإن شئت لمذكر، كما قال زهير:

فَتَنْتَجُ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ، كُتُّهُمْ

كَأَحْمَرٍ عَادٍ، ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمِ (26)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعني فنتج لكم غلمان شؤم.

وقال بعضهم: لو كان ذلك اسمًا يجوز صرفه إلى مذكر ومؤنث، لجازَ إجراء " أفعل " في النكرة، ولكنه اسم قام مقام المصدر. والدليل على ذلك قوله: " لئن طلبت نُصرتهم لتجدتهم غير أبعَدَ"، (27) بغير إجراء. وقال: إنما كان اسما للمصدر، لأنه إذا ذُكر علم أنه يُراد به المصدر.

وقال غيره: لو كان ذلك مصدرًا فوقع بتأنيث، لم يقع بتذكير، ولو وَقَعَ > 3-352 < بتذكير، لم يقع بتأنيث. لأن من سُمي ب " أفعل " لم يصرف إلى " فُعلَى "، ومن سُمي ب " فُعلَى " لم يصرف إلى " أفعل "، لأن كل اسم يبقى بهيئته لا يصرف إلى غيره، ولكنهما لغتان. فإذا وقع بالتذكير، كان بأمر " أشأم "، وإذا وقع " البأساء والضراء "، (28) وقع: الخلة البأساء، والخلة الضراء. وإن كان لم يُن علي " الضراء "، " الأضر "، ولا علي " الأشأم "، " الشأماء ". لأنه لم يُرد من تأنيثه التذكير، ولا من تذكيره التأنيث، كما قالوا: " امرأة حسناء "، ولم يقولوا: " رجل أحسن ". وقالوا: " رجل أمرد "، ولم يقولوا: " امرأة مرداء ". فإذا قيل: " الخصلة الضراء " و " الأمر الأشأم "، دل على المصدر، ولم يحتج إلى أن يكون اسمًا، وإن كان قد كَفَى من المصدر.

وهذا قول مخالفٌ تأويلَ من ذكرنا تأويله من أهل العلم في تأويل " البأساء والضراء "، وإن كان صحيحًا على مذهب العربية. وذلك أن أهل التأويل تأولوا " البأساء " بمعنى: البؤس، " والضراء " بمعنى: الضر في الجسد. وذلك من تأويلهم مبني على أنهم وجَّهوا " البأساء والضراء " إلى أسماء الأفعال، دون صفات الأسماء ونعوتها. فالذي هو أولى ب " البأساء والضراء "، علي قول أهل التأويل، أن تكون " البأساء والضراء " أسماء أفعال، فتكون " البأساء " اسمًا " للبؤس "، و " الضراء " اسمًا " للضر ".

وأما " الصابرين " فنصبٌ، وهو من نعت " مَنْ " على وجه المدح. (29) لأن من شأن العرب - إذا تناولت صفةً الواحد- الاعتراضُ بالمدح والذم بالنصب أحيانًا، وبالرفع أحيانًا، (30) كما قال الشاعر: (31)

> 3-353 <

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ

وَلَيْتَ الْكَتِيْبَةَ فِي الْمُرْدَحَمِ (32)

وَدَا الرَّأْيِي حِينَ تُعَمُّ الْأُمُورُ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بَدَاتِ الصَّلِيلِ وَدَاتِ اللُّجْمِ (33)

فنصب " ليث الكتيبة " وذا " الرأي " على المدح، والاسم قبلهما مخفوضٌ لأنه من صفة واحد، ومنه قول الآخر: (34)

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا التُّجُومُ تَوَاصَعَت

عَلَى كُلِّ عَتٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينِ (35)

غِيُوثَ الْوَرَى فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَأَزْمَةٍ

أُسُودَ الشَّرَى يَحْمِينِ كُلَّ عَرِينِ (36)

وقد زعم بعضهم أن قوله: (37) " والصابرين في البأساء "، نُصِبَ عَطْفًا عَلَى " السائلين " . < 354-3 > كَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ كَانَ عِنْدَهُ: وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حَبِ ذَوِي الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ، وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ. وَظَاهِرُ كِتَابِ اللَّهِ يَدُلُّ عَلَى خَطَا هَذَا الْقَوْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ " الصَّابِرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ "، هُمْ أَهْلُ الزَّمَانَةِ فِي الْأَبْدَانِ، وَأَهْلُ الْإِقْتَارِ فِي الْأَمْوَالِ. وَقَدْ مَضَى وَصَفَ الْقَوْمِ بِإِيْتَاءِ -مَنْ كَانَ ذَلِكَ صِفَتَهُ- الْمَالَ فِي قَوْلِهِ: وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ، وَأَهْلُ الْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ، هُمْ أَهْلُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ "، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الضَّرَاءِ ذَا بِئْسَاءٍ، لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ لَهُ قَبُولُ الصَّدَقَةِ، وَإِنَّمَا لَهُ قَبُولُهَا إِذَا كَانَ جَامِعًا إِلَى ضَرَائِهِ بِئْسَاءً، وَإِذَا جُمِعَ إِلَيْهَا بِئْسَاءً، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ قَدْ دَخَلُوا فِي جَمَلَةِ " الْمَسَاكِينَ " الَّذِينَ قَدْ مَضَى ذِكْرُهُمْ قَبْلَ قَوْلِهِ: " وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ ". وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، ثُمَّ نَصَبَ " الصَّابِرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ " بِقَوْلِهِ " وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ "، كَانَ الْكَلَامُ تَكْرِيرًا بغير فائدة معنوية. كَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حَبِ ذَوِي الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ. وَاللَّهُ يَتَعَالَى عَنِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خُطَابِهِ عِبَادَةً. وَلَكِنْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ. " وَالْمُؤْمِنُونَ " رَفِعُ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ " مَنْ "، وَ" مَنْ " رَفِعٌ، فَهُوَ مَعْرَبٌ بِإِعْرَابِهِ. " وَالصَّابِرِينَ " نَصَبٌ -وَإِنْ كَانَ مِنْ صِفَتِهِ- عَلَى وَجْهِ الْمَدْحِ الَّذِي وَصَفْنَا قَبْلَ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَجِئَ الْبَاسُ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وحين البأس "، والصابرين في وقت البأس، وذلك وقت شدة القتال في الحرب، كما:-

2548- حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال، حدثنا أبي قال، >
3-355 < حدثنا أسباط، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله في قول الله: " وحين البأس " قال، حين القتال. (38)

2549- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله مثله.

2550- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " وحين البأس " القتال.

2551- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: " وحين البأس "، أي عند مواطن القتال.

2552- حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: " وحين البأس "، القتال.

2553- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، " وحين البأس "، عند لقاء العدو.

2554- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا عبيدة، عن الضحاك: " وحين البأس "، القتال

2555- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا عبيد بن الطفيل أبو سيدان قال، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: " وحين البأس " قال، القتال. (39)

< 3-356 >

القول في تأويل قوله تعالى : أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " أولئك الذين صدقوا "، من آمن بالله واليوم الآخر، وبعثهم النعت الذي نعتهم به في هذه الآية. يقول: فمن فعل هذه الأشياء، فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم، وحققوا قولهم بأفعالهم - لا مَنْ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَهُوَ يَخَالِفُ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ، وَيَنْقُضُ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ، وَيَكْتُمُ النَّاسَ بَيَانَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِبَيَانِهِ، وَيَكْذِبُ رِسْلَهُ.

وأما قوله: " وأولئك هم المتقون "، فإنه يعني: وأولئك الذين اتقوا عقابَ الله، فتجنبوا عصيانه، وحذروا وعده، فلم يتعدوا حدوده. وخافوه، فقاموا بأداء فرائضه.

وبمثل الذي قلنا في قوله: " أولئك الذين صدقوا "، كان الربيع بن أنس يقول:

2556- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " أولئك الذين صدقوا " قال، فتكلموا بكلام الإيمان، فكانت حقيقته العمل، صدقوا الله. قال: وكان الحسن يقول: هذا كلام الإيمان، وحقيقته العمل، فإن لم يكن مع القول عملٌ فلا شيء.

< 3-357 >

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " كتب عليكم القصاص في القتل "، فُرض عليكم.

فإن قال قائل: أفرض على وليِّ القتل القصاص من قاتل وليِّه؟

قيل: لا ولكنه مباح له ذلك، والعفو، وأخذُ الدية.

فإن قال قائل: وكيف قال: " كتب عليكم القصاص "؟

قيل: إن معنى ذلك على خلاف ما ذهب إليه، وإنما معناه: يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل الحرِّ بالحرِّ والعبدُ بالعبدِ والأنثى بالأنثى، أي أن الحرَّ إذا قتل الحرَّ، قَدِمَ القاتل كفاءً لدم القاتل، والقصاصُ منه دون غيره من الناس، فلا تجاوزوا بالقتل إلى غيره ممن لم يقتل، فإنه حرام عليكم أن تقتلوا بقتلكم غيرَ قاتله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والفرض الذي فرضَ الله علينا في القصاص، هو ما وصفتُ من ترك المجاوزة بالقصاص قَتَلَ القاتل بقتيله إلى غيره، لا أنه وجب علينا القصاص فرضًا وجوب فرض الصلاة والصيام، حتى لا يكون لنا تركه. ولو كان ذلك فرضًا لا يجوز لنا تركه، لم يكن لقوله: **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**، معنى مفهوم، لأنه لا عفو بعد القصاص فيقال: **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**.

وقد قيل: إن معنى القصاص في هذه الآية، مقاصّة ديات بعض القتلى بديات بعض. وذلك أن الآية عندهم نزلت في جزيين تحاربوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتل بعضهم بعضًا، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم بأن تسقط ديات نساء أحد الحزبين بديات نساء الآخرين، وديات رجالهم < 358-3 > بديات رجالهم، وديات عبيدهم بديات عبيدهم، قصاصًا. فذلك عندهم معنى " القصاص " في هذه الآية.

فإن قال قائل: فإنه تعالى ذكره قال: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى "، فما لنا أن نقتص للحر إلا من الحر، ولا للأنثى إلا من الأنثى؟

قيل: بل لنا أن نقتصي للحر من العبد، وللأنثى من الذكر بقول الله تعالى ذكره: **وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا** [سورة الإسراء: 33]، وبالنقل المستفيض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

2557- المسلمون تتكافأ دماؤهم. (40)

فإن قال: فإذا كان ذلك، فما وجه تأويل هذه الآية؟

قيل: اختلف أهل التأويل في ذلك. فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في قوم كانوا إذا قتل الرجل منهم عبد قوم آخرين، لم يرضوا من قتلهم بدم قاتله، من أجل أنه عبد، حتى يقتلوا به سيده. وإذا قتلت المرأة من غيرهم رجلاً لم يرضوا من دم صاحبهم بالمرأة القاتلة، حتى يقتلوا رجلاً من رهط المرأة وعشيرتها. فأنزل الله هذه الآية، فأعلمهم أن الذي فرض لهم من القصاص أن يقتلوا بالرجل الرجل القاتل دون غيره، وبالأنثى الأنثى القاتلة دون غيرها من الرجال، وبالعبد العبد القاتل دون غيره من الأحرار، فنهاهم أن يتعدوا القاتل إلى غيره في القصاص.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

2558- حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد -وحدثني المثنى > 3-
< 359 قال، حدثنا الحجاج- قالا حدثنا حماد، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي
في قوله: " الحر بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى " قال، نزلت قي قبيلتين
من قبائل العرب اقتتلتا قتال عُمَيَّة، فقالوا: نقتل بعبدنا فلان ابن فلان، وبفلانة
فلان بن فلان، فأنزل الله: " الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ". (41)

2559- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " كتب
عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى " قال، كان
أهل الجاهلية فيهم بغيّ وطاعة للشيطان، فكان الحيّ إذا كان فيهم غُدة
ومَنعة، فقتل عبد قوم آخرين عبدًا لهم، قالوا: لا نقتل به إلا حرًّا! تعزُّرًا،
لفضلهم على غيرهم في أنفسهم. وإذا قُتلت لهم امرأة قتلها امرأة قوم
آخرين قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً! فأنزل الله هذه الآية يخبرهم أنّ العبد
بالعبد والأنثى بالأنثى، فنهاهم عن البغي. ثم أنزل الله تعالى ذكره في سورة
المائدة بعد ذلك فقال: **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ
وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ** [سورة المائدة:
45].

2560- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن
قتادة في قوله: " كتب عليكم القصاص في القتلى " قال، لم يكن لمن قبلنا
دبّة، إنما هو القتل، أو العفو إلى أهله. فنزلت هذه الآية في قوم كانوا أكثر
من غيرهم، فكانوا إذا قتل من الحيّ الكثير عبدًا قالوا: لا نقتل به إلا حرًّا. وإذا
قتلت منهم امرأة قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً. فأنزل الله: " الحرّ بالحرّ والعبد
بالعبد والأنثى بالأنثى ".

< 3-360 >

2561- حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال، سمعت داود،
عن عامر في هذه الآية: " كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد
بالعبد والأنثى بالأنثى " قال، إنما ذلك في قتال عُمَيَّة، (42) إذا أصيب من
هؤلاء عبدٌ ومن هؤلاء عبدٌ، تكافأ، وفي المرأتين كذلك، وفي الحرّين كذلك. هذا
معناه إن شاء الله.

2562- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد قال، دخل في قول الله تعالى ذكره: " الحرّ بالحر "، الرجل
بالمرأة، والمرأة بالرجل. وقال عطاء: ليس بينهما فضل.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في فريقين كان بينهم قتالٌ على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتل من كلا الفريقين جماعةً من الرجال

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والنساء، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم، بأن يجعل ديات النساء من كل واحد من الفريقين قصاصًا بديات النساء من الفريق الآخر، وديات الرجال بالرجال، وديات العبيد بالعبيد، فذلك معنى قوله: " كتب عليكم القصاص في القتلى "

* ذكر من قال ذلك:

2563- حدثنا موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قوله: " كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى " قال، اقتتل أهل ملتين من العرب، أحدهما مسلم والآخر معاهد، في بعض ما يكون بين العرب من الأمر، فأصلح بينهم النبي صلى الله عليه وسلم -وقد كانوا قتلوا الأحرار والعبيد والنساء- على أن يؤدِّي الحرُّ دية الحر، والعبد دية العبد، والأنثى دية الأنثى، فقاصَّهم بعضهم من بعض.

2564- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا عبد الله > 3- 361 < بن المبارك، عن سفيان، عن السدي، عن أبي مالك قال: كان بين حيين من الأنصار قتال، كان لأحدهما على الآخر الطولُ (43) فكانهم طلبوا الفضل. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم، فنزلت هذه الآية: " الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى "، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى .

2566- حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن شعبة، عن أبي بشر قال: سمعت الشعبي يقول في هذه الآية: " كتب عليكم القصاص في القتلى " قال، نزلت في قتال عُمية. قال شعبة: كأنه في صلح. قال: اصطلحوا على هذا.

2567- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة عن أبي بشر قال: سمعت الشعبي يقول في هذه الآية: " كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى " قال، نزلت في قتال عُمية ، (44) قال: كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل ذلك أمرٌ من الله تعالى ذكره بمقاصَّة دية الحرِّ ودية العبد، ودية الذكر ودية الأنثى، في قتل العمدة - إن اقتُصَّ للقتيل من القاتل، والتراجع بالفضل والزيادة بين ديتي القاتل والمقتص منه.

* ذكر من قال ذلك:

2568- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والعبدُ بالعبد والأُنثى بالأُنثى " قال، حَدَّثَنَا عن علي بن أبي طالب أنه > 3-362 < كان يقول: أيما حُرٍّ قتل عبداً فهو قَوْدٌ به، فإن شاء موالي العبد أن يقتلوا الحر قتلوه، وقاصُّوهم بثمان العبد من دية الحرِّ، وأدَّوا إلى أولياء الحرِّ بقية دية. وإن عبدٌ قتل حرّاً فهو به قَوْدٌ، فإن شاء أولياء الحرِّ قتلوا العبد وقاصُّوهم بثمان العبد، وأخذوا بقية دية الحرِّ، وإن شاءوا أخذوا الدية كلها واستحيوا العبد. وأيُّ حرٍّ قتل امرأة فهو بها قَوْدٌ، فإن شاء أولياء المرأة قتلوه وأدَّوا نصفَ الدية إلى أولياء الحرِّ. وإن امرأة قتلت حرّاً فهي به قَوْدٌ، فإن شاء أولياء الحر قتلوها وأخذوا نصف الدية، وإن شاءوا أخذوا الدية كلها واستحيوها، وإن شاءوا عفوًا.

2569- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا هشام بن عبد الملك قال، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن الحسن: أن علياً قال في رجل قتل امرأته، قال: إن شاءوا قتلوه وعَرموا نصف الدية.

2570- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى، عن سعيد، عن عوف، عن الحسن قال: لا يُقتل الرجل بالمرأة، حتى يُعطوا نصف الدية.

2571- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن الشعبي، قال، في رجل قتل امرأته عمدًا، فأتوا به علياً فقال: إن شئتم فاقتلوه، ورُدُّوا فضل دية الرجل على دية المرأة.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في حال ما نزلت، والقوم لا يقتلون الرجل بالمرأة، ولكنهم كانوا يقتلون الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، حتى سَوَّى الله بين حكم جميعهم بقوله: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ [سورة المائدة: 45]، فجعل جميعهم قَوْدَ بعضهم ببعض.

* ذكر من قال ذلك:

2572- حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: " والأُنثى بالأُنثى " ، > 3-363 < وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة، ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، فأنزل الله تعالى: النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ، فجعل الأحرار في القصاص سَوَاءً فيما بينهم، في العمد رجالهم ونسأؤهم، في النفس وما دون النفس. وجعل العبيد مستويين فيما بينهم في العمد، في النفس وما دون النفس، رجالهم ونسأؤهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: (45) فإذا كان مُخْتَلَفًا الاختلافُ الذي وصفتُ، فيما نزلت فيه هذه الآية، فالواجب علينا استعمالها، فيما دلت عليه من الحُكم، بالخبر القاطع العَدْر. وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقل العام: أن نفس الرجل الحر قَوْدٌ قِصَاصًا بنفس المرأة الحرة. فإذا كان ذلك كذلك، وكانت الأمة مختلفة في التراجع بفضل ما بين دية الرجل والمرأة - على ما قد بيّنا من قول عليّ وغيره - كان واضحًا (46) فسادُ قول من قال بالقصاص في ذلك. والتراجع بفضل ما بين الديتين، بإجماع جميع أهل الإسلام: على أن حرامًا على الرجل أن يتلف من جسده عضوًا بعوض يأخذه على إتلافه، فدع جميعه = وعلى أن حرامًا على غيره إتلاف شيء منه - مثل الذي حُرِّم من ذلك - بعوض يُعطيه عليه. (47) فالواجب أن تكون نفس الرجل الحر بنفس المرأة الحرة قَوْدًا.

وإذا كان ذلك كذلك، كان بيّنًا بذلك أنه لم يرد بقوله تعالى ذكره: "الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى" أن لا يقاد العبد بالحر، وأن لا تُقتل الأنثى بالذكر ولا الذكر بالأنثى. وإذا كان ذلك كذلك، كان بيّنًا أن الآية معنيٌّ بها أحد المعنيين الآخرين. إمّا قولنا: من أن لا يُتعدَّى بالقصاص إلى غير القاتل والجاني، فيؤخذ بالأنثى الذكر وبالعبد الحر. وإمّا القول الآخر: وهو أن تكون > 364-3 < الآية نزلت في قوم بأعيانهم خاصة أمير النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل ديات قتلهم قِصَاصًا بعضها من بعض، كما قاله السدي ومن ذكرنا قوله.

وقد أجمع الجميع - لا خلاف بينهم - على أن المقاصّة في الحقوق غير واجبة، وأجمعوا على أن الله لم يقض في ذلك قضاء ثم نسخه. وإذا كان كذلك، وكان قوله تعالى ذكره: "كتب عليكم القصاص" ينبي عن أنه قرض، كان معلومًا أن القول خلاف ما قاله قائل هذه المقالة. لأن ما كان فرضًا على أهل الحقوق أن يفعلوه، فلا خيار لهم فيه. والجميع مجمعون على أن لأهل الحقوق الخيار في مقاصّتهم حقوقهم بعضها من بعض. فإذا تبيّن فساد هذا الوجه الذي ذكرنا، فالصحيح من القول في ذلك هو ما قلنا.

فإن قال قائل: = إذ ذكرت أن معنى قوله: "كتب عليكم القصاص" - بمعنى: قرض عليكم القصاص = لا يعرف (48) لقول القائل: "كتب" معني إلا معنى: خط ذلك، فرسم خطأ وكتابتًا، فما برهانك على أن معنى قوله: "كتب" قرض؟

قيل: إن ذلك في كلام العرب موجود، وفي أشعارهم مستفيض، ومنه قول الشاعر: (49)

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا

وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جُرُّ الدُّيُولِ (50)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-365 >

وقولُ تَابِغَةَ بنِي جَعْدَةَ:

يَا بِنْتَ عَمِّي، كِتَابُ اللَّهِ أَحْرَجَنِي

عَنكُمْ، فَهَلْ أَمْتَعَنَّ اللَّهَ مَا فَعَلْنَا! (51)

وذلك أكثر في أشعارهم وكلامهم من أن يحصى. غير أن ذلك، وإن كان بمعنى: فُرض، فإنه عندي مأخوذ من "الكتاب" الذي هو رسمٌ وخط. وذلك أن الله تعالى ذكره قد كتب جميع ما فرض على عباده وما هم عاملوه في اللوح المحفوظ، فقال تعالى ذكره في القرآن: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِيهِ لَوْحٌ مَّخْفُوظٌ [سورة البروج: 21-22] وقال: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ [سورة الواقعة: 77-78]. فقد تبين بذلك أن كل ما فرضه علينا، ففي اللوح المحفوظ مكتوبٌ.

فمعنى قوله: -إذ كان ذلك كذلك- "كُتِبَ عليكم القصاص"، كتب عليكم في اللوح المحفوظ القصاصُ في القتلى، قَرَضًا، أن لا تقتلوا بالمقتول غير قاتله.

وأما "القصاص" فإنه من قول القائل: "قاصصتُ فلانًا حَقِّي قَبْلَهُ من حَقِّهِ قَبْلِي، قِصَاصًا وَمُقَاصَّةً". فقتل القاتل بالذي قتله "قصاص"، لأنه مفعول به مثل الذي فعل بمن قتله، وإن كان أحد الفعلين عُدْوَانًا وَالْآخِرَ حَقًّا. فهما وإن اختلفا من هذا الوجه، فهما متفقان في أن كل واحد قد فعل بصاحبه مثل > 366-3 < الذي فعل صاحبه به. وجعل فعل وَلِيِّ الْقَتِيلِ الْأَوَّلِ إذا قتل قاتل وليه - قِصَاصًا، إذ كان بسبب قتله استحق قتل من قتله، فكان وليه المقتول هو الذي وَلِيَ قَتْلَ قَاتِلِهِ، فاقتص منه.

وأما "القتلى" فإنها جمع "قتيل" كما "الصرعى" جمع "صرع"، والجرحى جمع "جريح". وإنما يجمع "الفعل" على "الفعل" إذا كان صفة للموصوف به، بمعنى الزمانة والضرر الذي لا يقدر معه صاحبه على البراح من موضعه ومصرعه، (52) نحو القتلى في معاركهم، والصرعى في مواضعهم، والجرحى، وما أشبه ذلك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فتأويل الكلام إِدًّا: فُرِضَ عليكم، أيها المؤمنون، القصاصُ في القتلى: أن يُقتصَ
الحر بالحرِّ، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى. ثم ترك ذكر " أن يقتص " اكتفاءً
بدلالة قوله: " كُتِبَ عليكم القصاص " = عليه.

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: تأويله: فمن تُرك له من القتل ظلمًا، من الواجب كان لأخيه
عليه من القصاص -وهو الشيء الذي قال الله: " فمن عَفِيَ له من أخيه
شيء -" فاتَّبِعْ من العافي للقاتل بالواجب له قبله من الدية، وأداءً من
المعفو عنه ذلك إليه بإحسان.

* ذكر من قال ذلك:

< 3-367 >

2573- حدثنا أبو كريب وأحمد بن حماد الدولابي قالا حدثنا سفيان بن عيينة،
عن عمرو، عن مجاهد، عن ابن عباس: " فمن عَفِيَ له من أخيه شيء "،
فالعفو: أن يقبل الدية في العمد. واتباع بالمعروف: أن يطلب هذا بمعروف،
ويؤدِّي هذا بإحسان.

2574- حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد بن سلمة
قال، حدثنا عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس أنه قال في
قوله: " فمن عَفِيَ له من أخيه شيء فاتَّبِعْ بالمعروف وأداءً إليه بإحسان "،
فقال: هو العمد، يرضى أهله بالدية، واتباع بالمعروف: أمر به الطالب = وأداء
إليه بإحسان من المطلوب.

2575- حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال، حدثنا أبي -وحدثني
المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر- قالا جميعًا، أخبرنا ابن المبارك، عن محمد
بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن مجاهد، عن ابن عباس قال، الذي يقبل
الدية، ذلك منه عفوً واتباعً بالمعروف، ويؤدِّي إليه الذي عَفِيَ له من أخيه
بإحسان. (53)

2576- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني
أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " فمن عَفِيَ له من أخيه شيء فاتَّبِعْ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بالمعروف وأداءً إليه بإحسان "، وهي الدية: أن يحسن الطالبُ الطلبَ = وأداءً إليه بإحسان: وهو أن يحسن المطلوبُ الأداءً.

2577- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف > 368-3 < وأداءً إليه بإحسان "، والعَفْوُ: الذي يعفو عن الدم ويأخذ الدية.

2578- حدثنا سفيان قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فمن عُفي له من أخيه شيء " قال، الدية.

2579- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن يزيد، عن إبراهيم، عن الحسن: " وأداءً إليه بإحسان " قال، على هذا الطالب أن يطلبَ بالمعروف، وعلى هذا المطلوب أن يؤدي بإحسان.

2580- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف "، والعَفْوُ: الذي يعفو عن الدم، ويأخذ الدية.

2581- حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا حماد، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي في قوله: " فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداءً إليه بإحسان " قال، هو العمدة، يرضى أهله بالدية.

2582- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن داود، عن الشعبي مثله.

2583- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداءً إليه بإحسان "، يقول: قُتل عمدًا فعُفي عنه، وقبلت منه الدية. يقول: " فاتباع بالمعروف "، فأمر المتبع أن يتبع بالمعروف، وأمر المؤدّي أن يؤدي بإحسان، والعمد قَوْدٌ إليه قصاص، لا عقْل فيه، (54) إلا أن يرضوا بالدية. فإن رضوا بالدية، فمئة خَلِقة. (55) فإن قالوا: لا نرضى إلا بكذا وكذا. فذاك لهم.

> 3-369 <

2584- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " فاتباع بالمعروف وأداءً إليه بإحسان " قال، يتبع به الطالبُ بالمعروف، ويؤدي المطلوب بإحسان.

2585- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: " فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداءً إليه بإحسان "، يقول: فمن قتل عمدًا فعُفي عنه، وأخذت منه الدية، يقول: " فاتباع بالمعروف

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

"، أمر صاحبُ الدية التي يأخذها أن يتبع بالمعروف، وأمر المؤدّي أن يؤدي بإحسان.

2586- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: قوله: " فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان " قال، ذلك إذا أخذ الدية، فهو عفو.

2587- حدثنا الحسن قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، أخبرني القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد قال: إذا قبل الدية فقد عفا عن القصاص، فذلك قوله: " فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان "، قال ابن جريج: وأخبرني الأعرج، عن مجاهد مثل ذلك، وزاد فيه: - فإذا قبل الدية فإن عليه أن يتبع بالمعروف، وعلى الذي عُفي عنه أن يؤدي بإحسان.

2588- حدثنا المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا أبو عقيل قال، قال الحسن: أخذ الدية عفو حسن.

2589- حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: " وأداء إليه بإحسان " قال، أنت أيها المعفو عنه.

2590- حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع > 370-3 < بالمعروف وأداء إليه بإحسان "، وهو الدية، أن يحسن الطالب = وأداء إليه بإحسان: هو أن يُحسن المطلوب الأداء.

وقال آخرون معنى قوله: " فمن عُفي "، فمن قَصَلَ له فضل، وبقِيَتْ له بقية. وقالوا: معنى قوله: " من أخيه شيء "، من دية أخيه شيء، أو من أُرْش جراحته، (56) فاتباع منه القاتل أو الجارح الذي بقي ذلك قبله - بمعروف، وأداء = من القاتل أو الجارح = إليه ما بقي قبله له من ذلك بإحسان.

وهذا قول من زعم أن الآية نزلت - أعني قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى - في الذين تحاربوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم، فيقاصَّ ديات بعضهم من بعض، ويُردَّ بعضُهم على بعض بفضل إن بقي لهم قبل الآخرين. وأحسب أن قائلِي هذا القول وَجَّهوا تأويل " العفو " - في هذا الموضوع - إلى: الكثرة من قول الله تعالى ذكره: حَتَّى عَفَّوْا [سورة الأعراف: 95]. فكان معنى الكلام عندهم: فمن كثر له قبل أخيه القاتل.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2591- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "فمن عُفي له من أخيه شيء"، يقول: بقي له من دية أخيه شيء أو من أرش جراحته، فليتبع بمعروف، وليؤدَّ الآخرُ إليه بإحسان.

والواجب على تأويل القول الذي روينا عن علي والحسن - في قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ أنه بمعنى: مُقَاصَّة دية النفس الذَّكَر من دية نفس الأنثى، والعبد من الحر، والتراجع بفضل ما بين ديتي أنفسهما - أن يكون معنى قوله: < 371-3 > "فمن عُفي له من أخيه شيء"، فمن عُفي له من الواجب لأخيه عليه - من قصاص دية أحدهما بدية نفس الآخر، إلى الرضى بدية نفس المقتول، فاتباع من الوليِّ بالمعروف، وأداء من القاتل إليه ذلك بإحسان.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال عندي بالصواب في قوله: "فمن عُفي له من أخيه شيء": فمن صُفح له - من الواجب كان لأخيه عليه من القود - عن شيء من الواجب، على دية يأخذها منه، فاتباعٌ بالمعروف = من العافي عن الدم، الراضي بالدية من دم وليه = وأداء إليه - من القاتل - ذلك بإحسان. لما قد بينا من العلل فيما مضى قبل: من أن معنى قول الله تعالى ذكره: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ، إنما هو القصاص من النفوس القاتلة أو الجارحة أو الشاجة عمدًا. كذلك "العفو" أيضًا عن ذلك.

وأما معنى قوله: "فاتباع بالمعروف"، فإنه يعني: فاتباع على ما أوجبه الله له من الحقِّ قبل قاتل وليه، من غير أن يزداد عليه ما ليس له عليه - في أسنان الفرائض أو غير ذلك (57) - أو يكلفه ما لم يوجبه الله له عليه، كما:-

2592- حدثني بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: بلغنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من زاد أو ازداد بعيرًا" - يعني في إبل الديات وفرائضها - فمن أمر الجاهلية. (58)

وأما إحسان الآخر في الأداء، فهو أداء ما لزمه بقتله لولي القتل، على < 372 > ما ألزمه الله وأوجبه عليه، من غير أن يبخره حَقًّا له قبله بسبب ذلك، أو يحوجه إلى اقتضاءٍ ومطالبة.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: "فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان"، ولم يقل فاتباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان، كما قال: فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَصَرَبَ الرَّقَابِ [سورة محمد: 4]؟ قيل: لو كان التنزيل جاء بالنصب، وكان: فاتباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان- كان جائزًا في العربية صحيحًا، على وجه الأمر، كما يقال: "ضربًا صَرَبًا = وإذا لقيت فلائًا فتبجيلا وتعظيمًا"، غير أنه جاء رفعًا، وهو أفصح في كلام العرب من نصبه. وكذلك ذلك في كل ما كان نظيرًا له، مما يكون فرضًا عامًا - فيمن قد فعل، وفيمن لم يفعل إذا فعل- لا ندبًا وحثًا. ورفع على معنى: فمن عفي له من أخيه شيء، فالأمر فيه: اتباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان، أو فالقضاء والحكم فيه: اتباعًا بالمعروف.

وقد قال بعض أهل العربية: رفع ذلك على معنى: فمن عفي له من أخيه شيء، فعليه اتباعًا بالمعروف. وهذا مذهب، والأول الذي قلناه هو وجه الكلام. وكذلك كل ما كان من نظائر ذلك في القرآن، فإن رفعه على الوجه الذي قلناه. وذلك مثل قوله: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ [سورة المائدة: 95]، وقوله: فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ [سورة البقرة: 229]. وأما قوله: فَصَرَبَ الرَّقَابِ ، فإن الصواب فيه النصب، وهو وجه الكلام، لأنه على وجه الحث من الله تعالى ذكره عباده على القتل عند لقاء العدو، كما يقال: "إذا لقيتم العدو فتكبيرًا وتهليلًا"، على وجه الحث على التكبير، لا على وجه الإيجاب والإلزام. (59)

< 3-373 >

القول في تأويل قوله تعالى : ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " ذلك "، هذا (60) الذي حكمت به وسنته لكم، من إباحتي لكم -أيها الأمة- العفو عن القصاص من قاتل قتيلكم، على دية تأخذونها فتملكونها ملككم سائر أموالكم التي كنت منعتها من قبلكم من الأمم السالفة = " تخفيف من ربكم "، يقول: تخفيف مني لكم مما كنت تطلبه على غيركم، بتحريم ذلك عليهم = " ورحمة "، مني لكم. كما:-

2593- حدثنا أبو كريب وأحمد بن حماد الدولابي قالا حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فقال الله في هذه الآية: كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ إِلَى قَوْلِهِ: فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ، فالعفو: أن يقبل الدية في العمد = " ذلك تخفيف من ربكم ". يقول: خفف عنكم ما كان على من كان قبلكم: أن يطلب هذا بمعروف، ويؤدي هذا بإحسان. (61)

< 3-374 >

2594- حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال، حدثنا أبي قال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كان من قبلكم يقتلون القاتل بالقتيل، لا تقبل منهم الدية، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يَا حُرِّ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، " ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ "، يَقُولُ: خَفَّفَ عَنْكُمْ، وَكَانَ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّ الدِّيَةَ لَمْ تَكُنْ تَقْبَلُ، فَالَّذِي يَقْبَلُ الدِّيَةَ ذَلِكَ مِنْهُ عَفْوٌ.

2595- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد بن سلمة قال، أخبرنا عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس: " ذلك تخفيف من ربكم ورحمة " - مما كان على بني إسرائيل، يعني: من تحريم الدية عليهم.

2596- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كان على بني إسرائيل قصاص في القتل، ليس بينهم دية في نفس ولا جرح، وذلك قول الله: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ الْآيَةَ كُلِّهَا [سورة المائدة: 45]، وخفف الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقبل منهم الدية في النفس وفي الجراحة، وذلك قوله تعالى: " ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ " بينكم.

2597- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ "، وإنما هي رحمة رَحِمَ اللَّهُ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ، أَطْعَمَهُمُ الدِّيَةَ، وَأَحْلَاهَا لَهُمْ، وَلَمْ تَحُلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُمْ. فَكَانَ أَهْلُ التَّوْرَةِ إِنَّمَا هُوَ الْقَصَاصُ أَوْ الْعَفْوُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا أَرْشٌ، وَكَانَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ إِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ، أَمَرُوا بِهِ. فَجَعَلَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَوْدَ وَالْعَفْوَ وَالدِّيَةَ إِنْ شَاءُوا، أَحْلَاهَا لَهُمْ، وَلَمْ تَكُنْ لِأُمَّةٍ قَبْلَهُمْ.

2598- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن > 3-375 < أبيه، عن الربيع بمثله سواء، غير أنه قال: ليس بينهما شيء.

2599- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ قَالَ، لَمْ يَكُنْ لِمَنْ قُتِلْنَا دِيَةٌ، إِنَّمَا هُوَ الْقَتْلُ أَوْ الْعَفْوُ إِلَى أَهْلِهِ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ.

2600- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، وأخبرني عمرو بن دينار، عن ابن عباس قال: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا كَتَبُوا عَلَيْهِمُ الْقِصَاصَ، وَخَفَّفَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَتَلَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: " ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ".

وأما على قول من قال: القصاص في هذه الآية معناه: قصاصُ الديات بعضها من بعض، على ما قاله السدي، فإنه ينبغي أن يكون تأويله: هذا الذي فعلتُ بكم أيها المؤمنون = من قصاص ديات قتل بعضكم بديات بعض، وترك

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إيجاب القود على الباقيين منكم بقتيله الذي قتلته وأخذه بديته = تخفيفٌ منِّي عنكم ثِقْلٌ ما كان عليكم من حكمي عليكم بالقود أو الدية، ورحمة مني لكم.

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " فمن اعتدى بعد ذلك "، فمن تجاوز ما جعله الله له بعد أخذ الدية، اعتداءً وظلمًا إلى ما لم يجعل له من قتل قاتلٍ وليه وسفك دمه، فله بفعله ذلك وتعدّيه إلى ما قد حرّمته عليه، عذابٌ أليم.

< 3-376 >

وقد بينت معنى " الاعتداء " فيما مضى بما أغنى عن إعادته. (62) وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2601- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فمن اعتدى بعد ذلك "، فقتل، " فله عذابٌ أليم ".

2602- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فمن اعتدى "، بعد أخذ الدية، " فله عذابٌ أليم ".

2603- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: " فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم "، يقول: فمن اعتدى بعد أخذه الدية فقتل، فله عذابٌ أليم. قال: ودُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: لا أعافي رجلاً قتل بعد أخذه الدية. (63)

< 3-377 >

2604- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " فمن اعتدى بعد ذلك " قال، هو القتل بعد أخذ الدية. يقول: من قتل بعد أن يأخذ الدية فعليه القتل، لا تُقبل منه الدية. (64)

2605- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم "، يقول: فمن اعتدى بعد أخذه الدية، فله عذابٌ أليم.

2606- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثني أبي، عن يزيد بن إبراهيم، عن الحسن قال، كان الرجل إذا قتل قتيلاً في الجاهلية فرّ إلى قومه، فيجيء

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قومه فيصلحون عنه بالدية قال، فيخرج الفأرُ وقد أمن على نفسه قال، فيُقتل ثم يُرمى إليه بالدية، فذلك " الاعتداء " .

2607- حدثني المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا أبو عقيل قال، سمعت الحسن في هذه الآية: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ قَالَ، القاتلُ إذا طلب فلم يُقدر عليه، وأخذ من أوليائه الدية، ثم أمن، فأخذ فُقِل. قال الحسن: ما أكل عُدوانٌ.

2608- حدثني المثنى قال، حدثنا مسلم قال، حدثنا القاسم قال، حدثنا هارون بن سليمان قال، قلت لعكرمة: من قتل بعد أخذه الدية؟ قال: إذا يُقتل! أما سمعت الله يقول: " فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم "؟

2609- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، > 3- 378 < عن السدي: " فمن اعتدى بعد ذلك "، بعد ما يأخذ الدية، فيقتل " فلا عذابٌ أليم " .

2610- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: " فمن اعتدى بعد ذلك "، يقول: فمن اعتدى بعد أخذه الدية، فله عذاب أليم.

2611- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم " قال، أخذ العَقْل، ثم قتل بعد أخذ العقل قاتل قتيله، فله عذاب أليم.

واختلفوا في معنى " العذاب الأليم " الذي جعله الله لمن اعتدى بعد أخذه الدية من قاتل وليه.

فقال بعضهم: ذلك " العذابُ " هو القتلُ بمن قتله بعد أخذ الدية منه، وعفوه عن القصاص منه بدم وليه.

* ذكر من قال ذلك:

2612- حدثني يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: " فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم " قال، يقتل، وهو العذاب الأليم = يقول: العذاب المُوَجع.

2613- حدثني يعقوب قال، حدثني هشيم قال، حدثنا أبو إسحاق، عن سعيد بن جبیر أنه قال ذلك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2614- حدثني المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا القاسم قال، حدثنا هارون بن سليمان، عن عكرمة: " فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم " قال، القتل.

وقال بعضهم: ذلك " العذابُ " عقوبة يعاقبه بها السلطان على قدر ما يرى من عقوبته.

< 3-379 >

* ذكر من قال ذلك:

2615- حدثني القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح، أخبرني إسماعيل بن أمية، عن الليث = غير أنه لم ينسبه، وقال: ثقة =: أن النبي صلى الله عليه وسلم أوجبَ بقسَم أو غيره أن لا يُعفي عن رجل عفا عن الدم وأخذ الدية، ثم عدا فقتل، قال ابن جريح: وأخبرني عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: في كتاب لعمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال، و " الاعتداء " الذي ذكر الله: أن الرجل يأخذ العقلَ أو يقتصُّ، أو يقضي السلطان فيما بين الجراح، ثم يعتدي بعضهم من بعد أن يستوعب حقه. فمن فعل ذلك فقد اعتدى، والحكم فيه إلى السلطان بالذي يرى فيه من العقوبة قال: ولو عفا عنه، لم يكن لأحد من طلبة الحق أن [يعفو] (65) لأن هذا من الأمر الذي أنزل الله فيه قوله: فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [سورة النساء: 59]. (66)

2616- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن يونس، > 3-380 عن الحسن: في رجل قُتل فأخذت منه الدية، ثم إن وليه قتل به القاتل. قال الحسن: تؤخذ منه الدية التي أخذ، ولا يُقتل به. (67)

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بقوله: " فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم "، تأويلٌ من قال: فمن اعتدى بعد أخذه الدية، فقتل قاتلَ وليه، فله عذاب أليم في عاجل الدنيا، وهو القتل. لأن الله تعالى جعل لكل وليٍّ قتيلاً قُتل ظلماً، سلطاناً على قاتل وليه، فقال تعالى ذكره وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ [سورة الإسراء: 33]. فإذا كان ذلك كذلك: وكان الجميع من أهل العلم مجمعين على أن من قتل قاتلَ وليه بعد عفو عنه وأخذه منه دية قتيله، أنه بقتله إياه له ظالم في قتله - كان بيتاً أن لا يولي من قتلته ظلماً كذلك، السلطانَ عليه في القصاص والعفو وأخذ الدية، أي ذلك شاء. (68) وإذا كان ذلك كذلك، كان معلوماً أن ذلك عذابه، لأن من أقيم عليه حده في الدنيا، كان ذلك عقوبته من ذنبه، ولم يكن به متبعاً

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

في الآخرة، على ما قد ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(69)

< 3-381 >

وأما ما قاله ابن جريج: من أن حكم من قتل قاتل وليه بعد عفوه عنه، وأخذه دية وليه المقتول - إلى الإمام دون أولياء المقتول، فقولٌ خلافٌ لما دلَّ عليه ظاهرُ كتاب الله، وأجمع عليه علماء الأمة. وذلك أن الله جعل لولي كلِّ مقتول ظلمًا السلطانَ دون غيره، من غير أن يخصَّ من ذلك قتيلاً دون قتيلاً. فسواءً كان ذلك قتيلاً وليٍّ من قتله أو غيره. ومن خصَّ من ذلك شيئاً سئل البرهان عليه من أصل أو نظير، وعكس عليه القول فيه، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله. ثم في إجماع الحجة على خلاف ما قاله في ذلك، مكتفى في الاستشهاد على فساده بغيره.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب "، ولكم يا أولي العقول، فيما فرضت عليكم وأوجبتم لبعضكم على بعض، من القصاص في النفوس والجراح والشجاج، ما منع به بعضكم من قتل بعض، وقدَّع بعضكم عن بعض، فحييتم بذلك، فكان لكم في حكمي بينكم بذلك حياة. (70)

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك.

فقال بعضهم في ذلك نحو الذي قلنا فيه.

* ذكر من قال ذلك:

< 3-382 >

2617- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب " قال، نكال، تناه.

2618- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبي زائدة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " ولكم في القصاص حياة " قال، نكال، تناه.

2619- حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2620- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة: " ولكم في القصاص حياة "، جعل الله هذا القصاص حياة، ونكالا وعظةً لأهل السفه والجهل من الناس. وكم من رجل قد همّ بداهية، لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حَجَزَ بالقصاص بعضهم عن بعض؛ وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله عن أمر قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين، والله أعلم بالذي يُصلح خَلقه.

2621- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب " قال، قد جعل الله في القصاص حياة، إذا ذكره الظالم المتعدي كفَّ عن القتل.

2622- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " ولكم في القصاص حياة " الآية، يقول: جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لكم. كم من رجل قد همّ بداهية فمنعه مخافة القصاص أن يقع بها! وإن الله قد حَجَزَ عباده بعضهم عن بعض بالقصاص.

2623- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: " ولكم في القصاص حياة " قال، نكال، تناه. قال ابن جريج: حَيَاةٌ. مَنَعَةٌ.

< 3-383 >

2624- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " ولكم في القصاص حياة " قال، حَيَاةٌ، بقية. (71) إذا خاف هذا أن يُقتل بي كفَّ عني، لعله يكون عدوًّا لي يريد قتلي، فيذكر أن يُقتل في القصاص، فيخشى أن يقتل بي، فيكفَّ بالقصاص الذي خاف أن يقتل، لولا ذلك قتل هذا.

2625- حدثت عن يعلى بن عبيد قال، حدثنا إسماعيل، عن أبي صالح في قوله: " ولكم في القصاص حياة " قال، بقاء.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولكم في القصاص من القاتل بقاء لغيره، لأنه لا يقتل بالمقتول غير قاتله في حكم الله. وكانوا في الجاهلية يقتلون بالأشئ الذكور، وبالعبد الحرّ.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2626- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "ولكم في القصاص حياة"، يقول: بقاء، لا يقتل إلا القاتل بجنايته.

وأما تأويل قوله: "يا أولي الأبواب"، فإنه: يا أولي العقول. "والأبواب" جمع "اللب"، و"اللب" العقل.

وخص الله تعالى ذكره بالخطاب أهل العقول، لأنهم هم الذين يعقلون عن الله أمره ونهيه، ويتدبرون آياته وحججه دون غيرهم.

< 3-384 >

القول في تأويل قوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)

قال أبو جعفر: وتأويل قوله: "لعلكم تتقون"، أي تتقون القصاص، فنتهون عن القتل، كما:-

269- حدثني به يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: "لعلكم تتقون" قال، لعلك تتقي أن تقتله، فنقتل به.

القول في تأويل قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180)

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: "كُتِبَ عَلَيْكُم"، فُرض عليكم، أيها المؤمنون، الوصية = إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً - والخير: المال = للوالدين والأقربين الذين لا يرثونه، بالمعروف: وهو ما أذن الله فيه وأجازه في الوصية مما لم يجاوز الثلث، ولم يتعمد الموصي ظلم ورثته = حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ = يعني بذلك: فرض عليكم هذا وأوجهه، وجعله حَقًّا واجبًا على من اتقى الله فأطاعه أن يعمل به.

فإن قال قائل: أوفرض على الرجل ذي المال أن يوصي لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيل: نعم.

< 3-385 >

فإن قال: فإن هو فَرَطَ في ذلك فلم يوص لهم، أَيْكون مَضِيْعًا فَرَضًا يَخْرَجُ بتضييعه؟

قيل : نعم.

فإن قال: وما الدلالة على ذلك؟

قيل: قول الله تعالى ذكره: " كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ "، فأعلم أنه قد كتبه علينا وفرضه، كما قال: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ [سورة البقرة: 183]، ولا خلاف بين الجميع أن تارك الصيام وهو عليه قادر، مضيع بتركه فرضًا لله عليه. فكذلك هو بترك الوصية لوالديه وأقربيه وله ما يوصي لهم فيه، مُضِيْعٌ قَرَضَ الله عز وجل.

فإن قال: فإنك قد علمت أن جماعة من أهل العلم قالوا: الوصية للوالدين والأقربين منسوخة بآية الميراث؟

قيل له: وخالفهم جماعة غيرهم فقالوا: هي محكمة غير منسوخة. وإذا كان في نسخ ذلك تنازع بين أهل العلم، لم يكن لنا القضاء عليه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها، إذ كان غير مستحيل اجتماع حكم هذه الآية وحكم آية الموارد في حال واحدة على صحة، بغير مدافعة حكم إحداهما حكم الأخرى - وكان الناسخ والمنسوخ هما المعنيان اللذان لا يجوز اجتماع حكمهما على صحة في حالة واحدة، لنفي أحدهما صاحبه.

وبما قلنا في ذلك قال جماعة من المتقدمين والمتأخرين.

* ذكر من قال ذلك:

2628- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، عن جوير، عن الضحاك أنه كان يقول: من مات ولم يوص لذوي قرابته. فقد ختم عمله بمعصية.

2629- حدثني سلم بن جنادة. (72) قال، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، > 3-386 < عن مسلم، عن مسروق: أنه حضر رجلاً فوصى بأشياء لا تنبغي، فقال له مسروق: إن الله قد قسم بينكم فأحسن القسم، وإنه من يرغب برأيه عن رأي الله يضلّه، أوصي لذي قرابتك ممن لا يرثك، ثم دع المال على ما قسمه الله عليه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2630- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا أبو تميلة يحيى بن واضح قال، حدثنا عبيد، عن الضحاك قال: لا تجوز وصية لوارث، ولا يُوصى إلا لذي قرابة، فإن أوصى لغير ذي قرابة فقد عمل بمعصية؛ إلا أن لا يكون قرابة، فيوصى لفقراء المسلمين.

2631- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة قال: العجبُ لأبي العالية أعتقته امرأة من بني رباح وأوصى بماله لبني هاشم!

2632- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن رجل، عن الشعبي قال: لم يكن له [مَوَالٍ]، ولا كرامة. (73)

2633- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا > 3-387 < أيوب، عن محمد قال: قال عبد الله بن معمر في الوصية: من سَمَّى، جعلناها حيث سَمَّى - ومن قال: حيث أمر الله، جعلناها في قرابته.

2634- حدثني محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال، حدثنا المعتمر قال، حدثنا عمران بن حدير (74) قال: قلت لأبي مجلز: الوصية على كل مسلم واجبة؟ قال: على من ترك خيرًا.

2635- حدثنا سوار بن عبد الله قال، حدثنا عبد الملك بن الصباح قال، حدثنا عمران بن حدير (75) قال: قلت للاحق بن حُميد: الوصية حق على كل مسلم؟ قال: هي حق على من ترك خيرًا.

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية.

فقال بعضهم: لم ينسخ الله شيئًا من حكمها، وإنما هي آية ظاهرها ظاهر عموم في كل والد ووالدة والقريب، والمرادُ بها في الحكم البعض منهم دون الجميع، وهو من لا يرث منهم الميت دون من يرث. وذلك قول من ذكرت قوله، وقول جماعة آخرين غيرهم معهم.

ذكر قول من لم يُدكر قوله منهم في ذلك:

2636- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثني أبي، عن قتادة، عن جابر بن زيد: في رجل أوصى لغير ذي قرابة وله قرابة محتاجون، قال: يُرَدُّ ثلثا الثلث عليهم، وثلث الثلث لمن أوصى له به.

2637- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ قال، حدثنا أبي، عن قتادة، عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى أنهم قالوا - في الرجل يُوصى

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

لغير ذي < 388-3 > قرابته وله قرابة ممن لا يرثه قال، كانوا يجعلون ثلثي الثلث لذوي القرابة، وثلث الثلث لمن أوصى له به.

2638- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حميد، عن الحسن أنه كان يقول: إذا أوصى الرجل لغير ذي قرابته بثلثه فلهم ثلث الثلث، وثلثا الثلث لقرابته.

2639- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: من أوصى لقوم وسماهم، وترك ذوي قرابته محتاجين، انزعجت منهم وُرِدَّتْ إلى ذوي قرابته.

وقال آخرون: بل هي آية قد كان الحكم بها واجبًا وعُمل به بُرْهَةً، ثم نَسَخَ الله منها بآية المواريث الوصية لوالدي الموصي وأقربائه الذين يرثونه، وأقرَّ فرض الوصية لمن كان منهم لا يرثه.

* ذكر من قال ذلك:

2640- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله: " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين "، فجعلت الوصية للوالدين والأقربين، ثم نُسخ ذلك بعد ذلك، فجعل لهما نصيبٌ مفروضٌ، فصارت الوصية لذوي القرابة الذين لا يرثون، وجعل للوالدين نصيبٌ معلوم، ولا تجوز وصية لوارث.

2641- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " إذ ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين " قال، نسخ الوالدان منها، وترك الأقربون ممن لا يرث.

2642- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، عن ابن عباس قوله: " إن ترك خيرًا الوصية للوالدين < 389-3 > والأقربين " قال، نسخ من يرث، ولم ينسخ الأقربين الذين لا يرثون.

2643- حدثنا يحيى بن نصر قال، حدثنا يحيى بن حسان قال، حدثنا سفيان، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: كانت الوصية قبل الميراث للوالدين والأقربين، فلما نزل الميراث، نسخ الميراث من يرث، وبقي من لا يرث. فمن أوصى لذوي قرابته لم تجز وصيته. (76).

2644- حدثني المثنى قال، حدثنا سُويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن إسماعيل المكي، عن الحسن في قوله: " إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين " قال، نسخ الوالدين وأثبت الأقربين الذين يُحَرِّمون فلا يرثون.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2645- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن في هذه الآية: " الوصية للوالدين والأقربين " قال، للوالدين منسوخة، والوصية للقراة وإن كانوا أغنياء.

2646- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: " إن تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين "، فكان لا يرث مع الوالدين غيرهم، إلا وصية إن كانت للأقربين، < 390-3 > فإنزل الله بعد هذا: وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ [سورة النساء: 11]، فبين الله سبحانه ميراث الوالدين، وأقرَّ وصية الأقربين في ثلث مال الميت.

2647- حدثني علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: " إن تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين "، فنسخ من الوصية الوالدين، وأثبت الوصية للأقربين الذين لا يرثون.

2648- حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف " قال، كان هذا من قبل أن تُنزل " سورة النساء "، فلما نزلت آية الميراث نَسَخَ شَأْنَ الْوَالِدَيْنِ، فألحقهما بأهل الميراث، وصارت الوصية لأهل القراة الذين لا يرثون.

2649- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد بن سلمة قال، أخبرنا عطاء بن أبي ميمونة قال: سألت مسلم بن يسار، والعلاء بن زياد عن قول الله تبارك وتعالى: " إن ترك خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين "، قالا في القراة.

2650- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن إياس بن معاوية قال: في القراة.

وقال آخرون: بل نَسَخَ اللهُ ذلك كله وفرضَ الفرائضَ والموارث، فلا وصية تجب لأحد على أحد قريبٍ ولا بعيدٍ.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2651- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: > 3-
391 < " إن تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين " الآية، قال: فنسخ الله ذلك
كله وفرضَ الفرائض.

2652- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن يونس، عن ابن
سيرين، عن ابن عباس: أنه قام فخطب الناس هاهنا، فقرأ عليهم " سورة
البقرة " ليعين لهم منها، فأتى على هذه الآية: " إن ترك خيراً الوصية للوالدين
والأقربين " قال، نُسخت هذه.

2653- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني
أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين
"، نسخت الفرائض التي للوالدين والأقربين الوصية.

2654- حدثني محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا
سفيان، عن جهضم، عن عبد الله بن بدر قال، سمعت ابن عمر يقول في
قوله: " إن تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والأقربين " قال، نسختها آية الميراث.
قال ابن بشار: قال عبد الرحمن: فسألت جهضمًا عنه فلم يحفظه.

2655- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين بن
واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن البصري قالا " إن تَرَكَ خَيْرًا
الوصية للوالدين والأقربين "، فكانت الوصية كذلك حتى نسختها آية الميراث.

2656- حدثني أحمد بن المقدم قال، حدثنا المعتمر قال، سمعت أبي قال،
زعم قتادة، عن شريح في هذه الآية: " إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين
" قال، كان الرجل يُوصي بماله كله، حتى نزلت آية الميراث.

2657- حدثنا أحمد بن المقدم قال، حدثنا المعتمر قال، سمعت أبي قال،
زعم قتادة: أنه نسخَ آيتنا الموارث في " سورة النساء "، الآية في " سورة
البقرة " في شأن الوصية.

2658- حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، > 3-
392 < عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: " إن تَرَكَ خَيْرًا الوصية
للوالدين والأقربين " قال، كان الميراث للولد، والوصية للوالدين والأقربين، وهي
منسوخة.

2659- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد قال: كان الميراث للولد، والوصية للوالدين والأقربين، وهي
منسوخة، نسختها آية في " سورة النساء ": " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ [سورة
النساء: 11]

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2660- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ "، أما الوالدان والأقربون، فيوم نزلت هذه الآية كان الناس ليس لهم ميراث معلوم، إنما يُوصِي الرَّجُلُ لَوَالِدِهِ وَأَهْلِهِ فَيَقْسَمُ بَيْنَهُمْ، حَتَّى نَسَخْتَهَا " النساء "، فقال: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ .

2661- حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا أيوب، عن نافع: أن ابن عمر لم يُوص، وقال: أمّا مالي، فالله أعلم ما كنت أصنع فيه في الحياة، وأمّا رباعي فما أحب أن يَشْرَكَ ولدي فيها أحد.

2662- حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال، حدثنا محمد بن يوسف قال، حدثنا سفيان، عن نسير بن ذعلوق قال، قال عروة -يعني ابن ثابت- لربيع بن خُثيم: (77) أَوْصَ لِي بِمَصْحَفِكَ. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ: وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ [سورة الأنفال: 75].

2663- حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا يزيد، عن سفيان، عن الحسن بن عبد الله، عن إبراهيم قال: ذكرنا له أن زيدًا وطلحة كانا يشددان في الوصية، فقال: ما كان عليهما أن يفعلا مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يُوص، وأوصى أبو بكر، أي ذلك فعلت فحسن.

< 3-393 >

2664- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري، عن الحسن بن عبد الله، عن إبراهيم قال: ذكر عنده طلحة وزيد فذكر مثله.

وأما " الخير " الذي إذا تركه تاركٌ وجب عليه الوصية فيه لوالديه وأقربيه الذين لا يرثون، فهو: المال، كما:-

2665- حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا "، يعني مالا.

2666- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا "، مالا.

2667- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة (78) قال، حدثنا شبل، عن أبي نجيح، عن مجاهد: " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا "، كان يقول: الخير في القرآن كله: المال، لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدُ [سورة العاديات: 8]، الخير: المال - إني أحببتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي [سورة ص: 32]، المال - فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا [سورة النور: 33]، المال = و (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ)، المال.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2668- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " إن ترك خيرًا الوصية "، أي: مالا. (79)

2669- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا > 3-394 أسباط عن السدي: " إن ترك خيرًا الوصية "، أما " خيرًا "، فالمال.

2670- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " إن ترك خيرًا " قال، إن ترك مالا.

2671- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، عن ابن عباس قوله: " إن ترك خيرًا " قال، الخير المال.

2672- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن الحسن بن يحيى، عن الضحاك في قوله: " إن ترك خيرًا الوصية " قال، المال. ألا ترى أنه يقول: قال شعيب لقومه: إني أراكم بخيرٍ [سورة هود: 84] يعني الغني.

2673- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنا محمد بن عمرو الياضي، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، تلا " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا "، قال عطاء: الخير فيما يرى المال.

ثم اختلفوا في مبلغ المال الذي إذا تركه الرجل كان ممن لزمه حكم هذه الآية.

فقال بعضهم: ذلك ألف درهم.

* ذكر من قال ذلك:

2674- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا همام بن يحيى، عن قتادة في هذه الآية: " إن ترك خيرًا الوصية " قال، الخير ألف فما فوقه.

2675- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد قال، أخبرنا هشام بن عروة، عن عروة: أن علي بن أبي طالب دخل على ابن عم له يعود، فقال: إني أريد أن أوصي. فقال علي: لا توص، فإنك لم تترك خيرًا فتوصي.

قال: وكان ترك من السبعمة إلى التسعمئة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-395 >

2676- حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني عثمان بن الحكم الحزامي (80) وابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب: أنه دخل على رجل مريض، فذكر له الوصية، فقال: لا تُوص، إنما قال الله: " إن تَرَكَ خَيْرًا "، وأنت لم تترك خيرًا. قال ابن أبي الزناد فيه: فدع مالك لبيك.

2677- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور بن صفية، عن عبد الله بن عيينة -أو: عتبة، الشك مني-: أن رجلاً أراد أن يوصي وله ولد كثير، وترك أربعمئة دينار، فقالت عائشة: ما أرى فيه فضلاً.

2678- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: دخل عليّ عليّ مولى لهم في الموت وله سبعمئة درهم، أو ستمئة درهم، فقال: ألا أوصي؟ فقال: لا! إنما قال الله: " إن ترك خيرًا "، وليس لك كثير مال.

وقال بعضهم: ذلك ما بين الخمسمئة درهم إلى الألف.

* ذكر من قال ذلك:

2679- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أبان بن إبراهيم النخعيّ في قوله: " إن ترك خيرًا " قال، ألف درهم إلى خمسمئة.

وقال بعضهم: الوصية واجبة من قليل المال وكثيره.

* ذكر من قال ذلك:

< 3-396 >

2680- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الزهري قال: جعل الله الوصية حقًا، مما قل منه أو كثر.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: " كُنْتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ " ما قال الزهري. لأن قليل المال

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكثيره يقع عليه " خيرٌ"، ولم يحدّ الله ذلك بحدّ، ولا خصّ منه شيئاً فيجوز أن يحال ظاهر إلى باطن. فكلّ من حضرته منيته وعنده مالٌ قلّ ذلك أو كثير، فواجبٌ عليه أن يوصي منه لمن لا يرثه من آباءه وأمهاته وأقربائه الذين لا يرثونه بمعروف، كما قال الله جل ذكره وأمر به.

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: فمن غير ما أوصى به الموصي -من وصيته بالمعروف لوالديه أو أقربيه الذين لا يرثونه- بعد ما سمع الوصية، فإنما إثم التبديل على من بدّل وصيته.

فإن قال لنا قائل: وعلامَ عادت " الهاء " التي في قوله: " فمن بدّله "؟

قيل: على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر. وذلك هو أمر الميت، وإيصاله إلى من أوصى إليه، بما أوصى به، لمن أوصى له.

ومعنى الكلام: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ، فأوصوا لهم، فمن بدل ما أوصيتم به لهم بعد ما سمعكم توصون لهم، فإنما إثم ما فعل من ذلك عليه دونكم.

< 3-397 >

وإنما قلنا إن " الهاء " في قوله: " فمن بدّله " عائدة على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر، لأن قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ من قول الله، وأنّ تبديل المبدّل إنما يكون لوصية الموصي. فأما أمر الله بالوصية فلا يقدر هو ولا غيره أن يبدّله، فيجوز أن تكون " الهاء " في قوله: " فمن بدّله " عائدة على " الوصية ".

وأما " الهاء " في قوله: " بعد ما سمعه "، فعائدة على " الهاء " الأولى في قوله: " فمن بدّله ".

وأما " الهاء " التي في قوله: " فإنما إثمه "، فإنها مكنية التبديل "، كأنه قال: فإنما إثم ما بدّل من ذلك على الذين يبدّلونه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* ذكر من قال ذلك:

2681- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فمن بدَّله بعد ما سمعه " قال، الوصية.

2682- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

2683- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: " فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه "، وقد وقعَ أجر الموصي على الله وبرئ من إثمه، وإن كان أوصى في صِرَارٍ لم تجز وصيته، كما قال الله: عَيَّرَ مُضَارًّا [سورة النساء: 12]

2684- حدثنا الحسين بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " فمن بدَّله بعد ما سمعه "، قال: من بدّل الوصية بعد ما سمعها، فإثم ما بدّل عليه.

< 3-398 >

2685- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه "، فمن بدّل الوصية التي أوصى بها، وكانت بمعروف، فإنما إثمها على من بدّلها. إنه قد ظلم.

2686- حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد، عن قتادة: أن عطاء بن أبي رباح قال في قوله: " فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه "، قال: يُمَصَّى كما قال.

2687- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن يزيد بن إبراهيم، عن الحسن: " فمن بدَّله بعد ما سمعه "، قال: من بدل وصية بعد ما سمعها.

2688- حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا يزيد بن إبراهيم، عن الحسن في هذه الآية: " فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه "، قال: هذا في الوصية، من بدّلها من بعد ما سمعها، فإنما إثمه على من بدّله.

2689- حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثني أبي، عن قتادة، عن عطاء وسالم بن عبد الله وسليمان بن يسار أنهم قالوا: تُمَصَّى الوصية لمن أوصى له به = إلى هاهنا انتهى حديث ابن المثنى، وزاد ابن بشار في حديثه = قال قتادة: وقال عبد الله بن معمر: أعجب إليّ لو أوصى لذوي قرابته، وما يعجبني أن أنزعه ممن أوصى له به. قال قتادة:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأعجبه إليّ لمن أوصى له به، قال الله عز وجل: " فمن بدّله بعد ما سمعه
فإنما إثمه على الذين يبدّلونه ."

< 3-399 >

القول في تأويل قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: " إن الله سميع " = لوصيتكم التي
أمرتكم أن تُوصوا بها لأبائكم وأمهاتكم وأقربائكم حين توصون بها، أتعدلون
فيها على ما أذنت لكم من فعل ذلك بالمعروف، أم تحيفون فتميلون عن
الحق وتجورون عن القصد؟ = "عليمٌ" بما تخفيه صدوركم من الميل إلى
الحق، والعدل، أم الجور والحيّف.

الهوامش:

- (1) في المطبوعة : "أبو نميلة" بالنون ، والصواب ما أثبت . وانظر الأثر رقم
2490 والتعليق عليه .
- (2) في المطبوعة : "ولكن البر كمن آمن بالله" وهو خطأ محض ، صوابه ما
أثبت .
- (3) انظر ما سلف : 2 : 61 ، 359 وهذا الجزء 3 : 334 .
- (4) سلف تخريجه في هذا الجزء 3 : 103 تعليق : 3 .
- (5) الزيادة بين القوسين لا بد منها .
- (6) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن : 65 ، وذكره الفراء في معاني
القرآن 1 : 104 .
- (7) انظر معنى "الإيتاء" فيما سلف 1 : 574/2 : 160 ، 317 .
- (8) الخبر : 2521- ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي ،
مضى في : 438 ، 2030 .

ليث : هو ابن أبي سليم ، مضى في شرح : 1497 .

زيد- بالباء الموحدة مصغراً : هو ابن الحارث بن عبد الكريم الياامي ، وهو ثقة
أثبت . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/1/411 ، وابن سعد 6 : 216 ، وابن
أبي حاتم 1/2/623 .

مرة بن شراحيل : وهو الهمداني الكوفي ، من كبار التابعين ، كما مضى
توثيقه : 168 ، وهو مترجم في التهذيب 10 : 88-89 ، والكبير 4/2/5 ، وابن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

سعد 6 : 79 ، وابن أبي حاتم 4/1/366 . و"البكيلي" - بفتح الباء الموحدة وكسر الكاف : نسبه إلى "بكيل" ، وهم بطن من همدان . انظر الاشتقاق لابن دريد ، ص : 250 ، 256 ، 312 ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ص : 372-373 . وكذلك نسب مرة إلى "بكيل" في كتاب ابن أبي حاتم ، وهو الصواب . ووقع في التهذيب بدلها "السكسكي" ؛ وهو تصحيف لا شك فيه ، فإن "السكسك" : هو ابن أشرس بن كندة . وشتان بين همدان وكندة ، إنما يجتمعان بعد بضعة جدود ، في "زيد بن كهلان بن سبأ" . انظر جمهرة الأنساب ، ص : 405 ، وما قبلها .

(9) الخبر : 2522- عبد الرحمن : هو ابن مهدي الإمام . وسفيان هو الثوري . فالطبري يرويه من طريق ابن مهدي . ومن طريق عبد الرزاق - كلاهما عن سفيان .

والخبر في تفسير عبد الرزاق ، ص : 15 ، وفيه : "وأنت صحيح شحيح" ، بزيادة "شحيح" .

(10) الخبر : 2524- شيخ الطبري "أحمد بن نعمة المصري" : لم أجد له ترجمة . أبو صالح : هو عبد الله بن صالح ، كاتب الليث . الليث : هو ابن سعد إمام أهل مصر .

إبراهيم بن أعين الشيباني البصري ، نزل مصر : ضعيف : قال البخاري : "فيه نظر في إسناده" . وقال أبو حاتم : "هذا شيخ بصري ، ضعيف الحديث ، منكر الحديث وقع إلى مصر" . مترجم في التهذيب وفرق بينه وبين "إبراهيم بن أعين" آخر ثقة . وترجم ابن أبي حاتم 1/1/87 ثلاث تراجم . والبخاري 1/1/272 ترجمة واحدة .

وهذه الأسانيد الثلاثة : 2523-2521 ، لخبر موقوف اللفظ على ابن مسعود . وهو في الحقيقة مرفوع حكماً ، إذ مثل هذا لا يعرف بالرأي . وسيأتي معناه موقوفاً عليه أيضاً : 2529 ، 2531 . وكذلك رواه الحاكم 2 : 272 ، من رواية منصور ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، موقوفاً . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي . ونسبه السيوطي 1 : 170-171 لابن المبارك ، ووكيع ، وغيرهما . ثم ذكر أنه رواه الحاكم أيضاً "عن ابن مسعود ، مرفوعاً" . وكذلك نقل ابن كثير 1 : 388 أن الحاكم رواه مرفوعاً . ولم أجده مرفوعاً في المستدرک . ثم ذكر ابن كثير الرواية الموقوفة ، وزعم أنها أصح .

وهذا المعنى ثابت أيضاً في حديث مرفوع صحيح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - وقد سئل : أي الصدقة أعظم أجراً؟ - فقال : "أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل البقاء ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، وقد كان لفلان" . رواه أحمد في المسند : 7159 ، 7401 . ورواه البخاري ومسلم وأبو داود ، كما بينا هناك .

(11) الحديث : 2526- سويد بن عمرو الكلبي : ثقة من شيوخ أحمد . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/149 ، وابن أبي حاتم 2/1/239 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أبو حمزة : هو ميمون الأعور القصاب ، وهو ضعيف جدًا . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/1/343 ، وابن أبي حاتم 236-4/1/235 .

وهذا الحديث بهذا السياق لم أجده في موضع آخر . وقد روى قريب من معناه ، بإسناد آخر أشد ضعفًا . فروى الدارقطني في سننه ، ص : 205 ، من طريق أبي بكر الهذلي ، عن شعيب بن الحباب ، عن الشعبي ، عن فاطمة بنت قيس ، قالت : "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بطوق فيه سبعون مثقالا من ذهب ، فقلت : يا رسول الله ، خذ منه الفريضة ، فأخذ منه مثقالا وثلاثة أرباع مثقال" . وقال الدارقطني : "أبو بكر الهذلي : متروك ، ولم يأت به غيره" . وقد مضى بيان ضعف الهذلي هذا : 597 .
(12) الحديث : 2527- شريك : هو ابن عبد الله بن أبي شريك ، النخعي القاضي ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/238 ، وابن أبي حاتم 367-2/1/365 .

وقوله : "عن فاطمة بنت قيس : أنها سمعت" : يعني النبي صلى الله عليه وسلم . كما هو ظاهر من سياق القول ، ومن الروايات الأخر . وسيأتي الحديث أيضًا : 2530- وتخرجه هناك ، إن شاء الله .
(13) في المطبوعة : "عارية الذلول" ، وهو خطأ . في حديث عبد الله مسعود : "كنا نعد الماعون علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : عارية الدلو والقدر" ، وفي حديث أبي هريرة أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "فما حق الإبل؟ قال : تعطى الكريمة ، وتمنح الغزيرة ، وتفقر الظهر ، وتطرق الفحل ، وتسقى اللبن" . وفي حديث عبيد بن عمير قال قال رجل : يا رسول الله ، ما حق الإبل -فذكره نحوه- زاد : "وإعارة دلوها" . (سنن أبي داود 2 : 167 ، 168 باب حقوق المال) .

وطرق الفحل الناقة يطرقها طرْقًا وطروقًا : قعا عليها وضربها . وإطراق الفحل : إعارته للضراب . والحلب (بفتحتين) : اللبن المحلوب ، سمي بمصدره من : حلب الناقة يحلبها وحلبًا وحلابًا .

(14) الحديث : 2530- أسد : هو ابن موسى ، الذي يقال له "أسد السنة" . مضى في : 23 . سويد بن عبد الله هكذا ثبت في المطبوعة . وعندني أنه خطأ ، صواب "شريك بن عبد الله" ، الذي مضى في الإسناد السابق : 2527 . فإن الحديث معروف أنه من رواية شريك . ثم ليس في الرواة -الذين رأينا تراجمهم- من يسمى "سويد بن عبد الله" إلا رجلا له شأن لا بهذا الإسناد ، لم يعرف إلا بخبر آخر منكر ، وهو مترجم في لسان الميزان .

وهذا الحديث تكرر للحديث : 2527 بأطول منه قليلا . ورواه أيضًا الدارمي 1 : 385 ، عن محمد بن الطفيل . والترمذي 2 : 22 ، من طريق الأسود بن عامر ، وعن الدارمي عن محمد بن الطفيل . وابن ماجه : 1789 ، من طريق يحيى بن آدم . والبيهقي في السنن الكبرى 4 : 84 ، من طريق شاذان - كلهم عن شريك ، بهذا الإسناد ، مطولا ومختصرًا .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال الترمذي : "هذا حديث ليس إسناده بذاك . أبو ميمون الأعور يضعف" .

وقال البيهقي : "فهذا حديث يعرف بأبي حمزة ميمون الأعور ، كوفي ، وقد جرحه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فمن بعدهما من حفاظ الحديث" .

ونقل ابن كثير 1 : 389-390 أنه رواه أيضًا ابن أبي حاتم ، عن يحيى بن عبد الحميد . ورواه ابن مردويه ، من حديث آدم بن أبي إياس ، ويحيى بن عبد الحميد - كلاهما عن شريك ، ثم ذكر أنه أخرجه ابن ماجه ، والترمذي .

ووقع لفظ الحديث في ابن ماجه مغلوطًا ، بنقيض معناه . بلفظ : "ليس في المال حق سوى الزكاة!"

وهذا خطأ قديم في بعض نسخ ابن ماجه . وحاول بعض العلماء الاستدلال على صحة هذا اللفظ عند ابن ماجه ، كما في التلخيص الحبير للحافظ ابن حجر ، ص 177 ، وشرح الجامع الصغير للمناوي : 7641 .

ولكن رواية الطبري الماضية : 2527- وهي من طريق يحيى بن آدم ، التي رواه منها ابن ماجه : تدل على أن اللفظ الصحيح هو ما في سائر الروايات .

ويؤيد ذلك أن ابن كثير نسب الحديث للترمذي وابن ماجه ، معًا ، ولم يفرق بين روايتهما ، وكذلك صنع النابلسي في ذخائر المواريث : 11699 ، إذ نسبه إليهما حديثًا واحدًا .

ويؤيد أيضًا أن البيهقي ، بعد أن رواه قال : "والذي يرويه أصحابنا في التعاليق : ليس في المال حق سوى الزكاة - فليست أحفظ فيه إسنادًا . والذي رويت في معناه ما قدمت ذكره" . ولو كان في ابن ماجه على هذا اللفظ ، لما قال ذلك ، إن شاء الله .

(15) الحديث : 2532- معناه ثابت من حديث أبي هريرة . رواه أحمد في المسند : 8687 (2 : 358 حليبي) : "عن أبي هريرة : أنه قال : يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال : جهد المقل ، وأبدأ بمن تعول" .

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب 2 : 28 ، وقال : "رواه أبو داود ، وابن خزيمة في صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم" .

وروى الحاكم في المستدرک 1 : 406 ، عن أم كلثوم بنت عقبة ، قالت : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح" . وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 3 : 116 ، وقال : "رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح" ، وذكر قبله أحاديث أخر بنحوه .

والكاشح : المبغض : قال ابن الأثير : "العدو الذي يضر عداوته ، ويطوي عليهما كشحه ، أي باطنه" .

والكاشح الذي يضر لك العداوة ، كأنه يطويها في كشحه . وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع ، أو يعرض عنك بوجهه ويوليكَ كشحه .

(16) انظر ما سلف في معنى "مسكين" 2 : 137 ، 293 ، ومعنى : "ذي القربى" ، و"اليتامى" 2 : 292 .

(17) الحديث : 2533- هو حديث مرسل ، يقول قتادة -وهو تابعي- : "قد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول . . ." ، فذكره .

و"سعيد" الذي يروي عن قتادة : هو سعيد بن أبي عروبة . و"يزيد" الراوي عنه : هو يزيد بن زريع .

والحديث ثبت معناه ضمن حديث رواه مسلم 2 : 45 ، من حديث أبي شريح العدوي الخزاعي : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا : وما جائزته يا رسول الله؟ قال : يومه وليلته ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" . ورواه أيضًا أحمد ، وسائر أصحاب الكتب الستة ، كما في الفتح الكبير 3 : 231 .

(18) ديوانه : 401 ، وهو متعلق ببيت قبله :

وَمَاءٍ قَدِيمٍ الْعَهْدِ بِالنَّاسِ جِنِّ

كَأَنَّ الدَّبْيَ مَاءَ الْعَصَا فِيهِ يَبْضُقُ

الآجن المتغير . والدبى : صغار الجراد . والغضى : شجر . كأن الجراد رعته ، فبصقت فيه رعيها فهو أصفر أسود . والاعتساف : الاقتحام والسير على غير هدى . والمحلق : العالي المرتفع . وابن الماء : هو طير الغرانيق ، يعرف بالكركي ، والإوز العراقي ، وهو أبيض الصدر ، أحمر المنقار ، أصفر العين . يقول الأقيشر ، يصف مجلس شراب :

كَأَنَّهِنَّ وَأَيْدِي الشَّرْبِ مُعْمَلَةٌ

إِذَا تَلَأَنَّ فِي أَيْدِي الْعَرَانِيقِ

بَتَّاتُ مَاءٍ، تُرَى بِيضًا جَاجِئُهَا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

حُمْرًا مَنَاقِرُهَا، صُفْرَ الحَمَالِيقِ

- والثريا : نجوم كثيرة مجتمعة ، سميت بالمفرد . جعلها "على قمة" ، وذلك في جوف الليل ، ترى بيضاء زاهرة .
- (19) العبودة والعبودية واحد ، ولا فعل له عند أبي عبيد . وقال اللحياني فعله "عبد" على زنة "كرم" .
- (20) انظر معنى "إقامة الصلاة" و"إيتاء الزكاة" فيما سلف 1 : 572-574 ، ومواضع أخرى ، اطلبها في فهرس اللغة .
- (21) انظر ما سلف 1 : 410-415 ، 557 / ثم هذا الجزء 3 : 20 .
- (22) انظر ما سلف 2 : 10-11 ، 124 / ثم هذا الجزء 3 : 214 .
- (23) في المطبوعة "العقري" ، والصواب ما أثبتته ، وقد ترجم له فيما سلف رقم : 1625 .
- (24) الأثر : 2545- أخصى أن يكون قد سقط من هذا الأثر شيء . وهو تفسير "البأساء" ، وذكر "الضراء" قبل قوله : "المرض" ، وسيأتي على الصواب في الأثر الذي يليه .
- (25) الخبر : 2547- عبيد بن الطفيل : كنيته : "أبو سيدان" ، بكسر السين المهملة وسكون الياء التحتية ثم دال مهملة ، كما سيأتي باسمه وكنيته : 2555 . وهو الغطفاني ، يروي عنه أيضاً وكيع ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، قال أبو حاتم : "صالح ، لا بأس به" . وهو مترجم في التقريب ، والخلاصة وابن أبي حاتم 2/2/409 .
- (26) ديوانه : 20 ، من معلقته الفريدة . وهي من أبياته في صفة الحرب ، التي قال في بدئها ، قبل هذا البيت :

وَمَا الحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَدُقُّمُ

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرْجَمِ

مَتَى تَبَعْتُوهَا، تَبَعْتُوهَا دَمِيمَةً،

وَتَصْرَ، إِذَا صَرَّيْتُمُوهَا فَتَصْرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الرَّحَا يَثْقَالِهَا

وَتَلْفَحُ كِشَاقًا، ثُمَّ تُنْجُ فَتُنْجِمِ

- يقول : إن الحرب تلتفح كما تلتفح الناقة ، فتأتي بتوأمين في بطن . وقوله : "أحمر عاد" يعني أحمر ثمود ، فأخطأ ولم يبال أيهما قال . وأحمر ثمود ، هو قدار ، عاقر ناقة الله فأهلكهم ربهم بما فعلوا . يقول : إن الحرب ترضع

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مشائيمها وتقوم عليهم حتى تفتطمهم بعد أن يبلغوا السعي لأنفسهم في الشر

(27) يقال "فلان غير أبعد"، أي لا خير فيه . ويقال : "ما عند فلان أبعد" أي لا طائل عنده . قال رجل لابنه : "إن غدوت على المرید ربحت عنا ، أو رجعت بغير أبعد" ، أي بغير منفعة .

(28) يعني : إذا وقع بالتأنيث : وقع بمعنى : الخلة البأساء والخلة الضراء .

(29) يريد "من" في قوله تعالى : "ولكن البر من آمن . . ."

(30) انظر ما سلف 1 : 329 .

(31) لم أعرف قائله .

(32) معاني القرآن للفراء 1 : 105 ، والإنصاف : 195 ، وأمالي الشريف 1 :

205 ، وخزانة الأدب 1 : 216 . والقلم . السيد المعظم المقدم في المعرفة وتجارب الأمور . والمزدحم : حومة القتال حيث يزدحم الكماة . يمدحه بالجرأة في القتال .

(33) وغم الأمر يغم (بالبناء للمجهول) : استعجم وأظلم ، وصار المرء منه في لبس لا يهتدي لصوابه . والصليل : صوت الحديد . يعني بذات الصليل كتيبة من الرجال يصل حديد بيضها وشكيتها وسلاحها . وذات اللجم : كتيبة من الفرسان . يذكر ثباته واجتماع نفسه ورأيه حين تطيش العقول في صليل السيوف وكر الخيول في معركة الموت . فقوله : "بذات الصليل" متعلق بقوله : "تغم الأمور" .

(34) لم أعرف قائلهما .

(35) معاني القرآن للفراء 1 : 106 ، وأمالي الشريف 1 : 206 . وقوله :

"نواضعت" ، هو عندي "تفاعل" من قولهم : وضع الباني الحجر توضعاً : نضد بعضه على بعض . ومنه التوضع : وهو خياطة الجبة بعد وضع القطن . ومنه أيضاً : وضعت النعامة بيضها : إذا رثدته ووضعت بعضه فوق بعض ، وهو بيض موضع : منضود بعضه على بعض . يقول : ليت السماء قد انضمت على جميعهم ، فكانوا من نجومها . وقوله : "غث منهم وسمين" ، مدح ، يعني : ليس فيهم غث ، فغتهم حقيق بأن يكون من أهل العلاء .

(36) المحل : الجذب والقحط . ورواية الفراء والشريف : "ولزبة" . والأزمة والأزبة واللزبة ، بمعنى واحد : وهي شدة السنة والقحط . وروايتهما أيضاً : "غيوث الحيا" . والحيا : الخصب ، ويسمى المطر حيا ، لأنه سبب الخصب . والثرى : موضع تأوي إليه الأسود .

(37) هذا القول ذكره الفراء في معاني القرآن 1 : 108 ، ورده .

(38) الأثر : 2548- في المطبوعة : "العبقري" ، وقد مضى مرارا خطأ ، وصححناه . وانظر ترجمته في رقم : 1625 .

(39) الخبران : 2554-2555 أبو نعيم في أولهما؛ هو الفضل بن دكين . وأبو أحمد في ثانيهما : هو الزبيري ، محمد بن عبد الله بن الزبير . وباقي الإسناد ، مضى في : 2547 .

(40) الحديث : 2557- رواه الطبري هنا معلقاً ، دون إسناد . وقد رواه أحمد في المسند : 6797 ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده - وهو عبد الله بن عمرو بن العاص : "المسلمون تكافأ داؤهم ، ويسعى بذمتهم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أدناهم ، وهم يد على من سواهم" . ورواه بنحوه أيضًا ابن ماجه : 2685 .
ورواه أحمد ، بألفاظ مختلفة ، مطولا ومختصرًا : 6692 ، 6970 ، 7012 .
(41) العمية (بضم العين أو كسرهما ، وتشديد الميم وتشديد الياء) : الغواية
والكبر واللجاجة في الباطل والفتنة والضلالة . وفي الحديث : "من قاتل تحت
راية عمية ، يغضب لعصبة ، أو ينصر عصبة ، أو يدعو لعصبة ، فقتل ، قتل
قتلة جاهلية" . وقال أحمد بن حنبل : هو الأمر الأعمى للعصبية ، لا تستبين ما
وجهه .

(42) سلف شرح "عمية" في ص : 359 ، تعليق : 1 .

(43) الطول : الفضل والعلو .

(44) سلف شرح "عمية" في ص : 359 ، تعليق : 1 .

(45) قوله : "فإذا كان مختلف" هو تمام قوله في رد السؤال في ص : 358

س : 11 . "قيل : اختلف أهل التأويل في ذلك . . ."

(46) في المطبوعة : "وكان واضحًا" ، والصواب حذف الواو .

(47) سياق العبارة : "كان واضحًا فساد من قال بالقصاص . . . بإجماع جميع

أهل الإسلام على أن حرامًا على الرجل . . . وعلى أن حرامًا على غيره . . ."

(48) في المطبوعة : "ولا يعرف . . ." والصواب حذف الواو . والسياق : فإن

قال قائل . . . لا يعرف" وما بينهما فصل . والذي ذكره في معنى "كتب" قد

سلف في ص : 357 .

(49) هو عمر بن أبي ربيعة ، أو عبد الله بن الزبير الأسدي .

(50) ديوان عمر : 421 ، والبيان والتبيين 2 : 236 ، والكامل 2 : 154 ، وتاريخ

الطبري 7 : 158 ، وأنساب الأشراف 5 : 264 ، والأغاني 9 : 229 . ولهذا

الشعر خبر . وذلك أن مصعب بن الزبير ، لما خرج إلى المختار بن أبي عبيد

الثقفي المتنبئ فظفر به وقتله ، كان فيمن أخذ امرأته عمرة بنت النعمان

بن بشير ، فلما سألها عنه قالت : رحمة الله عليه ، إن كان عبدًا من عباد

الله الصالحين : فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله إنها تزعم أنه نبي! فأمر

بقتلها . وقتلها الذي تولى قتلها قتلا فظيغًا ، فاستكره الناس ، وقالوا فيه ،

وممن عمر :

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي

قَتْلُ بِيضَاءِ حُرَّةٍ عُطْبُولِ

فُقِلَتْ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُرْمِ

إِنَّ لِلَّهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ

كُتِبَ الْقَتْلُ . . .

.....

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (51) اللسان (كتب) وأساس البلاغة (كتب) ، والمقاييس 5 : 159 ، ويروي "يا ابنة عمي" ، وفي الأساس : "أخربي" ، فأخشى أن تكون خطأ من ناسخ .
(52) انظر ما سلف في تفسير "أسرى" 2 : 311 .
(53) الخبر : 2575- محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، شيخ الطبري ، مضت الرواية عنه أيضًا : 1591 . وسيأتي أيضًا : 2594 . ووقع في المطبوعة هنا "سفيان" بدل "شقيق" . وهو خطأ وتصحيف . فلا يوجد في الرواة من يسمى "محمد بن علي بن الحسن بن سفيان" ، ولا باسم أبيه .
(54) العقل : الدية ، سميت عقلا ، لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلا ، لأنها كانت أموالهم . فكان القاتل يسوق الدية إلى فناء ورثة المقتول ، فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه .
(55) الخلفة (بفتح الخاء وكسر اللام) : الحامل من النوق . وليس لها جمع من لفظها ، بل يقال هي "مخاض" ، كما يقال : امرأة ونساء .
(56) الأرش : دية الجنايات والجراحات كالشجة ونحوها .
(57) الفرائض جمع فريضة : وهو البعير المأخوذ في الزكاة ، سمي فريضة لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة .
(58) الحديث : 2592- هذا حديث مرسل ، إذ يرويه "قتادة" ، وهو تابعي . ولم أجده في مكان آخر ولا ذكره السيوطي .
(59) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 109-110 .
(60) انظر "ذلك" بمعنى "هذا" 1 : 235-237 / ثم هذا الجزء 3 : 335 .
(61) الحديث : 2593- أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الرازي الدولابي : هو والد "أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي" صاحب كتاب الكنى والأسماء . وقد رفعنا نسبه نقلا عن تذكرة الحفاظ 2 : 291 في ترجمة ابنه الحافظ . وأحمد بن حماد هذا : ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم 1/1/49 ، فلم يذكر فيه جرًا ، وذكر أن أباه أبا حاتم سمع منه .

سفيان : هو ابن عيينة .

والحديث رواه عبد الرزاق في تفسيره ، ص : 16 ، بنحوه . بإسنادين : عن معمر ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد . وعن ابن عيينة -كالإسناد هنا إلى مجاهد- عن ابن عباس .

ورواه البخاري 12 : 183 (فتح) ، عن قتبية بن سعيد ، عن سفيان . بهذا الإسناد .

وذكره السيوطي 1 : 173 ، وزاد نسبه لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وغيرهم .

وذكره ابن كثير 1 : 394 ، من رواية سعيد بن منصور ، عن سفيان . ثم قال : "وقد رواه غير واحد عن عمرو . وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمرو

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بن دينار". فقد سها -رحمه الله- عن أن البخاري رواه في صحيحه ، فنسبه لصحيح ابن حبان ، ولم يذكر البخاري .
(62) انظر ما سلف 2 : 307 .

(63) الحديث : 2603- وهذا رواه أيضًا قتادة -التابعي- مرفوعًا ، فهو مرسل . وكذلك ذكره السيوطي 1 : 173 ، عن قتادة ، ونسبه للطبري وابن المنذر فقط .

وقد روى المرفوع منه - عبد الرزاق في تفسيره ، ص : 16 ، عن معمر ، عن قتادة مرسلًا أيضًا .

ثم ذكر السيوطي اللفظ المرفوع ، ونسبه لسمويه في فوائده ، عن سمره . وقد قصر فيه جدًا ، كما قصر في الجامع الصغير : 9701 ، إذ ذكره أيضًا ، ونسبه للطيالسي -فقط- عن جابر ، يعني جابر بن عبد الله .

وحديث الطيالسي -عن جابر- : هو في مسنده : 1763 ، عن حماد بن سلمة ، عن مطر الوراق ، عن رجل ، عن جابر ، فذكره مرفوعًا .

وقد رواه أحمد في المسند : 14968 ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة : "أخبرنا مطر ، عن رجل ، أحسبه الحسن ، عن جابر بن عبد الله". وكذلك رواه أبو داود في السنن : 4507 ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به .

فتقصير السيوطي : أن نسبه للطيالسي وحده ، وهو في أحد الكتب الستة ومسند أحمد .

وعلى كل حال ، فحديث جابر ضعيف ، لأن إسناده رجلا مبهمًا ، أو رجل شك فيه مطر الوراق .

وحديث الحسن عن سمرة ، ذكره أيضًا ابن كثير 1 : 395 قال ، "وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة . . ." ، فذكره مرفوعًا .

فهذا إسناده يمكن أن يكون صحيحًا ، لو علمنا إسناده إلى سعيد بن أبي عروبة ، ومن الذي رواه من طريقه؟ إذا لم أجده بعد طول البحث . ولو وجدناه لكان وصلا لهذا المرسل الذي رواه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

(64) الخبر : 2604- رواه الطبري من طريق عبد الرزاق . وهو في تفسيره ، ص 16 ، بهذا الإسناد .

(65) الذي بين القوسين ، هكذا في الأصل . وصوابه فيما أرجح "أن يقتله" . ولم أجد الخبر ، ولا كتاب عمر الذي ذكره .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(66) الحديث : 2615- هو في الحقيقة حديثان ، رواهما ابن جريج ، ولم أجدهما في مكان آخر . ولكنني لا أسيغ لفظهما أن يكون من ألفاظ النبوة ، ولا عليه شيء من نورها . وهو بألفاظ الفقهاء أشبه!

فأولهما : رواه ابن جريج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن رجل اسمه "الليث" : "غير أنه لم ينسبه" - فلا أعرف من "الليث" هذا؟ وأما إسماعيل بن أمية : فإنه ثقة ، يروي عن التابعين . مترجم في التهذيب . والكبير 1/51/34 ، وابن أبي حاتم 1/1/159 ، ونسب قريش : 182 ، وجمهرة الأنساب لابن حزم : 74 .

وثانيهما : رواه ابن جريج ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن "كتاب لعمر عن النبي صلى الله عليه وسلم" . والظاهر أنه يريد كتابًا لعمر بن عبد العزيز . ومن المحتمل أن يكون كتابًا لعمر بن الخطاب .

وعبد العزيز بن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم 2/2/389 .

(67) الخبر : 2616- بشر بن معاذ ، شيخ الطبري ، مضى في : 352 . ونزيد هنا أنه ثقة معروف ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/1/368 ، وذكر أن أباه كتب عنه ، وأنه سئل عنه ، فقال : "صالح الحديث صدوق" . وهو يروي عن قدماء الشيوخ ، مثل "حماد بن زيد" المتوفى سنة 179 ، وعبد الواحد بن زياد ، شيخه هنا ، المتوفى تلك السنة .

عبد الواحد بن زياد العبدي البصري : أحد الأعلام الثقات . مترجم في التهذيب ، والصغير للبخاري : 202 ، وذكر أنه مات سنة 179 ، وابن أبي حاتم 21-3/1/20 ، وابن سعد 7/2/44 .

يونس : هو ابن عبيد بن دينار العبدي ، وهو ثقة ، من أوثق أصحاب الحسن وأثبتهم . مترجم في التهذيب . والكبير 4/2/402 ، والصغير : 160 ، وابن سعد 24-7/2/23 ، وابن أبي حاتم 4/2/242 .

(68) في هذه العبارة غموض ، وأخشى أن يكون قد سقط من الكلام شيء ، ولكن المعنى العام ظاهر .

(69) كالذي رواه البخاري من حديث عبادة بن الصامت قال : "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط فقال : أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فأخذ به في الدنيا ، فهو كفارة له وظهر ، ومن ستره الله فذلك إلى الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له" (البخاري : كتاب الحدود 8 : 162) .

(70) قدعه يقدهه قدغًا : كفه . ومنه : "اقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعة" ، أي كفوها عما تشتهي وتريد .

(71) بقية : أي إبقاء . وأخشى أن تكون "تقية" بالفاء ، أي اتقاء ، كما يدل عليه سائر الأثر . وكلتاها صحيحة المعنى .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(72) في المطبوعة : "سالم بن جنادة" . وهو خطأ . وقد مضى مرارًا ، وانظر ترجمته في رقم : 48 .

(73) في المطبوعة : "لم يكن له حال ولا كرامة" . وهو خطأ بلا شك عندي . فإن هذا الخبر تعليق على الخبر السالف الذي تعجب فيه المغيرة من فعل أبي العالية : أعتقته امرأة من بني رياح ، وأوصى بماله لبني هاشم! فرد الشعبي تعجب المغيرة فقال : إن أبا العالية لا موالي له ، ولا كرامة لأحد .

وخبر ذلك أن أبا العالية اشترته امرأة ، ثم ذهبت به إلى المسجد ، فقبضت على يده . فقالت : اللهم اذخره عندك ذخيرة ، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله ، ليس لأحد عليه سبيل إلا سبيل معروف . قال أبو العالية : والسائبة يضع نفسه حيث شاء . (ابن سعد 7/1/81) .

والسائبة : العبد يعتق على أن لا ولاء له . واختلف الفقهاء في ميراث السائبة ، إذا ترك ميراثًا : أيرثه معتقه ، أم لا يحل له أن يرزأ من ماله شيئًا؟ قيل : لما هلك أبو العالية أتى مولاه بميراثه ، فقال : هو سائبة! وأبى أن يأخذه . وفي حديث عمر : "السائبة والصدقة ليومهما" قال أبو عبيدة : أي ليوم القيامة ، واليوم الذي كان أعتق سائبته وتصدق بصدقة فيه . يقول : فلا يرجع إلى الانتفاع بشيء منها بعد ذلك في الدنيا . وانظر ترجمة سالم مولى أبي حذيفة (ابن سعد 3/1/60) فقد كان سائبة ، وقتل يوم اليمامة في عهد أبي بكر ، فأرسل أبو بكر ماله لمولاته فأبت أن تقبله ، فجعله عمر في بيت المال .

فهذا ما أراد الشعبي أن يقول : إن أبا العالية سائبة ، فهو لا موالي له ، وماله يضعه حيث شاء ، ولا كراهة في ذلك لأحد من الموالي ، لأن ذلك هو حكم السائبة .

هذا ما رأيت في تصحيح هذه الجملة ، ولم أجدها في مكان آخر ، فأسأل الله أن أكون قد بلغت التوفيق ، وجنبت الزلل .
(74) في المطبوعة : "عمران بن جرير" ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت . وهو عمران بن حدير السدوسي أبو عبيده البصري ، صلى على جنازة خلف أنس . روى عن أبي مجلز ، وأبي قلابة ، وغيرهما وعنه

وأبو مجلز ، هو لاحق بن حميد ، المذكور في الإسناد التالي .
(75) في المطبوعة : "عمران بن جرير" ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت . وهو عمران بن حدير السدوسي أبو عبيده البصري ، صلى على جنازة خلف أنس . روى عن أبي مجلز ، وأبي قلابة ، وغيرهما وعنه

وأبو مجلز ، هو لاحق بن حميد ، المذكور في الإسناد التالي .
(76) الخبر : 2643- يحيى بن نصر ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو؟ ولم أجد في الرواة من يدعي بهذا ، إلا رجلا قديمًا لم يدركه الطبري ، وهو "يحيى" بن نصر بن حاجب القرسي" ، مات سنة 215 قبل أن يولد أبو

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

جعفر . وهو مترجم في ابن أبي حاتم 4/2/193 ، وتاريخ بغداد 14 : 159-160 ،
ولسان الميزان 6 : 278-279 .

وفي تاريخ بغداد 14 : 225-226 ترجمة "يحيى بن أبي نصر ، أبو سعد
الهروي" ، واسم أبيه منصور بن الحسن" . وهذا توفي سنة 287 . ولكن يبعد
أن يسمع من "يحيى بن حسان" المتوفى سنة 208 .

وفي التهذيب 11 : 292-293 ترجمة ثالثة : "يحيى بن النضر بن عبد الله
الأصبهاني الدقاق" ، يروي عن أبي داود الطيالسي ، ويروي عنه أبو بكر بن
أبي داود السجستاني . وهو مترجم أيضًا في تاريخ إصبهان 2 : 257-258 .
فهذا من هذه الطبعة . ومن المحتمل جدًا أن يكون هو الذي روى عنه
الطبري هنا .

وأما شيخه "يحيى بن حسان" : فهو التنيسي البكري ، وهو ثقة . مترجم في
التهذيب ، والكبير 4/2/269 ، والصغير : 229 ، وابن أبي حاتم 4/2/135 .
(77) في المطبوعة : "بن خثيم" ، وأثبت ما في التهذيب ، وانظر ترجمته .
(78) في المطبوعة : "أبو جعفر" والصواب "أبو حذيفة" ، وهو إسناد دائر في
التفسير أقربه أنقًا رقم : 2659 .
(79) الأثر : 2668- في المطبوعة : "حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا سعيد"
أسقط "حدثنا يزيد" ، وهو إسناد دائر في التفسير أقربه أنقًا رقم : 2640 .
(80) ضبطه في الخلاصة "بكسر المهملة" وفي التهذيب والميزان "الجدامي" بجيم
مضمومة ، ثم زال معجمة .

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ
بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (182)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية.

فقال بعضهم: تأويلها: فمن حضر مريضًا وهو يوصي عند إشرافه على الموت،
فخاف أن يخطئ في وصيته فيفعل ما ليس له، أو أن يعمد جورًا فيها فيأمر
بما ليس له الأمر به، فلا حرج على من حضره فسمع ذلك منه أن يصلح بينه
وبين ورثته، بأن يأمره بالعدل في وصيته، وأن ينهاهم عن منعه مما أذن الله
له فيه وأباحه له.

* ذكر من قال ذلك:

2690- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن
ابن أبي نجیح، عن مجاهد في قوله: " فمن خَافَ من مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ " ، قال: هذا حين يُحْضَرُ الرَّجُلُ وهو يموت، فإذا >
< 400-3 أسرف أمره بالعدل، وإذا قَصَّرَ قالوا: أفعَلْ كذا، أعطِ فلانًا كذا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2691- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد قوله: " فمن خَافَ من مُوصَ جَنَفًا أوِ إثمًا "، قال: هذا حين يُخَصِّرُ الرجلُ وهو في الموت، فإذا أشرف على الجور أمره بالعدل، (1) وإذا قصر عن حق قالوا: افعل كذا، أعط فلانًا كذا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فمن خَافَ - من أولياء ميت، (2) أو وَاِلي أمر المسلمين - من مُوصَ جَنَفًا في وصيته التي أوصى بها الميت، فأصلح بين وَرَثته وبين الموصى لهم بما أوصى لهم به، فرد الوصية إلى العدل والحق، فلا حرج ولا إثم.

* ذكر من قال ذلك:

2692- حدثني المثنى، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: " فمن خَافَ من مُوصَ جَنَفًا " - يعني: إثمًا- يقول: إذا أخطأ الميت في وصيته أو حاف فيها، فليس على الأولياء حرج أن يردوا خطاه إلى الصواب.

2693- حدثنا الحسن بن يحيى، (3) حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " فمن خَافَ من مُوصَ جَنَفًا أوِ إثمًا "، قال: هو الرجل يُوصي > 3- 401 < فيحيف في وصيته، فيردها الولي إلى الحق والعدل. (4)

2694- حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: " فمن خَافَ من مُوصَ جَنَفًا أوِ إثمًا "، وكان قتادة يقول: من أوصى بجور أو حيف في وصيته فردها ولي المتوفى أو إمام من أئمة المسلمين، إلى كتاب الله وإلى العدل، فذاك له.

2695- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " فمن خَافَ من مُوصَ جَنَفًا أوِ إثمًا "، فمن أوصى بوصية بجور، فرده الوصي إلى الحق بعد موته، فلا إثم عليه - قال عبد الرحمن في حديثه: " فاصلح بينهم "، يقول: رده الوصي إلى الحق بعد موته، فلا إثم عليه.

2696- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم: " فمن خَافَ من مُوصَ جَنَفًا أوِ إثمًا فأصلح بينهم "، قال: رده إلى الحق.

2697- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا إسرائيل، عن سعيد بن مسروق، عن إبراهيم قال، سألته عن رجل أوصى بأكثر من الثلث؟ قال: أرددها. ثم قرأ: " فمن خَافَ من مُوصَ جَنَفًا أوِ إثمًا ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2698- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا خالد بن يزيد صاحب اللؤلؤ قال، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس: " فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه "، قال: رده الوصي إلى الحق بعد موته، فلا إثم على الوصي.

وقال بعضهم: بل معنى ذلك: فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا في عطيته > 402-3 < عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض، فلا إثم على من أصلح بينهم = يعني: بين الورثة.

* ذكر من قال ذلك:

2699- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريح قال: قلت لعطاء قوله: " فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا "، قال: الرجل يحيف أو يآثم عند موته، فيعطي ورثته بعضهم دون بعض، يقول الله: فلا إثم على المصلح بينهم. فقلت لعطاء: أله أن يُعطي وارثه عند الموت، إنما هي وصية، ولا وصية لوارث؟ قال: ذلك فيما يقسم بينهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا في وصيته لمن لا يرثه، بما يرجع نفعه على من يرثه، فأصلح بين ورثته، فلا إثم عليه.

* ذكر من قال ذلك:

2700- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريح، أخبرني ابن طاوس، عن أبيه أنه كان يقول: جنفُه وإثمُه، أن يوصي الرجل لبني ابنه ليكون المال لأبيهم، وتوصي المرأة لزوج ابنتها ليكون المال لابنتها؛ وذو الوارث الكثير والمال قليل، فيوصي بثلث ماله كله، فيصلح بينهم الموصى إليه أو الأمير. قلت: أفي حياته أم بعد موته؟ قال: ما سمعنا أحدًا يقول إلا بعد موته، وإنه ليعوظ عند ذلك.

2701- حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة، عن ابن طاوس، عن أبيه في قوله: " فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم "، قال: هو الرجل يوصي لولد ابنته.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فمن خاف من موص لآبائه وأقربائه جَنَفًا على بعضهم لبعض، فأصلح بين الآباء والأقرباء، فلا إثم عليه.

* ذكر من قال ذلك:

< 3-403 >

2702- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "فمن خاف من موص جَنَفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه". أما "جَنَفًا": فخطأ في وصيته، وأما "إثمًا": فعمدًا يعمد في وصيته الظلم. فإن هذا أعظم لأجره أن لا يُنفذها، ولكن يصلح بينهم على ما يرى أنه الحق، ينقص بعضًا ويزيد بعضًا. قال: ونزلت هذه الآية في الوالدين والأقربين.

2703- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: "فمن خاف من موص جَنَفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه"، قال: "الجَنَفُ أن يحيف لبعضهم على بعض في الوصية، والإثم أن يكون قد أثم في أبويه بعضهم على بعض، فأصلح بينهم" الموصى إليه بين الوالدين والأقربين - الابن والبنون هم "الأقربون" - فلا إثم عليه. فهذا الموصى الذي أوصى إليه بذلك، وجعل إليه، فرأى هذا قد أجنفَ لهذا على هذا، فأصلح بينهم فلا إثم عليه، فعجز الموصي أن يوصي كما أمره الله تعالى، وعجز الموصى إليه أن يصلح، فانتزع الله تعالى ذكره ذلك منهم، ففرض الفرائض.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل الآية أن يكون تأويلها: فمن خاف من موص جَنَفًا أو إثمًا = وهو أن يميل إلى غير الحق خطأ منه، أو يتعمد إثمًا في وصيته، بأن يوصي لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه بأكثر مما يجوز له أن يوصي لهم به من ماله، وغير ما أذن الله له به مما جاوز الثلث أو بالثلث كله، وفي المال قلة، وفي الورثة كثرة = فلا بأس على من حضره أن يصلح بين الذين يوصى لهم، وبين ورثة الميت، وبين الميت، بأن يأمر الميت في ذلك بالمعروف ويعرفه ما أباح الله له في ذلك وأذن له فيه من الوصية في ماله، وينهاه أن يجاوز في وصيته المعروف الذي قال الله تعالى ذكره في كتابه: كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ، وذلك هو "الإصلاح" الذي < 3-404 > قال الله تعالى ذكره: "فأصلح بينهم فلا إثم عليه". وكذلك لمن كان في المال فضل وكثرة وفي الورثة قلة، فأراد أن يقتصر في وصيته لوالديه وأقربيه عن ثلثه، فأصلح من حضره بينه وبين ورثته وبين والديه وأقربيه الذين يريد أن يوصي لهم، بأن يأمر المريض أن يزيد في وصيته لهم، ويبلغ بها ما رخص الله فيه من الثلث. فذلك أيضًا هو من الإصلاح بينهم بالمعروف.

وإنما اخترنا هذا القول، لأن الله تعالى ذكره قال: "فمن خاف من موص جَنَفًا أو إثمًا"، يعني بذلك: فمن خاف من موص أن يجنّف أو يآثم. فخوف

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الجنف والإثم من الموصي، إنما هو كائن قبل وقوع الجنف والإثم، فأما بعد وجوده منه، فلا وجه للخوف منه بأن يجنف أو يأثم، بل تلك حال مَنْ قد جَنَفَ أو أثم، ولو كان ذلك معناه لقليل: فمن تبين من مُوصٍ جَنَفًا أو إثمًا -أو أيقن أو علم- ولم يقل: فمن خَافَ منه جَنَفًا.

فإن أشكل ما قلنا من ذلك على بعض الناس فقال: فما وجه الإصلاح حينئذ، والإصلاح إنما يكون بين المختلفين في الشيء؟

قيل: إنَّ ذلك وإن كان من معاني الإصلاح، فمن الإصلاح الإصلاح بين الفريقين، (5) فيما كان مخوفًا حدوث الاختلاف بينهم فيه، بما يؤمن معه حدوث الاختلاف. لأن "الإصلاح"، إنما هو الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين، فسواء كان ذلك الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين - قبل وقوع الاختلاف أو بعد وقوعه.

فإن قال قائل: فكيف قيل: " فأصلح بينهم"، ولم يجر للورثة ولا للمختلفين، أو المخوف اختلافهم، ذكر؟

< 3-405 >

قيل: بل قد جرى ذكر الذين أمر تعالى ذكره بالوصية لهم، وهم والدا الموصي وأقربوه، والذين أمروا بالوصية في قوله: كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ، ثم قال تعالى ذكره: " فمن خَافَ من مُوصٍ " -لمن أمرته بالوصية له- " جَنَفًا أو إثمًا فأصلح بينهم " -وبين من أمرته بالوصية له- " فلا إثم عليه ". والإصلاح بينه وبينهم، هو إصلاح بينهم وبين ورثة الموصي.

قال أبو جعفر: وقد قرئ قوله: " فمن خَافَ من مُوصٍ " بالتخفيف في " الصاد " والتسكين في " الواو " - وبتحريك " الواو " وتشديد " الصاد " .

فمن قرأ ذلك بتخفيف " الصاد " وتسكين " الواو "، فإنما قرأه بلغة من قال: " أوصيتُ فلانًا بكذا " .

ومن قرأ بتحريك " الواو " وتشديد " الصاد "، قرأه بلغة من يقول: " وصَّيتُ فلانًا بكذا " . وهما لغتان للعرب مشهورتان: " وصَّيتك، وأوصيتك " (6)

وأما " الجنف "، فهو الجور والعدول عن الحق في كلام العرب، ومنه قول الشاعر: (7)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

هُمُ الْمَوْلَىٰ وَإِنْ جَنَّفُوا عَلَيْنَا

وَإِنَّا مِنْ لِقَائِهِمْ لَرُؤُورٌ (8)

يقال منه: " جَنَفَ الرجل على صاحبه يَجَنَفُ " -إذا مال عليه وجَار- " جَنَفًا " .

< 3-406 >

فمعنى الكلام من خاف من موص جَنَفًا له بموضع الوصية، وميلاً عن الصواب فيها، وجورًا عن القصد أو إثمًا بتعمده ذلك على علم منه بخطأ ما يأتي من ذلك، فأصلح بينهم، فلا إثم عليه.

ويمثل الذي قلنا في معنى " الجنف "" والإثم "، قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2704- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: " فمن خاف من موص جَنَفًا "، يعني بالجنف: الخطأ.

2705- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح، عن عبد الملك، عن عطاء: " فمن خاف من موص جَنَفًا "، قال: ميلاً.

2706- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء مثله.

2707- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا خالد بن الحارث ويزيد بن هارون قالوا حدثنا عبد الملك، عن عطاء مثله.

2708- حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك قال: الجنفُ الخطأ، والإثم العمد.

2709- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا [أبو أحمد] الزبير قال، حدثنا هشيم، عن جويبر، عن عطاء مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2710- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " فمن خاف من مُوص جَنَفًا أو إثمًا "، أما " جَنَفًا " فخطأ في وصيته، وأما " إثمًا " : فعمدًا، يعمد في وصيته الظلم. (9)

2711- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، < 407-3 > عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " فمن خَافَ من مُوص جَنَفًا أو إثمًا "، قال: خطأ أو عمدًا. (10)

2712- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبي جعفر، عن أبي جعفر، عن الربيع: " فمن خَافَ من مُوص جَنَفًا أو إثمًا "، قال: الجنف الخطأ، والإثم العمد.

2713- حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا خالد بن يزيد صاحب اللؤلؤ قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس مثله.

2714- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم: " فمن خاف من مُوص جَنَفًا أو إثمًا "، قال: الجنف: الخطأ، والإثم العمد.

2715- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية: " فمن خاف من مُوص جَنَفًا "، قال: خطأ، " أو إثمًا " متعمدًا.

2716- حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن ابن طاوس، عن أبيه: " فمن خَافَ من مُوص جَنَفًا "، قال: ميلاً.

2717- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " جَنَفًا " حَيْفًا، " والإثم " ميله لبعض على بعض. وكله يصير إلى واحد، كما يكون " عَفْوًا عَفْوًا " و " عَفْوًا رَحِيمًا ".

2718- حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن < 408-3 > جريح قال، قال ابن عباس: الجنف الخطأ، والإثم: العمد.

2719- حدثت عن الحسين بن الفرغ قال، حدثنا الفضل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك قال: الجنف الخطأ، والإثم العمد. (11)

وأما قوله: " إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ "، فإنه يعني: والله عَفْوٌ للموصي (12) = فيما كان حَدَّثَ به نفسه من الجنف والإثم، إذا تَرَكَ أن يَأْثُمَ وَيَجْنِفَ في وصيته، فتجاوزَ له عما كان حَدَّثَ به نفسه من الجور، إذ لم يُمَضِ ذلك فيُعْغَلِ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أن يؤأخذ به (13) = "رحيم" بالمصلح بين الموصي وبين من أراد أن يحيف عليه لغيره، أو يَأْتَم فيه له.

< 3-409 >

القول في تأويل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "يا أيها الذين آمنوا"، يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بهما وأقروا. (14)

ويعني بقوله: "كتب عليكم الصيام"، فرض عليكم الصيام. (15)

و "الصيام" مصدر، من قول القائل: "صُمت عن كذا وكذا" -يعني: كفت عنه- "أصوم عنه صَوْمًا وصِيَامًا". ومعنى "الصيام"، الكف عما أمر الله بالكف عنه. ومن ذلك قيل: "صامت الخيل"، إذا كفت عن السير، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

حَيْلُ صِيَامٍ، وَحَيْلُ عَيْرٍ صَائِمَةٍ

تَحْتَ الْعَجَاجِ، وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللُّجَمَا (16)

ومنه قول الله تعالى ذكره: إِنِّي تَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا [سورة مريم: 26] يعني: صمناً عن الكلام.

وقوله: "كما كتب على الذين من قبلكم"، يعني فرض عليكم مثل الذي فرض على الذين من قبلكم.

< 3-410 >

قال أبو جعفر: ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله: "كما كتب على الذين من قبلكم"، وفي المعنى الذي وَقَعَ فيه التشبيه بين فرض صَوْمنا وصوم الذين من قبلنا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال بعضهم: الذين أخبرنا الله عن الصوم الذي فرضه علينا، أنه كمثل الذي كان عليهم، هم النصارى. وقالوا: التشبيه الذي سببه من أجله أحدهما بصاحبه، هو اتفاقهما في الوقت والمقدار الذي هو لازم لنا اليوم فرضه.

* ذكر من قال ذلك:

2720- حدثت عن يحيى بن زياد، عن محمد بن أبان [القرشي]، عن أبي أمية الطنافسي، عن الشعبي أنه قال: لو صُمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال: من شعبان، ويقال: من رمضان. وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان كما فرض علينا فحوّلوه إلى الفصل. وذلك أنهم كانوا ربما صاموه في القيظ يعدون ثلاثين يومًا. (17) ثم جاء بعدهم قرن فأخذوا بالثقة من أنفسهم، فصاموا قبل الثلاثين يومًا وبعدها يومًا. ثم لم يزل الآخر يُستن سنة القرن الذي قبله حتى صارت إلى خمسين. (18) فذلك قوله: " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم "، (19)

< 3-411 >

وقال آخرون: يل التشبيه إنما هو من أجل أن صومهم كان من العشاء الآخرة إلى العشاء الآخرة. وذلك كان فرض الله جل ثناؤه على المؤمنين في أول ما افترض عليهم الصوم. ووافق قائلو هذا القول القائل القول الأول: أن الذين عنى الله جل ثناؤه بقوله: " كما كتب على الذين من قبلكم "، النصارى.

* ذكر من قال ذلك:

2721- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم "، أما الذين من قبلنا: فالنصارى، كتب عليهم رمضان، وكتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم، ولا يَنكحوا النساء شهر رمضان. فاشتد على النصارى صيام رمضان، وجعل يُقَلَّبُ عليهم في الشتاء والصيف. فلما رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صيامًا في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يومًا نكفر بها ما صنعنا! فجعلوا صيامهم خمسين. فلم يزل المسلمون على ذلك يصنعون كما تصنع النصارى، حتى كان من أمر أبي قيس بن صرمة وعمير بن الخطاب، ما كان، (20) فأحل الله لهم الأكل والشرب والجماع إلى طلوع الفجر.

< 3-412 >

2722- حدثني المثني قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم "، قال: كتب عليهم الصوم من العتمة إلى العتمة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: الذين عني الله جل ثناؤه بقوله: " كما كتب على الذين من قبلكم "، أهل الكتاب.

* ذكر من قال ذلك:

2723- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم "، أهل الكتاب.

وقال بعضهم: بل ذلك كان على الناس كلهم.

* ذكر من قال ذلك:

2724- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم "، قال: كتب شهر رمضان على الناس، كما كتب على الذين من قبلكم. قال: وقد كتب الله على الناس قبل أن ينزل رمضان صوم ثلاثة أيام من كل شهر.

2725- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم "، رمضان، كتبه الله على من كان قبلهم.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى الآية:

يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب، "أيامًا معدودات"، وهي شهر رمضان كله. لأن من بعد إبراهيم > 413-3 < صلى الله عليه وسلم كان مأمورًا باتباع إبراهيم، وذلك أن الله جل ثناؤه كان جعله للناس إمامًا، وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان الحنيفية المسلمة، فأمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل الذي أمر به من قبله من الأنبياء.

وأما التشبيه، فإنما وقع على الوقت. وذلك أن من كان قبلنا إنما كان فرض عليهم شهر رمضان، مثل الذي فرض علينا سواء.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما تأويل قوله: " لعلكم تتقون "، فإنه يعني به: لتتقوا أكل الطعام وشرب الشراب وجماع النساء فيه. (21) يقول: فرضت عليكم الصوم والكف عما تكونون بترك الكف عنه مفطرين، لتتقوا ما يُفطركم في وقت صومكم.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل:

* ذكر من قال ذلك:

2726- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما قوله: " لعلكم تتقون "، يقول: فتنقون من الطعام والشراب والنساء مثل ما اتقوا - يعني: مثل الذي اتقى النصارى قبلكم.

القول في تأويل قوله تعالى : أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره، كتب عليكم أيها الذين آمنوا - الصيام أيامًا معدودات.

ونصب " أيامًا " بمضمر من الفعل، كأنه قيل: كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، أن تصوموا أيامًا معدودات، كما يقال: " أعجبنى الضربُ، زيدًا "

< 3-414 >

وقوله: كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ الصَّيَامِ، كأنه قيل: كتب عليكم الذي هو مثل الذي كتب على الذين من قبلكم: أن تصوموا أيامًا معدودات.

ثم اختلف أهل التأويل فيما عني الله جل وعز بقوله: " أيامًا معدودات ".

فقال بعضهم: " الأيام المعدودات "، صومُ ثلاثة أيام من كل شهر. قال: وكان ذلك الذي فرض على الناس من الصيام قبل أن يُفرض عليهم شهرُ رمضان.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2727- حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء قال: كان عليهم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ولم يُسمَّ الشهرَ أيامًا معدودات. قال: وكان هذا صيام الناس قبل، ثم فرض الله عز وجل على الناس شهرَ رمضان.

2728- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، وكان ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ ذلك بالذي أنزل من صيام رمضان. فهذا الصوم الأول، من العتمة.

2729- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة. عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصامَ يومَ عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، ثم أنزل الله جل وعزَّ فرضَ شهرَ رمضان، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ حَتَّىٰ بَلَغَ: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ . (22)

< 3-415 >

2730- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال: قد كتب الله تعالى ذكره على الناس، قبل أن ينزل رمضان، صومَ ثلاثة أيام من كل شهر.

وقال آخرون: بل الأيام الثلاثة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومها قبل أن يفرض رمضان، كان تطوعًا صومهنَّ، وإنما عني الله جل وعز يقول: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، أيامَ شهر رمضان، لا الأيام التي كان يصومهن قبل وُجوب فرض صوم شهر رمضان.

* ذكر من قال ذلك:

2731- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، قال، حدثنا أصحابنا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليهم أمرهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعًا لا فريضةً. قال: ثم نزل صيام رمضان - قال أبو موسى: قوله: " قال عمرو بن مرة: حدثنا أصحابنا " < 3-416 > يريد ابن أبي ليلي، كأنَّ ابنَ أبي ليلي القائل: " حدثنا أصحابنا ". (23)

2732- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة قال، سمعت عمرو بن مرة قال، سمعت ابن أبي ليلي، فذكر نحوه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-417 >

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا قول من قال: عنى بقوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، شهرَ رمضان.

وأولى ذلك بالصواب عندي قول من قال: عنى الله جل ثناؤه بقوله: (أيامًا معدودات)، أيامَ شهر رمضان. وذلك أنه لم يأت خبرٌ تقوم به حُجة بأنَّ صومًا فُرض على أهل الإسلام غيرَ صوم شهر رمضان، ثم نسخ بصوم شهر رمضان، وأن الله تعالى قد بينَ في سياق الآية، (24) أنَّ الصيامَ الذي أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات، بإبانه، عن الأيام التي أخبر أنه كتب علينا صومها بقوله: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ . فمن ادعى أن صومًا كان قد لزم المسلمين فرضه غير صوم شهر رمضان الذين هم مجمعون على وجوب فرض صومه -ثم نسخ ذلك- سئل البرهان على ذلك من خبر تقوم به حُجة، إذ كان لا يعلم ذلك إلا بخبر يقطع العذر.

وإذ كان الأمر في ذلك على ما وصفنا للذي بينا، فتأويل الآية: كتب عليكم أيها المؤمنون الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أيامًا معدودات هي شهر رمضان. وجائر أيضًا أن يكون معناه: " كتب عليكم الصيام "، كتب عليكم شهر رمضان.

وأما " المعدودات " فهي التي تعدّ مبالغها وساعات أوقاتها. ويعني بقوله: " معدودات "، مُحْصِيَاتٍ.

< 3-418 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: " فمن كان منكم مريضًا "، (25) من كان منكم مريضًا، ممن كلف صومه أو كان صحيحًا غير مريض وكان على سفر، " فعدة من أيام آخر "، يقول: فعليه صوم عدة الأيام التي أفطرها في مرضه أو في سفره، " من أيام آخر "، يعني: من أيام غير أيام مرضه أو سفره.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإلرفع في قوله: " فعدَّةٌ منْ أيامٍ آخرٍ "، نظير الرفع في قوله: قَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ . وقد مضى بيان ذلك هنالك بما أغنى عن إعادته. (26)

وأما قوله: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، فَإِنَّ قِرَاءَةَ كَافَةِ الْمُسْلِمِينَ: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ "، وَعَلَى ذَلِكَ خَطُوطُ مَصَاحِفِهِمْ. وَهِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ خِلَافُهَا، لِتَنْقُلَ جَمِيعَهُمْ تَصْوِيبَ ذَلِكَ قَرْنًا عَنْ قَرْنٍ.

وكان ابن عباس يقرؤها فيما روي عنه: " وعلى الذين يُطَوَّقُونَهُ " . (27)

ثم اختلف قُرَاءَةُ ذَلِكَ: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ " فِي مَعْنَاهُ.

فقال بعضهم: كان ذلك في أول ما فرض الصوم، وكان من أطلاقه من المقيمين صامه إن شاء، وإن شاء أفطره وافتدى، فأطعم لكل يوم أفطره مسكينًا، حتى تُسَخَّ ذلك.

* ذكر من قال ذلك:

< 3-419 >

2733- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن معاذ بن جبل قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصامَ يومَ عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهرٍ ثم إنَّ الله جلَّ وعزَّ فرضَ شهرَ رَمَضانَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ حَتَّى بَلَغَ " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، فَكَانَ مِنْ شَاءِ صَامٍ، وَمِنْ شَاءِ أَفْطَرٍ وَأَطْعَمَ مَسْكِينًا. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ الصِّيَامَ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَقِيمِ، وَثَبَتَ الْإِطْعَامَ لِلْكَبِيرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الصَّوْمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَمَرٌ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. (28)

2734- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، قال حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَمَرَهُمْ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ صِيَامَ رَمَضانَ. قَالَ: وَكَانُوا قَوْمًا لَمْ يَتَعَوَّدُوا الصِّيَامَ. قَالَ: وَكَانَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِمُ الصَّوْمُ. قَالَ: فَكَانَ مِنْ لَمْ يَصُمْ أَطْعَمَ مَسْكِينًا، ثُمَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: قَمَرٌ شَهِدَ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ،
فكانت الرخصة للمريض والمسافر، وأمرنا بالصيام. قَالَ محمد بن المثنى قوله:
" قال عمرو: حدثنا أصحابنا "، يريد ابنَ أبي ليلَى. كَان ابن أبي ليلَى القائل: "
حدثنا أصحابنا "

2735- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة قال، سمعت
عمرو بن مرة قال، سمعت ابن أبي ليلَى فذكر نحوه. (29)

< 3-420 >

2736- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة
في قوله: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، قال: كان من شاء
صام، ومن شاء أفطر وأطعم نصف صاع مسكينًا، فنسخها: شَهْرُ رَمَضَانَ إِلَى
قوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .

2737- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، بنحوه - وزاد
فيه، قال: فنسختها هذه الآية، وصارت الآية الأولى للشيخ الذي لا يستطيع
الصوم، يتصدق مكان كل يوم على مسكين نصف صاع.

2738- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح أبو تميلة قال، حدثنا
الحسين، عن يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن البصري قوله: " وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، فكان من شاء منهم أن يصومَ صام، ومن
شاء منهم أن يفتدي بطعام مسكين افتدى وتم له صومه. ثم قال: فَمَنْ شَهِدَ
مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، ثم استثنى من ذلك فقال: " ومن كان مريضًا أو على
سفر فعدة من أيامٍ آخر "

2739- حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا ابن إدريس قال: سألت الأعمش
عن قوله: " وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، فحدثنا عن إبراهيم،
عن علقمة. قال: نسختها: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . (30)

2740- حدثنا عمر بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا عبد الله، عن
نافع، عن ابن عمر قال: نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ - يعني: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
طَعَامُ مَسْكِينٍ " - التي بَعْدَهَا: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ > 3-
421 < مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ . (31)

2741- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت الأعمش، عن
إبراهيم، عن علقمة في قوله: " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين "،
قال: نسختها: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .

2742- حدثنا الوليد بن شجاع أبو همام قال، حدثنا علي بن مُسهر، عن
عاصم، عن الشعبي قال: نزلت هذه الآية : " وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ
مَسْكِينٍ "، كان الرجل يُفطر فيتصدق عن كل يوم على مسكين طعامًا، ثم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

نزلت هذه الآية: **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، فلم تنزل الرخصة إلا للمريض والمسافر.

2743- حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا علي بن مسهر، عن عاصم، > 3-422 عن الشعبي قال: نزلت هذه الآية للناس عامة: " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين "، وكان الرجل يفطر ويتصدق بطعامه على مسكين، ثم نزلت هذه الآية: **وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ، قال : فلم تنزل الرخصة إلا للمريض والمسافر.

2744- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن ابن أبي ليلى قال: دخلت على عطاء وهو يأكل في شهر رمضان، فقال: إني شيخ كبير، إن الصوم نزل، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا، حتى نزلت هذه الآية: **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، فوجب الصوم على كل أحد، إلا مريض أو مسافر أو شيخ كبير مثلي يفتدي.

2745- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال، أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: قال الله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ، قال ابن شهاب: كتب الله الصيام علينا، فكان من شاء افتدى ممن يطيق الصيام من صحيح أو مريض أو مسافر، ولم يكن عليه غير ذلك. فلما أوجب الله على من شهد الشهر الصيام، فمن كان صحيحًا يطيقه وضع عنه الفدية، وكان من كان على سفر أو كان مريضًا فعدة من أيام أخر. قال: وبقيت الفدية التي كانت تُقبل قبل ذلك للكبير الذي لا يطيق الصيام، والذي يعرض له العطش أو العلة التي لا يستطيع معها الصيام.

2746- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال، جعل الله في الصوم الأول فدية طعام مسكين، فمن شاء من مسافر أو مقيم أن يطعم مسكينًا ويفطر، كان ذلك رخصة له. فأنزل الله في الصوم الآخر: **فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ، ولم يذكر الله في الصوم الآخر فدية طعام مسكين، فُنسخت الفدية، وثبت في الصوم الآخر: > 3-423 < **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ، وهو الإفطار في السفر، وجعله عدة من أيام أخر.

2747- حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال، أخبرني عمي عبد الله بن وهب قال، أخبرني عمرو بن الحارث قال، بكّر بن عبد الله، عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع، عن سلمة بن الأكوع أنه قال: كنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى بطعام مسكين، حتى أنزلت: **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** . (32)

2748- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن عاصم الأحول، عن الشعبي في قوله : " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " ، > 3-424 < قال: كانت للناس كلهم: فلما نزلت: **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فَلْيَصُمْهُ ، أَمِرُوا بِالصَّوْمِ وَالْقِيَامِ ، فَقَالَ : وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ .

2749- حدثنا هناد قال، حدثنا علي بن مسهر، عن الأعمش، عن إبراهيم في قوله: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، قال: نسختها الآية التي بعدها: وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

2750- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن محمد بن سليمان، عن ابن سيرين، عن عبيدة: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، قال: نسختها الآية التي تليها: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .

2751- حدثت عن الحسين بن الفرج قال، حدثنا الفضل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ الْآيَةَ، فُرِضَ الصَّوْمُ مِنَ الْعَتَمَةِ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْقَابِلَةِ، فَإِذَا صَلَّى الرَّجُلُ الْعَتَمَةَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الطَّعَامَ وَالْجَمَاعَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْقَابِلَةِ. ثُمَّ نَزَلَ الصَّوْمُ الْآخِرَ بِإِحْلَالِ الطَّعَامِ وَالْجَمَاعِ بِاللَّيْلِ كُلِّهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ، وَأَحْلَى الْجَمَاعَ أَيْضًا فَقَالَ: أَحْلَى لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، وَكَانَ فِي الصَّوْمِ الْأَوَّلِ الْفِدْيَةَ، فَمَنْ شَاءَ مِنْ مَسَافِرٍ أَوْ مَقِيمٍ أَنْ يُطْعِمَ مَسْكِينًا وَيُفْطِرَ فَعَلِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فِي الصَّوْمِ الْآخِرِ الْفِدْيَةَ، وَقَالَ: فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، فَنَسَخَ هَذَا الصَّوْمُ الْآخِرُ الْفِدْيَةَ. (33)

وقال آخرون: بل كان قوله: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، حُكْمًا خَاصًّا لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْعَجُوزِ الَّذِينَ يُطِيقَانِ الصَّوْمَ، كَانَ مَرْخَصًا لِهَمَا > 3-425 < أَنْ يَفِدْيَا صَوْمَهُمَا بِطَعَامِ مَسْكِينٍ وَيُفْطِرَا، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، فَلَزِمَهُمَا مِنَ الصَّوْمِ مِثْلَ الَّذِي لَزِمَ الشَّابَّ إِلَّا أَنْ يَعْجِزَا عَنِ الصَّوْمِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْحُكْمُ الَّذِي كَانَ لِهَمَا قَبْلَ النِّسْخِ ثَابِتًا لِهَمَا حِينَئِذٍ بِحَالِهِ.

* ذكر من قال ذلك.

2752- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن عَزْرَةَ، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: كَانَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ وَهُمَا يُطِيقَانِ الصَّوْمَ، رُخِصَ لِهَمَا أَنْ يَفْطِرَا إِنْ شَاءَا وَيَطْعَمَا لِكُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَثَبَتَ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْعَجُوزِ الْكَبِيرَةِ، إِذَا كَانَا لَا يُطِيقَانِ الصَّوْمَ، وَلِلْجَبَلِيِّ وَالْمَرَضِيِّ إِذَا خَافَا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2753- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن سعيد، عن قتادة، عن عروة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ "، قال: الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة، ثم ذكر مثل حديث بشر عن يزيد. (34)

< 3-426 >

2754- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثني أبي، عن قتادة، عن عكرمة قال: كان الشيخ والعجوز لهما الرخصة أن يفطرا ويُطعما بقوله: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ " . قال: فكانت لهم الرخصة، ثم نسخت بهذه الآية: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، فنسخت الرخصة عن الشيخ والعجوز إذا كانا يطيقان الصوم، وبقيت الحامل والمرضع أن يفطرا ويُطعما.

2755- حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال، حدثنا همام بن يحيى قال، سمعت قتادة يقول في قوله: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، قال: كان فيها رخصة للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصوم أن يطعما مكان كل يوم مسكينًا ويفطرا، ثم نسخ ذلك بالآية التي بعدها فقال: شَهْرُ رَمَضَانَ إِلَى قَوْلِهِ: فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، فنسختها هذه الآية. فكان أهل العلم يُرَوْنَ وبرجُون الرخصة تثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا لم يطيقا الصوم أن يفطرا ويُطعما عن كل يوم مسكينًا، وللحلبى إذا خشيت على ما في بطنها، وللمرضع إذا ما خشيت على ولدها.

2756- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، فكان الشيخ والعجوز يطيقان صوم رمضان، فأحل الله لهما أن يفطراه إن أرادا ذلك، وعليهما الفدية لكل يوم يفطرانه طعام مسكين، فأنزل الله بعد ذلك: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ < 3-427 > ، إلى قوله: فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ .

وقال آخرون ممن قرأ ذلك: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ "، لم ينسخ ذلك ولا شيء منه، وهو حكم مثبت من لَدُنْ نزلت هذه الآية إلى قيام الساعة، وقالوا: إنما تأويل ذلك: وعلى الذين يطيقونه - في حال شبابهم وحدثهم، وفي حال صحتهم وقوتهم - إذا مَرَضُوا وكَبُرُوا فعجزوا من الكبر عن الصوم، فدية طعام مسكين = لا أن القوم كان رُحِصَ لهم في الإفطار - وهم على الصوم قادرين - إذا افتدوا.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2757- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، قال: أما الذين يَطِيقُونَهُ، فالرجل كان يَطِيقُهُ وقد صام قَبْلَ ذَلِكَ، ثم يعرض له الْوَجَعُ أو العطش أو المرض الطويل، أو المرأة المرضعُ لا تستطيع أن تصوم، فإن أولئك عليهم مكان كل يوم إطعام مسكين، فإن أطعم مسكينًا فهو خيرٌ له، ومن تكلف الصيام فصامه فهو خيرٌ له.

2758- حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن عَزْرَةَ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا خَافَتِ الحاملُ على نفسها، والمرضع على ولدها في رمضان، قال: يفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكينًا، ولا يقضيان صومًا. (35)

< 3-428 >

2759- حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنه رأى أمًّا ولدٍ له حاملاً أو مُرضعًا، فقال: أنت بمنزلة الذي لا يُطِيقُهُ، عليك أن تطعمي مكان كل يوم مسكينًا، ولا قِصَاءَ عَلَيْكَ. (36)

2760- حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة، عن سعيد، عن نافع، عن علي بن ثابت، عن نافع، عن ابن عمر، مثل قول ابن عباس في الحامل والمرضع. (37)

< 3-429 >

2761- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: دُكِرَ لنا أن ابن عباس قال، لأم ولد له حبلَى أو مرضع: أنت بمنزلة الذين لا يطيقونه، عليك الفداء ولا صومَ عَلَيْكَ. هذا إذا خافت على نفسها.

2762- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: " وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، هو الشيخ الكبير كان يُطِيقُ صَوْمَ شهر رمضان وهو شاب، فكبر وهو لا يستطيع صومَه، فليصدق على مسكين واحد لكل يوم أفطره، حين يُفطر وحين يَتَسَحَّرَ.

2763- حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس نحوه - غير أنه لم يقل: حين يُفطر وحين يَتَسَحَّرَ.

2764- حدثنا هناد قال، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب أنه قال في قول الله تعالى ذكره: " فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، قال: هو الكبير الذي كان يصوم فكبر وعجز عنه، وهي الحامل التي ليس عليها الصيام. فعلى كل واحد منهما طعام مسكين: مُدٌّ من حنطة لكل يوم حتى يمضي رَمَضَانُ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقرأ ذلك آخرون: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، وقالوا: إنه الشيخ الكبير والمرأة العجوز اللذان قد كبرا عن الصوم، فهماً يكلفان الصوم ولا يطيقانه، فلهما أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم أفطراه مسكيناً. وقالوا: الآية ثابتة الحكم منذ أنزلت، لم تنسخ، وأنكروا قول من قال: إنها منسوخة.

* ذكر من قال ذلك:

2765- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، حدثنا ابن جريج، > 3-
430 < عن عطاء، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: " يُطَوَّقُونَهُ ".

2766- حدثنا هناد قال، حدثنا علي بن مسهر، عن عصام، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، قال: فكان يقول: هي للناس اليوم قائمة.

2767- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ "، قال: وكان يقول: هي للناس اليوم قائمة.

2768- حدثنا هناد قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ "، ويقول: هو الشيخ الكبير يُفطر ويُطعم عنه.

2769- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا أيوب، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ "، -وكذلك كان يقرؤها-: إنها ليست منسوخة، كلف الشيخ الكبير أن يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً.

2770- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: " وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ ".

2771- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن عمران بن حدير، عن عكرمة قال: " الذين يطيقونه " يصومونه، ولكن الذين " يطوقونه "، يعجزون عنه.

2772- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج قال، حدثني محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي عمرو مولى عائشة، أن عائشة كانت تقرأ: " يُطَوَّقُونَهُ ".

2773- حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج، عن عطاء أنه كان يقرؤها " يطوقونه ". قال ابن جريج: وكان مجاهد يقرؤها كذلك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-431 >

2774- حدثنا حميد بن مسعدة قال حدثنا بشر بن المفضل قال: حدثنا خالد، عن عكرمة: " وعلى الذين يُطيقونه " قال، قال ابن عباس: هو الشيخ الكبير. (38)

2775- حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ قال، أخبرنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: " وعلى الذين يُطوّقونه " قال: يتجشمونه يتكلفونه. (39)

2776- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس، عن مسلم الملائي، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: " وعلى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين "، قال: الشيخ الكبير الذي لا يُطيق فيفطر ويطعم كل يوم مسكينًا.

2777- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، عن ابن عباس في قول الله: " وعلى الذين يُطيقونه "، قال: يُكلفونه، فدية طعام مسكين واحد. قال: فهذه آية منسوخة لا يرخص فيها إلا للكبير الذي لا يُطيق الصيام، أو مريض يعلم أنه لا يُشفى.

2778- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس قال: " الذين يطيقونه "، يتكلفونه، فدية طعام مسكين واحد، ولم يُرخص هذا إلا للشيخ الذي لا يُطيق الصوم، أو المريض الذي يعلم أنه لا يشفى - هذا عن مجاهد.

2779- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن < 432-3 > ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان يقول: ليست بمنسوخة.

2780- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: " وعلى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين "، يقول: من لم يطق الصوم إلا على جهد، فله أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينًا، والحامل والمرضع والشيخ الكبير والذي به سُقم دائم.

2781- حدثنا هناد قال، حدثنا عبيدة، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره: " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين "، قال: هو الشيخ الكبير، والمرء الذي كان يصوم في شبابه فلما كبر عجز عن الصوم قبل أن يموت، فهو يطعم كل يوم مسكينًا - قال هناد: قال عبيدة: قيل لمنصور: الذي يطعم كل يوم نصف صاع؟ قال: نعم. (40)

2782- حدثنا هناد قال، حدثنا مروان بن معاوية، عن عثمان بن الأسود قال: سألتُ مجاهدًا عن امرأة لي وافقَ تاسعها شهرَ رمضان، ووافقَ حرًا شديدًا،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فأمرني أن تُفطر وُطعم. قال: وقال مجاهد: وتلك الرخصة أيضًا في المسافر والمريض، فإن الله يقول: " وعلى الذين يُطيقونه فديةً طعامٌ مسكين ".

2783- حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الحاملُ والمرضعُ والشيخُ الكبير الذي لا يستطيع الصوم، يفطرون في رمضان، ويطعمون عن كل يوم مسكينًا، ثم قرأ: " وعلى الذين > 3-433 < يُطيقونه فديةً طعامٌ مسكين ". (41)

2784- حدثنا علي بن سعيد الكندي قال، حدثنا حفص، عن حجاج، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي في قوله: " وعلى الذين يُطيقونه فديةً طعام مسكين "، قال: الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم، يُفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينًا. (42)

2785- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس قال: " وعلى الذين يُطيقونه فديةً طعام مسكين "، قال: هم الذين يتكلفونه ولا يطيقونه، الشيخُ والشيخة.

2786- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي قال: هو الشيخُ والشيخة.

2787- حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا حماد، عن عمران بن حدير، عن عكرمة أنه كان يقرؤها: " وعلى الذين يُطيقونه " فأفطروا.

2788- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن عاصم، عن حدثه عن ابن عباس قال: هي مثبتةٌ للكبير والمرضع والحامل، وعلى الذين يُطيقون الصيام.

2789- حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد قال، حدثنا ابن المبارك، عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: ما قوله: " وعلى الذين يطيقونه "؟ قال: بلغنا أن الكبير إذا لم يستطع الصوم يفتر من كل يوم بمسكين. قلت: الكبير الذي > 3-434 < لا يستطيع الصوم، أو الذي لا يستطيعه إلا بالجهد؟ قال: بل الكبير الذي لا يستطيعه بجهد ولا بشيء، فأما من استطاع بجهد فليصمه، ولا عذر له في تركه.

2790- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: أخبرني عبد الله بن أبي يزيد: " وعلى الذين يُطيقونه " الآية، كأنه يعني الشيخَ الكبير - قال ابن جريج: وأخبرني ابن طاوس، عن أبيه أنه كان يقول: نزلت في الكبير الذي لا يستطيع صيام رمضان، فيفتر من كل يوم بطعام مسكين. قلت له: كم طعامه؟ قال: لا أدري، غير أنه قال: طعام يوم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2791- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن الحسن بن يحيى، عن الضحاك في قوله: " فدية طعام مسكين "، قال: الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم، يفطر ويطعم كل يوم مسكينًا.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: " وعلى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين "، منسوخ بقول الله تعالى ذكره: **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** .

لأن " الهاء " التي في قوله: " وعلى الذين يُطيقونه "، من ذكر " الصيام " ومعناه: وعلى الذين يطيقون الصيام فدية طعام مسكين. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الجميع من أهل الإسلام مجتمعين على أن من كان مُطيقًا من الرجال الأصحاء المقيمين غير المسافرين صوم شهر رمضان، فغير جائز له الإفطار فيه والافتداء منه بطعام مسكين - كان معلومًا أنّ الآية منسوخة.

هذا، مع ما يؤيد هذا القول من الأخبار التي ذكرناها آنفًا عن مُعاذ بن جبل، وابن عمر، وسلمة بن الأكوع: من أنهم كانوا - بعد نزول هذه الآية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - في صوم شهر رمضان بالخيار بين صومه **< 3-435 >** وسقوط الفدية عنهم، وبين الإفطار والافتداء من إفطاره بإطعام مسكين لكل يوم؛ وأنهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت: **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ، فألزموا فرض صومه، وبطل الخيار والفدية.

فإن قال قائل: وكيف تدّعي إجماعًا من أهل الإسلام = على أن من أطاق صومه وهو بالصفة التي وصفت، فغير جائز له إلا صومه = وقد علمت قول من قال: الحامل والمرضع إذا خافتا على أولادهما، لهما الإفطار، وإن أطاقتا الصوم بأبدانهما، مع الخبر الذي روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي:

2792- حدثنا به هناد بن السري قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتغذى، فقال: " تعال أحدثك، إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم **وَشَطْرَ الصلاة** "؟ (43)

< 3-436 >

قيل: إنا لم ندع إجماعًا في الحامل والمرضع، وإنما ادعينا في الرجال الذين **< 3-437 >** وصفنا صفتهم. فأما الحامل والمرضع، فإنما علمنا أنهم غير معنيات بقوله: (وعلى الذين يطيقونه) وخلا الرجال أن يكونوا معنيين به، (44) لأنهن لو كن معنيات بذلك دون غيرهن من الرجال، لقل: وعلى اللواتي يُطقنه فدية

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

طعامٌ مسكين، لأن ذلك كلام العرب، إذا أفرد الكلام بالخبر عنهنّ دون الرجال. فلما قيل: " وعلى الذين يُطيقونه "، كان معلومًا أنّ المعنيّ به الرجال دون النساء، أو الرجال والنساء. فلما صحّ بإجماع الجميع - على أنّ من أطاق من الرجال المقيمين الأصحاء صومُ شهر رمضان، فغيرُ مرخص له في الإفطار والافتداء، فخرج الرجال من أن يكونوا معنيين بالآية، وعُلم أن النساء لم يُردن بها لما وصفنا: من أن الخبر عن النساء إذا انفرد الكلام بالخبر عنهن: " وعلى اللواتي يطقنه "، والتنزيل بغير ذلك.

وأما الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه إن كان صحيحًا، فإنما معناه: أنه وضع عن الحامل والمرضع الصومَ ما دامت عاجزتين عنه، حتى يُطيقا فتقضيا، كما وُضع عن المسافر في سفره، حتى يقيم فيقضيه - لا أنهما أمرتا بالفدية والإفطار بغير وجوب قضاء، ولو كان في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله وضع عن المسافر والمرضع والحامل الصوم "، دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم إنما عنى أن الله تعالى ذكره وضع عنهم بقوله: " وعلى الذين يُطيقونه < 3-438 > فدية طعام مسكين "، لوجب أن لا يكون على المسافر إذا أفطر في سفره قضاء، وأن لا يلزمه بإفطاره ذلك إلا الفدية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع بين حكمه وبين حكم الحامل والمرضع. وذلك قولٌ، إن قاله قائلٌ، خلافٌ لظاهر كتاب الله، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام.

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنّ معنى قوله: " وعلى الذين يطيقونه "، وعلى الذين يطيقون الطعام. وذلك لتأويل أهل العلم مخالفٌ.

وأما قراءة من قرأ ذلك: " وعلى الذين يُطوّقونه " فقراءة لمصاحف أهل الإسلام خلافٌ، وغير جائز لأحد من أهل الإسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وراثته عن نبيهم صلى الله عليه وسلم نقلًا ظاهرًا قاطعًا للعدر. لأن ما جاءت به الحجة من الدين، هو الحق الذي لا شك فيه أنه من عند الله. ولا يُعترض على ما قد ثبت وقامت به حجة أنه من عند الله، بالأراء والظنون والأقوال الشاذة.

وأما معنى " الفدية " فإنه: الجزاء، من قولك: " فديت هذا بهذا "، أي جزيته به، وأعطيته بدلا منه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ومعنى الكلام: وعلى الذين يُطيقون الصيام جزاءً طعام مسكين، لكل يوم أفطره من أيام صيامه الذي كتب عليه.

وأما قوله: " فدية طعام مسكين "، فإنَّ القراءةَ مختلفةً في قراءته. فبعضُ يقرأ بإضافة " الفدية " إلى " الطعام "، وخفض " الطعام " - وذلك قراءة عظم قراء أهل المدينة (45) - بمعنى: وعلى الذين يطيقونه أن يفدوه طعام مسكين. < 439-3 > فلما جعل مكان " أن يفديه " " الفدية " أضيف إلى " الطعام "، كما يقال " لزمني غرامة درهم لك "، بمعنى: لزمني أن أغرم لك درهماً.

وآخرون يقرأونه بتنوين " الفدية "، ورفع " الطعام "، بمعنى الإبانة في " الطعام " عن معنى " الفدية " الواجبة على من أفطر في صومه الواجب، كما يقال: " لزمني غرامة، درهم لك "، فتبين " بالدرهم " عن معنى " الغرامة " ما هي؟ وما حدّها؟ وذلك قراءة عظم قراء أهل العراق.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بين الصواب قراءة من قرأ " فدية طعام " بإضافة " الفدية " إلى " الطعام "، لأن " الفدية " اسم للفعل، وهي غير " الطعام " المفديّ به الصوم.

وذلك أن " الفدية " مصدر من قول القائل: " قَدِيت صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ بِطَعَامِ مَسْكِينٍ أَفْدِيهِ فِدِيَةً "، كما يقال: " جلست جلسة، ومشيئتُ مشية ". " والفدية " فعل، و " الطعام " غيرها. فإذا كان ذلك كذلك، فبيّن أن أصحَّ القراءتين إضافة " الفدية " إلى " الطعام "، (46) وواضح خطأ قول من قال: إن ترك إضافة " الفدية " إلى الطعام، أصح في المعنى، من أجل أن " الطعام " عنده هو " الفدية ". فيقال لقائل ذلك: قد علمنا أن " الفدية " مقتضية مفدياً، ومفدياً به، وفدية. فإن كان " الطعام " هو " الفدية " والصوم هو المفديّ به، فإن اسم فعل المفدي الذي هو " فدية " إنّ هذا القول خطأ بين غير مشكل.

وأما " الطعام " فإنه مضاف إلى " المسكين ". والقراءة في قراءة ذلك مختلفون.

فقرأه بعضهم بتوحيد " المسكين "، بمعنى: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام < 440-3 > مسكين واحد لكل يوم أفطره، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2793- حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال، حدثنا حسين الجعفي، عن أبي عمرو أنه قرأ: " فديةٌ " -رفع منون- " طعام " -رفع بغير تنوين- " مسكين " ، وقال: عن كل يوم مسكين. وعلى ذلك عظم قراء أهل العراق.

وقراه آخرون بجمع " المساكين " ، " فدية طعام مساكين " بمعنى: وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مساكين عن الشهر، إذا أفطر الشهر كله، كما:-

2794- حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي، عن يعقوب، عن بشار، عن عمرو، عن الحسن: " طعام مساكين " ، عن الشهر كله.

قال أبو جعفر: وأعجبُ القراءتين إليّ في ذلك قراءة من قرأ: " طعام مسكين " على الواحد، بمعنى: وعلى الذين يطبقونه عن كل يوم أفطروه فدية طعام مسكين. لأن في إبانة حُكم المفطر يومًا واحدًا، ووصولًا إلى معرفة حُكم المفطر جميع الشهر -وليس في إبانة حكم المفطر جميع الشهر، وصولًا إلى إبانة حكم المفطر يومًا واحدًا، وأيامًا هي أقل من أيام جميع الشهر -، وأن كل " واحد " يُترجم عن " الجميع " ، وأن " الجميع " لا يترجم به عن " الواحد ". فلذلك اخترنا قراءة ذلك بالتوحيد. (47)

واختلف أهل العلم في مبلغ الطعام الذي كانوا يطعمون في ذلك إذا أفطروا. فقال بعضهم: كان الواجبُ من طعام المسكين لإفطار اليوم الواحد نصف صاع من قمح.

وقال بعضهم: كان الواجب من طعام المسكين لإفطار اليوم، مدًّا من قمح ومن سائر أقواتهم.

< 3-441 >

وقال بعضهم: كان ذلك نصف صاع من قمح، أو صاعًا من تمر أو زبيب.

وقال بعضهم: ما كان المفطر يتقوّته يومه الذي أفطره.

وقال بعضهم: كان ذلك سحورًا وعشاءً، يكون للمسكين إفطارًا.

وقد ذكرنا بعض هذه المقالات فيما مضى قبل، فكرهنا إعادة ذكرها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم بما:-

2795- حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، عن ابن عباس: " فمن تطوع خيرًا "، فزاد طعامً مسكين آخر، " فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم ".

2796- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس مثله.

2797- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد في قوله: " فمن تطوع خيرًا "، قال: من أطعم المسكين صاعًا.

2798- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه: " فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له "، قال: إطعامٌ مساكين عن كل يوم، فهو خير له.

2799- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن حنظلة، عن طاوس: " فمن تطوع خيرًا "، قال: طعامٌ مسكين.

2800- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن > 3-
442 < حنظلة، عن طاوس نحوه.

2801- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن ليث، عن طاوس: " فمن تطوع خيرًا "، قال: طعام مسكين.

2802- حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا حماد، عن ليث عن طاوس مثله.

2803- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عمرو بن هارون قال، حدثنا ابن جريج، عن عطاء أنه قرأ: " فمن تطوع " -بالتاء خفيفة [الطاء]- " خيرًا "، قال: زاد على مسكين. (48)

2804- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له "، فإن أطعم مسكينين فهو خير له.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2805- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، أخبرني ابن طاوس، عن أبيه: " فمن تطوع خيرًا فهو خير له "، قال: من أطعم مسكينًا آخر.

وقال آخرون: معنى ذلك، فمن تطوع خيرًا فصام مع الفدية.

* ذكر من قال ذلك:

2806- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال، أخبرني يونس، عن ابن شهاب: " فمن تطوع خيرًا فهو خير له "، يريد أن من صام مع الفدية فهو خير له.

وقال آخرون: معنى ذلك: فمن تطوع خيرًا فزاد المسكين على قدر طعامه.

* ذكر من قال ذلك:

< 3-443 >

2807- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج قال، مجاهد: " فمن تطوع خيرًا "، فزاد طعامًا، " فهو خير له ".

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره عمم بقوله: " فمن تطوع خيرًا "، فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض. فإنَّ جَمْعَ الصَّوْمِ مع الفدية من تطوُّع الخير، وزيادةُ مسكين على جزاء الفدية من تطوُّع الخير. وجائز أن يكون تعالى ذكره عنى بقوله: " فمن تطوع خيرًا "، أيَّ هذه المعاني تطوُّع به المفتدي من صومه، فهو خير له. لأن كل ذلك من تطوع الخير، ونوافل الفضل.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** (184)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " وَأَنْ تَصُومُوا "، ما كتب عليكم من شهر رمضان، " فهو خير لكم " من أن تفتروه وتفتدوا، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2808- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ "، ومن تكلف الصيامَ فصامه فهو خيرٌ له.

2809- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني يونس، عن ابن شهاب: " وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ "، أي: إن الصيامَ خير لكم من الفدية.

2810- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، > 3-444 < عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ " (49)

وأما قوله: " إن كنتم تعلمون "، فإنه يعني: إن كنتم تعلمون خيرَ الأمرين لكم أيها الذين آمنوا، من الإفطار والفدية، أو الصوم على ما أمركم الله به.

القول في تأويل قوله تعالى: شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ

قال أبو جعفر: " والشهر "، فيما قيل، أصله من " الشهرة ". يقال منه: " قد شهر فلانٌ سيفه " - إذا أخرجته من غمده فاعترض به من أراد ضربه - " يشهره شهرًا ". وكذلك " شهر الشهر "، إذا طلع هلاله، " وأشهرنا نحن "، إذا دخلنا في الشهر.

وأما " رمضان "، فإن بعض أهل المعرفة بلغة العرب كان يزعم أنه سمي بذلك لشدة الحرِّ الذي كان يكون فيه، حتى تَرَمَضَ فيه الفِصال، (50) كما يقال للشهر الذي يُحجُّ فيه " ذو الحجة "، والذي يُرتبع فيه " ربيع الأول، وربيع الآخر ".

وأما مجاهد فإنه كان يكره أن يقال: " رمضان "، ويقول: لعله اسمٌ من أسماء الله.

2811- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن > 3-445 < مجاهد: أنه كره أن يقال: " رمضان "، ويقول: لعله اسم من أسماء الله لكن نقول كما قال الله: " شهر رمضان ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد بينت فيما مضى أن "شهر" مرفوع على قوله: أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ , هن شهر رمضان. (51) وجائز أن يكون رفعه بمعنى: ذلك شهر رمضان, وبمعنى: كتب عليكم شهر رمضان.

وقد قرأه بعض القراء "شهر رمضان" نصبًا, بمعنى: كتب عليكم الصيام أن تصوموا شهر رمضان, وقرأه بعضهم نصبًا بمعنى: أن تصوموا شهر رمضان خير لكم إن كنتم تعلمون وقد يجوز أيضًا نصبه على وجه الأمر بصومه, كأنه قيل: شهر رمضان فصوموه. وجائز نصبه على الوقت, كأنه قيل: كتب عليكم الصيام في شهر رمضان.

وأما قوله: "الذي أنزل فيه القرآن", فإنه ذكر أنه نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا, في ليلة القدر من شهر رمضان. ثم أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه, كما:-

2812- حدثنا أبو كريب قال, حدثنا أبو بكر بن عياش, عن الأعمش, عن حسان بن أبي الأشرس عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة من الذكر في ليلة أربع وعشرين من رمضان, فجعل في بيت العزة - قال أبو كريب: حدثنا أبو بكر, وقال ذلك السدي.

2813- حدثني عيسى بن عثمان قال, حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن حسان, عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان, فجعل في سماء الدنيا. (52)

< 3-446 >

2814- حدثنا أحمد بن منصور قال, حدثنا عبد الله بن رجاء قال, حدثنا عمران القطان, عن قتادة, عن أبي المليح, عن واثلة, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نزلت صُحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان, وأنزلت التوراة لست مَصِين من رمضان, وأنزل الإنجيل ثلاث عشرة خلت, وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان". (53)

2815- حدثني موسى قال, حدثنا عمرو قال, حدثنا أسباط, عن السدي: "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن". أما "أنزل فيه القرآن", فإن ابن عباس قال: شهر رمضان, والليلة المباركة ليلة القدر, فإن ليلة القدر هي الليلة المباركة, وهي في رمضان, نزل القرآن جملة واحدة من الزُّبر إلى البيت المعمور, وهو "مواقع النجوم" في السماء الدنيا حيث وقع القرآن, ثم نزل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

على محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في الأمر والنهي وفي الحروب
رَسُولًا رَسُولًا. (54)

2816- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود، عن عكرمة،
عن ابن عباس قال: أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان
الله إذا أراد أن يُوحِيَ منه شيئًا أوحاه، فهو قوله: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**
[سورة القدر: 1].

< 3-447 >

2817- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن
ابن عباس، فذكر نحوه - وزاد فيه: فكان من أوله وآخره عشرون سنة.

2818- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عكرمة،
عن ابن عباس، قال: أنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في
رمضان، إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئًا
أنزله منه، حتى جمعه.

2819- حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن حكيم بن
جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من
السماء العليا إلى السماء جملة واحدة، ثم فرّق في السنين بعد. قال: وتلا ابن
عباس هذه الآية: **فَلَا أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [سورة الواقعة: 75]**، قال: نزل
مفرقًا.

2820- حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن عليه، عن داود، عن الشعبي قال: بلغنا أن
القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا.

2821- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، قرأه
ابن جريج في قوله: (55) " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن "، قال: قال
ابن عباس: أنزل القرآن جملة واحدة على جبريل في ليلة القدر، فكان لا
ينزل منه إلا بأمر. قال ابن جريج: كان ينزل من القرآن في ليلة القدر كل
شيء ينزل من القرآن في تلك السنة. فنزل ذلك من السماء السابعة على
جبريل في السماء الدنيا، فلا ينزل جبريل من ذلك على محمد إلا ما أمره
به ربه. ومثل ذلك **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** و **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ**
[سورة الدخان: 3].

< 3-448 >

2822- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن
إسرائيل، عن السدي، عن محمد بن أبي المجالد، عن مقسم، عن ابن عباس،
قال له رجل: إنه قد وقع في قلبي الشك من قوله: " شهر رمضان الذي
أنزل فيه القرآن "، وقوله: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ** وقوله **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**
في ليلة القدر، وقد أنزل الله في سؤال وذي الفعدة وغيره! قال: إنما

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أنزل في رمضان في ليلة القدر وليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على
مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام.

وأما قوله: " هُدى للناس "، فإنه يعني رِشادًا للناس إلى سبيل الحقِّ وقَصْد
المنهج. (56)

وأما قوله: " وَبَيَّنَات "، فإنه يعني: وواضحات " من الهدى " - يعني: من البيان
الدالِّ على حدود الله وفرائضه وحلاله وحرامه. (57)

وقوله: " والفرقان " يعني: والفصل بين الحق والباطل، (58) كما:-

2823- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا
أسباط، عن السدي: أما " وبينات من الهدى والفرقان "، فبينات من الحلال
والحرام.

< 3-449 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى " شهود الشهر ".

فقال بعضهم: هو مُقام المقيم في داره. قالوا: فمن دخل عليه شهرُ رمضان
وهو مقيم في داره، فعليه صوم الشهر كله، غابَ بعدُ فسافر، أو أقام فلم
يبرح.

* ذكر من قال ذلك:

2824- حدثني محمد بن حميد ومحمد بن عيسى الدامغاني قالا حدثنا ابن
المبارك، عن الحسن بن يحيى، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: " فمن
شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ "، قال: هو إهلاله بالدار. يريد: إذا هلَّ وهو مُقيم.

2825- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن
حدثه، عن ابن عباس أنه قال. في قوله: " فمن شهد منكم الشهر فليصمه "،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإذا شهدته وهو مقيم فعليه الصوم، أقام أو سافر. وإن شهدته وهو في سفر، فإن شاء صام وإن شاء أفطر.

2826- حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن أيوب، عن محمد، عن عبيدة -في الرجل يُدركه رمضان ثم يُسافر - قال: إذا شهدت أوله فصم آخره، ألا تراه يقول: " فمن شهد منكم الشهر فليصمه "؟

2827- حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن هشام القردوسي، عن محمد بن سيرين قال، سألت عبيدة: عن رجل أدرك رمضان وهو مقيم؟ قال: من صام أول الشهر فليصم آخره، ألا تراه يقول: " فمن شهد منكم الشهر فليصمه ". (59)

< 3-450 >

2828- حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما " من شهد منكم الشهر فليصمه "، فمن دخل عليه رمضان وهو مقيم في أهله فليصمه، وإن خرج فيه فليصمه، فإنه دخل عليه وهو في أهله.

2829- حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا حماد قال، أخبرنا قتادة، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني، عن علي -فيما يحسب حماد- قال: من أدرك رمضان وهو مقيم لم يخرج، فقد لزمه الصوم، لأن الله يقول: " فمن شهد منكم الشهر فليصمه ".

2830- حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا عبد الرحمن، عن إسماعيل بن مسلم، عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن قول الله: " فمن شهد منكم الشهر فليصمه "، قال: من كان مقيمًا فليصمه، ومن أدركه ثم سافر فيه فليصمه.

2831- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: من شهد أول رمضان فليصم آخره.

2832- حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة أن عليًا كان يقول: إذا أدركه رمضان وهو مقيمٌ ثم سافر، فعليه الصوم.

2833- حدثنا هناد قال، حدثنا عبد الرحيم، عن عبيدة الضبي، عن إبراهيم قال: كان يقول: إذا أدركك رمضان فلا تسافر فيه، فإن صمت فيه يومًا أو اثنين ثم سافرت، فلا تفطر، صمه.

2834- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري. قال: كنا عند عبيدة فقرأ هذه الآية: < 3-451 > " فمن شهد منكم الشهر فليصمه "، قال: من صام شيئًا منه في المصر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فليصم بقيته إذا خرج. قال: وكان ابن عباس يقول: إن شاء صام وإن شاء أفطر.

2835- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب -و حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية- قالا جميعًا، حدثنا أيوب، عن أبي يزيد، عن أم ذرة، قالت: أتيت عائشة في رمضان، قالت: من أين جئت؟ قلت: من عند أخي حنين. قالت: ما شأنه؟ قالت: ودَّعته يُريد يرتحل. قالت: فأقرئيه السلام ومُريه فليُقم، فلو أدركني رمضانُ وأنا ببعض الطريق لأُقمت له. (60)

2836- حدثنا هناد قال، حدثنا إسحاق بن عيسى، عن أفلاج، عن عبد الرحمن، قال: جاء إبراهيم بن طلحة إلى عائشة يُسلم عليها، قالت: وأين تريد؟ قال: أردتُ العمرة. قالت: فجلست حتى إذا دخل عليك الشهر خرجت فيه! قال: قد خرج ثقلي! قالت: اجلس، حتى إذا أفطرت فاخرج - يعني شهرَ رمضان. (61)

< 3-452 >

وقال آخرون: معنى ذلك: فمن شهد منكم الشهر فليصم ما شهد منه.

* ذكر من قال ذلك:

2837- حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق: أن أبا ميسرة خرج في رمضان، حتى إذا بلغ القنطرة دعا ماءً فشرب.

2838- حدثنا هناد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة قال: خرج أبو ميسرة في رمضان مسافرًا، فمَرَّ بالفرات وهو صائم، فأخذ منه كفاً فشربه وأفطر.

2839- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن مرثد: أن أبا ميسرة سافرَ في رمضان، فأفطر عند باب الجسر - هكذا قال هناد، عن مرثد، وإنما هو أبو مرثد.

2840- حدثني محمد بن عمارة الأسديّ قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مرثد: أنه خرج مع أبي ميسرة في رمضان، فلما انتهى إلى الجسر أفطر. (62)

< 3-453 >

2841- حدثنا هناد وأبو هشام قالا حدثنا وكيع، عن المسعودي، عن الحسن بن سعد، عن أبيه قال: كنت مع عليّ في ضيعة له على ثلاث من المدينة، فخرجنا نريد المدينة في شهر رمضان، وعليّ ركبٌ وأنا ماشٍ، قال: فصام - قال هناد: وأفطرت - قال أبو هشام: وأمرني فأفطرت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2842- حدثنا هناد قال، حدثنا عبد الرحيم، عن عبد الرحمن بن عتبة، عن الحسن بن سعد، عن أبيه قال: كنت مع عليّ بن أبي طالب وهو جَاءٍ من أرض له، فصام، وأمرني فأفطرت، فدخل المدينة ليلاً وكان راكبًا وأنا ماشٍ.

2843- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع -وحدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدي- قالا جميعًا، حدثنا سفيان، عن عيسى بن أبي عزة، عن الشعبي: أنه سافر في شهر رمضان فأفطر عند باب الجسر.

2844- حدثني ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، قال لي سفيان: أحبُّ إليّ أن تُتَمَّه.

2845- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة قال: سألت الحكمَ وحمادًا، وأردت أن أسافر في رمضان فقالا لي: اخرج. وقال حماد، قال إبراهيم: أما إذا كان العَشر، فأحبُّ إليّ أن يقيم.

2846- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا حماد، عن قتادة، عن الحسن وسعيد بن المسيب قالا من أدركه الصومُ وهو مقيم رمضان ثم سافر، قالا إن شاء أفطر.

< 3-454 >

وقال آخرون: " فَمَن شهد منكم الشهر فليصمه "، يعني: فَمَن شهدَه عاقلًا بالغًا مكلّفًا فليصمه.

وممن قال ذلك أبو حنيفة وأصحابه، كانوا يقولون: من دخل عليه شهرُ رمضان وهو صحيحٌ عاقلٌ بالغٌ فعليه صومه، فإن جُرَّ بعد دُخوله عليه وهو بالصفة التي وصفنا، ثم أفاق بعد انقضائه، لزمه قضاء ما كان فيه من أيام الشهر مغلوبًا على عقله، لأنه كان ممن شهدَه وهو ممن عليه فُرض.

قالوا: وكذلك لو دخل عليه شهرُ رمضان وهو مجنونٌ، إلا أنه ممن لو كان صحيحَ العقل كان عليه صَوْمُه، فلن ينقضي الشهر حتى صحَّ وبرأ، أو أفاق قبل انقضاء الشهر بيوم أو أكثر من ذلك، فإنَّ عليه قضاء صَوْم الشهر كله، سوى اليوم الذي صامه بعد إفاقته، لأنه ممن قد شَهد الشهر.

قالوا: ولو دَخَلَ عليه شهرُ رمضان وهو مجنون، فلم يفق حتى انقضى الشهرُ كله، ثم أفاق، لم يلزمه قضاء شيء منه، لأنه لم يكن ممن شهدَه مكلّفًا صَوْمَه.

قال أبو جعفر: وهذا تأويل لا معنى له، لأنَّ الجنون إن كان يُسقط عمن كان به فَرَضَ الصوم، من أجل فقد صاحبه عَقَله جميع الشهر، فقد يجب أن يكونَ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ذلك سبيل كل من فقد عقله جميع شهر الصوم. وقد أجمع الجميع على أن من فقد عقله جميع شهر الصوم بإغماء أو يرسام، (63) ثم أفاق بعد انقضاء الشهر، أن عليه قضاء الشهر كله. ولم يخالف ذلك أحدٌ يجوز الاعتراض به على الأمة. وإذا كان إجماعًا، فالواجب أن يكون سبيل كل من كان زائل العقل جميع شهر الصوم، سبيل المغمى عليه. وإذا كان ذلك كذلك، كان معلومًا أن تأويل الآية غير الذي تأولها قائلو هذه المقالة: من أنه شهود الشهر أو بعضه مكلفًا صومه. وإذا بطل ذلك، فتأويل المتأول الذي زعم أن معناه: فمن شهد أوله مقيمًا حاضرًا > 3-455 < فعليه صوم جميعه، أبطل وأفسد، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج عام الفتح من المدينة في شهر رمضان بعد ما صام بعضه، وأفطر وأمر أصحابه بالإفطار.

2847- حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: " سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان من المدينة إلى مكة، حتى إذا أتى عُسفان نزل به، فدعا بإناء فوضعه على يده ليراه الناس، ثم شربه.

2848- حدثنا ابن حميد وسفيان بن وكيع قالا حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه

2849- حدثنا هناد، حدثنا عبدة، عن منصور، عن مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه. (64)

2850- حدثنا هناد وأبو كريب قالا حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا ابن إسحاق قال، حدثني الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره عام الفتح لعشر مضين من رمضان، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه، حتى إذا أتى الكدِّد - ما بين عُسفان وأمّج - أفطر.

2851- حدثنا هناد وأبو كريب قالا حدثنا عبدة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال خرج رسول الله > 3-456 < صلى الله عليه وسلم لعشر - أو لعشرين - مضت من رمضان عام الفتح، فصام حتى إذا كان بالكديد أفطر. (65)

2852- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سالم بن نوح قال، حدثنا عمر بن عامر، عن قتادة، عن أبي نصر، عن أبي سعيد الخدري قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم لثمان عشرة مضت من رمضان، فمنا الصائم ومنا المفطر، فلم يعب المفطر على الصائم، ولا الصائم على المفطر. (66)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإذ كانا فاسدين هذان التأويلان، (67) بما عليه دللنا من فسادهما - قَبِيْنٌ أَنْ الصَّحِيْحَ مِنَ التَّأْوِيلِ هُوَ الثَّلَاثُ، (68) وَهُوَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، جَمِيعًا مَا شَهِدَ مِنْهُ مَقِيمًا، وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.

< 3-457 >

إِلْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فِي الشَّهْرِ فَأَفْطَرَ، فَعَلِيهِ صِيَامُ عِدَّةِ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا، مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ غَيْرِ أَيَّامِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

ثم اختلف أهل العلم في المرَض الذي أباح الله معه الإفطار، وأوجب معه عده من أيام آخر.

فقال بعضهم: هو المرض الذي لا يُطيق صاحبه معه القيام لصلاته.

* ذكر من قال ذلك:

2853- حدثنا معاذ بن شعبة البصري قال، حدثنا شريك، عن مغيرة، عن إبراهيم وإسماعيل بن مسلم، عن الحسن أنه قال: إذا لم يستطع المريض أن يُصَلِّيَ قَائِمًا أَفْطَرَ. (69)

2854- حدثني يعقوب قال حدثنا هشيم، عن مغيرة -أو عبيدة- عن إبراهيم، في المريض إذا لم يستطع الصلاة قَائِمًا فليفطر. يعني: في رمضان.

2855- حدثنا هناد قال، حدثنا حفص بن غياث، عن إسماعيل قال: سألت الحسن: متى يُفطر الصائم؟ قال: إذا جهده الصوم. قال: إذا لم < 3-458 > يستطع أن يُصَلِّيَ الْفَرَائِضَ كَمَا أَمَرَ. (70)

وقال بعضهم: وهو كل مرض كان الأغلبُ من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في عِلته زيادة غير مُحتملة. (71) وذلك هو قول محمد بن إدريس الشافعي، حدثنا بذلك عنه الربيع.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: وهو [كلّ] مرض يسمى مَرَضًا. (72)

* ذكر من قال ذلك:

2856- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا الحسن بن خالد الربيعي قال، حدثنا طريف بن شهاب العطاردي: أنه دخل على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل، فلم يسأله. فلما فرغ قال: إنه وَجَعْتُ إصبعي هذه. (73)

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن "المرض" الذي أذن < 459-3 > الله تعالى ذكره بالإفطار معه في شهر رمضان، من كان الصومُ جَاهِدَهُ جَهْدًا غير محتمل، فكل من كان كذلك فله الإفطار وقضاء عدة من أيامٍ آخر. وذلك أنه إذا بلغ ذلك الأمر، فإن لم يكن مأذونًا له في الإفطار فقد كلف عُيُسْرًا، ومُنِعَ يُسْرًا. وذلك غير الذي أخبر الله أنه أراد به بخلقه بقوله: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ . وأما من كان الصوم غير جَاهِدِهِ، فهو بمعنى الصحيح الذي يُطِيق الصوم، فعليه أداء فرضه.

وأما قوله: "فعدة من أيامٍ آخر"، فإن معناها: أيامًا معدودة سوى هذه الأيام.

وأما "الأخر"، فإنها جمع "أخرى" كجمعهم "الكبرى" على "الكُبرى" و "القُرى" على "القُرب". (74)

فإن قال قائل: أوليست "الأخر" من صفة الأيام؟

قيل: بلى.

فإن قال: أوليس واحدًا "الأيام" "يوم" وهو مذكر؟

قيل: بلى.

فإن قال: فكيف يكون واحدًا "الأخر" "أخرى"، وهي صفة ل "اليوم"، ولم يكن "أخر"؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيل: إن واحد " الأيام " وإن كان إذا نُعت بواحد " الآخر " فهو " آخر " , فإن " الأيام " في الجمع تصير إلى التانيث، فتصير نعوته وصفاتها كهيئة صفات المؤنث، كما يقال: " مضت الأيامُ جُمعَ " , ولا يقال: أجمعون، ولا أيام آخرون.

فإن قال لنا قائل: فإن الله تعالى قال: **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** < 3-460 > , ومعنى ذلك عندك: فعليه عدة من أيام آخر، كما قد وصفت فيما مضى. فإن كان ذلك تأويله، فما قولك فيمن كان مريضًا أو على سفر قَصَام الشهر، وهو ممن له الإفطار، أيجزیه ذلك من صيام عدة من أيام آخر، أو غير مُجزیه ذلك، وقَرَضُ صوم عدة من أيام آخر ثابتٌ عليه بهيئته، وإن صام الشهر كله؟ وهل لمن كان مريضًا أو على سفر صيام شهر رمضان، أم ذلك محذور عليه، وغير جائز له صومه، والواجب عليه الإفطار فيه، حتى يقيم هذا ويبرأ هذا؟

قيل: قد اختلف أهل العلم في كل ذلك، ونحن ذاكروا اختلافهم في ذلك، ومخبرون بأولاه بالصواب إن شاء الله.

فقال بعضهم: الإفطار في المرض عَزْمَةٌ من الله واجبة، وليسَ بترخيص.

* ذكر من قال ذلك:

2857- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي -وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية- جميعًا، عن سعيد، عن قتادة، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: الإفطار في السفر عَزْمَةٌ.

2858- حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال، أخبرنا شعبة، عن يعلى، عن يوسف بن الحكم قال: سألتُ ابن عمر -أو: سئل- عن الصوم في السفر فقال: رأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك، ألم تغضب؟ فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم. (75)

< 3-461 >

2859- حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال، حدثنا المحاربي عن عبد الملك بن حميد قال، قال أبو جعفر: كان أبي لا يصُوم في السفر، ويتهى عنه. (76)

2860- وحدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا عبيد، عن الضحاك: أنه كره الصوم في السفر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال أهل هذه المقالة: من صام في السفر فعليه القضاء إذا قام.

* ذكر من قال ذلك:

2861- حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا ربيعة بن كلثوم، عن أبيه، عن رجل: أن عمرَ أمرَ الذي صام في السفر أن يُعيد. (77).

2862- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن أبي عدي، عن سعيد > 462-3 < بن عمرو بن دينار، عن رجل من بني تميم، عن أبيه قال: أمر عمر رجلا صام في السفر أن يعيد صومه.

2863- حدثني ابن حميد الحمصي قال، حدثنا علي بن معبد، عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، عن عطاء، عن المحرر بن أبي هريرة قال: كنت مع أبي في سفر في رمضان، فكنت أصوم ويُفطر. فقال لي أبي: أما إنك إذا أقيمت قضيته. (78)

2864- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا سليمان بن داود قال، حدثنا شعبة، عن عاصم مولى قريبة، قال: سمعت عروة يأمر رجلا صام في السفر أن يقضي.

2865- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال، حدثنا شعبة، عن عاصم مولى قريبة: أن رجلا صام في السفر، فأمره عروة أن يقضي.

2866- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن صبيح قال، حدثنا ربيعة بن كلثوم، عن أبيه كلثوم: أن قوماً قدموا على عمر بن الخطاب وقد صاموا رمضان في سفر، فقال لهم: والله لكانكم كنتم تَصُومون! فقالوا: والله يا أمير المؤمنين > 463-3 < لقد صمنا! قال: فأطقتموه! قالوا: نعم. قال: فاقضوه، فاقضوه. (79)

وعلة مَنْ قال هذه المقالة: أن الله تعالى ذكره فرضَ بقوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ صومَ شهر رمضان على من شهدَه مُقيماً غير مسافر، وجعل على من كان مريضاً أو مسافراً صومَ عدة من أيام غير أيام شهر رمضان بقوله: " وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ". قالوا: فكما غيرُ جائز للمقيم إبطاءُ أيام شهر رمضان وصوم عدة أيام آخر مكانها -لأن الذي فرضه الله عليه بشهوده الشهرَ صومَ الشهر دون غيره- فكذلك غير جائز لمن لم يشهده من المسافرين مقيماً، صومه. لأن الذي فرضه الله عليه عدة من أيام آخر. واعتلوا أيضاً من الخبر بما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2867- حدثنا به محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري قال، حدثنا عبد الله بن موسى، عن أسامة بن زيد، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن عوف قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصائم في السفر كالمفطر في الحضر." (80)

2868- حدثني محمد بن عبيد الله بن سعيد قال، حدثنا يزيد بن عياض، > 3-464 < عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصائم في السفر كالمفطر في الحضر". (81)

وقال آخرون: إباحة الإفطار في السفر رخصة من الله تعالى ذكره، رخصها لعباده، والفرص الصوم. فمن صام فرضه أدي، ومن أفطر فبرخصة الله له أفطر. قالوا: وإن صام في سفر فلا قضاءً عليه إذا أقام.

* ذكر من قال ذلك:

> 3-465 <

2869- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا أيوب قال، حدثنا عروة وسالم: أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أمير على المدينة، فتذاكروا الصوم في السفر، قال سالم: كان ابن عمر لا يصوم في السفر. وقال عروة: وكانت عائشة تصوم. فقال سالم: إنما أخذت عن ابن عمر. وقال عروة: إنما أخذت عن عائشة. حتى ارتفعت أصواتهما. فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم عفوًا! إذا كان يُسرًا فصوموا، وإذا كان عُسرًا فأفطروا.

2870- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن عليه، عن أيوب، قال، حدثني رجل قال: ذكر الصوم في السفر عند عمر بن عبد العزيز، ثم ذكر نحو حديث ابن بشار.

2871- حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن عليه، عن محمد بن إسحاق - وحدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس حدثنا ابن إسحاق - عن الزهري، عن سالم بن عبد الله قال: خرج عمر بن الخطاب في بعض أسفاره في ليال بقيت من رمضان، فقال: إن الشهر قد تشعشع - قال أبو كريب في حديثه: أو: تسعسع، ولم يشك يعقوب - فلو صمنا! فصام وصام الناس معه. ثم أقبل مرة قافلا حتى إذا كان بالروحاء أهل هلال شهر رمضان، فقال: إن الله قد > 3-466 < قصى السفر، فلو صمنا ولم نعلم شهرنا! قال: فصام وصام الناس معه. (82).

2872- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير، قال، حدثني أبي - وحدثنا محمد بن بشار قال، أخبرنا عبيد الله قال، أخبرنا بشير بن سلمان - عن خيثمة قال: سألت أنس بن مالك عن الصوم في السفر، قال: قد أمرت

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

غلامي أن يصوم فأبى. قلت: فأين هذه الآية: "ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام آخر"؟ قال: نزلت ونحن يومئذ نرتحلُ جياغًا وننزل على غير شيع، وأنا اليوم نرتحلُ شباغًا وننزل على شيع (83).

2873- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن بشير بن سلمان، عن خيثمة، عن أنس نحوه.

2874- حدثنا هناد وأبو السائب قالا حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، < 3-467 > عن أنس: أنه سئل عن الصوم في السفر فقال: من أفطر فبرُخصة الله، ومن صام فالصوم أفضل.

2875- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة، عن أشعث بن عبد الملك، عن محمد بن عثمان بن أبي العاص قال: الفطر في السفر رخصة، والصوم أفضل.

2876- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال، حدثنا شعبة قال، حدثنا أبو الفيض، قال: كان علي علينا أميرًا بالشام، فنهانا عن الصوم في السفر، فسألت أبا قُرْصافة - رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من بني ليث، قال عبد الصمد: سمعتُ رجلا من قومه يقول: إنه واثلة بن الأسقع - قال: لو صمت في السفر ما قضيت. (84).

< 3-468 >

2877- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن بسطام بن مسلم، عن عطاء قال: إن صتمت أجزاء عنكم، وإن أفطرتم فَرُخصة.

2878- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن كهَمس قال: سألت سالم بن عبد الله عن الصوم في السفر، فقال: إن صتمت أجزاء عنكم، وإن أفطرتم فرخصة.

2879- حدثنا هناد قال، حدثنا عبد الرحيم، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء قال: من صام فحقُّ أدَّاه، ومن أفطر فَرُخصة أخذ بها.

2880- حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، قال: الفطر في السفر رُخصة، والصوم أفضل.

2881- حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية، عن حجاج، عن عطاء، قال: هو تَعليم، وليس بعزم - يعني قول الله: "ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام آخر"، إن شاء صام وإن شاء لم يصم.

2882- حدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن الحسن: في الرجل يسافر في رمضان، قال: إن شاء صام وإن شاء أفطر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2883- حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفیان بن حبيب قال، حدثنا العوّام بن حوشب قال: قلت لمجاهد: الصوم في السفر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم فيه ويفطر. قال: قلت: فأيهما أحب إليك؟ قال: إنما هي رخصة، وأن تصوم رمضان أحب إليّ.

2884- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، > 3- 469 < عن حماد، عن سعيد بن جبیر وإبراهيم ومجاهد، أنهم قالوا: الصوم في السفر، إن شاء صام وإن شاء أفطر، والصوم أحب إليهم.

2885- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال، قال لي مجاهد في الصوم في السفر -يعني صوم رمضان-: والله ما منهما إلا حلال، الصوم والإفطار، وما أراد الله بالإفطار إلا التيسير لعباده.

2886- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن الأشعث بن سليم قال: صحبت أبا الأسود بن يزيد وعمرو بن ميمون وأبا وائل إلى مكة، وكانوا يصومون رمضان وغيره في السفر.

2887- حدثنا علي بن حسن الأزدي قال، حدثنا معافى بن عمران، عن سفیان، عن حماد، عن سعيد بن جبیر: الفطر في السفر رخصة، والصوم أفضل.

2888- حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال، حدثنا يعقوب قال، حدثنا صالح بن محمد بن صالح، عن أبيه قال: قلت للقاسم بن محمد: إنا نسافر في الشتاء في رمضان، فإن صممت فيه كان أهون عليّ من أن أقضيه في الحر! فقال: قال الله: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ مَا كَانَ آيَسَرَ عَلَيْكَ فافعل (85).

< 3-470 >

قال أبو جعفر: وهذا القول عندنا أولى بالصواب، لإجماع الجميع على أن مريضاً لو صام شهر رمضان -وهو ممن له الإفطار لمرضه- أن صومه ذلك مجزئ عنه، ولا قضاء عليه إذا برأ من مرضه بعدة من أيام آخر، فكان معلوماً بذلك أن حكم المسافر حكمه في أن لا قضاء عليه إن صامه في سفره. لأن الذي جعل للمسافر من الإفطار وأمر به من قضاء عدة من أيام آخر، مثل الذي جعل من ذلك للمريض وأمر به من القضاء. ثم في دلالة الآية كفاية مغنية عن استنهاد شاهد على صحة ذلك غيرها. وذلك قول الله تعالى ذكره: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، ولا عُسر أعظم من أن يُلزم من صامه في سفره عدة من أيام آخر، وقد تكلف أداء فرضه في أثقل الحالين عليه حتى قضاها وأداها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن ظن ذو عباوة أنّ الذي صامه لم يكن فرضه الواجب، فإن في قول الله تعالى ذكره: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، ما ينبئ أن المكتوب صومه من الشهور على كل مؤمن، هو شهر رمضان مسافراً كان أو مقيماً، لعموم الله تعالى ذكره المؤمنين بذلك بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ شَهْرُ رَمَضَانَ = وأن قوله: " وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ " معناه: ومن كان مريضاً أو على سفر فأفطر بَرُخْصَةَ الله، فعليه صوم عدة أيام آخر مكان الأيام التي أفطر في سفره أو مرضه = ثم في تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله - إِذْ سَأَلَ عَنْ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ: " إِنْ شَتَّتْ فِصْمٌ، وَإِنْ شَتَّتْ فَأَفْطَرَ " - الكفاية الكافية عن الاستدلال على صحة ما قلنا في ذلك بغيره.

2889- حدثنا هناد قال، حدثنا عبد الرحيم ووكيع وعبيدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن حمزة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصوم في السفر - وكان يسرد الصوم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن < 3-471 > شتت فصم وإن شتت فأفطر. (86) .

2890- حدثنا أبو كريب وعبيد بن إسماعيل الهبّاري قالا حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه أن حمزة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه. (87) .

< 3-472 >

2891- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال: أخبرنا حيوة بن شريح قال: أخبرنا أبو الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يحدث عن أبي مرواح، عن حمزة الأسلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا رسول الله، إني أسرد الصوم، فأصوم في السفر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما هي رخصة من الله لعباده، فمن فعلها فحسن جميل، ومن تركها فلا جناح عليه. فكان حمزة يصوم الدهر، فيصوم في السفر والحضر. وكان عروة بن الزبير يصوم الدهر، فيصوم في السفر والحضر، حتى إن كان ليمرض فلا يفطر. وكان أبو مرواح يصوم الدهر، فيصوم في السفر والحضر. (88) .

ففي هذا، مع نظائره من الأخبار التي يطول باستيعابها الكتاب الدلالة الدالة على صحة ما قلنا: من أن الإفطار رخصة لا عزم، والبيان الواضح على صحة ما قلنا في تأويل قوله: " وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 3-473 >

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: إن الأخبار بما قلت وإن كانت متظاهرةً، فقد تظاهرت أيضًا بقوله: " ليس من البر الصيام في السفر "؟

قيل: إن ذلك إذا كان الصيام في مثل الحال التي جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في ذلك لمن قال له.

2892- حدثنا الحسين بن يزيد السبيعي قال، حدثنا ابن إدريس، عن محمد بن عبد الرحمن، عن محمد بن عمرو بن الحسين، عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلًا في سفره قد ظلل عليه، وعليه جماعة، فقال: " من هذا؟ قالوا: صائم. قال: ليس من البر الصوم في السفر ".

= قال أبو جعفر: أخشى أن يكون هذا الشيخ غلط، وبين ابن إدريس ومحمد بن عبد الرحمن، شعبة. (89).

2892م- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري، عن محمد بن عمرو بن الحسن بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قد اجتمع الناس عليه وقد ظلل عليه، فقالوا: هذا رجل صائم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس من البر أن تصوموا في السفر. (90).

فمن بلغ منه الصوم ما بلغ من الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم، ذلك، فليس من البر صومه. لأن الله تعالى ذكره قد حرّم على كل أحد تعريض نفسه لما فيه هلاكها، وله إلى نجاتها سبيل. وإنما يُطلب البر بما تدب الله إليه وحصن عليه من الأعمال، لا بما نهى عنه.

وأما الأخبار التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: " الصائم في السفر كالمفطر في الحضر " (91) فقد يحتمل أن يكون قيل لمن بلغ منه الصوم ما بلغ من هذا الذي ظلل عليه، إن كان قبل ذلك. وغير جائر عليه أن يُصاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قيل ذلك، لأن الأخبار التي جاءت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واهية الأسانيد، لا يجوز الاحتجاج بها في الدين.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن قال قائل: وكيف عطف على " المريض "، وهو اسم بقوله: " أو على سفر " و " على " صفة لا اسم. (92).

قيل: جاز أن ينسق ب " على " على " المريض "، لأنها في معنى الفعل. وتأويل ذلك: أو مسافرًا، كما قال تعالى ذكره: دَعَا لِحَبِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا [يونس: 12]، فعطف ب " القاعد، والقائم " على " اللام " التي في " لجنبه "، لأن معناها الفعل، كأنه قال: دعانا مضطجعًا أو قاعدًا أو قائمًا.

القول في تأويل قوله تعالى : يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: يريد الله بكم، أيها المؤمنون -بترخيصه لكم في حال مرضكم وسفركم في الإفطار، وقضاء عدة أيام آخر من الأيام التي أفطرتموها بعد إقامتكم وبعد بُرئكم من مرضكم- التخفيفَ عليكم، والتسهيلَ عليكم، لعلمه بمشقة ذلك عليكم في هذه الأحوال (93) = " ولا يُريد بكم العسر "، يقول: ولا يريد بكم الشدة والمشقة عليكم، فيكلفكم صوم الشهر في هذه الأحوال، مع علمه شدة ذلك عليكم، وثقل حمله عليكم لو حملكم صومه، كما:-

2893- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " يُريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر "، قال: اليسر: الإفطار في السفر، والعسر الصيام في السفر.

2894- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا > 3- 476 < شعبة، عن أبي حمزة، قال: سألت ابن عباس عن الصوم في السفر، فقال: يُسرٌ وعُسْرٌ. فخذ بيسر الله.

2895- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر. قال، أخبرنا ابن المبارك، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: " يريد الله بكم اليسر " -قال: هو الإفطار في السفر، وجعل عدةً من أيام آخر- " ولا يريد بكم العسر " .

2896- حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " يريد الله بكم اليسر ولا يُريد بكم العسر "، فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2897- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن ابن عيينة، عن عبد الكريم الجزري عن طاوس، عن ابن عباس قال: لا تَعْبُ عَلَى من صام ولا على من أفطر -يعني في السفر في رمضان- " يريد الله بكم اليسر ولا يُريد بكم العسر " .

2898- حدثت عن الحسين بن الفرج قال، حدثنا الفضيل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سليمان، قال سمعت الضحاك بن مزاحم في قوله: " يريد الله بكم اليسر " -الإفطار في السفر- " ولا يريد بكم العسر " ، الصيام في السفر.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: (94) " ولتكملوا العدة " ، عِدَّةٌ ما أفطرت، من أيام آخر، أوجبت عليكم قضاءً عدة من أيام آخر بعد برئكم من مرضكم، أو إقامتكم من سفركم، كما:

< 3-477 >

2899- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال: أخبرنا ابن المبارك، عن جوير، عن الضحاك في قوله: " ولتكملوا العدة " ، قال: عدة ما أفطر المريض والمسافر.

2900- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " ولتكملوا العدة " ، قال: إكمالُ العدة: أَنْ يَصُومَ ما أفطر من رمضان في سفر أو مرض [إلى] أَنْ يُتَمَّه، فإذا أتمه فقد أكمل العدة. (95) .

فإن قال قائل: ما الذي عليه = هذه " الواو " التي في قوله: " ولتكملوا العدة " = عَطَقْتُ؟ (96) .

قيل: اختلف أهل العربية في ذلك.

فقال بعضهم: هي عاطفة على ما قبلها، كأنه قيل: ويُريد لتكملوا العدة ولتكبروا الله.

وقال بعض نحويي الكوفة: وهذه " اللام " التي في قوله: " ولتكملوا " لام " كي " لو أَلْقَيْتُ كان صِوَابًا. قال: والعرب تُدْخِلُها في كلامها على إضمار فعل بعدها، ولا تكون شرطًا للفعل الذي قبلها وفيها " الواو " ، ألا ترى أنك تقول: " جئتُك لتحسن إليّ " ، ولا تقول: " جئتُك وتحسن إليّ " ، فإذا قلت: فأنت تريد: ولتحسن جئتُك. قال: وهذا في القرآن كثير، منه قوله: وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةٌ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ [سورة الأنعام: 113]، وقوله: وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ
مَلَكَوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [سورة الأنعام: 75]، ولو لم
تكن فيه " الواو " كان شرطاً على قولك: أَرَيْنَاهُ ملكوت السماوات والأرض >
3-478 < ليكون. فإذا كانت " الواو " فيها فلها فعل " مضمَر " بعدها، و "
ليكون من الموقنين "، أَرَيْنَاهُ. (97).

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب في العربية. لأن قوله: " ولتكمّلوا
العدة "، ليس قبله " لام " بمعنى " اللام " التي في قوله: " ولتكمّلوا العدة "
فتعطف بقوله: " ولتكمّلوا العدة " عليها - وإن دخول " الواو " معها، يؤذن بأنها
شرط لفعل بعدها، إذ كانت " الواو " لو حذفت كانت شرطاً لما قبلها من
الفعل.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: ولتعظّموا الله بالذكر له بما أنعم عليكم به،
من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الجمل الذين كتب عليهم من صوم
شهر رمضان مثل الذي كتب عليكم فيه، فضلوا عنه بإضلال الله إياهم،
وخصّكم بكرامته فهداكم له، ووفّقكم لأداء ما كتب الله عليكم من صومه،
وتشكروه على ذلك بالعبادة له.

والذكر الذي حضّمه الله على تعظيمه به، " التكبير " يوم الفطر، فيما تأوله
جماعة من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2901- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن
داود بن قيس، قال: سمعت زيد بن أسلم يقول: " ولتكبّروا الله على > 3-
479 < ما هداكم "، قال: إذا رأى الهلال، فالتكبير من حين يرى الهلال حتى
ينصرف الإمام، في الطريق والمسجد، إلا أنه إذا حضر الإمام كفّ فلا يكبّر إلا
بتكبيره.

2902- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك قال: سمعت
سفيان يقول: " ولتكبّروا الله على ما هداكم "، قال: بلغنا أنه التكبير يوم
الفطر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2903- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: كان ابن عباس يقول: حقُّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبروا الله حتى يفرغوا من عيدهم، لأن الله تعالى ذكره يقول: " ولتكملاوا العِدَّةَ ولتكبروا الله على ما هداكم ". قال ابن زيد: ينبغي لهم إذا عَدُوا إلى المصلَى كبروا، فإذا جلسوا كبروا، فإذا جاء الإمام صَمَتُوا، فإذا كبر الإمام كبروا، ولا يكبرون إذا جاء الإمام إلا بتكبيره، حتى إذا فرغ وانقضت الصلاة فقد انقضى العيد. قال يونس: قال ابن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد: والجماعةُ عندنا على أن يغدوا بالتكبير إلى المصلَى.

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق، وتيسير ما لو شاء عسر عليكم.

و " لعل " في هذا الموضع بمعنى " كي " (98) ولذلك عطف به على قوله: " ولتكملاوا العِدَّةَ ولتكبروا الله على ما هداكم ولعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " .

< 3-480 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسْتَ جِئُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: وإذا سألك يا محمد عبادي عني: أين أنا؟ فإنني قريبٌ منهم أسمع دُعَاءَهُمْ، وأجيب دعوة الداعي منهم.

وقد اختلف فيما أنزلت فيه هذه الآية.

فقال بعضهم: نزلت في سائل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أقربُ ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ " الآية.

2904- حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبدة السجستاني، عن الصُّلب بن حكيم، عن أبيه، عن جده. (99) .

< 3-481 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2905- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن عوف، عن الحسن قال: سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم: أين ربنا؟ فأنزل الله تعالى ذكره: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان " الآية (100) .

< 3-482 >

وقال آخرون: بل نزلت جوابًا لمسألة قومٍ سألوا النبي صلى الله عليه وسلم: أي ساعة يدعون الله فيها؟

* ذكر من قال ذلك:

2906- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء قال: لما نزلت: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [سورة غافر: 60] قالوا: في أي ساعة؟ قال: فنزلت: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب " إلى قوله: " لعلهم يرشدون " .

2907- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء في قوله: " أجيب دعوة الداع إذا دعان "، قالوا: لو علمنا أي ساعة تدعوا فنزلت: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب " الآية.

2908- حدثني القاسم. قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: زعم عطاء بن أبي رباح أنه بلغه: لما نزلت: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، قال الناس: لو نعلم أي ساعة ندعوا فنزلت: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون " .

2909- حدثنا موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان "، قال: ليس من عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب له، فإن كان الذي يدعو به هو له رزق في الدنيا أعطاه الله، وإن لم يكن له رزقًا في الدنيا دخره له إلى يوم القيامة، ودفع عنه به مكروهًا.

2910- حدثني المثنى قال، حدثنا الليث بن سعد عن ابن صالح، عن حدثه: أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما أعطى أحد الدعاء > 3-483 < ومُنِعَ الإجابة، لأن الله يقول: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ومعنى متأولي هذا التأويل: وإذا سألك عبادي عني: أي ساعة يدعونني؟ فإني منهم قريب في كل وقت، أجيب دعوة الداع إذا دعان.

وقال آخرون: بل نزلت جوابًا لقول قوم قالوا - إِنْ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ -: إلى أين ندعوه!

* ذكر من قال ذلك:

2911- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال مجاهد: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، قالوا: إلى أين؟ فنزلت: فَأَيَّمَا تُؤَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [سورة البقرة: 115].

وقال آخرون: بل نزلت جوابًا لقوم قالوا: كيف ندعو؟

* ذكر من قال ذلك:

2912- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما أنزل الله ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، قال رجال: كيف ندعو يا نبي الله؟ فأنزل الله: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ " إلى قوله: " يرشدون " .

وأما قوله: " فليستجيبوا لي "، فإنه يعني: فليستجيبوا لي بالطاعة. يقال منه: " استجبت له، واستجبتة "، بمعنى أجبته، كما قال كعب بن سعد الغنوي:

وَدَاعٍ دَعَا يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى التَّدَى

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ (101)

< 3-484 >

يريد: فلم يجبه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وينحو ما قلنا في ذلك قال مجاهد وجماعةً غيره.

2913- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني الحجاج، عن ابن جريج قال، قال مجاهد قوله: " فليستجيبوا لي"، قال: فليطيعوا لي، قال: " الاستجابة"، الطاعة.

2914- حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال: سألت عبد الله بن المبارك عن قوله: " فليستجيبوا لي"، قال: طاعة الله.

وقال بعضهم: معنى " فليستجيبوا لي": فليدعوني

*ذكر من قال ذلك:

2915- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني منصور بن هارون، عن أبي رجاء الخراساني، قال " فليستجيبوا لي"، فليدعوني.

وأما قوله: " وليؤمنوا بي" فإنه يعني: وليصدقوا. أي: وليؤمنوا بي، إذا هم استجابوا لي بالطاعة، أني لهم من وراء طاعتهم لي في الثواب عليها، وإجزالي الكرامة لهم عليها.

وأما الذي تأوّل قوله: " فليستجيبوا لي"، أنه بمعنى: فليدعوني، فإنه كان يتأوّل قوله: " وليؤمنوا بي"، وليؤمنوا بي أني أستجيب لهم.

* ذكر من قال ذلك:

2916- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني منصور بن هارون، عن أبي رجاء الخراساني: " وليؤمنوا بي"، يقول: أني أستجيب لهم.

وأما قوله: " لعلهم يرشّدون " فإنه يعني: فليستجيبوا لي بالطاعة، وليؤمنوا بي < 485-3 > فيصدقوا على طاعتهم إياي بالثواب مني لهم، وليهدوا بذلك من فعلهم فيرشّدوا، كما:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2917- حدثني به المثنى قال، حدثنا إسحاق، قال حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع في قوله: "لعلهم يرشدون"، يقول: لعلهم يهتدون.

فإن قال لنا قائل: وما معنى هذا القول من الله تعالى ذكره؟ فأنت ترى كثيرًا من البشر يدعون الله فلا يجاب لهم دعاء، وقد قال: "أجيب دعوة الداع إذا دعان"؟

قيل: إن لذلك وجهين من المعنى:

أحدهما: أن يكون معنيًا "بالدعوة"، العمل بما تدب إليه وأمر به. فيكون تأويل الكلام. وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ممن أطاعني وعمل بما أمرته به، أجيبه بالثواب على طاعته إياي إذا أطاعني. فيكون معنى "الدعاء": مسألة العبد ربه وما وعد أوليائه على طاعتهم بعملهم بطاعته، ومعنى "الإجابة" من الله التي ضمنها له، الوفاء له بما وعد العاملين له بما أمرهم به، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: "إن الدعاء هو العبادة".

2918- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جوير، عن الأعمش، عن زر، عن يسع الحضرمي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الدعاء هو العبادة. ثم قرأ: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [سورة غافر: 60] (102).

< 3-486 > فأخبر صلى الله عليه وسلم أن دعاء الله إنما هو عبادته ومسألته، بالعمل له والطاعة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك ذكر أن الحسن كان يقول:

2919- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني منصور بن هارون، عن عبد الله بن المبارك، عن الربيع بن أنس، عن الحسن أنه قال فيها: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، قال: اعملوا وأبشروا، فإنه حق على الله أن يستجيب < 3-487 > للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: أجيب دعوة الداع إذا دعان إن شئت. فيكون ذلك، وإن كان عامًا مخرجه في التلاوة، خاصًا معناه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

- (1) في المطبوعة : "فإذا أشرف على الموت أمره بالعدل" ، وهو لا يستقيم مع سياق الخبر ، ولا مع الخبر الذي قبله عن مجاهد أيضًا . ورجحت أن يكون الناسخ صحف "الجور" فجعلها "الموت" أو سها أو سبق قلمه . أو لعله أخطأ وصحف وزاد ، وأن أصل عبارته كالسياق قبله : "فإذا أسرف أمره بالعدل" . وكلاهما جائز ، وصواب في المعنى .
- (2) في المطبوعة : "أوصياء ميت" ، وهما سواء .
- (3) في المطبوعة : "الحسن بن عيسى" وهو خطأ صرف ، وهو إسناد دائر في التفسير أقرب إليه إلينا رقم : 2684 .
- (4) في المطبوعة : "الوالي" ، والصواب ما أثبت ، أي ولي الميت .
- (5) في المطبوعة : "فمن الإصلاح بين الفريقين . . ." ، والصواب زيادة ، "الإصلاح" ، كما يدل عليه السياق .
- (6) انظر تفسير (وصى) فيما سلف من هذا الجزء 3 : 93-96 .
- (7) هو عامر الخصفي ، من بني خصفة بن قيس عيلان .
- (8) مجاز القرآن لأبي عبيدة : 66 ، 67 ، ومشكل القرآن : 219 ، واللسان (جنف) (ولي) . والمولى : ابن العم ، وأقام المفرد مقام الجمع ، وأراد "المولى" ، قال أبو عبيدة هو كقوله تعالى : (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) وزور جمع أزور : وهو المائل عن الشيء . يقول : هم أبناء عمنا ، ونحن نكره أن نلاقيهم فنقاتلهم ، لما لهم من حق الرحم .
- (9) الأثر : 2710- مضى رقم : 2702 مطولا .
- (10) الأثر : 2711- كان في المطبوعة : "فمن خاف من موص جنفًا" قال : جنفًا إثما" ، وهي عبارة مضطربة فاسدة ، فلم أستجز تركها على فسادها ونقلت قول مجاهد الذي أخرجه سفيان بن عيينة وعبد بن حميد فيما نقله السيوطي في الدر المنثور 1 : 175 .
- (11) الخبر : 2719- الحسين بن الفرغ الخياط البغدادي : شيخ لا يعبأ بروايته ، قال فيه ابن معين : "كذاب ، صاحب سكر ، شاطر"؛ مترجم في ابن أبي حاتم 63-1/2/62 ، وتاريخ إصبهان 1 : 266-267 ، وتاريخ بغداد 8 : 84-86 ، ولسان الميزان 2 : 307 . والطبري يروي عنه في التفسير كثيرًا بإسناد مجهول ، يقول : "حدثت عن الحسين بن الفرغ" . ولعل ذلك من أجل ضعف حديثه ، فلا يصل الإسناد إليه . وصرح في بعض مرات في التاريخ باسم من حدثه عنه ، انظر التاريخ 1 : 30 ، 42 .

ويقع اسمه في المطبوعة على الصواب ، كما في 2898 . وكثيرًا ما يقع خطأ مصفًا : "الحسن بن الفرغ" ، كما في هذا الموضوع ، وكما في : 2750 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ومن ذلك ما مضى : 691 ، وقلت هناك : "لم أعرف من هو؟". فيصح في ذلك الموضوع ، وحيثما جاء في التفسير .

- الفضل بن خالد : مضت ترجمته : 691 .
(12) كان في المطبوعة : "غفور رحيم للموصى . . ." ، وليس صوابًا ، وسياق عبارته دال على صواب ما أثبتنا .
(13) في المطبوعة : "فيفعل أن يؤاخذ به" ، ولعل الصواب ما أثبت .
(14) انظر تفسير "الإيمان" فيما سلف 1 : 234-235 ، والمراجع في فهرس اللغة .
(15) انظر تفسير "كتب" فيما سلف في هذا الجزء 3 : 357 ، 364 ، 365 .
(16) ديوانه : 106 (زيادات) واللسان (علك) (صام) . ولكنه من قصيدته التي أولها :

بَاتَتْ سُعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْجَدَمَا

وقد فسر "صامت الخليل" بأنها الإمساك عن السير ، وعبارة اللغة ، "صام الفرس" إذا قام في آريه لا يعتلف ، أو قام ساكنًا لا يطعم شيئًا . وقال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير ، فهو صائم . والعجاج : الغبار الذي يثور ، يعني أنها في المعركة لا تقر . وعلك الفرس لجامه : لأكه وحركه في فيه .

- (17) في معاني القرآن للفراء : "فعدوه ثلاثين يومًا" .
(18) في معاني القرآن : "يستن سنة الأول حتى صارت . . ." .
(19) الخبر : 2720- يحيى بن زياد أبو زكرياء : هو الفراء الإمام النحوي ، وهو ثقة معروف مترجم في التهذيب . وتاريخ بغداد 14 : 149-155 . وفي دواوين كثيرة .

محمد بن أبان : نقل أخي السيد محمود محمد شاكر أن هذا الخبر مذكور في كتاب "معاني القرآن" للفراء رواه عن "محمد بن أبان القرشي" . ومحمد بن أبان القرشي : هو "محمد بن أبان بن صالح بن عمير" ، مولى لقريش . ترجمه البخاري في الكبير 1/1/34 ، برقم 50 . وقال : "يتكلمون في حفظه" وذكر في الصغير مرتين ، ص : 188 ، 214 . وقال في أولهما : "يتكلمون في حفظ محمد بن أبان ، لا يعتمد عليه" . وقال في الضعفاء ، ص : 30 "ليس بالقوي" .

وكذلك ترجمه ابن أبي حاتم 3/2/199 ، برقم : 1119 ، وروى تضعيفه عن يحيى بن معين .

والراجح عندي أنه هو الذي روى عنه الفراء ، فإن ابن أبي حاتم ذكر من الرواة عن القرشي هذا - أبا داود الطيالسي ، وهو من طبقة الفراء .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما ترجمته في التهذيب 9 : 2-3 فإنها مختلة مضطربة ، خلط فيها بين هذا وبين "محمد بن أبان الواسطي" ، وشتان بينهما . والواسطي مترجم عند البخاري ، برقم : 48 ، وعند ابن أبي حاتم ، برقم : 1121 . وكلاهما لم يذكر فيه جرحًا .

"عن أبي أمية الطنافسي" : كذا ثبت هنا . وليس لأبي أمية الطنافسي ترجمة ولا ذكر ، فيما رأينا من المراجع . وإنما المترجم ابنه "عبيد بن أبي أمية" . وهو الذي يروي عن الشعبي . وهو مترجم في التهذيب وابن أبي حاتم 2/2/401 .

وهذا الخبر في معاني القرآن للفراء 1 : 111 ، ونقله السيوطي 1 : 176 ، ولم ينسبه لغير الطبري . ولكنه اختصره جدًا . + كأنه تلخيص لا نقل . (20) سيأتي خبر أبي صرمة وعمر في الآثار رقم : 2935-2952 . (21) انظر تفسير "لعل" بمعنى "لكي" 1 : 364 ، 365 / ثم 2 : 69 ، 161 ، واطلبه في الفهرس أيضًا .

(22) الحديث : 2729- يونس بن بكير : مضت ترجمته ، في : 1605 . ووقع في المطبوعة هنا "بشر بن بكير" ، وهو خطأ واضح . وسيأتي هذا الحديث بهذا الإسناد -بأطول مما هنا- على الصواب ، برقم : 2733 .

عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة : هو المسعودي ، وهو ثقة ، تكلموا فيه بأنه تغير في آخر حياته قبل موته بسنة أو سنتين . مات سنة 160 . مترجم في التهذيب . وابن سعد 6 : 254 ، وابن أبي حاتم 2/2/250 .

وهذا الحديث قطعة من حديث مطول ، في أحوال الصلاة ، وفي أحوال الصيام . مضت قطعة صغيرة منه ، في شأن الصلاة إلى بيت المقدس : 2156 ، من طريق أبي داود الطيالسي ، عن المسعودي .

ورواه أحمد في المسند بطوله 5 : 246-247 (حلي) ، عن أبي النصر ، يزيد بن هارون - كلاهما عن المسعودي . وكذلك رواه أبو داود السجستاني : 507 ، من طريق أبي داود الطيالسي ، يزيد بن هارون .

وروى الحاكم في المستدرک 2 : 274 ، شطره الذي في أحوال الصيام ، من طريق أبي النصر ، عن المسعودي . وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

ونقله ابن كثير 1 : 402-404 ، كاملاً ، عن رواية المسند . بإسنادها . وذكره السيوطي ، كاملاً أيضًا 1 : 175-176 ، وزاد نسبه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه .

(23) الحديث : 2731- وهذه قطعة من الحديث السابق ، الطويل ، الذي أشرنا إليه في : 2729 ، ولكنه هنا مروى من طريق آخر ، طريق شعبة عن عمرو بن مرة . ويقول هنا عمرو بن مرة "حدثنا أصحابنا : أن رسول الله

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

صلى الله عليه وسلم" ، إلخ . فلو أخذ هذا على ظاهره ، لكان مرسلا .
فلذلك فسره أبو موسى -وهو محمد بن المثنى شيخ الطبري- بأن الذي قال
هذا هو عبد الرحمن بن أبي ليلي . ثم تلاه المثنى بالرواية بعده : 2732 ،
عن أبي داود -وهو الطيالسي- عن شعبة" قال : سمعت عمرو بن مرة ، قال :
سمعت ابن أبي ليلي" . وهذا هو الإسناد الذي أشرنا آنفاً إلى رواية الطبري
قطعة أخرى من الحديث ، به ، في : 2156 .

والظاهر أن ابن المثنى سمع الحديث من محمد بن جعفر مرتين أو أكثر ،
إحداها على هذا الوجه الذي هنا ، وبعضها على الوجه الواضح الصريح ، بذكر
ابن أبي ليلي .

فقد روى الحديث -كله- أبو داود السجستاني في السنن : 506 ، بإسنادين ،
أحدهما إسناد الطبري هذا ، أعني عن محمد بن المثنى . فقال أبو داود :
"حدثنا عمرو بن مرزوق ، أخبرنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت
ابن أبي ليلي -ح- وحدثنا ابن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ،
عن عمرو بن مرة ، سمعت ابن أبي ليلي ، قال ، أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال
، وحدثنا أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . . . " .

فأعاد في الإسناد الثاني -في طريق شعبة- قول عمرو بن مرة : "سمعت ابن
أبي ليلي" . ولعله أراد بهذه الإعادة ، التي فيها التصريح باسم ابن أبي ليلي ،
رفع التوهم أن يظن أن تلك الرواية التي لم يصرح فيها محمد بن جعفر
باسم" ابن أبي ليلي" تعلل هذه الرواية الصريحة .

أو يؤيد هذا قول الطبري -عقب الحديث- : "قال أبو موسى : قوله" قال عمرو
بن مرة حدثنا أصحابنا" - يريد ابن أبي ليلي ، كأن ابن أبي ليلي القائل :
حدثنا أصحابنا" . وأبو موسى : هو محمد بن المثنى نفسه ، شيخ الطبري وأبي
داود . فحين حدث بالرواية المبهمة -التي في الطبري هنا- فسرها بالرواية
الأخرى الموضحة ، وصرح في تفسيره بأن القائل"حدثنا أصحابنا" هو ابن أبي
ليلى ، لا عمرو بن مرة . تحرزاً من إيهام أن الإسناد يكون مرسلا إذا كان
القائل ذلك هو عمرو بن مرة .

وقد عقب الطبري على ذلك ، بالإسناد من طريق أبي داود الطيالسي ، الذي
فيه التصريح بسماع عمرو بن مرة ذلك من ابن أبي ليلي : 2732 .

وقول ابن أبي ليلي"حدثنا أصحابنا" - يريد به الصحابة ، مثل معاذ وغيره .
وابن أبي ليلي من كبار التابعين . ويؤيد هذا رواية البخاري 4 : 164 (فتح) ،
قطعة من الحديث نفسه المطول ، رواية معلقة بصيغة الجزم . فقال : "وقال
ابن نمير : حدثنا الأعمش ، حدثنا عمرو بن مرة ، حدثنا ابن أبي ليلي حدثنا
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم" . وقال الحافظ : "وصله أبو نعيم في
المستخرج ، والبيهقي من طريقه . . . وهذا الحديث أخرجه أبو داود ، من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

طريق شعبة والمسعودي ، عن الأعمش مطولا ، في الأذان ، والقبلة ، والصيام . واختلف في إسناده اختلافاً كثيراً . وطبق ابن نمير هذه أرجحها" . (24) في المطبوعة : "وبأن الله تعالى . . ." ، وهو خطأ . ليس معطوفاً على قوله : "بأن صوماً . . ." بل هو عطف على قوله : "وذلك أنه لم يأت خبر . . ."

(25) نص هذا الجزء من الآية لم يكن في المطبوعة ، وأثبتته على نهجه في التفسير .

(26) انظر ما سلف في هذا الجزء 3 : 373 .

(27) انظر رفض هذه القراءة فيما سيأتي : 438 .

(28) الحديث : 2733- هو قطعة من الحديث الذي خرجناه في : 2729- أطول من الرواية الماضية .

(29) الحديثان : 2734 ، 2735- وهذان أيضاً قطعان من الحديث الذي أشرنا إليه في : 2731 ، 2732 ، وقد صرح الطبري في أولهما -هنا- باسم "محمد بن المثنى" ، الذي ذكره هناك بكنيته "قال أبو موسى" .

(30) الأثر : 2739- أبو هشام الرفاعي محمد بن يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة العجلي ، قاضي بغداد ، روى عن عبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ، روى عنه مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطئ ويخالف . وقال ابن أبي حاتم . سألت أبي عنه فقال : ضعيف يتكلمون فيه ، وله كتاب في القراءات ، مات سنة 248 .

(31) الحديث : 2740- عمر بن المثنى : هكذا في المطبوعة ، وأنا أرجح أن يكون صوابه "محمد بن المثنى" شيخ الطبري الذي يروي عنه كثيراً . ولم أجد من يسمى "عمر بن المثنى" إلا رجلاً واحداً ، ذكر في التهذيب ولسان الميزان على أنه من التابعين . ثم لم أجتري على تصحيحه هنا ، لاحتمال أن يكون من شيوخ الطبري الذين لم نجد تراجمهم .

عبد الوهاب : هو ابن عمر المجيد الثقفي ، مضت ترجمته في : 2029 .

عبد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، عرف بلقب "العمرى" ، وهو ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 2/2/109- . 110 .

ومن المحتمل أن يكون في المطبوعة خطأ ، وأن يكون صوابه "عبيد الله" بالتصغير ، وهو أخو عبد الله أكبر منه وأوثق عند أئمة الجرح والتعديل ، وهو أحد الفقهاء السبعة ، مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم 2/2/326-327 . وهو وأخوه يشتركان في كثير من الشيوخ ، منهم "نافع مولى ابن عمر" .

وإنما ظننت هذا الاحتمال ، لأن الحديث مروى من حديث "عبيد الله" ، كما سنذكر ، إن شاء الله :

فرواه البيهقي في السنن الكبرى 4 : 200 ، من طريق عبد الوهاب الثقفي ، "عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورواه البخاري مختصراً 4 : 164 ، و 8 : 136 ، من طريق عبد الأعلى ، وهو ابن عبد الأعلى عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر .

ورواه البيهقي أيضاً من أحد طريقي البخاري .

والحديث صحيح بكل حال . وذكره السيوطي 1 : 178 ، وزاد نسبه إلى وكيع ، وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة في المصنف ، وابن المنذر .
(32) الحديث : 2747- أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، المصري ، ابن أخي عبد الله بن وهب ثقة من شيوخ مسلم وابن خزيمة . تكلم فيه بعضهم فلم ينصفه . وأهل بلده أعرف به . فقال ابن أبي حاتم : "سألت محمد بن عبد الحكم عنه؟ فقال : ثقة ، ما رأينا إلا خيراً ، قلت : سمع من عمه؟ قال : إي والله" . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 60-1/1/59 .

"بكير بن عبد الله بن الأشج" المدني نزيل مصر : تابعي ثقة ، قال ابن وهب : "ما ذكر مالك بن أنس بكير بن الأشج إلا قال : كان من العلماء" . مترجم في التهذيب ، والكبير 1/2/113 ، وابن أبي حاتم 404-1/1/403 .

"بكير" : بالتصغير . ووقع في المطبوعة "بكر" بغير الياء ، وهو خطأ . فليس لبكر بن عبد الله المزني رواية في هذا الحديث . والحديث حديث "بكير بن عبد الله" .

يزيد مولى سلمة بن الأكوع : هو يزيد بن أبي عبيد الحجازي ، وهو تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير 349-4/2/348 ، وابن أبي حاتم 4/2/280 .

وقال البخاري في الصحيح -بعد روايته هذا الحديث- : "مات بكير قبل يزيد" . وهو كما قال ، فإن بكير بن عبد الله مات سنة 127 ، وقيل غير ذلك ، إلى سنة 127 . وأما يزيد مولى سلمة فإنه مات سنة 146 أو 147 . فسمع عمرو بن الحارث هذا الحديث من بكير عن يزيد - في حياة يزيد .

والحديث رواه مسلم 1 : 315 ، عن عمرو بن سواد العامري ، عن ابن وهب ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه البيهقي 4 : 200 ، من طريق بحر بن نصر ، عن ابن وهب .

ورواه البخاري 8 : 136 ، ومسلم 1 : 315 ، والبيهقي 4 : 200 - كلهم من حديث قتيبة بن سعيد ، عن بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير .

وذكره السيوطي 1 : 177-178 ، وزاد نسبه للدارمي ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم ، وغيرهم .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(33) الخبر : 2751- "الحسين بن الفرغ" : ثبت في المطبوعة هنا "الحسن" . وهو خطأ ، كما بينا في : 2719 .

(34) الحديثان : 2752-2753- سعيد : هو ابن أبي عروبة .

عزرة - بفتح العين والراء بينهما زاي ساكنة : هو ابن عبد الرحمن بن زرارة الخزاعي ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/1/65 ، وابن أبي حاتم 22-3/2/21 .

ووقع في المطبوعة هنا ، وفي سنن أبي المطبوعة "عروة" بدل "عزرة" ، وهو تصحيف . والتصويب من السنن مخطوطة الشيخ عابد السندي ، ومن السنن الكبرى للبيهقي .

والحديث رواه أبو داود : 2318 (2 : 266 عون المعبود) ، من طريق ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، بهذا الإسناد ، نحوه .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى 4 : 230 ، من طريق روح بن عبادة ، ومن طريق مكّي بن إبراهيم - كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة ، به .

ثم رواه من طريق أبي داود في السنن ، قال : "عن سعيد ، فذكره" . يعني بهذا الإسناد . فلو كانت رواية أبي داود من طريق "عروة" لذكر ذلك ، ولم يحل إسناد أبي داود على إسناده السابق الذي فيه "عن عزرة" .

وذكره السيوطي 1 : 177 - وزاد نسبه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

وروى البخاري 8 : 135 ، نحو معناه ، من طريق عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس وكذلك رواه النسائي 1 : 318-319 ، من طريق عمرو بن دينار .

(35) الخبر : 2758- هناد : هو ابن السري ، مضت ترجمته : 2058 . وعبد : هو ابن سليمان الكلبي ، مضت ترجمته : 2323 . وهذا الخبر في معنى الحديثين الماضيين : 2751 ، 2752 ، من رواية سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن عزرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وذانك حديثان ، لأنهما إخبار من ابن عباس عن نسخ الفدية وجواز الإفطار عامة ، وإثباتهما في حق الشيخ الكبير ومن ذكر معه هناك . وأما هذا فإنه فتوى من ابن عباس .

ووقع هنا في المطبوعة "عروة" بدل "عزرة" ، كما كان في ذينك الحديثين . فاثبتنا الصواب هنا كما أثبتناه هناك .

(36) الخبر : 2759- وهذا الخبر كسابقه ، فتوى أخرى من ابن عباس لأم ولده ، بمعنى التي قبلها . ولكن وقع هنا في المطبوعة سقط في الإسناد ،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بين "عبدة" و"سعيد بن جبير" نرجع أن صوابه كالإسناد السابق . ولكن لم نستجز أن نثبتته عن غير ثبت ، فوضعنا أصفارًا موضع السقط .

ويدل على صحة هذا السقط : أن الدارقطني روى هذا الخبر ، في سننه ، ص : 250 ، من طريق روح ، وهو ابن عبادة : "حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عزرة ، عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس قال لأم ولد له . . " . ثم قال الدارقطني عقبه : "إسناد صحيح" .

وذكره السيوطي 1 : 179 ، وزاد نسبه لعبد بن حميد .
(37) الخبر : 2760- وهذا إسناد صحيح ، موقوف على ابن عمر .

علي بن ثابت بن عمرو بن أخطب البصري الأنصاري : ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم 3/1/177 ، ولم أجد ترجمته في موضع آخر . وملخص ما قال : روى عن نافع ، ومحمد بن يزيد ، ومحمد بن زياد . روى عنه سعيد بن أبي عروبة ، وعمران القطان ، وحماد بن سلمة ، وسويد بن إبراهيم . ثم روى عن أحمد بن حنبل ، قال : "علي بن ثابت بن أبي زيد الأنصاري : ثقة ، حدث عنه سعيد بن أبي عروبة ، وحماد زيد ، وأخوه عزرة بن ثابت ، وأخوه محمد بن ثابت" . ثم ذكر ابن أبي حاتم ، أنه سأل أباه "عن علي بن ثابت ، أخي عزرة ومحمد ابني ثابت؟ فقال : لا بأس به" .

ووجدت البخاري ذكره في الكبير 1/1/50 ، والصغير ، ص : 171 ، في ترجمة أخيه محمد بن ثابت" .

وجدهم "عمرو بن أخطب الأنصاري" ، كنيته : أبو زيد ، وقد اشتهر بكنيته . ترجمه ابن سعد 7/17-18 ، قال : "وله مسجد ينسب إليه بالبصرة" .

وبقية الإسناد -قبل علي بن ثابت وبعده- ثقات معروفون ، كما هو ظاهر .

ولم يذكر الطبري لفظ خبر ابن عمر :

وذكره السيوطي 1 : 179 ، عن نافع : "قال : أرسلت إحدى بنات ابن عمر تسأله عن صوم رمضان وهي حامل؟ قال : تفطر وتطعم كل يوم مسكينًا" ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، والدارقطني .

والدارقطني رواه ص : 250 ، بإسنادين : من طريق حماد ، عن أيوب ، عن نافع عن ابن عمر : "أن امرأته سألته وهي حبلى؟ فقال : أفطري وأطعمي عن كل يوم مسكينًا ، ولا تقضي" .

ثم رواه من طريق أبي أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع قال : "كانت بنت لابن عمر تحت رجل من قريش ، وكانت حاملا ، فأصابها عطش في رمضان ، فأمرها ابن عمر أن تفطر وتطعم عن كل يوم مسكينًا" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (38) الأثر : 2774- أحشى أن يكون الصواب هنا : "يطوقونه" .
(39) الأثر : 2775- إسماعيل بن موسى السدي الفزاري ، قيل : هو ابن بنت السدي الكبير إسماعيل بن عبد الرحمن ، مات سنة 245 .
(40) الخبر : 2781- عبيدة ، بفتح العين : هو ابن حميد ، بضم الحاء ، بن صهيب الحذاء ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ، وأخرج له البخاري في الصحيح . مترجم في التهذيب ، والصغير للبخاري ، ص : 212 ، وابن سعد 73-7/2/72 ، وابن أبي حاتم 93-3/1/92 ، وتاريخ بغداد 11 : 120-123 .
(41) الأثر 2783- أبو معاوية الضرير محمد بن خازم التميمي السعدي . قال ابن سعد : "كان ثقة كثير الحديث ، يدللس ، كان مرجئا . مات سنة 193 .
(42) الأثر 2784- في المطبوعة : "علي بن سعد" . علي بن سعيد بن مسروق الكندي أبو الحسن الكوفي روى عن حفص بن غياث وابن المبارك وغيرهما . وروى عنه الترمذي والنسائي وأبو حاتم ، قال أبو حاتم : صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة 249 .
(43) الحديث : 2792- قبيصة : هو ابن عقبة السوائي ، مضت ترجمته : 489 ، وأشرنا هناك إلى الكلام في روايته عن سفیان الثوري ، وأنه غير مقبول ، ونزيد هنا أن الشيخين أخرجاه له في الصحيحين من روايته عن الثوري ، كما في كتاب رجال الصحيحين ، ص : 422 .

أبو قلابة - بكسر القاف وتخفيف اللام : هو عبد الله بن زيد الجرمي - بفتح الجيم وسكون الراء- أحد الأعلام الحفاظ من التابعين . مترجم في التهذيب ، وابن سعد 135-7/1/133 . وابن أبي حاتم 58-2/2/57 ، ورجال الصحيحين : 251 ، وتذكرة الحفاظ 1 : 88-89 .

أنس - في هذا الحديث فقط : هو أنس بن مالك الكعبي ، من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وهو صحابي ليس له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث الواحد . وبعضهم يذكر في نسبه "القشيري" يذهبون إلى أن "قشيرا" هو ابن كعب بن ربيعة . وهذا هو الثابت في بعض كتب الأنساب ، مثل الاشتقاق لابن دريد ، ص : 181 ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ، ص : 271 ، 272 ، وقلدهم الحافظ في التهذيب . ولكن البخاري قال في ترجمته في التاريخ الكبير 1/2/30 : "وكعب إخوة قشير" . وقال ابن أبي حاتم في ترجمته 1/2/286 : "من بني عبد الله بن كعب ، وكعب أخو قشير" . وفي رواية أبي داود لهذا الحديث - كما سيأتي في التخریج إن شاء الله - : "عن أنس بن مالك ، رجل من بني عبد الله بن كعب ، إخوة بني قشير" . وقال الحافظ في الإصابة 1 : 73 "وهذا هو الصواب ، وبذلك جزم البخاري في ترجمته . وعلى هذا فهو كعبي ، لا قشيري ولأن قشيرا هو ابن كعب ، ولكعب ابن اسمه عبد الله . فهو من إخوة قشير ، لا من قشير نفسه" .

"أنس بن مالك" - في الرواة ، خمسة نفر : "أنس بن مالك" بن النضر الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو المراد في أكثر الأحاديث عند إطلاق اسم "أنس" . ثم "أنس بن مالك الكعبي" - هذا الذي هنا .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهذان صحابيان . و"أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي" ، "والد الإمام" مالك بن أنس" ، وهو تابعي . ثم "أنس بن مالك الصيرفي" ، شيخ خلاد بن يحيى . و"أنس بن مالك" شيخ لأبي داود الطيالسي . وهذان متأخران ، يرويان عن التابعين . وقد ترجم ابن أبي حاتم لهؤلاء الخمسة . وترجم البخاري في الكبير الثلاثة الأول فقط . وذكرهم كلهم ابن الجوزي في تليح فهم أهل الأثر ، ص : 320 . وقال في شأن "الكعبي" هذا ، وأشار إلى حدِيثه الذي هنا- : روى هذا الحديث الثوري ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس [يعني الكعبي] . وعند الثوري بهذا الإسناد عن أنس الأنصاري أحاديث" .

وهذا حق . ولذلك كان إطلاق اسم "أنس" هنا غير مستساغ ممن أطلقه ، سواء أكان الطبري أم أحد شيوخ الإسناد ، لما فيه من الإيهام .

والحديث رواه البخاري في الكبير 1/2/30 ، عن قبيصة -شيخ هناد في هذا الإسناد- وعن محمد بن يوسف ، كلاهما عن الثوري ، به . موجراً كعادته . وصرح في الإسناد بأنه "عن أنس بن مالك الكعبي" .

ورواه النسائي 1 : 315-316 ، عن عمر بن محمد بن الحسن -هو ابن التل- عن أبيه ، عن الثوري ، به ، بلفظ : "إن الله وضع عن المسافر ، يعني نصف الصلاة ، والصوم ، وعن الحامل والمرضع" .

ورواه أحمد في المسند 5 : 29 (حلي) عن ابن علية ، عن أيوب ، قال : "كان أبو قلابة حدثني بهذا الحديث ، ثم قال لي : هل لك في الذي حدثني؟ قال : فدلي عليه ، فأتيته ، فقال : حدثني قريب لي يقال له أني بن مالك . " . فذكره بقصة في أوله .

ففي هذه الرواية أن بين أبي قلابة وأنس الكعبي رجلا مبهماً هو الذي حدثه به عنه .

وكذلك ذكر البخاري أن بينهما رجلا : فرواه عقب ذلك ، عن يحيى بن موسى ، عن عيد الرزاق عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة "عن رجل من بني عامر : أن رجلا يقال له أنس حدثه : أنه قدم المدينة - نحوه" .

وأنا أرى ترجيح رواية قبيصة ومحمد بن يوسف ، التي ليس فيها الرجل المبهم ، وقد تابعهما عليها محمد بن الحسن التل . فإن الثوري أحفظ من معمر ومن ابن علية معاً ، وهو المقدم على من خالفه في الحفظ والإتقان .

وللحديث إسناد آخر ، من وجه آخر . رواه أبو هلال محمد بن سليم الراسبي ، عن عبد الله بن سواده ، عن أنس الكعبي ، وهو إسناد جيد ، بل صحيح ، وأبو هلال الراسبي : ثقة لا بأس به . وعبد الله بن سواده بن حنظلة القشيري : ثقة أيضاً .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فرواه أحمد في المسند 4 : 347 (حلي)، عن وكيع ، وعن عفان . ورواه عقبة ابنه عبد الله عن شيبان . ورواه أحمد أيضًا 5 : 29 (حلي) ، عن عبد الصمد . ورواه ابن سعد في الطبقات 7/1/30 ، عن وكيع وعفان . ورواه أبو داود : 2408 ، عن شيبان بن فروخ . ورواه الترمذي 2 : 42 ، عن أبي كريب ويوسف بن عيسى ، عن وكيع . ورواه ابن ماجه : 1667 ، عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد ، عن وكيع . ورواه البيهقي 4 : 231 ، من طريق عبيد الله بن موسى ، وأبي نعيم . كل هؤلاء وكيع ، وعفان ، وشيخان ، وعبد الصمد ، وعبيد الله بن موسى ، وأبو نعيم - روه عن أبي هلال الراسبي ، عن عبد الله بن سواده ، عن أنس الكعبي ، به مطولا ، في قصة .

وهذا إسناد متصل بالسمع ، لأن ابن سعد قال عقب روايته : "قال عفان في الحديث كله : حدثنا قال : حدثنا ، إلى آخره" . فهذا نص على سماع كل شيخ ممن قبله إلى الصحابي .

وقال الترمذي : "حديث أنس بن مالك الكعبي : حديث حسن . ولا نعرف لأنس بن مالك هذا ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - غير هذا الحديث الواحد" . ونقل الحافظ في التهذيب 1 : 379 ، عن الترمذي أنه "صححه" . ولكن الذي في أيدينا من نسخ الترمذي قوله "حديث حسن" فقط . فتستفاد زيادة تصحيحه من نقل الحافظ .

(44) "خلا الرجال" أي خرجوا من قولهم : "أنا منك خلاء ، وخلي" ، أي بريء منك . ويقال : "هو خلو من هذا الأمر" أي خارج ، أو خال منه .

(45) في المطبوعة : "معظم قراء" ، وصواب لفظ الطبري ما أثبت ، كما مضى مرارًا ، وكما سيأتي بعد قليل على الصواب . ومعنى الحرفين سواء ، على كل حال .

(46) في المطبوعة : "فتبين أن أصح القراءتين . . ." ، ومثل هذا التحريف كثير فيما مضى ، والصواب ما أثبت ، وقوله بعد : "وواضح خطأ قول القائل . . ." ، معطوف عليه . فهذا هو صواب السياق .

(47) الترجمة : البديل ، كما سلف مرارًا . انظر 2 : 340 ، وفهرس المصطلحات .

(48) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وإلا فسد الكلام . والقراءة الأخرى في هذه الكلمة : "يَطْوَعُ" بياء الغيبة ، وفتح الياء ، وتشديد الطاء وفتحها ، وتشد الواو وفتحها ، وجزم العين .

(49) الأثر : 2810- سقط آخره ، ولم أجده في المراجع . ولكن صوابه كالذي قبله : من الإفطار والفدية ، كما هو ظاهر .

(50) الفصال جمع فصيل : وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه . ورمض الفصال : أن تحترق الرمضاء - وهو الرمل - فتبرك الفصال من شدة حرها ، وإحراقها أخفافها وفراسنها . ورمضت قدمه من الرمضاء : احترقت .

(51) انظر ما سلف أنقًا : 415 ، 417 .

(52) الأثر : 2813- في المطبوعة : "يحيى عن عيسى" ، وهو خطأ . وانظر التعليق على الأثر رقم : 300 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(53) الحديث : 2814- عبد الله بن رجاء بن عمرو الغداني : ثقة من شيوخ البخاري . و"الغداني" : بضم الغين المعجمة وتخفيف الدال المهملة .

عمران القطان : هو عمران بن داور ، مضى في : 126 . وكنيته "أبو العوام" .

أبو المليح : هو ابن أسامة الهذلي ، وهو تابعي ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . ووقع في المطبوعة "عن ابن أبي المليح" . وزيادة "ابن" خطأ واضح .

واثلة - بالثاء المثناة : هو ابن الأسقع ، صحابي معروف . والحديث رواه أحمد في المسند : 17051 (4 : 107 حلي) ، عن أبي سعيد مولى بني هاشم ، عن عمران أبي العوام ، بهذا الإسناد ، وهو إسناد صحيح .

ونقله ابن كثير 1 : 406 ، عن المسند . وكذلك السيوطي 1 : 189 ، وزاد نسبه إلى محمد بن نصر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والبيهقي في الشعب .

(54) رسلا رسلا : أي قطعة قطعة ، وفرقة فرقة .

(55) هكذا في المطبوعة ، ولم أدر ما هو ، وأخشى أن يكون صوابه "قرأ ابن جريح قوله .." .

(56) انظر تفسير "هدى" فيما سلف في فهرس اللغة .

(57) انظر تفسير "بينات" فيما سلف في فهرس اللغة .

(58) انظر تفسير "فرقان" فيما سلف 1 : 98-99 .

(59) الأثر : 2827- في المطبوعة : "القردوسي" ، والصواب بالقاف المضمومة ، هشام بن حسان الأزدي القردوسي أبو عبد الله البصري ، روي عن حميد بن هلال والحسن البصري ومحمد وأنس وحفص بن سيرين وغيرهم ، وروى عنه عكرمة بن عمار وسعيد بن أبي عروبة وابن علية وغيرهم . يقال هو منسوب إلى درب بالبصرة يقال له "القراديس" ، وهو جمع قردوس ، وهو أبو حي من اليمن ، سمى الدرب بهم . ويقال : هو مولى لهذ الحي . قال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله . ومات سنة 146 .

(60) الخبر : 2835- أبو زيد : هو المدني ، يعد في أهل البصرة . وهو تابعي

ثقة ، وثقه ابن معين . وترجمه البخاري في الكنى ، رقم : 784 ، وقال :

"سمع ابن عمر" . وابن أبي حاتم 4/2/458-459 . وفي التهذيب عن الآجري ، عن أبي داود : "سألت أحمد عنه ، فقال : تسأل عن رجل روى عنه أيوب؟"

أم ذرة -بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء- مولاة عائشة : تابعة ثقة . مترجمة في التهذيب . وابن سعد 8 : 357 ، وذكر لها روايتين أخريين عن عائشة ، روى أحدهما مطولا قبل ذلك في ترجمة عائشة 8 : 46 .

أما أخوها "حنين" : فإنني لم أجد له ذكراً في غير هذا الموضع .

والخبر ذكره السيوطي 1 : 191 ، بنحو معناه ، ونسبه لعبد بن حميد فقط .

ولم يسم فيه "حنين" أخو"أم ذرة" ، بل ذكر أنه أخوها فقط .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(61) الخبر : 2836- إسحاق بن عيسى : هو ابن الطباع البغدادي ، ثقة من الرواة عن مالك وطبقته .

أفلح : هو ابن حميد بن نافع المدني ، وهو ثقة معروف ، روى له الشيخان .
عبد الرحمن هو ابن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ثقة إمام ، من خيار المسلمين . ولد في حياة عائشة .

إبراهيم بن طلحة : هو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، نسب هنا إلى جده . وهو تابعي ثقة رفيع الشأن .

وهذا الخبر نقله السيوطي 1: 191 ، ونسبه لعبد بن حميد فقط . وفيه أنه "عن عبد الرحمن بن القاسم : أن إبراهيم بن محمد جاء إلى عائشة . . ." ، فذكر نحو مما هنا ، بمعناه .
(62) الخبران : 2839 ، 2840- هما من رواية أبي إسحاق السبيعي ، عن "مرثد" ، عن "أبي ميسرة" .

وقال الطبري في أولهما : "هكذا قال هناد : عن مرثد ، وإنما هو : عن أبي مرثد!" يعني أن شيخه في أولهما ، وهو "هناد" ، أخطأ في ذلك ، ومن عجب أنه يرويه عقبه في الرواية الثانية ، عن شيخ آخر ، بإسناد آخر إلى أبي إسحاق -كرواية هناد ، التي زعم أنه أخطأ فيها!

وعندي أن أبا جعفر -رحمه الله- هو الذي وهم ، أصاب الصواب فأخطأه :

أما أولاً : فالاتفاق روايين حافظين ثقتين ، هما سفيان الثوري في الإسناد الأول ، وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي في الإسناد الثاني - كلاهما عن أبي إسحاق أنه "عن مرثد" .

وأما ثانيًا : فلأننا لا نعرف في الرواة من كنيته "أبو مرثد" ، إلا أبا مرثد الغنوي كزاز بن الحصين" ، وهو صحابي قديم الوفاة ، مات سنة 12 . إلا أن يكون الطبري يعرف راويًا آخر بهذه الكنية لم يصل إلينا خبره . وما أظن .

وأبو ميسرة ، صاحب الخبر في الروايتين : هو عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي ، وهو تابعي كبير ثقة ، من شيوخ أبي إسحاق السبيعي . مات سنة 63 ، وشهد السبيعي جنازته . ولو شاء أبو إسحاق أن يروي هذا الخبر عنه دون واسطة ، لما دفع عن ذلك ، إذ عرف بالرواية عنه . ولكنه لم يشأ أن يدلس في خبر لم يشهده بنفسه ، فرواه عن من شاهده . وهو "مرثد" .

والراجح عندي : أنه "مرثد بن عبد الله اليزني" ، وهو تابعي أقدم قليلا من السبيعي . مات مرثد سنة 90 . ومات السبيعي -وهو تابعي أيضًا- سنة 126 أو بعدها بقليل .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فعن هذا كله رجحت -بل استيقنت- أن أبا جعفر رحمه الله ، هو الذي وهم .
(63) البرسام : علة يهذي فيها صاحبها . قالوا : هو ورم حار يعرض للحجاب
الذي بين الكبد والأمعاء ، ثم يتصل إلى الدماغ .
(64) الأحاديث : 2847-2849 ، هي ثلاثة أسانيد لحديث واحد .

فأولها فيه "عن مجاهد ، عن ابن عباس" ، وفي الآخرين بينها "طاوس" .

والحديث رواه الإمام أحمد في المسند ، بأطول مما هنا : 2350 ، عن عبدة
، عن منصور ، بالإسناد الثاني هنا ، ورواه أيضًا : 2251 ، عن حسين ، عن
شيبان ، عن منصور .

ورواه أيضًا -مطولا- الشيخان ، كما في المنتقى : 2175 . فهو حديث صحيح
متفق عليه .

(65) الحديثان : 2850 ، 2851- هما إسنادان آخران صحيحان ، للحديث
السابق ، بلفظ أطول ، ومن وجه آخر ، من رواية ابن إسحاق ، عن
الزهري . وهو في سيرة ابن هشام ، (ص 810 أوربة - 4 : 42 طبعة الحلبي) ،
بلفظ أطول مما هنا . وكذلك رواه أحمد في المسند : 2392 ، من طريق ابن
إسحاق .

ورواه أحمد أيضًا : 1892 ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، مختصرًا ،
ورواه بأطول منه : 3089 ، عن عبد الزاق ، عن معمر ، عن الزهري .

وانظر تاريخ ابن كثير 4 : 285-287 .
(66) الحديث : 2852- سالم بن نوح ، أبو سعيد العطار : ثقة من شيوخ أحمد
.

عمر بن عامر السلمى البصري القاضي : ثقة ثبت في الحديث ، كما قال
أحمد .

والحديث رواه مسلم في صحيحه 1 : 308 ، بأسانيد كثيرة ، منها إسناد عن
محمد بن المثني ، عن سالم بن نوح ، عن عمر بن عامر ، عن قتادة ،
بهذا الإسناد .

ثم رواه بأسانيد آخر 1 : 308-309 ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد .

ونسبه السيوطي 1 : 190-191 أيضًا للترمذي والنسائي .

(67) في المطبوعة : "فإذا كان فاسدين . . ." ، والصواب ما أثبتته .

(68) في المطبوعة : "فتين" ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته .

(69) الخبر : 2853- معاذ بن شعبة البصري ، شيخ الطبري : ترجمه ابن أبي
حاتم 4/1/251 ، قال : "معاذ بن شعبة أبو سهل البصري ، روى عن عباد بن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

العوام ، وعثمان بن مطر . روى عنه موسى بن إسحاق الأنصاري" . ولم أجد له ترجمة غير ذلك . فهو شيخ قديم من شيوخ الطبري ، لأنه يروي عن "عباد بن العوام" المتوفى سنة 185 ، و"شريك بن عبد الله النخعي" المتوفى سنة 188 . وتلميذه الذي ذكره ابن أبي حاتم ، وهو "موسى بن إسحاق بن موسى الأنصاري الخطمي ، قاضي الري" ، من شيوخ ابن أبي حاتم ، كما في ترجمته عنده 4/1/135 .

(70) في المطبوعة : "كما مر" ، وكأن الصواب ما أثبت .
(71) في المطبوعة : "زيادة غير المحتملة" وهو كلام ليس بعربي . ونص عبارة الشافعي في الأم 1 : 89 "وإن زاد مرض المريض زيادة بينة أفطر ، وإن كان زيادة محتملة لم يفطر" .

(72) في المطبوعة : "هو مرض يسمى مرصًا" ، والصواب زيادة [كل] .
(73) الخبر : 2856-الحسن بن خالد الربيعي : ترجمه ابن أبي حاتم 1/2/10 قال : "الحسن بن خالد بن باب القريعي . روي عن طريف بن شهاب العطاردي . روى عنه محمد بن المثنى" . فهو الشيخ الذي هنا ، ولم أجد له ترجمة غيرها . وقد علق العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني-مصحح الكتاب- عند قوله "القريعي" ، بأن في بعض النسخ "القرايعي" ، وأنه سيأتي في باب "خالد" خالد بن باب الربيعي" ، وأنه "يمكن أن يكون هو والد الحسن هذا" . وهذا نظر دقيق منه -حفظه الله- يؤيده نسبه هنا في الطبري "الربيعي" . و"خالد بن باب الربيعي" : مترجم في الكبير 131-2/1/130 ، وابن أبي حاتم 1/2/322 ، ولسان الميزان 2 : 374 .

طريف بن شهاب العطاردي : ذكر في المطبوعة اسم أبيه "تمام" ، وهو خطأ . وطريف هذا : هو أبو سفيان الأشل . وهو ضعيف . وقيل في اسم أبيه "سعد" . والذي جود اسمه ونسبته هو البخاري في ترجمته . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/358 ، وابن أبي حاتم 492-2/1/493 ، والضعفاء للبخاري ، ص : 18-19 .

(74) في المطبوعة : "بجمعهم الكبرى" ، وكأن الصواب ما أثبت .
(75) الخبر : 2858-شعبة : هو ابن الحجاج؛ إمام أهل الجرح والتعديل . وثبت في المطبوعة "سعيد" . وهو خطأ ناسخ أو طابع في هذا الإسناد ، كما يتبين مما سيأتي .

يعلى : هو ابن عطاء العامري ، ثقة معروف .

يوسف بن الحكم أبو الحكم : تابعي ثقة . ذكره ابن حبان في الثقات . وترجمه ابن أبي حاتم 4/2/220 قال : "روى عن ابن عمر . روى عنه يعلى بن عطاء" . وترجمه البخاري في الكبير 4/2/376 باسم "يوسف أبو الحكم" ، سمع ابن عمر . روى عنه يعلى بن عطاء" . وثبت عقب ذلك في بعض نسخ الكبير : "هذا هو الأول أظنه" . يريد المترجم قبله "يوسف بن مهران" . وهذا الظن من البخاري ليس في موضعه ، ولعله ظن ذلك إذ لم يقع له منسوبةً لأبيه ، بل وقع له باسم "يوسف" وكنية "أبي الحكم" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والذي يقطع في ذلك ، ويرفع كل شبهة : أن الدولابي روى هذا الخبر ، في الكنى والأسماء 1 : 154-155 "حدثنا محمد بن بشار . قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال ، سمعت يوسف بن الحكم أبا الحكم يقول : سمعت عبد الله بن عمر يسأل عن الصوم في السفر . . . " فذكر نحوًا مما هنا .

ووهب بن جرير يروي عن شعبة . ويعلى بن عطاء يروي عنه شعبة . فلا موضع في هذا الإسناد لاسم "سعيد" . إلى ثبوت الخبر من رواية شعبة عند الدولابي ، كما ذكرنا .

وهذا الرأي لابن عمر -ثم لغيره من الصحابة- إنما هو فيمن أبى أن يقبل رخصة الله في الإفطار في السفر . قال ابن كثير 1 : 410-411 "فأما إن رغب عن السنة ، ورأى أن الفطر مكروه - فهذا يتعين عليه الإفطار ، ويحرم عليه الصيام والحالة هذه . لما جاء في مسند الإمام أحمد وغيره ، عن ابن عمر ، وجابر ، وغيرهما : من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة" . يشير ابن كثير في ذلك إلى حديث ابن عمر في المسند : 5392 . وانظر حديثين آخرين لابن عمر ، في المسند : 5750 ، 5866 . (76) الخبر : 2859- نصر بن عبد الرحمن الأزدي . مضى في : 423 ، 875 . ووقع في المطبوعة هنا - كما وقع هناك : "الأودي" . وهو خطأ . (77) الخبر : 2861- نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي : مضى في : 2376 . ووقع في المطبوعة هنا "الخثمي" . وهو تصحيف واضح .

وشيخه "مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي" : مضى في : 1219 . وقد ثبت في ترجمتهما رواية نصر عن مسلم .

ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري : ثقة ، تكلم فيه بعضهم . مترجم في التهذيب ، وابن سعد 7/2/35 ، والكبير 2/1/266 ، وابن أبي حاتم 1/2/477-478 .

أبوه "كلثوم بن جبر" : ثقة من صغار التابعين ، لم يدرك عمر بن الخطاب . ولذلك روى عنه هنا بواسطة رجل مبهم . فالإسناد لذلك ضعيف . وانظر الخبر الآتي : 2866 .

(78) الخبر : 2863- المحرر- براءين مع فتح الأولى مشددة : هو ابن أبي هريرة . وهو تابعي معروف ، يروي عن أبيه ، وعن ابن عمر . وله في المسند أحاديث عن أبيه ، منها : 212 ، 9562 .

وهذا الخبر ذكر السيوطي 1 : 191 ، نحو معناه . ونسبه لعبد بن حميد فقط . وثبت فيه اسم "المحرر" : "محرز" بالزاي في آخره ، وهو تصحيف . (79) الخبر : 2866- إسناده ضعيف ، لانقطاعه ، فإن كلثوم بن جبر لم يدرك عمر بن الخطاب ، كما بينا ذلك في : 2861 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(80) الحديث : 2867- محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي - شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة . وسيأتي بهذا الاسم أيضًا في : 2888 . ولكن سيأتي في الإسناد الذي عقب هذا باسم "محمد بن عبيد الله بن سعيد" - بجعل أبيه "عبيد الله" بدل "عبد الله" . وأنا أرجح الذي في إسنادين على الذي في إسناد واحد ، ترجيحًا بدائيًا غير محقق .

يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري : مختلف فيه ، والظاهر أنه ثقة ، وإنما أخذوا عليه الرواية عن رجال مجهولين غير معروفين العدالة - مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/398 ، وابن أبي حاتم 215-4/2/214 ، وتاريخ بغداد 14 : 269-271 .

عبد الله بن موسى بن إبراهيم - من ولد طلحة بن عبيد الله التيمي : مختلف فيه . وضعف أحمد جدًا . وقال ابن حبان : "يرفع الموقوف ، ويسند المرسل ، لا يجوز الاحتجاج به" . ووقع في المطبوعة هنا "عبيد الله بن موسى" . وهو خطأ ، فإن الحديث معروف من رواية "عبد الله بن موسى التيمي" . ثم هو الذي يروي عن أسامة بن زيد .

أسامة بن زيد : هو الليثي المدني ، مختلف فيه . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند : 1098 .

وهذا الحديث رواه ابن ماجه : 1666 ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ، عن عبد الله بن موسى التيمي بهذا الإسناد .

وقد أطلال الحافظ الزيلعي في نصب الرواية 2 : 461-463 في تخرجه رواياته . ورجح أنه موقوف من كلام عبد الرحمن بن عوف ، إلى انقطاع إسناده بين أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبيه . فقد رجح الحافظ أنه لم يسمع من أبيه شيئًا . وقد رجحنا في شرح المسند : 1660 أنه سمع ذلك الحديث من أبيه - وكان صغيرًا حين مات عبد الرحمن . وليس معنى هذا أنه سمع منه كل ما يرويه عنه .

وذكر ابن أبي حاتم في كتاب العلل ، رقم 694 ، أنه سأل أباه عن هذا الحديث ، فقال أبو زرعة : "رواه أبو أحمد الزبيري ، ومعن بن عيسى ، وحماد بن خالد الخياط ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبيه ، قوله . ورواه عنبسة بن خالد ، عن يونس ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه ابن لهيعة ، عن يونس ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه بقرية ، عن آخر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو زرعة : الصحيح عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبيه . موقوف" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ونقل الحافظ ابن حجر في التلخيص ، ص : 195 أن الدارقطني في العلل والبيهقي ، صححا أيضًا أنه موقوف . وانظر السنن الكبرى للبيهقي 4 : 244 ، وتعقيب ابن التركماني عليه . والرواية الموقوفة على عبد الرحمن بن عوف رواها النسائي 1 : 316 ، بثلاثة أسانيد . هذا وسيأتي قول الطبري في ص : 474 عن هذا الخبر والذي يليه وأشباههما ، أنها : "واهية الأسانيد ، لا يجوز الاحتجاج بها في الدين" .
(81) الحديث : 2868- هو إسناد آخر للحديث السابق .

وهذا إسناد مشكل :

فشيخ الطبري ذكر هنا باسم "محمد عبيد الله بن سعيد" . وذكر في الإسناد السابق باسم "محمد بن عبد الله" .

وثانيًا : قوله "حدثنا يزيد بن عياض" - غير معقول . يجب أن يكون بينهما راو على الأقل . فإن يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدة الليثي قديم الوفاة ، مات في خلافة المهدي . وذكره البخاري في التاريخ الصغير ، ص : 172 ، في فصل (من مات بين سنتي : 140-150) . فليس من المعقول أن يسمع منه أي شيخ للطبري المتوفى سنة 310 . وأنا أرجح أن يكون بينهما "يزيد بن هارون" ، لما سنذكر ، إن شاء الله .

وبزيد بن عياض هذا : ضعيف جدًا . قال البخاري في الكبير 351-4/2/352 ، والصغير : "منكر الحديث" . ورماه مالك وابن معين والنسائي وغيرهم بالكذب . و"جعدة" بضم الجيم والبدال المهملة بينهما عين مهملة ساكنة .

ونقل الزيلعي في نصب الراية 2 : 462 ، أن هذا الحديث "رواه ابن عدي في الكامل ، من حديث يزيد بن هارون : حدثنا يزيد بن عياض ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبيه ، مرفوعًا . قال ابن عدي : وهذا الحديث لا يرفعه عن الزهري - غير يزيد بن عياض ، وعقيل من رواية سلامة بن روح عنه ، ويونس بن يزيد من رواية القاسم بن مبرور عنه ، وأسامة بن زيد من رواية عبد الله بن موسى التيمي عنه . والباقون من أصحاب الزهري - روه عنه ، عن أبي سلمة ، عن أبيه ، من قوله" .

(82) تسعسع الشهر : أدبر وفنى إلا أقله من قولهم : "تسعسع الرجل" : إذا اضطرب من الكبر أو الهرم . وتشعشع الشهر : رق وتقضى وبقي أقله . ذهب به إلى رقة الشهر وقلة ما بقي ، كما يشعشع اللبن بالماء أي يمزج ويخلط . وقوله "لم نثلم شهرنا" من ثلم الإناء أو السيف : كسر شفة الإناء أو حد السيف . أي لم ندخل الخلل على صومنا ونجرح شهرنا .
(83) الخبر : 2872- الحكم بن بشير بن سلمان : مضى في : 1497 .

أبوه "بشير بن سلمان النهدي" : ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما . وأبوه : "سلمان" ، بفتح السين وسكون اللام . ووقع في كثير من المراجع المطبوعة "سليمان" . وهو خطأ مطبعي . وفي التهذيب وفروعه "الكندي"

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بدل "النهدي". وهو خطأ ، صوابه في الكبير للبخاري 1/2/99 ، وابن أبي حاتم 1/1/374 ، وابن سعد 6 : 251 ، ورجال الصحيحين ، ص : 55 .

خيثمة : هو ابن أبي خيثمة البصري ، وهو تابعي ثقة . وقال ابن معين : "ليس بشيء". كما في ابن أبي حاتم 1/2/394 ، ولكن ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه البخاري في الكبير 2/1/197 ، فلم يذكر فيه جرًا ، وأشار إلى هذا الحديث من روايته ، كعادته في إشاراتة الدقيقة -لله دره- فقال : "وقال أبو نعيم ، عن بشير بن سلمان ، عن خيثمة . قال : سألت أنس بن مالك عن الصوم في السفر". ولم يذكره هو ولا النسائي في الضعفاء . وهذا كاف في توثيقه والاحتجاج بروايته ، دون الجرح المجمل من ابن معين .

وهذا الخبر ذكره السيوطي 1 : 191 ، وزاد نسبه لعبد بن حميد ، والنسائي . ولم أجد في النسائي ، ولعله في السنن الكبرى .
(84) الخبر : 2876- أبو الفيض : هو موسى بن أيوب المهري الحمصي ، ويقال : ابن أبي أيوب ، وهو شامي ثقة ، وثقه ابن معين ، والعجلي . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 4/1/134 .

أبو قرصافة ، بكسر القاف وسكون الراء بعدها صاد مهملة : هو "واثلة بن الأسقع" الصحابي ، من بني ليث بن عبد مناة . يكنى "أبا الأسقع" ، ويقال "أبو قرصافة" ، كما في ترجمته في الإصابة والتهذيب وغيرهما . وهذا الخبر يؤيد هذه الكنية ، لأن عبد الصمد بن عبد الوارث يذكر في أثنائه ، أنه سمع رجلا من قومه يقول "إنه واثلة بن الأسقع" .

وقد أوقعهم هذا الخبر -أو نحوه- في وهم عجيب؛ لأن هناك رجلا آخر له صحبة ، يكنى "أبا قرصافة اسمه جندرة بن خيشنة" كنابي له صحبة ، مترجم في التهذيب 2 : 119 ، والكبير 1/2/249 ، وابن أبي حاتم 1/1/545 ، وأسد الغابة 1 : 307 . فانتقل نظر صاحب التهذيب ، في ترجمة "أبي الفيض موسى بن أيوب" 10 : 337 فذكر أنه يروي عن "أبي قرصافة جندرة بن خيشنة" . ثم ذكر صاحب أسد الغابة ، في ترجمة "جندرة" هذا أنه "جعله ابن ماكولا ليثيًا ، وليس بشيء!!" . ولم يذكر صاحب التهذيب في ترجمة "جندرة" أنه يروي عنه "أبو الفيض!!"

فالظاهر عندي أن ابن ماكولا حين ذكر أن "أبا قرصافة" من بني ليث ، أراد به "واثلة بن الأسقع" ، كما تدل عليه الرواية في هذا الخبر . وأن صاحب التهذيب وهم حين ذكر أن أبا الفيض يروي عن "أبي قرصافة جندرة بن خيشنة" ، لأن روايته إنما هي عن "أبي قرصافة واثلة" ، وهو ليثي بلا خلاف فيه .

وأما قول أبي الفيض هنا : "كان علي علينا أميرًا بالشأم" - فلا أدري ما هو؟ وإنما اليقين أنه لا يريه به "علي بن أبي طالب" ، إذ لم يكن ذلك قط . ولعله

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

كان لهم أمير بالشّام يدعي "عليًا". ويحتمل أن يكون ما هنا فيه تحريف ، وأن يكون صوابه "كان علينا أمير بالشّام ، فنهانا . . " إلخ .

ثم وجدت ما يؤيد ذلك : ففي مجمع الزوائد 3 : 161-162 "عن أبي الفيض" قال : خطبنا مسلمة بن عبد الملك ، فقال : لا تصوموا رمضان في السفر ، فمن صام فليقضه . قال أبو الفيض : فلقيت أبا قرصافة واثلة بن الأسقع ، فسألته؟ فقال : لو ما صمت ثم صمت ما قضيته . رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات" .

فهذه الرواية تماثل رواية الطبري هنا ، وتدل على أن الأمير الذي نهاهم هو "مسلمة بن عبد الملك" . فأكبر الرأي أن يكون الصواب في رواية الطبري "كان عليا أمير بالشّام" ، كما ظننا من قبل . ولفظ آخر الحديث -في رواية الزوائد- أراه محرّفًا ، وأوضح منه وأصوب لفظ أبي جعفر . و"جندرة" و"خيشنة" - كلاهما يفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه . (85) الخبر : 2888- محمد بن عبد الله بن سعيد ، شيخ الطبري : مضى في : 2867 ، 2868 .

صالح بن محمد بن صالح بن دينار التمار المدني : ترجمه البخاري في الكبير 2/2/292 ، ولم يذكر فيه جرحًا ، وذكر أنه يروي عن أبيه . ولم يترجم له ابن أبي حاتم ، ولا التهذيب ، ولا لسان الميزان ولكن ذكر في التهذيب في ترجمة أبيه ، أنه يروي عنه .

أبوه محمد بن صالح بن دينار التمار : ثقة . مترجم في التهذيب . والكبير 1/1/117 ، وروى حدثنا آخر من رواية ابنه صالح ، عنه ، وابن أبي حاتم 3/2/287 .

(86) الحديث : 2889- هو حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، وأصحاب الكتب الستة ، كما في المنتقى : 2171 .

و"حمزة" هذا : هو حمزة بن عمرو الأسلمي ، صحابي معروف . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري 2/1/43 ، وابن سعد 4/2/45 ، وابن أبي حاتم 1/2/212 ، والاستيعاب ، ص : 105 ، وأسد الغابة 2 : 50-51 ، وتاريخ الإسلام للذهبي 3 : 14 .

ومن عجب بعد هذا كله : أن يسهو الحافظ ابن حجر عن ترجمته في الإصابة ، في حين أنه أشار إليه في ترجمة "حمزة بن عمر" بضم العين وفتح الميم . وهي ترجمة أخطأ فيها بعض من سبقه ، وبين هو هذا الخطأ كما بينه ابن الأثير!! وانظر الإسنادين بعد هذا . سرد الصوم يسرده سردًا : إذا والاه وتابعه بعضه في إثر بعض .

(87) الحديث : 2990- عبيد بن إسماعيل الهباري ، شيخ الطبري : ثقة من شيوخ البخاري . ترجمه في الصغير ، ص : 247 ، وهو مترجم أيضًا في التهذيب ، وابن أبي حاتم 2/2/402 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودي ، مضى في : 438 ، 2030 .
ووقع في التهذيب 7 : 59 ، في شيوخ "عبيد بن إسماعيل" - " وأبي إدريس" .
وهو خطأ مطبعي .

وهذا الإسناد ظاهره أنه مرسل ، لأن عروة بن الزبير تابعي ، كما هو واضح .
والظاهر أن هشام بن عروة ، أو أباه عروة - كان أحدهما يصل هذا الحديث
تارة ويرسله تارة . وعروة سمعه من خالته عائشة أم المؤمنين ، كما في
الإسناد السابق ، وسمعه أيضًا من أبي مراوح عن حمزة الأسلمي نفسه ،
كما في الإسناد التالي لهذا .

ومالك قد روى هذا الحديث في الموطأ ، ص : 295 ، "عن هشام بن عروة
، عن أبيه : أن حمزة بن عمرو الأسلمي . . ." - فذكره مرسلًا ، كرواية ابن
إدريس هنا ، عن هشام .

فقال ابن عبد البر في التقصي ، رقم : 643 "هكذا رواه يحيى ، لم يذكر
عائشة . وخالفه أكثر رواة الموطأ ، فذكروا فيه عائشة" .

وقد رواه البخاري 4 : 157 ، عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك - موصولا .
وكذلك رواه غيره من الأئمة .

والظاهر عندي أن الذي كان يرسله ويصله - هو هشام أو أبوه ، وأن مالكًا
رواه عن هشام على الوجهين . بدلالة رواية عبد الله بن إدريس المرسلة
- هنا - عن هشام .

ورواه البخاري أيضًا 4 : 156 ، ومسلم 1 : 309 - 310 ، بأسانيد ، موصولا ،
من طريق هشام ، عن أبيه ، عن عائشة .
(88) الحديث : 2891- أبو زرعة وهب الله بن راشد : مضى في : 2377 .
ووقع في المطبوعة هنا - كما كان هناك : "أبو زرعة وعبد الله بن راشد قالا
.. " . وهو خطأ ، كما بينا آنفًا .

حياة - بفتح الحاء المهملة والواو بينهما ياء تحتية ساكنة - بن شريح التجيبي ،
أبو زرعة المصري : فقيه عالم ثقة ثقة .

أبو الأسود : هو "يتيم عروة" ، واسمه "محمد بن عبد الرحمن بن نوفل" ، وقيل
له "يتيم عروة" لأن أباه كان أوصى إليه .

أبو مراوح الغفاري المدني : تابعي ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والحديث رواه مسلم 1 : 310 ، والنسائي 1 : 243 - والبيهقي 4 : 43 ، ثلاثهم من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي الأسود ، بهذا الإسناد .

وقصر السيوطي جدًا ، فذكره 1 : 190 ، ونسبه للدارقطني "وصححه" ، فقط . وهو في أحد الصحيحين وأحد السنن الأربعة .

فظهر من هذا الإسناد أن عروة بن الزبير له في هذا الحديث طريقان : فسمعه من خالته عائشة . وسمعه مطولا من أبي مروان ، عن حمزة الأسلمي نفسه ، صاحب السؤال . فليس هذا اختلافاً على عروة ، إنما هو تأكيد رواية صحيحة ، بأخرى مثلها .
(89) الحديث : 2892- الحسين بن يزيد السبيعي ، شيخ الطبري : هكذا ثبت هنا . وأخشى أن يكون نسبه "السبيعي" سهواً أو خطأً من الناسخين . والذي في هذه الطبقة ، ويروي عن عبد الله بن إدريس - هو "الحسين بن يزيد بن يحيى الطحان الأنصاري" وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/2/67 . روى عنه أبو داود ، والترمذي ، وأبو زرعة ، وذكر الحافظ أنه روى عنه مسلم خارج الصحيح . والذي يرجح عندي هذا : أن الطبري روى خبراً آخر ، في التاريخ 1 : 135 - 136 : "حدثنا الحسين بن يزيد الطحان قال : حدثنا ابن إدريس . . . " . إلا أن يكون هذا شيخاً آخر للطبري ، لم تصل إلينا معرفته .

وقد نبه الطبري إلى غلط هذا الشيخ ، في إسقاط "شعبة" بين "ابن إدريس" و"محمد بن عبد الرحمن" ، وهو كما قال . فإن عبد الله بن إدريس لم يدرك أن يروي عن محمد بن عبد الرحمن . وسيأتي تخريج هذا الحديث ، في الإسناد التالي له .

(90) الحديث : 2892م - محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة : ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وبعضهم ينسبه لجدّه لأمه ، فيقول : "محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة" . و"سعد بن زرارة" ، وأخوه "أسعد بن زرارة" - صحابيان معروفان ، أنصاريان ، من بني النجار .

ووقع في هذا الإسناد في المطبوعة "شعبة عن عبد الرحمن بن سعد . . ." ، وهو خطأ واضح من الناسخين سقط منهم "محمد بن" قبل "عهد الرحمن" .

محمد بن عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب : تابعي ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث رواه مسلم 1 : 308 ، بأسانيد ، منها : عن محمد بن المثنى ، شيخ الطبري هنا ، عن محمد بن جعفر ، بهذا الإسناد .

ورواه أحمد في المسند : 14242 (3 : 299 حليبي) ، عن محمد بن جعفر ، به . ورواه أبو داود الطيالسي : 1721 ، عن شعبة ، به .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورواه البخاري 4 : 161-162 (فتح) ، عن آدم ، عن شعبة . ورواه أيضًا
-مختصرًا- في الكبير 190-1/1/189 ، عن آدم .

ورواه أبو نعيم في الحلية 7 : 159 ، بأسانيد من طريق شعبة ، ثم قال :
"صحيح متفق عليه . واختلف في محمد بن عبد الرحمن : فأخرجه سليمان
في ترجمة : شعبة عن أبي الرجال ، وغيره أخرجه في ترجمة محمد بن عبد
الرحمن بن أسعد بن زرارة" .

وقد حقق الحافظ في الفتح أن الصحيح ما ذكرنا . وهو الثابت في صحيح
مسلم ، وسنن أبي داود : 2407 ، وغيرهما .

وقصر السيوطي جدًّا ، إذ نسبه في الدر المنثور 1 : 191 لابن أبي شيبة ،
وأبي داود ، والنسائي ، فقط؛ وهو في الصحيحين كما ترى .
(91) انظر الأثرين رقم : 2867 ، 2868 ، والتعليق عليهما .
(92) قوله : "صفة" يعني حرف جر . وحروف الصفات هي حروف الجر . وقد
مضى بيان ذلك في 1 : 299 تعليق : 1 .
(93) في المطبوعة : "بشقة ذلك عليكم" ، والصواب ما أثبت .
(94) في المطبوعة : "بذلك" مكان "بقوله" ، وسياق الكلام يدل على صواب ما
أثبت .
(95) الزيادة بين القوسين لا غنى عنها هنا .
(96) السياق : وما الذي عليه عطفت .
(97) هذا قول الفراء ، وهو نص كلامه في معاني القرآن 1 : 113 .
(98) انظر ما سلف 1 : 364 ، والمراجع في فهرس مباحث العربية .
(99) الحديث : 2904- جرير : هو ابن عبد الحميد الضبي ، مضى في : 2028 ،
2346 . عبدة السجستاني : هو عبدة بن أبي برزة ، ترجمه ابن أبي حاتم
3/1/90 ، ولم يذكر فيه جرحًا . ولم أجد له ترجمة عند غيره .

"السجستاني" : هذا هو الصحيح ، الثابت هنا ، وفي المصادر المعتمدة ، كما
سيأتي . ووقع في بعض المراجع "السختياني" ، وهو خطأ مطبعي واضح .

الصلب بن حكيم : نص الحافظ عبد الغني الأزدي المصري ، في كتاب
المؤتلف والمختلف ، ص 79 ، على أنه "صلب" : "بالياء معجمة من تحتها وضم
الصاد" . وترجم له فقال : "صلب بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده . روى
حديثه محمد بن حميد ، عن جرير ، عن عبدة بن أبي برزة السجستاني" .

وكذلك قال الذهبي في المشته ، ص : 316 "وصلب بن حكيم ، عن أبيه ،
عن جده . يشته بالصلت بن حكيم" . وفي هامشه ، نقلا عن هامش إحدى
مخطوطاته : "قال الخطيب : قيل إنه أخ لبهز بن حكيم ، ولا يصح ذلك .
ويشته أيضًا بالصلت بن حكيم ، بضم الحاء . ويقال : الحكيم بن الصلت"
وكذلك قال الحافظ بن حجر ، في "تبصير المنتبه" (مخطوط مصور عندي) ،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ونص على أنه "قيل : إن الصلب بن حكيم ، المتقدم ذكره - أخو بهز بن حكيم ، ولا يصح" .

ولكنه -مع هذا- ترجم له في لسان الميزان 3 : 195 ، في باب "الصلت" ، نقلاً عن الميزان ، وذكر هذا الحديث له . وذكر رواية الذهبي إياه بإسناده إلى "محمد بن حميد" . ثم ذكر -نقلاً عن الذهبي أيضاً- أنه رواه ابن أبي خثيمة ، في جزء فيمن روي عن أبيه عن جده ، وأنه "أخرجه العلاني في كتاب الوشي ، عن إبراهيم بن محمد . وقال : لم أر للصلت ذكراً في كتب الرجال" . ثم عقب الحافظ على ذلك بقوله : "قلت : ذكره الدارقطني في المؤتلف ، وحكى الاختلاف : هل آخره بالموحدة ، أو بالمشناة؟ وقال إنه ابن حكيم بن معاوية بن حيدة ، فهو أخو بهز بن حكيم ، المحدث المشهور . وليس للصلت ولا لأبيه ولا لجده - ذكر في كتب الرواة ، إلا ما قدمت من ذكر ابن أبي خثيمة ، ولم يزد في التعريف به على ما ها هنا" .

وهذا اضطراب شديد من الحافظ ابن حجر . ثم إن هذه التي نقلها عن ميزان الاعتدال للذهبي لم تذكر في النسخة المطبوعة منه . فالظاهر أنها سقطت من الأصول التي طبع عنها الميزان .

والراجح عندي ما ذهب إليه الذهبي وابن حجر وابن أبي خثيمة وعبد الغني الأزدي : أنه "صلب" بضم الصاد وبالوحدة في آخره . وأنه مجهول هو وأبوه وجده . أما "حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري" - فإنه تابعي معروف ، وأبوه صحابي معروف . وقد روي عن حكيم بن معاوية بن حيدة - أبنائه : بهز ، وسعيد ومهران . فلا صلة للذي يسمى "الصلب" هذا - بهؤلاء .

وهذا الحديث ضعيف جداً ، منهار الإسناد بكل حال .

وقد وهم الحافظ ابن كثير ، حين ذكره 1 : 413-414 ، وجعله من حديث "معاوية بن حيدة القشيري" .

وذكره السيوطي أيضاً 1 : 194 ، وأخطأ فيه خطأ آخر : فجعله "من طريق الصلت بن حكيم ، عن رجل من الأنصار ، عن أبيه ، عن جده"!! وقد تكون زيادة "عن رجل من الأنصار" خطأ من الناسخين ، لا من السيوطي . (100) الحديث : 2905- جعفر بن سليمان : هو الضبي ، بضم الصاد المعجمة ، وفتح الباء الموحدة . وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره .

عوف : هو ابن أبي جميلة الأعرابي ، وهو ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وقد مضت له رواية في : 645 . وهو معروف بالرواية عن الحسن البصري .

وهذا الإسناد صحيح إلى الحسن . ولكن الحديث ضعيف ، لأنه مرسل ، لم يسنده الحسن عن أحد من الصحابة .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد رواه أبو جعفر هنا ، من طريق عبد الرزاق ، ولم أجده في تفسير عبد الرزاق . فلعله في موضع آخر من كتبه .
(101) سلف هذا البيت في 1 : 320 ، ونسيت هناك أن أشير إليه أنه سيأتي في هذا الموضع من التفسير ، ثم في 4 : 144 (بولاق) .
(102) الحديث: 2918- أما الحديث في ذاته - فإنه حديث صحيح . وأما هذا الإسناد بعينه ، فلا أدري كيف يستقيم ؟ مع ضعفه !
فإن ابن حميد - شيخ الطبري- هو: محمد بن حميد الرازي، سبق توثيقه : 2028 ، 2253 .

ولكن من المحال أن يقول: "حدثنا جوير" ، لأن ابن حميد مات سنة 248 ، وجوير بن سعيد الأزدي مات قبل ذلك بنحو مائة سنة ، فقد ذكره البخاري في الصغير، ص: 176 ، فيمن مات بين سنتي: 140 - 150 . فلا بد أن يكون قد سقط بينها شيخ ، خطأ من الناسخين. ثم إن "جويرا" هذا: ضعيف جدًا، كما بينا في: 284 .

الأعمش: هو سليمان بن مهران، الإمام المعروف.
ذر ، بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء : هو ابن عبد الله المرهبي ، بضم الميم وسكون الراء وكسر الهاء بعدها ياء موحدة. وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

يسيع - بضم الياء الأولى وسكون الثانية بينهما سين مهملة مفتوحة: هو ابن معدان الحضرمي، في التهذيب ، والكبير 4/2/425 - 426 ، وابن أبي حاتم 4/2/313 . ووقع هنا في المطبوعة "سيع" ! وهو تصحيف.
والحديث سيأتي في الطبري 24 : 51 - 52 (بولاق) ، بستة أسانيد. ووقع اسم "ذر" هناك مصحفًا إلى "زر" ، بالزاي بدل الذال.
وهو حديث صحيح . رواه أحمد في المسند 4 : 271 (الحلي) ، عن أبي معاوية، عن الأعمش، بهذا الإسناد . فليس فيه "جوير" الضعيف المذكور هنا.
ونقله ابن كثير 7 : 309 ، عن ذلك الموضع من المسند، وقال: وهكذا رواه أصحاب السنن: الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم ، وابن جرير - كلهم من حديث الأعمش، به. وقال الترمذي: حسن صحيح . ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن جرير أيضًا ، من حديث شعبة، عن منصور الأعمش- كلاهما عن زر، به ، ثم ذكر أنه رواه ابن حبان والحاكم أيضًا.
وهو عند الحاكم 1 : 490 - 491 بأسانيد، ثم قال: "هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي 5 : 355 ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد، والبخاري في الأدب المفرد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى : **أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " أحل لكم " ، أطلق لكم وأبج (1) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ويعني بقوله: " ليلة الصيام "، في ليلة الصيام.

فأما " الرفث " فإنه كناية عن الجماع في هذا الموضع، يقال: " هو الرفثُ والرّفوث " (2).

وقد روي أنها في قراءة عبد الله: " أحل لكم ليلة الصيام الرفوثُ إلى نسائكم ".

وبمثل الذي قلنا في تأويل " الرفث " قال أهل التأويل.

*ذكر من قال ذلك:

2920- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال، حدثنا أيوب بن سويد، عن سفيان، عن عاصم، عن بكر عن عبد الله المزني، عن ابن عباس قال: الرفث، الجماع، ولكن الله كريم يَكْنِي.

< 3-488 >

2921- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عاصم، عن بكر، عن ابن عباس، مثله.

2922- حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: الرفث، النكاح.

2923- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: الرفث: غَشْيَانُ النِّسَاءِ.

2924- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم "، قال: الجماع.

2925- حدثني المثني قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2926- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: الرفث: هو النكاح.

2927- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الكبير البصري قال، حدثنا الضحاك بن عثمان قال، سألت سالم بن عبد الله عن قوله: "أحلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم"، قال: هو الجماع.

2928- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "أحلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم"، يقول: الجماع.

"والرفث " في غير هذا الموضع، الإفحاشُ في المنطق، كما قال العجاج:
عَنِ اللَّعَا وَرَقَّتِ التَّكَلُّمِ (3)

< 3-489 >
القول في تأويل قوله تعالى : هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ
قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: نساؤكم لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن.

فإن قال قائل: وكيف يكون نساؤنا لباسًا لنا، ونحن لهن لباسًا و " اللباس " إنما هو ما لبس؟

قيل: لذلك وجهان من المعاني:

أحدهما: أن يكون كل واحد منهما جُعل لصاحبه لباسًا، لتجرُّدهما عند النوم، (4) واجتماعهما في ثوب واحد، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه، < 3-490 > بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه، ف قيل لكل واحد منهما: هو " لباس " لصاحبه، كما قال نابغة بني جعدة:

إِذَا مَا الصَّجِيْعُ تَنَّى عِطْفَهَا

تَدَاعَتْ، فَكَاتَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا (5)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبروي: " تثنت " فكنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد ب " اللباس "، كما يكنى ب " الثياب " عن جسد الإنسان، كما قالت ليلي، وهي تصف إبلا ركبها قوم:

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ، فَلَا تَرَى

لَهَا شَبَهًا إِلَّا النَّعَامَ الْمُتَفَرًّا (6)

يعني: رموها بأنفسهم فركبوها. وكما قال الهذلي (7) تَبَرَّأُ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ
وَوَثْرِهِ

وَقَدْ عَلِقْتُ دَمَ الْقَتِيلِ إِزَارَهَا (8)

< 3-491 >

يعني ب " إزارها "، نفسها. وبذلك كان الربيع يقول:

2929- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن بن سعيد قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع: " هن لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنّ "، يقول: هنّ لحاف لكم وأنتم لحاف لهن. (9).

والوجه الآخر: أن يكون جَعَلَ كَلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ " لِبَاسًا "، لأنه سَكَنُ لَهُ، كما قال جل ثناؤه: جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا [سورة الفرقان: 47]، يعني بذلك سَكَنًا تَسْكُنُونَ فِيهِ. وكذلك زوجة الرجل سَكَنَهُ يَسْكُنُ إِلَيْهَا، كما قال تعالى ذكره: وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا [سورة الأعراف: 189] < 3-492 > فيكون كل واحد منهما " لِبَاسًا " لصاحبه، بمعنى سكونه إليه. وبذلك كان مجاهد وغيره يقولون في ذلك.

وقد يقال لما سَتَرَ الشَّيْءَ وَوَارَاهُ عَن أَبْصَارِ النَّاطِرِينَ إِلَيْهِ: " هُوَ لِبَاسُهُ، وَغِشَاؤُهُ "، فجائز أن يكون قيل: " هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن "، بمعنى: أن كل واحد منكم ستر لصاحبه -فيما يكون بينكم من الجماع- عن أبصار سائر الناس.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وكان مجاهد وغيره يقولون في ذلك بما:-

2930- حدثنا به المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "هن لباس لكم وأنتم لباسُ لهن"، يقول: سكنُ لهن.

2931- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: "هن لباسُ لكم وأنتم لباسُ لهن"، قال قتادة: هُنَّ سكنُ لكم، وأنتم سكنُ لهنَّ.

2932- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "هن لباسُ لكم" يقول: سكنُ لكم، "وأنتم لباسُ لهن"، يقول: سكنُ لهن.

2933- حدثني يونس، قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال عبد الرحمن بن زيد في قوله: "هن لباسُ لكم وأنتم لباسُ لهن"، قال: الواقعة.

2934- حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إبراهيم، عن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس قوله: "هن لباسُ لكم وأنتم لباسُ لهن"، قال: هن سكنُ لكم وأنتم سكنُ لهن.

< 3-493 >

القول في تأويل قوله تعالى : عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَيَحْتَنُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبِغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وما هذه الخيانة التي كان القوم يختانونها أنفسهم، التي تاب الله منها عليهم فعفا عنهم؟

قيل: كانت خيانتهم أنفسهم التي ذكرها الله في شيئين، أحدهما: جماع النساء، والآخر: المطعم والمشرب في الوقت الذي كان حراماً ذلك عليهم، كما:-

2935- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبه، عن عمرو بن مرة قال، حدثنا ابن أبي ليلى: أن الرجل كان إذا أفطر فنام لم يأتها، وإذا نام لم يطعم، حتى جاء عمر بن الخطاب يُريد امرأته، فقالت امرأته: قد كنت نمت! فظن أنها تعتلُّ فوقه بها. قال: وجاء رجل من الأنصار فأراد أن يطعم، فقالوا: نسحن لك شيئاً؟..... (10) قال: ثم نزلت هذه الآية: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَّتْ إِلَى نِسَائِكُمُ الْآيَةَ.

< 3-494 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2936- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر، فلما دخل رمضان كانوا يصومون، فإذا لم يأكل الرجل عند فطره حتى ينام، لم يأكل إلى مثلها، وإن نام أو نامت امرأته لم يكن له أن يأتيها إلى مثلها. فجاء شيخ من الأنصار يقال له صرمة بن مالك، فقال لأهله: أطعموني. فقالت: حتى أجعل لك شيئًا سخيًا! قال: فغلبته عينه فنام. ثم جاء عمر فقالت له امرأته: إني قد نمت! فلم يعذرها، وظن أنها تعتل، فواقعها. فبات هذا وهذا يتقلبان ليلتهما ظهرًا وبطنًا، فأنزل الله في ذلك: **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ، وقال: " فالآن بأشروهن " ، فعفا الله عن ذلك، وكانت سنة.

2937- حدثنا أبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا تركوا الطعام والشراب وإتيان النساء. فكان رجل من الأنصار يدعى أبا صرمة يعمل في أرض له، قال: فلما كان عند فطره نام، فأصبح صائمًا قد جهد. فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما لي أرى بك جهدًا! فأخبره بما كان من أمره. واختان رجل نفسه في شأن النساء، فأنزل الله **أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ** ، إلى آخر الآية. (11).

< 3-495 >

2938- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثني أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء - نحو حديث ابن أبي ليلى الذي حدث به عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى - قال: كانوا إذا صاموا ونام أحدهم، لم يأكل شيئًا حتى يكون من الغد. فجاء رجل من الأنصار وقد عمل في أرض له وقد أعيا وكل، فغلبته عينه فنام، وأصبح من الغد مجهودًا، فنزلت هذه الآية: **وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** . (12).

2939- حدثني المثني قال، حدثنا عبد الله بن رجاء البصري قال، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائمًا فنام قبل أن يفطر، لم يأكل إلى مثلها، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا، وكان توجه ذلك اليوم فعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندكم طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك. فغلبته عينه فنام، وجاءت امرأته قالت: قد نمت! فلم ينتصف النهار حتى عُشي عليه، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت فيه هذه الآية: **أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ** إلى **مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** ففرحوا بها فرحًا شديدًا (13).

< 3-496 >

2940- حدثني المثني قال حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره: **أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الصَّيَّامِ الرَّفَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ ، وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حُرِّمَ عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة. ثم إن ناسًا من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: " علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن " يعني انكوهن، وَكَلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ . (14)

2941- حدثني المثني قال، حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، قال: حدثني موسى بن جبير مولى بني سلمة: أنه سمع عبد الله بن كعب بن مالك يحدث عن أبيه قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام، حُرِّمَ عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد. فرجع عمر بن < 497-3 > الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سَمَرَ عنده، فوجد امرأته قد نامت، فأرادها فقالت: إني قد نمت! فقال: ما نمت! ثم وقع بها. وصنع كعب بن مالك مثل ذلك. فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأنزل الله تعالى ذكره: " علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن " ... الآية (15) .

2942- حدثني المثني قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد بن سلمة قال، حدثنا ثابت: أن عمر بن الخطاب واقع أهله ليلة في رمضان، فاشتد ذلك عليه، فأنزل الله: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَّامِ الرَّفَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ (16) .

2943- حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال، حدثني عمي، قال، > < 498-3 > حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَّامِ الرَّفَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ إلى: " وعفا عنكم " . كان الناس أوَّلَ ما أسلموا إذا صام أحدهم يصوم يومه، حتى إذا أمسى طعم من الطعام فيما بينه وبين العتمة، حتى إذا ضلَّ حُرِّمَ عليهم الطعام حتى يمسي من الليلة القابلة. وإنَّ عمر بن الخطاب بينما هو نائم إذ سوَّلت له نفسه فأتى أهله لبعض حاجته، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه كأشد ما رأيت من الملامة. ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أعتر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، فانها زينت لي فواقعته أهلي! هل تجد لي من رخصة يا رسول الله؟ قال: لم تكن حقيقًا بذلك يا عمر! فلما بلغ بيته أرسل إليه فأنباه بعُذره في آية من القرآن، وأمر الله رسوله أن يَصْعَهَا فِي الْمِائَةِ الْوَسْطَى مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فقال: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَّامِ الرَّفَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ إلى " علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم " يعني بذلك: الذي فعل عمر بن الخطاب فأنزل الله عفوهُ. فقال: " فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن " إلى: مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ فَأَحِلَّ لَهُمُ الْمَجَامِعَ وَالْأَكْلَ وَالشَّرْبَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الصُّبْحُ (17) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2944- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ** قال: كان الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصوم الصيام بالنهار، فإذا أمسى أكل وشرب وجامع النساء، فإذا رَقَدَ حَرَّمَ ذلك كله عليه إلى مثلها من القابلة. وكان منهم رجال يَخْتَانُونَ أنفسهم في ذلك، فعفا الله عنهم، وأحل [ذلك] لهم بعد الرقاد وقبله في الليل كله (18).

< 3-500 >

2945- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصوم الصائم في رمضان، فإذا أمسى -ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو وزاد فيه: وكان منهم رجال يَخْتَانُونَ أنفسهم، وكان عمر بن الخطاب ممن اختان نفسه، فعفا الله عنهم، وأحل ذلك لهم بعد الرقاد وقبله، وفي الليل كله.

2946- حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني إسماعيل بن شروس، عن عكرمة مولى ابن عباس: أن رجلاً -قد سَمَّاه [فنيسته]- من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار، جاء ليلة وهو صائم، فقالت له امرأته: لا تَنَمْ حتى نصنع لك طعامًا! فنام، فجاءت فقالت: نمت والله! فقال: لا والله! قالت: بلى والله! فلم يأكل تلك الليلة، وأصبح صائمًا فَعُشِيَ عليه، فأنزلت الرخصة فيه (19).

< 3-501 >

2947- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " علم الله أنكم كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أنفسكم " وكان بدءُ الصيام أمرًا بثلاثة أيام من كل شهر، وركعتين غدوة، وركعتين عشية، فأحلَّ الله لهم في صيامهم - في ثلاثة أيام، وفي أول ما افترض عليهم في رمضان - إذا أفطروا، وكان الطعام والشراب وغشيان النساء لهم حلالًا ما لم يرقدوا، فإذا رَقَدُوا حُرِّمَ عليهم ذلك إلى مثلها من القابلة. وكانت خيانة القوم أنهم كانوا يُصَيَّبُونَ أو ينالون من الطعام والشراب وغشيان النساء بعد الرقاد، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم، ثم أحل الله لهم [بعد] ذلك الطعام والشراب وغشيان النساء إلى طلوع الفجر (20).

2948- حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ** قال: كان الناس قبل هذه الآية إذا رَقَدَ أحدهم من الليل رَقَدَةً، لم يحلَّ له طعامٌ ولا شرابٌ ولا أن يأتي امرأته إلى الليلة المقبلة، فوقع بذلك بعض المسلمين، فمنهم من أكل بعد هجعتة أو شرب، ومنهم من وقع على امرأته، فرخص الله ذلك لهم.

2949- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي، قال: كُتِبَ على النصارى رَمَضان، وكُتِبَ عليهم أن لا > 502-3 < يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم، ولا ينكحوا النساء شهر رمضان، فكتب

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

على المؤمنين كما كُتِبَ عليهم، فلم يزل المسلمون على ذلك يصنعون كما تصنع النصارى، حتى أقبل رجل من الأنصار يقال له أبو قيس بن صرمة، وكان يعمل في حيطان المدينة بالأجر (21) فأتى أهله بتمر فقال لامرأته: استبدلي بهذا التمر طحينا فاجعليه سخينةً، لعلِّي أن آكله، فإن التمر قد أحرق جَوْفِي! فانطلقت فاستبدلت له، ثم صنعتُ فإبطأتُ عليه فنام، فأيقظته، فكره أن يعصي الله ورسوله، وأبى أن يأكل، وأصبح صائما؛ فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعشي، فقال: ما لك يا أبا قيس! أمسيتَ طليحا؟ (22) فقص عليه القصة.

وكان عمر بن الخطاب وقع على جارية له -في ناس من المؤمنين لم يملكوا أنفسهم- فلما سمع عمر كلام أبي قيس، رهبَ أن ينزل في أبي قيس شيء، فتذكَّرَ هو، فقام فاعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني أعودُ بالله إني وقعتُ على جاريتي، ولم أملك نفسي البارحة! فلما تكلم عُمر، تكلم أولئك الناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما كنتَ جديراً بذلك يا ابن الخطاب! فُنسِخَ ذلك عنهم، فقال: "أجلُّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هُنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن عَلمَ الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم"، -يقول: إنكم تقعون عليهن خيانةً- فتابَ عليكم وعفا عنكم فالآنَ باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم " -يقول: جامعوهن، ورجع إلى أبي قيس فقال:- وَكَلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ .

2950- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ قال: > 3-503 < كانوا في رمضان لا يمسُّون النساء ولا يطعمون ولا يشربون بعد أن يناموا حتى الليل من القابلة، فإن مسَّوهن قبل أن يناموا لم يروا بذلك بأسا. فأصاب رجل من الأنصار امرأته بعد أن نام، فقال: قد اختنت نفسي! فنزل القرآن، فأحل لهم النساء والطعام والشراب حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. قال: وقال مجاهد: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصوم الصائم منهم في رمضان، فإذا أمسى أكل وشرب وجامع النساء، فإذا رقد حُرِّمَ عليه ذلك كله حتى كمثلها من القابلة: وكان منهم رجال يختانون أنفسهم في ذلك، فعفا عنهم وأحلَّ لهم بعد الرقاد وقبله في الليل، فقال: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ... الآية.

2951- حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ مثل قول مجاهد -وزاد فيه: أن عمر بن الخطاب قال لامرأته: لا تترقدي حتى أُرْجع من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرقدت قبل أن يرجع، فقال لها: ما أنت براقدة! ثم أصابها، حتى جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية. قال عكرمة: نزلت: وَكَلُوا وَاشْرَبُوا الآية في أبي قيس بن صرمة، من بني الخزرج، أكل بعد الرقاد.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2952- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، قال، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن يحيى بن حبان، أن صرمة بن أنس أتى أهله ذات ليلة وهو شيخ كبير، وهو صائم فلم يهينوا له طعاما، فوضع رأسه فأغفى، وجاءته امرأته بطعامه فقالت له: كل. فقال: إني قد نمت! قالت: إنك لم تتم! فأصبح جائعا مجهدا، فأنزل الله: **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ .**

< 3-504 >

فأما "المباشرة" في كلام العرب، فإنه مُلاقاة بَشْرَةٍ بِبَشْرَةٍ، و "بشرة" الرجل: جلده الظاهرة.

وإنما كنى الله بقوله: " فالآنَ باشروهن " عن الجماع. يقول: فالآنَ إذ أحللتُ لكم الرِّفْتَ إلى نسائكم، فجامعوهن في ليالي شهر رمضان حتى يطلع الفجر، وهو تَبَيَّنَ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

وبالذي قلنا في "المباشرة" قال جماعة من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

2953- حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا سفيان = وحدثنا عبد الحميد بن سنان، قال، حدثنا إسحاق، عن سفيان = وحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا أيوب بن سويد، عن سفيان =، عن عاصم، عن بكر بن عبد الله المزني، عن ابن عباس، قال: المباشرة الجماع، ولكن الله كريمٌ يكتفي.

2954- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عاصم، عن بكر بن عبد الله المزني، عن ابن عباس نحوه.

2955- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " فالآنَ باشروهن " انكحوهنَّ.

2956- حدثني محمد بن سعد، قال حدثني أبي، قال، حدثني عمي، قال، حدثني أبي، عن ابن عباس قال: المباشرة النكاح.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2957- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء قوله: " فالآن بأشروهن " قال: الجماع. < 3-505 > وكل شيء في القرآن من ذكر " المباشرة " فهو الجماع نفسه، وقالها عبد الله بن كثير مثل قول عطاء: في الطعام والشراب والنساء.

2958- حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا شعبة = وحدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة = عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: المباشرة الجماع، ولكن الله يكتفي ما شاء بما شاء (23) .

2959- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال، حدثنا هشيم، قال أبو بشر، أخبرنا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله.

2960- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد، قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " فالآن بأشروهن " يقول: جامعوهن.

2961- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قال: المباشرة الجماع.

2962- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد، قال، أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن عطاء مثله.

2963- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، قال، حدثني عبدة بن أبي لبابة قال: سمعت مجاهدا يقول: المباشرة، في كتاب الله، الجماع.

2964- حدثنا ابن البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، قال، قال الأوزاعي: حدثنا من سمع مجاهدا يقول: المباشرة في كتاب الله، الجماع.

< 3-506 >

واختلفوا في تأويل قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " فقال بعضهم: الولد.

* ذكر من قال ذلك:

2965- حدثني عبدة بن عبد الله الصَّقَّار البصري قال، حدثنا إسماعيل بن زياد الكاتب، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: الولد (24) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- 2966- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا سهل بن يوسف وأبو داود، عن شعبة قال: سمعت الحكم: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: الولد.
- 2967- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا أبو تميلة قال، حدثنا عبيد الله، عن عكرمة قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: الولد.
- 2968- حدثني علي بن سهل قال، حدثنا مؤمل، حدثنا أبو مودود بحر بن موسى قال: سمعت الحسن بن أبي الحسن يقول في هذه الآية: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: الولد.
- 2969- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وابتغوا ما كتب الله لكم " فهو الولد.
- 2970- حدثني محمد بن سعد قال، حدثنا أبي قال، حدثني عمي قال، حدثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: " وابتغوا ما كتب الله لكم " يعني: الولد.
- 2971- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، قال، حدثني > 3-507 عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: الولد، فإن لم تلد هذه فهذه.
- 2972- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.
- 2973- حدثنا الحسن بن يحيى، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن سمع الحسن في قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: هو الولد.
- 2974- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: ما كتب لكم من الولد.
- 2975- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: الجماع.
- 2976- حدثت عن الحسين بن الفرج قال، حدثنا الفضل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سلمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: الولد (25) .

وقال بعضهم: معنى ذلك ليلة القدر.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2977- حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: ليلة القدر. قال أبو هشام: هكذا قرأها معاذ.

2978- حدثني المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا الحسن بن أبي جعفر قال، حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء، عن ابن < 508-3 > عباس في قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " قال: ليلة القدر (26) .

وقال آخرون: بل معناه: ما أحله الله لكم ورخصه لكم.

* ذكر من قال ذلك:

2979- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " وابتغوا ما كتب الله لكم " يقول: ما أحله الله لكم.

2980- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال قتادة في ذلك: ابتغوا الرخصة التي كتبت لكم.

وقرأ ذلك بعضهم: (وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)

* ذكر من قال ذلك:

2981- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح، قال: قلت لابن عباس: كيف تقرأ هذه الآية: " وابتغوا " أو " اتبعوا "؟ قال: أيتها شئت! قال: عليك بالقراءة الأولى.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال: " وابتغوا " - بمعنى: اطلبوا- " ما كتب الله لكم " يعني " الذي قَصَى الله تعالى لكم.

وإنما يريد الله تعالى ذكره: اطلبوا الذي كتبت لكم في اللوح المحفوظ أنه يُبَاحُ فيطلب لكم وطلب الولد إن طلبه الرجل بجماعه المرأة، مما كتب الله له < 509-3 > في اللوح المحفوظ، وكذلك إن طلب ليلة القدر، فهو مما كتب الله له، وكذلك إن طلب ما أحل الله وأباحه، فهو مما كتبه له في اللوح المحفوظ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد يدخل في قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " جميعُ معاني الخير المطلوبة، غيرَ أن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال: معناه وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد، لأنه عَقِيبُ قوله: " فالآن باشرُوهُنَّ " بمعنى: جامعوهنَّ، فَلأنَّ يكون قوله: " وابتغوا ما كتب الله لكم " بمعنى: وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهن من الولد والنسل، أشبهُ بالآية من غيره من التأويلات التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل، ولا خبرٌ عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: " حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود من الفجر ".

فقال بعضهم: يعني بقوله: " الخيط الأبيض "، ضوءَ النهار، وبقوله: " الخيطُ الأسود " سوادَ الليل.

فتأويله على قول قائلِي هذه المقالة: وكلوا بالليل في شهرِ صَوْمِكُمْ، واشربوا، وباشروا نساءكم مبتغينَ ما كتب الله لكم من الولد، من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوءُ النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده.

< 3-510 >

* ذكر من قال ذلك:

2982- حدثني الحسن بن عرفة قال، حدثنا روح بن عبادة قال، حدثنا أشعث، عن الحسن في قول الله تعالى ذكره: " حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " قال: الليل من النهار.

2983- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " قال: حتى يتبين لكم النهار من الليل، ثم أتموا الصيام إلى الليل ".

2984- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل " فهما عَلمان وحدَّان بَيَّتان فلا يمنعكم أذانُ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مُؤدَّن مُرَاءٍ أَوْ قَلِيلِ الْعَقْلِ مِنْ سَحُورِكُمْ، فَإِنَّهُمْ يُؤذِنُونَ بِهَجِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ طَوِيلٍ. وَقَدْ يُرَى بِيَاضٌ مَا عَلَى السَّحْرِ يُقَالُ لَهُ: "الصَّحْحُ الْكَاذِبُ" كَانَتْ تَسْمِيهِ الْعَرَبُ، فَلَا يَمْنَعُكُمْ ذَلِكَ مِنْ سَحُورِكُمْ، فَإِنَّ الصَّحْحَ لَا خِفَاءَ بِهِ: طَرِيقُهُ مُعْتَرِضَةٌ فِي الْأَفْقِ، وَكَلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الصَّحْحُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَأَمْسِكُوا (27).

2985- حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " يعني الليل من النهار، فأحلَّ لكم المجامعة والأكل والشرب حتى يتبين لكم الصبح، فإذا تبين الصبح حرِّم عليهم > 3-511 < المجامعة والأكل والشرب حتى يُتَمَّوا الصيامَ إلى الليل. فأمر بصوم النهار إلى الليل، وأمر بالإفطار بالليل.

2986- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، وقيل له: رأيت قول الله تعالى: " الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر "؟ قال: إنك لعريض القفا، قال: هذا زهابُ الليل ومجيءُ النهار. قيل له: الشعبي عن عدي بن حاتم؟ قال: نعم، حدثنا حصين (28).

وعلة من قال هذه المقالة، وتأول الآية هذا التأويل ما:

< 3-512 >

2987- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا حفص بن غياث، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم، قال: قلت يا رسول الله، قول الله: " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر "؟ قال: هو بياض النهار وسوادُ الليل. (29).

2988- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن نمير وعبد الرحيم بن سليمان، عن مجالد بن سعيد، عن عامر، عن عدي بن حاتم، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمني الإسلام، وتعت لي الصلوات، كيف أصلي كل صلاة لوقتها، ثم قال: إذا جاء رمضان فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتم الصيامَ إلى الليل. ولم أدر ما هو، ففعلتُ حَيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما عند الفجر، فرأيتهما سواءً. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله كل شيء أوصيتني قد حفظتُ، غير " الخيط الأبيض من الخيط الأسود "؟ قال: وما منعك يا ابن حاتم؟ وتبسمُ كأنه قد علم ما فعلت. قلتُ: فقلتُ حَيطين من أبيض وأسود فنظرتُ فيهما من الليل فوجدتهما سواءً! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رُئي تَواجده، ثم قال: ألم أقل لك " من الفجر "؟ إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل (30).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2989- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مالك بن إسماعيل قال، حدثنا داود وابن عليّة جميعاً، عن مطرّف، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم، قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما " الخيط الأبيض من الخيط الأسود " أهما > 3-513 < خيطان أبيض وأسود؟ فقال: وإنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين. ثم قال: لا ولكنه سواد الليل وبياض النهار. (31).

2990- حدثني أحمد بن عبد الرحيم البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال، حدثنا أبو غسان قال، حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد، قال: نزلت هذه الآية: " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود " فلم ينزل " من الفجر " قال: فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأسود والخيط الأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له. فأنزل الله بعد ذلك: " من الفجر " فاعلموا إنما يعني بذلك الليل والنهار (32).

وقال متأولو قول الله تعالى ذكره: " حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " أنه بياض النهار وسواد الليل:-: صفة ذلك البياض أن يكون > 3-514 < منتشرًا مستفيضًا في السماء يملأ بياضه وضوءه الطرق، فأما الضوء الساطع في السماء، فإن ذلك غير الذي عناه الله بقوله: " الخيط الأبيض من الخيط الأسود ".

* ذكر من قال ذلك:

2991- حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال، حدثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران بن حدير، عن أبي مجلز: الضوء الساطع في السماء ليس بالصبح، ولكن ذاك " الصبح الكاذب "، إنما الصبح إذا انفضح الأفق (33).

2992- حدثني سلم بن جنادة السوائي قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، قال: لم يكونوا يعدّون الفجر فجرًا هذا، كانوا يعدّون الفجر الذي يملأ البيوت والطرق (34).

2993- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان، عن الأعمش، عن مسلم: ما كانوا يرون إلا أنّ الفجر الذي يستفيض في السماء.

2994- حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا ابن جريج، قال: أخبرني عطاء أنه سمع ابن عباس يقول: هما فجران، فأما الذي يسطع في السماء فليس يُجلّ ولا يُحرّم شيئًا، ولكن الفجر الذي يستبين على رءوس الجبال هو الذي يحرم الشراب.

2995- حدثنا الحسن بن الزبيران النخعي قال، حدثنا أبو أسامة، عن محمد بن أبي ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن محمد بن عبد الرحمن بن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثوبان، قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم]: الفجر فجران، فالذي كانه ذتب السرحان لا يحرم شيئا، وأما < 3-515 > المستطير الذي يأخذ الأفق، فإنه يحل الصلاة ويحرم الصوم. (35).

2996- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع وإسماعيل بن صبيح وأبو أسامة، عن أبي هلال، عن سودة بن حنظلة، عن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير في الأفق " (36).

< 3-516 >

2997- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا معاوية بن هشام الأسدي قال، حدثنا شعبة، عن سودة قال: سمعت سمرة بن جندب يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمعه وهو يقول: " لا يغرتكم نداء بلال ولا هذا البياض حتى بيدو الفجر وينفجر " (37).

< 3-517 >

وقال آخرون: الخيط الأبيض: هو ضوء الشمس، والخيط الأسود: هو سواد الليل.
* ذكر من قال ذلك:

2998- حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا عبيدة بن حميد، عن الأعمش، < 3-518 > عن إبراهيم التيمي، قال: سافر أبي مع حذيفة قال: فسار حتى إذا خشينا أن يفجانا الفجر قال: هل منكم من أحد آكل أو شارب؟ قال: قلت له: أمّا من يريد الصوم فلا. قال: بلى! قال: ثم سار حتى إذا استبطأنا الصلاة نزل فتسخر (38).

2999- حدثنا هناد وأبو السائب، قالا حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: خرجت مع حذيفة إلى المدائن في رمضان، فلما طلع الفجر، قال: هل منكم من أحد آكل أو شارب؟ قلنا: أمّا رجل يريد أن يصوم فلا. قال: لكّني! قال: ثم سرنا حتى استبطأنا الصلاة، قال: هل منكم أحد يريد أن يتسخر؟ قال: قلنا أمّا من يريد الصوم فلا. قال: لكّني! ثم نزل فتسخر، ثم صلى (39).

3000- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر، قال: ربما شربت بعد قول المؤذن - يعني في رمضان -: " قد قامت الصلاة ". قال: وما رأيت أحداً كان أفعل له من الأعمش، وذلك لما سمع، قال: حدثنا إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا مع حذيفة نسير ليلا فقال: هل منكم متسخر الساعة؟ قال: ثم < 3-519 > سار، ثم قال حذيفة: هل منكم متسخر الساعة؟ قال: ثم سار حتى استبطأنا الصلاة، قال: فنزل فتسخر (40).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3001- حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني قال، حدثنا مصعب بن المقدم قال، حدثنا إسرائيل قال، حدثنا أبو إسحاق عن هبيرة، عن علي: أنه لما صلى الفجر قال: هذا حين يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر (41).

< 3-520 >

3002- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن الصلت قال، حدثنا إسحاق بن حذيفة العطار، عن أبيه، عن البراء، قال: تسحرت في شهر رمضان، ثم خرجت فأتيت ابن مسعود، فقال: اشرب. فقلت: إني قد تسحرت! فقال: اشرب! فشرينا، ثم خرجنا والناس في الصلاة (42).

3003- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو معاوية، عن الشيباني، عن جبه بن سحيم، عن عامر بن مطر، قال: أتيت عبد الله بن مسعود في داره، فأخرج فظلاً من سحوره، فأكلنا معه، ثم أقيمت الصلاة فخرجنا فصلينا (43).

3004- حدثنا خالد بن أسلم قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي > 3-521 < إسحاق، عن عبد الله بن معقل، عن سالم مولى أبي حذيفة قال، كنت أنا وأبو بكر الصديق فوق سطح واحد في رمضان، فأتيت ذات ليلة فقلت: ألا تأكل يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأوماً بيده: أن كُفَّ، ثم أتيت مرة أخرى، فقلت له: ألا تأكل يا خليفة رسول الله؟ فأوماً بيده: أن كُفَّ. ثم أتيت مرة أخرى، فقلت: ألا تأكل يا خليفة رسول الله؟ فنظر إلى الفجر ثم أوماً بيده: أن كُفَّ. ثم أتيت فقلت: ألا تأكل يا خليفة رسول الله؟ قال: هات عداك! قال: فأتيت به فأكل، ثم صلى ركعتين، ثم قام إلى الصلاة (44).

< 3-522 >

3005- حدثنا ابن المنثى قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: الوتر بالليل والسحور بالنهار.

وقد روي عن إبراهيم غير ذلك:

3006- حدثنا ابن المنثى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن حماد، عن إبراهيم، قال: السحور بليل، والوتر بليل.

3007- حدثنا حكام، عن ابن أبي جعفر، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: السحور والوتر ما بين التَّوْبِ والإقامة.

3008- حدثنا ابن المنثى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، > 3-523 < عن شبيب بن غرقدة، عن عروة، عن حبان، قال: تسحرنا مع علي، ثم خرجنا وقد أقيمت الصلاة، فصلينا (45).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3009- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن < 524-3 > عن شبيب، عن حبان بن الحارث، قال: مررت بعليٍّ وهو في دار أبي موسى وهو يتسحَّر، فلما انتهيتُ إلى المسجد أقيمت الصلاة (46).

3010- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي إسحاق، عن أبي السفر، قال: صلى عليُّ بن أبي طالب الفجر، ثم قال: هذا حين يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر (47).

وعلة من قال هذا القول: أنَّ القول إنما هو النهار دون الليل. قالوا: وأول النهار طلوع الشمس، كما أنَّ آخره غروبها. قالوا: ولو كان أوله طلوع الفجر، لوجب أن يكون آخره غروب الشفق. قالوا: وفي إجماع الحجة على أنَّ آخر النهار غروب الشمس، دليلٌ واضح على أن أوله طلوعها. قالوا: وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تسحر بعد طلوع الفجر، أوضح الدليل على صحة قولنا.

ذكر الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك:

3011- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر، عن عاصم، عن زر، عن حذيفة، قال: قلت: تسحَّرت مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قال: لو أشاء لأقولُ هو النهارُ إلا أنَّ الشمس لم تطلع (48).

< 3-525 >

3012- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر، قال: ما كذب عاصمٌ على زرِّ، ولا زرٌّ على حذيفة، قال: قلتُ له: يا أبا عبد الله تسحرت مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم هو النهارُ إلا أن الشمس لم تطلع (49).

3013- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زر، عن حذيفة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتسحَّر وأنا أرى مواقع النَّبْلِ. قال: قلت أبعَدَ الصبح؟ قال: هو الصبح، إلا أنه لم تطلع الشمس (50).

3014- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو بن قيس وخلاد الصفار، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، قال: أصبحت ذات يوم فغدوتُ إلى المسجد، فقلت: لو مررت على باب حذيفة! ففتح لي فدخلتُ، فإذا هو يسحِّن له طعاماً، فقال: اجلس حتى تطعم. فقلت: إني أريد الصوم. فقزَّب طعامه فأكل وأكلت معه، ثم قام إلى لِقْحَةٍ في الدار، فأخذ يحلب من جانب وأحلب أنا من جانب، فناولني، فقلت: ألا ترى الصبح؟ فقال: اشرب! فشربتُ، ثم جئتُ إلى باب المسجد فأقيمت الصلاة، فقلت له: أخبرني بأخر < 526-3 > سحور تسحَّرتَه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس (51).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3015- حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي قال، حدثنا روح بن عبادة قال، حدثنا حماد، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إذا سمع أحدكم النداءَ والإناءَ على يده، فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه " (52) .

< 3-527 >

3016- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا روح بن عبادة قال، حدثنا حماد، عن عمار بن أبي عمار، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله- وزاد فيه: وكان المؤذن يؤذن إذا برغ الفجر (53) .

3017- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين = وحدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال، سمعت أبي قال، أخبرنا الحسين بن واقد = قالا جميعا، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: أقيمت الصلاة والإناء في يد عمر، قال: أشربها يا رسول الله؟ قال: نعم!، فشربها (54) .

< 3-528 >

3018- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا يونس، عن أبيه، عن عبد الله، قال: قال بلال: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أؤذنه بالصلاة وهو يريد الصوم، فدعا بإناء فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم خرج إلى الصلاة (55) .

3019- حدثني محمد بن أحمد الطوسي قال، حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن معقل، عن بلال قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أؤذنه بصلاة الفجر وهو يريد الصيام، فدعا بإناء فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم خرجنا إلى الصلاة (56) .

< 3-529 >

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالآية، التأويلُ الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الخيط الأبيض " بياض النهار، " والخيط الأسود " سوادُ الليل. وهو المعروف في كلام العرب، قال أبو دؤاد الإباضي:

قَلَّمَا أَصَاءت لَنَا سُدْقَةٌ

وَلَاحَ مِنْ الصُّبْحِ حَيْطُ أَنْارَا (57)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شرب أو تسحّر، ثم خرج إلى الصلاة، فإنه غير دافع صحّة ما قلنا في ذلك؛ لأنه غير مستنكر أن يكون صلى الله عليه وسلم شرب قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة، إذ كانت الصلاة -صلاة الفجر- هي على عهده كانت تُصلى بعد ما يطلع الفجر ويتبيّن طلوعه ويؤدّن لها قبل طلوعه.

وأما الخبر الذي روي عن حذيفة: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتسحر وأنا أرى مواقع التبل"، فإنه قد استُثبت فيه ف قيل له: أبعد الصبح؟ فلم يجب < 3-530 > في ذلك بأنه كان بعد الصبح، ولكنه قال: "هو الصبح". وذلك من قوله يُحتمل أن يكون معناه: هو الصبح لقربه منه، وإن لم يكن هو بعينه، كما تقول العرب: "هذا فلان" شبيهاً، وهي تشير إلى غير الذي سمّته، فتقول: "هو هو" تشبيهاً منها له به، فكذلك قول حذيفة: "هو الصبح"، معناه: هو الصبح شبيهاً به وقرباً منه.

وقال ابن زيد في معنى "الخيطة الأبيض والأسود" ما:

3020- حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: "حتى يتبيّن لكم الخيطة الأبيض من الخيطة الأسود من الفجر" قال: "الخيطة الأبيض" الذي يكون من تحت الليل، يكشف الليل -والأسود" ما فوقه.

وأما قوله: "من الفجر" فإنه تعالى ذكره يعني: حتى يتبين لكم الخيطة الأبيض من الخيطة الأسود الذي هو من الفجر. وليس ذلك هو جميع الفجر، ولكنه إذا تبين لكم أيها المؤمنون من الفجر ذلك الخيطة الأبيض الذي يكون من تحت الليل الذي فوقه سواد الليل، فمن حينئذ فصوموا، ثم أتموا صيامكم من ذلك إلى الليل.

وبمثل ما قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول:

3021- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: "من الفجر" قال: ذلك الخيطة الأبيض هو من الفجر نسبةً إليه، وليس الفجر كله، فإذا جاء هذا الخيطة، وهو أوله، فقد حلت الصلاة وحُرّم الطعام والشراب على الصائم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وفي قوله تعالى ذكره: " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل " أوضح > 3-531 < الدلالة على خطأ قول من قال: حلال الأكل والشرب لمن أراد الصوم إلى طلوع الشمس؛ لأن الخيط الأبيض من الفجر يتبين عند ابتداء طلوع أوائل الفجر، وقد جعل الله تعالى ذكره ذلك حدًّا لمن لزمه الصوم في الوقت الذي أباح إليه الأكل والشرب والمباشرة.

فمن زعم أن له أن يتجاوز ذلك الحدّ، قيل له: رأيت إن أجاز له آخز ذلك ضحوةً أو نصف النهار؟

فإن قال: إن قائل ذلك مخالف للأمة.

قيل له: وأنت لما دلّ عليه كتاب الله ونقل الأمة مخالف، فما الفرق بينك وبينه من أصل أو قياس؟

فإن قال: الفرق بيني وبينه أن الله أمر بصوم النهار دون الليل، والنهار من طلوع الشمس.

قيل له: كذلك يقول مخالفوك، والنهار عندهم أوله طلوع الفجر، وذلك هو ضوء الشمس وابتداءً طلوعها دون أن يتتأم طلوعها، كما أن آخر النهار ابتداءً غروبها دون أن يتتأم غروبها.

ويقال لقائلي ذلك (58) إن كان " النهار " عندكم كما وصفتم، هو ارتفاع الشمس، وتكامل طلوعها وذهاب جميع سدفة الليل وغبس سواده -فكذلك عندكم " الليل ": هو تتأم غروب الشمس، وذهاب ضيائها، وتكامل سواد الليل وظلامه؟

فإن قالوا: ذلك كذلك!

قيل لهم: فقد يجب أن يكون الصوم إلى مغيب الشفق وذهاب ضوء الشمس وبياضها من أفق السماء!

> 3-532 <

فإن قالوا: ذلك كذلك! أوجبوا الصوم إلى مغيب الشفق الذي هو بياض، وذلك قول إن قالوه مدفوعٌ بنقل الحجة التي لا يجوز فيما نقلته مُجمعةً عليه -الخطأ والسهُو، [وكفى بذلك شاهداً] على تخطئه (59) .

وإن قالوا: " بل أول الليل " ابتداءً سُدفته وظلامه ومغيب عَيْن الشمس عنا.

قيل لهم: وكذلك " أول النهار ": طلوع أوّل ضياء الشمس ومغيب أوائل سُدفه الليل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم يعكس عليه القول في ذلك، (60) ويُسأل الفرقَ بين ذلك، فلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله.

وأما " الفجر " فإنه مصدر من قول القائل: " تفجّر الماء يتفجّر فجراً "، (61) إذا انبعثَ وجرى، ف قيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلع الشمس " فجر "، لانبعث ضوئه عليهم، وتوزّده عليهم بطرقهم ومحاّجهم، تفجّر الماء المتفجّر من منبعه.

وأما قوله: " ثم أتموا الصيام إلى الليل " فإنه تعالى ذكره حدّ الصوم بأن آخر وقته إقبالُ الليل - كما حدّ الإفطارَ وإباحةَ الأكل والشرب والجماع وأوّل الصوم بمجيء أول النهار وأوّل إديار آخر الليل، فدلّ بذلك على أن لا صومَ بالليل، كما لا فطر بالنهار في أيام الصوم = وعلى أنّ المواصل مجوّع نفسه في غير طاعة ربه. كما: - < 3-533 >

3022- حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ووكيع وعبد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عاصم بن عمر، عن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أقبل الليل وأدبر النهارُ وغابت الشمس، فقد أفطر الصائم. (62) .

3023- حدثنا هناد قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا أبو إسحاق الشيباني = وحدثنا هناد بن السري قال، حدثنا أبو عبيدة وأبو معاوية، عن الشيباني = وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا أبو معاوية = وحدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس، عن الشيباني = قالوا جميعاً في حديثهم، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وهو صائم، فلما غرّبت الشمسُ قال لرجل: انزل فاجدح لي. قالوا: لو أمسيت يا رسول الله! فقال: انزل فاجدح. فقال الرجل: يا رسول الله لو أمسيت! قال: انزل فاجدح لي. قال: يا رسول الله إن علينا نهاراً! فقال له الثالثة، فنزل فجدح له. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أقبل الليل من هاهنا - وضرب بيده نحو المشرق - فقد أفطر الصائم (63) .

< 3-534 >

3024- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود، عن رفيع، قال: فرض الله الصيام إلى الليل، فإذا جاء الليل فانت مفطر إن شئت فكل، وإن شئت فلا تأكل (64) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3025- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن أبي العالية: أنه سُئِلَ عن الوصال في الصوم فقال: افترض الله على هذه الأمة صومَ النهار، فإذا جاءَ الليل فإن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل.

3026 - حدثني يعقوب، قال: حدثني ابن عليه، عن داود بن أبي هند، قال: قال أبو العالية في الوصال في الصوم، قال: قال الله: " ثم أتموا الصيام إلى الليل " فإذا جاء الليل فهو مفطر، فإن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل.

3027- حدثني المثنى قال، حدثنا ابن دكين، عن مسعر، عن قتادة، قال: قالت عائشة: أتموا الصيامَ إلى الليل - يعني: أنها كرهت الوصال.

< 3-535 >

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فما وجه وصال مَنْ واصل؟ فقد علمت بما:

3028- حدثكم به أبو السائب قال، حدثنا حفص، عن هشام بن عروة، قال: كان عبد الله بن الزبير يُواصل سبعة أيام، فلما كبر جعلها خمسا، فلما كبر جدًّا جعلها ثلاثا.

3029- حدثنا أبو السائب قال، حدثنا حفص، عن عبد الملك، قال: كان ابن أبي يعمر يفطر كل شهر مرة.

3030 - حدثنا ابن أبي بكر المقدمي قال، حدثنا الفروي، قال: سمعت مالكا يقول: كان عامر بن عبد الله بن الزبير يواصل ليلة سِتِّ عشرة وليلة سبع عشرة من رمضان لا يفطر بينهما، فلقيته فقلت له: يا أبا الجارث ماذا تجده يقوِّبُك في وصالك؟ قال: السمن أشربه أجده يُبَلِّ عروقي، فأما الماء فإنه يخرج من جسدي (65) .

= وما أشبه ذلك ممن فعل ذلك، ممن يطولُ بذكرهم الكتاب؟

قيل: وجه من فعل ذلك إن شاء الله تعالى على طلب الخموسة لنفسه والقوة (66) لا على طلب البرِّ لله بفعله. وفعلهم ذلك نظير ما كان عمر بن الخطاب يأمرهم به بقوله:

" اخشوشنوا وتمعددوا، وانزوا على الخيل نزوا، واقطعوا الرُّكْبَ وامشوا حفاة " (67) .

< 3-536 >

بأمرهم في ذلك بالتخشن في عيشتهم، لئلا يتنعموا فيركنوا إلى حَفْص العيش ويميلوا إلى الدعة فيجبنوا ويحتموا عن أعدائهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

= وقد رَغِبَ - لمن واصل - عن الوصال كثيرٌ من أهل الفضل:

3032- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق: أنَّ ابن أبي نُعم كان يواصل من الأيام حتى لا يستطيع أن يقومَ، فقال عمرو بن ميمون: لو أدركَ هذا أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم رَجُمُوهُ (68) .

= ثم في الأخبار المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي عن الوصال التي يطول بإحصائها الكتاب تركنا ذكر أكثرها استغناءً بذكر بعضها، إذ كان في ذكر ما ذكرنا مُكْتَفَىً عن الاستشهاد على كراهة الوصال بغيره.

3033 - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله، قال: أخبرني نافع، عن ابن عمر: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تَهَى عن الوصال، قالوا: إنك تُواصلُ يا رسول الله! قال: إني لست كأحدٍ منكم، إني أبيت أطعم وأسقى (69) .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الإذنُ بالواصل من السحر إلى السَّحَر.

3034 - حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال، حدثنا > 3- 537 < شعيب، عن الليث، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد الخدري: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تواصلوا، فأَيْكُمْ أراد أن يُواصل فليواصل حتى السَّحَر. قالوا: يا رسول الله، إنك تواصل! قال: إني لست كهَيْئَتِكُمْ، إني أبيت لي مُطعم يُطعمني، وِساقٍ يسقيني (70) .

3035- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا أبو إسرائيل > 3- 538 < العبسي، عن أبي بكر بن حفص، عن أمِّ وُلْد حاطب بن أبي بَلْتَعَة: أنها مرَّت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتسحَّر، فدعاها إلى الطعام فقالت: إني صائمة، قال: وكيف تصومين؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أين أنت من وصال آل محمد صلى الله عليه وسلم من السَّحَر إلى السَّحَر. (71) .

فتأويل الآية إذَا: ثم أتموا الكفَّ عما أمركم الله بالكفِّ عنه، من حين يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر إلى الليل، ثم حَلَّ لكم ذلك بعدَه إلى مثل ذلك الوقت. كما:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3036- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: " ثم أتُمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ " قال: من هذه الحدود الأربعة، فقرأ: أَجَلَ لَكُمْ > 3-539 < لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ فقرأ حتى بلغ: " ثم أتُمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ " وكان أبي وغيره من مَشِيخَتِنَا يقولون هذا ويتلونه علينا (72) .

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ
قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره - بقوله: " ولا تباشروهن " لا تجمعا نساءكم (73) .

= ويقوله: " وأنتم عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ " يقول: في حال عُكُوفِكُمْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَتَلْكَ حَالِ حَبْسِهِمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فِي مَسَاجِدِهِمْ.

" والعكوف " أصله المقام، وحبسُ النفس على الشيء (74) كما قال الطِّرِمَّاحُ
بن حَكِيم:

فَبَاتَ بَنَاتُ اللَّيْلِ حَوْلِي عُكْفًا

عُكُوفَ الْبَوَاكِي بَيْتَهُنَّ صَرِيْعُ (75)

> 3-540 <

يعني بقوله: " عكفا "، مقيمة، وكما قال الفرزدق:

تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ

عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكْفُ (76)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد اختلف أهل التأويل في معنى " المباشرة " التي عنى الله بقوله: " ولا تُباشروهن ". فقال بعضهم: معنى ذلك الجماعُ دون غيره من معاني " المباشرة " .

* ذكر من قال ذلك:

3037- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح، قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: " ولا تُباشروهنَّ " وأنتم عاكفون في المساجد " - في رمضان أو في غير رمضان، فحرّم الله أن يَنكح النساء ليلا ونهارا حتى يَقضي اعتكافه.

3038- حدثني المثنى قال، حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريح، قال: قال لي عطاء: " ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد " قال: الجامع.

< 3-541 >

3039- حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن الضحاك، قال: كانوا يُجامعون وهم مُعتكفون، حتى نزلت: " ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد " .

3040 - حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن الضحاك في قوله: " ولا تباشروهنَّ " وأنتم عاكفون في المساجد " قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء، فقال الله: " ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد " يقول: لا تقربوهن ما دمت عاكفين في مسجد ولا غيره.

3041 - حدثني المثنى قال، حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك عن جوبير عن الضحاك نحوه.

3042 - حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: كان أناس يُصيون نساءهم وهم عاكفون فيها فنهاهم الله عن ذلك.

3043 - وحدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد "، قال: كان الرجل إذا خرج من المسجد وهو معتكف ولقي امرأته باشرها إن شاء، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، وأخبرهم أنّ ذلك لا يصلح حتى يَقضي اعتكافه.

3044 - حدثنا موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال: حدثنا أسباط، عن السدي: " ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد " يقول: من اعتكف فإنه يصوم، لا يحل له النساء ما دام معتكفا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3045 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد " قال: الجواز، فإذا خرج أحدكم من بيته إلى بيت الله فلا يقرب النساء.

< 3-542 >

3046 - حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كان ابن عباس يقول: من خرج من بيته إلى بيت الله فلا يقرب النساء.

3047 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد "، قال: كان الناس إذا اعتكفوا يخرج الرجل فيباشر أهله ثم يرجع إلى المسجد، فنهاهم الله عن ذلك.

3048 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، كانوا إذا اعتكفوا فخرج الرجل إلى الغائط جامع امرأته، ثم اغتسل، ثم رجع إلى اعتكافه، فنهوا عن ذلك = قال ابن جريج: قال مجاهد: نهوا عن جماع النساء في المساجد، حيث كانت الأنصار تجامع، فقال: " لا تباشروهن وأنتم عاكفون " قال: " عاكفون "، الجواز = قال ابن جريج: فقلت لعطاء: الجماع المباشرة؟ قال: الجماع نفسه! فقلت له: فالقُبلة في المسجد والمسنة؟ فقال: أما ما حُرِّم فالجماع، وأنا أكره كل شيء من ذلك في المسجد.

3049 - حدثت عن حسين بن الفرج قال، حدثنا الفضل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك: " ولا تباشروهن " يعني الجماع.

وقال آخرون: معنى ذلك على جميع معاني " المباشرة " من لَمَسَ وقُبلة وجماع.

* ذكر من قال ذلك:

3050 - حدثني يونس، قال، أخبرنا ابن وهب، قال، قال مالك بن أنس: لا يمس المعتكف امرأته، ولا يباشرها، ولا يتلذذ منها بشيء، قُبلة ولا غيرها (77).

< 3-543 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3051- حدثني يونس، قال، أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد في قوله: " ولا تُباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد " قال: المباشرة الجماعُ وغيرُ الجماع، كله محرم عليه، قال: " المباشرة " بغير جماع، إلصاقُ الجلد بالجلد.

قال أبو جعفر: وعلة من قال هذا القول: أن الله تعالى ذكره عمّ بالنهي عن المباشرة، ولم يخص منها شيئاً دون شيء. فذلك على ما عمّه، حتى تأتي حجة يجب التسليم لها بأنه عنى به مباشرةً دون مباشرةٍ.

وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: الجماعُ، أو ما قام مقامَ الجماع، مما أوجبَ غسلًا إيجابه. وذلك أنه لا قول في ذلك إلا أحد قولين:

إما جعل حكم الآية عامًّا، أو جعل حكمها في خاصٍّ من معاني المباشرة. وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن نساءه كنَّ يُرَجِّلنه وهو معتكف، فلما صح ذلك عنه، عُلم أن الذي عنى به من معاني المباشرة، البعض دون الجميع.

3052 - حدثنا علي بن شعيب قال، حدثنا معن بن عيسى القزاز، قال، أخبرنا مالك. عن الزهري، عن عروة وعن عمرة، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتكف يُدني إليّ رأسه فأرَجِّله (78).

< 3-544 >

3053- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير وعمرة: أن عائشة قالت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان، وكان يدخل عليّ رأسه وهو في المسجد فأرَجِّله (79).

3054- حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا أبي عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُدني إليّ رأسه وهو مُجاوِزٌ في المسجد وأنا في حجرتي وأنا حائض، فأغسله وأرَجِّله (80).

3055- حدثنا سفيان قال، حدثنا ابن فضيل، ويعلى بن عبيد، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم < 545-3 > يعتكفُ فيخرجُ إليّ رأسه من المسجد وهو عاكفٌ، فأغيبه وأنا حائض (81).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3056- حدثني محمد بن معمر قال، حدثنا حماد بن مسعدة قال، حدثنا مالك بن أنس، عن الزهري وهشام بن عروة جميعا، عن عروة، عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُخرج رأسه فأرجله وهو معتكف (82).

فإذ كان صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا من غسل عائشة < 3-546 > رأسه وهو معتكف، فمعلوم أن المراد بقوله: " ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد "، غيرُ جميع ما لزمه اسم " المباشرة " = وأنه معنيٌّ به البعض من معاني المباشرة دون الجميع. فإذا كان ذلك كذلك، وكان مجمعا على أن الجماع مما عُني به، كان واجبا تحريم الجماع على المعتكف وما أشبهه، وذلك كلُّ ما قام في الالتذاذ مقامه من المباشرة.

القول في تأويل قوله تعالى : تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: هذه الأشياء التي بيّنتها: من الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان نهارا في غير عذر، وجماع النساء في الاعتكاف في المساجد، يقول: هذه الأشياء حدّتها لكم، وأمرتكم أن تجتنبوها في الأوقات التي أمرتكم أن تجتنبوها، وحرّمتها فيها عليكم، فلا تقربوها، وابتعدوا منها أن تركبوها، فتستحقّوا بها من العقوبة ما يستحقه من تعدّي حُدودي، وخالف أمري وركب معاصي.

وكان بعض أهل التأويل يقول: " حدود الله " : شروطه. وذلك معنى قريب من المعنى الذي قلنا، غير أن الذي قلنا في ذلك أشبه بتأويل الكلمة.

وذلك أن " حد " كل شيء: ما حصّره من المعاني وميّز بينه وبين غيره، فقوله: " تلك حدود الله " من ذلك، يعني به المحارم التي ميّزها من الحلال المطلق فحدّدها بنعوتها وصفاتها، وعرّفها عباده.

ذكر من قال إنّ ذلك بمعنى الشُّروط:

< 3-547 >

3057 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي، قال: أما " حدود الله " فشروطه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال بعضهم: " حدود الله " معاصيه.

* ذكر من قال ذلك:

3058 - حدث عن الحسين بن الفرّج، قال: سمعت الفضل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك: " تلك حدود الله " يقول: معصية الله - يعني المباشرة في الاعتكاف.

القول في تأويل قوله تعالى : كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: كما بينت لكم أيها الناس واجب فرائضي عليكم من الصوم، وعزفتكم حدوده وأوقاته، وما عليكم منه في الحضر، وما لكم فيه في السفر والمرض، وما اللازم لكم تحتيه في حال اعتكافكم في مساجدكم، فأوضحت جميع ذلك لكم - فكذاك أبين أحكامي، وحلالي وحرامي، وحدودي، وأمري ونهيي، في كتابي وتنزيلتي، وعلى لسان رسولي صلى الله عليه وسلم للناس.

ويعني بقوله: " لعلهم يتقون " يقول: أبين ذلك لهم ليتقوا محارمي ومعاصي، ويتجنبوا سخطي وغيبي، بتركهم ركوب ما أبين لهم في آياتي أني قد حرّمته عليهم، وأمرتهم بهجره وتركه.

< 3-548 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَاطِلًا وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (188)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل. فجعل تعالى ذكره بذلك أكل مال أخيه بالباطل، كالأكل مال نفسه بالباطل.

وتظير ذلك قوله تعالى: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ [سورة الحجرات: 11] وقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [سورة النساء: 29] بمعنى: لا يلمز بعضكم بعضا، ولا يقتل بعضكم بعضا (83) لأن الله تعالى ذكره جعل المؤمنين إخوة، فقاتل أخيه كقاتل نفسه، ولامرّه كلامز نفسه، وكذلك تفعل العرب تكني عن نفسها

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بأخواتها، وعن أخواتها بأنفسها، فتقول: "أخي وأخوك أئنا أبطش". يعني: أنا وأنت نضطرع، فننظر أئنا أشدّ (84) - فيكني المتكلم عن نفسه بأخيه، لأن أخا الرجل عندها كنفسه، ومن ذلك قول الشاعر: (85)

أَخِي وَأَخُوكَ يَبْطُنِ النَّسِيرِ

لَيْسَ بِهِ مِنْ مَعَدِّ عَرِيبٍ (86)

< 3-549 >

فتأويل الكلام: ولا يأكلُ بعضكم أموال بعضٍ فيما بينكم بالباطل. "وأكله بالباطل": أكله من غير الوجه الذي أباحه الله لأكله.

وأما قوله: "وئدلوا بها إلى الحكام" فإنه يعني: وتخاصموا بها - يعني: بأموالكم - إلى الحكام "لتأكلوا فريقا" = طائفة = (87) من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون.

< 3-550 >

وبعني بقوله: "بالإثم" بالحرام الذي قد حرمه الله عليكم (88) "وأنتم تعلمون"، أي: وأنتم تتعمدون أكل ذلك بالإثم، على قصد منكم إلى ما حرم الله عليكم منه، ومعرفةً بأن فعلكم ذلك معصية لله وإثم. (89). كما:

3059 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وئدلوا بها إلى الحكام" فهذا في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه فيه بيئة، فيجحد المال، فيخاصمهم فيه إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه، وهو يعلم أنه أثم: أكل حراما.

3060 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: "وئدلوا بها إلى الحكام" قال: لا تخاصم وأنت ظالم.

3061 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3062 - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام " وكان يقال: من مشى مع خصمه وهو له ظالم، فهو آثم حتى يرجع إلى الحق. واعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يُحلُّ لك حراما ولا يُحقُّ لك باطلا وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى ويشهدُ به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب. واعلموا أنه من قد قُضي له بالباطل، فإن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة، فيقضي على المبطل للمحق، بأجود مما قُضي به للمبطل على المحق في الدنيا (90) .

< 3-551 >

3063 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: " وتدلوا بها إلى الحكام " قال: لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم، فإن قضاءه لا يُحلُّ لك شيئا كان حراما عليك.

3064 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون " أما " الباطل " يقول: يظلم الرجل منكم صاحبه، ثم يخاصمه ليقطع ماله وهو يعلم أنه ظالم، فذلك قوله: " وتدلوا بها إلى الحكام " .

3065 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني خالد الواسطي، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة قوله: " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " قال: هو الرجل يشتري السلعة فيردُّها ويردُّ معها دراهم.

3066 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام " يقول: يكون أجل منه وأعرف بالحجة، فيخاصمه في ماله بالباطل ليأكل ماله بالباطل. وقرأ: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم [سورة النساء: 29] قال: هذا القمار الذي كان يعمل به أهل الجاهلية.

وأصل " الإدلاء " : إرسال الرجل الدلو في سبب متعلقا به في البئر. (91) ف قيل للمحتج لدعواه: " أدلى بحجة كيت وكيت " إذا كان حجته التي يحتج بها سببا < 3-552 > له، هو به متعلق في خصومته، كتعلق المستقي من بئر بدلو قد أرسلها فيها بسببها الذي الدلو به متعلقة، يقال فيهما جميعا - أعني من الاحتجاج، ومن إرسال الدلو في البئر بسبب: " أدلى فلان بحجته، فهو يُدلي بها إدلاء = وأدلى دلوه في البئر، فهو يدلها إدلاء " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فأما قوله: " وتدلوا بها إلى الحكام "، فإن فيه وجهين من الإعراب:

أحدهما: أن يكون قوله: " وتدلوا " جزما عطفا على قوله: " ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " أي: ولا تدلوا بها إلى الحكام، وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة أَبِي بتكرير حرف النهي: " ولا تدلوا بها إلى الحكام ".

والآخر منهما: النصب على الصرْف، (92) فيكون معناه حينئذ: لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تدلون بها إلى الحكام، كما قال الشاعر:

لَا تَنَّهُ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ

عَارُ عَالِيكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ (93)

يعني: لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله.

وهو أن يكون في موضع جزم - على ما ذكر في قراءة أَبِي - أحسن منه أن يكون نصبا.

< 3-553 >

القول في تأويل قوله تعالى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ

قال أبو جعفر: ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن زيادة الأهلة ونقصانها واختلاف أحوالها، فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية، جوابا لَّهُمْ فيما سألوا عنه.

ذكر الأخبار بذلك:

3067 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتاده قوله: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ "، قال قتادة: سألوا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك: لم جعلت هذه الأهلة؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون: " هي مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ "، فجعلها لصوم المسلمين وإفطارهم، ولمناسكهم وحجهم، ولعدة نسائهم ومحلِّ دِينهم في أشياء، والله أعلم بما يُصلح خلقه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3068 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ذكر لنا أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لم خلقت الأهلة؟ فانزل الله تعالى: "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج" جعلها الله مواقيتاً لصوم المسلمين وإفطارهم ولحجهم ومناسكهم وعدة نسائهم وحلّ دينهم (94).

3069- حدثنا الحسن بن يحيى، قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال، أخبرنا > 3-554 معمر، عن قتادة في قوله: "مواقيت للناس والحج" قال: هي مواقيت للناس في حجهم وصومهم وفطرهم ونسكهم.

3070 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال الناس: لم خلقت الأهلة؟ فنزلت: "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس"، لصومهم وإفطارهم وحجهم ومناسكهم - قال: قال ابن عباس: ووقت حجهم، وعدة نسائهم، وحلّ دينهم.

3071- حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس" فهي مواقيت الطلاق والحيض والحج.

3072 - حدثت عن الحسين بن الفرج قال، حدثنا الفضل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك: "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس"، يعني: حلّ دينهم، ووقت حجهم، وعدة نسائهم.

3073- حدثني محمد بن سعد، قال، حدثني أبي، قال، حدثني عمي، قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة، فنزلت هذه الآية: "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس" يعلمون بها حلّ دينهم، وعدة نسائهم، ووقت حجهم.

3074 - حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد، عن شريك، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى، عن علي: أنه سئل عن قوله: "مواقيت للناس"، قال: هي مواقيت الشهر: هكذا وهكذا وهكذا - وقبض إبهامه - فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن عمّ عليكم فأتوا ثلاثين (95).

> 3-555 <

قال أبو جعفر: فتأويل الآية - إذا كان الأمر على ما ذكرنا عن ذكرنا عنه قوله في ذلك:- يسألونك يا محمد عن الأهلة ومحاقها وسببها وتامها واستوائها، وتغير أحوالها بزيادة ونقصان ومحاق واستسرار، وما المعنى الذي خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة أبداً على حال واحدة لا تتغير بزيادة ولا نقصان؟ - فقل يا محمد: خالف بين ذلك ربكم لتصويره الأهلة = التي

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

سألتهم عن أمرها، ومخالفة ما بينها وبين غيرها فيما خالف بينها وبينه = مواقيت لكم ولغيركم من بني آدم في معاشهم، ترقبون زيادتها ونقصانها ومحاقها واستسرارها وإهلالكم إياها، أوقات حل ديونكم، وانقضاء مدة إجارة من استأجرتموه، وتصرم عدة نسائككم، ووقت صومكم وإفطاركم، فجعلها مواقيت للناس.

وأما قوله " والحج " فإنه يعني: وللحج، يقول: وجعلها أيضًا ميقانًا لحجكم، تعرفون بها وقت مناسككم وحجكم.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ يَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (189)

قال أبو جعفر: قيل: نزلت هذه الآية في قوم كانوا لا يدخلون - إذا أحرموا - بيوتهم من قبل أبوابها.

< 3-556 >

* ذكر من قال ذلك:

3075- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: كانت الأنصار إذا حجوا ورجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها. قال: فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه، فقيل له في ذلك، فنزلت هذه الآية: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " (96).

3076 - حدثني سفيان بن وكيع، قال، حدثني أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: كانوا في الجاهلية إذا أحرموا، أتوا البيوت من ظهورها، ولم يأتوا من أبوابها، فنزلت: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " .. الآية (97).

3077 - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان، قال، سمعت داود، عن قيس بن حبتر: أن ناسا كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطا من بابه، ولا دارا من بابها أو بيتا، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه دارا، وكان رجل من الأنصار يقال له: " رفاعة بن تابوت " فجاء فتسور الحائط، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما خرج من باب الدار - أو قال: من باب البيت - خرج معه رفاعة، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حملك على ذلك؟ قال: يا رسول الله، رأيتك خرجت منه، فخرجت منه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني رجل

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أحمس! فقال: إن تكن رجلا أحمس، فإن ديننا واحد! فأنزل الله تعالى ذكره: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن < 3-557 > البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها " (98) .

3078 - حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " يقول: ليس البر بأن تأتوا البيوت من كوات في ظهور البيوت، وأبواب في جنوبها، تجعلها أهل الجاهلية. فنهوا أن يدخلوا منها، وأمروا أن يدخلوا من أبوابها.

3079 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

3080 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، < 3-558 > قال: كان ناسٌ من أهل الحجاز إذا أحرموا لم يدخلوا من أبواب بيوتهم ودخلوا من ظهورها، فنزلت: " ولكن البر من اتقى " الآية.

3081 - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد في قوله: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها " قال: كان المشركون إذا أحرم الرجل منهم تقب كوة في ظهر بيته فجعل سُلماً، فجعل يدخل منها. قال: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ومعه رجل من المشركين، قال: فأتى الباب ليدخل، فدخل منه. قال: فانطلق الرجل ليدخل من الكوة. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما شأنك؟ فقال: إني أحمس! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنا أحمس.

3082 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرني عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: كان ناسٌ من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء يتحرجون من ذلك، وكان الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجر من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء، فيفتح الجدار من ورأه، ثم يقوم في حجرته فيأمر بجأته. فتخرج إليه من بيته، حتى بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة، فدخل حجرة، فدخل رجل على أثره، من الأنصار من بني سلمة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إني أحمس! قال الزهري: وكانت الخمس لا يبالون ذلك. فقال الأنصاري: وأنا أحمس! يقول: وأنا على دينك، فأنزل الله تعالى ذكره: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " .

3084 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " وليس البر بأن تأتوا البيوت " الآية كلها. قال قتادة: كان هذا الحي من الأنصار في الجاهلية، إذا أهل أحدهم بحج أو عمرة لا يدخل داراً من بابها، إلا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أن يتسور حائطا تسوُّراً، وأسلموا وهم كذلك. فأنزل الله تعالى ذكره > 3-559 < في ذلك ما تسمعون، ونهاهم عن صنيعهم ذلك، وأخبرهم أنه ليس من البر صنيعهم ذلك، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها.

3085 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي قوله: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " فإن ناسا من العَرَب كانوا إذا حجُّوا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها كانوا يَنْقبون في أدبارها، فلما حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، أقبل يمشي ومعه رجل من أولئك وهو مسلم. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم باب البيت احتبس الرجل خلفه وأبى أن يدخل، قال: يا رسول الله، إني أحمس! - يقول: إني محرم - وكان أولئك الذين يفعلون ذلك يسمون " الخُمس "، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنا أيضا أحمس! فدخل. فدخل الرجل، فأنزل الله تعالى ذكره: " وأتوا البيوت من أبوابها ".

3086 - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال، حدثني عمي، قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها "، وأن رجلا من أهل المدينة كانوا إذا خاف أحدهم من عدوه شيئا أحرم فأمن، فإذا أحرم لم يلج من باب بيته واتخذ تقبا من ظهر بيته. فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كان بها رجل محرم كذلك - وأن أهل المدينة كانوا يُسمون البستان " الحُشَّ " - وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بُستانا، فدخله من بابه، ودخل معه ذلك المحرم، فناداه رجل من ورائه: يا فلان، إنك محرم وقد دخلت! فقال: أنا أحمس! فقال: يا رسول الله، إن كنت محرما فأنا محرم، وإن كنت أحمس فأنا أحمس! فأنزل الله تعالى ذكره: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها "، إلى آخر الآية، فأحل الله للمؤمنين أن يدخلوا من أبوابها.

3087 - حدثت عن عمار بن الحسن، قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، > 3-560 < عن أبيه، عن الربيع قوله: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها " قال: كان أهل المدينة وغيرهم إذا أحرّموا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها، وذلك أن يتسوُّروها، فكان إذا أحرّم أحدهم لا يدخل البيت إلا أن يتسوُّره من قبل ظهره. وإن النبي صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا لبعض الأنصار، فدخل رجل على أثره ممن قد أحرّم، فأنكروا ذلك عليه، وقالوا: هذا رجل فاجر! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لم دخلت من الباب وقد أحرمت؟ فقال: رأيتك يا رسول الله دخلت فدخلت على أترك! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني أحمس! - وقريش يومئذ تُدعى الخُمس - فلما أن قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال الأنصاري: إن ديني دينك! فأنزل الله تعالى ذكره: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " الآية.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3088 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني حجاج، قال، قال ابن جريح: قلت لعطاء قوله: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها " قال: كان أهل الجاهلية يأتون البيوت من ظهورها ويرؤنه برًّا، فقال: " البر "، ثم نعت " البر " وأمر بأن يأتوا البيوت من أبوابها = قال ابن جريح: وأخبرني عبد الله بن كثير: أنه سمع مجاهدا يقول: كانت هذه الآية في الأنصار، يأتون البيوت من ظهورها، يتبرّزون بذلك.

قال أبو جعفر: فتأويل الآية إِدًّا: وليس البر أيها الناس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها، ولكن البر من اتقى الله فخافه وتجنب محارمه، وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها، فأما إتيانُ البيوت من ظهورها فلا برٌّ لله فيه، فأتوها من حيثُ شئتم من أبوابها وغير أبوابها، ما لم تعتقدوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال، فإن ذلك غيرُ جائزٍ لكم اعتقاده، لأنه مما لم أحرمه عليكم.

< 3-561 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: واتقوا الله أيها الناس، فاحذروه وارهبوه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه، واجتناب ما نهاكم عنه، لتفلحوا فتنجحوا في طلباتكم لديه، وتدرکوا به البقاء في جنّاته والخلود في نعيمه.

وقد بينا معنى " الفلاح " فيما مضى قبلُ بما يدل عليه (99) .

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية.

فقال بعضهم: هذه الآية هي أول آية نزلت في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك. وقالوا: أمر فيها المسلمون بقتال من قاتلهم من المشركين، والكف عن كفّ عنهم، ثم نُسخت ب " براءة " .

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3089 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن بن سعد، وابن أبي جعفر، عن أبي جعفر، عن الربيع في قوله: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " قال: هذه أوّل آية نزلت في القتال < 3-562 > بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله، ويكفّ عن من كفّ عنه، حتى نزلت " براءة " - ولم يذكر عبد الرحمن: " المدينة " .

3090 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد في قوله: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم " إلى آخر الآية، قال: قد نسخ هذا! وقرأ قول الله: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً [سورة التوبة: 36]، وهذه النسخة، وقرأ: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ حتى بلغ: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ إِلَى: إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ [سورة التوبة: 1-5].

وقال آخرون: بل ذلك أمر من الله تعالى ذكره للمسلمين بقتال الكفار، لم ينسخ. وإنما الاعتداء الذي نهاهم الله عنه، هو نهيه عن قتل النساء والذّراري. قالوا: والنهي عن قتلهم ثابتٌ حُكِمَ اليوم. قالوا: فلا شيءٌ نُسخ من حكم هذه الآية.

* ذكر من قال ذلك:

3091 - حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن صدقة الدمشقي، عن يحيى بن يحيى الغساني، قال: كتبتُ إلى عمر بن عبد العزيز أسأله عن قوله: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ "، قال: فكتب إليّ: " إِنَّ ذَلِكَ فِي النِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ وَمَنْ لَمْ يَنْصِبْ لَكَ الْحَرْبَ مِنْهُمْ " .

3092 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم " لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أمروا بقتال الكفار.

3093 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

< 3-563 >

3094 - حدثني علي بن داود قال، حدثنا أبو صالح، قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الله لا يحب المعتدين " يقول: لا تقتلوا النساء ولا الصبيان ولا الشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكفَّ يده، فإن فعلتم هذا فقد اعتديتم.

3095- حدثني ابن البرقي قال، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عبد العزيز، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: " إني وَجَدْتُ آية في كتاب الله: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إِنَّ الله لا يحب المعتدين " أي: لا تقاتل من لا يقاتلك، يعني: النساء والصبيان والرهبان ".

قال أبو جعفر: وأولى هذين القولين بالصواب، القولُ الذي قاله عمر بن عبد العزيز. لأن دعوى المدَّعي نَسَخَ آية يحتمل أن تكون غيرَ منسوخة، بغير دلالة على صحة دعواه، تحكم. والتحكم لا يعجز عنه أحد.

وقد دللنا على معنى " النسخ "، والمعنى الذي من قبله يثبت صحة النسخ، بما قد أغنى عن إعادته في هذا الموضع (100).

فتأويل الآية - إذا كان الأمر على ما وصفنا - : وقاتلوا أيها المؤمنون في سبيل الله = وسبيله: طريقه الذي أوضحه، ودينه الذي شرعه لعباده = يقول لهم تعالى ذكره: قاتلوا في طاعتي وعلى ما شرعت لكم من ديني، وادعوا إليه من ولى عنه واستكبر بالأيدي والألسن، حتى يُنيبوا إلى طاعتي، أو يعطوكم الجزية صغارًا إن كانوا أهل كتاب. وأمرهم تعالى ذكره بقتال مَنْ كان منه قتال من مُقاتلة أهل الكفر دون من لم يكن منه قتال (101) من نسائهم وذراريهم، فإنهم أموال وحوُلٌ لهم إذا غلب المقاتلون منهم فقُهِرُوا، فذلك معنى قوله: " قاتلوا في سبيل الله الذين < 3-564 > يقاتلونكم " لأنه أباح الكف عمّن كف، فلم يُقاتل من مشركي أهل الأوثان والكافرين عن قتال المسلمين من كفار أهل الكتاب على إعطاء الجزية صغارًا.

فمعنى قوله: " ولا تعتدوا ": لا تقتلوا وليدًا ولا امرأة، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابين والمجوس، " إِنَّ الله لا يُحب المعتدين " الذين يجاوزون حدوده، فيستحلون ما حرّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حرّم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم (102).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

- (1) انظر تفسير "الحلال" فيما سلف من هذا الجزء 3 : 300 ، 301 .
- (2) انظر ما سيأتي في معنى "الرفث" في هذا الجزء (2 : 153 - 155 بولاق) .
- (3) ديوانه : 59 ، وسيأتي مع البيت قبله في التفسير 2 : 246 (بولاق) ، من رجز له طويل ، حمد فيه الله ومجده بقوله :

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْظَمِ

ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْجَلَالِ الْأَفْحَمِ

وَعَالِمِ الْإِعْلَانِ وَالْمُكَنَّمِ

وَرَبِّ كُلِّ كَافِرٍ وَمُسْلِمِ

ثم عطف على قوله : "ورب كل كافر ومسلم" عطوفاً كثيرة ، حتى انتهى إلى ما أنشده الطبري :

وَرَبِّ أَسْرَابٍ حَجِيحٍ كُظْمِ

عَنِ اللَّغَا وَرَقَثِ التَّكَلُّمِ

والأسراب جمع سرب : وهو القطيع أو الطائفة من القطار الضياء والشاء والبقر والنساء ، وجعله هذا للحجاج . والحجيج : الحجاج . وكظم جمع كاظم : وهو الساكت الذي أمسك لسانه وأخبت ، من الكظم (بفتحتين) وهو مخرج النفس . واللغا واللغو : السقط وما لا يعتد به من كلام أو يمين ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .

هذا ، ومما يدل على أن أبا جعفر كان يختصر القول اختصاراً في بعض المواضع ، أنه لم يفسر تعدية "الرفث" بحرف الجر "إلى" ، ولولا الاختصار لقال فيه مقالا على ما سلف من نهجه . وقد عدي "الرفث" بـ "إلى" ، لأنه في معنى الإفضاء . يقال : "أفضيت إلى امرأتي" ، فلما أراد هذا المعنى جاء بحرفه ليضمنه معناه ، إيداناً بأن ذلك ما أراد بهذه الكناية .

(4) في المطبوعة : "لتخرجهما عند النوم" ، وأخشى أن يكون تصحيحاً . جعل الجيم خاء ، وألصق الدال بالهاء ، فظنها الناسخ خاء ، لتشابههما . ولم أجد في مادة "خرج" "خرج" بتشديد الراء بمعنى التجرد من الثياب ، وإن كانوا يقولون : "خرج فلان من ثيابه" ولكنه هنا لا يظهر معناه لسقوط ذكره اللباس في عبارته . وإن كنت أظنها بعيدة ، ولو ذكر معها اللباس . ورجح هذا التصحيح عندي قوله بعد البيت الآتي : "متجردين في فراش واحد" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(5) الشعر والشعراء : 255 من أبيات جياذ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : 67 ،
وتأويل مشكل القرآن 107 ، وغيرها ، وقبله

أَصَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهًا
أَعَّرَ مُلْتَبِسًا بِالْفُؤَاءِ التِّبَاسَا
يُضِيءُ كَصَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيلِ
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسَا
يَانِسَةَ عَيْرِ أُنْسِ الْقِرَافِ وَتَخْلِطُ
بِالْأُنْسِ مِنْهَا شِمَاسَا

وهو شعر كما ترى
(6) المعاني الكبير 1 : 486 ، وتأويل مشكل القرآن : 107 وغيرها . وقولهما :
"رموها بأثواب" قالوا : تعني بأجسام خفاف (المعاني) والصواب في ذلك أن
يقال : أن هؤلاء الركب قد لوحتهم البيد وأضنتهم ، فلم يبق فيهم إلا عظام
معروفة عليها الثياب ، لا تكاد ترى إلا ثوبًا يلوح على كل ضار وضامر ،
ولذلك شبهت الإبل عليها ركبها بالنعام المنفر . والمنفر : الذي ذعر فانطلق
هاربًا يخفق في الأرض .
(7) هو أبو ذؤيب الهذلي .
(8) ديوانه : 26 ، والمعاني الكبير : 483 ، ومشكل القرآن : 108 وغيرها . من
قصيدة له عجيبة ، يرثى بها صديقه وحميمه نشيية بن محرث ، استفتحها
متغزلا مشبهاً بصاحبته أم عمرو ، واسمها فطيمة ، وقال قبل هذا البيت ،
يلوم نفسه على هجرها ويقول :

فَإِنَّكَ مِنْهَا وَالتَّعَدُّرُ، بَعْدَ مَا
لَجِجْتَ، وَشَطَّتْ مِنْ فُطَيْمَةَ دَارِهَا
كَتَعَتِ الَّتِي طَلَّتْ تُسَبِّعُ سُورَهَا
وَقَالَتْ : حَرَامٌ أَنْ يَرْجَلَ جَارَهَا
تَبْرَأُ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ

.....

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يقول أنت في انتفاءك من حبها بعد اللجاجة فيه ، كهذه المرأة التي قتلت قتيلا وحازت بزه ، أي سلاحه ، وأخفته . قال الأصمعي في خبر هذه المرأة : هذه امرأة نزل بها رجل فتحرجت أن تدهنه وترجل شعره ، ثم جاء كلب فولغ في إنائها فغسلته سبع مرات . وذلك بعين الرجل ، فتعجب منها ومن ورعها . فبينا هو كذلك ، أتاها قوم يطلبون عندها قتيلا ، فانتفلت من ذلك -أي أنكرت- وحلفت . ثم فتشوا منزلها ، فوجدوا القتل وسلاحه في بيتها" .

يقول أنت كهذه المرأة ، تجدد حب صاحبك ، وتظهر أنك قد كبرت وانتهيت عن الجهل والصبا ، ولو فتش قلبك . لرأوا حيك لها لا يزال يتأجج ويشتعل . (9) الأثر : 2929- في المطبوعة : "عبد الرحمن بن سعيد" ، وقد مضى برقم : 2917 ، على الصواب كما أثبتته . وعبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد القرظ المؤدب ، روي عن أبيه وعمه محمد وبني أعمامه . وجماعة من أهله ، وأبي الزناد وصفوان بن سليم ، وروي عنه إسحاق بن راهويه وإبراهيم بن المنذر وغيرهما . ذكره ابن حبان في الثقات . وقال البخاري : فيه نظر . وقال الحاكم أبو أحمد حديثه ليس بالقائم .

(10) الأثر : 2935- موضع هذه النقطة خرم في النسخ . وخبر عبد الرحمن بن أبي ليلى هذا أخرجه وكيع وعبد بن حميد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وهو في الدر المنثور 1 : 198 ، بغير هذا اللفظ . ولو أريد إتمامه لكان :

[نسخن لك شيئا تفضرُ عليه؟ فغلبته عيناؤه فنام . فجاءوا وقد نام ، فقالوا : كل! فقال : قد كنتُ نمتُ! فترك الطعام وبات ليلته يتقلبُ . فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له . فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، إني أردتُ أهلي البارحة على ما يريدُ الرجلُ أهله ، فقالت : إنها قد نامت! فظننتها تعتلُّ ، فواقعتها ، فأخبرتني أنها كانت نامت] .

هذا لفظ آخر ، ولكنه دال على المعنى الذي ذكره عبد الرحمن بن أبي ليلى ، والذي استدل به الطبري . ثم انظر الآثار التالية 2936-2938 عن ابن أبي ليلى .

(11) الحديث : 2937- هو قطعة من حديث طويل ، سبق بعضه بهذا الإسناد : 2729 ، 2733 . ووقع في المطبوعة هنا تحريف في الإسناد ، هكذا : "حدثنا عبد الرحمن بن عبيد الله عن عتبة!" وصوابه : "عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة" ، وهو المسعودي ، كما بينا فيما مضى .

وقد أشرنا فيما مضى إلى أن أبا داود روى هذا الحديث المطول : 507 ، من طريق يزيد بن هارون ، عن المسعودي . ولكنه لم يذكر فيه القسم الذي هنا كاملا ، بل أشار إليه ، إحالة على الرواية قبله ، فقال : "وجاء صرمة وقد عمل يومه . وساق الحديث" .

والحديث مطول في مسند أحمد 5 : 246-247 ، من رواية أبي النضر ويزيد بن هارون - كلاهما عن المسعودي ، به . كما أشرنا إليه مفصلا ، فيما مضى

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

: 2156 . وفيه القسم الذي هنا . ولكن فيه أن الرجل الأنصاري "يقال له صرمة" ، كما في رواية أبي داود .

وقد مضى في الرواية السابقة : 2936 . أنه "صرمة بن مالك" . وفي هذه الرواية -هنا- : "يدعى أبا صرمة" .

والرواية السابقة مرسلة . وهذه الرواية منقطة ، لأن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يدرك معاذ بن جبل . وسيأتي مزيد بيان عن اسم هذا الأنصاري ، في الرواية الآتية : 2939 .

(12) الحديث : 2938- هذا إسناد صحيح ، لولا ضعف سفيان بن وكيع -كما قلنا مرارًا- ولكنه ثابت في تفسير وكيع ، كما ذكره السيوطي . والطبري لم يذكر لفظه كاملاً ، أحال على الروايات قبله . وسيذكره كاملاً عقب هذا .
(13) الحديث : 2939- وهذا إسناد صحيح . عبد الله بن رجاء الغدائي : سبق توثيقه : 2814 .

والحديث ثابت من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن البراء بن عازب الأنصاري :

فرواه أحمد في المسند 4 : 295 (حلي)، عن أسود بن عامر ، وأبي أحمد الزبيري . والبخاري 4 : 111-112 (فتح) ، عن عبيد الله بن موسى . وأبو داود : 2314 ، من طريق أبي أحمد . والترمذي 4 : 71-72 ، من طريق عبيد الله بن موسى - كلهم عن إسرائيل ، عن جده أبي إسحاق . السبيعي . ورواه النسائي 1 : 305 ، من طريق زهير ، عن أبي إسحاق . ورواه البخاري أيضاً 8 : 136 ، مختصراً . عن عبيد الله بن موسى ، وبإسناد آخر عن أبي إسحاق .

وذكره السيوطي 1 : 197 ، وزاد نسبه إلى وكيع ، وعبد بن حميد ، والنحاس في ناسخه ، وابن المنذر ، والبيهقي في السنن .

وقد أطال الحافظ في الفتح 4 : 111-112 ، في بيان الاختلاف في اسم الأنصاري ، والروايات في ذلك . ورجح أنه "أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي . . . " . وأنه عن هذا جاء الاختلاف فيه : فبعضهم أخطأ اسمه وسماه بكنيته ، وبعضهم نسبه لجده ، وبعضهم قلب نسبه . وبعضهم صفحه "ضمرة بن أنس" ، وأن صوابه "صرمة بن أبي أنس" . وكذلك صنع في الإصابة بأطول من ذلك 3 : 241-243 ، 280 . "صرمة" : بكسر المهملة وسكون الراء وفتح الميم .

(14) الحديث : 2940- ذكره ابن كثير 1 : 418-419 ، من غير تخريج .

والسيوطي 1 : 197 ، ونسبه لابن جرير ، وابن المنذر ، فقط .

(15) الحديث : 2941- سويد : هو ابن نصر بن سويد المروزي ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، ونص البخاري في الكبير 2/2/149 على أنه سمع ابن المبارك . وذكر أنه مات سنة 240 عن 91 سنة .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ابن لهيعة - بفتح اللام وكسر الهاء : هو عبد الله ، الفقيه القاضي المصري .
مختلف فيه كثيرا ، والتحقيق أنه ثقة صحيح الحديث . وقد فصلنا القول فيه
في شرح المسند : 87 ، 6613 .

موسى بن جبير المدني الحذاء : ثقة ، يخطئ في بعض حديثه . مترجم في
التهذيب ، والكبير 4/1/281 ، وابن أبي حاتم 4/1/139 ، ولم يذكر في جرحا
. وهو مولى "بني سلمة" بفتح السين وكسر اللام ، من الأنصار . انظر المشتبه
للذهبي ، ص : 270 .

عبد الله كعب بن مالك الأنصاري السلمي - بفتح اللام ، نسبة إلى "بني سلمة"
بكسرها : تابعي ثقة ، كان قائد أبيه حين عمي ، أخرج له الشيخان وغيرهما

والحديث رواه أحمد في المسند : 15860 (3 : 460 حلي) ، عن عتاب بن
زياد ، عن عبد الله بن المبارك ، بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير 1 : 420 . عن الطبري ، فقط .

وذكره السيوطي 1 : 197 ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم "بسند
حسن" . وإنما حسن إسناده ، من أجل ابن لهيعة - فيما أرجح - وعندي أنه
إسناد صحيح .

(16) الحديث : 2942- ثابت : هو ابن أسلم البناني ، بضم الباء الموحدة
وتخفيف النون الأولى . وهو تابعي ثقة ، ولكنه يروي عن صغار الصحابة ،
كأنس ، وابن الزبير ، وابن عمر لم يدرك أن يروي عن عمر بن الخطاب .
فهذا إسناد منقطع ، ضعيف لذلك . والحديث ذكره السيوطي 1 : 197 ، ولم
ينسبه لغير ابن جرير .

(17) الحديث : 2943- هذا الحديث بالإسناد المسلسل بالضعفاء ، الذي
شرحناه مفصلا في : 305 . وقد ذكره السيوطي 1 : 197 ، ونسبه للطبري
وابن أبي حاتم .

ولم تكن بنا حاجة للكلام عليه هنا ، إلا أننا أردنا أن نمهد به لحديث لأبي
هريرة في معناه . نقله السيوطي 1 : 197 ، ونسبه للطبري فقط ، قال :
"وأخرج ابن جرير ، عن أبي هريرة . . ."

وذكره ابن كثير 1 : 419 مع أواخر إسناده ، ولم يذكر من خرجه . والظاهر
من تتبع صنيعه أنه نقله عن الطبري أيضًا .

ولم نجده في الطبري ، فإما سقط من الناسخين ، وإما هو في موضع آخر
من الطبري لما تصل إلينا معرفته . فرأينا إثباته - تماما للفائدة ، وحفظا لما
ينسب لهذا التفسير العظيم .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال ابن كثير : "وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة ، في قول الله تعالى (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ) إلى قوله (ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) ، قال : كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية - إذا صلوا العشاء الآخرة حَزَمَ عليهم الطعامُ والشرابُ والنساءُ حتى يُفطروا . وإن عمر بن الخطاب أصاب أهله بعد صلاة العشاء ، وإن صِرْمَةَ بن قيس الأنصاري غَلَبَتْهُ عيناه بعد صلاة المغرب ، فنام ولم يشبع من الطعام ، ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ، فقام فأكل وشرب ، فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك ، فأنزل الله عند ذلك : (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ) ، يعني بالرفث جماعة النساء ، (هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ) ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ) ، يعني : تجامعون النساء وتاكلون وتشربون بعد العشاء ، (فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالْإِنْبَاشِירוهُنَّ) يعني : جامعوهن ، (وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) ، يعني : الولد ، (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) ، فكان ذلك عَفْوًا من الله وَرَحْمَةً .

هذا لفظ رواية ابن كثير . والسيوطي اختصره قليلا .

فهذا إسناد صحيح من سعيد بن أبي عروبة إلى أبي هريرة . أما ما وراه سعيد بن أبي عروبة ، فلا ندري ما حاله ، حتى نعرف رواته .

وقيس بن سعد : هو المكي ، أبو عبد الملك ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/1/154 . وابن أبي حاتم 3/2/99 ، وابن سعد 5 : 355 ، ولكن ذكر أن كنيته "أبو عبيد الله" . وقال : "كان قد خلف عطاء بن أبي رباح في مجلسه" .

وكنية قيس عند البخاري "أبو عبد الله" . والظاهر أن هذا هو الصحيح ، لأن الدولابي ذكره في الكنى 2 : 59 ، في باب "أبو عبد الله" . (18) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، استظهرتها من الأثر الذي يليه ومن السياق .

(19) الحديث : 2946- إسماعيل بن شروس ، أبو المقدم الصنعاني : ذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات ، كما في لسان الميزان . وذكره ابن سعد في الطبقات 5 : 397 ، ولم يذكر فيه أكثر من قوله "قد روى عنه" . وترجمه ابن أبي حاتم 1/1/177 ، ولم يذكر فيه جرحا ، والبخاري في الكبير 360-1/1/359 ، وذكر أنه يروي عن عكرمة ، من قوله - يعني غير متصل ، فهو إشارة إلى هذه الرواية ، لأنها من قول عكرمة ، مرسلة ، لم يسندها عن أحد من الصحابة ، ثم قال البخاري : "قال عبد الرزاق ، عن معمر : كان يثبج الحديث" . ونقل مصححه العلامة الشيخ عبد الرحمن اليماني ، عن هامش إحدى نسخ التاريخ الكبير : "أي لا يأتي به على الوجه" . وهذا هو الصواب في هذا الحرف ، أنه "يثبج" من "التثبج" بالثاء المثناة والجيم ، ففي شرح القاموس

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2 : 13"يقال ثج الكتاب والكلام تشيجا : لم يبينه . وقيل : لم يأت به على وجهه . وقال الليث : التشيج التخليط" . ونقلت هذه الكلمة في لسان الميزان 1 : 411 محرفة إلى "يضع الحديث" ! وهو تحريف قبيح . فما رمى هذا الرجل بالوضع قط . ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء .

"شروس" : من الأسماء النادرة ، ولم أجد نسا على ضبطه ، إلا أنه ضبط بالقلم في تفسير عبد الرزاق بفتحة فوق الشين المعجمة وضمة فوق الراء وكسرتين تحت السين المهملة في آخره . ونقل الشيخ عبد الرحمن اليماني هذا الضبط أيضًا عن إحدى نسخ التاريخ الكبير ، وأن بهامشها نسخة أخرى مضبوطة بفتحة فوق الشين وأخرى فوق الواو مع سكون فوق الراء .

وهذا الحديث مرسل - كما ترى . وهو في تفسير عبد الرزاق ، ص : 18 . ولم أجده في غير هذين الموضعين .

وقد زدنا كلمة [فنسيته] ، بعد كلمة "سماه" - من تفسير عبد الرزاق . وكان في المطبوعة "وأنزلت الرخصة" ، بالواو بدل الفاء . وأثبتنا الفاء من تفسير عبد الرزاق ، إذ هي أجود هنا .
(20) الأثر : 2947- الذي بين القوسين زيادة لا بد منها . وسياق هذا الأثر فيه بعض الغرابة ، ولم أجده بنصه هذا في مكان آخر . ولكن جاء في الدر المنثور 1 : 198 أثر مثله ، قال في صدره : "وأخرج عبد حميد وابن جرير عن قتادة" ، وساق أثرا يخالفه كل المخالفة في أكثر لفظه ، وإن وافقه في بعض المعنى : قال .

[كان هذا قبل صوم رمضان ، أمروا بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، من كل عشرة أيام يوما . وأمروا بركعتين غدوة وركعتين عشية . فكان هذا بدء الصلاة والصوم . فكانوا في صومهم هذا ، وبعد ما فرض الله رمضان ، إذا رقدوا لم يمسوا النساء والطعام إلى مثلها من القابلة . وكان أناس من المسلمين يصيبون من النساء والطعام بعد رقادهم ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم ، فأنزل الله في ذلك من القرآن : "علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم" ، الآية] .

(21) الحيطان جمع حائط : وهو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، فإذا لم يكن عليه حائط فهو ضاحية ، وجمعه الضواحي .

(22) الطليح : الساقط من الإعياء والجهد والهزال .

(23) الأثر : 2958- في المطبوعة : "محمد بن مسعدة" ، والصواب ما أثبت ، وقد سلف في رقم 2774 ، 2883 ، وهو حميد بن مسعدة بن المبارك الباهلي البصري . ذكره ابن حبان في الثقات . وتوفي سنة 244 .

(24) الخبر : 2965- عبدة بن عبد الله بن عبدة الصفار : ثقة من شيوخ البخاري . وهو من نوادر الشيوخ الذين روى عنهم في صحيحه وهم أحياء . لأنه مات سنة 258 ، أي بعد البخاري بسنتين . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3/1/90 ، ورجال الصحيحين ، ص : 336 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إسماعيل بن زياد الكاتب : لم أعرف من هو يقينا ، وفي هذه الترجمة بضع شيوخ في التهذيب 1 : 298-301 ، ولسان الميزان 1 : 405-407 ، ولكني أكاد أرجح أنه هو الذي روى له ابن ماجه حديثا : 1314 ، عن ابن جريج ، باسم "إسماعيل بن زياد" دون لقب أو وصف .

(25) الخبر : 2976-"الحسين بن الفرغ" : ثبت هنا في المطبوعة "الحسن بن الفرغ" ، وهو خطأ تكرر مرارا ، منها : 2719 . ولا نرى داعيا لتكرار التنبيه عليه بعد .

(26) الخبران : 2977-2978- عمرو بن مالك ، في الإسنادين : هو النكري ، بضم النون وسكون الكاف ، نسبة إلى "بني نكرة" من عبد القيس . وهو ثقة .

أبو الجوزاء : هو أوس بن عبد الله الربيعي ، وهو تابعي ثقة معروف ، أخرج له الشيخان ، وسائر أصحاب الكتب الستة . وقد بينا حاله وحال عمرو بن مالك الراوي عنه ، في شرح المسند : 2623 .

"الربيعي" : بفتح الراء والباء ، نسبة إلى "ربعة الأزدي" ، كما في اللباب لابن الأثير 1 : 459 .

(27) الأثر : 2984- الهجيع : الطائفة من الليل . يقال : مر هجيع -أو هزيع- من الليل ، أي ساعة وطائفة منه . والسحر الثلث الآخر من الليل قبيل طلوع الفجر . والطريقة : الخط الممتد في الشيء يكون ظاهرا باختلاف لون ، أو اختلاف ظاهر .

(28) الحديث : 2986- حصين : هو ابن عبد الرحمن السلمى ، الثقة المأمون ، من كبار أئمة الحديث . مضت له رواية في : 579 .

وهذا الحديث اختصره أبو بكر بن عياش جدا ، وحذف إسناده حين حدث به ، ثم سئل عنه ، فبين أنه سمعه من حصين عن الشعبي عن عدي بن حاتم .

وسياتي : 2987 ، 2989 مختصرا ، و 2988 مطولا ، ولكنه ثابت في الصحيحين وغيرهما ، مطولا بسياق صحيح واضح :

فرواه أحمد في المسند 4 : 377 (حلبى) عن هشيم : "أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، أخبرنا عدي بن حاتم ، قال : لما نزلت هذه الآية (فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ، قال : عمدت إلى عقالين ، أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، فجعلتهما تحت وسادي ، قال : ثم جعلت أنظر إليهما ، فلا يتبين لي الأسود من الأبيض ، ولا الأبيض من الأسود ، فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بالذي صنعت ، فقال : إن كان وسادك إداً لعريض ، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقول عدي : "لما نزلت هذه الآية" ، يريد : لما تليت عليه عند إسلامه ، لأن فرض الصوم كان في أوائل الهجرة ، وعدي أسلم بعد ذلك بدهر ، في السنة التاسعة أو العاشرة .

ورواه البخاري 4 : 113 (فتح) ، من طريق هشيم ، ورواه مسلم 1 : 301 ، وأبو داود : 2349- كلاهما من طريق عبد الله بن إدريس ، عن حصين .
ورواه البخاري 8 : 137 (فتح) مختصرا ، من طريق أبي عوانة ، عن حصين .

وذكره ابن كثير 1 : 421 ، من رواية أحمد ، ثم قال : "أخرجاه في الصحيحين من غير وجه ، عن عدي" . وذكره السيوطي 1 : 199 ، وزاد نسبه لسفيان بن عيينة ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، والترمذي ، وابن المنذر ، والبيهقي .

قوله : "عريض القفا" ، كناية عن السمن وطول النوم . وذلك دليل على الغفلة والركود .
(29) الحديث : 2987- مجالد بن سعيد : مضت ترجمته في : 1614 . والحديث تكرر للذي قبله في معناه .

(30) الحديث : 2988- مجالد بن سعيد ، ثبت في المطبوعة هنا محرفا : "مجالد عن سعيد"؛ وهذا السياق المطول ذكره السيوطي 1 : 199 ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، فقط .

ورواه أحمد في المسند 4 : 377 (حلي) ، عن يحيى ، وهو القطان ، عن مجالد ، عن عامر ، وهو الشعبي . ولكنه مختصر قليلا عما هنا .
(31) الحديث : 2989- مالك بن إسماعيل بن زياد بن درهم ، أبو غسان النهدي : حافظ ثقة . من شيوخ البخاري وغيره من الأئمة . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/1/315 ، وابن سعد 6 : 282 ، وابن أبي حاتم 4/1/206-207 .

داود ، شيخ مالك بن إسماعيل : لم أستطع معرفته ، ففي هذه الطبقة ممن يسمى "داود" كثرة . وأيا ما كان فالحديث صحيح ، من جهة رواية ابن عليّة معه عن مطرف .

مطرف : هو ابن طريف الحارثي ، مضت ترجمته في : 224 .

والحديث مختصر - كما أشرنا آنفًا . وقد رواه البخاري 8 : 137 ، عن قتيبة بن سعيد ، عن جرير ، وهو ابن عبد الحميد الضبي ، عن مطرف ، بهذا الإسناد ، نحوه .

(32) الحديث : 2990- أحمد بن عبد الرحيم البرقي : هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، مضى في : 22 ، 160 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ابن أبي مريم : هو سعيد بن الحكم ، ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، مضى في : 22 .

أبو غسان : هو محمد بن مطرف -بكسر الراء المشددة- الليثي المدني ، أحد العلماء الأثبات ، روى له أصحاب الكتب الستة .

أبو حازم : هو سلمة بن دينار الأعرج التمار ، المدني ، تابعي ثقة ، لم يكن في زمانه مثله .

والحديث رواه البخاري 4 : 114-115 ، و 8 : 137 ، عن ابن أبي مريم ، بهذا الإسناد . ورواه مسلم 1 : 301 ، عن شيخين ، عن ابن أبي مريم .

ورواه أيضًا النسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه ، كما في الدر المنثور 1 : 199 .

(33) فضحه الصبح : دهمته فضحة الصبح ، وهي بياضه فكشفه وبينه للأعين بضوئه . والأفصح : الأبيض ليس شديد البياض .

(34) الأثر : 2992- في المطبوعة : "مسلم بن جنادة" والصواب ما أثبت ، وانظر ما سلف رقم : 48 ، ومواضع أخرى كثيرة .

(35) الخبر : 2995- الحسن بن الزبير بن النخعي ، شيخ الطبري : ترجمه ابن أبي حاتم 1/2/15 ، قال : "الحسن بن الزبير الكوفي ، سكن قزوين ، ويكنى بأبي الخزرج . روى عن مندل بن علي ، وشريك ، وفضيل بن عياض ، والمطلب بن زياد ، ومحمد بن صبيح السماك . روى عنه أبي ، والفضل بن شاذان . سئل أبي عنه ، فقال : هو شيخ" . ولم أجد له ترجمة عند غيره .

أبو أسامة : هو حماد بن أسامة بن زيد الكوفي ، ثقة حافظ ثبت ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

محمد بن أبي ذئب : هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، القرشي العامري المدني ، نسب إلى جده الأعلى ، وهو إمام ثقة حافظ ، يقرن بمالك أو يفضل عليه . وثبت في المطبوعة هنا "محمد بن أبي ذئب"؛ وهو خطأ بين .

الحارث بن عبد الرحمن القرشي العامري -من أنفسهم- المدني : ثقة ، وهو خال "ابن أبي ذئب" ، وهو أيضًا ابن عم أبيه ، كما في نسب قريش ، ص : 423 .

محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان القرشي العامري -مولاهم- المدني : تابعي ثقة معروف ، قال أبو حاتم "لا يسأل عن مثله" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد زدنا بين قوسين ، عقب قوله "عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال" - (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، لأنه هكذا نقله ابن كثير 1 : 424 ، عن هذا الموضع من الطبري ، بهذه الزيادة ، فيكون حديثاً مرسلًا . وهكذا قال ابن كثير ، عقب نقله : "وهذا مرسل جيد" . يريد : جيد الإسناد إلى ابن ثوبان التابعي ، ولكنه لا يكون صحيحاً مرفوعاً ، لأن المرسل لا تقوم به حجة .

وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى 4 : 215 ، من طريق ابن وهب ، عن ابن أبي ذئب ، بهذا الإسناد . من رواية ابن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مرفوعاً ، مرسلًا .

وكذلك ذكره السيوطي 1 : 200 "عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان : أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . . " . ثم قال السيوطي : "وأخرجه الحاكم من طريقه ، عن جابر ، موصولاً" ، وكذلك ذكر البيهقي أنه "قد روى موصولاً ، بذكر جابر بن عبد الله فيه" . وقد جهدت أن أجده في المستدرک ، فخفي على موضعه .

ويكون ما وقع من الناسخين ، في الطبري هنا ، من حذف (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) - خطأً يقيناً . إذ يكون حينئذ موقوفاً على ابن ثوبان . وقد تضافرت الدلائل على أنه عن ابن ثوبان ، مرفوعاً مرسلًا ، في رواية الطبري ورواية غيره .

والسرحان : الذئب . وذلك كناية عن استطالته وامتداده .
(36) الحديث : 2996- إسماعيل بن صبيح- بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة - الينكري الكوفي : ثقة مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 1/1/178 .

أبو هلال : هو الراسبي محمد بن سليم ، وهو ثقة .

سودة بن حنظلة القشيري البصري : تابعي ثقة .

والحديث رواه أحمد في المسند 5 : 13-14 (حلبى) ، عن وكيع ، بهذا الإسناد ، نحوه . وكذلك رواه الترمذي 2 : 39 ، من طريق وكيع . .

وسياتي مزيد تخريجه ، في الحديث بعده .
(37) الحديث : 2997- معاوية بن هشام الأسدي القصار : ثقة ، وثقه أبو داود وابن حبان . و"الأسدي" بفتح السين ، لأنه "مولى بني أسد" ، كما في ابن سعد 6 : 282 ، والتقريب ، وكذلك ثبت في الصحيحين : 92 . ووقع في التهذيب والخلاصة "الأزدي" بالزاي ، هو خطأ .

وهذا الحديث في معنى الذي قبله .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد رواه أبو داود الطيالسي : 897 ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، نحوه .
وكذلك رواه النسائي 1 : 305 ، من طريق الطيالسي .

ورواه أحمد في المسند 5 : 7 (حلي) : "حدثنا محمد بن جعفر ، وروح ، قالا :
حدثنا شعبة ، عن شيخ من بني قشير ، قال روح : قال (يعني شعبة) :
سمعت سوادة القشيري ، وكان إمامهم" فذكر الحديث .

ورواه مسلم 1 : 302 ، من طريق معاذ ، وهو العنبري ، ومن طريق أبي
داود ، وهو الطيالسي - كلاهما عن شعبة .

وقد سقط في هذا الموضوع إسنادان آخران لهذا الحديث ، ذكرهما ابن كثير
1 : 423 . فرأينا إثباتهما ، تماما لنص أبي جعفر ما استطعنا :

قال ابن كثير : "وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الرحمن
بن مهدي ، حدثنا شعبة ، عن شيخ من بني قشير سمعت سمرة بن جندب
يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يَغُرَّتْكُمْ نداءُ بلال وهذا
البياض ، حتى ينفجر الفجر ، أو يطلع الفجر" .

"ثم رواه من حديث شعبة وغيره ، عن سوادة بن حنظلة ، عن سمرة ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يمنعكم من سحوركم أذانُ
بلال ، ولا الفجر المستطيل ، ولكن الفجر المستطير في الأفق" .

وهذا هو لفظ الحديث : 2996 هنا ، ولكنه من غير طريق شعبة . ثم قال ابن
كثير ، نقلا عن أبي جعفر : "قال : وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، [عن] ابن
عليه ، عن عبد الله بن سوادة القشيري ، عن أبيه ، عن سمرة بن جندب ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يَغُرَّتْكُمْ أذانُ بلال ، ولا هذا
البياض ، لِعَمُودِ الصَّحْحِ ، حَتَّى يَسْتَطِيرَ" .

فهذان الإسنادان اللذان لم يذكرنا هنا ، ثابتان في ابن كثير نقلا عن ابن جرير

والأول منهما يوافق رواية أحمد في المسند -التي ذكرنا آنفاً- عن محمد بن
جعفر عن شعبة ، التي أبهم فيها "شيخ من بني قشير" .

والثاني منهما : وقع فيه خطأ مطبعي في ابن كثير ، لأن الطبري يرويه عن
يعقوب بن إبراهيم ، وهو الدورقي الحافظ ، عن ابن عليه ، عن عبد الله بن
سوادة ، عن أبيه . فسقط في مطبوعة ابن كثير حرف [عن] فزدناه ضرورة
لأن الحديث ثابت من رواية ابن عليه ، وهو "إسماعيل بن إبراهيم" المعروف
بابن عليه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والحديث ثابت من رواية ابن علية : فرواه مسلم 1 : 302 ، عن زهير بن حرب ، "حدثنا إسماعيل ابن علية . . ." .

وكذلك رواه الحاكم في المستدرک 1 : 425 ، من طريق مسدد ، "حدثنا ابن علية" .

وعبد الله بن سواده القشيري -شيخ ابن علية في هذا الإسناد- : ثقة ، كما بينا في تخریج حديث آخر مضى ، برقم : 2792 .

والحديث رواه أيضًا أحمد في المسند 5 : 18 (حلي) ، عن يزيد بن هارون ، عن شعبة .

ورواه الطيالسي أيضًا : 898 ، عن محمد بن مسلم ، قال : "حدثنا سواده بن حنظلة القشيري . . ." .

ورواه أيضًا مسلم 1 : 302 ، وأبو داود : 2346 ، والبيهقي 4 : 215- ثلاثهم من طريق حماد بن زيد ، عن عبد الله بن سواده ، عن أبيه .
(38) الخبر : 2998- هذا موقوف على حذيفة بن اليمان ، وإسناده صحيح . إلا أنه وقع في المطبوعة خطأ في موضعين . وسيأتي عقب هذا موقوفا بإسنادين آخرين . ثم يأتي معناه مرفوعا ، من حديث حذيفة نفسه : 3011-3014 .

هناد بن السري - شيخ الطبري في هذا الإسناد : وقع في المطبوعة "هشام بن السري"؛ وهو خطأ يقينا ، ليس من راو بهذا الاسم -فيما علمنا- وإنما هو "هناد" . وقد ترجمنا له في : 2058 .

عبدة -بفتح العين- بن حميد ، بضم الحاء المهملة : مضى في : 2781 ، ووقع في المطبوعة "عبادة بن حميد"؛ وهو خطأ أيضًا .

إبراهيم التيمي : هو إبراهيم بن يزيد بن شريك ، وهو وأبوه تابعان ثقتان ، أخرج لهما أصحاب الكتب الستة .

وظاهر هذا الإسناد الانقطاع ، لأن إبراهيم التيمي لم يدرك حذيفة ، ولم يشهد سفر أبيه معه . ولكن تبين من الإسنادين بعده أنه روى ذلك عن أبيه ، فاتصل الإسناد .
(39) الخبر : 2999- إسناده صحيح متصل .

وقوله : "لكني" ، اختصار قوله : لكني أريد الصوم ، مثل ذلك كثير في كلامهم .

(40) الخبر : 3000- هذا إسناد صحيح متصل أيضًا .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أبو بكر : هو ابن عياش ، وقد مضى مرارا ، منها : 2150 . وهذا الإسناد صريح في سماعه من الأعمش ، ورؤيته إياه يفعل ما حكى من سحوره بعد الأذان .

وقال الحافظ في الفتح 4 : 117 "وذهب جماعة من الصحابة ، وبه قال الأعمش من التابعين ، وصاحبه أبو بكر بن عياش - : إلى جواز السحور إلى أن يتضح الفجر" .

وقال أيضًا : "وقد روى ابن أبي شيبة وعبد الرزاق - ذلك عن حذيفة ، من طرق صحيحة" .

وانظر لهذه المسألة - المحلى لابن حزم ، في المسألة : 756 (ج 7 ص 229-235) . وسيأتي مزيد تخريج ، عند حديثه المرفوع : 3011-3013 ، إن شاء الله .

(41) الخبر : 3001- هارون بن إسحاق الهمداني ، شيخ الطبري : كوفي حافظ ثقة ، من شيوخ البخاري في غير الصحيح ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم من الأئمة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد 6 : 289 ، وابن أبي حاتم 88-4/2/87 . وهو من الشيوخ الذين روى عنهم البخاري وهم أحياء ، مات سنة 258 ، بعد البخاري بستين .

مصعب بن المقدم : مضت ترجمته : 1291 .

هيرة - بضم الهاء : هو ابن يريم ، يفتح الياء التحتية وكسر الراء ، الشبامي ، بكسر الشين المعجمة وتخفيف الباء الموحدة وبعد الألف ميم ، نسبة إلى "شمام" ، وهو "عبد الله بن أسعد بن جثم بن حاشد" ، قال ابن سعد : "وسمي شمام ، بجبل لهم" .

ووقع في التهذيب والتقريب والخلاصة "الشباني" ، وهو تصحيف . وهيرة : تابعي ثقة ، تكلم فيه بعضهم ، لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي ، وهو خال العالية امرأة أبي إسحاق . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/241 ، وابن سعد 6 : 118 ، وابن أبي حاتم 110-4/2/109 .

وهذا الخبر سيأتي بإسناد آخر ، بنحوه : 3010 .

وقد ذكره الحافظ في الفتح 4 : 117 ، قال : "روى ابن المنذر بإسناد صحيح ، عن علي : أنه صلى الصبح ثم قال : الآن حين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود" . ولكن ذكره السيوطي 1 : 199 ، بنحوه ، بلفظ "أنه قال حين طلع الفجر .. !" ونسبه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير . وأنا أكاد أرجح أن قوله "طلع الفجر" تحريف من الناسخين ، لأن روايتي الطبري ، هذه والآتية ، فيهما "صلى الفجر" ، وأيده ما نقله الحافظ من رواية ابن المنذر . (42) الخبر : 3002- هذا إسناد مشكل ، لا أدري ما هو؟

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فابن الصلت : يدور بين اثنين في هذه الطبقة ، "محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدي" ، و"محمد بن الصلت التوزي" . فلا أدري أيهما هو؟ أم هو غيرهما .

وإسحاق بن حذيفة العطار ، وأبوه : لم أجد لهما ترجمة ، ولا ذكرا ، في شيء مما بين يدي من المراجع . وأخشى أن يكون فيهما معا تحريف ، فلئن تركوا ترجمة"إسحاق" ليعدن أن يتركوا ترجمة أبيه ، وهو في ظاهر هذا الإسناد تابعي ، يروي عن صحابي ، وهو البراء بن عازب . وانظر الخبر الذي بعده .

(43) الخبر : 3003- أما هذا فإسناده صحيح . الشيباني : هو أبو إسحاق سليمان بن أبي سليمان ، مضت ترجمته : 1037 .

جبله بن سحيم - بضم السين المهملة ، التيمي الشيباني : تابعي ثقة ، ينسب إلى"تيم بن شيبان" ، فهو"تيمي" ، و"شيباني" .

عامر بن مطر الشيباني : تابعي ثقة . مترجم في ابن سعد 6 : 82 ، وابن أبي حاتم 3/1/328 ، ولسان الميزان 3 : 225 . وروى ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن الحكم بن بشير ، قال : "أبو مطر ، الذي يروي عنه جبله بن سحيم : هو عامر بن مطر ، شيباني ، رجل له شأن في المسلمين" .

وهذا الخبر رواه ابن حزم في المحلى 7 : 233 ، من طريق ابن أبي شيبه : "حدثنا أبو معاوية ، عن الشيباني - هو أبو إسحاق . . " فذكره ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 3 : 154 مختصرا ، هكذا : "وعن مطر الشيباني ، قال : تسحرنا مع عبد الله ، ثم خرجنا فأقيمت الصلاة ، رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح" . فسمى التابعي"مطر الشيباني" . وهو تحريف -فيما أرجح- فليس في الرواة من هذا اسمه . وما أدري : التحريف من رواة الطبراني ، أم من الهيثمي ، أم من ناسخ أو طابع؟ ولكنه -عندي- تحريف على كل حال .

(44) الخبر : 3004- هذا إسناد ضعيف ، لانقطاعه .

خلاد بن أسلم ، أبو بكر الصفار ، شيخ الطبري : ثقة ، من شيوخ عبد الله بن أحمد ، والترمذي والنسائي ، مات في جمادى الآخرة سنة 249 . مترجم في التهذيب ، والصغير للبخاري ص : 237 ، وتاريخ بغداد 8 : 342-343 .

عبد الله بن معقل -بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف - بن مقرن - بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المشددة- المزني : تابعي ثقة ، يروي عن أبيه ، وهو صحابي ، وعن علي ، وابن مسعود ، وغيرهم . ولكنه لم يدرك أن يروي عن سالم مولى أبي حذيفة ، لأنه مات سنة 88 ، وسالم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قتل باليمامة سنة 12 في خلافة أبي بكر . ولذلك تعقب الحافظ ابن حجر في التهذيب ، ما ذكره أصله ، فقال : "وأطلق المؤلف روايته عن سالم مولى أبي حذيفة . والظاهر أنها مرسله ، لأنه قتل باليمامة" . وابن معقل هذا مترجم في التهذيب . والصغير للبخاري ، ص : 93-94 ، وابن سعد 6 : 121-122 ، والإصابة 5 : 144 . ووقع في المطبوعة هنا "عبيد الله" ، بالتصغير ، وهو خطأ .

سالم مولى أبي حذيفة : صحابي قديم الموت ، كما قلنا آنفًا . وهو الذي وردت في شأنه سنة إرضاع الكبير . وهو مولى ثبينة بنت يعار الأنصارية زوج أبي حذيفة ، هي التي أعتقته ، فتولى أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي زوجها . قال ابن سعد : "فسالم يذكر في الأنصار في بني عبيد ، لعنق ثبينة بنت يعار إياه ، ويذكر في المهاجرين ، لموالاته لأبي حذيفة" . وهو مترجم في الكبير 2/2/108 ، والصغير ، ص : 21 ، 22 ، وابن سعد 3/1/60-62 ، وابن أبي حاتم 2/1/189 ، والإصابة 3 : 56-57 . وقال ابن أبي حاتم : "لا أعلم روى عنه" . وتعقبه الحافظ في الإصابة ، فذكر له رواية حديثين مرفوعين ، ثم قال : "وفي السندين جميعا ضعف وانقطاع . فيحمل كلام ابن أبي حاتم على أنه لم يصح عنه شيء" . ولم يذكر الحافظ رواية الطبري هذه ، وهي منقطعة أيضًا .

وهذا الخبر ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 4 : 154 ، مختصرا قليلا ، وقال : "رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح" . هكذا قال ، فلم يشر إلى علته بالانقطاع ، إلا أن يكون إسناد الطبراني متصلا براو آخر فوق عبد الله بن معقل ، فعمل . ولكني لا أظن ذلك .

نعم ذكر الحافظ في الفتح 4 : 117 ، أن ابن المنذر "روى بإسناد صحيح ، عن سالم بن عبيد الأشجعي ، وله صحبة : أن أبا بكر قال له : اخرج فانظر هل طلع الفجر؟ قال : فنظرت ثم أتيت ، فقلت : قد ابيض وسطع ، ثم قال : اخرج فانظر هل طلع؟ فنظرت فقلت : قد اعترض ، فقال : الآن أبلغني بشرابي" . فهذا سالم بن عبيد صحابي معروف من أهل الصفة . والرواية عنه تأتي من وجه آخر غير رواية سالم مولى أبي حذيفة . فإن كان الإسناد إليه صحيحا كما قال الحافظ ، فهو ذلك ، إلا أن يكون ذكر سالم بن عبيد "خطأ" من بعض الرواة ، فليس عندي بيان آخر عن إسناد ابن المنذر .

وقد روى ابن حزم في المحلى 6 : 232 ، نحو هذا المعنى ، بألفاظ آخر ، عن أبي بكر :

فقال ابن حزم : "روينا من طريق معمر ، عن أبان ، عن أنس ، عن أبي بكر الصديق ، أنه قال : إذا نظر الرجلان إلى الفجر ، فشك أحدهما ، فليأكلا حتى يتبين لهما" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

"ومن طريق أبي أحمد الزبيري ، عن سفيان الثوري ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن يساف ، عن سالم بن عبيد ، قال : كان أبو بكر الصديق يقول لي : قم بيني وبين الفجر حتى أتسحر".

ومن طريق ابن أبي شيبة ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن يساف ، عن سالم بن عبيد الأشجعي ، قال : قم فاسترني من الفجر ، ثم أكل".

وهذا اللفظ الأخير مختصر ، يفهم مما قبله أنه حكاية عن أبي بكر أيضًا ، ولعله سقط منه شيء من ناسخي المحلى .

ثم قال ابن حزم : "سالم بن عبيد هذا : أشجعي كوفي ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه أصح طريق يمكن أن تكون".

وأنا أرجح أن يكون طريق ابن المنذر -الذي نقله الحافظ في الفتح- مثل هذين الطريقين الأخيرين ، اللذين نقلهما ابن حزم ، فيكون من رواية هلال بن يساف عن سالم بن عبيد . واستبعد جدا أن يكون طريق الطبراني ، الذي ذكره الهيثمي- : من هذا الوجه .

ثم روي ابن حزم 6 : 233 ، نحو هذا المعنى ، من رواية أبي السفر ، ومن رواية أبي قلابة - كلاهما عن أبي بكر . وهما إسنادان منقطعان ، فإن أبا السفر وأبا قلابة لم يدركا أبا بكر يقينا .
(45) الخبر : 3008- شبيب بن غرقدة السلمى : تابعي ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما . مترجم في التهذيب ، والكبير 2/2/232 ، وابن أبي حاتم 2/1/357 .

عروة : هو ابن أبي الجعد الأزدي البارقى : صحابي معروف . قال البخاري : "وبارق : جبل ، نزله بعض الأزدي".

حبان - بكسر الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة : هو ابن الحارث ، أبو عقيل ، وهو تابعي ثقة . ترجمه البخاري في الكبير 2/1/77 ، وابن أبي حاتم 1/2/269 ، والدولابي في الكنى 2 : 33 .

وهكذا وقع في الطبري عن شيخه محمد بن المثنى -في هذا الإسناد- زيادة "عروة البارقى" بين "شبيب" و"حبان بن الحارث" . وسيأتي الخبر عقب هذا : 3009 ، من رواية سفيان بن عيينة ، عن شبيب ، عن حبان ، مباشرة دون واسطة ، وهو الثابت المحفوظ عن شبيب . فلعل ابن المثنى -شيخ الطبري- وهم في هذه الزيادة ، أو لعله كان من رواية شبيب ، عن عروة وعن حبان ، كلاهما عن علي ، ثم اختلط في الإسناد على الناسخين .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن البخاري روى هذا الخبر ، في ترجمة "حبان" في التاريخ الكبير ، موجزا بالإشارة كعادته - على الصواب ، من الوجه الذي رواه الطبري هنا :

فقال البخاري : "حدثنا محمد ، قال : حدثنا غندر ، قال : حدثنا شعبة ، عن شبيب ، عن حبان : تسحرنا مع علي" .

فحمد - شيخ البخاري : هو محمد بن بشار الحافظ . وغندر : هو هو محمد بن جعفر شيخ ابن المثنى في إسناد الطبري هذا . وهو قد رواه - كما ترى - دون واسطة بين شبيب وحبان .

وكذلك رواه البخاري بثلاثة أسانيد عن شبيب عن حبان ، فقال : "قال ابن محبوب ، عن عمر الأبار ، عن منصور ، عن شبيب ، عن حبان بن الحارث : تسحرنا مع علي . وقال جرير ، عن منصور ، عن شبيب ، عن أبي عقيل . قال حسين ، عن زائدة ، عن شبيب ، عن طارق بن قره ، وحبان بن الحارث ، بهذا" . وقد زاد في الإسناد الأخير للبخاري : أن شيبا رواه عن طارق بن طارق بن قره ، عن علي ، كمثل روايته إياه عن حبان ، عن علي . و"طارق بن قره" : تابعي ، لم يترجمه البخاري في الكبير ، ولكن ترجمه ابن أبي حاتم 2/1/486 ، قال : "طارق بن قره : روى عن علي ، روى عنه شبيب بن غرقدة" . وبذلك ترجمه أيضًا ابن حبان في الثقات ، ص : 229 .

ورواية البخاري ، من طريق جرير عن منصور - رواها ابن حزم في المحلى 6 : 233 مفصلة ، قال : "ومن طريق ابن أبي شيبه : حدثنا جرير ، هو ابن عبد الحميد ، عن منصور بن المعتمر ، عن شبيب بن غرقدة ، عن أبي عقيل ، قال : تسحرت مع علي بن أبي طالب ، ثم أمر المؤذن أن يقيم الصلاة" .

فهذه أسانيد تدل على أن ذكر "عروة البارقي" في إسناد الطبري هنا - إما سهو من ابن المثنى ، وإما إضافة في الرواية مع حبان - لا رواية عنه - ثم حرفت من الناسخين .

(46) الخبر : 3009 - سفيان : هو ابن عيينة . والخبر تكرر في معناه للخبر قبله . ورواه أيضًا ابن حزم في المحلى 6 : 233 ، قال : "وعن سفيان بن عيينة ، عن شبيب بن غرقدة ، عن حبان بن الحارث : أنه تسحر مع علي بن أبي طالب ، وهما يريدان الصيام ، فلما فرغ قال للمؤذن : أقم الصلاة" . (47) الخبر : 3010 - أبو السفر - بفتح الفاء - : هو سعيد بن محمد ، بضم الياء التحتية وسكون الحاء المهملة وكسر الميم ، وهو تابعي ثقة ، يروي عن متوسطي الصحابة ، كابن عباس وابن عمر . وهذا الإسناد منقطع ، لأن أبا السفر لم يدرك أن يروي عن علي بن أبي طالب . وقد مضى معناه عن علي ، بإسناد آخر متصل : 3001 .

(48) الحديث : 3011 - عاصم : هو ابن بهدلة ، وهو ابن أبي النجود - بفتح النون - الكوفي المقرئ ، أحد القراء السبعة . وهو ثقة ، أخرج له أصحاب

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الكتاب الستة . زر - بكسر الزاي وتشديد الراء : هو ابن حبيش ، التابعي ، الثقة . مضى في : 274 . حذيفة : هو ابن اليمان العبسي ، صحابي مشهور ، مناقبه كثيرة معروفة .

وهذا الحديث رواه ابن ماجه : 1695 ، عن علي بن محمد ، هو الطنافسي ، عن أبي بكر بن عياش ، بهذا الإسناد نحوه ، مختصرا . وسيأتي مزيد تخريج له في الثلاثة بعده .
(49) الحديث : 3012- هو الحديث السابق بمعناه ، بالإسناد نفسه . ولكن هذا جاء بصيغة في التوكيد موثقة ، قصد بها أبو بكر بن عياش رفع شبهة الخطأ أو التزيد في الرواية .
(50) الحديث : 3013- سفيان : هو الثوري .

والحديث في معنى الحديثين قبله . وقد رواه أحمد في المسند 5 : 400 (حلي) ، عن وكيع ، عن سفيان ، بهذا الإسناد نحوه . وكذلك رواه النسائي 1 : 303 ، وابن حزم في المحلى 6 : 232 - كلاهما من طريق وكيع .

وفي الفتح 4 : 117 أنه رواه "سعيد بن منصور ، عن أبي الأحوص ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة ، قال : تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو والله النهار ، غير أن الشمس لم تطلع"
(51) الحديث : 3014- الحكم بن بشير النهدي : مضت ترجمته : 1497 . وعمرو بن قيس هو الملائي ، مضت ترجمته : 886 .

خلاد الصفار : هو خلاد بن عيسى العبيدي ، ويقال : خلاد بن مسلم . وهو ثقة . مترجم في التهذيب والكبير 2/1/171 ، وابن أبي حاتم 1/2/367 .

وهذا الحديث تكرر للثلاثة قبله في معناها ، إلا أنه مطول في قصة . وقد روى نحو هذه القصة - حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة :
فرواها أحمد 5 : 396 (حلي) ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة .

وكذلك رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار 1 : 324 ، وابن حزم في المحلى 6 : 231 : 232 ، كلاهما من طريق روح بن عبادة ، عن حماد بن سلمة .

ورواه أحمد أيضًا 5 : 405 (حلي) ، من طريق شريك بن عبد الله - هو النخعي القاضي- عن عاصم ، عن زر ، قال : "قلت ، يعني لحذيفة : يا أبا عبد الله ، تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم ، قلت : أكان الرجل يبصر مواقع نبله؟ قال : نعم ، هو النهار ، إلا أن الشمس لم تطلع" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد ذكر ابن كثير 1 : 422 رواية حماد بن سلمة عن عاصم - مختصرة ،
ونسبها لأحمد ، والنسائي وابن ماجه ، وقال : "وهو حديث تفرد به عاصم بن
أبي النجود ، قاله النسائي" . ولم أجده في النسائي من رواية حماد ولم أجد
كلمة النسائي أيضًا . فلعل ذلك في السنن الكبرى .

وقال الحافظ في الفتح 4 : 117 ، بعد نقله رواية سعيد بن منصور وإشارته
إلى رواية الطحاوي عن حذيفة : "روى ابن أبي شيبة وعبد الرزاق ذلك عن
حذيفة ، من طرق صحيحة" .

"اللقحة" : الناقة القريبة العهد بالولادة ، فهي من ذوات الألبان .
(52) الحديث : 3015- هذا إسناد صحيح .

روح بن عبادة القيسي ، من بني قيس بن ثعلبة : ثقة ، أخرج له أصحاب
الكتب الستة ، ووثقه ابن معين وغيره . تكلم فيه بعضهم بغير حجة . مترجم
في التهذيب ، والكبير 282-2/1-283 ، وابن سعد 7/2/50 ، وابن أبي حاتم
498-1/2-499 ، وتاريخ بغداد 8 : 401-406 .

"عبادة" : بضم العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة . ووقع في المطبوعة ،
في هذا الإسناد والذي بعده "روح بن جنادة" ! وهو تصحيف ، ولا يوجد راو بهذا
الاسم .

حماد : هو ابن سلمة .

محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي : ثقة ، أخرج له الجماعة أيضًا .

أبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف .

والحديث رواه أحمد في المسند : 10637 (2 : 510 حلي) ، عن روح بن
عبادة ، بهذا الإسناد واللفظ .

ورواه أحمد أيضًا : 9468 (2 : 423 حلي) ، عن غسان بن الربيع ، عن حماد
بن سلمة ، بهذا الإسناد . وقرن إليه إسنادا آخر مرسلا ، عن يونس ، عن
الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه أبو داود : 2350 ، عن عبد الأعلى بن حماد النرسي . عن حماد بن
سلمة ، به . وكذلك رواه الحاكم في المستدرک 1 : 426 ، من طريق عبد
الأعلى ، وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم
يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

وانظر تعليقنا على الحديث ، فيما كتبنا على مختصر السنن للمنذري : 2249
(3 : 233 ، 234) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(53) الحديث : 3016- عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم : تابعي ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه .

والحديث رواه أحمد في المسند : 10638 ، عن روح بن عبادة ، بهذا الإسناد ، عقب الحديث السابق ، كما صنع الطبري تماما .

وذكره ابن حزم في المحلى 6 : 232 ، من رواية حماد بن سلمة ، به ، وساق لفظه كاملا . وزاد في آخره : وقال حماد ، عن هشام بن عروة : كان أبي يفتي بهذا" .

(54) الحديث : 3017- رواه الطبري بإسنادين : فرواه عن بن حميد ، عن يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد - ثم استأنف إسنادا آخر ، فرواه عن محمد بن علي بن الحسن ، عن أبيه ، عن الحسين بن واقد ، فاجتمع الطريقتان في الحسين بن واقد ، عن أبي غالب ، إلخ .

ويحيى بن واضح : هو أبو تميلة ، مضت ترجمته : 392 .

أبو غالب : هو صاحب أبي أمامة ، وقد اختلف في اسمه : ف قيل : "حزور" ، بفتح الحاء المهملة والزاي والواو المشددة وآخره راء . وقيل : "سعيد بن الحزور" ، وهو الذي اقتصر عليه ابن سعد 7/2/7 . واختصر البخاري في الكبير 2/1/124 على "حزور" . وترجمه ابن أبي حاتم في الترحميتين 316-1/2/315 ، ثم 2/1/13 ، وقال في الموضوع الثاني : "وحزور أصح" . وهو ثقة ، وتكلم فيه بعضهم . ووثقه الدارقطني ، وحسن الترمذي بعض أحاديثه ، وصحح بعضها . مترجم في التهذيب 12 : 197-198 .

أبو أمامة : هو الباهلي ، واسمه : "صدي" بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وتشديد الياء "بن عجلان" . وهو صحابي معروف مات سنة 86 وقد جاوز المئة ، لأنه ثبت أنه كان ابن 30 سنة أو 33 . ووقع في ابن سعد 7/2/131-132 أنه مات وهو ابن 61 سنة! وهو خطأ فاحش .

وهذا الحديث صحيح الإسناد . ولم أجده في غير هذا الموضوع من تفسير الطبري .

(55) الحديث : 3018- يونس : هو ابن أبي إسحاق السبيعي ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن سعد وغيرهما . مترجم في التهذيب ، والكبير 4/2/408 ، وابن سعد 6 : 252 ، وابن أبي حاتم 4/2/243-244 .

عبد الله : هو ابن معقل بن مقرن المزني ، مضت ترجمته : 3004 .

بلال : هو ابن رباح ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المهاجرين الأولين ، مات في طاعون عمواس ، سنة : 17 ، أو 18 . ولم يدركه عبد الله بن معقل المتوفى سنة : 88 . فالإسناد إليه ضعيف لانقطاعه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وسياتي تخريج الحديث في الإسناد التالي .

(56) الحديث : 3019- محمد بن أحمد الطوسي ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو؟ "عبد الله بن معقل" : بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف . وثبت في المطبوعة هنا "مغل" ، وهو تصحيف .

والحديث رواه أحمد في المسند 6 : 12 (حلي) عن يحيى بن آدم ، وأبي أحمد الزبيري - كلاهما عن إسرائيل ، بهذا الإسناد ، نحوه . ثم رواه 6 : 13 ، عن حسين بن محمد ، عن إسرائيل ، به . وهو حديث ضعيف ، لانقطاعه بين ابن معقل بن مقرن وبلال ، كما بينا .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 3 : 152 ، من رواية أحمد الأولى ، وقال : "رواه أحمد ، والطبراني في الكبير" . ثم ذكر رواية أحمد الثانية ، ثم قال : "ورجالهما رجال الصحيح" . ففاته أن يعلمه بالانقطاع .

وروى أحمد أيضًا 6 : 13 ، عن وكيع ، عن جعفر بن برقان ، عن شداد مولى عياض بن عامر ، عن بلال : "أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يؤذنه بالصلاة ، فوجده يتسحر في مسجد بيته" . وهذا ذكره الهيثمي أيضًا عن المسند ، ثم قال : "وشداد مولى عياض : لم يدرك بلالا" . وهو كما قال . (57) الأصمعيات : 28 من أبيات . يصف فرسا خرج عليه للصيد ، واللسان (خيطة) . وفي الأصمعيات : "خير أنارا" ولا معنى لها . والسدفة : ظلمة الليل في لغة نجد ، والضوء في لغة قيس ، وهي أيضًا : اختلاط الضوء والظلمة جميعا ، كوقت ما بين صلاة الفجر إلى أولى الإسفار . قال عمارة : ظلمة فيها ضوء من أول الليل وآخره ، ما بين الظلمة إلى الشفق ، وما بين الفجر إلى الصلاة . وأراد أبو دؤاد اختلاط الظلمة والضوء . ولاح : بدا وظهر من بعيد . والخيط : اللون هنا يكون ممتدا كالخيط .

(58) جمع القائلين ، بعد الأفراد .

(59) ما بين القوسين زيادة لا بد منها لسياق الجملة .

(60) عاد مرة أخرى فأفرد القائل بعد جمع القائلين . ولولا الضمائر الكثيرة التي تمنع ظن التحريف أو التصحيف في جمل متتابعة . لغيرتها . ولعل أبا جعفر كان يسهو أحيانا عن مثل ذلك . لجوازه في العربية .

(61) هكذا جاء في المطبوعة ، ولم أملك أن أغيره ، لأن كلامه دال على أنه يجعله مصدرا ، لقولهم : "تفجر" بالتاء وتشديد الجيم . وكأنه يحمله على أنه من المصادر التي جاءت على غير بناء أفعالها . كما مضى ذلك أنفاً في 1 : 116-118 . وانظر تفسير "التفجر" فيما سلف 2 : 238 .

(62) الحديث : 3022- عبدة : هو ابن سليمان .

عاصم : هو ابن عمر بن الخطاب ، وهو تابعي ثقة ، ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووقع في المطبوعة هنا عاصم بن عمرو" ، وهو خطأ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والحديث رواه بنحوه ، أحمد في المسند : 192 ، 383 ، عن وكيع ، عن هشام ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضًا : 231 ، عن ابن نمير ، و 338 ، عن سفيان بن عيينة - كلاهما عن هشام .

ورواه البخاري 4 : 171 (فتح) ، من طريق ابن عيينة .

ورواه مسلم 1 : 303 ، من طريق أبي معاوية ، وابن نمير ، وأبي أسامة - ثلاثهم عن هشام .

ورواه أبو داود : 2351 ، عن أحمد بن حنبل ، عن وكيع ، وعن مسدد . عن عبد الله بن داود - كلاهما عن هشام بن عروة .
(63) الحديث : 3023- رواه الطبري بأسانيد ، تجتمع كلها في أبي إسحاق الشيباني .

فرواه عن هناد بن السري ، عن ثلاثة شيوخ : عن أبي بكر بن عياش ، وأبي عبيدة ، وأبي معاوية . ورواه عن محمد بن المثنى ، عن أبي معاوية . ورواه عن أبي السائب سلم بن جنادة ، عن عبد الله بن إدريس الأودي - كلهم عن أبي إسحاق الشيباني ، واسمه : سليمان بن أبي سليمان ، عن عبد الله بن أبي أوفى .

أبو عبيدة : هو عبد الواحد بن واصل الحداد ، وهو ثقة من شيوخ أحمد . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم 3/1/24 ، وتاريخ بغداد 11 : 3-5 .

ووقع في المطبوعة في هذا الجزء من الإسناد : "حدثنا أبو عبيدة وأبو معاوية ، عن شيبان" . وهو خطأ واضح ، ليس لشيبان صلة بهذا الإسناد . صوابه : "عن الشيباني" ، كما أثبتناه .

والحديث رواه البخاري 4 : 156 ، من طريق سفيان بن عيينة ، و 171-172 ، من طريق خالد بن عبد الله الواسطي ، و 172 ، من طريق عبد الواحد بن زياد العبدي ، و 173 ، من طريق أبي بكر بن عياش . ورواه مسلم 1 : 303 ، من طريق هشيم ، وعلي بن مسهر ، وعباد بن العوم ، وعبد الواحد بن زياد ، وسفيان ، وجريز ، وشعبة . ورواه أبو داود : 2352 ، من طريق عبد الواحد بن زياد - كلهم عن أبي إسحاق الشيباني ، به ، نحوه .

جدح السويق في اللبن أو الماء : إذا خاضه وحركه حتى يختلط ويستوي . وقوله : "ضرب بيده" ، يعني أشار بيده ماذا يده كفعل الضارب . و"ضرب" فعل من الأفعال التي تقع على كثير من الأعمال إلا قليلا . يقال : "ضرب في الأرض" ، و"ضرب بيده إلى الشيء" ، أهوى إليه ، و"ضرب على يده" ، و"ضرب يده إلى عمل كذا" .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(64) الأثر : 3024- رفيع ، هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي ، ذكر مئات من المرات بكنيته . أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بستين . مات سنة 90 . وداود هو ابن أبي هند . وانظر الإسنادين التاليين .

(65) الخبر : 3030- ابن أبي بكر المقدمي : هو أبو عثمان أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدمي ، شيخ الطبري . و"الفروي" بفتح الفاء وسكون الراء : هو إسحاق بن محمد بن أبي فروة ، وقد سبق مثل هذا الإسناد إلى مالك : 876 . ولكن قال الطبري هناك : "حدثنا أبو عثمان المقدمي" . وهنا لم يذكر اسمه ولا كنيته ، بل نسبه إلى جده .

(66) "الخموصة" مصدر خمص بطنه خمصا (بسكون الميم وفتحها) وخماصة . ولم يذكرها "الخموصة" في كتب اللغة ، وهو عربي عريق كقولهم : الفسالة والفسولة ، والرذالة والرذولة ، وفارس بين الفراسة والفروسة ، ورجل جلد بين الجلادة والجلودة ، وبطل بين البطالة والبطولة ، وأشباه ذلك .

(67) اخشوشن الرجل : لبس الخشن وتعوده ، وأكل الخشن ، وعاش عيشنا خشنا وبالغ في التخشن . وتمعدد الرجل : تشبه بعيش معد بن عدنان في التشظف وترك التزيي بزي العجم . يعني : اصبروا على عيش معد في الحضر والسفر ، وتشبهوا بلباسه ، ودعوا زي الأعاجم . النزو : الوثب ، يأمرهم أن يثبوا على الخيل وثبا بلا استعانة بركاب . والركب جمع ركاب : وهو ما يكون في سرج الفرس يضع الراكب فيه رجله ، فإذا كان مثله في رحل البعير سمي "الغرز" .

(68) الأثر : 3032- ابن أبي نعم ، هو "عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي" الكوفي العابد . قال بكير بن عامر : لو قيل لعبد الرحمن : "قد توجه ملك الموت إليك يريد قبض روحك!" ما كانت عنده زيادة على ما هو فيه . وكان صبورا على الجوع الدائم ، وهو الذي دخل على الحجاج في أيام الجماجم فوعظه . وأخذته الحجاج ليقتله ، وأدخله بيتا مظلما ، وسد الباب خمسة عشر يوما ، ثم أمر بالباب ففتح ليخرج فيدفن . فدخلوا عليه فإذا هو قائم يصلي . فقال له الحجاج : سر حيث شئت .

(69) الحديث : 3033- يحيى بن سعيد : هو القطان .

عبيد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم ، مضت ترجمته : 2740 . ووقع في المطبوعة هنا "عن عبد الله" - يعني بالتكبير . و"عبد الله" : هو العمري ، وهو أخو "عبيد الله" . بالتصغير - في هذا الإسناد ، لأن القطان رواه عن "عبيد الله" ، ولأن القطان كان لا يحدث عن "عبد الله" ، كما روي ذلك عند ابن أبي حاتم 2/2/109 في ترجمة "عبد الله" ، وكذلك نقل في التهذيب في ترجمته .

والحديث رواه أحمد في المسند : 4721 ، عن يحيى القطان ، عن عبيد الله ، بهذا الإسناد . ورواه أيضًا : 5795 ، عن محمد بن عبيد ، و 6299 ، عن ابن نمير - كلاهما عن عبيد الله . وكذلك رواه مسلم 1 : 303 ، من طريق ابن نمير .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورواه مالك في الموطأ ، ص : 300 ، عن نافع ، عن ابن عمر . وكذلك رواه أحمد : 5917 ، 6125 . والبخاري 4 : 177 - كلاهما من طريق مالك .

ورواه أحمد أيضًا : 6416 ، ومسلم 1 : 303- كلاهما من طريق عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافع .

وأما رواية "عبد الله" العمري - فقد رواه أحمد : 4752 ، عن وكيع ، عن العمري ، عن نافع .

(70) الحديث : 3034- شعيب : هو ابن الليث بن سعد الإمام ، وهو ثقة معروف ، أخرج له مسلم وغيره . ووقع في المطبوعة "أبو شعيب" ! وزيادة "أبو" خطأ ، لا معنى لها ولا موضع .

يزيد بن الهاد : هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، مضت ترجمته في : 2031 .

عبد الله بن خباب -بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء الموحدة- مولى بني عدي بن النجار : تابعي ثقة ، وثقه أبو حاتم والنسائي ، وروى له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه البخاري 4 : 177 ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، بهذا الإسناد .

ورواه أحمد في المسند : 11070 (3 : 8 حليبي) ، عن قتيبة بن سعيد ، عن بكر بن مضر ، عن ابن الهاد - وكذلك رواه أبو داود : 2361 ، عن قتيبة .

ورواه أحمد أيضًا : 11845 (3 : 87 حليبي) ، عن أبي سعيد ، عن عبد الله بن جعفر عن ابن الهاد .

ورواه البخاري أيضًا 4 : 181 ، من طريق ابن أبي حازم ، عن ابن الهاد .

وذكره السيوطي 1 : 200 ، ونسبه للبخاري وأبي داود؟

وذكره أيضًا ابن كثير 1 : 426 ، وقال : "أخرجاه في الصحيحين" فوهم وهما شديدا ، رحمه الله فإن مسلما لم يخرج في صحيحه . وقد نص الحافظ في الفتح 4 : 217 ، في آخر كتاب الصيام ، على أنه من أفراد البخاري . (71) الحديث : 3035- أبو نعيم : هو الفضل بن دكين -بضم الدال المهملة وفتح الكاف- ثقة حافظ من شيوخ أحمد ، قال أحمد : "هو على قلة روايته أثبت من وكيع" ، وقال أيضًا : "كان يقظان في الحديث ، عارفا به" .

أبو إسرائيل العبسي : هو إسماعيل بن خليفة الملائني - بضم الميم وتخفيف اللام وهمزة بعد الألف . وهو ضعيف ، بينا ضعفه في شرح المسند : 974 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

أبو بكر بن حفص : هو عبد الله بن حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص . وهو تابعي ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

أم ولد حاطب بن أبي بلتعة : لم أعرف من هي ، ولا وجدت لها ترجمة ولا ذكرا . ولو صح الإسناد إليها لم يكن بذلك بأس ، لأن جهالة الصحابي لا تضر . ولكن الإسناد ضعيف .

وهذا الحديث لم أجده عند أحد غير الطبري . وقد نقله عنه ابن كثير 1 : 426 ، بإسناده . ولم يزد شيئا في تخريجه . ولم يذكره السيوطي . (72) الأثر : 3036- أبوه ، هو زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة الفقيه مولى عمر . روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة وعائشة وطائفة من أصحاب رسول الله ، كان ثقة من أهل الفقه والعلم ، وكان عالما بتفسير القرآن . مات سنة 136 .

(73) انظر تفسير"المباشرة" فيما سلف قريبا : 503-505 .

(74) انظر تفسير"العكوف" فيما سلف من هذا الجزء 3 : 41 ، 42 .

(75) ديوانه : 153 ، واللسان (بنو) غير منسوب عن ثعلب ، ورواه : "بينهن قتيل" . وقال الثعالبي في المضاف والمنسوب : 219 : "بنات الليل" : الأحلام ، والنساء ، وأهوال الليل ، والمنى ، ويكلها جاء الشعر" . وأراد الطرمح : ما يعالج من ذكرى صاحبه ، وما يخالط ذلك من منى وهموم وشقاء يشقى به من حسرة وشوق ولهفة . وهو بيت جميل المعنى ، جيد التصوير . جعل ذكرياته قد استدارت حوله تبكي عليه ، وهو بينهن صريع قد قضى نحبه . (76) ديوانه : 561 ، والنقائص : 563 ، من أبيات جياذ يصف فيها قدور أهله الكرام ، يقول قبله :

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ قُدُورَنَا

صَوَامِنُ لِلأَزْرَاقِ وَالرَّيْحُ رَفْرَفُ

تَعَجَّلُ لِلصَّيْفَانِ فِي المَحَلِّ بِالقِرَى

قُدُورًا بِمَعْبُوطٍ، ثُمَّ دُ وُتَعْرَفُ

تُقَرَّرُ فِي شِيزَى كَأَنَّ جِفَانَهَا

حِيَاضُ جَبِّي، مِنْهَا مِلَاءٌ وَنُصْفُ

الشيبي : خشب منه القدور تصنع . حياض جبي : حياض يجمع فيها الماء فهي ملأى أبدا . والمعنفون : الذين جاءوا يطلبون الرزق . يصفهم جياعا قد ثبتوا

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

في أماكنهم ينتظرون ، متلهفين وهم يكظمون أنفسهم ، قد ماتت أصواتهم ،
كانهم عباد قد خشعوا وخضعوا وأملوا .
(77) في الموطأ : 318 بنصه .

(78) الحديث : 3052- هكذا رواه مالك في الموطأ ، ص : 312 ، عن الزهري ،
عن عروة بن الزبير ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة . فزاد في
الإسناد "عمرة" بين عروة وعائشة .

وكذلك رواه مسلم 1 : 95 ، وأبو داود : 2467 - كلاهما من طريق مالك .
وكذلك رواه الترمذي 2 : 72 ، من طريقه ، مع خطأ من الناسخين . وقال أبو
داود : "لم يتابع أحد مالكا على "عروة عن عمرة" . ورواه معمر بن زياد بن سعد
وغيرهما : عن الزهري : عن عروة ، عن عائشة" . وقال الترمذي : "هكذا رواه
غير واحد : عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عمرة ،
عن عائشة . والصحيح : عن عروة وعمرة ، عن عائشة . هكذا روى الليث ،
عن ابن شهاب ، عن عروة وعمرة ، عن عائشة" .

وقال الحافظ في الفتح 4 : 236 "واتفقوا على أن الصواب قول الليث ، وأن
الباقيين اختصروا منه ذكر عمرة ، وأن ذكر عمرة في رواية مالك - من
المزيد في متصل الأسانيد" . وهذا من الحافظ -عندي- تكلف لا داعي له .
ومالك ، على إمامته وعلمه وحفظه . يخطئ كما يخطئ الناس ، فالظاهر أنه
نسي في بعض أحيانه ، فجعل "عروة عن عمرة" بدل "عروة وعمرة" . وقد ثبت
عن مالك أنه كان يرويه أحيانا على الصواب ، كما يظهر مما يأتي في :
3056 .

(79) الحديث : 3053- يونس ، شيخ الطبري : هو ابن عبد الأعلى الصدفي -
بفتح الصاد والبدال المهملتين . مضت ترجمته : 1679 .

ويونس - شيخ ابن وهب : هو ابن يزيد الأيلي . مضت ترجمته : 2377 .

وهذا الحديث تكرر للذي قبله . وقد رواه يونس عن الزهري ، عن عروة بن
الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن -معا- عن عائشة ، على الصواب .

وقد تابعه على ذلك الليث بن سعد عن الزهري . فرواه البخاري 4 : 236 ،
ومسلم 1 : 95-96 . وأبو داود : 2468 ، والترمذي 2 : 72 - كلهم من طريق
الليث ، عن الزهري ، عن عروة وعمرة -معا- عن عائشة .
(80) الحديث : 3054- سفيان بن وكيع : فيه ضعف ، كما قدمنا مرارا . ولكنه
لم ينفرد بروايته من هذا الوجه ، كما سنذكر .

فقد رواه ابن ماجه : 1778 ، عن علي بن محمد ، عن وكيع ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه البخاري 4 : 236 ، من طريق يحيى و 10 : 310 ، من طريق
مالك . ورواه مسلم 1 : 96 ، من طريق أبي خيثمة . ورواه أبو داود :

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

2469 . من طريق حماد بن زيد . والنسائي 1 : 68 ، من طريق مالك أيضًا -
كلهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . والحديث مكرر ما قبله .
(81) الحديث : 3055- سفيان : هو ابن وكيع . ابن فضيل : هو محمد .

تميم بن سلمة السلمى الكوفى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . والحديث
رواه أيضًا النسائي 1 : 68 ، من طريق الفضيل بن عياض ، عن الأعمش .
بهذا الإسناد .

وهو مكرر ما قبله .
(82) الحديث : 3056- محمد بن معمر ، شيخ الطبري : مضت ترجمته :
241 . حماد بن مسعدة البصرى : ثقة من شيوخ أحمد وإسحاق ، وثقه ابن
سعد ، وأبو حاتم . وغيرهما . والحديث مكرر ما قبله .

وقد روى حماد بن مسعدة هذا الحديث عن مالك - على الصواب : أنه من
رواية مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة ، وعن هشام بن عروة عن
أبيه عن عائشة ، دون وساطة "عمرة" بين عروة وخالته عائشة . خلافاً للرواية
التي في الموطأ بإثبات الوساطة . والتي مضى مثلها : 3052 من رواية معن
بن عيسى عن مالك . فكان مالكا سها في تلك الرواية ، حين جعل "عمرة"
بين عروة وعائشة ، وكان يذكر الصواب أحيانا ، فيرويه من حديث عروة عن
عائشة مباشرة . والحديث ثابت من رواية عروة عن عائشة ، ومن رواية
عمرة عن عائشة ، سمعه الزهري كذلك من عروة ، ومن عمرة ، كما بينا
في : 3053 . وسمعه هشام بن عروة من أبيه عن عائشة ، كما مضى في
3054 ، وفي طرقه التي خرجناها هناك .

وكذلك رواه البخاري من هذا الوجه ، ولكنه فرقه حديثين بإسناد واحد : فرواه
10 : 310 ، عن عبد الله بن يوسف : "أخبرنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن
عروة بن الزبير ، عن عائشة" - فذكره مختصرا . ثم قال : "حدثنا عبد الله بن
يوسف ، أخبرنا مالك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة - مثله" .

وقد تابعه على ذلك معمر - في الزهري . فرواه البخاري 4 : 246 ، من
طريق هشام بن يوسف . ورواه النسائي 1 : 68 ، من طريق عبد الأعلى -
كلاهما عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة .

وبؤيده هذه الرويات - في أن عروة رواه عن عائشة مباشرة : رواية مسلم
إياه 1 : 96 ، من رواية عمرو بن الحارث ، عن محمد بن عبد الرحمن بن
نوفل ، عن عروة ، عن عائشة ، دون واسطة .
(83) انظر ما سلف مثل ذلك في 2 : 300 ، ثم الآية : 85 من سورة البقرة
2 : 303 لم يذكر فيها شيئا من ذلك . ولم يبين هذا البيان فيما سلف . وهذا
دليل على أنه كان أحيانا يختصر الكلام اختصارا ، اعتمادا على ما مضى من
كلامه ، أو ما يستقبل منه . كما قلت في مقدمة التفسير .
(84) انظر تأويل مشكل القرآن : 114 ، هذا بنصه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(85) هو ثعلبة بن عمرو (حزن) العبدي ، ابن أم حزنة . ويقال هو من بني شيبان حليف في عبد القيس . وكان من الفرسان (الاشتقاق لابن دريد : 197) . وانظر التعليق التالي .

(86) المفضليات : 513 ، وتأويل مشكل القرآن : 114 ، معجم ما استعجم : 1038 . وفي المطبوعة : "ليس لنا" ، وأثبت ما في المراجع ، وكأنها الصواب . ويقال : ليس بالدار عريب ، أي ليس بها أحدا . و"النسير" ، تصغير"النسر" ، وهو مكان بديار بني سليم . بيد أن ياقوت نقل عن الحازمي أنه بناحية نهاوند ، واستشهد بهذا البيت . فإن يكن ذلك فابن أم حزنة هذا إسلامي : قال ياقوت ، قال سيف : "سار المسلمون من مرج القلعة نحو نهاوند ، حتى انتهوا إلى قلعة فيها قوم ، ففتحوها ، وخلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحنيفة . وفتحها بعد فتح نهاوند ، ولم يشهد نهاوند عجلي ولا حنفي ، لأنهم أقاموا مع النسير على القلعة ، فسميت به" (انظر تاريخ الطبري 4 : 243 ، 251) .

فإن صح أن ابن أم حزنة كان في بعث المسلمين ، كان هذا البيت مؤيدا لهذا القول . فإنه يقول له : أنا وأنت ببطن النسير ، ليس معنا فيه من أبناء معد (وهم العرب) أحد . وأما عن الحازمي إذا كان الموضع ببلاد العرب ، فهو يقول : ليس به أحد ، وقوله "من معد" فضول من القول . وقد ترجح عندي أنه شاعر إسلامي ، من بعض شعره في المفضليات رقم 74 ، وفي الوحشيات رقم : 217 ، (وانظر من نسب إلى أمه رقم : 22 ، 32) ، وله شعر في حماسة البحري : 97 ، 103 .

وإن صحت رواية الطبري : "ليس لنا من معد عريب" . فعريب ، في هذا البيت ، هو صاحبه الذي ذكره في أول الشعر فقال :

إِنَّ عَرِيْبًا وَإِنْ سَاءَ نِي

أَحَبُّ حَيْبٍ وَأَدْنَى قَرِيْبٍ

فيكون قوله : "معد" مصدر"عد يعد" . يقول : أنا وأنت ببطن النسير وحدنا ، لا يعد معنا أحد ، يعني أنهما خاليين بالمكان ، ليس لك من ينصرك ولا لي من ينصرنني ، فهناك يظهر صاحب اللباس منهما ، وقال بعد البيت :

فَأُفْسَمَ بِاللَّهِ لَا يَأْتِي

وَأُفْسَمْتُ إِنْ نَلْتُهُ لَا يَوْوِبُ

فَأَقْبَلَ تَحْوِي عَلَى قُدْرَةٍ

فَلَمَّا دَنَا صَدَقْتَهُ الْكَدُوبُ

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (87) انظر ما سلف في تفسير "فريق" 2 : 224 ، 402 .
(88) انظر ما سلف في تفسير "الإثم" من هذا الجزء 3 : 399-408 .
(89) في المطبوعة : "معصية الله" ، خطأ .
(90) في المطبوعة : "ويأخذ مما قضي به .." ، والصواب ما أثبت من تفسير ابن كثير 1 : 430 .
(91) السبب : الحبل .
(92) في المطبوعة : "على الظرف" ، وهو محض خطأ . وقد مضى تفسير معنى "الصرف" في 1 : 569-570 ، والتعليق : 1 .
(93) سلف تخريج هذا البيت في 1 : 569 ، إلا أنني سهوت فلم أذكر أنه آت في هذا الموضع من التفسير ، وفي 9 : 146 (بولاق) ، فقيده . وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء 1 : 115 .
(94) هكذا جاء في هذه الآثار 3068 ، 3070 ، 3072 ، 3073 "حل ديونهم" . والذي في كتب اللغة : "حل الدين يحل حلولا ومحلا (يكسر الحاء)" : أي وجب . وأستظهر أن يكون هذا المصدر "حلا" بفتح الحاء كنظائرها من اللغة كقولهم : "صد يصد صدا وصدودا" ، ولو كسرت الحاء لكان وجهها . وهذه الرواية قاضية على صحة هذا المصدر .
(95) الخبر : 3074- جابر : هو ابن يزيد الجعفي ، بينا أنه ضعيف جدا ، في : 2340 . وأما شيخه "عبد الله بن يحيى" : فما عرفت من هو؟ وأكبر ظني أن الاسم محرف ، لم أستطع الوصول إلى صحته .

وهذا الخبر لم يذكره ابن كثير ، ولا السيوطي . وإنما أشار إليه ابن كثير إشارة 1 : 430 .

- وقد ورد معناه مرفوعا ، في حديث صحيح ، رواه الحاكم 1 : 423 ، من حديث عبد الله بن عمر . وصححه ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير 1 : 430 ، من رواية عبد الرزاق ، ثم أشار إلى رواية الحاكم إياه . وذكره السيوطي 1 : 203-204 ، ونسبه أيضاً للبيهقي .
(96) الحديث : 3075- رواه أبو داود الطيالسي : 717 ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، نحوه . ورواه البخاري مطولا 3 : 494 ، عن أبي الوليد ، عن شعبة ، بهذا الإسناد .

وذكره السيوطي 1 : 204 ، وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وسيأتي معناه بإسناد آخر ، عقبه .
(97) الحديث : 3076- هو مكرر ما قبله . وهو في تفسير وكيع ، كما ذكر السيوطي 1 : 204 .

ورواه البخاري 8 : 137 ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، بهذا الإسناد .
(98) الحديث : 3077- داود : هو ابن أبي هند ، مضت ترجمته : 1608 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيس بن حنتر النهشلي التميمي : تابعي ثقة ، وثقه أبو زرعة ، والنسائي ، وغيرهما .

"حنتر" : بفتح الحاء المهملة والتاء المثناة بينهما باء موحدة ساكنة . ووقع في المطبوعة هنا "جبر" ، وهو تصحيف . ووقع أيضاً هكذا مصحفاً في المواضع التي سنشير إليها من الفتح والإصابة والدر المنثور ، في هذا الحديث .

وهذا إسناد مرسل ، لأنه عن تابعي مرفوعاً ، فهو ضعيف .

والحديث ذكره السيوطي 1 : 204 ، وزاد نسبه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

وذكره الحافظ في الإصابة 2 : 209 ، من تفسير عبد بن حميد . وذكره أيضاً في الفتح 3 : 494 ، مختصراً ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن جرير ، وصرح في الموضوعين بأنه حديث مرسل .

الأحمس : هو المتشدد فيه دينه الصلب . ثم كانت الحمس (جمع أحمس) هم قريش . وخزاعة ، لنزولها مكة ومجاورتها قريشا ، وكل من ولدت قريش من العرب وكنانة ، وجديلة قيس - وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة ، وكل من نزل مكة من قبائل العرب . فكانت الحمس قد شددوا في دينهم على أنفسهم ، فكانوا إذا نسكوا لم يسألوا سمنا ، ولم يطبخوا أقطا ، ولم يدخروا لبنا ، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه ، ولم يحركوا شعرا ولا ظفرا ، ولا يبتنون في حجهم شعرا ولا وبراً ولا صوفاً ولا قطناً ، ولا يأكلون لحماً ، ولا يلبسون إلا جديداً ، ولا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم ، ولا يمشون المسجد بأقدامهم تعظيماً لبقعته ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يخرجون إلى عرفات ، يقولون : "نحن أهل الله" ، ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم ، ويطوفون بالصفة والمروة إذا انصرفوا من مزدلفة ، ويسكنون في ظعنهم قباب الأدم الحمر (المحبر لابن حبيب : 178-180 ، ثم سيرة ابن هشام 1 : 211-216 / والطبري في التفسير رقم : 3840) .

(99) انظر ما سلف 1 : 249-250 .

(100) انظر ما سلف 2 : 471-483 ، وهذا الجزء 3 : 385 .

(101) في المطبوعة في الموضوعين : "فيه قتال" ، وهو خطأ .

(102) انظر تفسير "الاعتداء" فيما سلف 2 : 307 ، وهذا الجزء 3 : 376 ثم : 573 .

القول في تأويل قوله تعالى : **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مقاتلهم وأمكنكم قتلهم، وذلك هو معنى قوله: " حيث ثقفتموهم " .

ومعنى " التَّقَفَةُ " بالأمر (1) الجِدْقُ به والبصر، يقال: " إنه لَتَقَفَ لَقْفٌ "، إذا كان جيد الحذر في القتال، بصيرا بمواقع القتل. وأما " التَّقِيفُ " فمعنى غير هذا، وهو التقويم.

فمعنى: " واقتلوهم حيث ثقفتموهم "، اقتلوهم في أي مكان تمكنتم من قتلهم، وأبصرتم مقاتلهم.

< 3-565 >

وأما قوله: " وأخرجوهم من حيث أخرجوكم " فإنه يُعْنَى بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ومنازلهم بمكة، فقال لهم تعالى ذكره: أخرجوا هؤلاء الذين يقاتلونكم - وقد أخرجوكم من دياركم - من مساكنهم وديارهم كما أخرجوكم منها.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " والفتنة أشد من القتل "، والشرك بالله أشد من القتل.

وقد بينت فيما مضى أن أصل " الفتنة " الابتلاء والاختبار (2)

فتأويل الكلام: وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركا بالله من بعد إسلامه، أشد عليه وأضر من أن يُقتل مقيماً على دينه متمسكا عليه، مُحَقَّقاً فيه. كما:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3096 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: "والفتنة أشد من القتل" قال: ارتداد المؤمن إلى الوثن أشد عليه من القتل.

3097 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

3098 - حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: "والفتنة أشد من القتل" يقول: الشرك أشد من القتل.

< 3-566 >

3099 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال، أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

3100 - حدثت عن عمار بن الحسن، قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "والفتنة أشد من القتل" يقول: الشرك أشد من القتل.

3101 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير، عن جوبير، عن الضحاك: "والفتنة أشد من القتل" قال: الشرك.

3102 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني حجاج، قال، قال ابن جريح، أخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد في قوله: "والفتنة أشد من القتل" قال: الفتنة الشرك.

3103 - حدثت عن الحسين بن الفرج، قال، سمعت الفضل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك: "والفتنة أشد من القتل" قال: الشرك أشد من القتل.

3104 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد في قوله جل ذكره: "والفتنة أشد من القتل" قال: فتنة الكفر.

القول في تأويل قوله تعالى: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191)

قال أبو جعفر: والقرأة مختلفة في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قراء المدينة ومكة: "ولا تُقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم" بمعنى: ولا تبتدئوا - أيها المؤمنون - > 3-567 < المشركين بالقتال عند المسجد الحرام، حتى يبدءوكم به، فإن بدءوكم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

به هناك عند المسجد الحرام في الحرم، فاقتلوهم، فإن الله جعل ثواب الكافرين على كفرهم وأعمالهم السيئة، القتل في الدنيا، والخزي الطويل في الآخرة، كما:

3105- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه " كانوا لا يُقاتلون فيه حتى يُبدأوا بالقتال، ثم نسخ بعد ذلك فقال: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ = حتى لا يكون شرك = وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ = أن يقال: لا إله إلا الله، عليها قاتل نبي الله، وإليها دعا.

3106- حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا همام، عن قتادة: " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم "، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يقاتلهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدعوا فيه بقتال، ثم نسخ الله ذلك بقوله: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [سورة التوبة: 5] فأمر الله نبيه إذا انقضى الأجل أن يقاتلهم في الجبل والحرم وعند البيت، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

3107- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه " فكانوا لا يقاتلونهم فيه، ثم نسخ ذلك بعد فقال: قاتلوهم حتى لا تكون فتنة.

وقال بعضهم: هذه آية محكمة غير منسوخة.

* ذكر من قال ذلك:

3108- حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: " فإن قاتلوكم " في الحرم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين، < 568-3 > لا تقاتل أحدا فيه، فمن عدا عليك فقاتلك فقاتله كما يقاتلك.

وقرأ ذلك عظم قراء الكوفيين: " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم " بمعنى: ولا تبدأوهم بقتل حتى يبدأوكم به.

* ذكر من قال ذلك:

3109 - حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن أبي حماد، عن حمزة الزيات قال: قلت للأعمش: رأيت قراءتك: " "

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ولا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "، إِذَا قَتَلْتُمُوهُمْ كَيْفَ يَقْتُلُونَهُمْ؟ قَالَ: إِنْ الْعَرَبُ إِذَا قَتَلَتْ مِنْهُمْ رَجُلًا قَالُوا: " قُتِلْنَا "، وَإِذَا ضُرِبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ قَالُوا: " ضَرَبْنَا " (3) .

قال أبو جعفر: وأولى هاتين القراءتين بالصواب، قراءة من قرأ: " ولا تُقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم " لأن الله تعالى ذكره لم يأمر نبيّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حال = إذا قاتلهم المشركون = بالاستسلام لهم حتى يقتلوا منهم قتيلا بعد ما أذن له ولهم بقتالهم، فتكون القراءة بالإذن بقتلهم بعد أن يقتلوا منهم، أولى من القراءة بما اخترنا. وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أنه قد كان تعالى ذكره أذن لهم بقتالهم إذا كان ابتداء القتال من المشركين قبل أن يقتلوا منهم قتيلا وبعد أن يقتلوا منهم قتيلا.

وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، > 3-569 < وقوله: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [سورة التوبة: 5] ونحو ذلك من الآيات.

وقد ذكرنا بعض قول من قال هي منسوخة، وسنذكر قول من حضرنا ذكره ممن لم يذكر.

3110 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: " ولا تُقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه " قال: نسخها قوله: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ .

3111 - حدثني يونس، قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه " قال: حتى يبدأوكم، كان هذا قد حُرِّمَ فأحل الله ذلك له، فلم يزل ثابتا حتى أمره الله بقتالهم بعد.

القول في تأويل قوله تعالى : فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: فإن انتهى الكافرون الذين يقاتلونكم عن قتالكم وكفرهم بالله، فتركوا ذلك وتابوا، " فإن الله غفور " لذنوب من آمن منهم وتاب من شركه، وأتاب إلى الله من معاصيه التي سلفت منه وأيامه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

التي مَصَّتْ = "رحيم" به في آخرته بفضلته عليه، وإعطائه ما يعطى أهل طاعته من الثواب بإنابته إلى محبته من معصيته. كما:

3112 - حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "فإن انتهوا" = "فإن تابوا" = "فإن الله غفورٌ رحيم".

< 3-570 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة = يعني: حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان، كما قال قتادة فيما:

3113- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" قال: حتى لا يكون شرك.

3114- حدثنا الحسن بن يحيى، قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" قال: حتى لا يكون شرك.

3115 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" قال: الشرك " ويكون الدين لله "

3116- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

3117 - حدثني موسى بن هارون، قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" قال: أما الفتنة فالشرك.

3118 - حدثني محمد بن سعد، قال، حدثني أبي، قال، حدثني عمي، قال، حدثني أبي، عن ابن عباس قوله: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة"، يقول: قاتلوا حتى لا يكون شرك.

< 3-571 >

3119 - حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" أي شرك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3120- حدثني يونس، قال، أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد في قوله: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" قال: حتى لا يكون كفر، وقرأ تُقَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا [سورة الفتح: 16].

3121- حدثني علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح، قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" يقول: شرك.

وأما "الدين"، الذي ذكره الله في هذا الموضع (4) فهو العبادة والطاعة لله في أمره ونهيه، من ذلك قول الأعشى:

هُوَ دَانَ الرَّبَّابَ، إِذْ كَرَهُوا الدِّي

نَ، دِرَاكًا بَعْرُوةً وَصِيَالٍ (5)

يعني بقوله: "إذ كرهوا الدين"، إذ كرهوا الطاعة وأبوها.

< 3-572 >

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

3122- حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: "ويكون الدين لله" يقول: حتى لا يُعبد إلا الله، وذلك "لا إله إلا الله"، عليه قاتل النبي صلى الله عليه وسلم وإليه دعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله".

3123- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: "ويكون الدين لله" أن يقال: "لا إله إلا الله". دُكِرَ لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "إن الله أمرني أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله". ثم ذكر مثل حديث الربيع.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " فَإِنِ انْتَهَوْا " فَإِنِ انْتَهَى الَّذِينَ يقاتلونكم من الكفار عن قتالكم، ودخلوا في ملتكم، وأقروا بما ألزمكم الله من فرائضه، وتركوا ما هم عليه من عبادة الأوثان، فدعوا الاعتداء عليهم وقتالهم وجهادهم، فإنه لا ينبغي أن يُعتدى إلا على الظالمين - وهم المشركون بالله، والذين تركوا عبادته وعبدوا غير خالقهم.

< 3-573 >

فإن قال قائل: وهل يجوز الاعتداء على الظالم فيقال: " فلا عدوان إلا على الظالمين "؟ (6) .

قيل: إن المعنى في ذلك على غير الوجه الذي إليه ذهبنا، وإنما ذلك على وجه المجازاة، لما كان من المشركين من الاعتداء، يقول: افعلوا بهم مثل الذي فعلوا بكم، كما يقال: " إن تعاطيت مني ظلما تعاطيته منك "، والثاني ليس بظلم، كما قال عمرو بن شأس الأسدي:

جَزَيْتَا دَوَى الْعُدْوَانِ بِالْأَمْسِ قَرَضَهُمْ

قِصَاصًا، سَوَاءً حَدَّوْكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ (7)

وإنما كان ذلك نظير قوله: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [سورة البقرة: 15] و قَيْسَخْرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ [سورة التوبة: 79] وقد بينا وجه ذلك ونظائره فيما مضى قبل (8) .

وبالذي قلنا في ذلك من التأويل قال جماعة من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

3124 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " فلا عدوان إلا على الظالمين " والظالم الذي أبى أن يقول: " لا إله إلا الله " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3125 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع. " فلا عُذوان إلا على الظالمين " قال: هم المشركون.

3126 - حدثني المثنى، قال، ثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا عثمان بن غياث، قال، سمعت عكرمة في هذه الآية: " فلا عدوان إلا على الظالمين "، > 3-574 < قال: هُم من أبى أن يقول: " لا إله إلا الله ".

وقال آخرون: معنى قوله: " فلا عدوان إلا على الظالمين " فلا تقاتل إلا من قاتل.

* ذكر من قال ذلك:

3127 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " فإن انتهوا فلا عُذوان إلا على الظالمين " يقول: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم.

3128 - حدثني المثنى، قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

3129 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي، قال: " فإن انتهوا فلا عُذوان إلا على الظالمين " فإن الله لا يحب العُدوان على الظالمين ولا على غيرهم، ولكن يقول: اعتدوا عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم.

قال أبو جعفر: فكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في قوله: " فإن انتهوا فلا عُذوان إلا على الظالمين " لا يجوز أن يقول: " فإن انتهوا " إلا وقد علم أنهم لا ينتهون إلا بعضهم، فكأنه قال: فإن انتهى بعضهم، فلا عُذوان إلا على الظالمين منهم، فأضمر كما قال: فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ [سورة البقرة: 196] يريد: فعليه ما استيسر من الهدى، وكما يقول: " إلى مَنْ تقصد أقصد " يعني: إليه.

وكان بعضهم ينكر الإضمار في ذلك ويتأوله: فإن انتهوا فإن الله غفورٌ رحيم لمن انتهى، ولا عُذوان إلا على الظالمين الذين لا ينتهون.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: " الشهر الحرام بالشهر الحرام " ذا القعدة، وهو الشهر الذي كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اعتمر فيه عُمره الحديبية، فصَّده مشركو أهل مكة عن البيت ودخول مكة، سنة ست من هجرته، وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين في تلك السنة، على أن يعود من العام المقبل، فيدخل مكة ويقيم ثلاثاً، فلما كان العام المقبل، وذلك سنة سبع من هجرته، خرج معتمراً وأصحابه في ذي القعدة - وهو الشهر الذي كان المشركون صدَّوه عن البيت فيه في سنة ست- وأخلى له أهل مكة البلد حتى دخلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقضى حاجته منها، وأتم عمرته، وأقام بها ثلاثاً، ثم خرج منها منصرفاً إلى المدينة، فقال الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمسلمين معه " الشهر الحرام " = يعني ذا القعدة، الذي أوصلكم الله فيه إلى حرمه وبيته، على كراهة مشركي قُريش ذلك، حتى قضيتم منه وطركم = " بالشهر الحرام "، الذي صدكم مشركو قريش العام الماضي قبله فيه حتى انصرفتم عن كره منكم عن الحرم، فلم تدخلوه، ولم تصلوا إلى بيت الله، فأقصَّكم الله أيها المؤمنون من المشركين بإدخالكم الحرم في الشهر الحرام على كره منهم لذلك، بما كان منهم إليكم في الشهر الحرام من الصدِّ والمنع من الوصول إلى البيت. كما:

3130 - حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا يوسف - يعني: ابن خالد السَّمْتِيّ - قال، حدثنا نافع بن مالك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: " والحرمات قِصاص " قال: هم المشركون، حبسوا محمداً صلى الله عليه وسلم < 3-576 > في ذي القعدة، فَرَجَّعه الله في ذي القعدة فأدخله البيت الحرام، فاقتص له منهم (9) .

3131 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه: " الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قِصاص " قال: فخرت قريش بردها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية محرماً في ذي القعدة عن البلد الحرام، فأدخله الله مكة في العام المقبل من ذي القعدة، فقضى عُمرته، وأقصَّه بما حيل بينه وبينها يوم الحديبية.

3132 - حدثني المثنى قال، حدثني أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

3133 - حدثنا بشر بن معاذ، قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قِصاص " أقبل نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاعتمروا في ذي القعدة ومعهم الهدى، حتى إذا كانوا بالحديبية صدَّهم المشركون، فصالحهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

على أن يرجع من عامه ذلك، حتى يرجع من العام المقبل فيكون بمكة ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بسلام ركب ويخرج، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فنجروا الهدى بالحديبية، وحلقوا وقصّروا. حتى إذا كان من العام المقبل، أقبل نبيُّ الله وأصحابه حتى دخلوا مكة، فاعتَمروا في ذي القعدة، فأقاموا بها ثلاث ليال، فكان المشركون قد فخرُوا عليه حين رُدُّوه يوم الحديبية، فأقصَّه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا رُدُّوه فيه في ذي القعدة، فقال الله: "الشهْرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحُرْماتِ قِصاصٌ".

< 3-577 >

3134 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، وعن عثمان، عن مقسم في قوله: "الشهْرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحُرْماتِ قِصاصٌ" قالوا كان هذا في سفر الحديبية، صدَّ المشركون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت في الشهر الحرام، فقاَضُوا المشركين يومئذٍ قِصِيَّةً: (10) أنَّ لكم أن تعتمروا في العام المقبل - في هذا الشهر الذي صدُّوهم فيه، فجعل الله تعالى ذكره لهم شهراً حراماً يعتمرون فيه، مكانَ شهرهم الذي صدُّوا، فلذلك قال: "والحُرْماتِ قِصاصٌ".

3135 - حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: "الشهْرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحُرْماتِ قِصاصٌ" قال: لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمرَةَ الحديبية في ذي القعدة سنة ستٍّ من مُهاجَرِهِ، صدَّه المشركون وأبوا أن يتركوه، ثم إنهم صالحوه في صلحهم على أن يُخلوا له مكة من عام قابل ثلاثة أيام، يخرجون ويتركونه فيها، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر من السنة السابعة، فحلُّوا له مكة ثلاثة أيام، فنكح في عُمرته تلك ميمونة بنت الحارث الهلالية.

3136 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير عن جوير، عن الضحاك في قوله: "الشهْرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحُرْماتِ قِصاصٌ"، أخصَّروا النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة عن البيت الحرام (11) فأدخله الله البيت الحرام العام المقبل، واقتصَّ له منهم، فقال: "الشهْرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحُرْماتِ قِصاصٌ".

3137 - حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، < 3-578 > عن أبيه، عن الربيع، قال: أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأحرموا بالعمرة في ذي القعدة ومعهم الهدى، حتى إذا كانوا بالحديبية صدَّهم المشركون، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع ذلك العام حتى يرجع العام المقبل، فيقيم بمكة ثلاثة أيام ولا يخرج معه بأحد من أهل مكة. فنجروا الهدى بالحديبية وحلقوا وقصّروا. حتى إذا كانوا من العام المقبل، أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة، فاعتَمروا في ذي القعدة، وأقاموا بها ثلاثة أيام، وكان المشركون قد فخرُوا عليه حين رُدُّوه يوم الحديبية، فقاَصَّ الله له منهم، وأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا رُدُّوه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فيه في ذي القعدة. قال الله جل ثناؤه: "الشهْرُ الحرام بالشهر الحرام والحرّمات قصاص".

3138- حدثني محمد بن سعد، قال، حدثني أبي، قال، حدثني عمي، قال، حدثني أبي، عن ابن عباس قوله: "والحرّمات قصاص" فهم المشركون، كانوا حبسوا محمدا صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة عن البيت، ففخروا عليه بذلك، فرجعه الله في ذي القعدة، فأدخله الله البيت الحرام واقتصّ له منهم.

3139 - حدثني يونس، قال، أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد في قوله: "الشهْرُ الحرام بالشهر الحرام" حتى فرغ من الآية، قال: هذا كله قد نُسخ، أمره أن يجاهد المشركين. وقرأ: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً [سورة التوبة: 36] وقرأ: قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ [سورة التوبة: 123] العرب، فلما فرغ منهم، قال الله جل ثناؤه: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَتَّى بَلَغَ قَوْلُهُ: وَهُمْ صَاغِرُونَ [سورة التوبة: 29] قال: وهم الروم. قال: فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

3140 - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس في هذه الآية: "الشهْرُ الحرام بالشهر الحرام" > 3- 579 < والحرّمات قصاص " قال: أمركم الله بالقصاص، [ويأخذ] منكم العدوان (12).

3141 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال، قلت لعطاء، وسألته عن قوله: "الشهْرُ الحرام بالشهر الحرام والحرّمات قصاص" قال: نزلت في الحديدية، مُنعوا في الشهر الحرام، فنزلت: "الشهر الحرام بالشهر الحرام": عمرة في شهر حرام، بعمرة في شهر حرام.

قال أبو جعفر: وإنما سمي الله جل ثناؤه ذا القعدة "الشهْرُ الحرام"، لأن العرب في الجاهلية كانت تحرّم فيه القتال والقتل، وتضع فيه السلاح، ولا يقتل فيه أحدٌ أحدًا، ولو لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه. وإنما كانوا سموه "ذا القعدة" لقعودهم فيه عن المغازي والحروب، فسماه الله بالاسم الذي كانت العرب تُسمّيه به.

وأما "الحرّمات" فإنها جمع "حُرْمَة"، كالظلمات "جمع" ظلمة"، "والحجرات" جمع "حُجْرَة". وإنما قال جل ثناؤه: "والحرّمات قصاص" فجمع، لأنه أراد: الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحرمة الإحرام.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال جل ثناؤه لنبيه محمد والمؤمنين معه: دخولكم الحرم، بإحرامكم هذا، في شهركم هذا الحرام، قصاصٌ مما مُنعتُم من مثله عامكم الماضي، وذلك هو "الحرمان" التي جعلها الله قصاصًا.

وقد بينا أن "القصاص" هو المجازاة من جهة الفعل أو القول أو البدن، وهو في هذا الموضع من جهة الفعل (13).

< 3-580 >

القول في تأويل قوله تعالى: **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه قوله: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم".

فقال بعضهم بما:

3142- حدثني به المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح، قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" فهذا ونحوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل، وليس لهم سلطانٌ يقهرُ المشركين، وكان المشركون يتعاطونهم بالشتيم والأذى، فأمر الله المسلمين، مَنْ يجازي منهم أن يجازي بمثل ما أتى إليه أو يصبر أو يعفو فهو. أمثل فلما هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأعزَّ الله سلطانه أمرَ المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى سلطانهم، وأن لا يعدو بعضهم على بعض كآهل الجاهلية.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فمن قاتلكم أيها المؤمنون من المشركين، فقاتلوهم كما قاتلوكم. وقالوا: أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وبعد عُمره القصية.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3143 - حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال مجاهد: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " فقاتلوهم فيه كما قاتلوكم.

قال أبو جعفر: وأشبه التأويلين بما دلّ عليه ظاهر الآية، الذي حُكي عن > 3-581 < مجاهد، لأن الآيات قبلها إنما هي أمرٌ من الله للمؤمنين بجهاد عدوهم على صفة، وذلك قوله: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَالْآيَاتِ بَعْدَهَا، وقوله: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه " إنما هو في سياق الآيات التي فيها الأمرُ بالقتال والجهاد، واللهُ جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة.

فمعلوم بذلك أن قوله: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " مدنيٌّ لا مكبيٌّ، إذ كان فرضُ قتال المشركين لم يكن وَجِبَ على المؤمنين بمكة، وأنّ قوله: " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " نظيرُ قوله: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَأَنْ مَعْنَاهُ: فمن اعتدى عليكم في الحرم فقاتلكم فاعتدوا عليه بالقتال نحو اعتدائه عليكم بقتاله إياكم، لأنّي قد جعلتُ الحُرْمَاتِ قِصَاصًا، فمن استحلَّ منكم أيها المؤمنون من المشركين حُرْمَةً فِي حَرَمِي، فاستحلوا منه مثله فيه.

وهذه الآية منسوخة بإذن الله لنبيه بقتال أهل الحرم ابتداءً في الحرم وقوله: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً [سورة التوبة: 36]...

... (14) على نحو ما ذكرنا، من أنه بمعنى: المجازاة وإتباع لفظٍ لفظًا، وإن > 3-582 < اختلف معنيهما، كما قال: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ [سورة آل عمران: 54] وقد قال: فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ [سورة التوبة: 79] وما أشبه ذلك مما أتبع لفظًا لفظًا واختلف المعنيان (15).

والآخر: أن يكون بمعنى " العدو " الذي هو شِدُّ ووثوب. من قول القائل: " عدا الأسد على قريسته ". فيكون معنى الكلام: فمن عدا عليكم - أي فمن شد عليكم ووثب - بظلم، فاعدوا عليه - أي فشدوا عليه ووثبوا نحوه - قصاصًا لما فعل عليكم لا ظلمًا. ثم تُدخل " التاء " في عدا، فتقال: " افتعل " مكان " فعل "، كما يقال: " اقترب هذا الأمر " بمعنى " قرب "، و " اجتلب كذلك " بمعنى " جلب " وما أشبه ذلك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** (194)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك: واتقوا الله أيها المؤمنون في حُرْماته وحدوده أن تعتدوا فيها، فتتجاوزوا فيها ما بينه وحدّه لكم، واعلموا أن الله يُحب المتقين، الذين يتقونه بأداء قرائضه وتجنب محارمه.

< 3-583 >

القول في تأويل قوله تعالى : **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** (195)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية، ومن عنى بقوله: " ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ "

فقال بعضهم: عنى بذلك: " وأنفقوا في سبيل الله " - و " سبيل الله " (16) طريقه الذي أمر أن يُسلك فيه إلى عدوّه من المشركين لجهادهم وحربهم = " ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " - يقول: ولا تتركوا النفقة في سبيل الله، فإن الله يُعَوِّضُكُمْ مِنْهَا أَجْرًا وَيَرْزُقُكُمْ عَاجِلًا (17) .

* ذكر من قال ذلك:

3144 - حدثني أبو السائب سلم بن جُنادة والحسن بن عرفة قال حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن سفيان، عن حذيفة: " ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " قال: يعني في ترك النفقة.

3145 - حدثني محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا شعبة = وحدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة = وحدثني محمد بن خلف العسقلاني قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الأعمش = وحدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن عاصم = جميعا، عن شقيق، عن حذيفة، قال: هو ترك النفقة في سبيل الله.

< 3-584 >

3146 - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي صالح، عن عبد الله بن عباس أنه قال في هذه الآية: " ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " قال: تنفق في سبيل الله، وإن لم يكن لك إلا مِسْقَصٌ - أو: سَهْمٌ - شعبة الذي يشك في ذلك (18) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3147- حدثنا ابن المثنى، قال، حدثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن منصور، عن أبي صالح الذي كان يحدث عنه الكلبي، عن ابن عباس قال: إن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص أنفقته.

3148- حدثني ابن بشار قال، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن أبي صالح، عن ابن عباس: " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: في النفقة.

3149- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو بن أبي قيس، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة "، قال: ليس التهلكة أن يُقتل الرجل في سبيل الله، ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله.

3150 - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، قال، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عكرمة، قال: نزلت في النفقات في سبيل الله، يعني قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ".

3151- حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن وهب، قال، أخبرني أبو صخر، عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في هذه الآية: " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: كان القوم في سبيل الله، فيتزوّد الرجل، فكان أفضل زادًا من الآخر. أنفق البائس من زاده حتى لا يبقى من زاده شيء، أحبّ أن < 3-585 > يواسي صاحبه، فأنزل الله: " وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ".

3152- حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال، حدثنا آدم قال، حدثنا شيبان، عن منصور بن المعتمر، عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن ابن عباس في قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: لا يقولنّ أحدكم إني لا أجد شيئاً، إن لم يجد إلا مشقصاً فليتنجّه به في سبيل الله.

3153 - حدثنا ابن عبد الأعلى الصنعاني قال، حدثنا المعتمر، قال: سمعت داود - يعني: ابن أبي هند - عن عامر: أن الأنصار كان احتبس عليهم بعض الرزق، وكانوا قد أنفقوا نفقات، قال: فسأء ظنهم (19) وأمسكوا. قال: فأنزل الله: " وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: وكانت التهلكة سوء ظنهم وإمساكهم.

3154 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى = وحدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل = عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد في قول الله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: تمنعكم نفقة في حق خيفة العيلة (20) .

3155 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: وكان قتادة

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يُحَدِّثُ أَنْ الْحَسَنَ حَدَّثَهُ - : أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَافِرُونَ وَيَغْرُونَ وَلَا يَنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ = أَوْ قَالَ: وَلَا يَنْفِقُونَ فِي ذَلِكَ = فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُنْفِقُوا فِي مَغَازِبِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

< 3-586 >

3156 - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: " وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " يَقُولُ: لَا تَمْسِكُوا بِأَيْدِيكُمْ عَنِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

3157 - حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السَّيِّدِيِّ: " وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ " = أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَوْ عَقَالًا = " وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " - تَقُولُ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ (21) .

3158 - حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانٍ، قَالَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ، حَدَّثَنَا خَصِيفٌ، عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ: " وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " قَالَ: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِالنَّفَقَةِ، فَكَانُوا - أَوْ بَعْضُهُمْ - يَقُولُونَ: نَنْفِقُ فَيَذْهَبُ مَالُنَا وَلَا يَبْقَى لِمَا شَيْءٍ! قَالَ: فَقَالَ: أَنْفَقُوا وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، قَالَ: أَنْفَقُوا وَأَنَا أَرْزُقُكُمْ.

3159 - حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، قَالَ، حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، عَنِ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ.

3160 - حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ هَمَّامٍ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الْحَسَنِ فِي " التَّهْلُكَةِ " قَالَ: أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنْ تَرِكَ النَّفَقَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ التَّهْلُكَةَ.

3161 - حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ، حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جَرِيحٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَطَاءَ عَنْ قَوْلِهِ: " وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " قَالَ: يَقُولُ: أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَلَّ وَكَثُرَ - قَالَ: وَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ: نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

3162 - حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ مَنصُورٍ، عَنِ أَبِي < 3-587 > صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَا يَقُولَنَّ الرَّجُلُ لَا أَجِدُ شَيْئًا! قَدْ هَلَكْتُ! فَلْيَتَجَهَّزْ وَلَوْ بِمَشَقِّصٍ.

3163 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ، حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: " وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " يَقُولُ: أَنْفَقُوا مَا كَانَ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ. وَلَا تَمْسِكُوا وَلَا تَنْفِقُوا شَيْئًا فَتَهْلِكُوا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3164- حدثني المثنى، قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا أبو زهير، عن جوبير، عن الضحاك، قال: " التهلكة " : أن يمسك الرجل نفسه وماله عن النفقة في الجهاد في سبيل الله.

3165- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن يونس، عن الحسن في قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " ، فتدعوا النفقة في سبيل الله.

وقال آخرون ممن وجَّهوا تأويل ذلك إلى أنه معنيَّة به النفقة: معنى ذلك: وأنفقوا في سبيل الله، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، فتخرجوا في سبيل الله بغير نفقة ولا قوة.

* ذكر من قال ذلك:

3166- حدثني يونس، قال، أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد في قوله: " وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: إذا لم يكن عندك ما تنفق، فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة: فتلقي بيدك إلى التهلكة.

وقال آخرون: بل معناه: أنفقوا في سبيل الله، ولا تلقوا بأيديكم - فيما أصبتم من الآثام - إلى التهلكة، فتيأسوا من رحمة الله، ولكن ارجوا رحمته واعملوا الخيرات.

< 3-588 >

* ذكر من قال ذلك:

3167 - حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب في قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: هو الرجل يُصيبُ الذنوبَ فيُلقي بيده إلى التهلكة، يقول: لا توبة لي.

3168- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: سأله رجل: أحمل على المشركين وُحدي فيقتلونني، أكنت ألقى بيدي إلى التهلكة؟ فقال: لا إنما التهلكة في النفقة. بعث الله رسوله، فقال: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ [سورة النساء: 84].

3169- حدثنا الحسن بن عرفة وابن وكيع، قالا حدثنا وكيع بن الجراح، عن سفیان الثوري، عن أبي إسحاق السبيعي، عن البراء بن عازب في قول الله:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

" ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: هو الرجل يُذنب الذنبَ فيقول: لا يغفر الله له.

3170- حدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء = وسأله رجل فقال: يا أبا عُمارة، أرايت قول الله: " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة "، أهو الرجل يتقدم فيقاتل حتى يُقتل؟ = قال: لا ولكنه الرجل يعمل بالمعاصي، ثم يلقي بيده ولا يتوب.

3171- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء، وسأله رَجُل فقال: الرجلُ يحمل على كتيبةٍ وحده فيقاتل، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ فقال: لا ولكن التهلكة أن يُذنب الذنبَ فيلقي بيده، فيقول: لا تقبل لي توبة.

3172- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن الجراح، عن أبي إسحاق، قال: قلت للبراء بن عازب: يا أبا عمار، الرجل يلقي القَافاً من العدو فيحمل عليهم، وإنما هو وحده، أيقون ممن قال: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " ؟ > 3- 589 < فقال: لا ليقاتل حتى يُقتل! قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلِّفُ إِلا نَفْسَكَ .

3173 - حدثنا مجاهد بن موسى، قال، أخبرنا يزيد، قال، أخبرنا هشام = وحدثني يعقوب قال، حدثنا ابن عليه، عن هشام = عن محمد قال: وسألت عبيدة عن قول الله: " وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " الآية. فقال عبيدة: كان الرجل يذنب الذنبَ - قال: حسبته قال: العظيم - فيلقي بيده فيستهلك = زاد يعقوب في حديثه: فَنُها عن ذلك، فقيل: " أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " .

3174- حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، قال، أخبرنا هشام، عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة السلماني عن ذلك، فقال: هو الرجل يذنب الذنبَ فيستسلم، ويلقي بيده إلى التهلكة، ويقول: لا توبة له! يعني قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " .

3175- حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن عليه، قال، أخبرنا أيوب، عن محمد، عن عبيدة في قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: كان الرجل يصيب الذنب فيلقي بيده.

3176- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن ابن عون، عن ابن سيرين، عن عبيدة: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: القنوط.

3177- حدثنا المثني قال، حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن يونس وهشام، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني، قال: هو الرجل يذنب الذنب فيستسلم، يقول: لا توبة لي! فيلقي بيده.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3178- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال، أخبرنا معمر، قال، حدثني أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة أنه قال: هي في الرجل يصيبُ الذنبَ العظيم فيلقي بيده، ويرى أنه قد هلك.

< 3-590 >

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنفقوا في سبيل الله، ولا تتركوا الجهاد في سبيله.

* ذكر من قال ذلك:

3179 - حدثني يونس، قال، أخبرنا ابن وهب، قال، أخبرني حيو، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران، قال: غزونا المدينة، يريد بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عُقبة بن عامر، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. قال: فصفنا صفين لم أر صفين قط أعرضَ ولا أطولَ منهما، والروم مُلصقون ظهورهم بحائط المدينة، قال: فحمل رجل منا علي العدو، فقال الناس: مَهْ! لا إله إلا الله، يلقي بيده إلى التهلكة! قال أبو أيوب الأنصاري: إنما تتأولون هذه الآية هكذا، أن حمل رجل يُقاتل يلتمس الشهادة، أو يُبلي من نفسه! إنما نزلت هذه الآية فينا مَعشَرَ الأنصار! إنا لما تَصَرَ الله نبيه وأظهر الإسلام، قُلْنَا بَيْنَنَا مَعشَرَ الأنصار حَفِيًّا من رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا قد كنا تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه، هلم نقيم في أموالنا ونصلحها! فأنزل الله الخبر من السماء: " وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " الآية، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن تُقيم في أموالنا ونصلحها، وندعُ الجهاد. قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يُجاهدُ في سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية (22).

3180- حدثني محمد بن عمارة الأسدي، وعبد الله بن أبي زياد قالا حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد، قال، أخبرني حيوة وابن لهيعة، قالا حدثنا يزيد بن أبي حبيب، قال، حدثني أسلم أبو عمران مولى نُجيب، قال: كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله صلى الله < 3-591 > عليه وسلم، وعلى أهل الشام قضاة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، قال: وصفنا صفًا عظيمًا من المسلمين، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخلَ فيهم، ثم خرج إلينا مقبلاً فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! ألقى بيده إلى التهلكة! فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل! وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار! إنا لما أعزذ الله دينه وكثر ناصريه، قلنا فيما بيننا بعضنا لبعض سرًا من رسول الله: إن أموالنا قد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ضاعت، فلو أنا أقمنا فيها، فأصلحنا ما صَاع منها! فأنزل الله في كتابه يَرْدُّ علينا ما هممنا به، فقال: " وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة "، بالإقامة التي أردنا أن نقيم في الأموال ونصلحها، فأمرنا بالغزو. فما زال أبو أيوب غازيًا في سبيل الله حتى قبضه الله (23).

< 3-592 >

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال: إنَّ الله جل ثناؤه أمرَ بالإنفاق في سبيله بقوله: " وأنفقوا في سبيل الله " - وسبيله: طريقه الذي شرَّعه لعباده وأوضحه لهم. ومعنى ذلك: وأنفقوا في إعزاز ديني الذي شرَّعته لكم، بجهاد عدوكم الناصبين لكم الحربَ على الكفر بي، وتَهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، فقال: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ".

وذلك مثل، والعرب تقول للمستسلم للأمر: " أعطَى فلان بيديه "، وكذلك < 593-3 > يقال للممكن من نفسه مما أريد به: " أعطى بيديه ".

فمعنى قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة "، ولا تستسلموا للهلكة، فتُعطوها أزمَّتكم فتهلكوا.

والتارك النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه، مستسلم للهلكة بتركه أداءً فرض الله عليه في ماله. وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سببها الصدقات المفروضات الثمانية " في سبيله "، فقال: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ إلى قوله: وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنِ السَّبِيلُ [سورة التوبة: 60] فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه، كان للهلكة مستسلما، وبيديه للهلكة ملقيا.

وكذلك الأئسُّ من رحمة الله لذنوب سلف منه، مُلقٍ بيديه إلى التهلكة، لأنَّ الله قد نهى عن ذلك فقال: وَلَا تَيَاسُؤْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْسُتُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [سورة يوسف: 87].

وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم، في حال وجوب ذلك عليه، في حال حاجة المسلمين إليه، مُضِعُّ فرضا، مُلقٍ بيده إلى التهلكة.

فإذ كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " ولم يكن الله عز وجلَّ خصَّ منها شيئاً دون شيء، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، والاستسلام

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

للهلكة - وهي العذاب - بترك ما لزمنا من فرائضه، فغيرُ جائز لأحد منا الدخول في شيء يكرهه الله منا، مما نستوجب بدخولنا فيه عَذَابَهُ.

غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الأغلب من تأويل الآية: وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل الله، ولا تتركوا النفقة فيها، فتهلكوا باستحقاقكم - بترككم ذلك - عذابي. كما:

3181 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية، عن > 3-594 < علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال: التهلكة عذابُ الله.

قال أبو جعفر: فيكون ذلك إعلاما منه لهم - بعد أمره إياهم بالنفقة - ما لمن ترك النفقة المفروضة عليه في سبيله، من العقوبة في المعاد.

فإن قال قائل: فما وجه إدخال الباء في قوله: " ولا تلقوا بأيديكم "، وقد علمت أن المعروف من كلام العرب: " ألقيت إلى فلان درهما "، دون " ألقيت إلى فلان بدرهم "؟

قيل: قد قيل إنها زيدت نحو زيادة القائل " الباء " في قوله: " جذبْتُ بالثوب، وجذبْتُ الثوب " وتعلقْتُ به وتعلقته "، و تَبَّئْتُ بِالذَّهْنِ [سورة المؤمنون: 20] وإنما هو: تُنبت الدهنَ (24).

وقال آخرون: " الباء " في قوله: " ولا تُلقوا بأيديكم " أصلٌ للكناية (25) لأن كل فعلٍ واقعٍ كني عنه فهو مضطربٌ إليها (26) نحو قولك في رجلٍ " كلمته " فأردت الكناية عن فعله، فإذا أردت ذلك قلت: " فعلت به " قالوا: فلما كان " الباء " هي الأصل، جاز إدخال " الباء " وإخراجها في كل " فعلٍ " سبيله سبيلٌ كُنِيته (27).

وأما " التهلكة " فإنها " التفعلة " من " الهلاك ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: " وأحسنوا " أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائضي، وتجنب ما أمرتكم بتجنبه من معاصي، ومن الإنفاق في سبيلي، وَعَوِّدِ الْقَوِيَّ مِنْكُمْ عَلَى الضَّعِيفِ ذِي الْحَلَةِ (28) فَأَيُّ أَحَبِّ الْمُحْسِنِينَ فِي ذَلِكَ (29) كما:

3182 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا زيد بن الحباب، قال، أخبرنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن رجل من الصحابة في قوله: " وأحسنوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " قال: أداء الفرائض.

وقال بعضهم: معناه: أحسنوا الظن بالله.

* ذكر من قال ذلك:

3183 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة: " وأحسنوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " قال: أحسنوا الظن بالله، ببركم.

وقال آخرون: أحسنوا بالعَوِّدِ عَلَى الْمُحْتَاجِ.

* ذكر من قال ذلك:

3184 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: " وأحسنوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " عودوا على من ليس في يده شيء.

< 4-7 >

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فقال بعضهم: معنى ذلك أتمّوا الحج بمناسكه وسنّيه، وأتموا العُمْرة بحدودها وسنّيتها.

* ذكر من قال ذلك:

3185 - حدثني عبيد بن إسماعيل الهَبَّاري، قال: ثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة: " وأتمّوا الحجَّ والعمرة لله " قال: هو في قراءة عبد الله: " وَأَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ " قال: لا تجاوزوا بالعمرة البيت = قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، فقال: كذلك قال ابن عباس.

3186 - حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم أنه قرأ: " وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت " .

3187 - حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قرأ: " وأقيموا الحجَّ والعمرة إلى البيت " .

3188 - حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " وأتمّوا الحج والعمرة لله " ، يقول: من أحرم بحج أو بعُمْرة فليس له أن يحلَّ حتى يُتَمَّها تمامُ الحجِّ يوم النَّحر إذا رمى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ وزار البيت فقد حلَّ من إحرامه كلِّه، وتمامُ العمرة إذا طاف بالبيت وبالصفا والمروة، فقد حلَّ.

< 4-8 >

3189 - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى = وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل = جميعًا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: " وأتمّوا الحجَّ والعمرة لله " قال: ما أمروا فيهما.

3190 - حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: " وأتمّوا الحج والعمرة لله " قال: قال إبراهيم عن علقمة بن قيس قال: " الحجُّ " : مناسك الحج، و " العمرة " : لا يجاوز بها البيت.

3191 - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: " وأتمّوا الحجَّ والعمرة لله " قال: قال تَقْضَى مناسكُ الحجِّ عرفة والمزدلفة ومواطنها، والعمرة للبيت أن يطوف بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يحلَّ.

وقال آخرون: تمامهما أن تُحرِمَ بهما مفردين من دُويرة أهيك. (30)

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3193- حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن علي أنه قال: جاء رجل إلى علي فقال له في هذه الآية: " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ " أن تحرم من دُوبرة أهلك.

3194- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، قال: جاء رجل إلى علي رضوان الله عليه، فقال: أرأيت قول الله عز وجل: " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ " ؟ قال: أن تحرم من دُوبرة أهلك.

3195- حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن محمد بن سوقة، عن سعيد بن جبير، قال: من تمام العُمرَة أن تحرم من دُوبرة أهلك.

< 4-9 >

3196- حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن ثور بن يزيد، عن سليمان بن موسى، عن طاوس، قال: تمامُهما إفرادهما مُؤْتَفَتَيْنِ من أهلك. (31)

3197- حدثني المثنى، قال: ثنا سفيان، عن ثور، عن سليمان بن موسى، عن طاوس: " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ " قال: تفردهما مُؤْتَفَتَيْنِ من أهلك، فذلك تمامهما. (32)

وقال آخرون: تمامُ العُمرة أن تعمل في غير أشهر الحج، (33) وتماُمُ الحج أن يُؤتى بمناسكه كلها، حتى لا يلزم عَامِلَه دَمٌ بسبب قران ولا مُتعة.

* ذكر من قال ذلك:

3198 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ " قال: وتماُمُ العُمرة ما كان في غير أشهر الحج.

ومن كان في أشهر الحج، ثم أقام حتى يَحُجَّ، (34) فهي مُتعة. عليه فيها الهدي إن وُجد، وإلا صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع.

3199 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ " قال: ما كان في غير أشهر الحج فهي عمرة تامة، وما كان في أشهر الحج فهي مُتعة وعليه الهدي.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3200 - حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن ابن عون، قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: إنَّ العمرة في أشهر الحج ليست بتامة. قال: فقيل له: < 10-4 > العمرة في المحرَّم؟ قال: كانوا يَرَوْنَهَا تَامَّةً.

وقال آخرون: إتمامهما أن تخرج من أهلك لا تريد غيرهما.

* ذكر من قال ذلك:

3201 - حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني رجل، عن سفيان، قال: هو يعني تمامهما أن تخرج من أهلك لا تريد إلا الحج والعمرة، وتَهَلُّ من الميقات. ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة، حتى إذا كنت قريباً من مكة قلت: لو حجبت أو اعتمرت. وذلك يجرى، ولكن التمام أن تخرج له لا تخرج لغيره.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أتموا الحجَّ والعمرة لله إذا دخلتم فيهما.

* ذكر من قال ذلك:

3202 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ليست العمرة واجبة على أحد من الناس. قال: فقلت له: قولُ الله تعالى: " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ " ؟ قال: ليس من الخلق أحدٌ ينبغي له إذا دَخَلَ في أمرٍ إلا أن يتمَّه، فإذا دخل فيها لم يتبع له أن يهلَّ يوماً أو يومين ثم يرجع، كما لو صام يوماً لم ينبغ له أن يفطر في نصف النهار.

* وكان الشعبي يقرأ ذلك رفعا.

3203 - حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: حدثني سعيد بن أبي بردة أن الشعبي وأبا بردة تذاكرا العمرة، قال: فقال الشعبي: تطوَّع، " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ ". وقال أبو بردة: هي واجبة " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ " .

3204 - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا ابن < 11-4 > عون، عن الشعبي أنه كان يقرأ: " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ " .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقد روي عن الشعبي خلاف هذا القول، وإن كان المشهور عنه من القول هو هذا. وذلك ما:-

3205 - حدثني به المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن الشعبي، قال: العمرة واجبة.

فقراءة من قال: العمرة واجبة- نصبها، بمعنى أقيموا فرض الحج والعمرة، كما:-

3206 - حدثنا محمد بن المثنى، قال: أخبرنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق، يقول: سمعت مسروقاً يقول: أمرتم في كتاب الله بأربع: بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، والعمرة. قال: ثم تلا هذه الآية: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ [سورة آل عمران: 97] وأتموا الحج والعمرة لله إلى البيت .

3207 - حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً يروي عن الحسن، عن مسروق، قال: أمرنا بإقامة أربعة: الصلاة والزكاة، والعمرة والحج، فنزلت العمرة من الحج منزلة الزكاة من الصلاة.

3208 - حدثنا ابن بشار، قال: أنبأنا محمد بن بكر، قال: ثنا ابن حريج، قال: قال علي بن حسين وسعيد بن جبير، وسئلا أواجبة. العمرة على الناس؟ فكلاهما قال: ما نعلمها إلا واجبة، كما قال الله: " وأتموا الحج والعمرة لله ."

3209 - حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: سألت رجل سعيدي بن جبير عن العمرة فريضة هي أم تطوع؟ قال: فريضة. قال: فإن الشعبي يقول: هي تطوع. قال: كذب > 12-4 < الشعبي، وقرأ: " وأتموا الحج والعمرة لله " (35)

3210 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة عن سمع عطاء يقول في قوله: " وأتموا الحج والعمرة لله "، قال: هما واجبان: الحج، والعمرة.

قال أبو جعفر: فتأويل هؤلاء في قوله تبارك وتعالى: " وأتموا الحج والعمرة لله " أنهما فرضان واجبان أمر الله تبارك وتعالى أمر بإقامتهما، (36) كما أمر بإقامة الصلاة، وأنهما فريضتان، وأوجب العمرة وجوب الحج. وهم عدد كثير من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخلفين، (37) كرهنا تطويل الكتاب بذكرهم وذكر الروايات عنهم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقالوا: معنى قوله: " وأتموا الحج والعمرة لله " وأقيموا الحج والعمرة.

* ذكر بعض من قال ذلك:

3211 - حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: " وأتموا الحج والعمرة لله " يقول: أقيموا الحج والعمرة.

3212 - حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا إسرائيل، عن ثوير، عن أبيه، عن علي: " وأقيموا الحج والعمرة للبيت " ثم هي واجبةٌ مثل الحج. (38)

< 4-13 >

3213 - حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا إسرائيل، قال: ثنا ثوير، عن أبيه، عن عبد الله: " وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت " ثم قال عبد الله: والله لولا التحجُّج، وأني لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها شيئاً، لقلت إن العمرة واجبةٌ مثل الحج. (39)

قال أبو جعفر: وكأنهم عَنوا بقوله: " أقيموا الحج والعمرة " : ائتوا بهما، بحدودهما وأحكامهما، على ما فرض عليكم.

وقال آخرون ممن قرأ قراءة هؤلاء بنصب " العُمرة " : العمرة تطوعٌ = ورأوا أنه لا دلالة على وجوبها في نصبهم " العمرة " في القراءة، إذ كان من الأعمال ما قد يلزم العبد عمله وإتمامه بدخوله فيه، ولم يكن ابتداءً الدخول فيه فرضاً عليه. وذلك كالحج التطوع، لا خلاف بين الجميع فيه أنه إذا أحرم به أن عليه المضي فيه وإتمامه، ولم يكن فرضاً عليه ابتداءً الدخول فيه. وقالوا: فكذلك العمرة غير فرض واجب الدخول فيها ابتداءً، غير أن على من دخل فيها وأوجبها على نفسه إتمامها بعد الدخول فيها. قالوا: فليس في أمر الله بإتمام الحج والعمرة دلالةٌ على وجوب فرضها. قالوا: وإنما أوجبنا فرض الحج بقوله عز وجل: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** [سورة آل عمران: 97].

وممن قال ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخلفين.

* ذكر من قال ذلك:

< 4-14 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3214 - حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت سعيد بن أبي عروبة، عن أبي معشر عن إبراهيم، قال: قال عبد الله: الحجُّ فريضة، والعمرة تطوُّع.

3215 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، عن ابن أبي عروبة، عن أبي معشر، عن النخعي، عن ابن مسعود مثله.

3216 - وحدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن عثمة، قال: حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن سعيد بن جبير، قال: العمرة ليست بواجبة.

3217 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، قال: سألت إبراهيم عن العمرة فقال: سنة حسنة.

3218 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، مثله.

3219 - حدثني المثنى، قال: حدثنا حجاج، قال: حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن إبراهيم، مثله.

3220 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، مثله.

3221 - حدثني المثنى، قال: حدثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، قال: حدثنا عبد الله بن عون، عن الشعبي، قال: العمرة تطوع.

قال أبو جعفر: فأما الذين قرءوا ذلك برفع " العمرة "، فإنهم قالوا: لا وجه لتصبيها، فالعمرة إنما هي زيارة البيت، ولا يكون مستحقاً اسم معتمرٍ إلا وهو له زائر. قالوا: وإذا كان لا يستحق اسم معتمرٍ إلا بزيارته = وهو متى بلغه فطاف به وبالصفا والمروة، فلا عمل يبقى بعده يؤمر بإتمامه بعد ذلك، كما يؤمر بإتمامه الحجُّ بعد بلوغه والطواف به وبالصفا والمروة بإتيان عرفة والمزدلفة والوقوف بالمواضع التي أمر بالوقوف بها، وعمل سائر أعمال الحج الذي هو من تمامه بعد إتيان البيت < 4-15 > = (40) لم يكن لقول القائل للمعتمر: " أتمَّ عمرتك " وجهٌ مفهوم، وإذا لم يكن له وجهٌ مفهوم، فالصواب من القراءة في " العمرة " الرفعُ على أنه من أعمال البِرِّ لله، فتكون مرفوعة بخبرها الذي بعدها، وهو قوله: " لله ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا، قراءة من قرأ بنصب " العمرة " على العطف بها على " الحج "، بمعنى الأمر بإتمامها له.

ولا معنى لاعتلال من اعتلَّ في رفعها بأن " العمرة " زيارة البيت، فإن المعتمر متى بلغه، فلا عمل بقي عليه يؤمر بإتمامه. وذلك أنه إذا بلغ البيت فقد انقضت زيارته وبقي عليه تمامُ العمل الذي أمره الله به في اعتماره، وزيارته البيت، وذلك هو الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، وتجنب ما أمر الله بتجنبه إلى إتمامه ذلك، وذلك عملٌ - وإن كان مما لزمه بإيجاب الزيارة على نفسه - غير الزيارة. هذا، مع إجماع الحجة على قراءة " العمرة " بالنصب، ومخالفة جميع قراءة الأمصار قراءةً من قرأ ذلك رفعًا، ففي ذلك مستغنى عن الاستشهاد على خطأ من قرأ ذلك رفعًا.

وأما أولى القولين اللذين ذكرنا بالصواب في تأويل قوله: " والعمرة لله " على قراءة من قرأ ذلك نصبًا فقولُ عبد الله بن مسعود، ومن قال بقوله من أن معنى ذلك: وأتموا الحج والعمرة لله إلى البيت بعد إيجابكم إياهما = لا أن ذلك أمرٌ من الله عز وجل - بابتداء عمَلهما والدخول فيهما وأداء عملهما بتمامه - بهذه الآية .

وذلك أن الآية محتملة للمعنيين اللذين وصَفْنَا: من أن يكون أمرًا من الله عز وجل بإقامتهما ابتداءً وإيجابًا منه على العبادِ فرضهما، وأن يكون أمرًا منه بإتمامهما بعد < 4-16 > الدخول فيهما، وبعد إيجاب موجههما على نفسه، فإذا كانت الآية محتملة للمعنيين اللذين وصفنا، فلا حجة فيها لأحد الفريقين على الآخر، إلا وللآخر عليه فيها مثلها. وإذا كان كذلك ولم يكن بإيجاب فرض العمرة خبرٌ عن الحجة للعدرِ قاطعًا، وكانت الأمة في وجوبها متنازعة - لم يكن لقول قائل: " هي فرض " بغير برهان دالٍّ على صحة قوله - معنى (41)، إذ كانت الفروض لا تلزم العباد إلا بدلالةٍ على لزومها إياهم واضحة.

فإن ظن ظانُّ أنها واجبة وجوب الحج، وأن تأويلَ من تأوَّل قوله: " وأتموا الحج والعمرة لله " بمعنى: أقيموا حدُودَهما وفروضهما أولى من تأويلنا، (42) بما:-

3222 - حدثني به حاتم بن بكير الضبي، قال: ثنا أشهل بن حاتم الأرطبائي، قال: ثنا ابن عون، عن محمد بن جحادة، عن رجل، عن زميل له، عن أبيه - وكان أبوه يكنى أبا المُتَّفِق - قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة، فدنوتُ منه، حتى اختلفتُ عُنُق راحلتي وعُنُق راحلته، فقلت: يا رسول الله أنبئني بعملٍ يُنجيني من عذاب الله ويُدخلني جنَّته! قال: " اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وأقم الصلاة المكتوبة، وأدِّ الزكاة المفروضة، وحجَّ واعتمر = قال أشهل: وأظنه قال: " وصمَّ رمضان = وانظر ماذا تحبُّ من الناس أن يأتوه إليك فافعله بهم، وما تكره من الناس أن يأتوه إليك فدزَّهم منه " . (43)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وما :-

< 4-17 >

3223 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس، عن أبي رزين العقيلي رجل من بني عامر قال: قلت يا رسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الطعن، وقد أدركه < 4-18 > الإسلام، أفأحج عنه؟ قال: "حج عن أبيك واعتمر". (44)

=وما:-

3224 - حدثني به يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن أيوب، عن أبي قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم لكم. (45)

= وما أشبه ذلك من الأخبار، فإن هذه أخبار لا يثبت بمثلها في الدين حجة لَوْهِي أسانيدها، وأنها - مع وَهْيِ أسانيدها- لها في الأخبار أشكال تنبئ عن أن العمرة تطوع لا فرض واجب. وهو ما:-

< 4-19 >

3225 - حدثنا به محمد بن حميد، ومحمد بن عيسى الدامغاني، قال ثنا عبد الله بن المبارك، عن الحجاج بن أرطاة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه سئل عن العمرة أواجبة هي؟، فقال: " لا وأن تعتمروا خير لكم". (46)

3226 - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير= و حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا شريك=، عن معاوية بن إسحاق، عن أبي صالح الحنفي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحج جهادٌ، والعمرة تطوع. (47)

< 4-20 >

قال أبو جعفر: وقد زعم بعض أهل الغباء أنه قد صحَّ عنده أن العمرة واجبة، بأنه لم يجد تطوعاً، إلا وله إمامٌ من المكتوبة. فلما صحَّ أن العمرة تطوعٌ وجب أن يكون لها قَرْضٌ، لأن الفرض إمام التطوع في جميع الأعمال.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فيقال لقائل ذلك: فقد جُعِلَ الاعتكاف تطوُّعًا، فما الفرض منه الذي هو إمامٌ مُتطوِّعُه؟

ثم يسأل عن الاعتكاف أوجب هو أم غير واجب؟

فإن قال: " واجبٌ"، خرج من قول جميع الأمة.

وإن قال: تطوع.

قيل: فما الذي أوجب أن يكون الاعتكاف تطوعًا والعمرة فرضًا، من الوجه الذي يجب التسليم له؟

فلن يقول في أحدهما شيئًا إلا ألزم في الآخر مثله.

=وبما استشهدنا من الأدلة، فإن أولى القراءتين بالصواب في" العمرة " قراءةً من قرأها نصبًا- وأنّ أولى التأويلين في قوله " وأتموا الحج والعمرة لله " ، تأويلُ ابن عباس الذي ذكرنا عنه من رواية علي بن أبي طلحة عنه من أنه أمرٌ من الله بإتمام أعمالهما بعد الدُّخول فيهما وإيجابهما على ما أمر به من حدودهما وستنهما -وأنّ أولى القولين في" العمرة " بالصواب قول من قال: " هي تطوُّع لا فرض " - وإن معنى الآية: وأتموا أيها المؤمنون الحجَّ والعمرة لله بعد دخولكم فيهما وإيجابكموهما على أنفسكم، على ما أمركم الله من حدودهما.

وإنما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية على نبيه عليه الصلاة والسلام في عمرة الحديبية التي صُدَّ فيها عن البيت، معرّفه المؤمنين فيها ما عليهم في إحرامهم إن حُلِّي بينهم وبين البيت ومبيّنًا لهم فيها ما المُخْرَج لهم من إحرامهم إن أحرموا، فصدوا عن البيت .

< 4-21 >

ولذكر اللازم لهم من الأعمال في عمرتهم التي اعتمروها عام الحديبية، (48) وما يلزمهم فيها بعد ذلك في عمرتهم وحجهم، افتتح بقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ .

وقد دللنا فيما مضى على معنى " الحج "" والعمرة " بشواهد، فكرهنا تطويل الكتاب بإعادته. (49)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القول في تأويل قوله تعالى : فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في " الإحصار " الذي جعل الله على من ابتلي به في حجه وعمرته ما استيسر من الهدى.

فقال بعضهم: هو كل مانع أو حابس منع المحرم وحبسه عن العمل الذي فرضه الله عليه في إحرامه ووصوله إلى البيت الحرام.

* ذكر من قال ذلك:

3227 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه كان يقول: " الحصر " الحبس كله. يقول: أيما رجل اعترض له في حجه أو عمرته فإنه يبعث بهديه من حيث يحبس. قال: وقال مجاهد في قوله: " فإن أحصرتم " فإن أحصرتم: يمرض إنساناً أو يكسر، أو يحبسه أمرٌ فغلبه كائناً ما كان، فليرسل بما استيسر من الهدى، ولا يحلق رأسه، ولا يحل، حتى يوم النحر.

< 4-22 >

3228 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

3229 - حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: الإحصار كل شيء يحبسه.

3230 - وحدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن سعيد، عن قتادة أنه قال: في المحصر: هو الخوف والمرض والحابس. إذا أصابه ذلك بَعَثَ بهديه، فإذا بلغ الهدى مَجَلَه حَلَّ.

3231 - حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة قوله: " فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى " قال: هذا رجل أصابه خوف أو مرض أو حابس حبسه عن البيت يبعث بهديه، فإذا بلغ مَجَلَه صار حلالاً.

3232 - حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كل شيء حبس المحرم فهو إحصارٌ.

3233 - حدثني المثنى قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن إبراهيم = قال أبو جعفر: أحسبه عن شريك، عن إبراهيم بن المهاجر، عن إبراهيم =: " فإن أحصرتم " قال: مرض أو كسر أو خوف.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3234- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي عن ابن عباس قوله: " فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ"، يقول: من أحرم بحج أو بعمره، ثم حُبس عن البيت بمرض يُجْهده أو عذر يحبسه، فعليه قضاؤها.

قال أبو جعفر: وعلة من قال بهذه المقالة: أن " الإحصار " معناه في كلام العرب: مَنَع العلة من المرض وأشباهه، غير القهر والغلبة من قاهر أو غالب، إلا غلبة علة من مرض أو لدغ أو جراحة، أو ذهاب نفقة، أو كسر راحلة. فأما < 23-4 > مَنَع العدو، وحبس حابس في سجن، وغلبة غالب حائل بين المحرم والوصول إلى البيت من سلطان، أو إنسان قاهر مانع، فإن ذلك إنما تسميه العرب " حصرا " لا " إحصارا " .

قالوا: ومما يدل على ذلك قول الله جل ثناؤه: وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا [الإسراء: 8] يعني به: حاصرًا، أي حابسًا.

قالوا: ولو كان حبس القاهر الغالب من غير العلة التي وصفنا، يسمى " إحصارًا " لوجب أن يقال: " قد أَحْصَرَ العدو " .

قالوا: وفي اجتماع لغات العرب على " حُوصِر العدو ، والعدو محاصر "، دون " أحصر العدو، وهم مُحْصَرُونَ "، و " أَحْصَرَ الرجل " بالعلة من المرض والخوف- أكبر الدلالة على أن الله جل ثناؤه إنما عنى بقوله: " فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ " بمرض أو خوف أو علة مانعة.

قالوا: وإنما جعلنا حبس العدو ومنعه المحرم من الوصول إلى البيت بمعنى " حصر المرض " قياسا على ما جعل الله جل ثناؤه من ذلك للمريض الذي منعه المرض من الوصول إلى البيت، لا بدلالة ظاهر قوله: " فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ " إذ كان حبس العدو والسلطان والقاهر علة مانعة، نظيرة العلة المانعة من المرض والكسر.

وقال آخرون: معنى قوله: " فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ " فإن حبسكم عدو عن الوصول إلى البيت، أو حابس قاهر من بني آدم. قالوا: فأما العلة العارضة في الأبدان كالمرض والجراح وما أشبهها، فإن ذلك غير داخل في قوله: " فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ " .

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3235 - حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، عن ابن عباس أنه قال: " الحَصْرُ " : > 4-24 < حَصْرُ العدو، فبيعتُ الرجل بهديته، فإن كان لا يستطيع أن يَصِلَ إلى البيت من العدو، فإن وجد من يبلغها عنه إلى مكة، فإنه يبعث بها ويُحْرِمُ = قال محمد بن عمرو، قال أبو عاصم: لا ندري قال: يُحْرِمُ، أو يَحِلُّ = من يوم يواعد فيه صاحب الهدى إذا اشترى. فإذا أمن فعليه أن يحجَّ أو يعتمر. فإذا أصابه مَرَضٌ يحبسُه وليس معه هَدْيٌ، فإنه يَحِلُّ حيث يُحْبَسُ، فإن كان معه هَدْيٌ فلا يحل حتى يَبْلُغَ الهدى مَحَلَّهُ، فإذا بعث به، فليس عليه أن يحج قابلاً ولا يعتمر إلا أن يشاء.

3236 - حدثت عن أبي عبيد القاسم بن سلام، قال: حدثني يحيى بن سعيد، عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لا حصر إلا من حَبَسَ عدو.

3237 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، عن ابن عباس مثل حديث محمد بن عمرو، عن أبي عاصم = إلا أنه قال: فإنه يبعث بها ويحرم من يوم واعد فيه صاحب الهدية إذا اشترى. ثم ذكر سائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو، عن أبي عاصم.

وقال مالك بن أنس: بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَلَّ وأصحابه بالحديبية، فنحروا الهدى، وحلقوا رؤوسهم، وحلوا من كل شيء قبل أن يطوفوا بالبيت، وقبل أن يَصِلَ إليه الهدى. ثم لم تَعْلَمَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ أحدًا من أصحابه، ولا ممن كان معه، أن يقضوا شيئًا ولا أن يعودوا لشيء. (50)

< 4-25 >

3238 - حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب عنه = قال: وسئل مالك عن أحصر بعدو وحيل بينه وبين البيت؟ فقال: يَحِلُّ من كل شيء، ويُنْحَرُ هَدْيُهُ، ويحلق رأسه حيث يحبس، وليس عليه قضاء، (51) إلا أن يكون لم يحج قَطًا، فعليه أن يحج حجة الإسلام.

قال: والأمر عندنا فيمن أحصر بغير عدو بمرض أو ما أشبهه، أن يتداوى بما لا بد منه، ويفتدي، (52) ثم يجعلها عُمرَةً، ويحج عامًا قابلاً ويهدى.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: وعلة من قال هذه المقالة - أعني: من قال قول مالك - أن هذه الآية نزلت في حصر المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت، فأمر الله نبيه ومن معه بنحر هداياهم والإحلال.

قالوا: وإنما أنزل الله هذه الآية في حصر العدو، فلا يجوز أن يصرف حكمها إلى غير المعنى الذي نزلت فيه.

قالوا: وأما المريض، فإنه إذا لم يُطَق لمرضه السَّير حتى فاتته عرفة، فإنما هو رجل فاته الحج، عليه الخروج من إحرامه بما يخرج به من قاته الحج - وليس من معنى "المحصر" الذي نزلت هذه الآية في شأنه.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في قوله: "فإن أحصرتم"، تأويل من تأوله بمعنى: فإن أحصركم خوفٌ عدوٌ أو مرضٌ أو علةٌ عن الوصول إلى البيت أي: صيركم خوفكم أو مرضكم تحضرون أنفسكم، فتحبسونها عن النفوذ لما أوجبتموه على أنفسكم من عمل الحج والعمرة. فلذا قيل: "أحصرتم"، لَمَّا أسقط ذكر الخوف والمرض. يقال منه: "أحصرني خوفاً من فلان عن لقائك"، < 26-4 > ومَرَضِي عن فلان"، يراد به: جعلني أحبس نفسي عن ذلك. فأما إذا كان الحابس الرجلُ والإنسانُ، قيل: "حصرني فلان عن لقائك"، بمعنى حبسني عنه.

فلو كان معنى الآية ما ظنه المتأول من قوله: "فإن أحصرتم" فإن حبسكم حابس من العدو عن الوصول إلى البيت - لوجب أن يكون: فإن حصرتم.

ومما يُبين صحة ما قلناه من أن تأويل الآية مرادٌ بها إحصارٌ غير العدو وأنه إنما يراد بها الخوف من العدو، قوله: فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ

و "الأمن" إنما يكون بزوال الخوف. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الإحصار الذي عنى الله في هذه الآية، هو الخوف الذي يكون بزواله الأمن.

وإذ كان ذلك كذلك، لم يكن حبس الحابس الذي ليس مع حبسه خوف على النفس من حبسه داخلًا في حكم الآية بظاهرها المثلوث، وإن كان قد يلحق حكمه عندنا بحكمه من وجه القياس من أجل أن حبس من لا خوف على النفس من حبسه، كالسلطان غير المخوفة عقوبته، والوالد، وزوج المرأة، (53) إن كان منهم أو من بعضهم حبس، ومنع عن الشخص لعمل الحج، أو الوصول إلى البيت بعد إيجاب الممنوع الإحرام، (54) غير داخل في ظاهر قوله: "فإن أحصرتم"، لما وصفنا من أن معناه: فإن أحصركم خوفٌ عدوٌّ - بدلالة قوله: فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ وقد بين الخبر الذي ذكرنا أنفاً عن ابن عباس أنه قال: الحصر: حصر العدو.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وإذ كان ذلك أولى التأويلين بالآية لما وصفنا، وكان ذلك منعا من الوصول إلى البيت، فكل مانع عرض للمحرم فصدّه عن الوصول إلى البيت، فهو له نظير في الحكم.

قال أبو جعفر: ثم اختلف أهل العلم في تأويل قوله: " فما استيسر من الهدى".

< 4-27 >

فقال بعضهم: هو شاة.

* ذكر من قال ذلك:

3239 - حدثنا عبد الحميد بن بيان القناد، قال: أخبرنا إسحاق الأزرق، عن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: " ما استيسر من الهدى" شاة.

3240 - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن = و حدثنا عبد الحميد، قال: أخبرنا إسحاق = قال: حدثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: " ما استيسر من الهدى"، شاة.

3241 - حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد عن ابن عباس، مثله.

3242 - حدثني ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن النعمان بن مالك، قال: تمتعت فسألت ابن عباس فقال: " ما استيسر من الهدى" قال: قلت شاة؟ قال: شاة.

3243 - حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: حدثنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن النعمان بن مالك، قال: سألت ابن عباس عن " ما استيسر من الهدى"، قال: من الأزواج الثمانية: من الإبل والبقر والمعز والضأن.

3244 - حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم، قالا حدثنا هشيم، قال الزهري أخبرنا - وسئل عن قول الله جل ثناؤه: " فما استيسر من الهدى" - قال: كان ابن عباس يقول: من الغنم.

3245 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: " ما استيسر من الهدى"، من الأزواج الثمانية.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 4-28 >

3246 - حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا خالد، قال: قيل للأشعث: ما قول الحسن: "فما استيسر من الهدى"؟ قال: شاة.

2647 - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن قتاده. (فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) قال: أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأخسه شاة.

3248 - حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، مثله = إلا أنه كان يقال: أعلاه بدنة، وذكر سائر الحديث مثله.

3249 - حدثنا ابن بشار قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا همام، عن قتادة، عن زرارة، عن ابن عباس، قال: "فما استيسر من الهدى"، شاة.

3250 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا أيوب، عن أبي جمرة، عن ابن عباس، مثله.

3251 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن ابن جريح، عن عطاء: "فما استيسر من الهدى" شاة.

3252 - حدثنا أبو كريب، قال، حدثنا ابن يمان، قال: حدثنا محمد بن نفيع، عن عطاء، مثله.

3253 - حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: المحصر يبعث بهدي، شاة فما فوقها.

3254 - حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: إذا أهل الرجل بالحج فأحصر، بعث بما استيسر من الهدى شاة. قال: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، فقال: كذلك قال ابن عباس.

3255 - حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية > 29-4 < بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "ما استيسر من الهدى"، شاة فما فوقها.

3256 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة = و حدثنا المثنى، قاله: حدثنا آدم العسقلاني عن شعبة = قال: حدثنا أبو جمرة، عن ابن عباس، قال: "ما استيسر من الهدى"، جزور أو بقرة أو شاة، أو شرك في دم.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3257 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: سمعت يحيى بن سعيد، قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: إن ابن عباس كان يرى أن الشاة " ما استيسر من الهدى" .

3258 - حدثنا المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الوهاب، عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: " ما استيسر من الهدى" ، شاة.

3259 - حدثنا يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: " ما استيسر من الهدى" ، شاة.

3260 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا سهل بن يوسف قال: حدثنا حميد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: قال ابن عباس: الهدى: شاة، ف قيل له: أيكون دون بقرة؟ قال: فأنأ أقرأ عليكم من كتاب الله ما تدرؤن به أن الهدى شاة . ما في الطيبي؟ قالوا: شاة، قال: هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ [المائدة: 95].

3261 - حدثني المثنى، قال: حدثنا الحجاج، قال: حدثنا حماد، عن قيس بن سعد، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: شاة.

3262 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن دلهم بن صالح، قال: سألت أبا جعفر، عن قوله: " ما استيسر من الهدى" ، فقال: شاة.

3263 - حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، أن مالك > 4- 30 < بن أنس حدثه عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن علي بن أبي طالب كان يقول: " ما استيسر من الهدى" ، شاة. (55)

3264 - حدثنا المثنى، قال: حدثنا مطرف بن عبد الله، قال: حدثنا مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه، مثله.

3265 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عباس كان يقول: " ما استيسر من الهدى" ، شاة. (56)

3266 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال مالك: وذلك أحب إلي. (57)

3267 - حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: " فما استيسر من الهدى" ، قال: عليه - يعني المحصر - هدي . إن كان موسرا فمن الإبل، وإلا فمن البقر وإلا فمن الغنم.

3268 - حدثني المثنى، قال: حدثنا آدم العسقلاني، قال: حدثنا ابن أبي ذئب، عن شعبة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، قال: " ما استيسر من الهدى" ، شاة، وما عظمت شعائر الله، فهو أفضل.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3269 - حدثني يونس، قال: أخبرنا أشهب، قال: أخبرنا ابن لهيعة: أن عطاء بن أبي رباح حدثه: أن " ما استيسر من الهدى"، شاة.

وقال آخرون: " ما استيسر من الهدى": من الإبل والبقر، سن دون سن.

* ذكر من قال ذلك:

3270 - حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا معتمر، قال: سمعت > 4-31 < عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: " ما استيسر من الهدى": البقرة دون البقرة، والبعير دون البعير.

3271 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن بكر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي مجلز، قال: سألت رجل ابن عمر: " ما استيسر من الهدى"؟ قال: أترضى شاة؟ = كأنه لا يرضاه.

3272 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا أيوب، عن القاسم بن محمد ونافع، عن ابن عمر قال: " ما استيسر من الهدى"، ناقة أو بقرة، فقيل له: " ما استيسر من الهدى"؟ قال: الناقة دون الناقة، والبقرة دون البقرة.

3273 - حدثني المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عمر أنه قال: " فما استيسر من الهدى"، قال: جزور، أو بقرة.

3274 - حدثنا أبو كريب ويعقوب، قالا حدثنا هشيم، قال الزهري أخبرنا - وسئل عن قول الله: " فما استيسر من الهدى" - قال: قال ابن عمر: من الإبل والبقر.

3275 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر في قوله جل ثناؤه: " فما استيسر من الهدى" قال: الناقة دون الناقة، والبقرة دون البقرة.

3276 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، عن أيوب، عن القاسم، عن ابن عمر في قوله: " فما استيسر من الهدى"، قال: الإبل والبقر.

3277 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: سمعت يحيى بن سعيد، قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: كان عبد الله بن عمر وعائشة يقولان: " ما استيسر من الهدى": من الإبل والبقر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 4-32 >

3278 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: حدثنا الوليد بن أبي هشام، عن زياد بن جبير، عن أخيه عبد الله أو عبيد الله بن جبير، قال: سألت ابن عمر عن المتعة في الهدى؟ فقال: ناقة، قلت: ما تقول في الشاة؟ قال: أكلكم شاة؟ أكلكم شاة؟ (58)

3279 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، عن ليث، عن مجاهد وطاوس، قال: " ما استيسر من الهدى"، بقرة.

3280 - حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة: " فما استيسر من الهدى"، قال في قول ابن عمر: بقرة فما فوقها.

3281 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني أبو معشر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: " ما استيسر من الهدى"، قال: بدنة أو بقرة، فأما شاة فإنما هي نسك.

3282 - حدثنا المثنى، قال: حدثنا الحجاج، قال: حدثنا حماد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: البدنة دون البدنة، والبقرة دون البقرة، وإنما الشاة نسك، قال: تكون البقرة بأربعين وخمسين.

3283 - حدثنا الربيع، قال: حدثنا ابن وهب، قال: حدثني أسامة، عن نافع، عن ابن عمر، كان يقول: " ما استيسر من الهدى"، بقرة.

3284 - وحدثنا الربيع، قال: حدثنا ابن وهب، قال: حدثني أسامة بن زيد أن سعيداً حدثه، قال: رأيت ابن عمر وأهل اليمن يأتونه فيسألونه عن " ما استيسر < 4-33 > من الهدى" ويقولون: الشاة! الشاة! قال: فيرد عليهم: " الشاة! الشاة! يحضهم - إلا أن الجزور دون الجزور، والبقرة دون البقرة، ولكن ما " استيسر من الهدى"، بقرة.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب قول من قال: " ما استيسر من الهدى" شاة. لأن الله جل ثناؤه إنما أوجب ما استيسر من الهدى، وذلك على كل ما تيسر للمهدي أن يهديه كائناً ما كان ذلك الذي يهدي. إلا أن يكون الله جل ثناؤه خص من ذلك شيئاً، فيكون ما خص من ذلك خارجاً من جملة ما احتمله ظاهر التنزيل، ويكون سائر الأشياء غيره مجزئاً إذا أهداه المهدي بعد أن يستحق اسم " هدي".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن قال قائل: فإن الذين أبوا أن تكون الشاة مما استيسر من الهدى، بأنه لا يستحق اسم "هدى" كما أنه لو أهدى دجاجة أو بيضة لم يكن مهديا هديا مجزئا.

قيل: لو كان في المهدي الدجاجة والبيضة من الاختلاف، نحو الذي في المهدي الشاة، لكان سبيلهما واحدة: في أن كل واحد منهما قد أدى ما عليه بظاهر التنزيل إذا لم يكن أحد الهديين مخرجه من أن يكون مؤديا (59) - بإهدائه ما أهدى من ذلك - مما أوجبه الله عليه في إحصاره. ولكن لما أخرج المهدي ما دون الجذع من الضأن، والثني من المعز والإبل والبقر فصاعدا من الأسنان - من أن يكون مهديا ما أوجبه الله عليه في إحصاره أو متعته - بالحجة القاطعة العذر، نقلا عن نبينا صلى الله عليه وسلم وراثه، كان ذلك خارجا من أن يكون مرادا بقوله: "فما استيسر من الهدى" وإن كان مما استيسر لنا من الهدايا.

< 4-34 >

ولما اختلف في الجذع من الضأن والثني من المعز، كان مجزئا ذلك عن مهديه لظاهر التنزيل، لأنه مما استيسر من الهدى.

فإن قال قائل: فما محل "ما" التي في قوله جل وعز: "فما استيسر من الهدى"؟ قيل: رفع.

فإن قال: بماذا؟

قيل: بمتروك. وذلك "فعلية" لأن تأويل الكلام: وأتموا الحج والعمرة أيها المؤمنون لله، فإن حبسكم عن إتمام ذلك حابس من مرض أو كسر أو خوف عدو فعليكم - لإحلالكم، إن أردتم الإحلال من إحرامكم - ما استيسر من الهدى.

وإنما اخترنا الرفع في ذلك، لأن أكثر القرآن جاء برفع نظائره، وذلك كقوله: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ وَكَقَوْلِهِ: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ بِإِحْصَائِهِ الْكِتَابُ، تركنا ذكره استغناء بما ذكرنا عنه.

ولو قيل موضع "ما" نصب، بمعنى: فإن أحصرتم فأهدوا ما استيسر من الهدى، لكان غير مخطئ قائله. (60)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما " الهدى "، فإنه جمع، وأحدها " هديّه "، على تقدير " جديّه السرح " والجمع " الجَدْي " مخفف. (61)

3285 - حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، عن يونس، قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: لا أعلم في الكلام حرفا يشبهه. (62)

< 4-35 >

وتخفيف " الياء " وتسكين " الدال " من " الهدى " قرأه القرأة في كل مصر، إلا ما ذكر عن الأعرج، فإن:-

3286 - أبا هشام الرفاعي، حدثنا، قال: حدثنا يعقوب، عن بشار، عن أسد، عن الأعرج أنه قرأ: هَدْبًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ [سورة المائدة: 95] بكسر " الدال " مثقلا وقرأ: " حتى يبلغ الهدى محله "، بكسر " الدال " مثقلة. واختلف في ذلك عن عاصم، فروي عنه موافقة الأعرج ومخالفته إلى قراءه سائر القرأة.

و " الهدى " عندي إنما سمي " هديا " لأنه تقرب به إلى الله جل وعز مهديه، بمنزلة الهدية يهديها الرجل إلى غيره متقربا بها إليه، يقال منه: " أهديت الهدى إلى بيت الله ، فأنا أهديه إهداء ". كما يقال في الهدية يهديها الرجل إلى غيره: " أهديت إلى فلان هدية وأنا أهديها ". ويقال للبدنة " هدية "، ومنه قول زهير بن أبي سلمى، يذكر رجلا أسرا، يشبهه في حرمة بالبدنة التي تهدى:

فلم أر معشرا أسروا هديا

ولم أر جار بيت يستباء! (63)

< 4-36 >

القول في تأويل قوله تعالى : وَلَا تَخْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أحصرتم، فأردتم الإحلال من إحرامكم، فعليكم ما استيسر من الهدى. ولا تحلوا من إحرامكم إذا أحصرتم حتى يبلغ الهدى = الذي أوجبه عليكم لإحلالكم من إحرامكم الذي أحصرتم فيه، قبل تمامه وانقضاء مشاعره ومناسكه = محله. (64) وذلك أن حلق

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الرأس إحلال من الإحرام الذي كان المحرم قد أوجبه على نفسه. فنهاه الله عن الإحلال من إحرامه بحلّاقه، (65) حتى يبلغ الهدى -الذي أباح الله جل ثناؤه له الإحلال جل ثناؤه بإهدائه - محله.

ثم اختلف أهل العلم في " محل " الهدى الذي عناه الله جل اسمه، الذي متى بلغه كان للمحصر الإحلال من إحرامه الذي أحصر فيه.

فقال بعضهم: محل هدى المحصر الذي يحل به ويجوز له ببلوغه إياه حلق رأسه = إذا كان إحصاره من خوف عدو منعه ذبحه، إن كان مما يذبح، أو نحره إن كان مما ينحر، في الحل ذبح أو نحر أو في الحرم = [حيث حبس] (66)

< 4-37 >

وإن كان من غير خوف عدو فلا يحل حتى يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة. وهذا قول من قال: الإحصار إحصار العدو دون غيره.

* ذكر من قال ذلك:

3287 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، أخبرني مالك بن أنس أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حل هو وأصحابه بالحديبية، فنحروا الهدى وحلقوا رؤوسهم، وحلوا من كل شيء قبل أن يطوفوا بالبيت، وقيل أن يصل إليه الهدى. ثم لم نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أحدا من أصحابه ولا ممن كان معه، أن يقضوا شيئا، ولا أن يعودوا لشيء. (67)

3288 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مالك، عن نافع: أن عبد الله بن عمر خرج إلى مكة معتمرا في الفتنة، فقال: إن صدت عن البيت صنعنا كما صنعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأهل بعمرة من أجل أن النبي كان أهل بعمرة عام الحديبية. ثم إن عبد الله بن عمر نظر في أمره فقال: ما أمرهما إلا واحد. قال: فالتفت إلى أصحابه فقال: ما أمرهما إلا واحد، أشهدكم أنني قد أوجبت الحج مع العمرة. قال: ثم طاف طوافا واحدا، ورأى أن ذلك مجز عنه وأهدى=.

قال يونس: قال ابن وهب: قال مالك: وعلى هذا الأمر عندنا فيمن أحصر بعدو كما أحصر نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فأما من أحصر بغير عدو فإنه لا يحل دون البيت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: وسئل مالك عن أحصر بعدو وحيل بينه وبين البيت، فقال: يحل من كل شيء، وينحر هديه، ويحلق رأسه حيث حبس، وليس عليه قضاء، إلا أن يكون لم يحج قط، فعليه أن يحج حجة الإسلام. (68)

< 4-38 >

3289 - حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا مالك، قال: حدثني يحيى بن سعيد، عن سليمان بن يسار: أن عبد الله بن عمر ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير أفتوا ابن حزابة المخزومي، (69) وصرع في الحج ببعض الطريق، أن يتداوى بما لا بد منه، (70) وبفتدي، ثم يجعلها عمرة، ويحج عاما قابلا ويهدي.

قال يونس: قال ابن وهب: قال مالك: وذلك الأمر عندنا فيمن أحصر بغير عدو. (71)

قال: وقال مالك: وكل من حبس عن الحج بعد ما يحرم إما بمرض، أو خطأ في العدد، أو خفي عليه الهلال، فهو محصر، عليه ما على المحصر - يعني من المقام على إحرامه - حتى يطوف أو يسعى، ثم الحج من قابل والهدي.

3290 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: أخبرني أيوب بن موسى أن داود بن أبي عاصم أخبره: أنه حج مرة فاشتكى، فرجع إلى الطائف ولم يطف بين الصفا والمروة. فكتب إلى عطاء بن أبي رباح يسأله عن ذلك، وأن عطاء كتب إليه: أن أهرق دما

وعلة من قال بقول مالك: في أن محل الهدى في الإحصار بالعدو نحره حيث حبس صاحبه، ما:-

3291 - حدثنا به أبو كريب ومحمد بن عمارة الأسدي، قالا حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا موسى بن عبيدة، قال: أخبرني أبو مرة مولى أم هانئ، عن ابن عمر، قال: لما كان الهدى دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية، < 39-4 > عرض له المشركون فردوا وجهه، قال: فنحر النبي صلى الله عليه وسلم الهدى حيث حبسوه - وهي الحديدية - وحلق، وتأسى به أناس فحلقوا حين رأوه حلق، وتربص آخرون فقالوا: لعلنا نطوف بالبيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله المحلقين! قيل: والمقصرين! قال: رحم الله المحلقين! قيل: والمقصرين! قال: " والمقصرين ". (72)

3292 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، قالا لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم القضية بينه وبين مشركي قريش - وذلك بالحديبية، عام الحديبية -

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال لأصحابه: " قوموا فانحروا واحلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يبق منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر ذلك لها، فقالت أم سلمة: يا نبي الله اخرج، ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حولك فتحلق . فقام فخرج، فلم يكلم منهم أحدا حتى فعل ذلك. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما. (73)

< 4-40 >

قالوا: فنحر النبي صلى الله عليه وسلم هديه حين صده المشركون عن البيت بالحديبية، وحل هو وأصحابه. قالوا: والحديبية ليست من الحرم. قالوا: ففي مثل ذلك دليل واضح على أن معنى قوله: " حتى يبلغ الهدى محله "، حتى يبلغ بالذبح أو النحر محل أكله، والانتفاع به في محل ذبحه ونحره.

3293 - كما روي عن نبي الله عليه الصلاة والسلام في نظيره إذ أتى بلحم - أته بريرة - من صدقة كان تصدق به عليها، فقال: قربوه فقد بلغ محله. (74)

يعني: فقد بلغ محل طيبه وحلاله له بالهدية إليه بعد أن كان صدقة على بريرة.

< 4-41 >

وقال بعضهم: محل هدي المحصر الحرم لا محل له غيره.

* ذكر من قال ذلك:

3294 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد: أن عمرو بن سعيد النخعي أهل بعمره، فلما بلغ ذات الشقوق لدغ بها، فخرج أصحابه إلى الطريق يتشوفون الناس، فإذا هم بابن مسعود، فذكروا ذلك له، فقال: لبيعت بهدي، واجعلوا بينكم يوم أماره، فإذا ذبح الهدى فليحل، وعليه قضاء عمرته. (75)

3295 - حدثنا تميم بن المنتصر، قال: حدثنا إسحاق، عن شريك، عن سليمان بن مهران، عن عمارة بن عمير وإبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد أنه قال: خرجنا مهلين بعمره فينا الأسود بن يزيد، حتى نزلنا ذات الشقوق، فلدغ صاحب لنا، فشق ذلك عليه مشقة شديدة، فلم ندر كيف نصنع به، فخرج

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

بعضنا إلى الطريق، فإذا نحن بركب فيه عبد الله بن مسعود، فقلنا له: يا أبا عبد الرحمن رجل منا لدغ، فكيف نصنع به؟ قال: يبعث معكم بثمان هدي، فتجعلون بينكم وبينه يوماً أماراً، فإذا نحر الهدي فليحل، وعليه عمرة في قابل. (76)

3296 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن < 42-4 > الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: بينا نحن بذات الشقوق فلبى رجل منا بعمرة فلدغ، فمر علينا عبد الله فسألناه، فقال: اجعلوا بينكم وبينه يوم أمار، فبعث بثمان الهدي، فإذا نحر حل وعليه العمرة. (77)

3297 - حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت إبراهيم النخعي يحدث عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: أهل رجل منا بعمرة، فلدغ، فطلع ركب فيهم عبد الله بن مسعود، فسألوه، فقال: يبعث بهدي، واجعلوا بينكم وبينه يوماً أماراً، فإذا كان ذلك اليوم فليحل = وقال عمارة بن عمير: فكان حسبك به عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله = وعليه العمرة من قابل. (78)

3298 - حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: خرجنا عماراً، فلما كنا بذات الشقوق لدغ صاحب لنا، فاعترضنا للطريق نسأل عما نصنع به، فإذا عبد الله بن مسعود في ركب، فقلنا له: لدغ صاحب لنا؟ فقال: اجعلوا بينكم وبين صاحبكم يوماً، وليرسل بالهدي، فإذا نحر الهدي فليحل، ثم عليه العمرة.

3299 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن الحجاج، قال: حدثني عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، عن ابن مسعود: أن عمرو بن سعيد النخعي > < 43-4 > أهل بعمرة، فلما بلغ ذات الشقوق لدغ بها، فخرج أصحابه إلى الطريق يتشوفون الناس، فإذا هم بابن مسعود، فذكروا ذلك له فقال: ليعث بهدي، واجعلوا بينكم وبينه يوم أمار، فإذا ذبح الهدي فليحل، وعليه قضاء عمرته. (79)

3300 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: قَانَ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ، يقول: من أحرم بحج أو عمرة، ثم حبس عن البيت بمرض يجهده أو عذر يجبسه، فعليه ذبح ما استيسر من الهدي، شاة فما فوقها يذبح عنه. فإن كانت حجة الإسلام، فعليه قضاؤها، وإن كانت حجة بعد حجة الفريضة أو عمرة فلا قضاء عليه.

ثم قال: " ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله " فإن كان أحرم بالحج فمحله يوم النحر، وإن كان أحرم بعمرة فمحله هديه إذا أتى البيت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3301 - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ**، فهو الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كان يحبس عن البيت، فيهدي إلى البيت، ويمكث على إحرامه حتى يبلغ الهدى محله. فإذا بلغ الهدى محله حلق رأسه، فاتم الله له حجه، والإحصار أيضا أن يحال بينه وبين الحج، فعليه هدي: إن كان موسرا من الإبل، وإلا فمن البقر، وإلا فمن الغنم، ويجعل حجه عمرة، ويبعث بهديه إلى البيت. فإذا نحر الهدى فقد حل، وعليه الحج من قابل.

3302 - حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، حدثنا بشر بن السري، < 44-4 > عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، قال: سأل علي رضي الله عنه عن قول الله عز وجل: **فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** فإذا أحصر الحاج بعث بالهدى، فإذا نحر عنه حل، ولا يحل حتى ينحر هديه.

3303 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، قال: سمعت عطاء يقول: من حبس في عمرته، فبعث بهدية فاعترض لها فإنه يتصدق بشيء أو يصوم، ومن اعترض لهديته، وهو حاج، فإن محل الهدى والإحرام يوم النحر، وليس عليه شيء.

3304 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، مثله.

3305 - حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي قوله: " **فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله"، الرجل يحرم ثم يخرج فيحصر، إما بلدغ أو مرض فلا يطيق السير، وإما تنكسر راحلته، فإنه يقيم، ثم يبعث بهدي شاة فما فوقها. فإن هو صح فسار فأدرك فليس عليه هدي، وإن فاته الحج فإنها تكون عمرة، وعليه من قابل حجة، وإن هو رجع لم يزل محرما حتى ينحر عنه يوم النحر.

فإن هو بلغه أن صاحبه لم ينحر عنه عاد محرما وبعث بهدي آخر، فواعد صاحبه يوم ينحر عنه بمكة، فتنحر عنه بمكة، ويحل، وعليه من قابل حجة وعمرة - ومن الناس من يقول: عمرتان. وإن كان أحرم بعمرة ثم رجع وبعث بهديه، فعليه من قابل عمرتان. وأناس يقولون: لا بل ثلاث عمر، نحو مما صنعوا في الحج حين صنعوا، عليه حجة وعمرتان.

3306 - حدثنا عبد الحميد بن بيان القناد، قال: أخبرنا إسحاق الأزرق، عن أبي بشر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء، عن ابن عباس، قال: إذا أحصر الرجل بعث بهديه إذا كان لا يستطيع أن يصل إلى البيت من العدو.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فإن وجد من يبلغها عنه إلى مكة، فإنه يبعث بها مكانه، ويواعد صاحب الهدى. فإذا أمن فعليه أن يحج ويعتمر. فإن أصابه مرض يحبسه وليس معه هدي، فإنه يحل حيث يحبس. وإن كان معه هدي، فلا يحل حتى يبلغ الهدى محله إذا بعث به، وليس عليه أن يحج قابلاً ولا يعتمر، إلا أن يشاء.

وقال أبو جعفر: وعلة من قال هذه المقالة = أن محل الهدايا والبدن الحرم = أن الله عز وجل ذكر البدن والهدايا فقال: وَمَنْ يُعْظَمْ شِعَائِرَ اللَّهِ فَأَنَّهَا مِنْ تَفْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ [الحج: 32-33] فجعل محلها الحرم، ولا محل للهدى دونه.

قالوا: وأما ما ادعاه المحتجون بنحر النبي صلى الله عليه وسلم هداياه بالحديبية حين صد عن البيت، فليس ذلك بالقول المجتمع عليه، وذلك أن:

3307 - الفضل بن سهل حدثني، قال: حدثنا مخول بن إبراهيم، قال: حدثنا إسرائيل، عن مجزأة بن زاهر الأسلمي، عن أبيه، عن ناجية بن جندب الأسلمي، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم حين صد عن الهدى، فقلت: يا رسول الله ابعث معي بالهدى فلننحره بالحرم! قال: كيف تصنع به؟ قلت: أخذ به أودية فلا يقدرون عليها! فانطلقت به حتى نحرته بالحرم. (80)

< 4-46 >

قالوا: فقد بين هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هداياه في الحرم، فلا حجة لمحتج بنحره بالحديبية في غير الحرم.

وقال آخرون: معنى هذه الآية وتأويلها على غير هذين الوجهين اللذين وصفنا من قول الفريقين اللذين ذكرنا اختلافهم على ما ذكرنا. وقالوا: إنما معنى ذلك: فإن أحصرتم أيها المؤمنون عن حركم - فمنعتم من المضي لإحرامه لعائق مرض أو خوف عدو - وأداء اللازم لكم وحركم، حتى فاتكم الوقوف بعرفة، فإن عليكم ما استيسر من الهدى، لما فاتكم من حركم، مع قضاء الحج الذي فاتكم. فقال أهل هذه المقالة: ليس للمحصر في الحج - بالمرض والعلل غيره - الإحلال إلا بالطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة إن فاته الحج. قالوا: فأما إن أطاق شهود المشاهد، فإنه غير محصر. قالوا: وأما العمرة فلا إحصار فيها، لأن وقتها موجود أبداً. قالوا: والمعتمر لا يحل إلا بعمل آخر ما يلزمه في إحرامه.

< 4-47 >

قالوا: ولم يدخل المعتمر في هذه الآية، وإنما عنى بها الحاج.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم اختلف أهل هذه المقالة. فقال بعضهم: لا إحصار اليوم بعدو، كما لا إحصار بمرض يجوز لمن فاته أن يحل من إحرامه قبل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة.

* ذكر من قال ذلك:

3308 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، عن ليث، عن مجاهد، عن طاوس، قال: قال ابن عباس: لا إحصار اليوم.

3309 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال سمعت يحيى بن سعيد يقول: أخبرني عبد الرحمن بن القاسم أن عائشة قالت: لا أعلم المحرم يحل بشيء دون البيت.

3310 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لا حصر إلا من حبسه عدو، فيحل بعمرة، وليس عليه حج ولا عمرة.

وقال آخرون منهم: حصار العدو ثابت اليوم وبعد اليوم، على نحو ما ذكرنا من أقوالهم الثلاثة التي حكينا عنهم.

* ذكر من قال ذلك: وقال: معنى الآية: فإن أحصرتم عن الحج حتى فاتكم، فعليكم ما استيسر من الهدى لفوته إياكم:

3311 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن سالم، قال: كان عبد الله بن عمر ينكر الاشتراط في الحج، ويقول: أليس حسبكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إن حبس أحدكم عن الحج طاف بالبيت والصفا والمروة، ثم حل من كل شيء حتى يحج عاما < 48-4 > قابلا ويهدي أو يصوم إن لم يجد هديا.

3312 - حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: المحصر لا يحل من شيء حتى يبلغ البيت، ويقوم على إحرامه كما هو، إلا أن تصيبه جراحة - أو جرح - فيتداوى بما يصلحه ويفتدي. فإذا وصل إلى البيت، فإن كانت عمرة قضاها، وإن كانت حجة فسخها بعمرة، وعليه الحج من قابل والهدى، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3313 - حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله، قال: أخبرني نافع: أن ابن عمر مر على ابن حزابة وهو بالسقيا، فرأى به كسرا، فاستفتاه، فأمره أن يقف كما هو لا يحل من شيء حتى يأتي البيت إلا أن يصيبه أذى فيتداوى وعليه ما استيسر من الهدى. وكان أهل بالحج. (81)

3314 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر، قال: من أحصر بعد أن يهل بحج، فحبسه خوف أو مرض أو خلأ له ظهر يحمله، (82) أو شيء من الأمور كلها، فإنه يتعالج لحبسه ذلك بكل شيء لا بد له منه، غير أنه لا يحل من النساء والطيب، ويفتدي بالفدية التي أمر الله بها صيام أو صدقة أو نسك. فإن فاته الحج وهو بمحبسه ذلك، أو فاته أن يقف في مواقف عرفة قبل الفجر من ليلة المزدلفة، فقد فاته الحج، وصارت حجه عمرة: يقدم مكة فيطوف بالبيت وبالصفا والمروة، فإن كان معه هدي نحره بمكة قريبا من < 4-49 > المسجد الحرام، ثم حلق رأسه، أو قصر، ثم حل من النساء والطيب وغير ذلك. ثم عليه أن يحج قابلا ويهدي ما تيسر من الهدى.

3315 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر أنه قال: المحصر لا يحل حتى يطوف بالبيت وبين الصفا والمروة. وإن اضطر إلى شيء من لبس الثياب التي لا بد له منها أو الدواء صنع ذلك وافتدى. (83)

فهذا ما روي عن ابن عمر في الإحصار بالمرض وما أشبهه، وأما في المحصر بالعدو فإنه كان يقول فيه بنحو القول الذي ذكرناه قبل عن مالك بن أنس أنه كان يقوله. (84)

3316 - حدثني تميم بن المنتصر، قال: حدثنا عبد الله بن نمير، قال: أخبرنا عبيد الله، عن نافع: أن ابن عمر أراد الحج حين نزل الحاج بابن الزبير فكلمه ابنه سالم وعبيد الله، فقالا لا يضرك أن لا تحج العام، إنا نخاف أن يكون بين الناس قتال فيحال بينك وبين البيت! قال: إن حيل بيني وبين البيت فعلت كما فعلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حال كفار قريش بينه وبين البيت فحلق ورجع.

وأما ما ذكرناه عنهم في العمرة من قولهم: "إنه لا إحصار فيها ولا حصر"، فإنه:-

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3317 - حدثني به يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثني هشيم، عن أبي بشر، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير أنه أهل بعمرة فأحصر، قال: فكتب إلى ابن عباس وابن عمر، فكتبوا إليه أن يبعث بالهدي، ثم يقيم حتى يحل من عمرته. قال: فأقام ستة أشهر أو سبعة أشهر.

< 4-50 >

3318 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا يعقوب، عن أبي العلاء بن الشخير، قال: خرجت معتمرا فصرعت عن بعيري، فكسرت رجلي، فأرسلنا إلى ابن عباس وابن عمر نسألهما، فقالا إن العمرة ليس لها وقت كوقت الحج، لا تحل حتى تطوف بالبيت. قال: فأقمت بالدثينة أو قريبا منه سبعة أشهر أو ثمانية أشهر. (85)

3319 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثني مالك، عن أيوب بن أبي تميمة السختياني عن رجل من أهل البصرة كان قديما أنه قال: خرجت إلى مكة، حتى إذا كنت ببعض الطريق كسرت فخذي، فأرسلت إلى مكة إلى عبد الله بن عباس، وبها عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر والناس، فلم يرخص لي أحد أن أحل، فأقمت على ذلك إلى سبعة أشهر، حتى أحللت بعمرة. (86)

3320 - حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن ابن شهاب في رجل أصابه كسر وهو معتمر، قال: يمكث على إحرامه حتى يأتي البيت ويطوف به وبالصفا والمروة، وبحلق أو يقصر، وليس عليه شيء.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من > 51-4 < قال: إن الله عز وجل عنى بقوله =: " فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله " = كل محصر في إحرام، بعمرة كان إحرام المحصر أو بحج، وجعل محل هديه الموضع الذي أحصر فيه، وجعل له الإحلال من إحرامه ببلوغ هديه محله-. (87) وتأول بـ " المحل " المنحر أو المذبح، وذلك حين حل نحره أو ذبحه، في حرم كان أو في حل، وألزمه قضاء ما حل منه من إحرامه قبل إتمامه إذا وجد إليه سبيلا وذلك لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صد عام الحديبية عن البيت وهو محرم وأصحابه بعمرة، فنحر هو وأصحابه بأمره الهدي، وحلوا من إحرامهم قبل وصولهم إلى البيت، ثم قضوا إحرامهم الذي حلوا منه في العام الذي بعده. ولم يدع أحد من أهل العلم بالسير ولا غيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه أقام على إحرامه انتظارا للوصول إلى البيت والإحلال بالطواف به وبالسعي بين الصفا والمروة، ولا تحفى وصول هديه إلى الحرم. (88)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فأولى الأفعال أن يقتدى به، فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لم يأت بحظره خبر، ولم تقم بالمنع منه حجة. فإذا كان ذلك كذلك، وكان أهل العلم مختلفين فيما اخترنا من القول في ذلك = فمن متأول معنى الآية تأويلنا، ومن مخالف ذلك، ثم كان ثابتاً بما قلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النقل = كان الذي نقل عنه أولى الأمور بتأويل الآية، إذ كانت هذه الآية لا يتدافع أهل العلم أنها يومئذ نزلت وفي حكم صد المشركين إياه عن البيت أوحيت. (89)

< 4-52 >

وقد روي بنحو الذي قلنا في ذلك خبر.

3321 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: حدثني الحجاج بن أبي عثمان، قال: حدثني يحيى بن أبي كثير، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثه، قال: حدثني الحجاج بن عمرو الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى " قال: فحدثت ابن عباس وأبا هريرة بذلك، فقالا صدق. (90)

3322 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا مروان، قال: حدثنا حجاج الصواف = وحدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا سفیان بن حبيب، عن الحجاج الصواف = عن يحيى بن أبي كثير، عن عكرمة، عن الحجاج بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، وعن ابن عباس وأبي هريرة. (91)

ومعنى هذا الخبر الأمر بقضاء الحجة التي حل منها، نظير فعل النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في قضائهم عمرتهم التي حلوا منها عام الحديبية من القابل في عام عمرة القضية.

< 4-53 >

ويقال لمن زعم أن الذي حصره عدو، إذا حل من إحرامه التطوع فلا قضاء عليه، وأن المحصر بالعلل عليه القضاء: ما العلة التي أوجبت على أحدهما القضاء، وأسقطت عن الآخر، وكلاهما قد حل من إحرام كان عليه إتمامه لولا العلة العائقة ؟

فإن قال: لأن الآية إنما نزلت في الذي حصره العدو، فلا يجوز لنا نقل حكمها إلى غير ما نزلت فيه

قيل له: قد دفعك عن ذلك جماعة من أهل العلم، غير أنا نسلم لك ما قلت في ذلك، فهلا كان حكم المنع بالمرض والإحصار له حكم المنع بالعدو، إذ هما

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

متفقان في المنع من الوصول إلى البيت وإتمام عمل إحرامهما، وإن اختلفت أسباب منعهما، فكان أحدهما ممنوعاً بعله في بدنه، والآخر بمنع مانع؟ ثم يسأل الفرق بين ذلك من أصل أو قياس، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله.

وأما الذين قالوا: لا إحصار في العمرة، فإنه يقال لهم: قد علمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما صد عن البيت، وهو محرم بالعمرة، فحل من إحرامه؟ فما برهانكم على عدم الإحصار فيها؟ أو رأيتم إن قال قائل: لا إحصار في حج، وإنما فيه فوت، وعلى الفائت الحج المقام على إحرامه حتى يطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، لأنه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سن في الإحصار في الحج سنة؟ فقد قال ذلك جماعة من أئمة الدين. فأما العمرة فإن النبي صلى الله عليه وسلم سن فيها ما سن، وأنزل الله تبارك وتعالى في حكمها ما بين من الإحلال والقضاء الذي فعله صلى الله عليه وسلم، ففيها الإحصار دون الحج هل بينها وبينه فرق؟ ثم يعكس عليه القول في ذلك، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله.

< 4-54 >

القول في تأويل قوله تعالى: **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ**

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى، ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله، (92) إلا أن يضطر إلى حلقه منكم مضطراً، إما لمرض، وإما لأذى برأسه، من هوام أو غيرها، فيحلق هنالك للضرورة النازلة به، وإن لم يبلغ الهدى محله، فيلزمه بحلق رأسه وهو كذلك، فدية من صيام، أو صدقة، أو نسك.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

3323 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما "أذى من رأسه"؟ قال: القمل وغيره، والصدع، وما كان في رأسه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: لا يخلق إن أراد أن يفترق الحج بالنسك، أو الإطعام، إلا بعد التكفير. وإن أراد أن يفترق بالصوم، حلق ثم صام.

* ذكر من قال ذلك.

.....

3324 - حدثنا عبيد الله بن معاذ، عن أبيه، عن أشعث، عن الحسن، قال: إذا كان بالمحرم أذى من رأسه فإنه يحلق حين يبعث بالشاة، أو يطعم المساكين، < 4-55 > وإن كان صوم حلق ثم صام بعد ذلك. (93)

.....

* ذكر من قال ذلك:

3325 - حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: إذا أهل الرجل بالحج فأحصر بعث بما استيسر من الهدى، شاة فإن عجل قبل أن يبلغ الهدى محله، فحلق رأسه، أو مس طيبا أو تداوى، كان عليه فدية من صيام، أو صدقة، أو نسك. قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، فقال: كذلك قال ابن عباس.

3326 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى، قال: من أحصر بمرض أو كسر فليرسل بما استيسر من الهدى، ولا يحلق رأسه، ولا يحل حتى يوم النحر. فمن كان مريضا، أو اكتحل، أو أدهن، أو تداوى، أو كان به أذى من رأسه، فحلق، ففدية من صيام، أو صدقة، أو نسك.

< 4-56 >

3327 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

3328 - حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " هذا إذا كان قد بعث بهديه، ثم احتاج إلى حلق رأسه من مرض، وإلى طيب، وإلى ثوب يلبسه، قميص أو غير ذلك: فعليه الفدية.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3329 - وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح كاتب الليث، قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: من أحصر عن الحج فأصابه في حبسه ذلك مرض أو أذى برأسه، فحلق رأسه في محبسه ذلك، فعليه فدية من صيام، أو صدقة، أو نسك.

3330 - حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني الليث، قال: حدثنا عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سالم بن عبد الله، أن عبد الله بن عمر قال: من أحصر بعد أن يهل بحج، فحبسه مرض أو خوف، فإنه يتعالج في حبسه ذلك بكل شيء لا بد له منه، غير أنه لا يحل له النساء والطيب، ويفتدي بالفدية التي أمر الله بها: صيام، أو صدقة، أو نسك.

3331 - حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثني بشر بن السري، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، قال: سئل علي رضي الله عنه عن قول الله جل ثناؤه: "فمن كان من منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك" قال: هذا قبل أن ينحر الهدى، إن أصابه شيء فعليه الكفارة.

وقال آخرون: معنى ذلك: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه، > 4-57 < فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك قبل الحلاق إذا أراد حلاقه.

* ذكر من قال ذلك:

3332 - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن ابن عباس قوله: "فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك" فمن اشتد مرضه، أو أذاه رأسه وهو محرم، فعليه صيام، أو إطعام، أو نسك. ولا يحلق رأسه حتى يقدم فديته قبل ذلك.

وعلة من قال هذه المقالة ما: -

3333 - حدثنا به المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن يعقوب، قال: سألت عطاء، عن قوله: "فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك" فقال: إن كعب بن عجرة مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبرأسه من الصئبان والقمل كثير، فقال له النبي عليه السلام: "هل عندك شاة؟" فقال كعب: ما أجدها! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت فأطعم ستة مساكين، وإن شئت فصم ثلاثة أيام، ثم احلق رأسك. (94)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 4-58 >

قال أبو جعفر : فأما " المرض " الذي أبيح معه العلاج بالطيب وحلق الرأس، فكل مرض كان صلاحه بحلقه كالبرسام الذي يكون من صلاح صاحبه حلق رأسه، وما أشبه ذلك، (95) والجراحات التي تكون بجسد الإنسان التي يحتاج معها إلى العلاج بالدواء الذي فيه الطيب ونحو ذلك من القروح والعلل العارضة للأبدان.

وأما " الأذى " الذي يكون إذا كان برأس الإنسان خاصة له حلقه، فنحو الصداع والشقيقة، وما أشبه ذلك، (96) وأن يكثر صبّان الرأس، وكل ما كان للرأس مؤذيا مما في حلقه صلاحه ودفع المضرة الحالة به، فيكون ذلك بعموم قول الله جل وعز : " أو به أذى من رأسه " .

وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت عليه بسبب كعب بن عجرة، إذ شكّا كثرة أذى برأسه من صبّانه، وذلك عام الحديبية.

* ذكر الأخبار التي رويت في ذلك:

3334 - حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وحميد بن مسعدة قالا حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا داود، عن الشعبي، عن كعب بن عجرة، قال: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ولي وفرّة فيها هوام ما بين أصل كل شعرة إلى فرعها قمل وصبّان، فقال: " إن هذا لأذى " ! قلت: أجل يا رسول الله، شديد ! قال: أمعك دم ؟ قلت: لا ! قال: فإن شئت > 4-59 < فصمّ ثلاثة أيام، وإن شئت فتصدق بثلاثة أصع من تمر على ستة مساكين، على كل مسكين نصف صاع. (97)

3335 - حدثني إسحاق بن شاهين الواسطي، قال: حدثنا خالد الطحان، عن داود، عن عامر، عن كعب بن عجرة، عن النبي بنحوه.

3336 - حدثنا محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا أسد بن عمرو، عن أشعث، عن عامر، عن عبد الله بن معقل عن كعب بن عجرة، قال: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ولي وفرّة من شعر، قد قملت وأكلني الصّبّان. فرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " احلق ! " ففعلت، فقال: " هل لك هدي؟ " فقلت: ما أجدا! فقال: إنه ما استيسر من الهدى، فقلت: ما أجدا! فقال: " صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين كل مسكين نصف صاع.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: ففي نزلت هذه الآية: " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك "، إلى آخر الآية (98)

< 4-60 >

قال أبو جعفر: وهذا الخبر ينبئ عن أن الصحيح من القول أن الفدية إنما تجب على الحالق بعد الحلق، وفساد قول من قال: يفدي ثم يحلق؛ لأن كعبا يخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالفدية، بعد ما أمره بالحلق فحلق.

3337 - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن عبد الله بن معقل، عن كعب بن عجرة أنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام، أو فرق من طعام بين ستة مساكين. (99)

3338 - حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن عبد الله بن معقل، قال: قعدت إلى كعب وهو في المسجد، فسألته عن هذه الآية: " ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " فقال كعب: نزلت في كان بي أذى من رأسي، فحملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال: " ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك ما أرى، أتجد شاة؟ " فقلت: لا فنزلت هذه الآية: " ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " قال: فنزلت في خاصة، وهي لكم عامة. (100)

< 4-61 >

3339 - حدثني تميم، قال: أخبرنا إسحاق الأزرق، عن شريك، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، قال: سمعت عبد الله بن معقل المزني، يقول: سمعت كعب بن عجرة يقول: حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقمّل رأسي ولحيتي وشاربي وحاجبي، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلي فقال: ما كنت أرى هذا أصابك "، ثم قال: ادعوا لي حلاقا ! فدعوه، فحلقتني. ثم قال: أعندك شيء تنسكه عنك؟ قال: قلت لا. قال: " فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين كل مسكين نصف صاع من طعام. قال كعب: فنزلت هذه الآية في خاصة: " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " ثم كانت للناس عامة. (101)

3340 - حدثني نصر بن علي الجهضمي، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثني أيوب، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، قال: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر، والقمل يتناثر على وجهي، فقال: أتؤذيك هوامّ رأسك؟ قال: قلت نعم! قال: احلقه وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو اذبح شاة. (102)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 4-62 >

3341 - حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، قال: حدثنا أيوب بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله = إلا أنه قال: والقمل يتناثر علي- أو قال: على حاجبي. وقال أيضا: أو انسك نسيكة. قال أيوب: لا أدري بأيتهن بدأ. (103)

3342 - حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا عبد الله بن عون، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب، قال: في أنزلت هذه الآية، قال: فقال لي: ادنه . فدنوت، فقال: " أيؤذيك هوامك؟ قال: أظنه قال نعم! قال: فأمرني بصيام، أو صدقة، أو نسك، ما تيسر. (104)

3343 - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن بكر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل عن مجاهد، عن كعب بن عجرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى عليه زمن الحديدية وهو يوقد تحت قدر له وهوام رأسه تتناثر على وجهه، فقال: أتؤذيك هوامك؟ قال: نعم! قال: احلق رأسك، وعليك فدية من صيام أو صدقة أو نسك، تذيب ذبيحة، أو تصوم ثلاثة أيام، أو تطعم ستة مساكين. (105)

< 4-63 >

3344 - حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على كعب بن عجرة زمن الحديدية، ثم ذكر نحوه.

3345 - حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا زيد بن الحباب، قال: وأخبرني سيف، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، قال: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بالحديبية، ورأسي يتهافت قملا فقال: أيؤذيك هوامك؟ قال قلت: نعم! قال: فاحلق. قال: ففي نزلت هذه الآية: " ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ". (106)

3346 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجیح وأيوب السخيتاني، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، قال: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديدية، وأنا أوقد تحت قدر، والقمل يتهافت علي، فقال: أتؤذيك هوامك؟ قال: قلت: نعم! قال: فاحلق، وانسك نسيكة، أو صم ثلاثة أيام، أو أطعم فرقا بين ستة مساكين = قال أيوب: انسك نسيكة، وقال ابن أبي نجیح: اذبح شاة =

قال سفيان: والفرق ثلاثة آصع. (107)

< 4-64 >

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3347 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه وقمله يسقط على وجهه، فقال: أيؤذيك هوامك؟ قال: نعم! فأمره أن يحلق وهو بالحديبية لم يتبين لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية، فأمره رسول الله أن يطعم فرقا بين ستة مساكين، أو يهدي شاة، أو يصوم ثلاثة أيام. (108)

3348 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية، ونحن محرمون، وقد حصرنا المشركون. قال: وكانت لي وفرة، فجعلت الهوام تساقط على وجهي، فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "أيؤذيك هوام رأسك؟" قال: قلت نعم! قال ونزلت هذه الآية: "فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك". (109)

< 4-65 >

3349 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن مجاهد، عن كعب بن عجرة، قال: لفي نزلت، وإياي عنى بها: "فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك" قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم = وهو بالحديبية، وهو عند الشجرة، وأنا محرم = : أيؤذيك هوامه؟ قلت: نعم! - أو كلمة لا أحفظها عنى بها ذاك - فأنزل الله جل وعز: "فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك"، والنسك: شاة. (110)

3350 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن مجاهد، قال: قال كعب بن عجرة، والذي نفسي بيده، لفي نزلت هذه الآية، وإياي عنى بها، ثم ذكر نحوه، قال: وأمره أن يحلق رأسه.

3351 - حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مالك بن أنس، عن عبد الكريم بن مالك الجزري، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة: أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأذاه القمل في رأسه، فأمره رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يحلق رأسه وقال: صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين مدين مدين لكل إنسان، أو انسك بشاة، أي ذلك فعلت أجزاءك". (111)

< 4-66 >

3352 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب أن مالك بن أنس حدثه عن حميد بن قيس، عن مجاهد، [عن ابن أبي ليلى]، عن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لعله آذاك هوامك؟ - يعني القمل -

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال: فقلت: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله: احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو أنسك بشاة. (112)

3353 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، أن مالك بن أنس حدثه، عن عطاء بن عبد الله الخراساني أنه قال: أخبرني شيخ بسوق البرم بالكوفة، عن كعب بن عجرة أنه قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنفخ تحت قدر لأصحابي، قد امتلأ رأسي ولحيتي قملاً فأخذ بجهتي، ثم قال: احلق هذا، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين! وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم علم أنه ليس عندي ما أنسك به. (113)

3354 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن نافع، قال: حدثني أسامة بن زيد، عن محمد بن كعب القرظي، عن كعب بن عجرة، قال كعب: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أذاني القمل أن أحلق رأسي، ثم أصوم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين؛ وقد علم أنه ليس عندي ما أنسك به. (114)

3355 - حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا روح، عن أسامة بن زيد، عن محمد بن كعب، قال: سمعت كعب بن عجرة يقول: أمرني - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن أحلق وأفتدي بشاة. (115)

3356 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن الزبير بن عدي، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: لقيت كعب بن عجرة في هذه السوق، فسألته عن حلق رأسه؟ فقال: أحرمت فأذاني القمل. فبلغ ذلك > 4-68 < النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاني وأنا أطبخ قدراً لأصحابي، فحك بأصبعه رأسي فانتثر منه القمل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: احلقه، وأطعم ستة مساكين. (116)

3357 - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريح، قال: أخبرني عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالحديبية عام حيسوا بها، وقمل رأس رجل من أصحابه يقال له كعب بن عجرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتؤذيك هذه الهوام؟ قال: نعم. قال: فاحلق واجزر، ثم صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين مدين مدين. قال: قلت أسمى النبي صلى الله عليه وسلم مدين مدين؟ قال: نعم، كذلك بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى ذلك لكعب، ولم يسم النسك، قال: وأخبرني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر كعباً بذلك بالحديبية قبل أن يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحلق والنحر، لا يدري عطاءكم بين الحلق والنحر. (117)

3358 - حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي عبد الله بن وهب، قال: حدثني الليث، عن ابن مسافر، عن ابن شهاب، عن فضالة بن محمد الأنصاري، أنه أخبره عن عمن لا يتهم من قومه: أن كعب بن عجرة أصابه أذى في رأسه، فحلق قبل أن يبلغ الهدى محله، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام. (118)

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 4-69 >

3359 - حدثني المثنى قال: حدثنا أبو الأسود، قال: أخبرنا ابن لهيعة، عن مخرمة، عن أبيه، قال: سمعت عمرو بن شعيب يقول: سمعت شعيبا يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة: أيؤذيك دواب رأسك؟ قال: نعم، قال: فاحلقه وافقد إما بصوم ثلاثة أيام، وإما أن تطعم ستة مساكين، أو نسك شاة " ففعل. (119)

< 4-70 >

قال أبو جعفر: وقد بينا قبل معنى " الفدية " ، وأنها بمعنى الجزاء والبدل. (120)

قال أبو جعفر: واختلف أهل العلم في مبلغ الصيام والطعام اللذين أوجبهما الله على من حلق شعره من المحرمين في حال مرضه أو من أذى برأسه. فقال بعضهم: الواجب عليه من الصيام ثلاثة أيام، ومن الطعام ثلاثة أصع بين ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع. واعتلوا بالأخبار التي ذكرناها قبل.

* ذكر من قال ذلك:

3360 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن السدي، عن أبي مالك: " فدية من صيام أو صدقة أو نسك " قال: الصيام: ثلاثة أيام، والطعام: إطعام ستة مساكين، والنسك: شاة.

3361 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، مثله.

3362 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، مثله.

3363 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد أنهما قالا في قوله: " فدية من صيام أو صدقة أو نسك " قالا الصيام ثلاثة أيام، والطعام: إطعام ستة مساكين، والنسك: شاة فصاعدا.

3364 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن أشعث، عن الشعبي، عن عيد الله بن معقل، عن كعب بن عجرة أنه قال في قوله: " فدية من صيام أو صدقة أو نسك " قال: الصيام ثلاثة أيام، والطعام: إطعام ستة مساكين،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

والنسك: شاة فصاعدا = إلا أنه قال في إطعام المساكين: ثلاثة أصع من تمر بين ستة مساكين. (121)

< 4-71 >

3365 - حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " إن صنع واحدا فعليه فدية، وإن صنع اثنين فعليه فديتان، وهو مخير أن يصنع أي الثلاثة شاء. أما الصيام فثلاثة أيام. وأما الصدقة فستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، وأما النسك فشاة فما فوقها. نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة الأنصاري كان أحصر فقمّل رأسه، فحلّقه.

3366 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فمن كان مريضا أو اكتحل، أو ادهن، أو تداوى، أو كان به أذى من رأسه من قمل فحلّق، ففدية من صيام ثلاثة أيام، أو صدقة فرق بين ستة مساكين، أو نسك، والنسك: شاة.

3367 - حدثت عن عمار بن الحسن، عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ قَالَ: فَإِنْ عَجَلَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْهَدْيِ مَحَلَّهُ فَحَلَّقْ، ففدية من صيام أو صدقة، أو نسك. قال: فالصيام ثلاثة أيام، والصدقة: إطعام ستة مساكين، بين كل مسكينين صاع. والنسك: شاة.

3368 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن عبد الكريم، عن سعيد بن جبير، قال: يصوم صاحب الفدية مكان كل مدين يوما، قال: مدا لطعامه، ومدا لإدامه.

3369 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون، عن عنبسة بإسناده مثله.

3370 - حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا بشر بن السري، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، قال: سئل علي رضي الله عنه عن قول الله: " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " قال: الصيام ثلاثة أيام، والصدقة: ثلاثة أصع على ستة مساكين، والنسك: شاة.

< 4-72 >

3371 - حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني الليث، قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن حرب بن قيس مولى يحيى بن أبي طلحة أنه سمع محمد بن كعب، وهو يذكر الرجل الذي نزل فيه: " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه " ، قال: فأفتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما الصيام: فثلاثة أيام، وأما المساكين فستة، وأما النسك فشاة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3372 - حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: إذا أهل الرجل بالحج فأحصر بعث بما استيسر من الهدى، شاة. فإن عجل قبل أن يبلغ الهدى محله - حلق رأسه، أو مس طيبا، أو تداوى - كان عليه فدية من صيام، أو صدقة، أو نسك. والصيام: ثلاثة أيام، والصدقة: ثلاثة أصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، والنسك: شاة.

3373 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم ومجاهد قوله: " فدية من صيام أو صدقة أو نسك " قالا الصيام ثلاثة أيام، والصدقة: ثلاثة أصع على ستة مساكين، والنسك: شاة.

وقال آخرون: الواجب عليه إذا حلق رأسه من أذى، أو تطيب لعله من مرض، أو فعل ما لم يكن له فعله في حال صحته وهو محرم - من الصوم: صيام عشرة أيام، ومن الصدقة: إطعام عشرة مساكين.

* ذكر من قال ذلك:

3374 - حدثنا ابن أبي عمران، قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ، عن أبيه، عن أشعث، عن الحسن في قوله: " فدية من صيام أو صدقة أو نسك " قال: إذا كان بالمحرم أذى من رأسه، حلق وافتدى بأي هذه الثلاثة شاء. فالصيام: > 4- 73 < عشرة أيام، والصدقة على عشرة مساكين، كل مسكين مكوكين، مكوكا من تمر، ومكوكا من بر، والنسك: شاة. (122)

3375 - حدثني عبد الملك بن محمد الرقاشي، قال: حدثنا بشر بن عمرو، قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن الحسن وعكرمة: " فدية من صيام أو صدقة أو نسك " قال: إطعام عشرة مساكين.

وقاس قائلو هذا القول كل صيام وجب على محرم، أو صدقة جزاء = من نقص دخل في إحرامه، أو فعل ما لم يكن له فعله = بدلا من دم، على ما أوجب الله على المتمتع من الصوم إذا لم يجد الهدى. وقالوا: جعل الله على المتمتع صيام عشرة أيام مكان الهدى إذا لم يجده. قالوا: فكل صوم وجب مكان دم، فمثله.

قالوا: فإذا لم يصم وأراد الإطعام فإن الله جل وعز أقام إطعام مسكين مكان صوم يوم لمن عجز عن الصوم في رمضان. قالوا: فكل من جعل الإطعام له مكان صوم لزمه فهو نظيره. فلذلك أوجبوا إطعام عشرة مساكين في فدية الحلق.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: بل الواجب على الحالق النسك شاة إن كانت عنده. فإن > 4-
< 74 لم تكن عنده قومت الشاة دراهم والدرهم طعاما، فتصدق به، وإلا
صام لكل نصف صاع يوما.

* ذكر من قال ذلك:

3376 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: ذكر الأعمش،
قال: سأل إبراهيم سعيد بن جبير عن هذه الآية: " ففدية من صيام أو صدقة
أو نسك " ، فأجابه بقوله: يحكم عليه إطعام، فإن كان عنده اشترى شاة،
فإن لم تكن قومت الشاة دراهم فجعل مكانه طعاما فتصدق، وإلا صام لكل
نصف صاع يوما. فقال إبراهيم: كذلك سمعت علقمة يذكر. قال: لما قال لي
سعيد بن جبير: هذا ما أطرفه ! قال: قلت: هذا إبراهيم ! قال: ما أطرفه ! كان
يجالسنا. قال: فذكرت ذلك لإبراهيم، قال: فلما قلت " يجالسنا " ، انتفض منها.

3377 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح،
عن مجاهد، قال: يحكم على الرجل في الصيد، فإن لم يجد جزاءه قوم
طعاما، فإن لم يكن طعام صام مكان كل مدين يوما، وكذلك الفدية.

وقال آخرون: بل هو مخير بين الخلال الثلاث، يفتدي بأيها شاء.

* ذكر من قال ذلك:

3378 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سيف بن سليمان،
عن مجاهد، قال: كل شيء في القرآن " أو "" أو " ، فهو بالخيار، مثل الجراب
فيه الخيط الأبيض والأسود، فأيهما خرج أخذته.

3379 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن مهدي، قال: حدثنا سفيان، عن ليث،
عن مجاهد، قال: كل شيء في القرآن " أو "" أو " فصاحبه بالخيار، يأخذ
الأولى فالأولى.

< 4-75 >

3380 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا، عن مجاهد،
قال: كل ما كان في القرآن: " كذا، فمن لم يجد فكذا " ، فالأول فالأول. وكل
ما كان في القرآن " أو كذا "" أو كذا " ، فهو فيه بالخيار.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3381 - حدثني نصير بن عبد الرحمن الأودي، قال: حدثنا المحاربي عن يحيى بن أبي أنيسة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد - وسئل عن قوله: " ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " فقال مجاهد: إذا قال الله تبارك وتعالى لشيء " أو "" أو "، فإن شئت فخذ بالأول، وإن شئت فخذ بالآخر.

3382 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا ابن جريح، قال: قال لي عطاء وعمرو بن دينار- في قوله: " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " - قالا له أيتها شاء.

3383 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريح، قال: قال عطاء: كل شيء في القرآن " أو "" أو "، فلصاحبه أن يختار أيه شاء.

قال ابن جريح: قال لي عمرو بن دينار: كل شيء في القرآن " أو "" أو "، فلصاحبه أن يأخذ بما شاء.

3384 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا ليث عن عطاء ومجاهد أنهما قالا ما كان في القرآن " أو كذا "، أو كذا "، فصاحبه بالخيار، أي ذلك شاء فعل.

3385 - حدثنا علي بن سهل، قال: حدثنا يزيد، عن سفيان، عن ليث ومجاهد، عن ابن عباس، قال: كل شيء في القرآن " أو "" أو "، فهو مخير فيه، فإن كان " فمن "" فمن "، فالأول فالأول. (123)

3386 - حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا أسباط بن محمد، قال: حدثنا داود، عن عكرمة، قال: كل شيء في القرآن " أو "" أو "، فليختر أي الكفارات > 76-4 < شاء، فإذا كان: قَمَنْ لَمْ يَجِدْ ، فالأول فالأول.

3387 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو النعمان عارم، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، قال: قال: حدثت عن عطاء، قال: كل شيء في القرآن " أو "" أو " فهو خيار. (124)

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتظاهرت به عنه الرواية أنه أمر كعب بن عجرة بحلق رأسه من الأذى الذي كان برأسه، ويفتدي إن شاء بنسك شاء، أو صيام ثلاثة أيام، أو إطعام فرق من طعام بين ستة مساكين كل مسكين نصف صاع.

وللمفتدي الخيار بين أي ذلك شاء، لأن الله لم يحصره على واحدة منهن بعينها، فلا يجوز له أن يعدوها إلى غيرها، بل جعل إليه فعل أي الثلاث شاء.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ومن أبى ما قلنا من ذلك قيل له: ما قلت في المكفر عن يمينه أمخير - إذا كان موسرا- في أن يكفر بأي الكفارات الثلاث شاء؟ فإن قال: " لا "، خرج من قول جميع الأمة، وإن قال: " بلدا"، سئل الفرق بينه وبين المفتدي من حلق رأسه وهو محرم من أذى به. ثم لن يقول في أحدهما شيئا إلا ألزم في الآخر مثله.

على أن ما قلنا في ذلك إجماع من الحجة، ففي ذلك مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره.

وأما الزاعمون أن كفارة الحلق قبل الحلق، فإنه يقال لهم: أخبرونا عن الكفارة للمتمتع قبل التمتع أو بعده؟ فإن زعموا أنها قبله قيل لهم: وكذلك الكفارة عن اليمين قبل اليمين. فإن زعموا أن ذلك كذلك، خرجوا من قول الأمة. وإن قالوا: ذلك غير جائز.

قيل: وما الوجه الذي من قبله وجب أن تكون كفارة < 4-77 > الحلق قبل الحلق، وهدي المتعة قبل التمتع، ولم يجب أن تكون كفارة اليمين قبل اليمين؟ وهل بينكم وبين من عكس عليكم الأمر في ذلك - فأوجب كفارة اليمين قبل اليمين وأبطل أن تكون كفارة الحلق كفارة له إلا بعد الحلق - فرق من أصل أو نظير؟ فلن يقول في أحدهما شيئا إلا ألزم في الآخر مثله.

فإن اعتل في كفارة اليمين قبل اليمين أنها غير مجزئة قبل الحلف بإجماع الأمة. قيل له: فرد الأخرى قياسا عليها، إذ كان فيها اختلاف. (125)

وأما القائلون إن الواجب على الحالق رأسه من أذى: من الصيام عشرة أيام، ومن الإطعام عشرة مساكين، فمخالفون نص الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيقال لهم: أرايتم من أصاب صيدا فاختر الإطعام أو الصيام، أتسوون بين جميع ذلك بقتله الصيد صغيره وكبيره من الإطعام والصيام، أم تفرقون بين ذلك على قدر افتراق المقتول من الصيد في الصغر والكبر؟ فإن زعموا أنهم يسوون بين جميع ذلك سووا بين ما يجب على من قتل بقرة وحشية، وبين ما يجب على من قتل ولد ظبية - من الإطعام والصيام . وذلك قول إن قالوه لقول الأمة مخالف.

وإن قالوا: بل نخالف بين ذلك، فنوجب ذلك عليه على قدر قيمة المصاب من الطعام والصيام.

قيل: فكيف رددتم الواجب على الحالق رأسه من أذى من الكفارة على الواجب على المتمتع من الصوم، وقد علمتم أن المتمتع غير مخير بين الصيام والإطعام والهدي، ولا هو متلف شيئا وجبت عليه منه الكفارة، وإنما هو تارك عملا من الأعمال، وتركتكم رد الواجب عليه وهو متلف بحلق رأسه ما كان ممنوعا من إتلافه، ومخير بين الكفارات الثلاث، نظير مصيب الصيد،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الذي هو بإصابته إياه له متلف، < 78-4 > ومخير في تكفيره بين الكفارات الثلاث؟ وهل بينكم وبين من خالفكم في ذلك = وجعل الحالق قياسا لمصيب الصيد، وجمع بين حكميهما لاتفاقهما في المعاني التي وصفنا، وخالف بين حكمه وحكم المتمتع في ذلك، لاختلاف أمرهما فيما وصفنا = فرق من أصل أو نظير؟

فلن يقولوا في ذلك قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله، مع أن اتفاق الحجة على تخطئة قائل هذا القول في قوله هذا كفاية عن الاستشهاد على فساده بغيره، فكيف وهو مع ذلك خلاف ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقياس عليه بالفساد شاهد؟

واختلف أهل العلم في الموضوع الذي أمر الله أن ينسك نسك الحلق ويطعم فديته.

فقال بعضهم: النسك والإطعام بمكة لا يجزئ بغيرها من البلدان.

* ذكر من قال ذلك:

3388 - حدثني يحيى بن طلحة، قال: حدثنا فضيل بن عياض، عن هشام، عن الحسن، قال: ما كان من دم أو صدقة بمكة، وما سوى ذلك حيث شاء.

3389 - حدثني يحيى بن طلحة، حدثنا فضيل، عن ليث، عن طاوس، قال: كل شيء من الحج بمكة، إلا الصوم.

3390 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريح، قال: سألت عطاء عن النسك، قال: النسك بمكة لا بد.

3391 - حدثنا ابن حميد قال: حدثنا هارون، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، قال: الصدقة والنسك في الفدية بمكة، والصيام حيث شئت.

3392 - حدثني يعقوب قال: حدثنا هشيم، قال: حدثنا ليث، عن طاوس < 79-4 > أنه كان يقول: ما كان من دم أو إطعام بمكة، وما كان من صيام فحيث شاء.

3393 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا شبيل، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: النسك بمكة أو بمنى.

3394 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: النسك بمكة أو بمنى، والطعام بمكة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: النسك في الحلق والإطعام والصوم حيث شاء المفتدي.

* ذكر من قال ذلك:

3395 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن يعقوب بن خالد، قال: أخبرني أبو أسماء مولى ابن جعفر، قال: حج عثمان ومعه علي والحسين بن علي رضوان الله عليهم، فارتحل عثمان = قال أبو أسماء: وكنت مع ابن جعفر = قال: فإذا نحن برجل نائم وناقته عند رأسه، قال: فقلنا له: أيها النائم! فاستيقظ، فإذا الحسين بن علي. قال: فحمله ابن جعفر حتى أتى به السقيا. قال: فأرسل إلى علي، فجاء ومعه أسماء بنت عميس. قال: فمريضناه نحواً من عشرين ليلة. قال: فقال علي للحسين: ما الذي تجد؟ قال: فأومأ إلى رأسه. قال: فأمر به علي فحلق رأسه، ثم دعا بيدنة فنحرها. (126)

< 4-80 >

3396 - حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن يعقوب بن خالد بن عبد الله بن المسيب المخزومي أخبره أنه سمع أبا أسماء مولى عبد الله بن جعفر، يحدث: أنه خرج مع عبد الله بن جعفر يريد مكة مع عثمان، حتى إذا كنا بين السقيا والعرج اشتكى الحسين بن علي، فأصبح في مقيله الذي قال فيه بالأمس. قال أبو أسماء: فصحبته أنا وعبد الله بن جعفر، فإذا راحلة حسين قائمة وحسين مضطجع، فقال عبد الله بن جعفر: إن هذه لراحلة حسين. فلما دنا منه قال له: أيها النائم! وهو يظن أنه نائم؛ فلما دنا منه وجده يشتكى، فحمله إلى السقيا، ثم كتب إلى علي فقدم إليه إلى السقيا فمرضه قريباً من أربعين ليلة. ثم إن علياً قيل له: هذا حسين يشير إلى رأسه، فدعا علي بجزور فنحرها، ثم حلق رأسه. (127)

3397 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن بكر، قال: حدثنا ابن جريج، قال: أخبرني يحيى بن سعيد، قال: أقبل حسين بن علي مع عثمان حراماً - حسبت أنه اشتكى بالسقيا = فذكر ذلك لعلي: فجاء هو وأسماء بنت عميس، فمرضوه عشرين ليلة، فأشار حسين إلى رأسه، فحلقه ونحر عنه جزوراً. قلت: فرجع به؟ قال: لا أدري.

قال أبو جعفر: وهذا الخبر يحتمل أن يكون ما ذكر فيه من نحر علي عن الحسين الناقة قبل حلقه رأسه، ثم حلقه رأسه بعد النحر - إن كان على ما رواه مجاهد عن يزيد، كان على وجه الإحلال من الحسين من إحرامه للإحصار عن < 4-81 > الحج بالمرض الذي أصابه - وإن كان على ما رواه

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يعقوب، عن هشيم: من نحر علي عنه الناقة بعد حلقه رأسه: أن يكون على وجه الافتداء من الحلق، وأن يكون كان يرى أن نسك الفدية يجزئ نحره دون مكة والحرم.

3398 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الفدية حيث شئت.

3399 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن الحكم، عن إبراهيم - في الفدية، في الصدقة والصوم والدم -: حيث شاء.

3400 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا عبيدة، عن إبراهيم أنه كان يقول، فذكر مثله.

وقال آخرون: ما كان من دم نسك فبمكة، وما كان من إطعام وصيام فحيث شاء المفتدي.

* ذكر من قال ذلك:

3401 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، وعبد الملك، وغيرهما، عن عطاء أنه كان يقول: ما كان من دم فبمكة، وما كان من طعام وصيام فحيث شاء.

قال أبو جعفر: وعلة من قال: " الدم والإطعام بمكة "، القياس علي هدي جزاء الصيد. وذلك أن الله شرط في هديه بلوغ الكعبة، فقال: يَحْكُمُ بِهِ دَوًّا عَدْلٌ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ [المائدة: 95]. قالوا: فكل هدي وجب من جزاء أو فدية في إحرام، فسبيله سبيل جزاء الصيد في وجوب بلوغه الكعبة. قالوا: وإذا كان ذلك حكم الهدى كان حكم الصدقة مثله، لأنها واجبة < 82-4 > لمن وجب عليه الهدى، وذلك أن الإطعام فدية وجزاء كالدّم، فحكمهما واحد.

وأما علة من زعم أن للمفتدي أن ينسك حيث شاء ويتصدق ويصوم أن الله لم يشترط على الحالق رأسه من أذى هديا، وإنما أوجب عليه نسكا أو إطعاما أو صياما، وحيثما نسك أو أطعم أو صام فهو ناسك ومطعم وصائم، وإذا دخل في عداد من يستحق ذلك الاسم كان مؤديا ما كلفه الله. لأن الله لو أراد من إلزام الحالق رأسه في نسكه بلوغ الكعبة، لشرط ذلك عليه، كما شرط في جزاء الصيد، وفي ترك اشتراط ذلك عليه، دليل واضح، أنه حيث نسك أو أطعم أجزاء.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وأما علة من قال: "النسك بمكة، والصيام والإطعام حيث شاء"، فالنسك دم كدم الهدى، فسبيله سبيل هدى قاتل الصيد.

وأما الإطعام فلم يشترط الله فيه أن يصرف إلى أهل مسكنة مكان، كما شرط في هدي الجزاء بلوغ الكعبة. فليس لأحد أن يدعي أن ذلك لأهل مكان دون مكان، إذ لم يكن الله شرط ذلك لأهل مكان بعينه؛ كما ليس لأحد أن يدعي أن ما جعله الله من الهدى لساكني الحرم لغيرهم، إذ كان الله قد خص أن ذلك لمن به من أهل المسكنة.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، أن الله أوجب على حالق رأسه من أذى من المحرمين، فدية من صيام أو صدقة أو نسك، ولم يشترط أن ذلك عليه بمكان دون مكان، بل أبهم ذلك وأطلقه، ففي أي مكان نسك أو أطعم أو صام، فيجزي عن المفتدي. وذلك لقيام الحجة على أن الله إذ حرم أمهات نسائنا فلم يحصرهن على أنهن أمهات النساء المدخول بهن لم يجب أن يكن مردودات الأحكام على الربايب المحصورات على أن المحرمة منهن المدخول بأمرها.

فكذلك كل مبهمة في القرآن غير جائز رد حكمها على المفسرة قياسا.

< 4-83 >

ولكن الواجب أن يحكم لكل واحدة منهما بما احتمله ظاهر التنزيل، إلا أن يأتي في بعض ذلك خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بإحالة حكم ظاهره إلى باطنه، فيجب التسليم حينئذ لحكم الرسول، إذ كان هو المبين عن مراد الله.

وأجمعوا على أن الصيام مجزئ عن الحالق رأسه من أذى حيث صام من البلاد.

واختلفوا فيما يجب أن يفعل بنسك الفدية من الحلق، وهل يجوز للمفتدي الأكل منه أم لا؟

فقال بعضهم ليس للمفتدي أن يأكل منه، ولكن عليه أن يتصدق بجميعه.

* ذكر من قال ذلك:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3402 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الملك، عن عطاء، قال: ثلاث لا يؤكل منهن: جزاء الصيد، وجزاء النسك، ونذر المساكين.

3403 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام وهارون، عن عنبسة، عن سالم، عن عطاء قال: لا تأكل من فدية ولا من جزاء، ولا من نذر، وكل من المتعة، ومن الهدى والتطوع.

3404 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام وهرور، عن عنبسة، عن سالم، عن مجاهد، قال: جزاء الصيد والفدية والنذر لا يأكل منها صاحبها، ويأكل من التطوع والتمتع.

3405 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون، عن عمرو، عن الحجاج، عن عطاء، قال: لا تأكل من جزاء، ولا من فدية، وتصدق به.

3406 - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا ابن جريج، قال: قال عطاء: لا يأكل من بدنته الذي يصيب أهله حراما والكفارات كذلك.

< 4-84 >

3407 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: حدثنا عبد الملك والحجاج وغيرهما، عن عطاء أنه كان يقول: لا يؤكل من جزاء الصيد، ولا من النذر، ولا من الفدية، ويؤكل مما سوى ذلك.

3408 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، عن ليث، عن عطاء وطاوس ومجاهد أنهم قالوا: لا يؤكل من الفدية = وقال مرة: من هدي الكفارة، ولا من جزاء الصيد.

وقال بعضهم: له أن يأكل منه.

* ذكر من قال ذلك:

3409 - حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى، عن عبيد الله، قال: أخبرني نافع، عن ابن عمر قال: لا يؤكل من جزاء الصيد والنذر، ويؤكل مما سوى ذلك.

3410 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون، عن عنبسة، عن ابن أبي ليلى، قال: من الفدية وجزاء الصيد والنذر. (128)

3411 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن حماد، قال: الشاة بين ستة مساكين يأكل منه إن شاء، ويتصدق على ستة مساكين.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3412 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرني عبد الملك، قال: حدثني من سمع الحسن، يقول: كل من ذلك كله - يعني من جزاء الصيد والنذر والفدية.

3413 - حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا خالد بن الحارث، قال: حدثنا الأشعث عن الحسن: أنه كان لا يرى بأسا بالأكل من جزاء الصيد ونذر المساكين.

< 4-85 >

قال أبو جعفر: وعلة من حظر على المفتدي الأكل من فدية حلاقه وفدية ما لزمته منه الفدية، أن الله أوجب على الحالق والمتطيب ومن كان يمثل حالهم، فدية من صيام أو صدقة أو نسك، فلن يخلو ذلك الذي أوجبه عليه من الإطعام والنسك من أحد أمرين: إما أن يكون أوجبه عليه لنفسه أو لغيره أو له ولغيره.

فإن كان أوجبه لغيره فغير جائز له أن يأكل منه، لأن ما لزمه لغيره فلا يجزيه فيه إلا الخروج منه إلى من وجب له .

= أو يكون له وحده، وما وجب له فليس عليه. لأنه غير مفهوم في لغة أن يقال: "وجب على فلان لنفسه دينار أو درهم أو شاة"، وإنما يجب له على غيره، فأما على نفسه فغير مفهوم وجوبه.

= أو يكون وجب عليه له ولغيره، فنصيبه الذي وجب له من ذلك، غير جائز أن يكون عليه، لما وصفنا.

وإذا كان ذلك كذلك كان الواجب عليه ما هو لغيره وما هو لغيره بعض النسك، وإذا كان ذلك كذلك فإنما وجب عليه بعض النسك لا النسك كله.

قالوا: وفي إلزام الله إياه النسك تاما ما يبين عن فساد هذا القول.

وعلة من قال: "له أن يأكل من ذلك"، أن الله أوجب على المفتدي نسكا، والنسك في معاني الأضاحي، وذلك هو ذبح ما يجزي في الأضاحي من الأزواج الثمانية. قالوا: ولم يأمر الله بدفعه إلى المساكين. قالوا: فإذا ذبح فقد نسك، وفعل ما أمره الله، وله حينئذ الأكل منه، والصدقة منه بما شاء، وإطعام ما أحب منه من أحب، كما له ذلك في أضحيتها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قال أبو جعفر: والذي نقول به في ذلك: أن الله أوجب على المفتدي نسكا إن اختار التكفير بالنسك، ولن يخلو الواجب عليه في ذلك من أن يكون ذبحة > 86-4 < دون غيره، أو ذبحة والتصدق به. فإن كان الواجب عليه في ذلك ذبحة، فالواجب أن يكون إذا ذبح نسكا فقد أدى ما عليه، وإن أكل جميعه ولم يطعم مسكينا منه شيئا، وذلك ما لا نعلم أحدا من أهل العلم قاله، أو يكون الواجب عليه ذبحة والصدقة به. فإن كان ذلك عليه، فغير جائز له أكل ما عليه أن يتصدق به، كما لو لزمته زكاة في ماله، لم يكن له أن يأكل منها، بل كان عليه أن يعطيها أهلها الذين جعلها الله لهم. ففي إجماعهم - على أن ما ألزمه الله من ذلك فإنما ألزمه لغيره - دلالة واضحة على حكم ما اختلفوا فيه من غيره.

ومعنى "النسك"، الذبح لله، في لغة العرب، يقال: "نسك فلان لله نسكة" = بمعنى: ذبح لله ذبيحة = "ينسكها نسكا"، (129) كما:-

3414 - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: النسك: أن يذبح شاة.

القول في تأويل قوله تعالى : فَإِذَا أَمِنتُمْ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك.

فقال بعضهم: معناه: فإذا برأتم من مرضكم الذي أحصركم عن حركم أو عمرتكم.

* ذكر من قال ذلك:

3415 - حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة: "فإذا أمنتكم" فإذا برأتم.

< 4-87 >

3416 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه في قوله: "فإذا أمنتكم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج" يقول: فإذا أمنت حين تحصر، إذا أمنت من كسررك، ومن وجعك، فعليك أن تأتي البيت، فيكون لك متعة، فلا تحل حتى تأتي البيت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: معنى ذلك: فإذا أمنتُم من خوفكم. (130)

* ذكر من قال ذلك:

3417 - حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " فإذا أمنتُم " لتعلموا أن القوم كانوا خائفين يومئذ.

3418 - حدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " فإذا أمنتُم " قال: إذا أمن من خوفه، وبرأ من مرضه.

قال أبو جعفر: وهذا القول أشبه بتأويل الآية. لأن " الأمن " هو خلاف " الخوف "، لا خلاف " المرض "، (131) إلا أن يكون مرضاً مخوفاً منه الهلاك، فيقال: فإذا أمنتُم الهلاك من خوف المرض وشدته، وذلك معنى بعيد.

وإنما قلنا: إن معناه: الخوف من العدو، لأن هذه الآيات نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحديبية وأصحابه من العدو خائفون، فعرفهم الله بها ما عليهم إذا أحصرهم خوف عدوهم عن الحج، وما الذي عليهم إذا هم أمنوا من ذلك، فزال عنهم خوفهم.

< 4-88 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أحصرتم أيها المؤمنون، فما استيسر من الهدى، فإذا أمنتُم فزال عنكم خوفكم من عدوكم أو هلاككم من مرضكم فتمتعتم بعمرتكم إلى حركم، فعليكم ما استيسر من الهدى.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة " التمتع " الذي عنى الله بهذه الآية.

فقال بعضهم: هو أن يحصره خوف العدو، وهو محرم بالحج، أو مرض، أو عائق من العلل، حتى يفوته الحج، فيقدم مكة، فيخرج من إحرامه بعمل عمرة، ثم يحل فيستمتع بإحلاله من إحرامه ذلك إلى السنة المقبلة، ثم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

يحج ويهدي، فيكون متمتعا بالإحلال من لدن يحل من إحرامه الأول إلى إحرامه الثاني من القابل.

* ذكر من قال ذلك:

3419 - حدثنا عمران بن موسى البصري، قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: حدثنا إسحاق بن سويد، قال: سمعت ابن الزبير وهو يخطب، وهو يقول: يا أيها الناس، والله ما التمتع بالعمرة إلى الحج كما تصنعون، إنما التمتع أن يهل الرجل بالحج فيحصره عدو أو مرض أو كسر أو يحبس أمر حتى تذهب أيام الحج فيقدم فيجعلها عمرة، فيتمتع بحله إلى العام القابل ثم يحج ويهدي هديا، فهذا التمتع بالعمرة إلى الحج.

3420 - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء قال: كان ابن الزبير يقول: المتعة لمن أحصر، قال: وقال ابن عباس: هي لمن أحصر ومن خلت سبيله.

< 4-89 >

3421 - حدثني ابن البرقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: أخبرني ابن جريح قال: قال عطاء: كان ابن الزبير يقول: إنما المتعة للمحصر وليست لمن خلى سبيله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فإن أحصرتم في حركم فما استيسر من الهدى، فإذا أمنتكم = وقد حللتكم من إحرامكم، ولم تقضوا عمرة تخرجون بها من إحرامكم بحركم ولكن حللتكم حين أحصرتم بالهدى وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتمرتم في أشهر الحج، ثم حللتكم، فاستمتعتم بإحلالكم إلى حركم = فعليكم ما استيسر من الهدى.

* ذكر من قال ذلك:

3422 - حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة: (132) قَانَ أَحْصِرْتُمْ ، قال: إذا أهل الرجل بالحج فأحصر، قال: يبعث بما استيسر من الهدى، شاة. قال: فإن عجل قبل أن يبلغ الهدى محله وحلق رأسه، أو مس طيبا، أو تداوى، كان عليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك = قَانِدًا أَمِئْتُمْ ، فإذا برأ فمضى من وجهه ذلك حتى أتى البيت، حل من حجه بعمرة وكان عليه الحج من قابل. وإن هو رجع ولم يتم إلى البيت من وجهه ذلك، فإن عليه حجة وعمرة ودما لتأخيره العمرة. فإن هو رجع متمتعا في أشهر الحج، فإن عليه ما استيسر من الهدى، شاة. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع. قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، فقال: كذلك قال ابن عباس في ذلك كله.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3423 - حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ، قال: هذا رجل أصابه خوف < 4-90 > أو مرض أو جابس حبسه حتى يبعث بهديه، (133) فإذا بلغت محلها صار حلالاً فإن أمن أو برأ ووصل إلى البيت فهي له عمرة، وأحل، وعليه الحج عاماً قابلاً. وإن هو لم يصل إلى البيت حتى يرجع إلى أهله، فعليه عمرة وحجة وهدى. قال قتادة: [وهي] والمتعة التي لا يتعاجم الناس فيها أن أصلها كان هكذا. (134)

3424 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم في قوله: " فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج " إلى: تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ، قال: هذا المحصر إذا أمن، فعليه المتعة في الحج وهدى المتمتع، فإن لم يجد فالصيام، فإن عجل العمرة قبل أشهر الحج، فعليه فيها هدى.

3425 - حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا بشر بن السري، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن علي: " فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج " فإن أجزأه حتى يجمعها مع الحج، فعليه الهدى.

وقال آخرون: عنى بذلك المحصر وغير المحصر.

* ذكر من قال ذلك:

3426 - حدثني ابن البرقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: أخبرني ابن جريج قال: أخبرني عطاء أن ابن عباس كان يقول: < 4-91 > المتعة لمن أحصر، ولمن حُلِّي سبيله. وكان ابن عباس يقول: أصابت هذه الآية المحصر ومن خلت سبيله.

وقال آخرون: معنى ذلك: فمن فسح حجه بعمرة، فجعله عمرة، واستمتع بعمرة إلى حجه، فعليه ما استيسر من الهدى.

* ذكر من قال ذلك:

3427 - حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي قوله: " فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى " ، أما المتعة فالرجل يحرم بحجة، ثم يهدمها بعمرة. وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين حاجاً، حتى إذا أتوا مكة قال لهم رسول الله صلى

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

الله عليه وسلم: من أحب منكم أن يحل فليحل، قالوا: فما لك يا رسول الله ! قال: أنا معي هدي.

وقال آخرون: بل ذلك : الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق في أشهر الحج، فإذا قضى عمرته أقام حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج، فيحج من عامه ذلك، فيكون مستمتعا بإحلاله إلى إحرامه بالحج.

* ذكر من قال ذلك:

3428 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل: " فمن تمتع بالعمرة إلى الحج "، من يوم الفطر إلى يوم عرفة، فعليه ما استيسر من الهدى.

3429 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

3430 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا أيوب = وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أيوب = عن نافع، قال: قدم ابن عمر مرة في شوال، فأقمنا حتى حججنا، فقال: إنكم قد < 92-4 > استمتعتم إلى حركم بعمرة، فمن وجد منكم أن يهدي فليهد، ومن لا فليصم ثلاثة أيام، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

3431 - حدثنا ابن بشار، وعبد الحميد بن بيان = قال ابن بشار: حدثنا، وقال عبد الحميد: أخبرنا = يزيد، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن نافع، أنه أخبره أنه خرج مع ابن عمر معتمرين في شوال، فأدركهما الحج وهما بمكة، فقال ابن عمر: من اعتمر معنا في شوال ثم حج، فهو متمتع عليه ما استيسر من الهدى، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع.

3432 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون، عن عنبسة، عن ليث، عن عطاء في رجل اعتمر في غير أشهر الحج، فساق هديا تطوعا، فقدم مكة في أشهر الحج، قال: إن لم يكن يريد الحج، فلينحر هديه، ثم ليرجع إن شاء، فإن هو نحر الهدى وحل، ثم بدا له أن يقيم حتى يحج، فلينحر هديا آخر لتمتعه، فإن لم يجد فليصم.

3433 - حدثنا ابن حميد، حدثنا هارون، عن عنبسة، عن ابن أبي ليلي، مثل ذلك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3434 - حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب بأنه كان يقول: من اعتمر في شوال أو في ذي القعدة ثم أقام بمكة حتى يحج، فهو متمتع، عليه ما على المتمتع.

3435 - حدثنا يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن حجاج، عن عطاء مثل ذلك.

3436 - حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: " فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى " يقول: من أحرم بالعمرة في أشهر الحج، فما استيسر من الهدى.

3437 - حدثنا ابن البرقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع، قال: > 93-4 < أخبرني ابن جريح، قال: كان عطاء يقول: المتعة لخلق الله أجمعين، الرجل، والمرأة، والحر، والعبد، هي لكل إنسان اعتمر في أشهر الحج ثم أقام ولم يبرح حتى يحج، ساق هديا مقلدا أو لم يسق إنما سميت " المتعة "، من أجل أنه اعتمر في شهور الحج، فتمتع بعمرة إلى الحج، ولم تسم " المتعة " من أجل أنه يحل بتمتع النساء.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عني بها: فإن أحصرتم أيها المؤمنون في حركم فما استيسر من الهدى، فإذا أمتتم فمن تمتع ممن حل من إحرامه بالحج - بسبب الإحصار، بعمرة اعتمرها لفوته الحج في السنة القابلة في أشهر الحج - إلى قضاء الحجة التي فاتته حين أحصر عنها ثم دخل في عمرته فاستمتع بإحلاله من عمرته إلى أن يحج = فعليه ما استيسر من الهدى، وإن كان قد يكون متمتعا من أنشأ عمرة في أشهر الحج وقضاها ثم حل من عمرته وأقام حللا حتى يحج من عامه غير أن الذي هو أولى بالذي ذكره الله في قوله: " فمن تمتع بالعمرة إلى الحج " هو ما وصفنا، من أجل أن الله جل وعز أخبر عما على المحصر عن الحج والعمرة من الأحكام في إحصاره. فكان مما أخبر تعالى ذكره: أنه عليه - إذا أمن من إحصاره فتمتع بالعمرة إلى الحج - ما استيسر من الهدى، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. وكان معلوما (135) بذلك أنه معني به اللازم له - عند أمنه من إحصاره - من العمل بسبب الإحلال الذي كان منه في حجه الذي أحصر فيه، دون المتمتع الذي لم يتقدم عمرته ولا حجه إحصار مرض ولا خوف.

< 4-94 >

القول في تأويل قوله تعالى : فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: فما استيسر من الهدى، فهديه جزاء لاستمتاعه بإحلاله من إحرامه الذي حل منه حين عاد لقضاء حجه التي أحصر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فيها، وعمرته التي كانت لزمته بفوت حخته، فإن لم يجد هديا فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج في حجه، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

ثم اختلف أهل التأويل في الثلاثة أيام التي أوجب الله عليه صومهن في الحج: أي في أيام الحج هن.

فقال بعضهم: هن ثلاثة أيام من أيام حجه، أي أيام شاء، بعد أن لا يتجاوز بأخرهن يوم عرفة.

* ذكر من قال ذلك:

3438 - حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: حدثنا حميد بن الأسود، قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه عن علي رضي الله عنه: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " ، قال: قبل التروية يوما، ويوم التروية، ويوم عرفة.

3439 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن نصر، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: الصيام للمتمتع ما بين إحرامه إلى يوم عرفة. (136)

< 4-95 >

3440 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر في قوله: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " ، قال: يوم قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، وإذا فاته صامها أيام منى.

3441 - حدثنا الحسين بن محمد الذارع، قال: حدثنا حميد بن الأسود، عن هشام بن عروة، عن عروة، قال: المتمتع يصوم قبل التروية يوما، ويوم التروية، ويوم عرفة.

3442 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن في قوله: " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج " ، قال: آخرهن يوم عرفة.

3443 - حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، قال: سألت الحكم عن صوم ثلاثة أيام في الحج، قال: يصوم قبل التروية يوما، ويوم التروية، ويوم عرفة.

3444 - حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن إبراهيم: " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام " أنه قال: آخرها يوم عرفة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3445 - حدثنا أبو كريب قال: حدثنا هُشيم، قال: حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير أنه قال في المتمتع إذا لم يجد الهدي: صام يوماً قبل يوم التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة.

3446 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام بن سلم، وهارون عن عنبسة، عن ابن أبي نجیح، عن عطاء، قال: يصوم المتمتع الثلاثة الأيام لمتعته في العشر < 96-4 > إلى يوم عرفة.

قال: وسمعت مجاهدا وطاوسا يقولان: إذا صامهن في أشهر الحج أجزاءه.

3447 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام وهرون عن عنبسة، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قال: صوم ثلاثة أيام للمتمتع، إذا لم يجد ما يهدي، يصوم في العشر إلى يوم عرفة متى صام أجزاءه، فإن صام الرجل في شوال أو ذي القعدة أجزاءه.

3448 - حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، قال: حدثني يعقوب بن عطاء، أن عطاء بن أبي رباح، كان يقول: من استطاع أن يصومهن فيما بين أول يوم من ذي الحجة إلى يوم عرفة فليصم.

3449 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليّة، عن يونس، عن الحسن في قوله: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " قال: آخرها يوم عرفة.

3450 - حدثنا يعقوب، قال: حدثنا ابن عليّة، عن داود = وحدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا داود = عن عامر في هذه الآية: " فصيام ثلاثة أيام في الحج "، قال: قبل يوم التروية يوماً، ويوم التروية، ويوم عرفة.

3451 - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج " آخرهن يوم عرفة من ذي الحجة.

3452 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

3453 - حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج " قال: كان يقال عرفة وما قبلها يومين من العشر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3454 - حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج "، قال: فأخرها يوم عرفة.

3455 - حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: أخبرنا إسرائيل، عن سالم، عن سعيد بن جبير: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " قال: آخرها يوم عرفة.

3456 - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا فطر، عن عطاء: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " قال: آخرها يوم عرفة.

3457 - حدثت عن عمار، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " قال: عرفة وما قبلها من العشر.

3458 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد وإبراهيم، قالوا " صيام ثلاثة أيام في الحج "، في العشر، آخرهن عرفة.

3459 - حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن يزيد بن خمير، قال: سألت طاوسا عن صيام ثلاثة أيام في الحج، قال: آخرهن يوم عرفة.

3460 - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن ابن عباس قوله: " فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ إِلَى: وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ، وهذا على المتمتع بالعمرة إذا لم يجد هديا، فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم عرفة، فإن كان يوم عرفة الثالث فقد تم صومه وسبعة إذا رجع إلى أهله.

3461 - حدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا زياد بن المنذر، عن أبي جعفر: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " قال: آخرها يوم عرفة.

< 4-98 >

وقال آخرون: بل آخرهن انقضاء يوم منى.

* ذكر من قال ذلك:

3462 - حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن عليا كان يقول: من فاته صيام ثلاثة أيام في الحج صامهن أيام التشريق.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3463 - حدثني أحمد بن عبد الرحمن ابن أخي ابن وهب، قال: حدثني عمي عبد الله بن وهب، قال: حدثني يونس عن الزهري، عن عروة بن الزبير، قال: قالت عائشة: يصوم المتمتع الذي يفوته الصيام أيام منى.

3464 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: حدثنا أيوب، عن نافع، قال: قال ابن عمر: من فاته صيام الثلاثة الأيام في الحج، فليصم أيام التشريق فإنهن من الحج.

3465 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمر بن محمد أن نافعا حدثه: أن عبد الله بن عمر قال: من اعتمر في أشهر الحج فلم يكن معه هدي ولم يصم الثلاثة الأيام قبل أيام التشريق، فليصم أيام منى.

3466 - حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، قال: سمعت عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى يحدث عن الزهري، عن عروة، عن عائشة = وعن سالم، عن عبد الله بن عمر = أنهما قالا لم يرخص في أيام التشريق أن يصوم إلا لمن يجد هديا.

3467 - حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا هشام، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: إذا لم يصم الثلاثة الأيام قيل النحر صام أيام التشريق، فإنها من أيام الحج.

وذكر هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قال:

3468 - حدثنا المثنى، قال: حدثنا حجاج، قال: حدثنا حماد عن هشام > 4-99 < بن عروة، عن أبيه في هذه الآية: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " قال: هي أيام التشريق.

3469 - حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن يونس، عن أبي إسحاق، عن وبرة، عن ابن عمر قال: يصوم يوما قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة = قال: وقال عبيد بن عمير: يصوم أيام التشريق.

قال أبو جعفر: وعلة من قال: " آخر الثلاثة الأيام التي أوجب الله صومهن في الحج على من لم يجد الهدى من المتمتعين - يوم عرفة "، أن الله جل ثناؤه أوجب صومهن في الحج بقوله: " فصيام ثلاثة أيام في الحج " . قالوا: وإذا انقضى يوم عرفة، فقد انقضى الحج، لأن يوم النحر يوم إحلال من الإحرام. قالوا: وقد أجمع الجميع أنه غير جائز له صوم يوم النحر . قالوا: فإن يكن إجماعهم على أن ذلك له غير جائز، من أجل أنه ليس من أيام الحج، فأيام التشريق بعده أخرى أن لا تكون من أيام الحج، لأن أيام الحج متى انقضت من سنة، فلن تعود إلى سنة أخرى بعدها. أو يكون إجماعهم على أن ذلك له

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

غير جائز، من أجل أنه يوم عيد، فأيام التشريق التي بعده في معناها، لأنها أيام عيد، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن صومهم، كما نهى عن صوم يوم النحر.

قالوا: وإذا كان يفوت صومهم بمضي يوم عرفة، لم يكن إلى صيامهم في الحج سبيلاً؛ لأن الله شرط صومهم في الحج، فلم يجز عنه إلا الهدى الذي فرضه الله عليه لمتعته.

وعلة من قال: "آخر الأيام الثلاثة التي ذكرها الله في كتابه انقضاء آخر أيام منى"، أن الله أوجب على المتمتع ما استيسر من الهدى، ثم الصيام إن لم يجد إلى الهدى سبيلاً. قالوا: وإنما يجب عليه نحر هدي المتعة يوم النحر، ولو كان له واجداً قبل ذلك. قالوا: فإذا كان ذلك كذلك فإنما رخص له في الصوم يوم يلزمه نحر الهدى فلا يجد إليه سبيلاً. قالوا: والوقت الذي يلزمه > 4-100 < فيه نحر الهدى يوم النحر والأيام التي بعده من أيام النحر، فأما قبل ذلك فلم يمكن نحره. قالوا: فإذا كان النحر لم يكن له لازماً قبل ذلك، وإنما لزمه يوم النحر، فإنما لزمه الصوم يوم النحر، وذلك حين عدم الهدى فلم يجده، فوجب عليه الصوم. قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، فالصوم إنما يلزمه أوله في اليوم الذي يلي يوم النحر. وذلك أن النحر إنما كان لزمه من بعد طلوع الفجر. ومن ذلك الوقت إذا لم يجده، يكون له الصوم. قالوا: وإذا طلع فجر يوم لم يلزمه صومه قبل ذلك، إذا كان الصوم لا يكون في بعض نهار يوم في واجب، علم أن الواجب عليه الصوم من اليوم الذي يليه إلى انقضاء الأيام الثلاثة بعد يوم النحر من أيام التشريق.

قالوا: ولا معنى لقول القائل: إن أيام منى ليست من أيام الحج؛ لأنهن ينسك فيهن بالرمي والعكوف على عمل الحج، كما ينسك غير ذلك من أعمال الحج في الأيام قبلها. قالوا: هذا مع شهادة الخبر الذي:-

3470 - حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا يحيى بن سلام أن شعبة حدثه عن ابن أبي ليلى، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، قال: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتمتع إذا لم يجد الهدى ولم يصم حتى فاتته أيام العشر، أن يصوم أيام التشريق مكانها. (137)

> 4-101 <

= لصحة ما قلنا في ذلك من القول وخطأ قول من خالف قولنا فيه.

3471 - حدثني يعقوب، قال: حدثني هشيم، عن سفيان بن حسين، عن الزهري، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بن

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

قيس، فنأدى في أيام التشريق، فقال: إن هذه أيام أكل وشرب وذكرٍ لله، إلا من كان عليه صوم من هدي. (138)

واختلف أهل العلم في أول الوقت الذي يجب على المتمتع الابتداء في صوم الأيام الثلاثة التي قال الله عز وجل: " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج "، والوقت الذي يجوز له فيه صومهن، وإن لم يكن واجبا عليه فيه صومهن.

فقال بعضهم: له أن يصومهن من أول أشهر الحج.

* ذكر من قال ذلك:

3472 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام وهرون، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وطاوس: أنهما كانا يقولان: إذا صامهن في أشهر الحج أجزاء. قال: وقال مجاهد: إذا لم يجد المتمتع ما يهدي، فإنه يصوم في العشر إلى يوم عرفة، متى ما صام أجزاءه. فإن صام الرجل في شوال أو ذي القعدة أجزاءه.

< 4-102 >

3473 - حدثني أحمد بن المغيرة، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائفي، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: من صام يوما في شوال ويوما في ذي القعدة ويوما في ذي الحجة، أجزاءه عنه من صوم المتمتع. (139)

3474 حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد، قال: إن شاء صام أول يوم من شوال.

3475 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد في قول الله جل وعز: " فصيام ثلاثة أيام في الحج "، قال: إن شاء صامها في العشر، وإن شاء في ذي القعدة، وإن شاء في شوال.

وقال آخرون: يصومهن في عشر ذي الحجة دون غيرها.

* ذكر من قال ذلك:

3476 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام وهرون، عن عنبسة، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء: يصوم الثلاثة الأيام للمتعة في العشر إلى يوم عرفة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3477 - حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، قال: حدثني يعقوب أن عطاء بن أبي رباح كان يقول: من استطاع أن يصومهن فيما بين أول يوم من ذي الحجة إلى يوم عرفة، فليصم.

3478 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء قال: ولا بأس أن يصوم المتمتع في العشر وهو حلال.

3479 - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا أبو شهاب، عن الحجاج، عن أبي جعفر، قال: لا يصام إلا في العشر.

< 4-103 >

3480 - حدثني أحمد بن حازم، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا الربيع، عن عطاء أنه كان يقول في صيام ثلاثة أيام في الحج، قال: في تسع من ذي الحجة أيها شئت، فمن صام قبل ذلك في شوال وفي ذي القعدة، فهو بمنزلة من لم يصم.

وقال آخرون: له أن يصومهن قبل الإحرام بالحج.

* ذكر من قال ذلك:

3481 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أبو بوب، عن عكرمة، قال: إذا خشى أن لا يدرك الصوم بمكة صام بالطريق يوماً أو يومين.

3482 - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: لا بأس أن تصوم الثلاثة الأيام في المتعة وأنت حلال.

وقال آخرون: لا يجوز أن يصومهن إلا بعد ما يحرم بالحج.

* ذكر من قال ذلك:

3483 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن مهدي، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر، قال: لا يصومهن إلا وهو حرام.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3484 - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن نصر، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: الصيام للمتمتع ما بين إحرامه إلى يوم عرفة. (140)

3485 - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر، قال: لا يجزيه صوم ثلاثة أيام وهو > 4-104 < متمتع إلا أن يحرم. وقال مجاهد: يجزيه إذا صام في ذي القعدة.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن للمتمتع أن يصوم الأيام الثلاثة التي أوجب الله عليه صومهن لمتعته إذا لم يجد ما استيسر من الهدى، من أول إحرامه بالحج بعد قضاء عمرته واستمتاعه بالإحلال إلى حجه، إلى انقضاء آخر عمل حجه وذلك بعد انقضاء أيام منى سوى يوم النحر، فإنه غير جائز له صومه ابتداء صومهن قبله، أو ترك صومهن فأخره حتى انقضاء يوم عرفة.

وإنما قلنا: له صوم أيام التشريق، لما ذكرنا من العلة لقائل ذلك قبل، (141) فإن صامهن قبل إحرامه بالحج فإنه غير مجزئ صومه ذلك من الواجب عليه من الصوم الذي فرضه الله عليه لمتعته. وذلك أن الله جل وعز إنما أوجب الصوم على من لم يجد هدياً ممن استمتع بعمرته إلى حجه، فالمعتمر قبل إحلاله من عمرته وقبل دخوله في حجه غير مستحق اسم " متمتع " بعمرته إلى حجه. وإنما يقال له قبل إحرامه " معتمر "، حتى يدخل بعد إحلاله في الحج قبل شخوصه عن مكة. فإذا دخل في الحج محرماً به - بعد قضاء عمرته في أشهر الحج، ومقامه بمكة بعد قضاء عمرته حالاً حتى حج من عامه - سمي " متمتعاً ". فإذا استحق اسم " متمتع " لزمه الهدى، وحينئذ يكون له الصوم بعدمه الهدى إن عدمه فلم يجده.

فأما إن صامه قبل دخوله في الحج - وإن كان من نيته الحج - فإنما هو رجل صام صوماً ينوي به قضاء عما عسى أن يلزمه أو لا يلزمه، فسيبيله سبيل رجل معسر صام ثلاثة أيام ينوي بصومهن كفارةً يمين، ليمين يريد أن يحلف بها وبحنث فيها، وذلك ما لا خلاف بين الجميع أنه غير مجزئ من كفارة إن حلف بها بعد الصوم فحنث.

> 4-105 <

فإن ظن ظان أن صوم المعتمر - بعد إحلاله من عمرته، أو قبله، وقبل دخوله في الحج - مجزئ عنه من الصوم الذي أوجبه الله عليه إن تمتع بعمرته إلى الحج، نظير ما أجزأ الحالف بيمين إذا كفر عنها قبل حنثه فيها بعد حلفه بها فقد ظن خطأ. لأن الله جل ثناؤه جعل لليمين تحليلاً هو غير تكفير، فالفاعل فيها قبل الحنث فيها ما يفعله المكفر بعد حنثه فيها، محلل غير مكفر. والمتمتع إذا صام قبل تمتعه صائم، تكفيراً لما يظن أنه يلزمه ولما يلزمه،

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهو كالمكفر عن قتل صيد يريد قتله وهو محرم قبل قتله، وعن تطيب قبل تطيبه.

ومن أبى ما قلنا في ذلك ممن زعم أن للمعتمر الصوم قبل إحرامه بالحج، قيل له: ما قلت فيمن كفر من المحرمين عن الواجب على من ترك رمي الجمرات أيام منى يوم عرفة، وهو ينوي ترك الجمرات، ثم أقام بمنى أيام منى حتى انقضت تاركاً رمي الجمرات، هل يجزيه تكفيره ذلك عن الواجب عليه في ترك ما ترك من ذلك؟

فإن زعم أن ذلك يجزيه، سئل عن مثل ذلك في جميع مناسك الحج التي أوجب الله في تضييعه على المحرم، أو في فعله، كفارة، فإن سوى بين جميع ذلك قاد قوله، (142)

وسئل عن نظير ذلك في العازم على أن يجامع في شهر رمضان، وهو مقيم صحيح، إذا كفر قبل دخول الشهر، ودخل الشهر ففعل ما كان عازماً عليه هل تجزيه كفارته التي كفر عن الواجب من وطئه ذلك، وكذلك يسأل: عن أراد أن يظهر من امرأته، فإن قاد قوله في ذلك، (143) خرج من قول جميع الأمة.

< 4-106 >

وإن أبى شيئاً من ذلك، سئل الفرق بينه وبين الصائم لمتعته قبل تمتعه وقبل إحرامه بالحج، ثم عكس عليه القول في ذلك، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله.

القول في تأويل قوله تعالى : **وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ**

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك: فمن لم يجد ما استيسر من الهدى، فعليه صيام ثلاثة أيام في حجه وصيام سبعة أيام إذا رجع إلى أهله ومصره.

فإن قال لنا قائل: أو ما يجب عليه صوم السبعة الأيام بعد الأيام الثلاثة التي يصومهن في الحج إلا بعد رجوعه إلى مصره وأهله؟

قيل: بل قد أوجب الله عليه صوم الأيام العشرة بعدم ما استيسر من الهدى لمتعته، ولكن الله تعالى ذكره رأفة منه بعباده رخص لمن أوجب ذلك عليه، كما رخص للمسافر والمريض في شهر رمضان الإفطار وقضاء عدة ما أفطر من الأيام من أيام آخر. ولو تحمل المتمتع فصام الأيام السبعة في سفره قبل رجوعه إلى وطنه، أو صامهن بمكة، كان مؤدياً ما عليه من فرض الصوم في ذلك، وكان بمنزلة الصائم شهر رمضان في سفره أو مرضه، مختاراً للعسر على اليسر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وبالذي قلنا في ذلك قالت علماء الأمة.

* ذكر من قال ذلك:

3486 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن مهدي، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: " وسبعة إذا رجعتن "، قال: هي رخصة إن شاء صامها في الطريق.

3487 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، > 4-107 < عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " وسبعة إذا رجعتن "، قال: هي رخصة إن شاء صامها في الطريق، وإن شاء صامها بعد ما يرجع إلى أهله.

3488 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد، نحوه.

3489 - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن منصور: " وسبعة إذا رجعتن "، قال: إن شاء صامها في الطريق، وإنما هي رخصة.

3490 - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن منصور، عن مجاهد، قال: إن شئت صم السبعة في الطريق، وإن شئت إذا رجعت إلى أهلك.

3491 - حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن فطر، عن عطاء، قال: يصوم السبعة إذا رجع إلى أهله أحب إلي.

3492 - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: " وسبعة إذا رجعتن "، قال: إن شئت في الطريق، وإن شئت بعد ما تقدم إلى أهلك.

فإن قال: وما برهانك على أن معنى قوله: " وسبعة إذا رجعتن " إذا رجعتن إلى أهليكم وأمصاركم = دون أن يكون معناه: إذا رجعتن من منى إلى مكة؟

قيل: إجماع جميع أهل العلم على أن معناه ما قلنا دون غيره.

* ذكر بعض من قال ذلك:

3493 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن مهدي، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريح، عن عطاء في قوله: " وسبعة إذا رجعتن "، قال: إذا رجعت إلى أهلك.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 4-108 >

3495 - حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: " وسبعة إذا رجعتم " إذا رجعتم إلى أمصاركم.

3496 - حدثت عن عمار، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

3497 - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن سالم، عن سعيد بن جبير: " وسبعة إذا رجعتم " قال: إلى أهلك.

القول في تأويل قوله تعالى : تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: " كاملة " .

فقال بعضهم: معنى ذلك: فصيام الثلاثة الأيام في الحج والسبعة الأيام بعد ما يرجع إلى أهله عشرة كاملة من الهدى.

* ذكر من قال ذلك:

3498 - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن عباد، عن الحسن في قوله: " تلك عشرة كاملة "، قال: كاملة من الهدى.

3499 - حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا هشيم، عن عباد، عن الحسن، مثله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كملت لكم أجر من أقام على إحرامه، ولم يحل ولم يتمتع تمتعكم بالعمرة إلى الحج.

وقال آخرون: معنى ذلك: الأمر، وإن كان مخرجه مخرج الخبر، وإنما عنى بقوله: " تلك عشرة كاملة " تلك عشرة أيام فأكملوا صومها لا تقصروا عنها، لأنه فرض عليكم صومها.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

< 4-109 >

وقال آخرون: بل قوله: " كاملة "، توكيد للكلام، كما يقول القائل: " سمعته بأذني، ورأيته بعيني"، وكما قال: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل: 26] ولا يكون " الخر " إلا من فوق، فأما من موضع آخر، فإنما يجوز على سعة الكلام.

وقال آخرون: إنما قال: " تلك عشرة كاملة "، وقد ذكر " سبعة " وثلاثة، لأنه إنما أخبر أنها مجزئة، وليس يخبر عن عدتها، وقالوا: ألا ترى أن قوله: " كاملة " إنما هو وافية؟.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي [بالصواب] قول من قال: معنى ذلك تلك عشرة كاملة عليكم فرضنا إكمالها. وذلك أنه جل ثناؤه قال: فمن لم يجد الهدى فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع، ثم قال: تلك عشرة أيام عليكم إكمال صومها لمتعتكم بالعمرة إلى الحج. فأخرج ذلك مخرج الخبر، ومعناه الأمر بها.

القول في تأويل قوله تعالى : ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله " ذلك "، أي التمتع بالعمرة إلى الحج، لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، كما:-

3500 - حدثت عن عمار، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام "، يعني المتعة أنها لأهل الآفاق، ولا تصلح لأهل مكة.

< 4-110 >

3501 - حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: أن هذا لأهل الأمصار ليكون عليهم أيسر من أن يحج أحدهم مرة ويعتمر أخرى، فتجمع حجته وعمرته في سنة واحدة.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بقوله: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام "، بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به، وأنه لا متعة لهم.

فقال بعضهم: عنى بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم.

* ذكر من قال ذلك:

3502 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، قال: قال ابن عباس ومجاهد: أهل الحرم.

3503 - حدثني المثنى، قال: حدثنا الحمانى، قال: حدثنا شريك، عن عبد الكريم، عن مجاهد: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام "، قال: أهل الحرم.

3504 - حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، قال: بلغنا عن ابن عباس في قوله: " حاضري المسجد الحرام "، قال: هم أهل الحرم، والجماعة عليه.

3505 - حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام "، قال قتادة: ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: يا أهل مكة، إنه لا متعة لكم، أحلت لأهل الآفاق وحرمت عليكم، إنما يقطع أحدكم واديا = أو قال: يجعل بينه وبين الحرم واديا = ثم يهل بعمره.

3506 - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا الليث، قال: حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري: أن أهل مكة كانوا يغزون ويتجرون، فيقدمون > 4- لهم في ذلك، لقول الله عز وجل: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ".

3507 - حدثني أحمد بن حازم، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: أهل الحرم.

3508 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: المتعة للناس، إلا لأهل مكة ممن لم يكن أهله من الحرم، وذلك قول الله عز وجل: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام "، قال: وبلغني عن ابن عباس مثل قول طاوس. (144) بالكلام

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وقال آخرون: عنى بذلك أهل الحرم ومن كان منزله دون المواقيت إلى مكة.
* ذكر من قال ذلك:

3509 - حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن مكحول: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام " ، قال: من كان دون المواقيت.

3510 - حدثنا المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك بإسناده مثله = إلا أنه قال: ما كان دون المواقيت إلى مكة.

3511 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن رجل، عن عطاء، قال: من كان أهله من دون المواقيت، فهو كأهل مكة لا يتمتع.

< 4-112 >

وقال بعضهم: بل عنى بذلك أهل الحرم، ومن قرب منزله منه.

* ذكر من قال ذلك:

3512 - حدثنا ابن وكيع، قال: حدثني أبي، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء في قوله: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام "، قال: عرفة، ومر، وعرنة، وضجنان، والرجيع، ونخلتان.

3513 - حدثنا أحمد بن حازم الغفاري والمثنى قالا حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام "، قال: عرفة ومر، وعرنة، وضجنان، والرجيع.

3514 - حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري في هذه الآية قال: اليوم واليومين.

3515 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، قال: سمعت الزهري يقول: من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع.

3516 - حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء: أنه جعل أهل عرفة من أهل مكة في قوله: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ".

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

3517 - حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: " ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام "، قال: أهل مكة وفج وذو طوي، وما يلي ذلك فهو من مكة.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا قول من قال: إن حاضري المسجد الحرام من هو حوله ممن بينه وبينه من المسافة ما لا تقصر إليه الصلوات. لأن " حاضر الشيء "، في كلام العرب، هو الشاهد له بنفسه. وإذا كان ذلك كذلك = وكان لا يستحق أن يسمى " غائباً "، إلا من كان مسافراً < 4-113 > شاخصاً عن وطنه، وكان المسافر لا يكون مسافراً إلا بشخصه عن وطنه إلى ما تقصر في مثله الصلاة، وكان من لم يكن كذلك لا يستحق اسم " غائب " عن وطنه ومنزله = كان كذلك من لم يكن من المسجد الحرام على ما تقصر إليه الصلاة، غير مستحق أن يقال: هو من غير حاضريه إذ كان الغائب عنه هو من وصفنا صفته.

وإنما لم تكن المتعة لمن كان من حاضري المسجد الحرام، من أجل أن " التمتع " إنما هو الاستمتاع بالإحلال من الإحرام بالعمرة إلى الحج، مرتفقاً في ترك العود إلى المنزل والوطن بالمقام بالحرم حتى ينشئ منه الإحرام بالحج. وكان المعتمر متى قضى عمرته في أشهر الحج، ثم انصرف إلى وطنه، أو شخص عن الحرم إلى ما تقصر فيه الصلاة، ثم حج من عامه ذلك، بطل أن يكون مستمتعاً. لأنه لم يستمتع بالمرفق الذي جعل للمستمتع، من ترك العود إلى الميقات، والرجوع إلى الوطن بالمقام في الحرم. وكان المكي من حاضري المسجد الحرام لا يرتفق بذلك، من أجل أنه متى قضى عمرته أقام في وطنه بالحرم، فهو غير مرتفق بشيء مما يرتفق به من لم يكن أهله من حاضري المسجد الحرام فيكون متمتعاً بالإحلال من عمرته إلى حجه.

< 4-114 >
القول في تأويل قوله تعالى : **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (196)

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل اسمه: " واتقوا الله "، بطاعته فيما ألزمكم من فرائضه وحدوده، واحذروا أن تعتدوا في ذلك وتتجاوزوا فيما بينكم من مناسككم، فتستحلوا ما حرم فيها عليكم. " واعلموا " : تيقنوا أنه تعالى ذكره شديد عقابه لمن عاقبه على ما انتهك من محارمه وركب من معاصيه.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

مكتبة مشكاة الإسلامية

الهوامش:

(1) هذا مصدر لم أجده في كتب اللغة ، وكأنه كما ضبطته بكسر الراء على وزن "حكمة ونشدة" . والذي ذكره : "ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة" .
(2) انظر ما سلف 2 : 444 .

(3) الخبر : 3109- عبد الرحمن بن أبي حماد سكين الكوفي : ترجمه ابن الجزري في طبقات القراء 1 : 369-370 ، وذكر أنه أخذ القراءة عن حمزة الزيات ، "وهو أحد الذين خلفوه في القيام بالقراءة" .

وأما شيخه -في هذا الإسناد-"أبو حماد" : فلا ندري من هو؟ والظن أنه زيادة خطأ من الناسخين . وهكذا ظن أخي السيد محمود ، أيضًا .
(4) انظر معنى "الدين" فيما سلف 1 : 155 ، 221 .

(5) ديوانه : 12 وسيأتي في التفسير 3 : 141 (بولاق) ، قالها في مدح الأسود بن المنذر اللخمي ، أخي النعمان بن المنذر لأمه ، وأم الأسود من تيم الرباب . هذا قول أبي عبيدة ، والصواب ما قال غيره : أنه قالها في مدح المنذر بن الأسود ، وكان غزا الحليفين أسدا وذيان ، ثم أغار على الطف ، فأصاب نعمًا وأسرى وسبيا من رهط الأعشى بني سعد بن ضبيعة بن ثعلبة ، والأعشى غائب . فلما قدم وجد الحي مباحا . فأتاه فأنشده ، وسأله أن يهب له الأسرى ويحملهم ، ففعل .

والرباب (بكسر الراء) هم بنو عبد مناة بن أد : تيم وعدي وعوف وثور ، اجتمعوا فتحالفوا مع بني عمهم ضبة بن أد ، على بني عمهم تميم بن أد . فجاؤوا برب (تمر مطبوخ) فغمسوا فيه أيديهم ، فسموا "الرباب" ، ثم خرجت ضبة عنهم ، واكتفت بعددها .

وقوله : "دان الرباب" أي أذلهم واستعبدهم وحملهم على الطاعة . وقوله : "دراكا" ، متتابعًا يدرك بعضه بعضًا . والصيال : السطرة . صال على عدوه : وثب عليه وسطًا . يقول تابع غزوهم والسطو حتى دانو بالطاعة .
(6) انظر معنى "العدوان" فيما سلف 2 : 307 ، وهذا الجزء 3 : 376 ، 564 .
(7) لم أجد البيت ، وشعر عمرو بن شأس على كثرته وجودته ، قد ضاع أكثره .

(8) انظر ما سلف 1 : 301-306 .

(9) الخبر : 3130- محمد بن عبد الله بن بزيع -بفتح الباء الموحدة وكسر الزاي- شيخ الطبري : ثقة ، وثقه أبو حاتم وغيره ، وروى عنه مسلم في صحيحه . وقد مضى مثل هذا الإسناد ، ولكن حرف فيه اسم جده إلى "زريع" ، وذكرنا أنه غير معروف ، واحتمال أن يكون صوابه "بن بزيع" في : 2451- فقد تبين الصواب هنا .

يوسف بن خالد السمطي : ضعيف جدا كذاب ، كما ذكرنا في ذلك الإسناد ، ووقع في المطبوعة هنا "السهمي" ، بدل "السمطي" . وهو خطأ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(10) قاضي الرجل يقاضيه قضاء وقضية . حاكمه في مخاصمة ، وانتهى معه إلى قضاء فصل وحكم يتراضيه . وفي صدر صلح الحديبية : "هذا ما قاضى عليه محمد" أي صالح . وبذلك سميت عمرة الحديبية هذه "عمرة القضية" ، و"عمرة الصلح" .

(11) أحصره المرض وغيره : منعه وحبسه .

(12) ما بين القوسين هكذا في الأصل . ولم أجد الخبر في مكان . وهو خطأ لا شك فيه ، أو بين الكلامين خرم لم أتبينه . والمعنى على كل حال : أمركم الله بالقصاص ، وكره منكم العدوان ، أي أمرهم أن يقتصوا ولا يعتدوا . هذا ما أرجحه إن شاء الله .

(13) انظر ما سلف في هذا الجزء 3 : 357-366 .

(14) وضعت هذه النقطة ، وفصلت بين قوله : "وقاتلوا المشركين كافة" وقوله : "على نحو ما ذكرنا" لوجود خرم لا شك فيه . فإنه سيقول بعد أسطر : "والآخر : أن يكون بمعنى العدو" . فهو بصدد تفسير قوله : "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" ، من جهة اللغة . ولا صلة بين كلامه في الآية أهى منسوخة أم غير منسوخة . وقوله : "والآخر" دليل على أنه يذكر وجهين من تفسير "اعتدى" أهى من "العدوان" ، أم من "العدو" . وكان كلام الطبري في موضع هذا الخرم كان :

[وأما قوله : (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) . ففي "الاعتداء" وجهان من التأويل :

أحدهما : أن يكون "الاعتداء" من "الْعُدْوَانِ" ، وَهُوَ مجاوزة الحدِّ ظُلْمًا وَبَغْيًا . ويكون معنى الآية : فمن جاوز حدَّه ظُلْمًا وَبَغْيًا ، فقاتلكم في الشهر الحرام فكافئوه بمثل ما فعل بكم ، على نحو ما ذكرنا من أنه . .]

هذا ما استظهرته من تفسير الطبري فيما سلف 2 : 307 ، وهذا الجزء 3 : 375 ، 376 ، 564 ، 573 ثم يبقى خرم قبل ذلك في كلامه عن الآية ، منسوخة هي أم غير منسوخة .

(15) انظر ما سلف 2 : 307 ، وهذا الجزء 3 : 375 ، 376 ، 564 ، 573 .

(16) انظر تفسير "سبيل الله" فيما سلف 2 : 497 ، وهذا الجزء 3 : 564 .

(17) هكذا في المطبوعة : "أَجْرًا" وأخشى أن تكون محرفة عن "أجلا" ، ليكون السياق مطردا على وجهه ، وذلك أحب إلي .

(18) المشقص : نصل السهم ، إذا كان طويلا غير عريض .

(19) قوله : "ساء ظنهم" ، أي خامرتهم الظنون السيئة القبيحة ، وشكوا . والعرب تستعمل "ساء ظنه" في مواضع كثيرة للدلالة على معاني مختلفة ، وقد بينت ذلك في مجلة الرسالة ، العدد : 910 (20 صفر سنة 1370 ،

ديسمبر 1950) وفي طبقات فحول الشعراء : 510 ، تعليق : 1 .

(20) عال الرجل يعيل عيلا وعيلة : افتقر . وفي كتاب الله : (وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَعْتَى) العائل : الفقير المحتاج .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(21) العقال : الحبل الذي يعقل به البعير ، أي يشد به وظيفه مع ذراعه ، حتى لا يقدر على الحركة .
(22) الحديث : 3179- حيوة : هو ابن شريح . أسلم أبو عمران : نسبه التهذيب بأنه "أسلم بن يزيد" وهو تابعي ثقة ، كان وجيهاً بمصر . وهو مولى تجيب . وسيأتي تخريج الحديث ، في الرواية التالية .
(23) الحديث : 3180- أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ : ثقة معروف ، من شيوخ أحمد والبخاري ، وكان إماماً في الحديث ، مشهوراً في القراءات ، أقرأ القرآن بالبصرة 36 سنة ، ثم بمكة 35 سنة . وهو مولى آل عمر بن الخطاب . ووهم ابن حزم فيه وهمًا عجيبًا ، فأخطأ خطأ طريفاً : جعله عربياً حميرياً ، ثم من "بني سبيع" ! ثم نسبه إلى حي زعم أن اسمه "مقر" ، بضم الميم وسكون القاف! فقال في جمهرة الأنساب ، ص : 409 "ومن ولد سبيع المذكور : مقر ، حي ضخم ، إليه ينسب عبد الله بن يزيد المقرئ (يعني بدون همزة) ، ولم يكن مقرئاً للقراءات ، وإنما كان محدثاً!! وأخطأ ابن حزم وشبهه له ، فأتى بقبيلة لم يذكرها أحد قط - فيما نعلم . وإنما انتقل نظره إلى شيء آخر بعيد ، إلى "عبد الرحمن بن عبد القاري" بتشديد الياء دون همزة ، من ولد "القارة بن الديث" . وهو تابعي ، ولم يك مقرئاً . فإلى هذا ذهب وهمه . ثم لا ندري كيف وضع القبيل الذي اخترعه ، في "بني سبيع" !!

ووقع في المطبوعة هنا "ثنا أبو عبد الرحمن عن عبد الله بن يزيد" . وهو خطأ في زيادة "عن" . و"أبو عبد الرحمن" كنية "عبد الله بن يزيد" ، ليس راويًا آخر .

والحديث رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : 599 ، عن عبد الله بن المبارك ، عن حيوة .

ورواه أبو داود السجستاني : 2512 ، من طريق ابن وهب ، عن حيوة وابن لهيعة .

ورواه الترمذي 4 : 72-73 ، من طريق أبي عاصم النبيل ، عن حيوة . وقال : "حديث حسن غريب صحيح" .

ورواه الحاكم في المستدرک 2 : 275 ، من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ ، عن حيوة ، وحده . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

ورواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر : 269-270 ، بإسنادين : رواه عن عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد . ورواه عن عبد الله بن يزيد المقرئ ، عن حيوة بن شريح - كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب ، به .

وقوله في الرواية الماضية "غزونا المدينة ، يريد القسطنطينية" - هكذا ثبت في المطبوعة هنا . ولفظ أبي داود السجستاني : "غزونا من المدينة ، نريد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

القسطنطينية". ولعل ما هنا أجود وأصح ، فإن أسلم أبا عمران مصري .
والظاهر من السياق أن الجيش كان من مصر والشام .

وقوله في تلك الرواية : "وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد" يدل على أن هذه الغزوة كانت في سنة 46 أو قبلها ، لأن عبد الرحمن مات تلك السنة . وهذه الغزوة غير الغزوة المشهورة التي مات فيها أبو أيوب الأنصاري . وقد غزاها يزيد بن معاوية بعد ذلك سنة 49 ، ومعه جماعات من سادات الصحابة . ثم غزاها يزيد سنة 52 ، وهي التي مات فيها أبو أيوب رضي الله عنه ، وأوصى إلى يزيد أن يحملوه إذا مات ، ويدخلوه أرض العدو ، ويدفنه تحت أقدامهم حيث يلقون العدو . ففعل يزيد ما أوصى به أبو أيوب . وقبره هناك إلى الآن معروف . انظر طبقات ابن سعد 3/2/49-50 ، وتاريخ الطبري 6 : 128 ، 130 ، وتاريخ ابن كثير 8 : 30-31 ، 32 ، 58-59 . وتاريخ الإسلام للذهبي 2 : 231 ، 327-328 .

وقوله في هذه الرواية الثانية "وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد" - هذا هو الصواب الثابت في رواية الطيالسي ، وابن عبد الحكم ، والحاكم . ووقع في رواية الترمذي "وعلى الجماعة فضالة بن عبيد" . وهو وهم ، لعله من الترمذي أو من شيخه عبد بن حميد .

والحديث ذكره ابن كثير 1 : 437-438 ، من رواية الليث بن سعد ، ولم ينسبها . ثم خرج من أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وعبد بن حميد في تفسيره ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه ، وأبي يعلى ، وابن حبان ، والحاكم . ثم ذكر رواية منه ، على أنها لفظ أبي داود - ولا توافق لفظه ، وفيها تحريف كثير .

وذكره السيوطي 1 : 207-208 ، وزاد نسبه للطبراني ، والبيهقي في سننه .
(24) انظر الإنصاف لابن الأنباري : 128 .

(25) في المطبوعة : "أصل للكلمة" ، وهو تحريف ، وانظر التعليقات الآتية .
(26) الفعل الواقع : هو الفعل المتعدي ، ضريع الفعل اللازم . ويقال له أيضًا "الفعل المجاوز" (انظر بغية الوعاة 2 : 81) .

(27) في المطبوعة : "سبيل كلمته" ، وهو تحريف كأخيه السالف . وأراد الطبري بالكناية عن الفعل : أن تستبدل به لفظ "فعل" . و"الفعل" : كناية عن كل عمل . تقول : "ضربت الرجل" ثم تريد الكناية عن الفعل فتقول : "فعلت به" ، وهذا الذي تقوله هو "الكناية" .

(28) ذو الخلة : المحتاج والفقير ، والمختل الحال بفساد أو وهن .
(29) انظر ما سلف في معنى "الإحسان" 2 : 292 .

(30) الدويرة تصغير "الدار" : وهو كل موضع حل به قوم ، فهو دارهم . هذا ، وقد سقط من الترقيم هنا رقم : 3192 فلم أستطع أن أغير الترقيم كله ، فتركته على حاله .

(31) ائتنف الشيء ائتنافا : أخذه من أوله وابتدأه . ويعني : أفرادهما منذ ابتداء دخوله فيهما . وانظر الأثر الذي يليه والتعليق عليه .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (32) هكذا جاء في هذا الأثر "موقتتين" من التوقيت ، وهو التحديد ، والميقات : وهو الوقت المضروب للفعل ، أو الموضع . يقال : هذا ميقات أهل الشام أو مصر ، للموضع الذي يحرمون منه . ويعني أن ميقاتها من عند دوبرة أهله .
- (33) هكذا في الأصل : "أن تعمل" ولعل الصواب "أن تعتمر" .
- (34) في المطبوعة : "وما كان في أشهر الحج" ، والصواب ما أثبت .
- (35) قوله : "كذب الشعبي" ، أي خطأ . وهو كثير جدا في الأخبار والأحاديث وأشعار العرب ، بمعنى الخطأ ، لا بمعنى الكذب الذي هو فقيض الصدق . ويعني : خطأ الشعبي في اجتهاده .
- (36) في المطبوعة : "في أنهما" بزيادة "في" وهو خطأ ثم فيها "قرضان واجبان من الله" ، والصواب ما أثبت .
- (37) يقال : خلف قوم بعد قوم ، وسلطان بعد سلطان ، يخلفون خلفا . فهم خالفون . تقول : أنا خالفه وخالفته : أي جئت بعده .
- (38) الخبر : 3212- أحمد بن حازم بن محمد بن يونس بن قيس بن أبي غرزة الغفاري ، شيخ الطبري : مضت الرواية عنه في : 44 ، 164 . ترجمه ابن أبي حاتم 1/1/48 ، وذكر أنه كتب إليه . ثوبن بن أبي فاختة : ضعيف جدا ، روى البخاري في الكبير 1/2/183 ، والصغير : 128 ، عن الثوري ، قال : "كان ثوبن من أركان الكذب" ، وهو بضم الثاء المثلثة مصغرا . أبوه أبو فاختة : اسمه سعيد بن علاقة ، وهو مولى أم هانئ بنت أبي طالب . وهو تابعي ثقة ، يروى عن علي ، وعن ابن مسعود ، وغيرهما .
- (39) الخبر : 3213- هو في معنى الذي قبله ، بالإسناد نفسه . وزاد في هذا نسبة القراءة لابن مسعود . وهي من القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف . ورواه البيهقي في السنن الكبرى 4 : 351 ، من طريق عبد الله بن رجاء ، عن إسرائيل ، به . والإسناد في الخبر بن ضعيف ، كما بينا آنفا .
- (40) سياق العبارة : "وإذا كان لا يستحق اسم معتمر إلا بزيارته ... لم يكن لقول قائل ... " وما بينهما فصل طويل
- (41) السياق : "لم يكن لقول قائل ... معنى "
- (42) سياق المعنى : "وأن تأويل من تأول ... أولى من تأويلنا" .
- (43) الحديث : 3222- هذا إسناد ضعيف ، لإيهام بعض رواته الذين لم يسموا . حاتم بن بكير الضبي ، شيخ الطبري : هو أيضا من شيوخ ابن ماجه وابن خزيمة ، مترجم في التهذيب والخلاصة ، دون بيان حاله ، وفي التقريب : "مقبول" وثبت اسم أبيه "بكير" بالتصغير هنا وفي الخلاصة . وثبت بالتكبير "بكر" في التهذيب والخلاصة ، ولم أجده في مصدر آخر حتى أستطيع الترجيح بينهما . أشهر - بالشين المعجمة - بن حاتم ، أبو حاتم البصري الجمحي : مختلف فيه ، فضعه ابن معين . وقال أبو زرعة : "محل الصدق ، وليس بالقوي ، رأيته يسند عن ابن عون حديثا ، الناس يقفونه" . وترجمه البخاري في الكبير 1 / 2 / 69 فلم يذكر فيه جرحا . ثم هو قد روى له في الصحيح حديثا متصلا وآخر معلقا . مقدمة الفتح ، ص : 389 .
- وأما نسبه هنا "الأرطبائي- فلا أدري ما هي؟ ولا أعرف لها توجيها . إلا أن يكون ممن أكثر الرواية عن شيخه "ابن عون" - وهو "عبد الله بن عون بن أرطبان" بالنون في آخره - فنسب إلى "أرطبان" لذلك ، ثم حرفت "الأرطبائي"

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إلى "الأرطبائي". وما وجدت ما يدل على ذلك ، ولا ما يشير إلى أنه يكثر الرواية عن ابن عون - وإنما هو ظن ظننته.
محمد بن جحادة: مضت ترجمته: 34.

أبو المنتفق: -يقال ابن المنتفق- ترجمه ابن الأثير في أسد الغابة 5: 306 -
وروى هذا الحديث، بإسناده إلى معاذ بن معاذ، عن ابن عون ، بهذا الإسناد،
ووقع فيه "ابن عوف" وهو خطأ مطبعي ظاهر.
وترجمه الحافظ في الإصابة 7: 181، وذكر له هذا الحديث من رواية
الطبراني ، ولكن فيه "محمد بن جحادة" ، عن زميل له، بحذف "عن رجل"
من بينهما.

وترجمه ابن أبي حاتم 4 / 2 / 327 باسم "ابن المنتفق" ، هكذا: "أنه وصف
صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما روى محمد بن جحادة، عن المغيرة
بن عبد الله اليشكري، عن أبيه، عنه "
والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 1: 43 - 44 ، من غير هذا الوجه
قال: وعن حجير، عن أبيه، وكان يكنى أبا المنتفق" فذكر نحوه، وفيه -كما هنا-
"وحج واعتمر". وذكره قبل ذلك 1: 43 ، من وجهين آخرين ، ليس فيهما هذا
اللفظ.

وقال الحافظ في الإصابة - بعد أن أشار إلى رواية الطبراني من طريق ابن
عون : "قال الطبراني: اضطرب ابن عون في إسناده، ولم يضبطه عن محمد
بن جحادة ، وضبطه همام . ثم أخرجه من طريق همام. عن محمد بن جحادة،
عن المغيرة بن عبد الله اليشكري، عن أبيه، قال: قدمت الكوفة، فدخلت
المسجد فإذا رجل من قيس، يقال له ابن المنتفق، فسمعته يقول " ... وهذه
الرواية هي التي ذكرها صاحب الزوائد أولاً.
وطرق الحديث من أوجه، منها رواية همام، التي ذكرها الحافظ:- في المسند
15948-15950 ، (3: 472 - 473 حلي)، و 16774 (4: 76 - 77 حلي) ، و (5:
372-373 ، و 6: 383 - 384 حلي). ولم أجد في روايات المسند هذه،
ذكرا للعمرة.

(44) الحديث: 3223- يعقوب بن إبراهيم: هو الدورقي الحافظ، مضى في:
237، 335. وهو يروى عن عبد الرحمن بن مهدي. ووقع في المطبوعة هنا
بينهما زيادة "قال حدثنا ابن إبراهيم"، وهي زيادة خطأ من ناسخ أو طابع ،
ولا معنى لها، فحذفناها.
النعمان بن سالم الطائفي: ثقة، وثقه ابن معين وغيره، وأخرج له مسلم في
الصحيح .

عمرو ابن أوس بن أبي أوس الثقفي الطائفي: تابعي ثقة . أخرج له أصحاب
الكتب الستة.

أبو رزين العقيلي: هو لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر، وهو صحابي
معروف، وغلط من جعله و "لقيط بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق" - واحدا
. بل هما صحابيان، وقد فصل بينهما ابن سعد 5: 379 ، 340 .
وهذا الحديث صحيح، خلافا لما قاله الطبري فيما سيأتي بعد أسطر، إذ ضعف
هذه الأحاديث كلها وفيما هذا الحديث .

وقد رواه الطيالسي: 1091، عن شعبة. ورواه أحمد في المسند: 16253، عن
وكيع عن شعبة، بهذا الإسناد (ج 4 ص 10، 11، 12 حلي) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورواه أبو داود: 1810، عن حفص بن عمر ومسلم بن إبراهيم - كلاهما عن شعبة. وقال المنذري: 1736، "وأخرجه الترمذي، والنسائي وابن ماجه. وقال الترمذي: حسن صحيح . وقال الإمام أحمد: لا أعلم في إيجاب العمرة حديثاً أجود من هذا ، ولا أصح منه"
ورواه البيهقي 4: 350، من طريق أبي داود . ثم روى كلمة أحمد بن حنبل في تصحيحه .

(45) الحديث: 3224- أبو قلابة- بكسر الكاف وتخفيف اللام . وهو عبد الله بن زيد الجرمي، أحد الأعلام ، من التابعين

(46) الحديث: 3225- محمد بن عيسى الدامغاني، شيخ الطبري: روى عنه أبو حاتم، وقال: "يكتب حديثه". وروى عنه أيضاً النسائي، وابن خزيمة، وغيرهم. والحديث رواه أحمد: 14449 (3: 316 حلي)، عن ابن معاوية، عن الحجاج بن أرطاة، بهذا الإسناد، نحوه.

ورواه الترمذي 2: 113، من طريق عمر بن علي، والبيهقي 4: 349، من طريق عبد الواحد بن زياد - كلاهما عن الحجاج ، به ، نحوه .
وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح " . رجح البيهقي أن المحفوظ روايته موقوفاً من كلام جابر ، وقد أطال الحافظ ابن حجر ، في التلخيص، ص 204، في إعلال المرفوع وترجيح الموقوف .

(47) الحديث: 3226- شريك: هو ابن عبد الله النخعي، مضت ترجمته: 2527. معاوية بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله التيمي : تابعي ثقة.

أبو صالح الحنفي: هو عبد الرحمن بن قيس الكوفي، وهو تابعي ثقة. وأخطأ بعضهم فسماه "ماهان" ، والصواب أن كنية "ماهان": "أبو سالم الحنفي". انظر الترجمتين في التهذيب . وعلى الرغم من أن الحافظ ابن حجر حقق ذلك في الموضوعين من التهذيب - فإنه سها في التلخيص ، ص: 204، فقال: "وأبو صالح : ليس ليس هو ذكوان السمان، بل هو أبو صالح ماهان الحنفي" !

وهذا الحديث مرسل . ورواه الشافعي في الأم 2: 113 ، قال: " فاختلف الناس في العمرة، فقال بعض المشرقيين : العمرة تطوع. وقال سعيد بن سالم ، (هو القداح، شيخ الشافعي) واختج بأن سفيان الثوري أخبره عن معاوية بن إسحاق، عن أبي صالح الحنفي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحج الجهاد، والعمرة تطوع. فقلت له: أثبت مثل هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: هو منقطع" . ثم ذهب الشافعي يقيم عليه الحجة - أن تكون العمرة واجبة" . إلى آخر ما قال .
وقد روى البيهقي 4: 348 هذا الحديث المرسل، من طريق الشافعي. ثم نقل عنه بعض ما نقلته .

(48) في المطبوعة: "وبذكر اللام ... " ، وكأن الصواب ما أثبت حتى يستقيم الكلام.

(49) انظر ما سلف 3: 228- 229 .

(50) نص كلام مالك في الموطأ: 360، وسيأتي برقم: 3287 .

(51) إلى هنا نص ما في الموطأ : 360 ، وما بعده زيادة ليست هناك .

وسيأتي في آخر رقم : 3288 .

(52) في المطبوعة : "أن يبدأ بما لا بد منه" والصواب ما أثبتته ، عن الموطأ : 362 ، فراجعها هناك . وانظر أيضاً ما سيأتي رقم : 3289 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (53) في المطبوعة : "وإن كان . . . " والصواب حذف الواو .
(54) قوله : "غير داخل" خبر قوله : "من أجل أن حبس من لا خوف على النفس من حبسه" .
(55) الأثر : 3263 الموطأ : 385 .
(56) الأثر : 3265- الموطأ : 385 .
(57) الأثر : 3266- الموطأ : 385 ونصه : "وذلك أحب ما سمعته إلي في ذلك" ، ثم استدل بآية المائدة التي استدل بها ابن عباس في الأثر : 3260 .
(58) الخبر: 3278- الوليد بن أبي هشام زياد، مولى عثمان: ثقة جدا، كما قال الإمام أحمد.
زياد بن جبير بن حية بن مسعود الثقفي: تابعي ثقة. مترجم في التهذيب.
والكبير 3217 / 1 / 2. وابن أبي حاتم 27 / 2 / 1 ، 310 . وقال : "عبيد الله بن جبير بن حية، أخو زياد وعبيد الله ابني جبير بن حية الثقفي. وكانوا إخوة ثلاثة ."
(59) في المطبوعة : "إذا لم يكن أحد المهديين يخرجه . . . " والصواب ما أثبت .
(60) انظر معاني القرآن للفراء 1 : 118 .
(61) "هدية" و"جدية" بتشديد الياء ، وقد ضبطها ناشر مجاز القرآن لأبي عبيدة بفتح فسكون ، وهو خطأ والجدية : قطعة من الكساء محشوة تكون تحت دفتي السرج وظلقة الرجل ، وهما جديتان .
(62) مجاز القرآن لأبي عبيدة : 69 .
(63) ديوانه : 79 من قصيدة كريمة ، قالها في ذم بني عليم بن جناب من كلب . وكان رجل من بني عبد الله بن عطفان قد آتاهم فأكرموه وأحسنوا جواره ، بيد أنه كان مولعا بالقمار فنهوه عنه ، فأبى إلا المقامرة . فقمرة مرة فردوا عليه ، ثم قمر أخرى فردوا عليه ، ثم قمر الثالثة فلم يردوا عليه ، وأخذت منه امرأته في قماره . والهدي : الرجل ذو الحرمة المستجير بالقوم ، فسموه كما قال الطبري بما يهدي إلى البيت ، فهو لا يرد عن البيت ولا يصاب ، وقوله : "فستباء" أي تؤخذ امرأته وتتكح ، ثم قال لهم بعد البيت :

وجار البيت والرجل المنادي

أمام الحي ، عهدهما سواء

- والمنادي : المجالس في النادي أما بيوت الحي .
(64) قال ابن كثير في تفسيره 1 : 446"وقوله : "ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله" معطوف على قوله : "وأتموا الحج والعمرة لله" وليس معطوفا على قوله : "فإن احصرتم فما استيسر من الهدى" كما زعمه ابن جرير رحمه الله . لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية ، لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم ، حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم . فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم ، فلا يجوز الحلق"حتي يبلغ الهدى محله" ، ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة -وإن كان قارنا- أو من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

فعل أحدهما ، إن كان مفردا أو ممتعا ، كما ثبت في الصحيحين عن حفصة أنها قالت : يا رسول الله ، ما شأن الناس؟ حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك! فقال : إني لبدت رأسي وقلدت هديي ، فلا أحل حتى انحر" .

وفي تخطئة ابن كثير لأبي جعفر ، نظر وتفصيل ليس هذا موضعه لأنه يطول

- (65) الحلاق مصدر كالحلق والتحلق ، يقال : رأس جيد الحلاق (بكسر الحاء) وقد أكثر مالك من استعمال هذا المصدر في الموطأ (انظر : 395 ، 396) .
- (66) الزيادة بين القوسين لا بد منها حتى يستقيم الكلام .
- (67) الأثر : 3287- مضى في ص : 24 ، بغير إسناد .
- (68) الأثر : 3288- في الموطأ : 360-361 مع خلاف يسير في بعض لفظه . ومن أول قوله : "قال : وسئل مالك" ، في آخر هذا الأثر ، قد مضى برقم : 3238 ، وهو في الموطأ : 360 ، قبل النص السالف .
- (69) في الموطأ : "سعيد بن حزابة المخزومي" .
- (70) في المطبوعة : "أن يبدأ بما لا بد منه" والصواب من الموطأ ، وقد مضى ذلك كذلك أيضًا في ص : 25 ، وانظر تعليق رقم : 2 .
- (71) الموطأ : 362 ، ومضى بعض ذلك في ص : 25 .
- (72) الحديث : 3291- إسناده ضعيف جدا ، من أجل "موسى بن عبيدة" . وقد مضى بيان حاله : 1875 ، 1876 .

أبو مرة مولى أم هانئ : اسمه "يزيد" ويقال له أيضًا "مولى عقيل بن أبي طالب" ، واشتهر بكنيته . وهو تابعي ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

ومعنى الحديث ثابت معروف من أوجه كثيرة ، في دواوين الحديث وكتب السيرة ، بل إن نحو هذا المعنى ثابت عن ابن عمر بإسناد صحيح ، في المسند : 6067 ، والبخاري 5 : 224 ، و 7 : 391 (من الفتح) . والدعاء للمحلقين والمقصرين ثابت من حديثه أيضًا ، صحيح ، في المسند : 4657 والموطأ والصحيحين ، كما بينا هناك .

(73) الحديث : 3292- هو جزء من حديث طويل ، في شأن صلح الحديبية ، وهو معروف مشهور .

رواه احمد في المسند 4 : 328-231 (حلي) عن عبد الرزاق عن معمر بهذا الإسناد ثم رواه عقب ذلك ، عن يحيى بن سعيد القطان عن عبد الله بن المبارك . عن معمر ولم يذكر لفظه إحالة على الرواية قبله . وقد رواه الطبري هنا ، من طريق يحيى القطان .

ورواه البخاري 5 : 241-260 (فتح الباري) عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الرزاق كرواية المسند وروي منه قطعة موجزة 3 : 433 من طريق عبد الله بن المبارك ، عن معمر .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(74) الحديث : 3293- هذه إشارة من الطبري إلى حديث مشهور معروف . وهو قصة "بريرة" التي اشترتها عائشة من مواليتها الذين كاتبوها ، وأعتقها فكانت مولاتها ، وهي في الصحيحين وغيرهما . واللفظ الثابت في الصحيحين ، في شأن اللحم الذي تصدق به على بريرة ، وأهدته هي لعائشة وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل منه- : أنه قال : "هو لها صدقة ولنا هدية" أو نحو هذا ، من حديث عائشة ومن حديث أنس ، ولم أجد لفظ "فقد بلغ محله" ، الذي حكاه الطبري في قصة بريرة . ولعله وقع إليه من رواية خفيت علينا .

نعم ، جاء نحو هذا اللفظ ، في قصتين آخرين في هذا المعنى :

إحداهما : من حديث أم عطية الأنصارية أنها بعثت إلى عائشة من لحم جاءها من الصدقة ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عن طعام ، فأخبروه بذلك -لأن الصدقة لا تحل له- فقال صلى الله عليه وسلم : "إنها قد بلغت محلها" . رواه أحمد في المسند 6 : 407-408 (حلي) والبخاري 3 : 245 ، 281-282 ، و 5 : 149-150 (فتح) مسلم 1 : 297 .

والأخرى : من حديث جويرية بنت الحارث أم المؤمنين قالت : "دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم : فقال : هل من طعام؟ قلت : لا إلا أعظما أعطيته مولاة لنا من الصدقة . قال صلى الله عليه وسلم : فقريبه فقد بلغت محلها" . رواه أحمد في المسند 6 : 429 (حلي) . ومسلم 1 : 296 . (75) الخبر : 3294- عمارة بن عمير التيمي : ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة .

عبد الرحمن بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي : تابعي ثقة كثير الحديث .

عمرو بن سعيد النخعي : لم أجد له ذكرا ، وليس له شأن في رواية الخبر ، بل هو المتحدث عنه ، والذي أفتى ابن مسعود في شأنه . وسيأتي اسمه مرة أخرى في الخبر : 3299 . وانظر التعليق على الأثر : 3297 وقد روى الطبري هذا الخبر مكررا بأسانيد ، كما ترى وانظر التعليق على الأثر : 3297 .

ذات الشقوق : منزل بطريق مكة ، من الكوفة . وتشوف الشيء : تناول ينظر إليه .

(76) الخبر : 3295- سليمان بن مهران : هو الأعمش . وهو هنا يروي الخبر عن عمارة بن عمير ، كالرواية السابقة ، وعن إبراهيم : وهو ابن يزيد بن الأسود بن عمرو النخعي ، وهو الفقيه المعروف الثقة ، وهو ابن أخت عبد الرحمن بن يزيد بن قيس" . فالأعمش يرويه عنهما عن عبد الرحمن ابن يزيد .

* وسيأتي الخبر من روايته وحده أيضًا ، عن خاله عبد الرحمن : 3297 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (77) الأمار والأمانة : العلامة والوقت .
(78) الخبر : 3297 -الحكم : هو ابن عتيبة- بضم العين وفتح التاء المثناة من فوق ، وبعد التحتية باء موحدة . وهو تابعي ثقة حجة فقيه مشهور . وجعله أحمد بن حنبل أثبت الناس في الرواية عن إبراهيم النخعي .
- * وهذا الخبر رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار 1 : 432 ، من طريق بشر بن عمر ، عن شعبة بهذا الإسناد نحوه وقد سمى فيه الرجل الذي لدغ ، فقال : "أهل رجل من النخع بعمره ، يقال له : عمير بن سعيد- إلخ . فإن يكن هذا صوابا يكن هو" عمير بن سعيد النخعي" التابعي وقد مضت ترجمته : 1683 . فيكون الاسم "عمرو بن سعيد" في الخبرين : 3294 ، 3299 -محرفا عن هذا . ويرجح أنه وقع اسمه أيضًا محرفا إلى "عمرو بن سعيد" في المطبوعة ، هناك في : 1683 .
- (79) الخبر : ، 3299 -الحجاج : هو ابن أرطاة بن ثور بن هيرة النخعي ، وهو ثقة على الراجح عندنا . ثم انظر التعليق على الأثر : 3297 .

- * عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي : تابعي ثقة . أبوه الأسود بن يزيد النخعي : هو أخو"عبد الرحمن بن يزيد النخعي ، الماضي في الروايات السابقة ، وهو تابعي كبير ، ثقة من أهل الخير ، كما قال أحمد . (80) الحديث : 3307 -الفضل بن سهل بن إبراهيم الأعرج ، شيخ الطبري : أحد الثقات الحفاظ روى عنه الشيخان في الصحيحين . وهو مترجم في التهذيب وابن أبي حاتم 3/1/63 ، وتاريخ بغداد 12 : 364-365 . وتذكرة الحفاظ 2 : 120 .

مخول -بالحاء المعجمة بوزن"محمد"- بن إبراهيم بن مخول بن راشد النهدي الحنات؛ قال الذهبي في الميزان : "رافضي بغيض ، صدوق في نفسه" . وقال ابن أبي حاتم 4/1/399 : "سئل أبي عنه فقال : "هو صدوق" وذكره ابن حبان في الثقات .

- إسرائيل : هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي . و"مخول" أكثر روايته عن إسرائيل ، وقد روى عنه ما لم يرو غيره" ، كما قال ابن عدي .
- مجزأة بن زاهر : تابعي ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

أبوه ، زاهر بن أسود بن حجاج بن قيس الأسلمي : صحابي معروف كان ممن بايع تحت الشجرة . ناجية بن جندب الأسلمي : صحابي معروف وكان صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهناك أيضًا "ناجية بن كعب الخزاعي" كان صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضًا . وقد خلط بينهما بعض الرواة . وحقق الحافظ في التهذيب والإصابة أن هذا غير ذاك .

والحديث رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار 1 : 427 ، عن إبراهيم بن أبي داود عن مخول ابن إبراهيم بهذا الإسناد إلا أنه جعله "عن مجزأة عن ناجية"

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

مباشرة ليس بينهما" عن أبيه" . و"مجزأة" يروى عن ناجية . لكن هذا الحديث بعينه ذكره الحافظ في الإصابة في ترجمة ناجية 6 : 222-223 أنه رواه ابن مندة" من طريق مجزأة بن زاهر ، عن أبيه عن ناجية بن جندب" ، ثم ذكر أنه"أخرجه الطحاوي من طريق مخول" . فلا أدري : أسقط قوله" عن أبيه" من نسخة الطحاوي؟ أم هو اختلاف رواية؟

وقال الحافظ بعد ذكره رواية ابن مندة : "قال اب مندة : تفرد به مخول بن إبراهيم عن إسرائيل عنه (يعني عن مجزأة) ورواه عنه (يعني عن مخول) أبو حاتم الرازي وغيره . كذا قال وقد أخرجه النسائي من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل مثله" . ولم أجده في النسائي . فالظاهر أنه في السنن الكبرى .

(81) انظر ما سلف رقم : 3289 .

(82) خلأت الناقة تخلصاً خلاه (بكسر الخاء) فهي خالي : إذا بركت وأبت أن تقوم وأبت أن تقوم وفي الحديث" أن ناقة النبي صلى الله عليه وسلم خلأت به يوم الحديبية فقالوا : خلأت القصواء! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلأت! وما هو لها بخلق! ولكن حبسها حابس الفيل" . والظهر : الإبل التي يحمل عليها ويركب عليها .

(83) الموطأ : 361 ، مع خلاف يسير في لفظه وفيه : "المحصر بمرض لا يحل . . ."

(84) انظر ما سلف رقم : 3238 ، 3287 ، 3288 .

(85) الدثينة (بفتح أوله وكسر ثانيه) : منزل لبني سليم في طريق البصرة إلى مكة ، وكانت تسمى"الدثينة" أيضاً . وقال البكري في معجم ما استعجم : "الدثينة" بفتح أوله وثانيه بعده نون وياء مشددة . ثم نقل عن أبي علي القالي : "الدثينة والدثينة : منزل لبني سليم نقلته من كتاب يعقوب في الإبدال" والصواب ما ذكره ياقوت في ضبطها ، لقول النابغة الذبياني :

وعلى الرميثة من سكين حاضر وعلى الدثينة من بني سيار
(86) الموطأ : 361 ، وفي بعض لفظه خلاف يسير ، وفيه أيضاً : "فأقمت على ذلك الماء سبعة أشهر" ، وكأنها الصواب .

(87) قوله : "وتأول . . ." معطوف على قوله : " . . . قول من قال . . ."

(88) في المطبوعة : "ولا يخفى وصول هديه إلى الحرم" ، وهو لا معنى له . وتحفى : استقصى وبالغ وعنى في معرفة الشيء . من قولهم : "هو به حفى" ، أي معنى شديد الاهتمام . هذا ما استظهرته من قراءة هذه الكلمة . والله المسدد للصواب .

(89) في المطبوعة : "أنها يومئذ نزلت في حكم صد المشركين . . ." وزيادة الواو لا بد منها حتى يستقيم الكلام وبعثدل جانباه .

(90) الحديث : 3321-حجاج بن أبي عثمان الصواف : ثقة حافظ أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه أحمد في المسند : 15796 (3 : 450 حلي) عن يحيى القطان وعن ابن علي كلاهما عن حجاج الصواف بهذا الإسناد .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ورواه أبو داود : 1962 من طريق يحيى عن حجاج قال المنذري : "وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه" . وسيأتي عقب هذا بإسناد ثان .
(91) الحديث : 3322 - مروان : هو ابن معاوية الفزاري مضت ترجمته :
1222 . والحديث مكرر ما قبله . وقد رواه الحاكم في المستدرک 1 : 470 من طريق مروان بن معاوية الفزاري بهذا الإسناد . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبي .

* ووقع في نسخة المستدرک المطبوعة "مروان حدثنا معاوية الفزاري!" وهو خطأ مطبعي ، ينبغي تصحيحه .

(92) انظر ما سلف ص : 36 ، والتعليق رقم : 1
(93) الخبر : 3324 - عبيد الله بن معاذ بن معاذ العنبري الحافظ : ثقة أخرج له الشيخان وغيرهما مات سنة 237 . وهو بصري وابن جرير ولد سنة 224 فكانت سنة حين وفاة عبيد الله 13 سنة ولا يبعد سماعه منه ، إلا أنه لم يرحل في طلب الحديث في هذه السن . ولم أجد ما يؤيد ظاهر هذا الإسناد : أنه سمع عبيد الله . وسيأتي هذا الإسناد في خبر آخر : 3374 بواسطة بين الطبري وعبيد الله ، وليس يمتنع أن يروي الراوي عن شيخ مباشرة تارة وبواسطة تارة أخرى . ولني أشك في صحة مطبوعة الطبري في هذا الموضوع خشية أن يكون سقط اسم شيخ بينهما .

وقد وضعت قبل هذا الأثر نقطا وبعده نقطا أخرى ليقيني أن في هذا الموضوع خرم وخلط لم أستطع أن أهتدي إليه . ومع ذلك فأنا في شك من نص هذا الأثر ، وأخشى أن يكون من كلام الطبري لا من كلام الحسن وسيأتي قول الحسن بهذا الإسناد في رقم : 3374 .

هذا والإسناد هناك ، "حدثنا ابن أبي عمران قال حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه . . ." وكذلك نقله ابن كثير في تفسيره 1 : 448 فلا شك أن في هذا الإسناد نقصا أيضًا وصوابه "حدثنا ابن أبي عمران قال حدثنا عبيد الله بن معاذ . . ."

(94) الحديث : 3333 - هذا الحديث إلى الحديث : 3358 ثم الحديث : 3364 كلها طرق لحديث كعب بن عجرة من أوجه مختلفة بالفاظ وسياقات ثم الحديث 3359 في قصة كعب أيضًا . فهو 28 حديثا وجدت تخريج أكثرها . ومنها 10 أسانيد لم يقع إلى تخريجها فتستفاد من هذا التفسير العظيم ولعل بعضها موجود في مراجعنا ولكن لم أصل إليه .

وأرقام الأسانيد التي لم أجد تخريجها هي : 3333 ، 3339 ، 3343 ، 3344 ، 3349 ، 3350 ، 3355 ، 3357 ، 3358 ، 3359 .

وهذا الإسناد : 3333 - أولها ولم أجده في موضع آخر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وعطاء في هذا الإسناد : الظاهر أنه عطاء بن أبي رباح . ويحتمل أن يكون "عطاء بن عبد الله الخراساني" ، لأن الحديث سيأتي من روايته : 3353 عن شيخ مبهم عن كعب بن عجرة .

وأيا ما كان فهذا الإسناد ضعيف لإرساله لأن عطاء يحكي قصة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدركها ، ثم لم يذكر من حدثه بها .

وسياأتي الحديث مرة أخرى 3357 من رواية ابن جريج عن عطاء مرسلًا أيضًا .

ومعناه ثابت صحيح من الروايات الموصولة الصحيحة الآتية وفيها كثرة والحمد لله .

الصئبان جمع صاب (بضم بفتح) جمع صؤابة : وهو بيض القمل .
(95) البرسام : ورم حار يعرض للحجاب الذي بين الكبد والأمعاء . ثم يتصل إلى الدماغ حتى يهذي صاحبه في علته هذه .
(96) الشقيقة : صداع يأخذ في نصف الرأس والوجه ، يداوى بالاحتجام .
(97) الحديثان : 3334 ، 3335 - داود : هو ابن أبي هند .

والحديث رواه احمد في المسند 4 : 343 وأبو داود : 1858 - كلاهما من طريق داود عن الشعبي .

الوفرة : أعظم من الجمة وهي ما جاوز شحمة الأذنين من الشعر ثم اللمة وهي ما ألم بالمنكبين والهوام واحدها هامة : وهي الحيات وأشباهها مما بهم أي يدب . والهميم الدبيب . وكنوا عن القمل بأنها هوام لأنها تهم في الرأس ، أي تدب فيه وتؤدي . وأصع جمع صاع وأصلها "أصوع" بالهمزة مضمومة (مثل جبل وأجبل) قلبت الهمزة مكان الصاد ، كما قالوا في دار أدور وأدر (المغرب عن أبي علي الفارسي ومعيار اللغة للشيرازي) والصاع مكيال لأهل المدينة وللفقهاء اختلاف كثير في تقديره ، وسياأتي (أصع) في رقم : 3346
(98) الحديث : 3336 - أسد بن عمرو البجلي القاضي : فقيه من أصحاب أبي حنيفة وروى عنه الإمام أحمد وقال : "كان صدوقا" . ووثقه ابن سعد 7/2/74 . وترجمته في التعجيل . وهو مختلف فيه جدا ، بين التوثيق والتكذيب . والعدل ما قال أحمد . أشعث : هو ابن سوار الكندي . وهو ثقة . عامر : هو الشعبي .

عبد الله بن معقل بن مقرن المزني : تابعي ثقة من خيار التابعين . و"معقل" : بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف . و"مقرن" : بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المكسورة وآخره نون .

والحديث رواه أحمد 4 : 243 (حلي) عن هشيم عن هذا الإسناد . وسياأتي 3364 ، من طريق هشيم .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(99) الحديث : 3337 - مؤمل : هو ابن إسماعيل . سفيان : هو الثوري .

* عبد الرحمن بن الأصبهاني : هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الأصبهاني . وهو ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة .

* والحديث رواه أحمد في المسند 4 : 243 (حلي) عن مؤمل بن إسماعيل ، بهذا الإسناد بلفظ أطول مما هنا .

* الفرق (بفتح الراء وسكونها) : مكيال لأهل المدينة يسع ستة عشر رطلا . وفي تقديره أيضًا اختلاف كاختلافهم في الصاع . وانظر ما سيأتي رقم : 3346 .

(100) الحديث : 3338 - رواه الطيالسي في مسنده : 1062 ، عن شعبة بهذا الإسناد . ورواه أحمد في المسند 4 : 242 (حلي) عن محمد بن جعفر وعن عفان وعن بهز - ثلاثهم عن شعبة .

* وكذلك رواه البخاري 4 : 14 (فتح) ومسلم 1 : 336 - 337 ، وابن ماجه : 3079 - كلهم من طريق شعبة .

(101) الحديث : 3339 - تميم : هو ابن المنتصر الواسطي ، شيخ الطبري . مضت ترجمته : 891 .

* إسحاق الأزرق : هو إسحاق بن يوسف بن مرداس المخزومي الواسطي . ثقة معروف من شيوخ أحمد وابن معين ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة . وشيوخه شريك : هو ابن عبد الله النخعي .

* عبد الله بن معقل المزني ، كما بينا من قبل . ووقع هنا في المطبوعة "المري" وهو تصحيف .

* وهذا الإسناد مما لم أجده - من طريق شريك - في موضع آخر .

* نسك ينسك (بضم السين) نسكا : ذبح ، والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النسك . والنسيكة الذبيحة .

(102) الحديث : 3340 - رواه أحمد 4 : 244 (حلي) من طريق معمر . ورواه البخاري 7 : 351 ، ومسلم 1 : 336 من طريق حماد بن زيد - كلاهما عن أيوب بهذا الإسناد . وسيأتي عقب هذا ، من رواية ابن علية عن أيوب وسيأتي : 3346 ، من رواية ابن عيينة عن ابن أبي نجيح وأيوب .

(103) الحديث : 3341 - رواه أحمد في المسند 4 : 241 (حلي) عن إسماعيل - وهو ابن عليه - بهذا الإسناد .

* ورواه مسلم 1 : 336 ، عن يعقوب بن إبراهيم - شيخ الطبري هنا - وعن علي بن حجر وزهير ابن حرب ثلاثهم عن ابن علية .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(104) الحديث : 3342- رواه مسلم 1 : 336 من طريق ابن أبي عدي عن ابن عون بهذا الإسناد .

(105) الحديثان : 3343 ، 3344 -سعيد في الإسنادين : هو ابن أبي عروبة .

* صالح أبو الخليل -وفي الإسناد الثاني"عن أبي الخليل- : هو صالح بن أبي مريم وكنيته"أبو الخليل" . مضت ترجمته : 1899 . ووقع في المطبوعة هنا في أولهما"عن صالح بن أبي الخليل" وفي ثانيهما"عن ابن أبي الخليل" . وهو خطأ ناسخ أو طابع في زياة كلمة"بن" .

* وهذان الإسنادان من طريق صالح بن أبي مريم عن مجاهد - مما لم أجده في موضع آخر .

(106) الحديث : 3345-موسى بن عبد الرحمن المسروقي شيخ الطبري : مضت ترجمته في : 174 .

* سيف : هو ابن سليمان -ويقال : ابن أبي سليمان- المخزومي المكي . وهو ثقة من شيوخ الثوري والقطان ووكيع ، وأخرج له الشيخان وغيرهما .

* والحديث رواه أحمد في المسند 4 : 243 (حلي) عن يحيى القطان عن سيف بهذا الإسناد وكذلك رواه البخاري 4 : 13- 14 ، ومسلم 1 : 236 كلاهما من طريق سيف ، به .

(107) الحديث : 3346- رواه أحمد في المسند 4 : 243 (حلي) عن سفيان وهو ابن عيينة عن ابن أبي نجیح -وحده- عن مجاهد بهذا الإسناد مختصراً . ورواه أيضاً 4 : 242 عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد مطولاً . وقد مضى في تخريج الحديثين : 3340 ، 3341 رواية أحمد إياه من طريق أيوب . وأشارنا إلى هذا هناك .

ورواه مسلم 1 : 336 والترمذي 2 : 120- 121 كلاهما عن ابن أبي عمر ، عن سفيان ابن عيينة وابن أبي نجیح ، وحميد الأعرج وعبد الكريم الأربعة عن مجاهد . وقال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح" .

(108) الحديث : 3347- أبو عاصم : هو النبل الضحاك بن مخلد عيسى : هو ابن ميمون المكي ، مضت ترجمته في : 278 .

* والحديث رواه البخاري 4 : 16 (فتح) من طريق شبل ، عن ابن أبي نجیح ، ثم من طريق ورقاء عن ابن أبي نجیح ، به .

* ورواه البخاري أيضاً 7 : 343 من طريق ورقاء عن ابن أبي نجیح .

* وقد مضى في الذي قبله أسانيد آخر عن ابن أبي نجیح .
(109) الحديث : 3348- يعقوب : هو ابن إبراهيم الدورقي الحافظ . هشيم : هو ابن بشير ابن القاسم أبو معاوية الواسطي .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

* أبو بشر : هو جعفر بن إياس وهو ابن أبي وحشية اليشكري الواسطي ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

* والحديث رواه أحمد في المسند 4 : 241 (حلي) عن هشيم ، بهذا الإسناد . ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده : 1065 عن هشيم وأبي عوانة كلاهما عن أبي بشر ، به .
(110) الحديثان : 3349 ، 3350 -جرير : هو ابن عبد الحميد الضبي .

* مغيرة : هو ابن مقسم -بكر الميم وسكون القاف وفتح السين- الضبي الفقيه ، ثقة أخرج له الستة .

* وهذان الإسنادان ، مما لم أجده في موضع آخر . ومن البين أن فيهما انقطاعا بين مجاهد وكعب بن عجرة بينهما عبد الرحمن بن أبي ليل ، كما يتبين من الأسانيد السابقة واللاحقة .

(111) الحديث : 3351- هو في الموطأ ص : 417 ولكن حذف فيه "عن مجاهد"- بين عبد الكريم الجزري وابن أبي ليلى . وكذلك هو في الموطأ رواية سويد بن سعيد ، ص : 185 (من مصورة عن مخطوطة عتيقة نفيسة منه ، عندي) وقال ابن عبد البر في التقصي ، رقم : 332"هكذا هذا الحديث في الموطأ عند أكثر الرواة ، ليس فيه ذكر مجاهد . وسقوط مجاهد منه خطأ ، لأن عبد الكريم إنما رواه عن مجاهد عن ابن أبي ليلى : وقد رواه ابن وهب وابن القاسم في الموطأ -عن مالك عن عبد الكريم ، عن مجاهد عن ابن أبي ليلى ، عن كعب وهو الصواب" . وقد أشار الحافظ في الفتح 4 : 11 إلى رواية الموطأ هذه ، وقال : "قال الدارقطني : رواه أصحاب الموطأ : عن مالك عن عبد الكريم عن عبد الرحمن لم يذكروا مجاهدا ، حتى قال الشافعي : إن مالكا وهم فيه" ثم أشار إلى روايات من رواه عن مالك على الصواب : ابن القاسم عند النسائي . وابن وهب عند الطبري - وهي هذه الرواية . وعبد الرحمن بن مهدي عند أحمد . ورواية ابن مهدي في المسند 4 : 241 (حلي) ورواية ابن القاسم في النسائي 2 : 28 . وكلاهما على الصواب ، كرواية الطبري -هذه- من طريق ابن وهب .
(112) الحديث : 3352-حميد بن قيس المكي القارئ ، قارئ أهل مكة : ثقة من شيوخ مالك والثوري وأخرج له الستة .

* وقد سقط من إسناد الحديث هنا"ابن أبي ليلى" بين مجاهد وكعب بن عجرة وليس هذا من خطأ الناسخ أو الطابع ، بل هو من رواة الموطأ .

* فالحديث في الموطأ ص : 417 ، على الصواب"مجاهد عن ابن أبي ليلى عن كعب"- في رواية يحيى بن يحيى المعروفة وكذلك هو على الصواب في رواية سويد بن سعيد عن مالك ص : 185 .

* وقال ابن عبد البر في التقصي رقم : 43"هذا هو الصحيح في إسناد هذا الحديث . ومن أسقط من إسناده عن مالك ، "ابن أبي ليلى"- فقد أفسد

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

إسناده . وممن رواه كما رواه يحيى مجودا : القعنبى والشافعي وابن عبد الحكم وأبو مصعب وابن بكير والزييري . وسقط لابن القاسم وابن وهب وابن عفير" ابن أبي ليلي " من إسناده هذا الحديث" . ونحو ذلك قال الحافظ في الفتح 4 : 11 . وقد رواه البخاري 4 : 10-12 عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك على الصواب .

(113) الحديث : 3353-عطاء بن عبد الله الخراساني : هو عطاء بن أبي مسلم واسم أبي مسلم "عبد الله" وهو الراجح الثابت عند مالك والذي اقتصر عليه ابن أبي حاتم 3/1/334-335 . وفي التهذيب قول آخر : أنه "ميسرة" . وعطاء هذا : ثقة ، تكلم فيه بعضهم بغير حجة .

* والحديث في الموطأ ص : 417-418 . وأشار إليه الحافظ في الفتح ولم ينسبه لغير الموطأ . ونقل عن ابن عبد البر لبيان الشيخ المبهم في الإسناده قال : "يحتمل أن يكون عبد الرحمن بن أبي ليلي ، أو عبد الله بن معقل" . أقول : ويحتمل أن يكون غيرهما . فالإسناده منقطع حتى نستيقن من هذا المبهم؟

(114) الحديث : 3354-يونس : هو ابن عبد الأعلى . ابن نافع : هو عبد الله بن نافع بن أبي نافع الصائغ المدني ، من أصحاب مالك ، وهو ثقة أخرج له مسلم وتكلم بعضهم في حفظه . أسامة بن زيد الليثي المدني : ثقة أخطأ في بعض أحاديث ولكن ذلك لا يدفعه عن الاحتجاج بروايته .

* محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي : تابعي ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة .

* والحديث رواه ابن ماجه : 3080 ، عن عبد الرحمن بن إبراهيم عن عبد الله بن نافع بهذا الإسناد .

(115) الحديث : 3355-إبراهيم بن سعيد الجوهري الطبري البغدادي الحافظ : ثقة ثبت روى عنه أصحاب الكتب الستة إلا البخاري مترجم في التهذيب . وتاريخ بغداد 6 : 93-95 روح : هو ابن عبادة مضت ترجمته : 3015 .

* والحديث مختصر ما قبله ، من هذا الوجه .

(116) الحديث : 3356-هارون بن المغيرة بن حكيم البجلي : ثقة وثقه ابن معين وغيره . عنيسة : هو ابن سعيد بن الضريس -بضم الصاد المعجمة- الأسدي : ثقة وثقه ابن معين وأبو زرعة وغيرهما . الزبير بن عدي الهمداني اليامي : ثقة وثقه أحمد وابن معين وغيرهما ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة .

* والحديث رواه النسائي 2 : 28 ، من طريق عمرو بن أبي قيس عن الزبير بن عدي ، بهذا الإسناد .

(117) الحديث : 3357-عطاء : الظاهر أنه ابن أبي رباح . ويحتمل أن يكون "ابن عبد الله الخراساني" ، الماضي في الإسناده : 3353 ، كما بينا في : 3333 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

(118) الحديث : 3358- ابن مسافر : هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي المصري كان واليا على مصر سنة 118 ، وهو ثقة ثبت أخرج له الشيخان وغيرهما .

* فضالة بن محمد الأنصاري : ثقة ترجمه البخاري في الكبير 4/1/126 ، قال : "بعد في أهل المدينة . عن حدثه عن كعب بن عجرة . روى عنه الزهري" . وبنحو ذلك ترجمه بن أبي حاتم 3/2/77 .

* والحديث لم أجده في موضع آخر ، إلا إشارة البخاري وابن أبي حاتم إليه ، بما ذكرنا .

* ولحديث كعب عجرة أسانيد آخر ، وزيادة على الأسانيد الكثيرة التي هنا :

* فمنها : رواية شعبة عن الحكم عن أبي ليلي ، عن كعب - عند أحمد في المسند 4 : 241- 242 ، 243 (حلبى) .

* ومنها : رواية ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة ، عن كعب - في المسند 4 : 242 .

* ومنها : رواية وهيب ، عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن ابن أبي ليلي . في المسند 4 : 242 ، وصحيح مسلم 1 : 336 .

* ومنها : رواية سليمان بن قرم عن ابن الأصبهاني ، عن عبد الله بن معقل المزني - في المسند 4 : 243 .

* ومنها : رواية الليث ، عن نافع عن رجل من الأنصار عن كعب - عند أبي داود : 1859 .

* ومنها : رواية أبان ، عن الحكم عن ابن أبي ليلي - عند أبي داود : 1860 .

* ومنها رواية ابن أبي زائدة ، عن ابن الأصبهاني عن ابن معقل - عند مسلم 1 : 337 .

* وانظر السنن الكبرى للبيهقي 5 : 54- 55 ، 169- 170 ، 185 ، 187 ، 214 ، 242 . ومجمع الزوائد 3 : 234- 235 .

(119) الحديث : 3359 - هذا إسناد صحيح . مخرمة هو ابن بكير بن عبد الله بن الأشج المدني : وهو ثقة تكلموا في سماعه من أبيه فجزم بعضهم بأنه لم يسمع منه ، وإنما يحدث عن كتاب أبيه . وحكى ابن أبي أويس أنه وجد في ظهر كتاب مالك : أنه سأل مخرمة عن ذلك فحلف له أنه سمع من أبيه الأحاديث التي يحدث بها عنه . انظر ترجمته في التهذيب . والكبير 4/2/16 ؛ وابن أبي حاتم 4/1/363- 364 ، والمراسيل لابن أبي حاتم ، ص : 80 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

وهذا الحديث مما لم أجده في موضع آخر . إلا أن الحافظ أشار إليه في الفتح 4 : 11 ، وذكر أنه رواه الطبري والطبراني . ولم أجده في مجمع الزوائد ، مع أنه من شرطه ، لروايته عند الطبراني . (120) انظر ما سلف 3 : 438 - 439 (121) الحديث : 3364- مضي : 3336 ، من رواية أسد بن عمرو عن أشعث وقد أشرنا هناك إلى أنه رواه أحمد في المسند 4 : 243 ، عن هشيم . فهذه رواية هشيم . (122) الخبر : 3374- أشرنا إلى هذا الإسناد في الخبر : 3324 ، وذكرنا هناك أنا نشك في صحة ذلك الموضوع ، لما فيه من رواية الطبري عن عبيد الله بن معاذ العنبري سماعا دون واسطة .

وها هو ذا يروي عنه هنا بواسطة "ابن أبي عمران" . وابن أبي عمران هذا : لم نعرف من هو بعد طول البحث والتتبع . فعسى أن نجد في موضع آخر ما يدل على من هو "ابن أبي عمران" وما يكشف عن سماع الطبري من عبيد الله أو عدم سماعه منه .

والإسنادان يحتاجان إلى تحقيق .

انظر التعليق على رقم 3324 = ص 55

المكوك (بفتح الميم وتشديد الكاف المضمومة) مكيال لأهل العراق قدره صاع ونصف صاع . (123) قوله : "فمن ، فمن" أي فمن لم يجد ، كما سلف في الأثر : 3380 ، 3386 (124) الأثر : 3387 : أبو النعمان عارم هو محمد بن الفضل السدوسي عارم لقب له . (125) في المطبوعة : "إن كان فيها اختلاف" ، والصواب ما أثبت . (126) الخبر : 3395 - يحيى بن سعيد : هو الأنصاري النجاري مضت ترجمته : 2154 .

يعقوب بن خالد : ترجم في الكبير 4/2/394 ، وابن أبي حاتم 4/2/207 . والتعجيل ص : 456 باسم "يعقوب بن خالد بن المسيب المخزومي" ، ولكن سيأتي في الإسناد التالي ، أنه : "يعقوب بن خالد بن عبد الله بن المسيب" ، فيستفاد منه رفع نسبه ، ويكون في تلك الكتب منسوباً لجده الأعلى . وهو ثقة ، لم يذكر فيه البخاري ولا ابن أبي حاتم جرحاً .

أبو أسماء مولى عبد الله بن جعفر : تابعي ثقة . مترجم في الكنى للبخاري ، رقم : 22 ، وابن أبي حاتم 4/2/333 ، والتعجيل .

وهذا الخبر نقله ابن كثير 1 : 449 .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

- (127) الخبر : 3396- مجاهد بن موسى بن فروخ ، شيخ الطبري : مضت ترجمته : 510 ووقع في المطبوعة هنا "مجاهد بن يونس" وهو خطأ يقينا ، فليس في التراجم من يسمى بهذا . وشيخه "يزيد" : هو يزيد بن هارون .
والخبر مكرر ما قبله ، بنحوه .
- (128) يعني : يأكل من الفدية وجزاء الصيد والنذر ، كما سيأتي قول الحسن في رقم : 3412 ، 3413 .
- (129) وانظر أيضًا ما سلف في الجزء 3 : 75-80 ، في معنى "المناسك" .
- (130) في المطبوعة : "إذا أمنت من وجع خوفكم" ولفظ "وجع" مقحمة ولا شك ، وهي تفسد الكلام والتقسيم معا ، فذلك طرحتها .
- (131) انظر ما سلف في الجزء 3 : 29-30 ، تفسير معنى "الأمن" .
- (132) في المطبوعة : "عن إبراهيم بن علقمة" وهو خطأ والصواب ما أثبت وانظر ما سلف قريبا رقم : 3415 .
- (133) مضى برقم : 3231 ، بهذا الإسناد ، وفي لفظه خلاف ، وهو مختصر هذا وفيه : " . . . أو حابس حبسه عن البيت ، بيعث بهديه" .
- (134) الزيادة التي بين القوسين ، لا بد منها . وقوله : "لا يتعاجم الناس . . . " أي لا يشك الناس ولا يتنازعون ولا يختلفون في بيانها وفي حديث ابن مسعود : "ما كنا نتعاجم أن ملكا ينطق على لسان عمر" ، أي كنا نفصح بذلك إفصاحا ، فلا نكنى ولا نوري وجاء في حديث على ما يفسره وهو قوله : "كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر" . وأصل هذا الحرف من قولهم : "استعجم عليه الأمر" أي : استبهم والتبس ، فإذا التبس الأمر صار موضعا للشك والتنازع .
- (135) في المطبوعة : "كان معلومًا بذلك" وزيادة الواو واجبة .
- (136) الخبر : 3439- إبراهيم بن إسماعيل بن نصر : هو التبان . ترجمه ابن أبي حاتم 1/1/85 ، وذكر أنه يروي عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة . وستأتي رواية أخرى له ، بهذا الإسناد : 3484 . ورواية ثالثة : 3521 ، وزاد في نسبه هناك "السلمي" ولم تذكر هذه في ابن أبي حاتم ولم أجد له ترجمة عند غيره .
- ابن أبي حبيبة : هو إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري وهو ثقة تكلم فيه البخاري وغيره ، ووثقه أحمد وغيره . ورجحنا في شرح المسند : 2727 أن حديثه حسن على الأقل .
- (137) الحديث : 3470- يحيى بن سلام البصري نزيل مصر : ثقة ، قال ابن أبي حاتم 4/2/155 : "سألت أبي عنه؟ فقال : كان شيخا بصريا وقع إلى مصر ، وهو صدوق" . وله ترجمة جيدة في طبقات علماء إفريقية لأبي العرب ، ص : 37-39 وقال أبو العرب : "كان ثقة ثبتا ، لقي غير واحد من التابعين وأكثر من لقي الرجال والحمل عنهم . وله مصنفات كثيرة في فنون العلم ، وكان من الحفاظ" . وذكر أنه مات بمصر سنة 200 . وفي لسان الميزان أنه ضعفه الدارقطني . ولكن أهل المغرب أعلم بحال روايتهم وكانت مصر تعتبر من بلاد المغرب .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكتبة مشكاة الإسلامية

ابن أبي ليلي : هو عبد الله بن أبي ليلي ، وهو ثقة ثبت أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه الطحاوي في معاني الآثار 1 : 427 ، بهذا الإسناد نفسه : عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم مع شيء من الاختصار في اللفظ .

وأصل معناه ثابت في البخاري 4 : 211 ، موقوفا . فرواه عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة : "سمعت عبد الله بن عيسى عن الزهري عن عروة عن عائشة - وعن سالم عن ابن عمر قالا : لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي" . وروى مالك في الموطأ ص : 426 نحو معناه عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة - وعن ابن شهاب عن سالم عن أبيه .

وقول عائشة وابن عمر "لم يرخص" : هو بضم الياء ، كما رواه الحافظ من أصحاب شعبة - فيما ذكر الحافظ في الفتح : وهو عندنا مرفوع حكما ، إن لم يكن مرفوعا لفظا . لأن الصحابي إذا قال ذلك فإنما يريد به من له حق الترخيص والمنع ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد بحث الحافظ في هذا الموضوع بحثا جيدا في ذلك .

وذكر الحافظ رواية يحيى بن سلام هذه ، نقلا عن الدارقطني والطحاوي . (138) الحديث : 3471 - سفيان بن حسين الواسطي : ثقة ، تكلموا في روايته عن الزهري خاصة" فإن فيها تخاليف يجب أن يجانب ، وهو ثقة في غير الزهري" - كما قال ابن حبان .

وهذا الحديث مرسل ، لم يذكر الزهري من رواه عنه . (139) الخبر : 3473 - أحمد بن المغيرة ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو ، ولم أجد له ترجمة ولا ذكرا .

(140) الأثر : 3484 : انظر التعليق على الأثر السالف رقم : 3439 .

(141) في المطبوعة : "قيل" مكان "قبل" وهو خطأ وتصحيف بلا معنى .

(142) في المطبوعة في الموضوعين : "قاد قوله" بالفاء وهو تصحيف غث جدا ، وجاء بعض من علق على تفسير الطبري فقال : "لعله يريد اضطراب

قولهن قال في اللسان : فاد يفيد فيدا : تبختر ، وقيل : هو أن يحذر شيئا فيعدل عنه جانبا" !! فصار معنى الكلام أعرق في الغثاء من تصحيف لفظه!

(143) والصواب ما أثبت ، يقال : "قاد قوله" أي استقام به على نهجه الذي نهجه ، ولم يخالف منطقتة فيه ولا سياقه . وذلك من قولهم : قاد الفرس

قودا . وهذا المجاز قد استعمله قدماء الفقهاء والمتكلمين والمناطقة يقولون : "هذا لا يستقيم على قود كلامك" أي : على سياقه ونهجه .

(144) الأثر : 3508 - في تفسير ابن كثير 1 : 453 : "المتعة للناس لا لأهل مكة من لم يكن أهله من الحرم" وفي الدر المنثور 1 : 217 : "المتعة للناس

، إلا لأهل مكة هي لمن لم يكن أهله في الحرم" . والصواب ما في نص الطبري .